

ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين

٥٠٠ سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب

للداعية الإسلامي

الشيخ / محمد ياسين

قدم له

أد/ عبد المهدي عبد القادر

أستاذ الحديث بجامعة الأزهر



- ١ - رسولكم تزوج بطفلة عمرها تسع سنوات فهل هذا رسول؟
- ٢ - نبيكم أول من خالف الشريعة في الزواج بأربع فتزوج تسع .
- ٣ - لماذا تقولون لا إله إلا الله أليس من المحتمل وجود آلهة أخرى؟
- ٤ - يقول قرآنكم (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فهل الله يصلي؟
- ٥ - ((الم- المص- حم- عسق- كهيعص)) طلاسّم والغاز في قرآنكم لا معنى لها.
- ٦ - المسلمون ليسوا على الهداية بدليل طلبهم لها في كل صلاة {أهدنا الصراط المستقيم}.
- ٧ - النسخ في القرآن عندكم معناه عدم صلاحيته في التطبيق فهل الله رجع في كلامه فنسخه؟
- ٨ - يقول قرآنكم (فألقاها فإذا هي حية تسعى) (فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين) - ما هذا التخبط أهي حية أم ثعبان؟
- ٩ - قرآنكم يقول (للذكر مثل حظ الأنثيين) أليس هذا ظلم للمرأة؟
- ١٠ - العلم يكذب قول نبيكم (النساء ناقصات عقل ودين) فالجامعات تعج بالبنات المتفوقات.
- ١١ - هل عيسى توفاه الله كما في سورة آل عمران أم رفعه كما في سورة النساء؟

التأليف

مكتبة الأحياء

ردود علماء المسلمين على شبهات الملاحدين والمسنشرفين

٥٠٠ سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب

قدم له

د / عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

د / محمود شعبان إبراهيم

د / محمد عماره

تأليف

الداعية الإسلامي

محمد ياسين

توزيع

مكتبة تريم الحديثة

اليمن - حضر موت

ت : ٤١٧١٣٠ - ٥

الناشر

مكتبة الجامعة الازهرية

٤ شارع احمد سوكارنو

ت. ف : ٣٣٤٥٢٣٠٢

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٦٥٤٨

ISBN: 977-449-026-2

الناشر

مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع

٤ شارع أحمد سوكانو - العجوزة - فاكس : ٣٣٠٤٤٨٤١

هاتف : ٣٣٤٥٢٣٠٢ - محمول : ٠١٠١٧١٩٧٩٥

elemanliblary @yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

د / عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

2008

BP

170

Y365

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.. وبعد:

ففي وقت كثر فيه كلام أعداء الإسلام على الإسلام، وتطاولهم في إثارة الشبهات على العقيدة والقرآن والسنة وأمر الإسلام عموماً في هذا الوقت يظهر فيه هذا الكتاب، يرد على شبهات المتطاولين على الإسلام، يوضح الحق، وينير السبيل، يسعد بذلك صدور المؤمنين، ويأخذ بيد أعداء الإسلام إلى الحق إن كانت صورة الإسلام قد شوهها أمامهم آخرون.

إنه كتاب يوضح الحق، وهذا يفيد أهل الحق وأعداء الحق، فأهل الحق يزدادون تمسكاً بدينهم، وأعداء الحق يتضح الحق أمامهم، ونسأل لهم الهداية والتوفيق.

إننا معشر المسلمين - على الرغم من تطاول الأمم الأخرى علينا - إلا أننا في دائرة الحق ندعوا بعضنا وغيرنا إلى الحق والخير، ناشد العالم هلموا إلى ما يسعدنا جميعاً، هلموا إلى التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

لسنا نقتل أحداً، ولا نسيء لأحد، ولا نفسد في الأرض، ولا نهدم البنيان، ولا ندمر العمران، لا نلوث الهواء، ولا نسسم الماء، ولا نمنع أسباب الحياة عن أحد، على طول التاريخ خيراً ورحمة على أنفسنا وعلى الكون كله.

ومن باب حرصنا على الحق لم نعب ديناً من الأديان، ولما تطاول الغير علينا مازدنا أن دافعنا عن ديننا.

وهذا الكتاب (ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين) نموذج من ردودنا، فبأسلوب غاية في الوضوح، وغاية في الإيجاز أحاب المؤلف عن كثير من شبهات أعداء الإسلام، منها ما هو حول العقيدة، وما هو حول القرآن، وما هو حول الإسلام،

وما هو حول الرسول ﷺ، وأجاب عما زعمه أعداء الإسلام من تناقض القرآن مع نفسه، وما زعموه من تناقض القرآن مع السنة، وما أثاروه من شبهات حول سور القرآن. لقد أجاب عن خمسمائة شبهة، واعتمد في الجواب على مصادر أصلية في التفسير واللغة والفقه والعقيدة والسيرة والدعوة، كما أنه اعتمد على بعض نصوص من كتبهم هو أدري بذلك مني.

وعلى الرغم من أكاذيب مفترى هذه الشبهات وبشاعة باطلهم إلا أن المؤلف لم يكتب كلمة تطاول على دينهم، بل ولا على أشخاصهم. وظل ملتزماً بأخلاق الإسلام. إنه لم يقابل غباء بغباء، ولا باطلاً بباطل، وإنما جلتى الحق وأبان الصدق، موثقاً معلومته، ذاكرًا مصادره. أسأل الله أن يجعل هذا في ميزان حسناته، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن ينفع من قرأه من المسلمين وغيرهم، اللهم آمين.

أد/عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي
أستاذ ورئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر

٢٤ رجب ١٤٢٨ هجرية

٧ أغسطس ٢٠٠٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

د / محمد عمارة

الحمد لله جعل العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا العلم ليعلموه الخلق، ويأخذوا بأيديهم إلى طريق الهدى والحق، وجعل هذه الأمة مع علمائها كالأمم الخالية مع أنبيائها، وضمن بحوله وقوته بقاء هذا الدين غصاً قوياً ببقاء طائفة على الحق، متمسكين به، يهدون من ضل إلى الهدى، ويبصرون من العمى، ويرشدون من الغواية، ويعلمون من الجهل، يحيون سنة النبي ﷺ ويدافعون عنها ما بقيت فيهم جارحة، يردون شبه المبطلين، ويدحضون حجج المقلدين المزورين، حتى يأتي وعد الله وهم على ذلك.

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بالجلال بكمال الجمال، والمتفرد بتصريف الأحوال، رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق الخلق من تراب. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله ﷺ فتح الله به أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، وأذانا صمّاً، أقام الله به الدين، وأذل به الشرك والمشركين، وترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فقد قال ربنا سبحانه: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠] واليهود والنصارى لتحريفهم الكتب التي نزلت على أنبيائهم، ولم تعد لديهم حجة، ولا شيء يستندون إليه، أخذوا يطعنون في القرآن، ويوجهون إليه السهام، كما أخذوا يطعنون في بعض أحكام الإسلام، ويظنون أنهم بذلك يستطيعون تغيير الصورة المعهودة لهذا الدين في قلوب أتباعه، وهيهات.. فإن الدين محفوظ بحفظ ربه، وقد وعد بنصرة أهله، كما قال سبحانه: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧١-١٧٢] وقد رأينا ذلك واضحاً

وضوح الشمس على مدار التاريخ، فلا صمود لدعوة، ولا ديانة، ولا قوة، حُجَّة أمام جنود الإسلام، وها هو كتاب جديد يدحض افتراءات النصارى، ويقمع شبهاتهم التي يدندنون حولها، هذا كتاب الأخ الشيخ (محمد ياسين) تناول فيه الرد على شبهاتهم بأسلوب مبسط يفهمه العامة قبل الخاصة، وقد بذل فيه جهداً مشكوراً لتوضيح المشكل والغامض في بعض المفتريات، وقد أحسن في عرضه للجواب على كل شبهة، إذ كان يأتي بنصوص من الكتاب المقدس لليهود والنصارى، ليرد الشبهة بالحجة، والمكتبة الإسلامية الزاخرة العامة محتاجة لذلك الكتاب، والمسلم والكافر، والطائع والعاصي، كلهم بحاجة لمطالعتة، ونحن إذ نكتب هذه التقدمة لهذا الكتاب نتقدم بخالص الشكر للأخ محمد ياسين، لهذا الجهد المشكور في دفع شبهات النصارى، والله تعالى نسأل أن يوفقه للمزيد، وأن يهبه غُثْمَهُ، ويتجاوز له برحمته عن غُرْمِهِ، وأن ينفع به من قرأ وطالع، وأن يهدينا سواء الصراط.

وكتبها د. محمد أحمد عمارة

حدائق المعادى

في ٣ جمادى أول ١٤٢٨ هجرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

د / محمود شعبان إبراهيم

إن الحمد لله، نسعيه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.. أما بعد:

فلقد قال ربنا في أخريات سورة يوسف: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ} [١٠٨] فهذا هنا أخى فى الله.. يطلب ربنا من حبيبه ﷺ أن يقول للمشركين والدنيا كلها: هذه طريقي - أى الدعوة إلى الله وإلى التوحيد - طريقي ومنهجى وغايى، أدعو إلى الله والله على بصيرة، أى على علم وفهم وتبصر وتيقن أنا ومن اتبعنى، أى أن الدعوة إلى الله وظيفة رسول الله ﷺ ومن اتبعه. وربنا عز وجل يقول: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠] فالأمة أخذت الخيرية بسبب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يتلو هذه الآية فى موسم الحج، ثم يقول: يا معشر المسلمين.. من أراد الانتساب لهذه الأمة فليؤدِّ الشرط، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله. والملاحظ أن الآية قدمت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله، فأيهما أسبق؟ معلوم أنك تؤمن، ثم تدعو إلى الله، وتأمّر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، هذا هو الأصل، لكن الآية قدمت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لبيان أهميتهما، وليبيان أنهما موصَّلان للإيمان. فالشرك أعظم منكر، والإيمان أعظم معروف، فأنت تأمر بالمعروف.. أى تدعو إلى الإيمان، وتنهى عن المنكر.. أى تنهى عن الشرك. فالأمر بالمعروف دعوة إلى الإيمان بالله، وكان الإيمان بلا أمر بالمعروف ولا نهي عن منكر ينقص ويضعف، وهما وظيفة الأنبياء، ولولاهما ما وجد مؤمن بالله، لذا قدمهما. وخير دعوة إلى الله هى الذبُّ عن دين الله، فى زمان الهجوم على ثوابت

الإسلام من أعداء الإسلام، بل ومن بعض المنتسبين للإسلام، وهنا - أى في هذا الزمان - لابد أن يسر الله لهذه الأمة آل العلم الذين يُنفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويصرون بكتاب الله آل العمى، ويدلوهم على الهدى، وأسأل الله أن يكون صاحب هذا الكتاب منهم، ولما كان ذلك كذلك انتدب أخونا الشيخ (محمد بن ياسين) نفسه للدفاع عن دين الله، وعن كتاب الله، فألف كتابه الماتع (ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين) وأهداه لي لمراجعته لحسن ظنه بي، والله يعلم أنني ليس كما ظن، فقرأته وتعلمت وأفدتُ منه، وإن كنت علقت على بعض الأشياء، وظنى فيه أنه قد انتبه لها. والكتاب يمتاز بسهولة، وطبيعة الشيخ فيه، فالرجل سهل بسيط، وكذلك كتابه، بل إنك تجد أنفاس الشيخ ونبضات قلبه رقاقة واضحة بين نستور، ويكفيه أنه يسر كلام أهل العلم، من أمثال (الرازي) وغيره للناشئة من طلبة العلم، بل وللعمامة أيضاً. والله أسأل أن يجزيه على ما قدم للإسلام والمسلمين، وأن يكافئه بقدر جهده وتعبه، وأن يجعل هذا الجهد في ميزان الحسنات، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله أسأل أن يرزقنا وإياه البصيرة التي اشترطها ربنا في الداعية إلى الله، لنكون أهلاً للدعوة إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله الحمد والمنة أولاً وآخرأ.

وكتبه الفقير إلى عفوره

محمود شعبان إبراهيم

أبومعاذ

أبراج الزهراء.. عين شمس.. ٢٨/٥/٢٠٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:
 لقد قمت بهذا العمل وأنا أعلم تماماً أنني لست أديباً، ولا كاتباً صاحب قلم معروف،
 ولا عالماً متخصصاً من علماء الأزهر الشريف، ولكن من حملني على هذا هم الإخوة
 الغيورون على دينهم، وذلك بعدما قمت بالتصدي - أنا وبعض إخواني من العلماء
 والدعاة - للحملة الشرسة التي قام بها أعداء الإسلام للتشكيك في الدين الحنيف، وعلى
 وجه الخصوص القرآن العظيم، كتاب الله الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] وعلى شخص الرسول الأعظم ﷺ وإن كان
 المحجوم على هذه الشخصية العظيمة قد تعودنا عليه من حين لآخر، حيث نسمع بعض
 التعليقات التي يعرف قائلها أنه حاقد وكاذب، ولكن ما الذي يمنع الخفافيش أن تخرج إذا
 جُنَّ الظلام؟ وما يمنع الأفاعي والعقارب أن تظهر إذا شعرت بالأمان؟ والسبب في ذلك
 هو ترك المسلمين لدينهم الذي هو عصمة أمرهم، وسبب عزهم في الدنيا والآخرة.

وكان التصدي الذي قمت به عبر دروس في المساجد للرد على هذه الحملة التشكيكية
 - ولا أقول التنصيرية - أنهم جربوا التنصير على مر القرون فلم ينجحوا إلا قليلاً، أما
 المستهدف هذه المرة فهي الفئة المثقفة، ولكن لماذا الفئة المثقفة بالذات؟ لأنها تعلمت تعليماً
 علمانياً لا يحلُّ حلالاً ولا يجرم حراماً، فليست عندهم مناعة دينية تعصمهم من الشكوك
 وتحميمهم من الكفران، ولا فهم صحيح للغة العربية وأساليبها وبلاغتها، فهم يقرأون
 القرآن أو الحديث ولا يفهمون مراد الله ولا مراد رسول الله ﷺ فيسهل وقوعهم في فخ
 التناقض الظاهري للنصوص، أو التصادم مع العلم الحديث، ويا ليت الشاب المثقف يسأل
 العلماء إذا عُرِضت عليه لشبهات، ولكن للأسف أنه يقرأ الشبهة أو يسمعها فيتأثر بها
 ويؤثر على غيره، وهذا هو المطلوب أعداء الدين. وقد كان التنصير سابقاً - ولا يزال -
 يرتع في غيابات الفقر والجهل والمرض في بعض الدول الأفريقية والآسيوية، وكان التنصير
 كالبعوض لا يعيش إلا فوق البرك والمستنقعات الآسنة، ولكن المفاجأة هنا للحقل
 الإسلامي أن المثقفين هم فقط المستهدفون، والذي شجع على ذلك سقوط بغداد في

القرن الواحد والعشرين، وقيام الدول الصليبية برسم خريطة للاستيلاء على بلاد الإسلام الواحدة تلو الأخرى، وتسميتها (الشرق الأوسط الكبير) وقد سقطت بغداد في أيديهم وسط تخاذل وتواطؤ حكام العرب والمسلمين الذين فتحوا بلادهم على مصراعيها لسقوط العراق خيانة وغدراً وخسّة ومهانة، وصمت العالم أجمع صمت المقابر إلا بعض صحبات استنكار من بعض المسلمين المخلصين، وعندها تذكرت قول رسول الله ﷺ: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمَنْ قِلَّةٌ يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، ويترع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت" [صحيح الجامع: ٨١٨٣] وها نحن نرى صدق الرسول الأعظم واقعاً يتكلم على الأرض، فبعد سقوط بغداد بسهولة مريية، ذهبت أحلام العدو الصليبي كل مذهب، وتصوروا أن خطة القضاء على الإسلام باتت وشيكة، وأنها أسرع مما قُدِّرَ لها (٢٥ سنة) بل إن الأمر أسهل من ذلك، هي تقريباً بضع سنين - كما يظنون - ويتم القضاء المبرم على بلاد الإسلام تماماً، والمدهش والعجيب أن هذه الخطط تداع على مرأى ومسمع من العرب والمسلمين، ولكن لا حراك كما قال الشاعر:

لقد أسمعت إذ ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادى

وقد تم التمهيد لذلك بتغيير المناهج الدراسية، والكتب الدينية والتاريخية في جميع البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وتغيير الخطاب الديني، مع التركيز على عدم ذكر آيات الجهاد والعداوة لأهل الكتاب، ومحاولة طمس اللغة العربية الفصيحة، لغة العلم والقرآن والإسلام، وتشجيع الملحدين، ومنحهم الجوائز على مؤلفاتهم، كما أعطت إنجلترا سلمان رشدي جائزة على كتابه الذي سخر فيه من القرآن الكريم، وسَمَّاه (آيات شيطانية) ومنحته لقب (فارس) على تأليفه لهذا الكتاب. بل إن الأكثر خطراً من ذلك أنهم ألفوا كتاباً ساقطاً وسموه (الفرقان) ووزعوه على السفارات الموالية لهم هكذا جهاراً نهاراً، وبكل تبجح، تمهيداً للاحتياح الكاسح لبلاد الإسلام.

وفي هذه الفترة اشتدت الحملات التشكيكية المسعورة ضد الإسلام، إذن.. فماذا أفعل وأنا رجل داعية لا أملك إلا لسانى، وحتى هذا اللسان فإنه مُقَيَّد، أو - إذا صحَّ التعبير -

فإنه مُشْفَرٌ، وليس مسموحاً لى ولا لغيرى أن نتكلم إلا فى أشياء محدودة، كالقبر والجنة والنار والمواعظ وقصص الأنبياء، وإلا- فإن أقل شىء أن أُحْرَمَ من الدروس والخطب، وهذا ما يريدُه أعداء الدين بى وبإخوانى من العلماء والدعاة، إذن.. فالملطوب منى أن أنزل البحر بدون مجداف، أو أن أعوم دون أن أبتل، والله حسى ونعم الوكيل، فبدأت - بحمد الله - فى جمع الأسئلة التى يطرحونها على المسلمين لتشكيكهم فى دينهم، وبدأت أرفع هذه الشبهات فى حلقات سجلها كثير من الإخوة على اسطوانات (سيديهاات) ولاقت قبولاً واسعاً بحمد الله تعالى، وهذا القبول ليس لشخصى، ولكن لأنه حديث الساعة، فما كان فيها من خير فمن الله، وما كان فيها من خطأ أو نسيان فمضى ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء. والأسئلة المطروحة منها ما هو جدير بالإجابة يلتفت إليه، ومنها ما هو تافه مهتك، وكان على أن أجيب على جميع الأسئلة حتى لا يقال: إن هناك أسئلة لم نجد لها إجابة. وأعترف أننى لست باحثاً مدققاً، ولا متخصصاً مُجيداً، ولكن سندی الوحيد هو ربى جل فى علاه، عليه توكلت وإليه أنيب {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

ولا أخفى على القارئ أن الذى شجعنى وجعلنى أتمس لهذا العمل هم الإخوة المجاهدون فى العراق الذين بددوا ظلام الخوف من قلوب المسلمين - حتى الحكام منهم وإن أخفوا ذلك - بعد أن طرحوا أكبر قوة فى العالم على الأرض، وذبحوها أمام أعين الدنيا كما تذبج النعاج، ولقد رأى العالم أجمع أن المؤمنين المجاهدين الذين لا يملكون من السلاح إلا القليل، ومن العتاد إلا اليسير، يذيقون العدو الصلى صاحب الآلة الحربية الرهيبة أصناف العذاب، وهو من هو، صاحب الأنياب الذرية والمخالب النووية، حتى إن هذا العدو المتفطرس يصرخ كل يوم من آلام الهزيمة والقتل، ويريد أن يخرج من هذه المحزنة المخزية التى اعترف بما عقلاؤهم، ومع ذلك لم تُقنع أمريكا عن قتال المسلمين بعدما ذاقت مرارة الهزيمة، أمام أعين العالم فى العراق وأفغانستان، فهروباً من مواجهة المسلمين على الأرض، لجأت إلى الحرب بالوكالة، فأوعزت إلى الحكومة الصليبية فى أثيوبيا بقتال الحكومة الإسلامية فى الصومال (الحاكم الشرعية) بعدما تولت المحاكم الشرعية - بانتخابات حرة نزيهة - مقاليد الحكم فى الصومال، فتحركت أفاعى الحقد

وعقارب الضغينة في قلوب الصليبيين على هؤلاء المسلمين. وحتى كتابة هذه السطور تقوم أمريكا بالقصف الجوي الوحشي للمدنيين العزل في الصومال، بالحجة السخيفة المعروفة بمحاربة الإرهاب. مع مراعاة أنهم لا يستطيعون من الآن فصاعداً قتال المسلمين على الأرض وجهاً لوجه، لأنهم جربوه فكانت الهزيمة النكراء حليفتهم في كل وقت وحين، فلجأوا أخيراً إلى الفتنة والوقية بين المسلمين، حتى يتجنبوا الخسائر البشرية المروعة، وأشهد أنهم نجحوا بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في الفتنة والوقية بين السنة والشيعة في العراق، وبين طوائف لبنان، وبين حماس وفتح في فلسطين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولقد رأيت العجب العجاب أثناء تحضير الإجابات على هذه الشبهات، وكأن أنظر إلى السائل المشكك في ديني على أنه لص غبي لم يجد إلا المصباح المنير ليسرقه ويختبئ به في الظلام، كما تقول النكتة المصرية: (حرامي سرق كُلوْب منورٍ واختبأ به في الظلام) أو كالذي يكره البخور فقام بإحراقه، فما كان منه إلا أنه أفاح رائحته وأظهر عطره، وتذكرت قول ربى تبارك وتعالى: { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢١٦] ولعل هذا يكون دافعاً لشبابنا على تعلم دينه، والذود عن حياضه، وعدم إعطاء الفرصة لعدوه للنيل منه، فديننا أعظم دين، وكل ما يحوم حوله من شبهات فهي أباطيل وافتراءات لا أساس لها من الصحة. والله أسأل أن يثبت قلوبنا وقلوب المسلمين على دينه، وأن يهدى خلقه من الإنس والجن إلى توحيده، والعمل بكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.. آمين.

ملاحظات:

لا يحق لأى مسلم يقرأ ما جاء في هذا الكتاب من نصوص (الكتاب المقدس) أن يسخر من أهل الكتاب، أو يستهزئ بهم، أو يعيرهم بما ورد فيه من ألفاظ أو عبارات غريبة، لأن هذا لا يليق بالمسلم العفيف اللسان، ولأن الله جل وعلا أمرنا أن نجادلهم بالحسنى، وذلك في قوله تبارك وتعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [العنكبوت: ٤٦] ولأننا لا نريد أن ندفع الشبهات عن ديننا فقط، ولكن لنعلمهم فيه بذكر محاسنه، وإقامة الحجة عليهم بالحوار الهادف المهذب البناء، وليس

كما يحدث - ممن لا حظ لهم من العلم - من الشتم والسب، وخصوصاً في غرف المحادثة الجماعية (البالتوك) على شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت).

يقول ربنا تبارك وتعالى {وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} [البقرة: ٢٣٧] وامثالاً لأمره سبحانه وتعالى وددتُ أن أعرف القارئ بأن معظم الإجابات على الشبهات المتعلقة بالقرآن الكريم نقلتها من تفسير الإمام الرازي، وتفسير الشيخ الشعراوي (رحمهما الله) مع بعض التصرف في بعض الأحيان. أما إعراب الآيات فنقلت بعضها من تفسير الشيخ الشعراوي، والبعض الآخر من الدكتور عبد العظيم المطعني من كتاب (حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين) أما الإجابات الخاصة بتدوين القرآن فمن كتاب (دراسات في علوم القرآن) للدكتور محمد بكر إسماعيل. ويرجع الفضل - بعد الله سبحانه وتعالى - في الاستشهاد بنصوص من (الكتاب المقدس) إلى مطويات ومذكرات حصلتُ عليها من مركز التنوير الإسلامي، وهو مركز متخصص في تثقيف الشباب للدفاع عن الشبهات، وعنوانه (١٤٥ شارع مصر والسودان بجداق القبة) وله موقع على الإنترنت يسمى (شبكة بلدي) (www.baladynet.net)

بعض الإجابات بما اختلف عن الإجابات التي في الاسطوانات المسجلة، إما بالزيادة أو بالنقصان، فمن أراد أن يسمع الإجابة بالتفصيل فليرجع إلى الأسطوانات والشرائط التي تحمل عنوان الكتاب نفسه، والتي تباع بشركة (تسجيلات النور الإسلامية) لصاحبها الأستاذ حامد الطحان، وعنوانها (٧ شارع عبد العزيز، عمارة الزيات) وليرجع إلى إدارة قناة الأمة الفضائية، وعنوانها نفس عنوان مركز التنوير الإسلامي.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يوردنا - وكل من ساعد في إخراج هذا الكتاب ونشره - على حوض النبي المصطفى ﷺ وأن يدخلنا الجنة بغير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب، وأن يظلنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. اللهم آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى الله الراجي عفوه ورضاه

محمد ياسين

شبهات باطلة حول العقيدة

س ١- أنتم يا معشر المسلمين تعتقدون أنه لا إله إلا الله، ليس من المحتمل وجود آلهة أخرى؟

ج ١- الله سبحانه وتعالى شهد على نفسه أنه لا إله إلا هو وأنه الخالق لكل شيء ولم ينازعه منازع فتثبت له الدعوى، فهل وجدتم أو سمعتم في التاريخ كله من ادعى أنه خلق السموات والأرض ولو كان أطغى الطغاة؟ فمثلاً - {وَلَيْهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن هناك أحداً ادعى ملكية أرض وكتب عليها اسمه ولم ينازعه أحد عشرات السنين فتثبت له الدعوى، أو لو كنا في مكان ووجدنا حافظة نقود وأعلنا عنها فجاء شخص وأعطى أوصافها وقال إنها له، ولم يدع أحد غيره ملكيتها فتسلم له الدعوى. فإذا كان هناك آلهة أخرى لِمَ لم تعلن عن نفسها وتكذب دعواه؟ قد يقول قائل: ربما لم يعلموا، وهذا عذر أفتح من ذنب، لأن الجهالة تستحيل على الآلهة، وإذا قيل: إنما علمت ولكنها خافت من هذا الإله، وهذا أيضاً مُحال لأن الآلهة لا تخاف، إذ لو خافت منه فلا تستحق أن تكون آلهة {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَقُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤٢-٤٣] ولو أن هناك آلهة أخرى - كما يدعى المشركون - لفسد نظام الكون، ولَمَا أصبح بهذا التناسق البديع بين النواميس والعناصر والأجناس كلها، ولوجدنا مثلاً إله الشمس له نظام يتعارض مع إله المطر أو إله الزرع أو إله الريح أو القمر.. وهكذا {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢] {مَا آتٰخَذُ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِّنْ إِلٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} [المؤمنون: ٩١]، والله أعلم.

س ٢- لقد قلتم إنه لو كان مع الله آلهة أخرى لفسد نظام الكون ولم يكن بهذا الإحكام البديع، ليس من المحتمل أن يكون هناك آلهة لها أكوان أخرى غير كون إلهكم؟

ج ٢- الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: {اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: ٦٢] فلو أن هناك أكواناً أخرى لكانت تُسمى (شيئاً) فيكون الله عز وجل خالقها هي أيضاً،

وحيث إنه لم يعترض عليه أحد، ويقول له: (إنك لم تخلق كل شيء، بل أنا خلقت كذا وأنت خلقت كذا) فثبت له الدعوى، والله أعلم.

س٣- إن هذا الكون جاء مصادفة من انفجار كوني رهيب من صنع الطبيعة، ونحن لا نؤمن إلا بالمشاهد المحسوس وإلهم ليس كذلك، وإذا كان موجوداً فلم لا يرينا نفسه؟

ج٣- هذا السؤال لا يصح من عاقل، فهل يوجد أى شيء في الكون بدون واحد؟ وهل المصادفة تصنع قانوناً محكماً؟ وإذا كانت الطبيعة هي التي خلقت هذا الكون فمن أين جاءت بمكوناته؟ {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ} [الطور: ٣٥] هل لو حدثك إنسان أنه رأى سفينة محملة بالبضائع تكونت مصادفة بغير صانع، وسارت في البحر بغير قائد... أكنت تصدقه؟ هل لو طرح إناء كبيراً من الزجاج على الأرض فانكسر هل يُكوّن أكواباً صغيرة؟ هل لو سكت عدة ألوان على ورقة أتكوّن منظراً بديعاً؟ فما ظنك بهذا الكون المحكم البديع الذي يسير كل شيء فيه بنظام تام لو اختل لدُمّرت الحياة بأكملها {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحْتٍ مِنْ بَعْدِهِمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: ٤١] إنك لو سافرت إلى الصحراء بمفردك ونمت بعض الوقت لتستريح ثم استيقظت وأنت جائع فوجدت مائدة عليها طعام وشراب، هل ستمد يدك لتأكل قبل أن تتساءل في نفسك من أحضر هذا الطعام؟ فكيف بالكون كله الذي أُعدّ لاستقبالك قبل أن تولد، شمس وقمر ونجومه وأرضه وسماؤه... إلخ، وكل شيء فيه له نظامه وقانونه الذي لا يخرج عنه، ألا يوجد لهذه الأشياء خالق؟ وهل هذه القوانين المحكمة صنعتها المصادفة؟ إننا نؤمن بوجود الكهرباء.. ولكن هل نراها؟ هب أننا في مكان ما، والمصابيح مضاءة وأجهزة التكييف أو المراوح تعمل، ثم سألت سائل هل توجد كهرباء؟ ماذا سيكون جواب الحاضرين؟ أيجنون أنت؟ ألا ترى الإضاءة والمراوح وكذا وكذا؟ فقال أين توجد هذه الكهرباء؟ فقلنا له إنها في هذه الأسلاك المغطاة، فذهب ليعرى الأسلاك، هل يرى شيئاً؟ ولو وضع يده ليلمسها ماذا يحدث له؟ إننا نعلم ما أحدثه استخدام الإلكترونيات من ثورة علمية هائلة لم يسبق لها مثيل في عالم الأقمار الصناعية والحاسبات الإلكترونية والاتصالات الهاتفية والشبكة

العنكبوتية (الإنترنت)... إلخ، فهل نرى الإلكترونات؟ هل نرى الجاذبية الأرضية؟ هل نرى المغناطيسية؟ هل نرى أشعة إكس أو الليزر أو الموجات فوق الصوتية؟ أم أننا استدللنا على هذه الأشياء كلها بتأثيرها؟ إن رجل الصحراء الأعمى البسيط الذي لم يتلق العلم على يد أساتذة الجامعات ولا المعاهد العلمية قال بفطرته السليمة: (إن البعرة تدل على البعير، والقدم تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ونجوم تزهو، وبحار تزخر، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟) إن حواسنا التي خلقها الله لنا ليست مُعدَّة لإدراك كل المخلوقات، فكيف بإدراك من خلقها؟ سبحانه {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣] قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القسطَ ويرفعه، ويرفعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" [صحيح مسلم] وفي رواية أخرى "حجابه النار"

إن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حينما طلب رؤية الله عز وجل قال الله له: {لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أُنظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي} فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا} [الأعراف: ١٤٣] ثم إنكم تطلبون رؤية الله عز وجل فلو رأيتموه كيف يكون الاختبار إذن؟ إن الإيمان بالغيب من صُلب عقيدة المؤمنين، فإذا كان كل شيء مُشاهد فما فائدة الإيمان؟ فهل يقول أحدٌ أنا مؤمن بوجود الشمس أو القمر أو الليل والنهار؟ إن رؤية الله عز وجل نعيم عظيم، بل هي أعظم من نعيم الجنة، فهل يستحقها المشرك والكافر والفاسق والفاجر؟ {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُوجُونَ} [المطففين: ١٥] إنما قاصرة على أهل الجنة، يتنعمون بها على قدر منازلهم، فأعلامهم منزلة من يرى الله سبحانه وتعالى بُكرةً وعَشياً {وَجُوهٌ يَوْمِئِذٍ نَّاضِرَةٌ} ﴿٢٢﴾ {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢-٢٣] اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراءٍ مُضرةٍ ولا فتنةٍ مُضلةٍ، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.. اللهم آمين، والله أعلم.

س٤ - كيف تثبتون أن لفظ الجلالة (الله) دليل على وجود الله؟

ج٤ - التسمية لا تكون إلا بعد وجود المُسمَّى، فنحن نقول (الشمس) لأنها موجودة وكذلك القمر والجبال والبحار... إلخ، فهل وجدتم اسماً لشيء غير موجود؟ فمثلاً: هل

كان اسم التليفزيون معروفاً قبل وجوده، أو الراديو أو غيرهما؟ وفي كل اللغات توجد كلمة تدل على (الله) وتعظمه الفطرُ السليمة. والكفر نفسه دليل على الإيمان، لأن الكفر معناه (التغطية) فماذا يغطون؟ هل يغطون شيئاً غير موجود؟ بل الله سبحانه وتعالى هو واجدُ الوجود وخالق كل موجود. ولفظ الجلالة (الله) ليس فقط دليلاً على وجود الله عز وجل، بل هو دليل على صدق رسالة سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مریم: ٦٥] أى أنه سبحانه وتعالى لا يوجد من يُسمى باسمه (الله) فهو عَلَّمَ على ذاته سبحانه وتعالى وحده لا يشاركه فيه أحد، ونحن نتحدى العالم بأسره أن يدلنا على أى مخلوق اسمه (الله) ونتحده أن يتجرأ أى أحد - كائناً من كان - على أن يسمى أى شيء بهذا الاسم، والله أعلم.

س ٥- تقولون إن كل شيء من خلق الله، فمن خلق الله؟

ج ٥- هذا السؤال لا يُطرح من الملحدين فقط، ولكن الشيطان يوسوس به لبعض المؤمنين، فإذا وجد أحدكم ذلك من نفسه فلا يجوز طالما أنه غير راضٍ عن هذه الوسوسة، وليعلم أنها من كيد الشيطان، وليستعد بالله منه، لأن الشيطان لا يوسوس للكفرة ولا لأهل الخمرات والمراقص والمخدرات، لأنهم جنوده وليسوا في حاجة لتلك الوسوسة، فقد استراح من ناحيتهم، أما المؤمنون فهم الذين أتعبوه، فلا يزال يوسوس لهم ويشككهم في رهم، وفي دينهم لعله يجد سبيلاً لإغوائهم، قال رسول الله ﷺ: "إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: آمنتُ بالله ورسوله" [صحيح الجامع: ١٦٥٦] وقال: "يوشكُ الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا {اللَّهُ أَلْصَمَدٌ ۖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۗ} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" ثم لِيَتَّقِلْ عن يساره ثلاثاً وليستعد من الشيطان" [صحيح الجامع: ٨١٨٢] وقد جاء جماعة إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: "وقد وجدتموه؟" قالوا: نعم، قال: "ذاك صريحُ الإيمان" [صحيح مسلم] وليس معنى هذا أن الوسوسة صريح الإيمان، لا - إن من لم يجد في صدره حرجاً منها ورَضِيَ بها فهو كالمنافق الذي يُبطنُ الكفرَ ويظهرُ الإيمانَ، وهو مستولٌ عنها،

فقد قال الله عز وجل: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} ﴿١٠﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ {الطاري: ٩-١٠} وقال: {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رُوحٌ فِي الْقُبُورِ} ﴿١١﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ {العاديات: ٩-١١} ولكن معناه أن استعظام هذه الوسوسة، وعدم قبولها، والتحرُّج منها، وعدم النطق بها، هو صريح الإيمان، لأن غير المؤمن يقولها علانية بغير خوف من الله كما ورد في السؤال. ونقول لهؤلاء: لو افترضنا - جِدلاً - أن أحداً خَلَقَ الله، فستقولون: من خلقه هو أيضاً؟ ثم آخر ثم آخر... إلى متى؟ إلى ما لا نهاية؟ فلا بد أن يدرك العاقل وجود خالق لم يخلقه أحد، أوَّلَ ليس قبله شيء، وهذا في عقيدتنا هو الله سبحانه وتعالى، الذي خلق كل شيء ولم يخلقه شيء {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} ﴿١٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {الإخلاص: ٣-٤}، والله أعلم.

س٦- لماذا يتكلم الله عن نفسه تارة بصيغة المفرد وتارة بصيغة الجمع؟ فهل هو واحد أم أكثر؟

ج٦- الله سبحانه وتعالى يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع للعظمة، أو لوجود وسائط كالملائكة، مثل جبريل عليه السلام {إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ} {الحجر: ٩} {لَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ} {البقرة: ٩٩} {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} {الحديد: ٢٥} ومثل ملك المطر والرياح والرعد والبرق... إلخ {وَنُزِّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَلْبَثْنَا بِيَوْمِ جَنَّتِ وَحَبَّ أَخْضَبِ} {ق: ٩} وغيرها في معناها كثير، فمثلاً - {وَاللَّهُ أَلَمَلُ الْأَعْلَى} - لو أن طبيباً أجرى عملية جراحية لمريض ثم قال: أنا الذي أجريتها، لكان صادقاً، وكذلك لو قال: نحن أجرينا العملية، لكان صادقاً، لأنه في المرة الأولى قصد نفسه، وفي الثانية قصد أن هناك فريقاً من الأطباء المساعدين أجروا معه العملية، أما الله سبحانه وتعالى فلا يحتاج معونة أحد، ولكنها وسائط من خلقه جل وعلا، وتعمل بإذنه. أمَّا في التوحيد خاصة فيتكلم ربنا سبحانه وتعالى عن نفسه بصيغة المفرد، لأن التوحيد لا بد أن يكون واضحاً وضوح الشمس، حتى لا يلتبس أمره على أحد، وذلك مثل قوله تعالى: {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} {طه: ١٤} {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} {محمد: ١٩} {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب} {الرعد: ٣٠} {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِمْ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} {الملك: ٢٩} {يُنزِّلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} {النحل: ٢} {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا

إِلَهُينِ أَنتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ} [النحل: ٥١]، والله أعلم.

س٧- يقول القرآن: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦] {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الأحزاب: ٤٣] فهل الله يصلي؟

ج٧- الصلاة في الأصل (الدعاء) وهي صلة بين العبد وربه، فتكون من العبد الضعيف الفقير لله رب العالمين عبوديةً ودلاً وانكساراً، أما من الله عز وجل فليست بالطبع ركوعاً وسجوداً كصلواتنا (حاشا لله سبحانه وتعالى) قال الله تعالى أمراً رسوله ﷺ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة: ١٠٣] فهل كان الرسول ﷺ يركع لهم ويسجد؟ أم كان يدعو لهم؟ فما بالكم بالله سبحانه وتعالى؟ إنها صلة من الغنى المُغنى القادر المقتدر الوهاب الرزاق، فهي ثناء من الله على عبده في الملأ الأعلى وهداية وفضل ورحمة وبركة... إلخ، ولنضرب مثلاً - {وَاللَّهُ أَلَمْتُلُ الْأَعْلَى} - لو وصل الفقير غنياً فماذا يريد منه؟ إنه يريد أن يأخذ منه مالاً أو هبةً أو عطاءً أو أى منفعة، ولكن لو وصل الغنى فقيراً فماذا يريد منه؟ إنه يريد أن يعطيه وأن يمنحه وأن يفيض عليه. والصلاة من الملائكة دعاء، فهم يدعون للرسول ﷺ {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦] ويدعون للمؤمنين كما أخبر الله عز وجل عنهم في قوله: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الأحزاب: ٤٣] ودعاؤهم للمؤمنين مثل ما ورد في سورتى (غافر) و(الشورى). وصلاتنا على الرسول ﷺ هي أيضاً دعاء، كما أمرنا أن نسأل له الوسيلة والفضيلة بعد سماع الأذان، وأن نصلي عليه حيثما ورد ذكره، والله أعلم.

س٨- أنتم تحرمون عبادة الأصنام ثم تعبدون الأحجار، ألا ترون أنكم تطوفون حول أحجار تسمونها الكعبة؟ وتقبلون حجراً تسمونه الحجر الأسود؟ إذن فأنتم وثنيون من طراز آخر.

ج٨- نحن لا نعبد الكعبة ولكننا نعبد رب الكعبة، فهل وجد هؤلاء الحاقدون أحداً من المسلمين يدعو الكعبة أن ترزقه أو تشفيه أو تهديه... إلخ؟ إن الكعبة لا تستمد قدسيتها من الأحجار، ولكن من الله {وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: ٢٩] ولو أننا نعبد الأحجار

لعبدنا أى حجر، ولكننا نعظم حجراً بأمر الله ونهين حجراً آخر بأمر الله، بدليل أننا نرمى الأحجار فى جمرة العقبة الكبرى والوسطى والصغرى، فالتعظيم لصاحب الأمر والنهى سبحانه وتعالى. ولقد أمرنا بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله جل وعلا، والكعبة أعظمها.. لماذا؟ لأن المساجد وضعت بأمر الله فى المكان الذى اخترناه، أما الكعبة فوضعت بأمر الله فى المكان الذى اختاره الله، فأيهما يكون أكثر تعظيماً؟. إن من رحمة الله بنا أن جعلها قبلتنا، ولولا ذلك لاختلفنا فيما بيننا، واختلفت عبادتنا، فكلّ يتجه حسب هواه. وأجيبونى يا من تدعون عبادتنا لها.. حين نقف فى المحراب ونركع ونسجد.. هل نعبده؟ إننا نقف فيه متوجهين للكعبة، سواء كان المحراب من حجر أو رخام أو خشب أو غيره، ونحن نعظم الحجر الأسود بتعظيم الله له، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قبله: والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبّلتك. وسبحان الله.. إن الحجر الأسود آية من آيات الله جل وعلا، لأنه الحجر الوحيد الذى لا تنمو عليه أى ميكروبات أو فطريات، ولولا ذلك (بفضل الله) لانتقلت الأمراض المعدية بين ملايين البشر الذين يقبلونه، كيف لا.. وهو من أحجار الجنة؟! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا ما مسّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسّ ذو عاهة إلا شفى، وما على الأرض شىء من الجنة غيره" [صحيح الجامع: ٥٣٣٤] وقال: "إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب" [صحيح الجامع: ١٦٣٣] وهناك آية أخرى من آيات الله عز وجل، وهى أن اتجاه طوافنا حول الكعبة هو نفس اتجاه دوران الأرض والكواكب الأخرى حول الشمس، وهو نفس اتجاه دوران المجرات حول مراكزها، وهو نفس اتجاه دوران الإلكترونات حول النواة فى الذرة، والذى يوصّف بأنه عكس اتجاه عقرب الساعة.

ولقد جاء فى الكتاب المقدس (سفر الخروج، الإصحاح ٢٥) و(سفر يشوع، الإصحاح ٣) و(سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٤) وغيرها من الأسفار، أن سيدنا موسى والأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - كانوا يعظمون (تابوت العهد) ويخرونه، ويستنصرون به، ويدورون به فى المدينة، مثل ما جاء فى النص التالى، وغيره من النصوص: فدار تابوت الرب حول المدينة مرة واحدة. ثم دخلوا المحلة وباتوا فى المحلة فبكر يشوع فى الغد

وحمل الكهنة تابوت الرب والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب سائرون سيراً وضاربون بالأبواق والمتجردون سائرون أمامهم والساقة سائرة وراء تابوت الرب. كانوا يسيرون ويضربون بالأبواق. وداروا بالمدينة في اليوم الثاني مرة واحدة ثم رجعوا الى المحلة. هكذا فعلوا ستة أيام. وكان في اليوم السابع أهم بكَروا عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات. في ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات. وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها مُحَرَّمًا للرب. (يشوع ٦: ١١-١٧)

وجاء فيه أن يشوع النبي عَظَمَ حجراً لأنه سمع كلام الله، وسيشهد على قومه: وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله. وأخذ حجراً كبيراً ونَصَبَهُ هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب. ثم قال يشوع لجميع الشعب. إن هذا الحجر يكون شاهداً علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذي كَلَّمنا به فيكون شاهداً عليكم لتلا تجحدوا إلهكم. (يشوع ٢٤: ٢٦-٢٧) واليهود - للآن - يعظّمون حائط المبكى (وهو المسمى عندنا بمحائط البراق) ويرتلون عنده التوراة.

والنصارى يقبلون الصور والتماثيل التي يزعمون أنها للمسيح والعدراء، ومنهم من يسجد لهذه الصور والتماثيل لكي ينالوا منها البركة (على حدّ زعمهم) ويقولون إن تكريمها تكريم لله. ويعظّمون الصليب، ويضعونه على جباههم، ويقبلونه، ويعتبرونه رمزاً لصَلْبَ المسيح (بزعمهم) مع أن المنطق يقتضى كراهيتهم للصليب أشد الكراهة. فمثلاً: لو أن ابن أحد منهم ذُبِحَ بسكين، هل كان أبوه يعظّم السكين ويحبها، ويقول إنها رمز لذبح ابني؟ أم إنه يكرهها، بل وتكون أبغض شيء، إليه؟ فلو أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - صُلِبَ (كما يدعون) لكان حَرِيّاً بهم أن يكون الصليب أبغض شيء إليهم، بدلاً من تعظيمه وإجلاله.

كما أنهم يتبركون بفطيرة، يعملونها من الدقيق والزيت والماء، ثم يخبزونها، ويعملون لها طقوساً معينة، ثم يأكلونها، ويشرب معها قليلاً من الخمر، ويقولون: إن من أكل من هذه الفطيرة، وشرب من هذا الخمر، فكأنما أكل لحم المسيح، وشرب دمه، فتسري فيه بركته!!

وقد جاء في الكتاب المقدس - أيضاً - في (تكوين ٢٨: ١٠-٢٢) أن سيدنا يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان ذاهباً إلى (حاران) ليختبئ عند خاله (لابان) بعدما سرق من أخيه عيسو النبوة (بزعمهم) قصة سرقة النبوة وهروبه من أخيه وردت في الرد على الشبهة رقم (١٤٥) وفي الطريق وضع تحت رأسه حجراً ونام، فرأى رؤيا فهِمَّ منها أن الله في هذا المكان، فقام وأخذ الحجر وأقامه عموداً وصبَّ على رأسه زيتاً، وسمى هذا المكان (بيت إيل) أى بيت الله. وفي أسفار أخرى أنه سمي العمود الذي أقامه (المصفاة) والمكان نفسه (بيت إيل) وكانوا بعد ذلك يطوفون حول هذا الحجر: وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته. وكان يذهب من سنة إلى سنة ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة ويقضى لإسرائيل في جميع هذه المواقع. (صموئيل الأول ٧: ١٥-١٦)، والله أعلم.

س٩- إن الثبات في نواميس الكون لا يعنى القدرة الكاملة لله لأنها لا تتغير، فهي رتابة وميكانيكية ثابتة، أما كمال القدرة وطلاقتها فهي في الخروج عن هذه الميكانيكية، أما بقاء الثابت في ثباته والساكن على سكونه فقد يعطى الدليل على دقة القدرة وإبداع الخالق، ولكنه لا يعطى الدليل على القدرة على الخروج عن النظام الذى خلقه، وكان الصنعة قد حكمته.

ج٩- الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكنه سبحانه له الحكمة التامة في كل شيء، فقد وضع نواميس للكون لا تتحمل التغيير، وهذا من كمال قدرته، وإلا- لفسد الكون ولوقع الضرر على جميع المخلوقات، ومنها الإنسان {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون: ٧١] فلو بعدت الشمس - مثلاً - عن الأرض لتحولت إلى كرة من الحديد ولدمرت جميع مظاهر الحياة، ولو اقتربت منها لأحرقت كل ما عليها، وغيرها الكثير من النواميس التي لو تغيرت لأحدثت خللاً رهيباً في الكون، فهي ثابتة منذ ملايين السنين، لم يصبها عطب، ولم تحتاج إلى راحة أو صيانة، فالشمس - مثلاً - مخلوقة منذ ملايين السنين ولم تتعطل يوماً لحين إصلاحها، أو تركيب قطع غيار لها، أو غير ذلك، في حين أن أدق ما كينة من صنع البشر لا بد أن تتعطل، وتتآكل أجزاؤها، وتحتاج لقطع غيار وتشحيم وصيانة، أما الكون فلم

يتعطل نظامه منذ خلقه الله سبحانه وتعالى، وما يطلبه الملحدون من خرق النواميس فهو عبث وتدمير للكون، وليس طلاقة قدرة، ولو حدث لقالوا: إن الكون تحكمه آلهة متعددة، وإن كل إله يغير ما يفعله الآخر {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢] إن النواميس التي خلقها الله جل وعلا لا تحكمه، أما البشر فتحكمهم قوانين صنعتهم، فلو ذهبت إلى خياط وأعطيته متراً من القماش وقلت له: اعمل لي بدلة وصديري وبالطوب.. لقال لك: لا أستطيع لأن الصنعة تحكمني، أو قلت لنجار: اعمل لي غرفة نوم وسفرة وصالوناً وكذا وكذا من لوح خشبي.. لقال لك: لا أستطيع لأن قانون الصنعة يحكمني، أما الله سبحانه وتعالى فلا تحكمه صنعته، فرغم ما جعله من هذا التناسق البديع والتوازن والثبات في الكون، فقد خرق بعض نواميسه في بعض الأحيان ولكن بحكمة، وبغير أن يفسد نظام الكون، ومن أمثلة ذلك ما حدث من سلب خاصية الإحراق من النار وإنجاء سيدنا إبراهيم منها، وإخراج الناقة العشاء من الصخرة لسيدنا صالح، وخلق سيدنا آدم بغير أب ولا أم، وخلق السيدة حواء بغير أم، وخلق سيدنا عيسى بغير أب، وتلين الحديد لسيدنا داود، وتسخير الرياح وتسييل النحاس لسيدنا سليمان، وقلب العصا إلى ثعبان وخلق البحر لسيدنا موسى، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لسيدنا عيسى، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفي المشاهد من واقعنا أمثلة أخرى على خرق النواميس، ففي بني آدم - مثلاً - معروف أن الذرية تأتي من اتصال الذكر بالأنثى، ولكن أحياناً يكون الزوج سليماً والزوجة سليمة ليس بهما أى معوقات عن الإنجاب، وكل فحوصاتهما الطبية سليمة، ولكن يقدر الله جل وعلا ألا يُنجبا، حتى أهما لو افترقا وتزوج كل واحد منهما لأنجب {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَنَسَاءً ۚ يُعْطِي مَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ۗ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۗ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا ۗ إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ} [الشورى: ٤٩-٥٠] وفي هذا حجة على الملاحدة الذين يقولون: إن كل شيء يسير بقانون لا يخرج عنه، فلو كان قولهم صحيحاً لَمَا وُجِدَ عقم على الإطلاق إلا بما يعترفون به من حالات مرضية، ولكن هذه الآية تتحدى البشرية باستمرار وجود حالات عقم مهما بلغت من تطور علمي في اكتشاف وعلاج الأمراض، والمواليد التي لم تولد بنفس الصفات الخلقية لعامة البشر، والتي

يقولون عنها إنما (عيب خلقي) هي أيضاً من خرق النواميس، ولكن هذه التسمية خطأ، فلا يصح من مسلم أن يقولها على أية حال، حتى لو قالها أكبر أساتذة الطب، لأنه في هذه الحالة ينسب العيب للصانع وليس للمصنوع، فلو أتيتني مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - بكرسى له ثلاثة أرجل كلما جلست عليه وقعت، أيكون العيب في الكرسي أم الذي صنعه؟ ولكن الله سبحانه ليس في خلقه عيب {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} [السجدة:٧] {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} [النمل:٨٨] {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القم:٤٩] [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] [التين:٤] ولكنه تغيير رباني لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، سواء علمناها نحن أم لم نعلمها، فالأفضل في هذه الأحوال أن نقول: مرض خلقي، أو كلمة تشابهها. ويقال إن سيدنا يونس - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بعدما أمر الله الحوت أن يلقه على الشاطئ.. وجد أطفالاً يلعبون، ووجد طفلاً جالساً حزيناً لا يلعب معهم، وعندما حقق فيه النظر وجده أعمى، فدعا الله أن يرده إليه بصره، فاستجاب لدعوته وردّ بصره، ولكن ماذا حدث؟ كان أول شيء فعله هذا الطفل بعد أن ارتد إليه بصره أن رمى سيدنا يونس بالحجارة، وحرص الأطفال الآخريين أن يفعلوا مثله، فدعا الله أن يعميه كما كان لأنه مفسد في الأرض، هذه القصة لم نتأكد من صحتها، ولكن ذكرناها للاستئناس، وأنه لا بد من وجود حكمة في تغيير خلقه بعض البشر عن الآخريين، ونحن في عالم للكفر فيه قدم وساق، فلو كانت كل الأطفال تولد بصفات خلقية ثابتة لتداول الجاحدون وقالوا: إن الذي يخلق ليس بوسعه أن يغير خلقته. وهناك الكثير والكثير من خرق النواميس حتى لا نظن أننا قد ملكنا الدنيا بالأسباب، وأن كل شيء ثابت ولن يتغير، فيصينا الأمان من مكر الله وعدم التوكل عليه، بل التوكل على الأسباب وحدها.

ونذكر من أمثلة خرق النواميس: بعض المناطق المعروفة بمطول الأمطار الغزيرة وبالشلالات التي تمد البلدان الأخرى بالمياه - مثل بعض منابع النيل في أفريقيا - تأتي عليها فترة لا تمطر قطرة واحدة، حتى يكاد الحرث والنسل يهلك من شدة العطش، ولا يستطيع الإنسان بكل ما أوتى من علم أن يتنبأ بوقت الجفاف، أو يأخذ حذره فيعد لذلك عدته. فلو كانت الأسباب وحدها هي المسيرة لهذا الكون لَمَا انقطعت هذه الأمطار عن تلك المناطق. وعلى العكس من ذلك قد تهطل الأمطار على مناطق صحراوية جافة لم

تعهد المطر قط، أو يأتي المطر في الحر (كما يحدث عندنا في بعض الأحيان) ولذلك قال رسول الله ﷺ إثر سماء كانت من الليل (أى في صبيحة ليلة ممطرة): "هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قال الله: أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ" [متفق عليه] وأحيانا تأتي ليالٍ باردة في الصيف وليالٍ حارة في الشتاء.

وفي عالم الحيوان تجد صبيياً لا يتجاوز عمره بضعة أعوام يسحب جملاً أو ثوراً كبيراً لو وقع على سيارة لحطمها. وفي الهند تجد الطفلة الصغيرة تركب فوق ظهر الفيل الضخم دون أن تخاف منه، أو تمسك بزمامه وتضربه وتجعله يعمل في الحقل حيث شاءت، من الذى سخر لنا هذه الكائنات العملاقة التى لو ثارت لَمَا وقف في طريقها أحد؟ إنه القادر على كل شىء الذى لا يعجزه شىء. ولا يظن أحد أن هذا ذكاء من ابن آدم أو مهارة، فإنه يعجز عن السيطرة على ما هو أضعف منها بكثير، فلا يستطيع أن يسيطر على ثعبان أو فأر أو ذئب أو ثعلب.. إلخ، ويحار في السيطرة على ذبابة أو بعوضة أو برغوث أو بقعة تقلقه.

وفي عالم النبات.. تجد الفلاح يبذر الحبوب ويسقيها بالماء ويفعل كل ما كان يفعله من قبل، ثم تأتي آفة أو صاعقة على هذا الزرع فتهلكه دون أن يعرف لها أى سبب {وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف:٤٢] {فَطَافَ عَلَيْهِ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ} [الأعراف:٥٨] فى حين أن كَالصَّهْرِيِّمِ} [القلم: ١٩-٢٠] أو يخرج النبات ولكنه أردأ بكثير مما كان متوقفاً {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَأْتِيهِ الرِّيحُ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَجَسًا} [الأعراف:٥٨] فى حين أن هناك مناطق أخرى جذباء يخرج النبات فيها بإذن ربه لا حرث، مثل بعض الجبال الصخرية والمناطق الصحراوية، حتى إن البعض يسمي هذا النبات (زرع شيطاني) ولكن هذه التسمية خطأ.. لأن كل شىء بأمر الله جل وعلا، فالأرض والمطر والرياح والزرع وكل شىء لا يفعل بذاته ولكن بقدره الله، حتى لا نتوكل على الأسباب وننسى الخالق سبحانه وتعالى.

وفي الجهاد نرى ما يطراً على الكرة الأرضية من زلازل وبراكين وانزلاقات أرضية وأعاصير وغير ذلك، والله سبحانه وتعالى لا يخلق هذه الأشياء عبثاً ولكنها بذنوب العباد، ففي الزلزال الذي حدث في مصر عام ٩٢ ارتعدت قلوب الكثير من العباد وعادوا إلى ربهم، وفي اليوم الذي غامت فيه السماء تهاوراً حتى أظلمت الدنيا تماماً وكأنه الليل، أصاب الكثير من سكان القاهرة الرعب والفرع، وظنوا أن القيامة قد قامت، أليس هذا خرقاً للنواميس؟ وسبحان الله.. تجد الإنسان الذي بلغ من العلم ما بلغ لا يستطيع أن يتنبأ بوقوع الزلازل ولا يُقدّر شدتها بمقياس (ريختر) إلا بعد حدوثها، في حين أن الذي يشعر بقرب وقوعها بعض الحيوانات، وخاصة الفئران والكلاب والحمر، فتراها تهرب في اتجاه بعيد عن مصدرها، حتى إن الحيوانات المحبوسة في الأقفاص يصيها حالة من الهياج لأنها مقيدة لا تستطيع الفرار، وقد بدأوا في عمل أبحاث باستخدام الفئران في المناطق التي تكثر فيها الزلازل كمحاولة للتنبؤ بوقوعها، وفي هذه الزلازل تحدث الأعاجيب، ففي حين أن المرء لا يقاوم العطش أكثر من ثلاثة أيام وبعدها يموت، فقد وجدوا في الزلزال الذي حدث في إيران امرأة عجوزاً تحت الأنقاض بعد عشرة أيام وهي ما زالت على قيد الحياة بدون ماء ولا غذاء.

وفي عالم البحار تكون الرياح أحياناً هادئة والأمواج غير عالية، وفجأة ينقلب كل شيء رأساً على عقب (هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ يَمِّمْ يَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ أُجْمِتْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ) [يونس: ٢٢]

ومن طلاقة قدرة الله جل وعلا أن يقصم الجبابرة كما فعل بفرعون وأمثاله، وأن ينصر المستضعفين كما فعل بيني إسرائيل وأمثالهم، وما زالت طلاقة قدرة الله عز وجل ماثلة أمامنا حيناً بعد حين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والله أعلم.

س١٠ - إن الشرك عندكم أشد من القتل والسرقة والزنى والسحر والإبادة الجماعية والتطهير العرقي وكل الكبائر، وأن المشرك لا يغفر الله له أبداً، فلماذا كل هذا الغلو في تحريم الشرك؟

ج ١٠- إن كل ما ذُكرَ في السؤال من المعاصي أو لم يُذكرَ فهو ظلم، والظلم أسوأ ما في الوجود، وهو نوعان: إمّا أن يكون ظلماً للنفس بتضييع حقها وتفويت حظها وتعريضها للعقاب، وإمّا ظلماً متعدياً للغير، إمّا بالاعتداء عليه بغير حق، أو تضييع حقه، أو أخذ حقه وإعطائه لغيره. فالذى يشرب الخمر - مثلاً - أو البانجو أو الدخان فقد ظلم نفسه لأنه عرّضها في الدنيا للفساد وفي الآخرة للعذاب، وكان بوسعه أن يطيع الله سبحانه وتعالى فتأخذ نفسه حقها من نعيم الآخرة زيادة إلى سلامتها في العاجلة، حتى لو أن معصيته ليس فيها هلاك لنفسه في الدنيا - بل قد يكون فيها متعة - فهذه المتعة ستزول عنه قريباً ويبقى وبالها عليه في الآخرة، كما تقول الحكمة: رُبُّ لذة ساعة أوزنت ذلاً طول العمر، وكما يُقال: ذهبت لذتها وبقيت حسرتها. أما الظلم المتعدى للغير فهو كالقتل والسرقة والسحر وغير ذلك. والظالم لغيره قد جمع بين ظلمين، لأنه قد ظلم نفسه أيضاً بمعصيته لله جل وعلا. وأعظم الظلم هو الشرك بالله سبحانه وتعالى {وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣] {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢] أى لم يلبسوا إيمانهم بشرك، فكلما زاد الظلم زادت عقوبته، ولذلك كانت عقوبة الشرك أشد عقوبة. ولكن لماذا كان الشرك ظلماً؟ لأنك صرفت حق الله عليك في العبادة إلى غيره، ولأنك أشركت مع الله ما لا ينفعك ولا يضرّك، وجعلت له ندأً من خلقه، إمّا صنماً أو حجراً أو شجراً أو شمساً أو قمراً... إلخ. وليس معنى هذا أن المشرك ظلم الله - حاشا وكلا - فجميع الخلق والكون كله فقير إليه، وهو سبحانه الغني عما سواه {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [البقرة: ٥٧] قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" [صحيح الجامع: ٤٣١٣] إن الشرك لا يطيقه أحد من البشر، فكيف بالله جل وعلا؟ حتى إن الإنسان يقول إذا تدخل في شأنه أحد: (هو انت شريكى) ولا يلجأ أحد إلى الشركة إلا لضعفه أو فقره، والذين يشتركون في عمل المشاريع والشركات والمباني والمصانع وغيرها، فهذا إمّا لفقرهم وإمّا لنقص خيرتهم، فيحتاجون لمساهمة غيرهم بالمال أو بالخبرة. ولو أن الذى يقوم بعمل مشروع ومعه المال الكافي والوقت والجهد والخبرة لَمَّا أشرك معه أحداً. فكل

الإشراك علامة ضعف، لأنه يحدد تصرفاتك وقدراتك. والشرك لا يحبه أى إنسان، فلو قلت مثلاً لأحد: ستسكن في منزل كبير على النيل وإيجاره قليل، ولكن سيشارك معك أحد في غرفة واحدة أو في دورة المياه، لقال لك (لا- ده يغور الشرك ولو في اللبن) أو لو أن أحداً عرض عليك مبلغاً كبيراً من المال وأنت في حاجة إليه لفقر ألم بك، ولكنه اشترط عليك أن يشاركك في تربية أولادك.. أكنت ترضى؟ فالإنسان يرفض الشرك بجميع أنواعه إلا مضطراً، ويجب أن يستقل بماله وقراره وشأنه كله، أفينسبه الله جل وعلا؟ في حين أنه لا يستغنى أحد بالملكية والقوة والقدرة عن الشريك استغناءً مطلقاً إلا الله عز وجل. وبالشرك تكون قد وضعت الشيء في غير محله، وبذلك تكون قد فسدت وأفسدت، فهل يصلح مثلاً أن يذهب المريض للنجار؟ أو يذهب من يريد بناء منزل للجزائر؟ فحين تعطى الأمر لغير مستحقه فإن ذلك يعود بالوبال على الأمة والدنيا كلها، قال رسول الله ﷺ: "إِذَا وَسَدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" [صحيح الجامع: ٨٢٦] وذلك كَتَوَلِيَةِ الْمَرْأَةِ قَاضِيَةً أَوْ حَاكِمَةً لِدَوْلَةٍ أَوْ رِئَاسَةً وَزَرَءَاءَ، أَوْ تَأْمِينَ الْخَائِنِ عَلَى الْخِزَائِنِ، أَوْ تَوَلِيَةِ الْجَاهِلِ عَلَى الْعَالَمِ، وَالسَّفِيهِ عَلَى الْعَاقِلِ.. إلخ. ثم هناك شيء آخر فيمن يشرك بالله أحداً سواه.. من الذين يعبدون الشمس أو القمر أو النجوم أو النار أو البقر أو غير ذلك من الآلهة المزعومة، هل هذه الآلهة تعي وتفهم؟ هل عندها منهج؟ هل تأمرهم وتنهاهم؟ هل ترضى عمَّن عبدها فتثيبه، وتغضب على من كفر بها فتعاقبه؟ ربما يقول مجادل: إن بعضهم يعي ويعقل، وينهى ويأمر ويثيب ويعاقب، مثل فرعون والنمرود، فنقول له كما قال سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {إِن آتَىٰ كُفْرًا كَرِهَ اللَّهُ مُبْدَاهُ وَفَتَرَ ذَنبَهُ وَأَلْقَاهُ فِي النَّارِ خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٨] إنك عندما تستمد منهجك من غير الله - كمن يستمدون منهجهم من الشرق والغرب المنحرف، ومن عقولهم القاصرة - فإنك تفسد في الأرض وتهلك الحرث والنسل، كما وأن الإبادة الجماعية لا يقوم بها إلا الكافرون والمشركون {لَا يَرْجُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةَ} [التوبة: ١٠] ومن يقرأ كتاب الزحف الأحمر للشيخ الغزالي - رحمه الله - يعلم ما فعله الملاحدة الروس في المسلمين، فقد قتلوا في يوم واحد تسعين ألف نسمة. ولمقارنة منهجهم الظالم بمنهج الإسلام العادل، نجد الله عز وجل يقول: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ

مَأْمَنَةٌ} [التوبة:٦] وكذلك فإن اختلاف المعبودين يحدث اختلافاً بين العابدين، فلا بد أن يكون هناك سلطان واحد وقضاء واحد وأوامر واحدة ونواهٍ واحدة حتى يستقيم أمر العباد. وقد ذكرنا عقوبة الشرك في الكتاب المقدس في الرد على الشبهة رقم (٨٠) ونضيف هاهنا:

وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمى غضب الرب على إسرائيل. فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد هو الرب عن إسرائيل. فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور (عدد٥: ٢٥-٣) والله أعلم.

س ١١- يقول القرآن: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء:٩٢] {وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب:٢٥] {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء:٩٩] وآيات أخرى كثيرة تصف الله بأنه {كان} فهل كان بهذه الصفات ثم ذهبت عنه؟

ج ١١- لنسأل أولاً: ما هو الزمن؟ الزمن هو تعاقب الليل والنهار والشهور والسنين، وهو ناتج عن دوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس، ودوران القمر حول الأرض، فدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس ينتج عنه تعاقب الليل والنهار، فينتج عن ذلك تعاقب الأيام، لأن الأرض تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة، فيكون نصفها المواجه للشمس نهاراً، والآخر ليلاً، ثم ينعكس الأمر. أما دوران القمر حول الأرض فينتج عنه تعاقب الشهور والسنين. فأين كانت هذه الأشياء قبل خلق السموات والأرض؟ فقبل وجودها كان لا يوجد زمان ولا مكان، والله سبحانه وتعالى كان حيث لا زمان ولا مكان، وهو الذي خلق الزمان والمكان. فالأزمنة عند الله سبحانه وتعالى كلها كأنها ماضية (وكما قلنا ليس معنى أنها ماضية أن عنده تغير أزمنة) فالله سبحانه وتعالى لا يتغير، ولا تتغير صفاته، فكلمة {كان} تعني الدوام، أى أنها صفات ملازمة له منذ الأزل، وستبقى كائنة إلى الأبد. أما نحن فعندنا ماضٍ وحاضر ومستقبل، فنحن وجميع الكائنات نتغير بتغير الأزمنة، أما الله سبحانه وتعالى فهو الذى يُغَيَّرُ ولا يتغير، والله أعلم.

س ١٢- طالما أن الله يعلم أهل الجنة وأهل النار فلم لم يجعلهم فيها دون أن يخلقهم في الدنيا ويوفر عليهم كل هذا العناء من أمراض ومصائب وحروب وكوارث وغير ذلك؟

ج ١٢- لقد أراد الله بخلق آدم وذريته الخلافة في الأرض، وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠] {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] وأرسل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - لعباده حتى لا يكون لأحد على الله حجة في معصية {لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ أَرْسَالِي} [النساء: ١٦٥] فلو أنه سبحانه وتعالى جعل أهل النار فيها مباشرة دون أن يخلقهم في الدنيا لقالوا: لقد ظلمنا ولم نُخْتَر، ولو أننا اخْتَبِرنا لَكُنَّا مؤمنين، من قال إننا كفرنا أو عملنا كذا وكذا؟ وكذلك أهل الجنة لو رأوا من فوقهم من أهل العُرْفِ لقالوا: لو أننا اخْتَبِرنا لفعلنا مثلهم أو أكثر منهم، ولتهجدنا بالليل ولتصدقنا ولجاهدنا ولعملنا كذا وكذا أكثر مما كُتِبَ لنا، ولَكُنَّا معهم في منازلهم. إن البشر من طبيعتهم الجحود والتكران إلا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ، وقد ورد في القرآن الكريم محاولة الكافرين الكذب على ربهم وإنكار أعمالهم، والحال أنهم مخلوقون، فكيف بهم لو لم يُخْلَقُوا؟، والله أعلم.

س ١٣- القرآن يقرر أن المشركين والكافرين خالدون في جهنم، وأنتم تقولون إن الله حَكَمَ عدل، فكيف يعذبهم كل هذا العذاب مع أنهم لم يشركوا أو يكفروا إلا لعدة سنوات؟

ج ١٣- لو أردت أن تعلم أن أحداً أصيب بمرض السكر هل تحلل كل دمه أم تكفى عينة صغيرة؟ فهؤلاء الكفرة والمشركون - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - يعلم الله أنهم لو عاشوا مئات السنين لعاشوا على الكفر، حتى إنهم لو دخلوا النار ثم عادوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نَجَّوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٨] كما نرى المجرمين يقضون سنوات طويلة في السجن والإهانة والتعذيب، وفور خروجهم يعودون لما كانوا عليه من الإحرام. وكان المفروض أن تسأل أيضاً عن أهل الجنة لماذا يمتعون إلى الأبد وقد عاشوا سنوات قليلة، ولكن - للأسف - أن كثيراً من الناس لا يذكرون إلا ما يؤذيهم، فتجدهم يتساءلون لماذا يفعل الله بي كذا وكذا.. من الأشياء التي لا تعجبهم، أما نعمه عليهم فيسكتون عنها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله أعلم.

س ١٤- يقول القرآن: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧] {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ

اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢] لماذا تصرون على أن الله لا يكذب؟

ج ١٤- أظنونا ننسب الصفات الذميمة لربنا؟ فلا أقلتنا أرضه ولا أظلتنا سماؤه لو نسبنا له ما ينافي تزيهه وكماله. إن الكذب نقيصة وخصلة ذميمة، إذا وصف بها إنسان كانت في حقه عيباً، أيوصف بها الله جل وعلا؟ حاشا لله سبحانه وتعالى {سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُقُوْلُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا} [الإسراء: ٤٣] ونريد أن نسأل: لِمَ يكذب الإنسان؟ يكذب للدفع ضرر أو جلب منفعة، فإذا عمل شيئاً ضاراً أنكر وقال لم أعمله.. مخافة العقاب، أو يكذب لجلب منفعة.. كان يوجد شيء لا يُعرَف صاحبه فيدعى أنه له، أما الله عز وجل فهو الغني عن العالمين، فلا يخاف من أحد ولا يرجو منفعة من أحد، بل هو القاهر فوق عباده والكل فقير محتاج إليه، قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: "إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني" [صحيح مسلم]

وقد جاء في الكتاب المقدس وصف لله تبارك وتعالى بصفات لا يرضاها المرء لنفسه فضلاً عن خالقه جل وعلا، وقد ذكرنا بعض هذه الصفات في الرد على الشبهة رقم (١٩) ونذكر هاهنا البعض الآخر:

وكانت الحيَّة أحمِل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحيَّة من ثمر شجر الجنة تأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لتلا تموتا. فقالت الحيَّة للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رَجُلَهَا أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعِلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر (تكوين: ٣: ١-٧) في هذا النص يزعمون أن الله سبحانه وتعالى يكذب والحيَّة أصدق منه، لأن آدم وحواء أكلا من الشجرة فانفتحت أعينهما ولم يموتا.

لأن جهالة الله أحكم من الناس.. وضعف الله أقوى من الناس (الرسالة الأولى إلى

كورنثوس ١: ٢٥)

افهموا هذا يا أيها الناسون الله لتلا أفترسكم ولا منقلد. (مزمو. ٥: ٢٢) (يزعمون

أن قائل هذا هو الله جل وعلا)

يزعمون أن سيدنا أيوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وصف الله سبحانه وتعالى بقوله: هُوَذَا يَهْدِمُ فَلَإِيْنِي. يَغْلِقُ عَلَيَّ إِنْسَانَ فَلَا يَفْتَحُ. يَمْنَعُ الْمِيَاهَ فَتَيْبِسُ. يُطَلِّقُهَا فَتَقْلِبُ الْأَرْضَ. عِنْدَهُ الْعِزُّ وَالْفَهْمُ. لَهُ الْمُضِلُّ وَالْمُضَلُّ. يَذْهَبُ بِالْمَشِيرِينَ أَسْرَى وَيَحْمَقُ الْقِضَاةَ. يُحِلُّ مَنَاطِقَ الْمُلُوكِ وَيَشُدُّ أَحْقَاءَهُمْ بَوثَاقٍ. يَذْهَبُ بِالْكَهْنَةِ أَسْرَى وَيَقْلِبُ الْأَقْوِيَاءَ. يَقْطَعُ كَلَامَ الْأَمْنَاءِ وَيَتَرَعُّ ذَوْقَ الشُّيُوخِ. يُلْقَى هَوَانًا عَلَى الشَّرَفَاءِ وَيُرْخَى مَنْطِقَةَ الْأَشْدَاءِ. يَكْشِفُ الْعِمَاقَ مِنَ الظَّلَامِ وَيُخْرِجُ ظِلَّ الْمَوْتِ إِلَى النُّورِ. يُكْثِرُ الْأُمَمَ ثُمَّ يَبِيدُهَا. يُوسِّعُ لِلْأُمَمِ ثُمَّ يَجْلِيهَا. يَتَرَعُّ عُقُولَ رُؤَسَاءِ شَعْبِ الْأَرْضِ وَيُضِلُّهُمْ فِي تِيهِ بِلَا طَرِيقٍ. يَتَلَمَّسُونَ فِي الظَّلَامِ وَلَيْسَ نُورٌ وَيُرْتَحَهُمْ مِثْلَ السُّكْرَانِ (أيوب: ١٢: ١٤-٢٥) ويقوله: دَفَعَنِي اللَّهُ إِلَى الظَّلَامِ وَفِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ طَرْحَنِي. كُنْتُ مَسْتَرِيحًا فَرَزَعَزَعَنِي وَأَمْسَكَ بِقَفَايَ فَحَطَمَنِي وَنَصَبَنِي لَهُ غَرَضًا. أَحَاطَتْ بِي رَمَاتُهُ. شَقَّ كَلْبِي قِيًّا وَلَمْ يَشْفُقْ. سَفَكَ مَرَارَتِي عَلَى الْأَرْضِ. يَقْتَحِمَنِي اقْتِحَامًا عَلَى اقْتِحَامٍ. يَعْدُو عَلَيَّ كَجَبَّارٍ. (أيوب: ١٦: ١١-١٤) ويقوله: فَاعْلَمُوا إِذَا أَنَّهُ اللَّهُ قَدْ عَوَّجَنِي وَلَفَّ عَلَيَّ أَحْبُولَتَهُ. (أيوب: ١٩: ٦)، والله أعلم.

س ١٥- إن القرآن يأمرنا أن نؤمن بالمسيح قولاً واحداً جازماً {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} [النساء: ١٥٩] أما نبيكم فهو شك في أمر نفسه، بدليل قوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سبا: ٢٤] أفنتبع من هو شك في أمره أم الذي ليس فيه شك؟

ج ١٥- قال العلماء: إن معنى الآية الأولى له احتمالان، إمّا أن كل نصراني يعلم عند موته بأن عيسى عبد الله ورسوله، فيتبين له أنه كان على الباطل في عبادته إياه، لأن الحقائق تتكشف عند الموت، ويعلم الإنسان ما هو صائر إليه من جنة أو نار، وإمّا أن يكون الضمير عائداً على سيدنا عيسى نفسه - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وذلك بعدما يتزل في آخر الزمان ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، فيعلم أهل الكتاب في زمانه أنه عبد الله ورسوله، وليس إلهاً كما يزعمون. أما قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} فهي أدب في الحوار وليس شكاً، كما أمرنا تعالى في قوله: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}

[العنكبوت:٤٦] كما تختلف أنت وصاحبك في أمر ما - (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) - فتقول له: لا يمكن أن نكون نحن الاثنان على حق، فلا بد أن أحدهما على الحق والآخر على الباطل، فهل أنت شاكٌ في نفسك أم أنك تحاوره بالأدب ليتفكر ويقارن بين الأمرين ليختار أصحهما؟ وهل هذا أفضل في الإتيان بالنتيجة المرجوة أم فرض رأيك عليه؟ ومن زيادة الأدب في الحوار ما جاء في الآية التي تليها، وهي قوله تعالى: {قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْقَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} فهل ما كان عليه الرسول ﷺ من الدعوة إلى التوحيد الخالص ومكارم الأخلاق إجراماً؟ وهل المحرم يقول عن نفسه إنه مجرم؟ وصدق رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" [مسند أحمد، صحيح الجامع: ٢٣٤٩]، والله أعلم.

س١٦- إن القرآن يقرُّ بأن المسيح كان يحيى الموتى، ولم يُثبت ذلك لأى نبي ولا لنبيكم، ولا يقدر على ذلك إلا الله بنص قرآنكم {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} [يس:٧٩] أى أن الذى يحيى هو الذى خلق أول مرة، فطالما أن المسيح كان يحيى الموتى.. إذن يكون هو الذى خلق، وتكون الحجة قامت عليكم بربوبيته.

ج١٦- إن القرآن لم يثبت إحياء الموتى للمسيح إلا وقد قرنه بإذن الله {وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} [آل عمران:٤٩] {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} [المائدة:١١٠] ولم يكن دأب المسيح أن يحيى الموتى بكثرة كما تظنون، إن الذين أحياهم لم يتجاوزوا ثلاث حالات على الأكثر، وقد ماتوا بعدما أحياهم مباشرة، ولم يستأنفوا حياتهم كسائر الأحياء، وقد وهبه الله سبحانه وتعالى هذه المعجزة لإثبات نبوته، كما كان المرسلون - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يؤيدون بالمعجزات كدليل على صدقهم ليؤمن بهم أقوامهم. وقد كان الطب هو العلم السائد في زمن المسيح، فأتاهم الله بما يعجزهم في مجال تخصصهم. ولم يكن إحياء الموتى قاصراً على المسيح وحده، فقد أثبت الكتاب المقدس هذه المعجزة لإيليا واليشع وحزقيال، ولم يزعم أى واحد منهم أنه إله، وإليكم بعض ما ورد بهذا الشأن:

وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة. فقالت لإيليا مالى ولك يا رجل. هل جئت إلى لتذكير إنى وإماتة ابنى. فقال لها

أعطيني ابنك. وأخذه من حضنها وصعد به أعلى العلية التي كان مقيماً بها وأضجعه على سريريه وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهي أيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنتها. فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه. وقال إيليا انظري. ابنك حيّ. فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق. (الملوك الأول ١٧: ١٧-٢٤)

ودخل الإشع البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريريه. فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسد الولد. ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعض الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه. (الملوك الثاني ٤: ٣٢-٣٥)

ليس هذا فحسب، بل إن الكتاب المقدس أثبت إحياء الموتى لعظام الإشع بعد موته، فقال:

ومات الإشع فدفنوه. وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة. وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر الإشع فلما نزل الرجل ومس عظام الإشع عاش وقام على رجليه. (الملوك الثاني ١٣: ٢٠-٢١)

وأثبت الكتاب المقدس إحياء جيش بكامله لحزقيال، فقال:

كانت عليّ يد الرب فأخرجني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهي ملائة عظاماً. وأمرني عليها من حولها وإذا هي كثيرة جداً على وجه البقعة وإذا هي يابسة جداً. فقال لي يا ابن آدم أتحياء هذه العظام. فقلت يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقُل لها. أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام. ها أنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون. وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلدًا وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أني أنا الرب. فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعث فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه.

ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق ولبس فيها الروح. فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقُل للروح هكذا قال السيد الرب هلمَّ يا روح من الرياح الأربع وهُبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأتُ كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً. (حزقيال ٣٧: ١-١٠)

وقد قال العلماء: إن معجزة انقلاب العصا إلى ثعبان لسيدنا موسى أعظم من معجزة إحياء الموتى، لأن إحياء الموتى لم يغير من طبيعة البشر، أما العصا فقد تغيرت حالتها من جماد إلى حيوان، وكذلك معجزة شق البحر لسيدنا موسى، وإخراج الناقة العشاء من الصخر لسيدنا صالح، وخلق سيدنا آدم بغير أب ولا أم، وخلق السيدة حواء بغير أم، فكل هذه المعجزات لا يقدر عليها إلا الله، ولم يدع أحدٌ ممن أوتوها أنه هو الله. ولو كان القرآن أثبت الربوبية للمسيح - كما تدعون - لَمَا حكم على من عبده بالكفر {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: ١٧]

ثم إن المسيح نفسه لم يقل إنه الله، بل إنه تراءى لمن ينسبون له الألوهية، وأقرَّ بأن ما يفعله من معجزات فهي من الله سبحانه وتعالى، وها هي بعض الأدلة التي ذكرها الكتاب المقدس:

ليس كل من يقول لي يارب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يا رب أليس باسمك تنبأ وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرِّح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم (متى: ٧: ٢١-٢٣)

وسأله رئيس قائلاً أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله. (لوقا: ١٨: ١٩)

ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله.

(يوحنا: ٨: ٤٠)

لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية. فما أتكلم به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم (يوحنا: ١٢: ٤٩-٥٠)

أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً. كما أسمع أدين ودينوننى عادلة لأنى لا أطلب
مشيقتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى (يوحنا: ٣٠)

أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصرى قد تبرهن من قبل
الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم. (أعمال الرسل ٢: ٢٢)
والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته.
(يوحنا: ٥: ٣٧)

ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذى أخضع له الكل كى
يكون الله الكل فى الكل (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١٥: ٢٨)
وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى
وحده. (متى ٢٤: ٣٦) كيف يكون الهاً وهو لا يعلم متى يوم القيامة؟
ولم يزعم أحد من تلاميذه أنه الله، وقرأوا إن شئتم:

فقال لهما وما هى. فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبياً مقتدرأ فى
الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب. (لوقا ٢٤: ١٩-٢٠)
فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل (متى ٢١: ١١)
فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى
العالم. (يوحنا: ٦: ١٤)

وقد أمر بتوحيد الربوبية والألوهية فى كثير من المواطن، منها:
فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد.
(مرقس ١٢: ٢٩)

لأنه الله واحد وليس آخر سواه. (مرقس ١٢: ٣٢)
ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذى يفعل
إرادة أبى الذى فى السموات. (متى ٧: ٢١)

وهذه هى الحياة الأبدية أن تعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى
أرسلته. (يوحنا: ١٧: ٣)

ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات. (متى ٢٣: ٩)

وفي تلك الساعة قلل يسوع بالروح وقال أحمك أيها الآب رب السماء والأرض
(لوقا: ١٠: ٢١)

أجابهم يسوع وقال تعلّمى ليس لى بل للذى أرسلنى. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته
يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلّم أنا من نفسى. (يوحنا: ٧: ١٦-١٧)
وفى حديثه مع مريم المجدلية: قال لها يسوع لا تلمسنى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى.
ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلاهكم. (يوحنا: ٢٠: ١٧)
نلاحظ أنه قال لها "اذهبي إلى إخوتى" فكيف يكون إلهاً ثم يصف أتباعه بأنهم إخوته؟
وحين أمره إبليس أن يسجد له: قال له يسوع اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب
إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. (متى: ٤: ١٠) فلو كان إبليس يعلم أنه الله أو ابن الله فكيف
يطلب منه السجود له؟

والقارئ لكتابكم المقدس يجد أن كلمة (الرب) تعنى (المعلم): فالتفت يسوع ونظرهما
يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان. فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث. (يوحنا: ١: ٣٨)
وحتى كلمة (إله) فليست خاصة به، بدليل: فقال الرب لموسى انظر. أنا جعلتك إلهاً
لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيك. (خروج: ٧: ١) أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى
كلكم. (مزمر: ٨٢: ٦) أجابهم يسوع أليس مكتوباً فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة.
(يوحنا: ١٠: ٣٤)

ونحن نتحدى أى إنسان أن يأتينا بنص فى الكتاب المقدس يقول إن المسيح عليه السلام
قال لهم (أنا الله) أو قالوا له (يا الله) وحتى لو حدث ذلك فقد ورد عندهم إطلاق لفظ
الجلالة (الله) على الملاك وعلى القاضى (أى أنه يحكم بحكم الله) كما جاء فى النصوص
التالية: فكان عند صعود اللهب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهب
المذبح ومنوح وامراته ينظران. فسقطا على وجهيهما إلى الأرض. ولم يعد ملاك الرب
يتراءى لمنوح وامراته. حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب. فقال منوح لامراته ثبوت
موتاً لأننا قد رأينا الله. (قضاة: ١٣: ٢٠-٢٢) وإن لم يوجد السارق يُقدّم صاحب البيت
إلى الله ليحكم هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه. فى كل دعوى جنائية من جهة ثور أو
حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما يُقال إن هذا هو تقدم إلى الله دعواهما. فالذى يحكم

الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين. (خروج ٢٢: ٨-٩) الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضى. (مزمور ٨٢: ١) (في وسط الآلهة) أى في وسط عليّة القوم.

أما كلمة (أنا والآب واحد) فلم يختص بها المسيح عليه السلام وحده، بدليل قوله: ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني. (يوحنا ١٧: ٢١-٢٣) أستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٦: ١٥) لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه. (رسالة بولس إلى أفسس ٥: ٣٠) في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم. (يوحنا ١٤: ٢٠) وأما من التصق بالرب فهو روح واحد. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٦: ١٧) لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم. (متى ١٠: ٢٠) وأما ما ورد من سجود الناس له في بعض الأناجيل فليس دليلاً على ألوهيته، فقد كان ذلك مباحاً في الشرائع التي سبقت الإسلام، مثل ما حدث مع سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقد أثبت الكتاب المقدس هذا لغير المسيح عليه السلام، مثل ما حدث مع اليسع عندما أحى الصبي بإذن الله، فسجدت له أمه: فدعاها ولما دخلت إليه قال احملي ابنك. فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت (الملوك الثاني: ٣٦-٣٧) ومثل سجود سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأمه: فدخلت بثشبع إلى الملك سليمان لتكلمه عن أدونيا. فقام الملك للقاءها وسجد لها (الملوك الأول: ٢: ١٩) (بثشبع) هي أم سيدنا سليمان بحسب ما جاء في الكتاب المقدس.

وقد جاء وصف المسيح - عليه السلام - بأنه (ابن الإنسان) في مواضع كثيرة جداً من الكتاب المقدس، منها: لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. (متى ١٢: ٤٠)

أما الروح القدس فشئء والمسيح شئء آخر، بدليل قوله: ومن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له. وأما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذا العالم ولا في

الآتى. (متى ١٢: ٢٢) ولا يظن أحد ان الروح القدس خاص به وحده، بدليل: فحَلَّ عليه روح الله فتنبأ في وسطهم (صموئيل الأول ١: ١٠) وحَلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً. (صموئيل الأول ١٦: ١٣) وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردىء من قِبَل الرب. (صموئيل الأول ١٦: ١٤) وروح القدس لا تزعه منى. (زمور ٥١: ١١) والله العارف القلوب شهد لهم مُعطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضاً. ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم. (أعمال الرسل ١٥: ٨-٩) أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى الله (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٦: ١٩-٢٠) رجاء الانتباه لعبارة (التى هى الله)

وحتى كلمة (المسيح) فلم يختص بها المسيح عليه السلام وحده، فقد أطلقها الكتاب المقدس على أنبياء غيره: فقال له داود كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب. ثم دعا داود واحداً من الغلمان وقال تقدم. أوقع به. فضربه فمات. فقال له داود دمك على رأسك لأن فمك شهد عليك قائلاً أنا قتلت مسيح الرب (صموئيل الثانى ١: ١٤-١٦) فهذه هى كلمات داود الأخيرة. وحى داود بن يسى ووحى الرجل القائم فى الغلا مسيح إله يعقوب ومُرْتَم إسرائيل الخُلُو. (صموئيل الثانى ٢٣: ١) والآن قُمْ أيها الرب الإله إلى راحتك أنت وتابوت عزك... أيها الرب الإله لا ترد وجه مسيحك. اذكر مراحم داود عبدك (أخبار الأيام الثانى ٦: ٤١-٤٢)

وقد جاءت فى الكتاب المقدس صفات عن المسيح لا تليق بالربوبية أو الألوهية مطلقاً، من كونه كان جنيناً فى بطن أمه، ثم وُلِدَ ورضع واحتتن.. إلى غير ذلك من الصفات التى لا تليق إلا بالبشر، وقد ذكرنا بعضاً من هذه الصفات فى الرد على الشبهة رقم (١٢٣) ونورد هاهنا بعض الصفات الأخرى:

فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تُدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حُبلى. وبينما هما هناك ثَمَّت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعتة فى المدوود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل (لوقا ٢: ٤-٧)

وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذى حملك والثدين اللذين رضعتهما (لوقا: ١١: ٢٧)

ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سُمِّيَ يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حُبِلَ به فى البطن (لوقا: ٢: ٢١)

وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً بحكمة وكانت نعمة الله عليه وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى اورشليم فى عيد الفصح. (لوقا: ٤٠-٤١)

وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لوقا: ٢: ٥٢)

أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً (يوحنا: ٥: ٣٠)

فى الصباح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع (متى: ٢١: ١٨)

بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان. (يوحنا: ١٩: ٢٨)

وكانت هناك بئر يعقوب. فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر. (يوحنا: ٤: ٦)

وكان هو فى المؤخر على وسادة نائماً. فأيقظوه وقالوا له يا معلم أما يهملك أننا فملك. (مرقس: ٤: ٣٨)

والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبأ. من هو الذى ضربك. (لوقا: ٢٢: ٦٣-٦٤)

إِلَهٌ يُضْرَبُ ولا يعرف حتى من يضربه!؟

أما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. (يوحنا: ١٩: ٣٣)

فهل الإله يجوع ويعطش ويتعب وينام ويموت؟ {سُبْحَنَهُ وَتَعَلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤٣]، والله أعلم.

س١٧- هل الله يحتاج إلى القَسَمِ لتصدقته الناس، أو ليؤكد كلامه وهو أصدق القائلين؟ فعندكم فى القرآن أنه أقسم بالفجر، والشمس وضحاها، والقمر، وغير ذلك من المخلوقات.

ج١٧- إن كل الأشياء التى أقسم الله بها لها أهمية كبيرة فى حياة الناس، فكان القسم

بما تنبيه على فضلها، ومن حق الله سبحانه وتعالى أن يقسم بما يشاء على ما يشاء، أما نحن فليس لنا أن نحلف إلا بالله، قال رسول الله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد أشرك" [أبو داود والترمذي وأحمد، صحيح الجامع: ٦٢٠٤] وعلى السائل أن يعود للكتاب المقدس فيقرأ: لم يسمعوا لقول الرب الذين حلف الرب لهم إنه لا يريهم الأرض التي حلف الرب لأبائهم (يشرع: ٥: ٦) حلف الرب بيمينه وبذراع عزته (إشعيا: ٦٢: ٨) فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه (متى: ٢٣: ٢٠-٢٢) أقسم الرب ولن يندم (مزمر: ١١٠: ٤) وقال بذاتي أقسمت يقول الرب (تكوين: ٢٢: ١٦)، والله أعلم.

س١٨- يقول القرآن: {وَرَيَّمْ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنِ الْقَبْلَتَيْنِ} [التحريم: ١٢] ويقول: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٩١]

أليس هذا اعترافاً من القرآن بأن عيسى ابن الله لأنه نفخة من روحه؟

ج١٨- حين نقول: إن المساجد بيوت الله، فهل معنى ذلك أن الله يسكن فيها؟ وحين قال الله سبحانه وتعالى: {نَاقَةَ اللَّهِ} [الشمس: ١٣] فهل هي {نَاقَةَ اللَّهِ} بهذا المعنى الساذج؟ ولو كان مفهوم الآية كما تقولون (فرضاً) لكان سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هو ابن الله أيضاً، لأن الله سبحانه وتعالى قال عنه: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [ص: ٧٢] {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [السجدة: ٩] إن التعبير بهذا الأسلوب يُسَمَّى في اللغة (المجاز) كما قال الله عن سيدنا جبريل عليه السلام: {وَإِيذْنَهُ يُرِجُّ الْقُدْسَ} [البقرة: ٨٧] وقال عن القرآن: {رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} [الشورى: ٥٢] إن روح الشيء هي التي تعطيه حيويته وتجعله يختلف عن الشيء الميت الذي ليس فيه حياة، فسيدنا جبريل (روح) لأن الله جعله يحيى العباد بالروحى الذى أرسله به، والقرآن (روح) لأن به الحياة الحقيقية للإنسان، قال تعالى: {يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤] فقول الله سبحانه وتعالى عن سيدنا عيسى: {مِن رُّوحِنَا} أى (روح من عندنا) ثم إن الذين يدعون أن سيدنا عيسى ابن الله مخطئون بنص كتابهم، فقد قال عن نفسه إنه (إنسان) و(ابن الإنسان) كما ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم (١٦) أما قوله عن

الله سبحانه وتعالى (أبي) فلا يعنى بما ما ذهبوا إليه من الأبوة الحقيقية، ولكنه قالها على سبيل المجاز، أى أنه شبه رحمة الله بعباده برحمة الأب بابنه، بدليل قول الكتاب المقدس:

والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك (إشعيا ٦٤: ٨)
إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. (يوحنا ٢٠: ١٧)

احترزوا من أن تصنعوا صدقاتكم قدام الناس لكي ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات. (متى ٦: ١-٢)

لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه (متى ٦: ٨)
انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوى يُقوّمها. (متى ٦: ٢٦)

فقالوا له إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قبل الله وأتيت. لأنى لم آت من نفسى بل ذاك أرسلنى. (يوحنا ٨: ٤١-٤٢)

وأما كلمة (ابن الله) فليس معناها البنوة الحقيقية، ولكن معناها (المؤمن بالله) وإلا - فلماذا قالها المسيح - عليه السلام - على أتباعه فى كثير من المواضع، ومنها قوله: طوبى للأتقياء القلب. لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعى السلام. لأنهم أبناء الله يُدْعَوْنَ. (متى ٥: ٨-٩) وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه. (يوحنا ١: ١٢) انظروا آية نصيحة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله. من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه. أيها الأحياء الآن نحن أولاد الله (رسالة يوحنا الأولى ٣: ١-٢) وقالها الكتاب المقدس عن أنبياء غيره، مثل قوله عن سيدنا يعقوب (إسرائيل): فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. إسرائيل ابني البكر. (خروج ٤: ٢٢) لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني. (مزمع ١١: ١) وعن سيدنا سليمان: وقال لى إن سليمان ابنك هو يبنى بيتى وديارى لأنى اخترته لى ابناً وأنا أكون له أباً وأثبت مملكته إلى الأبد (أخبار الملوك الأول ١٨: ٦-٧) وعن سيدنا آدم: آدم ابن الله (لوقا ٣: ٣٨) وعن سيدنا داود: أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً. (صموئيل الثانى ٧: ١٤) وكذلك (كلمة الله) ليست خاصة به، بدليل: نحن نعلم أن موسى كلمة الله (يوحنا ٩: ٢٩)

فهل بعد هذا تكابرون وتقولون إنه ابن الله؟ {وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَاَلِدًا} لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا {تَكَاذُ السَّمَوَاتُ يَتَطَفَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا} أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَاَلِدًا {وَمَا يُكْنِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَاَلِدًا} إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا {لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مریم: ٨٨-٩٤]، والله أعلم.

س ١٩- لقد أثبت محمد لله يداً في قوله: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠] وأثبت له عيناً في قوله: {وَلَتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي} [طه: ٣٩] وأثبت له قدماً في قوله: "لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول {هَلْ مِنْ مَّرْبُوتٍ} حتى يضع فيها رب العزة قدمه، فيتروى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم في فضول الجنة" [صحيح مسلم] فهل هذه الصفات تتناسب مع تعظيمكم لله؟ ثم إن محمداً قد نسي فقال: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصاص: ٨٨] إن معنى ذلك أن عين الله ويده وقدمه سيهلكون ولا يبقى إلا وجهه، فكيف يكون لها إذن؟

ج ١٩- إن تعظيم الله سبحانه وتعالى في الإسلام ليس له مثيل ولا نظير في أي ملة أو نخلة وُجِدَتْ على وجه الأرض، ولا داعي لسرد الأدلة على ذلك لأنها كثيرة ومعروفة. وسنبداً بعون الله بالرد على الشبهة، ثم نذكر بعض ما نسبتموه للرب في كتابكم المقدس: إن الله عز وجل ليس مُرْكَبًا من أجزاء كما تظنون، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فمن جملة معاني اسم الله (الصمد) أنه ليس مركباً من أجزاء، وليس معنى ذلك أننا ننكر أو نكذب بالآيات أو الأحاديث التي تكلمت عن عين الله أو يده أو قدمه أو غير ذلك، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة في مثل هذه الأمور أن يؤمنوا بها ويُمرروها كما هي، بغير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، كما سئل الإمام مالك - رحمه الله - عن قول الله تعالى: {ثُمَّ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ} فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكما قال العلماء: كل ما خَطَرَ ببالك فهو هالك والله خلاف ذلك. فحين قال سبحانه وتعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} أي أن كل شيء هالك إلا ذاته سبحانه وتعالى، فكلمة الوجه تُطْلَقُ ويُرادُ بها الكل، ويسمى هذا في البلاغة

(البحار المرسل) كما قال تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^٤ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: ١٥٠] فهل يجوز للإنسان أن يولّى وجهه شطر المسجد الحرام أثناء الصلاة وجسده متوجّه لغيره؟ وبمعنى آخر: هل يجوز أن يلقى المرء عنقه أثناء الصلاة فيجعل وجهه تجاه الكعبة واتجاه جسده إلى اليمين أو اليسار أو الخلف؟ ولكن لماذا قيل: {فَوَلِّ وَجْهَكَ} و{فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ}؟ إن هذا يثبت ما قلناه من أن الوجه يُطلَق ويُراد به الكل، ولكنه خُصِّصَ بالذكر لأنه أشرف شيء في خَلْقَةِ الإنسان، كما يقال: فلان أقبل علينا بوجهه. ثم إن {كُلَّ شَيْءٍ} التي تسألون عنها قد ورد مثلها في قوله تعالى: {تَدْمِيرُ كُلِّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [الأحقاف: ٢٥] ومعلوم أن الريح التي سخرها الله على قوم هود لم تدمر كل ما في السماوات والأرض بما فيهما وما بينهما من شمس وقمر ونجوم.. إلخ، ولكنها دمرت كل شيء خاص بقوم هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فكذلك الآية التي نحن بصددنا فهي تتحدث عن تدمير كل شيء من المخلوقات، ولا تتحدث عن الخالق سبحانه وتعالى.

والآن تعالوا بنا نستعرض بعض صفات الرب في الكتاب المقدس وأستغفر الله

لذكرها:

الرب يُصَفِّرُ للذباب والنحل والناس: ويكون في ذلك اليوم أن الرب يصفّر للذباب الذي في أقصى ترع مصر وللنحل الذي في أرض آشور فتأتى وتحل جميعها في الأودية الخربة وفي شقوق الصخور وفي كل غاب الشوك وفي كل المراعى. (إشعيا: ٧: ١٨-١٩) فيرفع راية للأمم من بعيد ويصفّر لهم من أقصى الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً. (إشعيا: ٥: ٢٦) أصفّر لهم وأجمعهم لأني قد فديتهم ويكثرون كما كثروا. (زكريا: ١٠: ٨)

الرب يبكى ويصرخ ويولول، ويمشى حافياً وعريانياً: لتذرف عيناى دموعاً ليلاً ونهاراً ولا تكفأ (إرميا: ١٤: ١٧) من أجل ذلك أنوح وأولول. أمشى حافياً وعريانياً. أصنعُ نجياً كبنات آوى ونوحاً كرعال النعام. (مicha: ١: ٨) والدليل على أن هذا كلام الرب (بزعمهم) ما جاء في أول السّفْر: قول الرب الذي صار إلى ميخا المورثتى... إلخ.

الرب حلاق: في ذلك اليوم يخلق السيد بموسى مُستأجرة في عبر النهر بملك آشور الرأس وشعر الرجلين وتزع اللحية أيضاً. (إشعيا: ٧: ٢٠) والدليل على أن (السيد) تعنى

عندهم (الرب) ما جاء في الإصحاح نفسه: هكذا يقول السيد الرب (العدد٧) ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. (العدد١٤)

الرب يصفق: يقول السيد الرب فهأنذا قد صفقت بكفى (حزقيال٢٢: ١٢-١٣) وأنا أيضاً أصفق كفى على كفى وأسكن غضبي. أنا الرب تكلمتُ (حزقيال٢١: ١٧)

الرب يسهر: ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والإهلاك والأذى كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب. (إرمياء٣١: ٢٨)

الرب يندم: فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه (الخروج٣٢: ١٤) والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل (صموئيل الأول١٥: ٣٥)

الرب يبكي وترن أحشاؤه: لذلك أبكى بكاء يعزير على كرمة سبمة أرويكما بدموعى يا حشبون وأعالمة... لذلك ترن أحشائي كهود من أجل موآب وبطنى من أجل قبر حارس... هذا هو الكلام الذى كلم به الرب موآب منذ زمان. (إشعياء١٦: ٩-١٣)

يشبهون معبودهم بالخروف، فى حين أنهم يقولون عن الإنسان إنه أفضل من الخروف: هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك (رؤيا يوحنا١٧: ١٤) فقال لى واحد من الشيوخ لا تبك. هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السّفْر ويفك ختومه السبعة ورأيت فإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسله إلى كل الأرض. فأتى وأخذ السّفْر من يمين الجالس على العرش. ولَمَّا أخذ السّفْر خرّت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف وهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هى صلوات القديسين. وهم يترنمون ترنيمه جديدة قائلين مُستحِق أنت أن تأخذ السّفْر وتفتح ختومه لأنك ذُبِحتَ واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض. ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم مُستحِق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما

على البحر كل ما فيها سمعتها قاتلة. للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة
 والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين. وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين. والشيوخ
 الأربعة والعشرون خروا وسجدوا للحى إلى أبد الآبدين (رؤيا يوحنا: ٥-١٤) ثم جاء
 إلى واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجمادات المملوءة من السبع الضربات
 الأخيرة وتكلم معى قائلاً هَلَمْ فَأريك العروس امرأة الخروف... وسور المدينة كان له
 اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر... ولم أرَ فيها هيكلًا لأن
 الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس
 ولا إلى القمر ليضئنا فيها لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها... ولن يدخلها
 شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلا المكتوبين في سفر حياة الخروف (رؤيا
 يوحنا ٢١: ٩-٢٧) وأرائى فرأى صافياً من ماء حياة لامعاً كبلور خارجاً من عرش الله
 والخروف. في وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثني
 عشرة ثمرة وتعطى كل شهر ثمرها. وورق الشجرة لشفاء الأمم. ولا تكون لعنة ما في
 ما بعد. وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه. (رؤيا يوحنا ٢٢: ١-٣) لنفرح
 ونتهلل ونعطه المجد لأن عُرس الخروف قد جاء وامراته هيأت نفسها... وقال لى اكتب
 طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرس الخروف. (رؤيا يوحنا ١٩: ٧-٩) فالإنسان كم هو
 أفضل من الخروف. (متى ١٢: ١٢)

الرب تعب من خلق السموات والأرض في ستة أيام، فاستراح في اليوم السابع: وفرغ
 الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله
 الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقَدَّسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى
 عمل الله خالقاً (تكوين ٢: ٢-٣)

الرب لم يعرف أن آدم أكل من الشجرة، ولم يعرف مكانه لأنه اختبأ منه: وسمِعاً
 صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاخْتبأ آدم وامراته من وجه
 الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت
 صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاخْتبأت. فقال من أعلمك أنك عريان. هل
 أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم المرأة التى جعلتها معى

هي أعطيتي من الشجرة فأكلت. (تكوين ٣: ٨-١٢)

الرب خاف من آدم أن يأكل من شجرة الحياة فيحيا مثله إلى الأبد، فطرده من الجنة ووضع عليها حراسة حتى لا يدخلها: وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرده الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم وهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة (تكوين ٣: ٢٢-٢٤)

الرب حزن لأنه خلق الإنسان، فأغرقه بالطوفان أيام سيدنا نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ثم ندم وقرر ألا يغرقه مرة أخرى، ووضع لنفسه علامة في السماء وهي (قوس قزح) حتى إذا أراد أن يهلكه يذكره هذا القوس بميثاقه ألا يفعل: فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنتُ أني عملتهم. (تكوين ٦: ٦-٧) وبني نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد مُحْرقات على المذبح. فتنسّم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثةه. ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت. (تكوين ٨: ٢٠-٢١) أي أن سيدنا نوحاً بنى لله مذبحاً، وشوى له في هذا المذبح كل ما جمعه من الحيوانات والطيور الطاهرة، فأعجبه رائحة الشواء، وقرر ألا يغرقهم مرة أخرى: وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً. وها أنا مُقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم. الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض. أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضاً بمياه الطوفان. ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض. وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر. وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقى الذي بيني

وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد. فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذى جسد. فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض. وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذى أنا أقمته بينى وبين كل ذى جسد على الأرض (تكوين: ٩: ٨-١٧)

الرب له صفات كصفات الحيوانات: الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم. يأكل أمماً مضايقيه ويقضم عظامهم ويحطم سهامه. جثم كأسد ربيض كلبوة (عدد: ٢٤: ٨) وأنا الرب إلهك من أرض مصر. وإلهاً سواى لست تعرف ولا محلّص غيرى. أنا عرفتك في البرية في أرض العطش. لما رَعَوَا شبعوا. شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسوى فأكون لهم كأسد. أرصد على الطريق كئمر. أصدمهم كدبّة مشكل وأشق شغاف قلبهم وأكلهم هناك كلبوة. يمزقهم وحش البرية (موشع: ١٣: ٤-٨) فأنا لأفرايم كالعث وليت يهوذا كالسوس (موشع: ٥: ١٢) لأنى لأفرايم كالأسد وليت يهوذا كشبيل الأسد فإنى أنا أفترس وأمضى آخذ ولا مُنقذ. أذهب وأرجع إلى مكاني حتى يُجَازوا ويطلبوا وجهى. في ضيقهم يُبكرُون إلى (موشع: ٥: ١٤-١٥) هلّمّ نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا. (موشع: ٦: ١) وأنت فتبأ عليهم بكل هذا الكلام وقل لهم. الرب من العلاء يزجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزتر زئيراً على مسكنه بهتاف كالدائسين يصرخ ضد كل سكان الأرض. (إرمياء: ٢٥: ٣٠)

الرب غار من خلقه لأنهم بنوا مدينة وبرجاً وتفاهموا مع بعضهم بلسان واحد، فترل إليهم ودمر مدينتهم، ولبلب ألسنتهم، فلذلك تعددت لغاتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضاً: وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة. وحدث في ارتحاهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شعار وسكنوا هناك. وقال بعضهم لبعض هلّمّ نصنع لبناً ونشويه شيئاً. فكان لهم اللين مكان الحجر وكان لهم الحمرُ مكان الطين. وقالوا هلّمّ نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض. فترل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينوهمما. وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما يتنون أن يعملوه. هلّمّ نزل ولبلب هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض.

فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض. فكفوا عن بيان المدينة. لذلك دُعِيَ اسمها بابل. لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض (تكوين ١١: ١-٩) أين هذا من قول ربنا تبارك وتعالى {وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ لَكُمْ أَسْمَاءَ أَنْتُمْ تَدْعُونَ} [الرؤم: ٢٢]؟

الرب يظهر ليعقوب على هيئة إنسان ويتشاجر معه، ويكاد يعقوب يغلبه لولا أنه كسر فخذه، ولم يتركه يعقوب حتى باركه: فبقى يعقوب وحده. وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه. فاخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعة معه. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فيثيل. قائلاً لأني نظرتُ الله وجهاً لوجه ونجيتُ نفسي. وأشرقت له الشمس إذ عَبَّرَ فثوئيل وهو يجمع على فخذه. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حُق الفخذ إلى هذا اليوم. لأنه ضرب حُق فخذ يعقوب على عرق النسا (تكوين ٣٢: ٢٤-٣٢)

الرب وملائكته يظهران لإبراهيم ويأكلون عنده: وظهر له الرب عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تتجاوزون. لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرع بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً. اعجنى واصنعي خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا (تكوين ١٨: ١-٨)

الرب يأمر بالزنى: أول ما كلم الرب هوشع قال الرب هوشع اذهب خذ لنفسك

امراة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب. فذهب وأخذ جوهر بنت دبلائم فحبلت وولدت له ابناً. (موشع ١: ٢-٣)

الرب يأمر بالسرقة: ثم قال الرب لموسى... تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين. (خروج ١١: ١-٣) بل تطلب كل امرأة من جارقتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فسلبوا المصريين (خروج ٣: ٢٢) وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين (خروج ١٢: ٣٥-٣٦)

الرب يتشفى: من أجل ذلك حى أنا يقول السيد الرب من أجل أنك قد نجست مقدسى بكل مكراهاتك وبكل أرجاسك فأنا أيضاً أجز ولا تشفق عيني وأنا أيضاً لا أعفو. تلك يموت بالوباء وبالجموع يفنون في وسطك وتلت يسقط بالسيف من حولك وتلت أذريه في كل ريح وأستل سيفاً وراءهم. وإذا تم غضبي وأحلت سخطي عليهم وتشفيت يعلمون أنى أنا الرب (حزقيال ٥: ١١-١٣)

الرب يتملق ويلطف: لكن هانذا أتملقها وأذهب بها إلى البرية وألاطفها (موشع ٢:

١٤)

الرب ضعيف البصر لا يستطيع أن يرى من فوق، بل لا بد أن يتزل ليتأكد: فترل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. (تكوين ١١: ٥) وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى. وإلا فأعلم. (تكوين ١٨: ٢٠-٢١)

الرب يأمر بوضع علامة على بيوت اليهود، حتى إذا رآها لا يدمرهم مع من يدمرهم من المصريين: ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضريرة للهلاك حين أضرب أرض مصر. (خروج ١٢: ١٣) فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح. وخذوا باقة زوفاً واغمسوها في الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة

العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست. وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدعُ المهلك يدخل بيوتكم ليضرب. فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد. (خروج ١٢: ٢١-٢٤)

الرب لا يعرف أن صوت المياه اسمه (خريز) وليس (هدير) ويتضجر من أصوات الشعوب: آه ضجيج شعوب كثيرة تضح كضجيج البحر وهدير قبائل قنادر كهدير مياه غزيرة. (إشعيا ١٧: ١٢)

الرب يُصاب بالثخمة: لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمت من مُحرقَات كِباشٍ وشحم مُسَمَّنَات. (إشعيا ١: ١١)

الرب يعاقب بكشف العورة: لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لتلا أجردها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها (موشع ٢: ٢-٣) والآن أكشف عورتها أمام عيون محبيها ولا ينقذها أحد من يدي. (موشع ٢: ١٠)

الرب يخطب ويتزوج وينجب: ويكون في ذلك اليوم يقول الرب أنك تدعيني رَجُلِي ولا تدعيني بعدُ بَعْلِي. (موشع ٢: ١٦) وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب. (موشع ٢: ١٩-٢٠) أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي (حزقيال ١٦: ٢٠) كائنا لي وولدنا بنين وبنات (حزقيال ٢٣: ٤) والغريب أنهم يدافعون عن هذا وأمثاله مما نُسبَ لله سبحانه وتعالى من الزواج والخطبة والإنجاب بأن هذا تشبيه لعلاقة الله بالأمم والناس بعلاقة الزوج بزوجه، أى أنها تعبيرات مجازية وليست حقيقية. ونقول لهم: ألا كان الأولى أن يكون التشبيه بعلاقة الأب بابنه بدلاً من ذكر هذه الألفاظ الجنسية الصارخة (كما ورد في نشيد الأنشاد وحزقيال: الإصحاح ١٦، والإصحاح ٢٣) وخاصة أنكم أطلقتم كلمة (أبناء الله) في كثير من المواضع في كتابكم المقدس، وتعنون بها (المؤمنون بالله)؟ ومن هذه المواضع: أبناء الله الحي (موشع ١: ١٠) ومواضع أخرى كثيرة كالتى ذكرناها في الرد على الشبهة رقم (١٨) ولا يفهم من كلامي جواز تشبيه العلاقة بين الله وخلقه بعلاقة الأب بابنه، فسبحانه لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ولكن هذا من باب المماراة فحسب.

وفيما يلي صفات أخرى للرب وردت في الكتاب المقدس أيضاً:
 لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طُرُقكم طُرُقى يقول الرب. (إشعيا ٥٥: ٨)
 مصارعات الله قد صارعت أخقى وغلبت. (تكوين ٣٠: ٨)
 لأن إلهنا نار آكلة (الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢٩)
 فاستيقظ الرب كنجار مُعَيِّط من الخمر. (مزمر ٧٨: ٦٥)
 فزل الرب في عمود سحب ووقف في باب الخيمة (عدد ١٢، ٥)
 اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه (زكريا ١٣: ١٣)
 ويكون لك وتد مع عدتك لتحفر به عندما تجلس خارجاً وترجع وتغطي براك. لأن الرب إلهك سائر في وسط محلتك... فلتكن محلتك مقدسة لتلا يرى فيك قدر شيء فيرجع عنك (ثنية ٢٣: ١٣-١٤)

حجبوا عيونهم عن سُبُوتى فتدنست في وسطهم. (حزقيال ٢٢: ٢٦)
 في سنة وفاة عزيّا الملك رأيتُ السيّد جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. (إشعيا ٦: ١) (السيّد) معناها الرب.

الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه قد صمّت منذ الدهر سكّت تجلّدت. كالوالدة أصيح. أنفخ وأنخر معاً. أهرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار ييساً وأنشف الآجام (إشعيا ٤٢: ١٥-١٣)

في ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى وصراخى دخل أذنيه. فارتجت الأرض وارتعشت. أسسُ السماوات ارتعدت وارتجت لأنه غضب. صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكّلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجله. ركب على كروب وطار ورئى على أجنحة الريح. (صموئيل الثاني ٢٢: ٧-١١) الكروب معناها عندهم أنثى الملائكة.

هوذا اسم الرب يأتى من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كمنار آكلة. ونفخته كنهز غامر يبلغ إلى الرقبة. لغريلة الأمم بغربال السوء... ويُسمعُ الرب جلال صوته ويُرى نزول ذراعه بهيجان غضب وهيب نار آكلة نوء

وسيل وحجارة برد... نفخة الرب كنهز كبريت توقدها (إشعيا ٣٠: ٢٧-٣٣)، والله أعلم.

س ٢٠- أنتم تقولون: {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهل يستطيع أن يخلق إلهاً مثله؟
ج ٢٠- لو خلق الله ما تطلبون لكان هذا المخلوق ليس إلهاً، لأن الإله يَخْلُق ولا يُخْلَق، والله أعلم.

س ٢١- ما هي فائدة التوحيد للمسلمين؟ وما هو الخير الذي يعود عليكم منه وحالكم كما تعلمون الآن من الدلة والهوان؟ ألا يكفي الاعتراف بأن للكون خالقاً؟

ج ٢١- إن هذا الكلام كفر وإلحاد، إذ كيف يعترف الإنسان بأن له خالقاً ثم لا يعبده؟ إن توحيد الألوهية يريح البشرية، فالذى له أرباب متفرقون كالعامل الذى له مجموعة من الرؤساء، أو الجندى الذى يخدم مجموعة من الضباط، كل له أوامره التى تختلف عن الآخر، فتراه حائراً بينهم لا يدري من يُرضى؟ فلاناً أم فلاناً أم فلاناً؟ فالأوامر متعددة، والنواهي متخبطة، أما الموحد فقلبه مستريح، وعقله مستريح، وفكره غير مشتبك، ونفسيته غير مضطربة، لأن الخالق واحد، والرزاق واحد، ومدبر الأمر واحد، والمشرع واحد، والأمر واحد، والناهى واحد.. الخ. قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا يَرْتَجِلُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لَّحَمْدُ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٢٩] وقال: {ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ حَتَّىٰ تُأْمِرَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ} [يوسف: ٣٩] فالخير كل الخير فى توحيد الله، والشر كل الشر فى الشرك بالله، أما الخير الدنيوى للتوحيد فكثير، فهو يجمع شمل المسلمين على كتاب واحد ورسول واحد (ﷺ) وقبلة واحدة.. الخ، وإذا حققوه فى أنفسهم وأهليهم وكل معاملاتهم فيه عزهم وكرامتهم ونصرهم، أما الخير الأخرى فهو نجاةنا من النار ودخولنا الجنة، قال رسول الله ﷺ: "يا معاذ! هل تدري حقَّ الله على عباده وما حقُّ العباد على الله؟ فإن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" [صحيح البخارى] أما حالنا فهو لا يخفى علينا، وهذا من تفريط بعضنا - بل معظمنا - فى حق ربنا، أما لو رجعنا إلى ربنا، واتبعنا هدى نبينا ﷺ فسيصلح الله حالنا، ويُمكن لنا كما مكن لأسلافنا، كما قال تعالى: {وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [شور: ٥٥] وقد تكلمنا من قبل على موضوع الشرك، وتكلمنا أيضاً على موضوع التخلف والفقر والمرض الذي أصاب المسلمين، والهزيمة التي لحقت بهم فهي من ترك الصلاة، والتبرج، وسب الدين، وأكل الربا، وشرب الخمر، وإشاعة الفاحشة، وغير ذلك كثير مما لا يحفى على أحد، ومن أكبر أسبابها الركون إلى الدنيا وترك الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤] وقال: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۗ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا} [توبة: ٣٨] وقال رسول الله ﷺ: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غناء كغناء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم ويترع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت" [صحيح الجامع: ٨١٨٣] وقال: "إذا تبايعتم بالبيعة وأخذتم أذنان البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه حتى ترجعوا إلى دينكم" [صحيح الجامع: ٤٢٣] وقد حدث ما قاله الرسول ﷺ. بالحرف الواحد، فهنا نحن قد أصبحنا أذلة، وتكالبت علينا الأمم من كل صوب وحذب، ولم يصبح لنا وزن بين الأمم، حتى إن اليهود قالوا عنا في فترة الستينيات: (يفطروا فول ويتغدوا كرة ويتعشوا أم كلثوم) وعندهم حق، فقد تخاذل المسلمون ونكصوا عن الجهاد ولم يُعَدُّوا له عُدته كما أمرهم الله عز وجل في قوله: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠] ولم يقتصر الأمر على تخاذلهم عن الجهاد بأنفسهم، بل إنهم قد تخاذلوا عن بذل أموالهم في سبيل الله لنصرة إخوانهم المستضعفين في كل مكان، ولم يعد لهم شاغل إلا السعى على أرزاقهم، وتضييع أوقاتهم في مشاهدة الكرة والأغاني والأفلام والمسلسلات والمسرحيات، والتفنن في أنواع الأطعمة والملابس والمفروشات..

إلخ، لدرجة أنهم ينفقون آلاف الجنيهات في تزيين منازلهم، بل ودورات مياههم، ولا ينفقونها في سبيل الله، ويعرفون كل شيء في الدنيا إلا دينهم، وأصبح اهتمام شباب الأمة - الذين هم أملها في جهاد أعدائها - هو المشى مع البنات، والانشغال بالكرة، ومعرفة أسماء اللاعبين العرب والأجانب، حتى الاحتياطي منهم، ومن سيفوز بكأس العالم، وما هي الدولة التي تقام بها الأولمبيات، ولا يعلمون شيئاً عن دينهم، ويقلدون الأجانب في لبسهم وكلامهم وتسريحة شعرهم وفي كل أحوالهم، ولا يقلدون نبيهم ﷺ، وترى المساجد خاوية أثناء إذاعة مباريات الكرة، وخاوية في صلاة الفجر إلا القليل، وغير ذلك مما يطول شرحه، ولا فائدة من ذكره، إلا قليلاً من الموحدين المخلصين الذين لا يضرهم من خالفهم، وهم الذين بشرنا بهم نبينا محمد ﷺ في قوله: " لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك " [صحيح مسلم]

إن الدين أصله التوحيد، ومن هذا التوحيد تنبثق الشريعة، وهي ما شرعه الله من التحليل والتحریم والأوامر والنواهي، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر.. إلخ، ويترتب على هذه الشريعة نظام يشمل جميع نواحي الحياة، وكى تظهر هذه الشريعة فلا بد لها من تطبيق في حياة الناس، ولا بد لها من رجال يذودون عن حياضها، أم أن الدين سينتصر بغير رجال؟ ولو أن ديننا عبارة عن كهنوت فقط (أى عبادة) لعاوننا أشد أعدائنا على عبادة ربنا، وربما بنوا لنا المساجد ودور العبادة على أفخم طراز وأماه، ولكنهم يحاربوننا لأنهم يعلمون أن ديننا يشمل جميع نواحي الحياة، وأخطر ما في ذلك عليهم هو الحكم بما أنزل الله، فإن ذلك سيعطل مصالحهم السياسية والاقتصادية والفكرية.. إلخ، فإنه يحرم الربا.. فماذا تفعل بنوكهم؟ الخمر حرام.. فماذا يفعلون في حوانيتهم ومصانع حورهم؟ الزنى وكل ما يودى إليه من الفواحش حرام.. فماذا يفعلون بإعلامهم الهابط الذى يشجع على ارتكاب الفواحش من أفلام جنسية ومسلسلات ومسرحيات، ومؤلفات هابطة، وأغانٍ ماجنة وموسيقى صاخبة؟ لا اختلاط بين الرجال والنساء.. فأين تذهب منتجعاتهم السياحية؟ لا تبرج.. فماذا تفعل بيوت أزيائهم ومعارضهم؟ إن الدين صرح شامخ لا بد له من نظام، ومن رجال أشداء يحمون هذا النظام، فهل

هناك مبنى عملاق ليس له نظام؟ أو ليس له بواب أو حارس؟ وهذا النظام يشمل (بالإضافة لما سبق): غض البصر، صدق الحديث، حسن الجوار، عدم التطفيف في الكيل والميزان، بر الوالدين، صلة الأرحام، الوفاء بالعهود، عدم شهادة الزور.. إلخ. والكلام في هذا الأمر يحتاج لمجلدات، ولكن المقام لا يتسع لذلك، أما هم فدينهم كهنوت: أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (متى: ٢٢: ٢٢)

والسائل قد أجاب على نفسه في سؤاله، فهو يقول: وحالكم كما تعلمون الآن، أى إنه الآن وليس في ماضى الزمان، لأنه يعلم ماذا كان يفعل أسلافنا الكرام حين كان المسلمون مسلمين حقاً، وكان الإسلام هو أكبر همهم، فدانت لهم الدنيا بأسرها، ولم يستطع أحد أن يتعدى على حرماهم، أما الآن فهم مُسَلَّمُونَ (أى مُسَلِّمِينَ أنفسهم وأرضهم وأمواهم لأعدائهم) ونحن نعلم ما فعله الفاروق عمر بن الخطاب ؓ حين بعث إلى هرقل عظيم الروم يهدده ويقول له: والله لأنسيئك وساوس الشيطان بخالد (أى خالد بن الوليد ؓ) والله لأرسلنك رجالاً يحبون الموت كما تحبون الحياة. وقد زلزل أعظم امبراطوريتين في التاريخ، وهما الرومانية والفارسية، وانتشرت في عهده الفتوحات الإسلامية، والانتصارات العظيمة التى سجلها التاريخ على صفحات مشرقة بجهاد هؤلاء الأبطال الأتقياء المخلصين، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين، والله أعلم.

س ٢٢- يقول نبيكم إن كل رسول يذكر ذنبه يوم القيامة، ويعتذر عن الشفاعة العظمى، ويوصى الناس أن يذهبوا للذى بعده، حتى يصلوا إلى عيسى فلا يذكر ذنباً، أما فيبيكم فقد قال الله له: {وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ} [غافر: ٥٥] فطالما أن عيسى لم يذنب فقد قامت الحججة عليكم بأنه الرب، لأن الرب عندكم مُتْرَه من كل عيب.

ج ٢٢- هل كل من لا يذنب يصير إلهاً؟ إذن لأصبح الأطفال آلهة لأنهم لا يذنبون، وكذلك المجانين، والذين فقدوا وعيهم، قال رسول الله ﷺ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ" [صحيح الجامع: ٣٥١٢] فإذا صح استدلالكم بحديث الشفاعة العظمى.. فلماذا أحالهم سيدنا عيسى إلى نبينا ﷺ؟ ولو كان إلهاً لماذا طلب منه الناس الشفاعة ولم يطلبوا منه المغفرة؟ وكيف يكون إلهاً وهو يقف مع الناس في المحشر، بل ويقول نفسى نفسى؟ ولماذا

لم يدل سيدنا آدم البشر عليه مباشرة، ألم يكن يعلمه؟ إن المسيح نفسه لم يدع الألوهية، وقد ذكرنا بعض الأدلة على ذلك في الرد على الشبهة رقم (١٦) ثم إنكم قد نسبتم إليه الخطايا ولعنتموه في كتابكم، فكيف تعبدوه وقد لعنتموه؟

حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه (متى: ٣: ١٣) ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً. (لوقا: ٣: ٢١) مع أنه لا يعتمد عندكم إلا المذنب، بدليل:

أنا أعمدكم بماء التوبة (متى: ٣: ١١)

واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم (متى: ٣: ٦)

فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. (لوقا: ٣) وإلى الآن تعمدون كل من دخل في دينكم لتنقوه من الخطايا بزعمكم. المسيح اقتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة. (رسالة بولس إلى غلاطية: ٣: ١٣)، والله أعلم.

س ٢٣- إن المسلمين لا يوحدون ربهم، فحين يحلفون يثلاثون ويقولون: (والله العظيم ثلاثة) أى أنه ليس إله واحد بل ثلاثة.

ج ٢٣- إن هذا من أتفه الأسئلة الطفولية. إن ما يقوله المسلمون عبارة عن تأكيد للقسام، وكأنهم يقولون: نقسم بالله ثم نقسم بالله ثم نقسم بالله. ولكنهم يختصرون فيقولون (نقسم بالله ثلاثاً) أى ثلاث مرات وليس ثلاثة آلهة، والله أعلم.

س ٢٤- يذكر القرآن في سورة (الفيل) أن الله أهلك جيش أبرهة لأنه أراد أن يهدم الكعبة، مع أن كفار قريش قد ملأوا الكعبة بالأصنام من قديم الدهر، ولا شك أن ذلك كان أقبح من تخريب الكعبة، فكيف يسלט الله العذاب على من قصد تخريب الجدران ولم يسلمه على من قصد تخريب الإيمان؟

ج ٢٤- لقد كان مقدراً في علم الله سبحانه وتعالى منذ الأزل أنه سيبعث رسولاً يدعو إلى التوحيد، ويظهر الكعبة من هذه الأوثان، وكان مقدراً أيضاً أن هذا النبي ﷺ سيرسل لقومه خاصة وللناس عامة، فلو أهلكهم الله بذنوبهم فلَمَن كان سيبعث نبياً بعدهم؟، والله أعلم.

س ٢٥ - الله عندكم تسعة وتسعون اسماً ليس فيها اسم المحبة كما عندنا!
 ج ٢٥ - إن الذين يقولون: (الله محبة) ويتغنون بها ليل نهار، يخفون - أو لا يعلمون - أن كتابهم المقدس قال: لأن إلهنا نار أكلة (الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢٩) كما أنهم لا يذكرون ما جاء في كتابهم المقدس من العقوبات التي يُنزِلها الله بمن عصاه، والتي تتعارض مع قولهم: (الله محبة) وسنذكر نصاً واحداً كمثال على هذه العقوبات، ولكننا سنوكل ذكره بعد الرد على الشبهة إن شاء الله تعالى.

إن من أسماء الله الحسنى ما يدل على المحبة، والحنان، والرافة، والرحمة، واللطف، والحلم، والعفو، والمغفرة، وغير ذلك من صفات الجمال والكمال، ومن هذه الأسماء: اسمه سبحانه وتعالى (الودود) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} [البروج: ١٤] إن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - وغيره قالوا: (الودود) هو (الحبيب). وبالإضافة لما قاله ﷺ فإن (الودود) هو الذى يتودد إلى خلقه بنعمه عليهم لعلهم يُسلمون، فقد قال سبحانه وتعالى بعد سرد العديد من نعمه على عباده: {كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} [النحل: ٨١]

ولكن من الذين يجبههم الله تعالى؟ إن الإجابة على هذا تتمثل في بضع آيات من كتابه الكريم، وأحاديث رسوله البشير النذير ﷺ، نذكر من الآيات: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥] {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢] {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦] {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩] {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: ٤٢] {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤] {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنِطُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بَتِينٌ مَرْضُوصٌ} [الصف: ٤] ونذكر من الأحاديث: "إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه، ويُعين عليه ما لا يُعين على العنف" [صحيح الجامع: ١٧٧٠] "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" [صحيح الجامع: ١٨٨٠] "إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها" [صحيح الجامع: ١٨٨٩] وقد وردت صفات أخرى في الكتاب والسنة للذين يجبههم الله تعالى، وكلها صفات تدور حول طاعة الله ورسوله ﷺ.

والآن نورد بعض العقوبات التي وردت في الكتاب المقدس كما وعدناكم: ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياهِ وفرائضه

التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدرّكك. ملعوناً تكون في المدينة و ملعوناً تكون في الحقل: ملعونة تكون سَلْتُكَ وَمَغْنَتُكَ. ملعونة تكون ثمرة بطنك و ثمرة أرضك نتاج بقرك وإناث غنمك. ملعوناً تكون في دخولك و ملعوناً تكون في خروجك. يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى قهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني. يُلصِقُ بِكَ الرب الوَبَا حتى يببّدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. يضربك الرب بالسُّل وَالْحُمَى والبَرْدَاء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فَتَبِعُكَ حتى تفنيك... ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً يزل عليك من السماء حتى قهلك. يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك. في طريق واحدة تخرج عليهم وفي سبع طرق قرب أمامهم... وتكون جُشُكَ طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض وليس من يزعجها. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكّة حتى لا تستطيع الشفاء. يضربك الرب بجنون وعمى وحريرة قلب. فتلمس في الظُّهْر كما يتلمس الأعمى في الظلام ولا تنجح في طرقك بل لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الأيام وليس مُخَلَّص. تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها. تبقى بيتاً ولا تسكن فيه. تغرس كرمًا ولا تستغله. يُدْبِح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه. يُغْتَصَب همارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك. تُدْفَع غنمك إلى أعدائك وليس لك مُخَلَّص. يُسَلِّم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران إليهم طول النهار فتكلان وليس في يدك طائلة. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام. وتكون مجنوناً من منظر عينيك الذي تنظر. يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك... بينين وبنات تلد ولا يكونون لك لأنهم إلى السبّي يذهبون... وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدرّكك حتى قهلك لأنك لم تسمع لصوت الرب إهلك لتحفظ وصاياهِ وفرائضه التي أوصاك بها... من أجل أنك لم تعبد الرب إهلك بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شيء تُسْتَعْبَد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك في جوع وعطش وعرى وعوز كل شيء. فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك. يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض... فتأكل

ثمرة بهائمك وثمره أرضك حتى قملك ولا يُبقَى لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً ولا نتاج بقرك ولا إناث غنمك حتى تفنيك. وتحاصرک في جميع أبوابك حتى تقبض أسوارك الشامخة الحصينة التي أنت تثق بها في كل أرضك. تحاصرک في جميع أبوابك في كل أرضك التي يعطيك الرب إهلك. فتأكل ثمرة بطنك لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إهلك في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك. (تثنية ٢٨: ١٥-٥٣) وهناك عقوبات أخرى مثل ما ورد في الرد على الشبهة رقم (٢٣٦) وغيرها، والله أعلم.

شبهات مُغرضة حول القرآن

س٢٦- تقولون إن القرآن أنزل من عند الله لأنه تحدى العرب البارعين في اللغة، أليس من المحتمل أن يكون محمد شاعراً موهوباً كمن سبقه من الشعراء كالنابغة والزهير وغيرهما؟

ج٢٦- لقد أجمع علماء النفس والاجتماع والسلوكيات وسائر العلوم الإنسانية أن الموهبة لا يمكن بحال من الأحوال أن تتأخر إلى سن الأربعين، فلا بد أن تنضح على صاحبها منذ الصغر، كما نشاهد طفلاً عنده حب الزعامة يقوم بتقسيم زملائه إلى فريقين ليلعبوا بالكرة، ويختار أفراد كلا الفريقين وحارس المرمى وكذا وكذا.. وهم يطيعونه، وليس شرطاً أن يكون أكبرهم سناً أو أقواهم أو أذكاهم، ولكن شخصيته قيادية. أو نجد طفلاً محباً للمصارعة والكاراتيه فيصارع أصدقاءه ويلعب معهم الكاراتيه، حتى أنه يحاول ضرب إخوته الكبار بالطريقة نفسها. ونجد طفلة تتقمص شخصية المدرّسة، وتعطى أوامر لصديقاتها، وتضرب التي لا تطيعها. أو طفلاً عنده حب القرآن أو الخطابة، فتراه يقلد المشايخ ويسجل صوته، أو يضع أمامه ميكروفوناً ليقلد شيخ المسجد وهو يخطب. أو طفلاً محباً للرسم أو الزخرفة أو الاختراعات... إلخ. وكلما ازدادوا في العمر ازداد إتقانهم لما يحبونه، والموهبة لا بد أن تُصقل وتخضع للتجربة والخطأ، والرسول ﷺ لم يُعلم عنه أنه قال شعراً قط، ولا مدح أحداً ولا هجأ أحداً، ولكنه كان يُعرف بالرجل المُتحنّف، أى المائل عن الشرك إلى التوحيد (كان هناك بقية قليلة من الموحدين أتباع سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام) وكان المشركون يقولون إن محمداً قد عشق ربه، ويتعجبون لماذا يترك عبادة الأوثان ويترك متاع الدنيا وهم غارقون فيه، ولماذا يترك زوجته الجميلة الغنية وأولاده، وينقطع في غار حراء للتفكير في خلق الله.

ربما يُقال إن موهبة الشعر كانت عنده منذ الصغر ولكنه لم يظهرها إلا بعد سن الأربعين، فهل كان يضمن أن يعيش لسن الأربعين؟ كما أن الشاعر لا يستطيع أن يصير على نفسه ويكتفم موهبته أمام ما يلاقه من الأحداث، والرسول ﷺ وُلدَ يتيماً فلم يرَ أباه، وماتت أمه وهو ابن ست سنين، ومات جده وهو ابن ثمان سنين، وعاش مع عمه الفقير،

ورعى الغنم وهو صغير، أمع كل هذه الأحداث يستطيع شاعر أن يصير على نفسه؟ ويكفى في الرد على هذه الفرية قول الله عز وجل: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَنْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَلَمْ تَعْلَمُوا} [يونس: ١٦] و{وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِّن قَبْلِهِ مِّن كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِمِخْيَلِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ الْمُبْتَلُونَ} [العنكبوت: ٤٨] ولنا سؤال: هل هناك دجال يرفض الكمال؟ فإن القرآن كمال فكيف لا ينسبه إليه إلا إذا كان رسولاً صادقاً، وخاصة أنه أعجز الفصحاء والبُلغاء من أبناء عصره، وكان يمكنه أن يتفاخر عليهم؟ إننا نجد الكثير ممن يقتبس الرسائل مثل رسائل الماجستير والدكتوراه والمقالات والمؤلفات من غيره، وينسبها لنفسه لينال بها شهادة أو منصباً أو غيره. ولو كان الرسول ﷺ هو الذى أَلف القرآن فَلِمَ لم يُطع المشركين ويغير بعض آياته ليكسب ودَّهم أو ليغدقوا عليه الأموال؟ ولِمَ لم يرفع ذِكْرَ أهله ويتفاخر بهم كما كان يفعل الشعراء من قبله، وقد كانت قبيلته أشرف القبائل؟ ولِمَ ذكر الآيات التى تعاتبه مثل ما ورد في سورة (عبس) وغيرها؟ ولِمَ لم يحل مشكلة حادثة الإفك بين يوم وليلة؟ وما الذى جعله ينتظر شهراً كاملاً في هذه المحنة بسبب ما قيل عن زوجته الشريفة العفيفة رضى الله عنها؟ إن الرسول ﷺ لم يتكلف شيئاً من عنده، ولم يغير ولم يبدل {وَإِذَا تَتَلَوْا عَلَيْهِمْ ءَأْيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِفِرْعَوْنَ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ} [يونس: ١٥] ثم إن القرآن ليس شعراً، فإنه لا يخضع لقوافى الشعر وُبُحُوره، كما أن الشعراء لهم أحوال نفسية متقلبة كسائر البشر، ويظهر ذلك في شعرهم، فتراه متناقضاً حسب أحوالهم ومصالحهم، أما القرآن الكريم فليس به أى تناقض {لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] {أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢] فأى كاتب أو أديب أو شاعر تجد مؤلفاته بما اختلافات كثيرة حسب حالته النفسية أو أهوائه أو مصالحه، وغالباً لا تجد الشعراء إلا مبالغين في أقوالهم، غير ملتزمين الصدق في أشعارهم، كما قيل عن الشعر: (إن أعذبه أكذبه) يقول ربنا تبارك وتعالى: {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الم] أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ [م] وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ [م] إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلِمُوا^١ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ^٢ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]. والعرب كانوا أعلم الناس بالشعر، ولهم قصائد ومعلقات تُدرّس إلى يومنا هذا، ولم يقولوا عن القرآن إنه شعر إلا جحوداً وصدأً عن سبيل الله، كما روى ابن جرير عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة قال لأبي جهل (حين طلب منه أن يقول في القرآن قولاً منكرًا): فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يُعلَى عليه (بقية القصة يُرجع إليها في تفسير سورة المدثر) ومعروف أن لكل صاحب قلم أسلوباً خاصاً، كالشعراء والأدباء والكتاب والصحفيين، لدرجة أنك لو قرأت كتاباً أو مقالاً أو شعراً لحكمت عليه بأنه أسلوب فلان وكأنه بصمته، أمّا الرسول ﷺ فقد جاء بثلاثة أساليب: القرآن والحديث والحديث القدسي، وكل أسلوب مختلف عن الآخر، أمّا لو أن أحداً من الكتاب أو غيرهم حاول تغيير أسلوبه فبعد فترة تجد أن الأساليب توحدت في أسلوب واحد، وكأنك وضعت عدة ألوان مع بعضها فتكون النتيجة أنها أصبحت لوناً جديداً واحداً.

ثم لو كان الرسول ﷺ أراد من تلقاء نفسه أن يصحح ما كان عليه قومه من عبادة أصنام لا تنفع ولا تضر، وهو يرى بفطرته أن خالق هذا الكون أعظم من هذا بكثير، ليس كان أول خطاب يوجهه لهم: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً؟ وهل يوجد إنسان له فكر متحضر عن قومه يريد تغيير ما هم عليه.. ثم يكون أول ما يبدأ به قول {اقرأ} وهو أصلاً لا يقرأ؟ ولو أن الرسول ﷺ ألفه - كما يقولون - لنسى بعضه، كما يُقال: إن كنت كذوباً فكن ذكوراً، وكالمثل الذي يقول (الكذب مالوش رجلين) أي أن الذي يكذب ينسى ما قاله بعد فترة ويقول شيئاً غيره، فثبوته على قول واحد على مدار ثلاثة وعشرين عاماً يدل على صدقه. وهناك شيء آخر: إن أي واحد منا إذا خطب في الناس وقيل له أعد ما قلته بالحرف الواحد فلن يستطيع ولو كان أكثر الناس ذكاءً، فلا بد أن ينسى شيئاً أو يزيد أو ينقص. ونحن لا بد أن نراجع القرآن باستمرار، وإلا - لتفلت منا، أمّا الرسول ﷺ فكان يحفظه عن ظهر قلب مع أنه لا يستطيع القراءة، إلا أنه كان يراجعه مع جبريل عليه السلام مرة واحدة في رمضان من كل عام، إلا رمضان الأخير فقد راجعه عليه

مرتين. فعدم نسيان الرسول ﷺ يدل على أن هناك قوة قادرة تثبت القرآن في صدره {سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى:٦] وكان الرسول ﷺ من حبه في القرآن يخشى ألا يحفظه، فكان يردد خلف جبريل عليه السلام فيها الله عن ذلك في قوله تبارك وتعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ} [القيامة:١٦-١٩] إن الرسول ﷺ ليس فقط لم يكن شاعراً، بل إنه كان لا يحفظ أى بيت من الشعر، حتى إنه أراد مرة أن يقول بيتاً من الشعر فأخطأ، فضحك أبو بكر رضي الله عنه وقال: سبحان الله! ثم قرأ قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [يس:٦٩]، والله أعلم.

س٢٧- أنتم تقولون إن نبيكم لم يؤلف القرآن لأنه لم تظهر عليه موهبة الشعر منذ الصغر، أليس من المحتمل أن يكون قد تعلمه من غيره؟

ج٢٧- إن الرسول ﷺ معلوم عنه أنه كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وبفرض أنه كان يعرف.. فلماذا لم يكتب كل شيء يتلقنه؟ فلم يكن في مكة المكرمة غير المشركين، وعدد قليل جداً من النصارى، كأمثال ورقة بن نوفل - الذى أسلم فيما بعد ﷺ - فلو كان الرسول ﷺ تعلم من النصارى فلم دعا إلى التوحيد ولم يدع إلى التثليث مثلهم؟ ولم ذمهم وحكم عليهم بالكفر {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة:١٧] أو على الأقل.. لماذا لم يوافقهم في قضية صلب المسيح عليه السلام؟ أكان هذا يضر دعوته في شيء؟ إن الذى يتعلم من أحد يخشى أن يخالفه فيما يمل به عليه حتى لا يكف عن تعليمه.. أليس كذلك؟ ربما يقول قائل: ربما خالفهم بعدما تعلم منهم، فنقول له: لو حدث هذا لفضحه معلمه ليثبت للناس كذبه، ولقال للناس: أنا الذى علمته، فهل قال هذا أحد؟ وهل لديكم أى دليل على ذلك؟ ربما يقول مُحادل: ليس شرطاً أن يكون قد تعلمه من النصارى، فربما تعلمه من اليهود، فنقول له: بفرض أنه كان يوجد بمكة يهود - مع أن هذا مخالف للتاريخ - فلم لم يسب السيدة مريم مثلهم؟ ولم ذمهم في آيات كثيرة؟

إن هذه الشبهة قديمة من أيام الرسول ﷺ فقد اتهمه المشركون بأنه تعلم القرآن من رجل أعجمى من بلاد الروم، فرد الله عليهم بقوله: {وَلَقَدْ تَعَلَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا

يُعَلِّمُهُ بَشَرًا لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ {
[النحل: ١٠٣]} فكيف يُعَلِّمُ الأعجمي العربي؟ هل يصلح أن تأتي برجل أجنبي ليعلمنا اللغة
العربية والفصاحة والبلاغة وهو لا يجيدها، بل يتكلم - كما نقول - كلام مكسر؟ وهل
هذا يقوله عاقل؟ والذين يقولون إن القرآن من تأليف بحيرا الراهب، نسألهم: فلماذا لم
ينسبه بحيرا لنفسه؟ ولماذا لم يواجهه يهود المدينة بهذا الأمر ويفضحونه بين القبائل؟ وهل
كان لبحيرا أن يذكر أسلافه من اليهود بسوء كما ذكرهم القرآن؟، والله أعلم.

س ٢٨- كيف تقولون إن القرآن لكل الناس، وأنه مُعْجَزٌ لهم، مع أن أغلبهم لا
يعرفون اللغة العربية ولا الفصاحة ولا البلاغة؟

ج ٢٨- إن القرآن الكريم نزل على نبي عربي ﷺ في بيعة عربية، فكان لا بد أن يكون
معجزاً لأهل عصره حتى يؤمنوا به، والإعجاز في كل الديانات كان في الجانب الذي
تفوق فيه أهل ذلك العصر، مثل عصا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - واليد
وشق البحر وغيره، لأن قومه كانوا متفوقين في السحر، فجاءهم بما لا يقدرُونَ عليه.
وكذلك سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أرسل إلى قوم جُلُّ تقدمهم
وحضارتهم في الطب، فجاء بما يعجزهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن
الله. وهكذا كل رسول - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كان يأتي بمعجزة حسيّة
من جنس ما تفوق فيه قومه ليؤمن بها من شاهدها، لأن كل رسالة كانت للقوم الذين
أرسل فيهم خاصة، وكانت المعجزة هي التي تؤيد منهج الرسالة، كعصا سيدنا صالح،
وإنجاء سيدنا إبراهيم من النار - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - أما رسالة سيدنا
محمد ﷺ فهي رسالة عالمية، لأنها الرسالة الخاتمة، وهو الرسول الخاتم {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا
أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠] {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبا: ٣٨] فكان لا بد أن يأتي
بمعجزة تصلح لكل زمان ومكان، لأنه لو أتى بمعجزة حسيّة فقط لكان الذي شاهدها هو
الذي يؤمن بها، أما من جاء بعده فلا يلزمه الإيمان بها، فأين عصا موسى، وإبراء عيسى
للأكمه والأبرص، وناقعة صالح؟ إن كل هذه المعجزات أصبحت مجرد أخبار تتناقل عبر
التاريخ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ذكرها في كتابه الكريم لما لزمنا تصديقها. أما سيدنا

حمد ﷺ فمعجزته القرآن، وهو منهجه في آن واحد، فالقرآن ليس معجزاً في الفصاحة والبلاغة فحسب، بل إنه معجز في منهجه الذي لا يضاهيه أى منهج في أى رسالة. ومن مظاهر إعجازه في المنهج على سبيل المثال لا الحصر:

أنه وازن بين الروح والمادة، فاليهود مادّيون يصعب عليهم التصديق بالغيبيات، كما قال الله عنهم: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ إِلَهُ جَهَنَّمَ} [البقرة: ٥٥] {وَجَبَّوْنَا بِنِيِّ إِبْرَاهِيمَ آلَ الْبَخْرِ فَاتُوا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: ١٣٨] وكما صنعوا من الذهب {عِجْلًا جَسَدًا لَهُمُ خُورًا} ليعبده، والنصارى يميلون للتخيلات والروحانيات والغيبيات {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد: ٢٧] أما الإسلام فهو دين الوسطية، فالقرآن يدعو إلى التفكير في خلق الله وحبه وذكره والشوق إلى الجنة والخوف من النار، ويدعو أيضاً إلى عمارة الأرض والسعى لطلب الرزق، والآيات في كلا الأمرين كثيرة ومعلومة.

القرآن حافظ على حياة الإنسان بتحريم الانتحار {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩] وتحريم كل ما هو ضار {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ} [الأعراف: ١٥٧] وتحريم الاعتداء على الناس بغير حق بأى صورة من الصور {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠] وشرع القصاص للحفاظ على الأرواح والأبدان {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ} [البقرة: ١٧٩] وحرّم ظلم الناس مجرد بغضهم {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا} [المائدة: ٢] {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ الْآلَاءِ تَعْدِلُوا} [المائدة: ٨] وحافظ على العقل بتحريم الخمر، ويندرج تحت تحريمه كل مُسكر ومُفتر (كما ورد في سنن أبي داود ومُسند أحمد) وحافظ على الأموال بتشريع قطع يد السارق، وتحريم الربا والميسر والغلول، وغير ذلك من أنواع الكسب المحرم {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} [المائدة: ١٠٠] وأمر بأداء الأمانات إلى أهلها {إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْآمِنَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] لدرجة الاهتمام بكتابة الدين والإشهاد عليه، سواء كان صغيراً أو كبيراً {وَلَا تَسْقُمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجْلِهِ} [البقرة: ٢٨٢] وأمر بإخراج الزكاة للفقراء والمساكين وغيرهم من المحتاجين، وحرّم

شهادة الزور، وأمر بقول الحق ولو على النفس أو الوالدين والأقربين {يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ} [النساء: ١٣٥] وأمر بمكارم الأخلاق {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل: ٩٠] وأمر ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى اليتيم والفقير والمسكين، والجار والصاحب والمملوك، وابن السبيل والأسير {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: ٢٦] {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: ٨] وحرّم الاعتداء على الأعراس بتحريم الزنى وتحريم فعل قوم لوط، ووضع العقاب الرادع لمن يقترفهما، وتشريع الحجاب وغض البصر، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} [الأعراف: ٣٣] لدرجة تحريم ترفيق صوت المرأة على مسمع من غير محارمها {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [الأحزاب: ٣٢] وأمر بالإصلاح بين الناس {لَا حَرَّ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: ١١٤] وأمر باحترامهم، وعدم تتبع عوراتهم، بتحريم السخرية، والهمز واللمز، والتنايز بالألقاب، وسوء الظن والتجسس والغيبة (كما ورد في سورتي الحُجُرَاتِ وَالْهُمَزَةِ) وحافظ على أسرار البيوت بتشريع الاستئذان قبل دخولها {يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا} [النور: ٢٧] وأمر بالاستئذان في الدخول على الأبوين داخل البيوت (سورة النور) وأمر بالعدل بين الناس، وإن كان الحق مع غير المسلم {وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء: ٥٨] (وهناك قصة تُظهر عدل الإسلام وردت في سورة النساء في الآيات من ١٠٥ إلى ١١٣ فليرجع إلى تفسيرها من يشاء) وأمر بحفظ اليهود مع الناس ومع الدول الأخرى، طالما أنها عهود مبنية على غير معصية {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضَحُوا أَلَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} [النحل: ٩١] وتوعّد من ينقض العهود لمجرد أن تكون أمة هي أمة من أمة} [النحل: ٩٢] أى أن تكون أمة أغنى من الأمة التي عاهدناها، أو أكثر منها نفعا {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوْءَ

بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: ٩٤] وحافظ على أرواح المُعَاهِدِينَ من غير المسلمين، وفرض الذمة على المسلم لو قبل المُعَاهِد غير المسلم، ولو كان بغير قصد (راجع تفسير التفسير لقوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ قَدِيمَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ وَتُحْرِمُونَ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ} [النساء: ٩٢]) واهتم بصحة الإنسان، فأمره بالأكل من الطيبات {يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنْهَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا} [البقرة: ١٦٨] وحرم عليه ما يضره كالميتة والدم ولحم الخنزير، واهتم بجميع شئون الحياة الاجتماعية والأسرية من أحكام زواج وطلاق وختلعة ونفقة ومهر ورضاع وميراث.. الخ. ولو تكلمنا عن الإعجاز في النهج لَمَّا انتهينا، ولكن هذا ما تيسر في هذه العجالة.

ثم إن القرآن معجز لجميع الأجيال المتعاقبة إلى أن تقوم الساعة {سَتَرَهُمْ ءَابَتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: ٥٣] وسنذكر إن شاء الله بعضاً من إعجازه على سبيل المثال لا الحصر، فالقرآن الكريم عطائه لا تنتهي:

القرآن مزق حجاب النفس، كما قال عن اليهود: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ أَلْتَبَىٰ كَانُوا عَلَيْهَا} [البقرة: ١٤٢] فهذه الآية نزلت قبل أن يقولوا، وكان من الممكن ألا يقولوها ليكذبوه، وخاصة أنهم حين يقولونها سيعلم الناس من المقصود بالسفهاء، فمثلاً: لو قلت لمجموعة من الناس: سيقول المحرم كذا، فهل سينطق أحد بما قلت؟ بالطبع لا.. لأنه سيُعرف أنه المحرم، وهذا يدل على أن القرآن الكريم منزل من عند رب العالمين الذي قهرهم فلم يستطيعوا كتمان ما في نفوسهم. والقرآن حكم على أبي لهب بأنه لن يؤمن أبداً، فقال: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد: ١-٣] فلو كان القرآن من عند غير الله لقال أبو لهب - ولو على سبيل التحدى - إن محمداً قد قال لكم إنى ساموت كافراً، وها أنا أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.. فهل قالها؟ إنه لم ينطق بما فحسب، بل زاد في عداوته للرسول ﷺ. وآيات أخرى مزقت حجاب النفس، مثل: {وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُ} [المجادلة: ٨] {يَحْذَرُ الْمُتَدِفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} [التوبة: ٦٤] {قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ} [الحجرات: ١٤] {إِذَا جَاءَكَ الْمُتَدِفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ بِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

لرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: ١]

القرآن مزق حجاب الماضي، مثل: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ إِلَهُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} [آل عمران: ٤٤] {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْقَرْنِ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [القصص: ٤٤] {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ} [القصص: ٤٦] {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} [يوسف: ١٠٢]

القرآن مزق حجاب المستقبل، مثل قوله: {غَلَبَتِ الرُّومُ} في أدنى الأرض وهم من بعد غلبتهم سَيَغْلِبُونَ} [الروم: ٢-٣] ما الذي كان يدعو سيدنا محمداً ﷺ للخوض في الكلام عن معركة لم تأت بعد؟ ليس كان من الممكن أن ينهدم الدين بأكمله لو لم تحدث، أو حدثت وكانت النتيجة عكس ما قال؟ إن هذه الآية ليست إعجازاً بتمزيق حجاب المستقبل فحسب، وهو أن تغلب الروم الفرس، ولكن بما إعجازاً آخر أثبتته الأبحاث الحديثة في قوله تعالى: {أَدْنَى الْأَرْضِ} وهو أن أكثر المناطق انخفاضاً على وجه الأرض هي منطقة البحر الميت التي حدثت عندها المعركة، فهي منخفضة عن مستوى سطح البحر بمقدار أربع مائة متر، وكانوا يفهمونها في الماضي على أنها أقرب الأرض إلى مكة المكرمة، وكلا المعنيين صحيح.

القرآن به من الإعجاز العلمي ما لا يتسع المجال لذكره، ويُرجع إليه في مصادره، ولكننا نكتفي بذكر بعضه، وبالله التوفيق:

أثبت العلم أنه لا توجد حياة على أي كوكب غير الأرض لعدم وجود الماء، وهذا ما ذكره الله عز وجل في قوله: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: ٣٠]

أثبت العلم أن الأرض كروية، وقد قال الله عز وجل: {يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} [الزمر: ٥] وقال: {وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا} [ق: ٧] قال العلماء: إن كلمة {مَدَدَتْهَا} تثبت أن الأرض كروية.. كيف؟ إن أي شكل هندسي مُحَسَّم، سواء كان مكعباً أو متوازي مستطيلات أو غير ذلك، لا بد أن تكون له حافة، فلو أن الأرض على أي شكل غير الكروي، لكانت لها حافة تنهاوى بعدها الأجساد.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ٥٦] أثبت العلم الحديث

أن أطراف الأعصاب في الجلد، وبعد اختراق الجلد لا يشعر الإنسان بالألم - وخصوصاً الحرارة والبرودة - والدليل على ذلك أن الذى يأخذ حقنة لا يشعر إلا بألم دخولها في جلده، وكثير من العمليات لا يشعر الإنسان بعدها إلا بألم الخياطة التى تكون في الجلد، ولا أقول: إن الإحساس منعدم فحاشياً في الأعضاء الداخلية، ولكنه أقل بكثير.

قال تعالى: {الَّذِي يَكُ نُطْفَةً مِن مَّيْنِي يُعْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَحَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ لَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} [القيامة: ٣٧-٣٩] وقد أثبت العلم أن الحيوان المنوى هو الذى يحدد جنس الجنين - بإذن الله - ذكراً كان أم أنثى.

القرآن تحدى بخلق الحياة والموت، أما الحياة فهناك آيات كثيرة، منها مثلاً: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِّثْلُ مَا اسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ} [الحج: ٧٣] هل وجد على وجه الأرض إلى الآن من استطاع أن يخلق ذبابة أو ما دونهما؟ أو هل يستطيع أن يسترجع ما سلبته منه الذبابة ولو أخضعها لأحدث التحاليل المجهرية؟ أتدرون لماذا؟ لأن الذبابة قبل أن تمتص أى مادة تفرز عليها لعابها الذى يحولها إلى مادة سكرية، ثم تمتصها فلا يوجد للمادة الأصلية أى أثر.. سبحان الله! أما التحدى بالموت فهناك أيضاً آيات كثيرة، مثل {أَبْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} [النساء: ٧٨] وهذا تحدٍ للعالم أجمع إلى يوم القيامة - مهما بلغت علومه وحضارته - أن يمنع الموت عن أى كائن حى.

أثبت العلم الحديث ما ذكره القرآن الكريم في سورة (المؤمنون) عن خلق الإنسان من {نُطْفَةٍ} وهى ماء الرجل، ثم {عَلَقَةً} وهى البويضة المخصبة التى انقسمت إلى خلايا كثيرة حتى أصبحت على شكل كرة، ثم تعلقت تعلقاً شديداً بجدار الرحم، ثم {مُضْغَةً} وهى قطعة لحمية صغيرة تبدو وكأنها ممضوغة بالأسنان كقطعة اللبان، ثم تكون {عِظْماً} ثم تكسى العظام باللحم (العضلات) وقد اعترف بذلك أشهر أساتذة علم الأجنة، وهو البروفيسور (كيث إل مور) الأستاذ بجامعة توريننو بكندا، في كتابه الذى اشترك فيه مع مجموعة من علماء الأجنة العالميين، ودعا فيه إلى إعادة تقسيم وتسمية مراحل تكوين

الجنين لتكون مطابقة لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأنهما أدق في الوصف وأسهل على طالب العلم من الوصف الحالي، والكتاب اسمه:

(Human development as described in Quran and Sunnah)

أثبت العلم الحديث أن الكون في اتساع مستمر، وهذا يؤيده قول ربنا تبارك وتعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْمٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: ٤٧]؛ وأثبت أن جميع قيعان البحار والمحيطات مُسَجَّرَةٌ بالنيران، فلا الماء يطفى النار ولا النار تبخر الماء، وهذا يؤيده قول الله جل وعلا: {وَالْبَحْرَ آتَسْجُورٍ} [الطور: ٦]

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ۗ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق: ١١-١٢] وقد أثبت العلم أن الكرة الأرضية مغلّفة بغلاف جوى يفصل بينها وبين العالم الخارجى بطبقة (الأوزون) وهذه الطبقة ترجع معظم الأشعة الضارة المنبعثة من الشمس حتى لا تصيب الإنسان، وكذلك فإنها ترجع الأبخرة المتصاعدة من المحيطات والبحار على هيئة مطر، وترجع الموجات الصوتية وغير ذلك من المواد المنبعثة من الأرض، ولولا أن الله جعلها هكذا لتبخرت مياه البحار والمحيطات ولما انتفع بها الإنسان، ولما استطعنا أن نسمع أصواتنا أو نستقبل الموجات الإذاعية والمرئية. كما أثبت العلم أن قيعان البحار والمحيطات بها صدوع وتشققات تتلاحم مع بعضها البعض لتكوّن شبكة من الصدوع حول الكرة الأرضية، وكأنها صدع واحد تفرعت منه الصدوع الأخرى.

وكان من آخر الأبحاث العلمية ما تقدمت به طبية منتقبة، في المؤتمر الثامن للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، والذي أقيم فى دولة الكويت فى الفترة من (٢٣-٢٦) نوفمبر لعام ٢٠٠٦ ميلادية، وهذه الطبقة قد لفت انتباهها قول الله تعالى: {وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَيبَلٍ تَقِيكُمْ الْحَرَّ} [النحل: ٨١] ولاحظت أن الله سبحانه وتعالى قال: {تَقِيكُمْ الْحَرَّ} ولم يقل (تقيكم البرد) فبحثت على شبكة الإنترنت وغيرها من المصادر العلمية، فوجدت أن الأبحاث الأمريكية قد أثبتت أن التعرض للشمس لمدة طويلة له تأثير ضار جداً على جلد الإنسان، فضلاً عما يسببه من ضربات الشمس المعروفة، والتي تتسبب فى موت الآلاف من البشر كل عام، وقد نصحوا الناس المعرضين للشمس لمدة طويلة بتغطية أجسادهم كلها ما عدا الوجه والكفين، وبشرط أن تكون هذه الملابس فضفاضة حتى تقيهم تأثير

الشمس على جلودهم، وحتى الوجه والكفين اقترحوا تغطيتها لمن يعملون في الصحراء، لأنهم أثبتوا أن التعرض للأشعة فوق البنفسجية لمدة طويلة يصيب الجلد بالسرطان (ميلانوما) وأن واحداً من كل خمسة أمريكيين معرض للإصابة بهذا المرض، والله أعلم.

س٢٩- تزعمون أن كتب التوراة والإنجيل مُحَرَّفَةٌ، مع أن القرآن يقرر أنها مزلة من عند الله، فلمَ سمح الله بتحريفها - على حد قولكم - ولم يسمح بتحريف القرآن كما تزعمون؟

ج٢٩- أولاً: إن قولنا عن هذه الكتب إنها محرفة ليس زعماً ولكنه حقيقة، وقد أوردنا بعضاً من الأدلة على تحريفها من الكتاب المقدس في الرد على الشبهة رقم (٤٨) ولا أدل على تحريفها من أنها نسبت ردىء الصفات والأخلاق لله رب العالمين، ولأنبيائه ورسله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

ثانياً: إن الله عز وجل أنزل الكتب السابقة، وأخذ العهد على المؤمنين بحفظها، كما ورد في الآية الكريمة: {بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَاتُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} [المائدة: ٤٤] فنقضوا العهد مع ربهم وحرفوها، فأعقتها كتب أخرى تبين الحق، واستحفظ عليها أيضاً المؤمنون، لكنهم حرفوها، والدليل على ذلك ليس من عندنا فقط، بل من كتابهم المقدس إذ يقول: أما أولاً فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله. فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء. (رسالة بولس إلى رومية ٣: ٢-٣) أما وحى الرب فلا تذكره بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حَرَفْتُمْ كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا. (إرمياء ٢٣: ٣٦) كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً إنه إلى الكذب حوَّها قلم الكتبة الكاذب. (إرمياء ٨: ٨) ويل للذين يتعمقون ليكتبوا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة ويقولون من يبصرنا ومن يعرفنا. يا لتحريفكم. (إشعيا ١٥-١٦) أما القرآن الكريم فلو حُرِّفَ فماذا يأتي بعده ليصحح أخطاءه؟ إنه الكتاب الخاتم ولن يترل الله من بعده كتاباً، ولن يبعث من بعده رسولاً إلى أن تقوم الساعة، فكان لا بد ألا يكِلَ الله حفظه للمخلوقين فيحرفوه كما حرفوا ما قبله، ولكن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظه، لأنه سيكون منهجاً للعالمين إلى يوم الدين {لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} تنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ {فصلت: ٤٢}، والله أعلم.

س ٣٠- لِمَ لم يفسر رسولكم القرآن مع أن من هم أقل منه بكثير يفسرونه؟ ألم يكن محمد أوّلِي بتفسيره من علمائكم؟

ج ٣٠- الرسول ﷺ فسر آيات الأحكام كآيات الصلاة، فلم يذكر الله عز وجل كيفيتها وكم مرة نصلى، وما عدد ركعات كل فرض، فبينها لنا رسول الله ﷺ وكذلك الصيام والزكاة والحج.. إلخ. أما لو فسر كل القرآن فيكون قد قَصَرَه على مفهوم واحد، وَلَحَمَدَ على هذا المعنى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن القرآن عطائه لا تنتهى، وهو صالح لكل العصور، والعلم الحديث أثبت أشياء ذكرها القرآن لو ذكرت على عهد الرسول ﷺ لصدمت العقول ولَمَا فهمها أحد، قال الله عز وجل: {سَتَرْنَاهُمْ} ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [نصحت: ٥٣] {فِي الْآفَاقِ} أى فى أرجاء الكون، مثل قضية انشقاق القمر، فقد ذكر العالم الإسلامى الأستاذ الدكتور (زغلول النجار) أنه كان يلقى محاضرة فى جامعة بريطانيا عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، فقام أحد الحاضرين وسأله عن انشقاق القمر الذى ذكره القرآن، فرد عليه بأنها آية حدثت فى عهد رسول الله ﷺ ونحن مطالبون بالإيمان بها، فقام أحد المسلمين البريطانيين واسمه (داود موسى بيتكوك) الذى يرأس الحزب الإسلامى البريطانى، وقال: إن هذه الآية كانت سبباً فى إسلامه، فقد كان يشاهد برنامجاً على قناة (بى بى سى) يسائل فيها مقدم البرنامج ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين على إنفاق أكثر من مائة ألف مليون دولار لإنزال رجل على سطح القمر، والعالم يُعْج بالفقر والتخلف والمرض، فقالوا إنهم قد اكتشفوا اكتشافاً خطيراً يستحق هذا الإنفاق وأضعافه، وهو أنهم وجدوا منطقة من الصخور المتحولة على هيئة حزام ممتد على سطح القمر، وقد وضعوا أجهزة رصد الزلازل فأعطتهم هذه الصورة: أن هذه الصخور ممتدة من ظاهره لباطنه لظاهره من الناحية الأخرى (أى نافذة فى جسم القمر كله) مما يدل على أنه انشق فى يوم من الأيام ثم التحم، سبحانه الله! {أَقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَأَدْنَيْتِ الْقَمَرَ} [القمر: ١] فالقرآن الكريم به أسرار عجيبة يقرؤه الرجل البسيط فيفهمه على قدر علمه، وقرؤه العالم المتخصص فيفهمه على ضوء الاكتشافات العلمية، مثل الآية الكريمة: {يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} [الزمر: ٥] كانت تُفهمُ فى الماضى على أنها تعاقب الليل والنهار المعروف، أمّا فى

العصر الحديث فقد فهمناها على أن الأرض كروية، ومثل الآية الكريمة: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبا: ٣] كانت الذرة تُفهمُ في الماضي على أنها النملة الصغيرة أو الهباءة (أى الجسم الصغير الذى يبدو فى شعاع الشمس) وبعد تطور العلم فهمها العالم الحديث على أنها الذرة، والأصغر منها هو انشطارها... وهكذا، فالقرآن الكريم بحر من الخير لا ساحل له ولا منتهى لعطائه، والله أعلم.

س ٣١- تقولون إن القرآن نزل من عند الله، ورغم هذا تقولون إن بعض آياته نُسخَتْ وجاءت آيات أخرى بدلاً منها، إن هذا معناه البداء، وهو أن الحكم يتزل وبعد تطبيقه يتضح عدم صلاحيته وقصوره فى مواجهة الواقع فيُغيَّر بحكم آخر، وهذا مُحال على الله، ولماذا لم يُنسخ شرعكم كما نُسخَت الشرائع الأخرى كما تقولون؟

ج ٣١- إن البداء مُحال على الله سبحانه وتعالى، وهو من عقائد الشيعة الباطلة، ومعناه أن الله يأمر بشيء ثم يبدو له شيء آخر أصلح منه فيأمر به، وهذا من صفات البشر التى لا تليق بالله، لأنه سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ولكن تبديل الآيات أو الأحكام بغيرها يسمى (النسخ) والنسخ ليس خاصاً بالقرآن وحده، بل إن بعض أحكام التوراة والإنجيل نُسخَتْ بأحكام أخرى، وسيأتى ذكر بعضها بعد الإجابة على الشبهة إن شاء الله تعالى.

نقول وبالله التوفيق: ليس هناك نسخ فى العقائد، قال رسول الله ﷺ: "خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [صحيح الجامع: ٣٢٧٤] وهذه لا يمكن نسخها، كذلك أخبار يوم القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وقصص الأنبياء.. إلخ، لا تُنسخ لأنها أمور ثابتة لا تتغير. والنسخ معناه الإزالة، وهو أمر ضرورى ومرحلى، فكل زمن له أحكام توافقه، ثم يأتى الزمن الذى يليه فيحتاج لأحكام أخرى، كما يمر الإنسان بمراحل مختلفة من حياته يحتاج فى كل مرحلة إلى ما لا يحتاجه فى المراحل الأخرى، فالطفل غير الشاب غير الكهل.. إلخ. فالله سبحانه وتعالى نسخ شريعة إبراهيم بشريعة موسى، ونسخ بعض شريعة موسى بشريعة عيسى، ونسخ شريعة عيسى بشريعة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين. والنسخ لا يكون إلا في التكاليف.. إفعل ولا تفعل، أشياء تُحَلَّل وأخرى تُحَرَّم، أشياء تزيد وأخرى تنقص {مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِثْلَهَا} [البقرة: ١٠٦] والناس تحكّمها عادات وتقاليد وبيئات، واجتمع المشرك كان يَبْنِي بالأمراض، ولتغيير تلك العادات ومعالجة تلك الأمراض كان لابد من التدرج في التشريع، كالذي يأخذ الدواء على جرعات، ولو أخذه كله مرة واحدة لمات، وكذلك فإنه من حين لآخر يُغَيَّرُ له نوع العلاج ليناسب ما جَدَّ من أحواله. فمثلاً: تحريم الخمر جاء على مراحل متعددة، فقد كانوا يشربون الخمر شُرْبه للماء، وكانت لهم فيها أشعار، فلو حُرِّمَتْ عليهم فجأة لكان هذا صعباً على نفوسهم، فمن المعلوم لدى الأطباء أن المدمن لشيء يصعب عليه أن يفارقه فجأة، لأن هذا يصيبه باضطرابات عصبية ونفسية، فلا بد له من التدرج في تركه، أمّا الأجيال التي جاءت بعدهم فليس لهم تدرج في هذا الأمر لأن أسلافهم منعوها فلم تبق في خلفهم. ومن جهة أخرى فإن تحريمها فجأة كان سيضر باقتصادهم، وتحيلوا لو أن جميع محلات بيع الخمر أُغْلِقَتْ فجأة.. فمن أين يرتزق أصحابها؟ أما تحريمها بالتدريج فقد جعل الإقبال عليها يقل بالتدريج، حتى يتسنى للمتاجر فيها أن يبحثوا عن مصادر أخرى ليرتزقوا منها. وكذلك آيات الصبر على أذى الكفار كانت في أول البعثة، حيث المؤمنون قلة مستضعفة لا تستطيع المواجهة، أما بعد أن قويت شوكتهم، وأصبحت لهم دولة، أذن الله لهم في القتال {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا} وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصَرُّفِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج: ٣٩-٤٠] ولو ظلت آيات الصلح والعفو عن المشركين لم تنسخ، لأجهض الإسلام، ولوئذت دولته منذ نشأتها، فلا بد للحق من قوة تحميه، قال الله عز وجل: {وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُدًى مِّنْ صَوْبِغٍ وَبِغٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج: ٤٠] ومن الآيات التي نُسخَتْ حكماً وبقية تلاوة، قوله تعالى: {وَالَّذَانِ يَأْتِيهَا مِنكُم فَأَذُوهُمَا} [النساء: ١٦] و{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ} [النساء: ٤٣] وآيات أخرى نُسخَتْ تلاوة وبقية حكماً، مثل {الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة} أي المحصنون إذا زنوا فلا بد أن يُرجموا، وهذه الآيات التي نُسخَتْ تلاوة وبقية حكماً هي التي نُسِيَتْ، أي في قوله تعالى {أَوْ نُسِيَهَا} وليس كل ما نُسخَ نعلم حكمته، ولكننا نسلّم بأن الله سبحانه وتعالى له الحكمة التامة في ذلك وغيره،

فهو سبحانه يفعل ما يشاء {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ} [الحج: ١٨] قد يقول قائل {يُخْتَرِ مِيثَاقًا} مقبولة ولكن ما فائدة {مِثْلِهَا}؟ فنقول وبالله التوفيق: إن هذا مثل آية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة {قَدْ تَرَى ثَلْبًا وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُوَلِّيَنكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا} قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ {البقرة: ١٤٤} فالعبرة ليست بالاتجاه يمينا أو يسارا {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} فَأَيَّمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهَ اللَّهِ {البقرة: ١١٥} ولكن العبرة هي تعظيم أمر الله جل وعلا، مثل سجود الملائكة لآدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فليس هذا تعظيماً لآدم، ولكنه تعظيماً لأمر الأمر، وهو الله جل وعلا. وتحويل القبلة كان اختباراً إيمانياً {وَمَا جَعَلْنَا آلِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا قِبْلَةً أَلَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ الْإِسْلَامُ إِلَّا لِقَوْلِ رَبِّنَا لَسُنْئِلُكَ بِمَنْزِلٍ وَمَا جَعَلْنَا إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} {البقرة: ١٤٣} فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو قال أب لابنه: قم من على هذا الكرسي واجلس على الآخر، فالوضعان بالنسبة للابن سواء، ولكن الأب يريد أن يختبر طاعة ابنه له، وانقياده لأوامره.

أما لماذا لم يُنسخْ شرعنا؟ لأنه في علم الله القلم أن هذا الشرع الأخير يصلح لجميع الأجيال المتعاقبة إلى يوم القيامة، ولن تأتي أحوال تستدعي تشريعاً آخر، وكان البشرية قد بلغت سن الرشد، كما يُكَلَّفُ أحدنا حين يبلغ سن الرشد، ولا تتغير عليه الأحكام بعد ذلك. قد يقول قائل: قد جَدَّتْ على البشرية أحوال كثيرة غير التي كانت على أيام الرسول ﷺ، ونقول له: إنها تقاس على أحكام أخرى مشاهمة لها، والفقهاء - بارك الله فيهم - عندهم الإجابة على كل سؤال، فعلى سبيل المثال: شرب الدخان يُحَكَّمُ عليه بحديث الرسول ﷺ: "لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ" [مسند أحمد وسنن ابن ماجه، صحيح الجامع: ٧٥١٧] والحشيش والبانجو والأفيون وغيرها يحكم عليها بحكم الخمر، لأن الخمر تُخَمِّرُ العقل.. أى تغطيه، وقد سُمِّيَ الخَمَارُ خَمَاراً لأنه يغطي الرأس. التلُفَاز والطبِق (الدُّش) والحاسب الآلى والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) يُحَكَّمُ عليها بما قيل في الشعر: إن حلاله حلال وحرامه حرام، ويحكم عليها أيضاً بالآية الكريمة: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ} [المائدة: ٢] وأشياء أخرى كثيرة يُحَكَّمُ عليها بما يناسبها.

والآن نذكر لكم بعض ما نُسخَ من الكتاب المقدس:

وتأكل كعكاً من الشعير. على الخُرء الذى يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم.

وقال الرب. هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردتهم إليهم. فقلت آه يا سيد الرب ها نفسى لم تتنجس ومن صباى إلى الآن لم أكل مية أو فريسة ولا دخل فمى لحم نجس. فقال لى انظر. قد جعلت لك خشى البقر بدل خُرء الإنسان فتصنع خبزك عليه. (حزقيال ٤: ١٢-١٥) فى هذا النص يزعمون أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه (حزقيال) بعمل الكعك على خُرء الإنسان (أى برازه) فلما اعترض خفف عنه وأمره أن يخبزه على خشى البقر.

يقولون إن الله أمر نبيه (إيليا) أن يدمر ملك إسرائيل (أخآب) وأن يترك دمه لتلحسه الكلاب، فلما علم أخآب تاب، فعفا عنه وجعل العقوبة على ابنه، ورغم ذلك قتل ولحست الكلاب دمه، وكان الله سبحانه وتعالى قد رجح فى كلامه، وها هو ملخص قصته: فكان كلام الرب إلى إيليا التشي قائلًا قم انزل للقاء أخآب ملك إسرائيل... هكذا قال الرب. فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً... هأنذا أجلبُ عليك شرًا وأبيدُ نسلك... من مات لأخآب فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء... ولما سمع أخآب هذا الكلام شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت. فكان كلام الرب إلى إيليا التشي قائلًا هل رأيت كيف اتضع أخآب أمامى. فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلبُ الشر فى أيامه بل فى أيام ابنه أجلبُ الشر على بيته (الملوك الأول ٢١: ١٧-٣٩) أما قصة قتله فى الإصحاح الذى بعده، وها هى نهايتها: وإن رجلاً نزع فى قوسه غير متعمد وضرب ملك إسرائيل... وأوقف الملك فى مركبته مقابل أرام ومات عند المساء وجرى دم الجرح إلى حوض المركبة... وغسلت المركبة فى بركة السامرة فلحست الكلاب دمه... فاضطجع أخاب مع آبائه وملك أخزيا ابنه عوضاً عنه (الملوك الأول ٢٢: ٣٤-٤٠) ومعنى (فاضطجع أخآب مع آبائه) أى دفن معهم.

فى النص التالى يأمر الرب بإهلاك أورشليم، ثم يندم (بزعمهم) ويأمر الملك بالكف عن إهلاكها: وأرسل الله ملاكاً على أورشليم لإهلاكها وفيما هو يهلكك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى الآن رُدْ يدك. (أخبار الأيام الأول ٢١: ١٥)

نسخ العهد الجديد بعض أحكام العهد القديم مثل الضلاق، فقد كان مباحاً للرجل أن

يطلق امرأته، وكان مباحاً لها أن تتزوج بعد طلاقها، بدليل قوله: إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومضى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست. (تثنية ٢٤: ١-٤) ثم جاء العهد الجديد فحرم الطلاق إلا بسبب الزنى، وحرم زواج المطلقة، وحكم عليه بأنه زنى، فقال: وقيل من طلق امرأته فليعطاها كتاب طلاق. وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلّة الزنى يجعلها تزنى. ومن يتزوج مطلقاً فإنه يزنى (متى ٥: ٣١-٣٢) قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق. قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى. والذي يتزوج بمطلقة يزنى. (متى ١٩: ٧-٩) نلاحظ أن النص الأخير أقرّ بالنسخ مرتين، مرة في شريعة موسى، ومرة في شريعة عيسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - لأنهم لما سألوه وقالوا له إن موسى أحل الطلاق، رد عليهم بأن موسى فعل ذلك لأجل قساوة قلوبهم (ولكن من البدء لم يكن هكذا)

حرم العهد القديم أشياء كثيرة جداً واعتبرها نجسة، منها أنواع كثيرة في (سفر اللاويين، الإصحاح ١١) وبعضها قد ذكّر في الرد على الشبهة رقم (٦٠) ثم جاء العهد الجديد فأحلها، بدليل قوله: إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس. (رسالة بولس إلى رومية ١٤: ١٤) كل شيء طاهر للظاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم (رسالة بولس إلى تيطس ١: ١٥) كل الأشياء طاهرة لكنه شر للإنسان الذي يأكل بعثرة. (الرسالة إلى رومية ١٤: ٢٠)

كان تعظيم السبت حكماً أدياً في العهد القديم، لدرجة أن من عمل فيه أدنى عمل يُقتل: وكلم الرب موسى قائلاً. وأنت تكلمت بنى إسرائيل قائلاً سبوتى تحفظونها. لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم لتعلموا أني أنا الرب الذي يقديسكم. فتحفظون السبت

لأنه مقدس لكم. من دُكِّسَه يُقتل قتلاً. إن كل من صنع فيه عملاً تُقطع تلك النفس من بين شعبها. ستة أيام يُصنع عمل. وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب. كل من صنع عملاً في يوم السبت يُقتل قتلاً. فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً. هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد. لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس. (خروج ٣١: ١٢-١٧) ثم جاء المسيح - عليه السلام - فنقض السبت، ولذلك أراد اليهود أن يقتلوه: ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سبت. فأجابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه. لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله (يوحنا: ١٦-١٨) فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت. (يوحنا: ٩: ١٦)

كان الختان حكماً أبدياً لليهود، فيقول العهد القديم: وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي (تكوين ١٧: ٩-١٤) واستمر فيهم هذا الأمر إلى أن اختتن المسيح عليه السلام نفسه: ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سُمِّي يسوع (لوقا: ٢٤: ٢١) ثم جاء بولس بعد ذلك فنسخ الختان بقوله: ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً. لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس. قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تبررون بالناموس. سقطتم من النعمة. فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر. لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالحب. (رسالة بولس إلى غلاطية: ٥: ٢-٦) غير أنه كما قسم الله لكل واحد كما دعا الرب كل واحد هكذا

ليسلك وهكذا أنا أمر في جميع الكنائس. دُعِيَ أحد وهو محتون فلا يَصِرْ أغلف. دُعِيَ أحد في الغرلة فلا يَحْتَن. ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٧: ١٧-١٩) إن كلمة (دُعِيَ أحد في الغرلة فلا يَحْتَن) مفهومة، ولكن كيف نفهم (دُعِيَ أحد وهو محتون فلا يَصِرْ أغلف)؟

نسخ جميع أحكام التوراة إلا أربعة: لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون. وكونوا معافين (أعمال الرسل ١٥: ٢٨-٢٩) ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن جميع أحكام التوراة تم نسخها، يقول بولس: مع المسيح صُلِبَتْ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في. فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي. لست أبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس بر فالنموس إذا مات بلا سبب (رسالة بولس إلى غلاطية ٢: ٢٠-٢١) لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به. ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا. ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها. المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا (رسالة بولس إلى غلاطية ٣: ٩-١٣) إن معنى كلام (بولس) في الفقرة الأولى أن الناموس (أى شريعة سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام) إن كان له بر (أى إن كان سبباً في البر) فيكون المسيح قد صُلِبَ بغير فائدة، أى أن صُلِبَ لم يُعَدَّ عليهم بفائدة في تخفيف أحكام الناموس عليهم. ومعنى كلامه في الفقرة الثانية أن المسيح (بزعمهم) صُلِبَ وجُعِلَ لعنة ليخلصهم من لعنة الناموس، لأنه بالإيمان يصبح الإنسان باراً لا بالناموس. وهنا يتضح الفرق بيننا وبينهم، فهم يزعمون أن بالإيمان وحده ينجو الإنسان، بل إنهم وصفوا الشريعة (الناموس) بأنها لعنة، أما نحن فلا نقول إن الإيمان وحده يكفي، بل لابد أن يقترن بالعمل الصالح: وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع. ومن يرجع إلى الكتاب المقدس فسيجد أشياء أخرى كثيرة نُسخَتْ غير التي ذكرناها، ومنها على سبيل المثال ما جاء في (إنجيل متى، الإصحاح ٥) من تكرار قول المسيح - عليه

السلام - قد سمعتم إنه قيل كذا وأنا أقول كذا، والله أعلم.

س ٣٢- لماذا لم يُدَوَّن القرآن في مصحف واحد في عهد نبيكم، أو حتى يُجمع بين لوحين؟

ج ٣٢- لم يجمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ في مصحف واحد لعدة اعتبارات، أهمها:

(١) احتمال نزول آيات ناسخة لآيات سابقة.

(٢) استمرار نزول الوحي على رسول الله ﷺ ولا يعرف أين ستوضع الآيات الجديدة.

(٣) كان القرآن في صدر النبي ﷺ وفي صدور كتبة الوحي، وفي صدور كثير من الصحابة ﷺ، ومع ذلك كان القرآن مكتوباً على الرقاع والأكتاف واللحاف والعنقب، وكان كله مجموعاً في بيت رسول الله ﷺ.

ونقول للسائل: إن التوراة والإنجيل لم تتم كتابتهما في عهد رسوليها على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، فقد جاء في (ص ٣) من (الكتاب المقدس طبعة لبنان سنة ١٩٩٣) ما نصه: كانت أول لائحة وُضِعَتْ في سبيل قانونية العهد القديم وأسفاره تضم أسفار الشريعة الخمسة في أيام عزرا حوالي ٤٠٠ ق.م ثم زاد المعلمون الأسفار النبوية من يشوع والقضاة حتى إشعياء وإرمياء وحوالي سنة ٩٠ ق.م التقى معلمو الشريعة اليهود من مختلف البلدان في بلدة (بمينة) الواقعة في (فلسطين) وثبتوا لائحة نهائية وكاملة للأسفار... إلخ.

إن معنى هذا الكلام أن أسفار (العهد القديم) الموجودة الآن لم تكن موجودة بكاملها عند أول كتابتها، كما أن أول كتابة لها كانت سنة (٤٠٠ ق.م) أي بعد موت سيدنا موسى بمئات السنين، والدليل على ذلك أنها ذكرت عهد الملوك فقالت: وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكُ لَبْنِي إِسْرَائِيل. (تكوين ٣٦: ٣١) وعهد الملوك في بني إسرائيل بدأ بعد موت سيدنا موسى بأربعة قرون. والدليل الأقوى على أن التوراة لم تُكتب في زمن سيدنا موسى إنما تحدثت عن موته، فمن كتبها إذن بعده؟

فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء

في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكَلْ عينه ولا ذهب نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً. فكملت أيام بكاء مناة موسى (تثنية ٣٤: ٥-٨)

كما أن الإنجيل (العهد الجديد) لم تتم كتابته هو أيضاً في عهد المسيح عليه السلام، والدليل على ذلك وجود أربعة أناجيل مختلفة ليس فيها (إنجيل المسيح) وكلها تذكره بصيغة الغائب، مثل: ذهب.. جاء.. قال... إلخ، ولم يتم الاتفاق على كونها مقدسة - هي وبقية رسائل الكتاب المقدس - إلا في القرن الرابع، وبالتحديد في عام ٣٢٥ بإقرار من (مجمع نيقية)، والله أعلم.

س٣٣- إن جمع القرآن في خلافة أبي بكر لم يكن منضبطاً ولا موثوقاً فيه نظراً لموت كثير من الحفظة، وهذا هو الجمع الأول الذي عليه الاعتماد.

ج٣٣- إن الجمع في خلافة أبي بكر كان بناءً على اقتراح من عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - بعد أن استحر القتل في حفظة القرآن الكريم، خصوصاً بعد معركة اليمامة (حرب الردة) التي قُتِلَ فيها سبعون حافظاً لكتاب الله، فخاف عمر على القرآن وأشار على أبي بكر بأن يجمعه في مصحف واحد، ورفض أبو بكر في أول الأمر واعتبره بدعة، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولكن تحت إلحاح عمر، وبعد مشاورات تم اختيار الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ لهذا الأمر الصعب، ورغم أنه كان من الحفظة المهرة إلا أنه قال: والله لو كلفوني بنقل جبل لكان أهون عليّ من جمع القرآن. وكان زيد معروفاً بأنه قد حضر العرضة الأخيرة للقرآن سماعاً من فم الرسول ﷺ، بالإضافة إلى ورعه وتقواه، فتم جمع القرآن في عهد أبي بكر في مصحف واحد، وقد نال جمعة استحسان ورضاً لجميع الصحابة ﷺ حتى قيل: إن أعظم الناس أجراً في المصاحف هو أبو بكر، لأنه أول من جمعه بين لوحين.

كيفية جمع القرآن في عهد أبي بكر:

(١) تم جمع كل الوثائق الخطية التي كتبت في عهد رسول الله ﷺ من فمه الشريف من

كتاب الوحى.

(٢) إحضار كل الحفظة المهرة بالقرآن الذين حضروا العرضة الأخيرة، وكانوا سبعة،

خصوصاً زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأبي بن كعب، تحت إمرة زيد بن ثابت (رضي الله عنهم أجمعين) (٣) لم تكتب آية من آيات القرآن إلا إذا كانت مدونة في الرقاع، أو سعف النخيل، أو الأكتاف، على عهد رسول الله ﷺ، ويشهد لها جمع من الحفظة، وأقل الجمع رجلان من الحفظة، ولا تقبل شهادة الرجل الواحد مع أن التدوين يويده، إلا آية واحدة لم يجدوا لها إلا شاهداً واحداً هو خزيمة بن ثابت ؓ وقد قبلوا شهادته وحده لأن الرسول ﷺ قال عنه: "من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه" [المعجم الكبير للطبراني] "فحسبه" أي يكفيه، والله أعلم.

س ٣٤- إن جمع القرآن في عهد عثمان حذف منه أشياء كثيرة من صلب القرآن، بدليل أنه أحرق كثيراً من المصاحف المخالفة له.

ج ٣٤- أحرق عثمان ؓ المصاحف المخالفة لمصحفه لعدة أسباب:

(١) كان بها بعض العبارات التفسيرية، سواء في آخر الآية أو فوقها أو تحتها، مما قد يُظن بعد ذلك أنها من القرآن، وهي في الحقيقة تفسيرات، وهذه العبارات التفسيرية لم تكن واحدة، ولكن اختلفت باختلاف الكتاب.

(٢) كان بهذه المصاحف قراءات غير صحيحة، وآيات نسخت تلاوة وما زالت عندهم في هذه المصاحف.

(٣) الطريقة التي كتبت بها المصاحف لا تحمل وجود الألسن السبعة، بل أكثرها كان يعبر عن لسان واحد لقبيلة واحدة.

(٤) اختلاف الطرق الإملائية في هذه المصاحف، وهذا ما تداركه عثمان، فوحد الخط على يد رجل واحد هو سعيد بن العاص ؓ حتى تصبح النسخ كلها بخط واحد كأنها نسخ ضوئية لمصحف واحد، وهو المعروف بمصحف عثمان.

والأهم من هذا كله أن أصحاب المصاحف مثل أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعلى بن أبي طالب لم يعترض منهم أحد، وأجمعوا على صحة ما فعله عثمان، وتمت عملية الإحراق أمام الكبراء من أصحاب النبي ﷺ حتى لما حدثت الفتنة بعد مقتل عثمان، وقال بعض الروافض إنه حرق المصاحف، قال لهم على بن أبي طالب: اتقوا الله أيها

الناس، والله ما فعل عثمان ذلك إلا بمشورتنا وحضورنا وموافقتنا جميعاً لم يَشِدَّ منا أحد. كيفية جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ (وقد كان من المهرة بالقرآن، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة):

فزع حذيفة بن اليمان ﷺ حينما رأى اختلاف الناس وتعصبهم لبعض القراءات، إلى حد الافتخار بقراءة على أخرى، ونظراً لفتوح بعض البلدان الأعجمية بدأت تظهر قراءات مليئة بالأخطاء لدخول السنة غير عربية على قراءة القرآن، فظهر كثير من اللحن في قراءته، فتوجه إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان أن يدرك الأمة قبل أن تضع لغة القرآن بين الناس، وتحدث فرقة كفرقة أهل الكتاب على كتابهم، فتم اختيار نخبة من أصحاب رسول الله ﷺ لجمع القرآن في مصحف واحد تجتمع الناس عليه، ويحمل في الوقت نفسه صلاحية الأحرف السبعة التي نزل بها. والمعلوم أن الأحرف السبعة غير القراءات السبعة، وكانت النخبة التي كوَّنها عثمان من الحفظة المهرة الذين حضروا العرضة الأخيرة على رسول الله ﷺ وتلوها عليه، وأقرهم عليها، ومن هؤلاء الحفظة زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم أجمعين. وقد كان هؤلاء من كتبة الوحى، وكانوا حافظين للقرآن بالسمع المباشر من فم الرسول ﷺ، وكان زيد بن ثابت له السبق في خلافة أبي بكر الصديق في الجمع الأول للقرآن، وكانت النسخة الأولى المعروفة بالبكرية (نسبة لأبي بكر) في بيت أم المؤمنين حفصة - رضى الله عنها - بعدما تركها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان قد أخذها بعد موت أبي بكر بعد الجمع الأول الذى تمت الإشارة إليه، فاستأذن عثمان ﷺ في أخذ هذه النسخة باعتبارها العمدة في القراءات والأصيلة، لأنها كتبت من فم الرسول ﷺ، ثم أعادها إليها بعد أن نسخ المصاحف التي أرسل بها إلى الأمصار الإسلامية، وتم نسخ القرآن بطريقة تحفظ الألسن السبعة، والتي عُرفت بالرسم العثماني، وكانت بخط الصحابي الجليل سعيد بن العاص ﷺ وكانت حوالى ثمانى نسخ، احتفظ عثمان لنفسه بنسخة، وأرسل الباقي إلى الأمصار الإسلامية، وكان عملاً فخيماً عظيماً نال إعجاب كل الصحابة، وكان هذا في العام الخامس والعشرين من الهجرة، وكان جمع أبي بكر في عام ١٢ هجرية بعد حروب الردة، وكانت النسخة العثمانية من الدقة بمكان، حتى إن أحد المؤرخين

المستشرقين واسمه (موير) قال: إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد إلى يد حتى وصل إلينا الآن دون أى تحريف. وللآن القرآن الموجود فى كل الدنيا هو قرآن واحد، والواقع يؤيد صدق الآية الكريمة: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩]، والله أعلم.

س٣٥- إن القرآن قد ملئ بالإضافات التى لم تكن فى مصحف عثمان، وقد تم ذلك بعد موته.

ج٣٥- إن الإضافات التى يزعم أعداء الإسلام أنها أضيفت لمصحف عثمان ﷺ هى النقط والضبط وعلامات الوقف، ثم إنها:

أولاً: لا تمس رسم الكلمة من قريب أو بعيد، ولا تغير من هيكل الرسم العثماني للكلمات، بل هى إضافات خارجة عن أصل الكلمة.

ثانياً: إن هذه الإضافات المزعومة عبارة عن علامات لخدمة النص القرآني، وهى وسائل إيضاح اصطلاحية متفق عليها تعين قارئ القرآن على تلاوة متقنة، وليست منزلة من عند الله، ولو جرّد المصحف منها ما نقص كلام الله شيئاً، وقد كان كتاب الله قبل إدخال هذه العلامات هو كتاب الله، فهى إذن ليست إضافة أو تبديلاً أو تحريفاً أدخل على كتاب الله فأضاع معناه.

فالنقط مثلاً: هو وضع النقط فوق الحروف أو تحتها مثل النون والباء والتاء والياء.

أما الضبط فهو وضع الحركات الأربع: الضمة والفتحة والكسرة والسكون حسب النطق الصوتي للكلمة، حسبما تقتضيه قواعد النحو.

أما علامات الوقف: فهى كالنقط والضبط توضع فوق نهاية الكلمة التى يجوز الوقف عليها، أو وصلها بما بعدها.

وقبل إضافة النقط إلى الحروف أو الضبط أو الوقف كان السماع يقوم مقامها، لأن الحفظ لم يكونوا فى حاجة إلى هذه الوسائل، أما غير الحفاظ - وهم الأكثرية من المسلمين - ففى حاجة ماسة إلى هذه الإضافات، وإن هذا الضبط والتنقيط والتوقيف تم فى عهد جماعة من كبار التابعين، وأول من نطق المصحف أبو الأسود الدؤلى، وناصر بن عاصم الليثى، ويحيى بن يعمر، والخليل بن أحمد. وكان هذا العمل العظيم من السنن

الحسنة التي أجازها كبار التابعين، لأن فيه تيسيراً على قُرَاء كتاب الله، والله أعلم.
س٣٦- كيف تقطعون بصحة نقل القرآن، مع أن الذين كانوا يحفظونه كله حوالى
سبعة من الصحابة؟

ج٣٦- كان القرآن في صدر النبي ﷺ وكان مدوناً - كما قلنا - في الرقاع
والأكتاف والعصب، وكانت حظوظ أصحاب النبي ﷺ من القرآن متفاوتة، فمنهم من
يحفظ أوله، ومنهم من يحفظ وسطه، ومنهم من يحفظ آخره، وبذلك يكون القرآن كله
مع الصحابة ﷺ، وقد كان هناك حفظة آخرون غير السبعة الذين يتحدثون عنهم، أما
هؤلاء السبعة فقد عرضوه على الرسول ﷺ فأقرهم عليه قبل موته، ثم جاءت الجمعة
البيكرية، ثم الجمعة العثمانية التي أقرها وأجمع عليها كل أصحاب النبي ﷺ.

ونقول للسائل: هل تضمن صحة نقل ما جاء في كتابك المقدس؟ فإن قلت: (نعم)
سألناك وماذا يعنى قول (لوقا) في أول إنجيله: إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في
الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء مُعانيين وخُدّاماً للكلمة
رأيتُ أنا أيضاً إذ قد تتبعْتُ كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك
أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به (لوقا: ١: ١-٤)؟ إن معنى كلام
(لوقا) أنه كان هناك كثيرون قبله ألفوا قصصاً من عندهم، ونسبوا (للكلمة) أى الوحي
الأصلى وهو الإنجيل، فأين صحة النقل إذن؟

كما أن بولس الرسول يقول: إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى
دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم
ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. (الرسالة إلى غلاطية: ١: ٦-٨) إن بولس يُقرُّ بأن هناك ما
يُسمى بإنجيل المسيح، فأين هذا الإنجيل؟، والله أعلم.

س٣٧- تقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف، ومرة تقولون إن عندكم سبع
قراءات، ومرة تقولون إن هناك قراءات شاذة غير السبعة.

ج٣٧- إن القراءات السبع ليس المقصود بها الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، كما
قال رسول الله ﷺ: "أمرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة أحرفٍ كُلُّها شافٍ كافٍ" [صحيح
الجامع: ١٣٧٤] وهذا من تيسير الله عز وجل على أمة الإسلام، لأن قبائل الحجاز العربية لها

لهجات مختلفة، مثل القُرَشِيَّة، والتميميَّة، والهزليَّة، والثقيفيَّة، والغفاريَّة، والأسديَّة، وغيرها، فمثلاً: قوله تعالى: {وَأَنْظُرْ إِلَىٰ آلِ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا} [البقرة: ٢٥٩] فقد صحت قراءة أخرى متواترة {ننشرها} وقوله تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلاً} قرأها أنس رضي الله عنه {وأصوب قِيلاً} فقال له البعض: يا أبا حمزة إنما هي {وَأَقْوَمُ} فقال: أقوم وأصوب وأهياً واحداً. أما القراءات السبع قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل. وقال مكى بن أبي طالب: هذه القراءات التي يُقرأ بها اليوم وصحَّت روايتها عن الأئمة هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

ومن حكمة تعدد القراءات التعرف من خلالها على حكم الصحيح، وحسم مادة الخلاف عند التعارض في أقوال الفقهاء، أو ترجيح بعضها على بعض، فإن الفقيه يلجأ في تصويب رأيه إلى وجوه القراءات، لعلمه أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ولقد وضع العلماء الأقدمون ضوابط محكمة للقراءات الصحيحة التي هي وحى من عند الله، وتلك الضوابط هي:

- ١) صحة السند الذي يؤكد سماع القراءة من رسول الله ﷺ.
 - ٢) موافقة القراءة لرسم المصحف العثماني الذي أجمعت عليه الأمة.
 - ٣) أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه تراكيب اللغة العربية.
 - ٤) أن يكون معنى القراءة غير خارج عن قيم الإسلام ومقاصده الأصول والفروع.
- وعملاً بهذه الضوابط تميزت القراءات الصحيحة من القراءات غير الصحيحة، أو ما يسمى بالقراءات الشاذة. فإن سأل سائل فقال: فما الذي يُقبل من القرآن فيقرأ به؟ وما الذي يُقبل ولا يُقرأ به؟ فالجواب: أن جميع ما رُوِيَ في القرآن على ثلاثة أقسام:
- القسم الأول: قسم يُقرأ به اليوم، وهو ما اجتمعت فيه الشروط الأربعة المتقدمة.
- القسم الثاني: ما صحَّ نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، هذا يقبل ولا يُقرأ به.
- القسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف، والله أعلم.

س٣٨- لماذا تعددت المصاحف في عهد عثمان حتى وصلت إلى سبعة في الأقطار

الإسلامية؟

ج٣٨- إن هذه المصاحف السبعة هي نسخ لم تعدد، وهي تشبه الآن التصوير الضوئي، لأنها كانت بخط رجل واحد هو سعيد بن العاص رضي الله عنه، وهذا المصحف هو المعروف بمصحف عثمان.

وقد ذكرنا في الشبهة رقم (٣٢) أن الأناجيل الأربع الموجودة الآن تم الاتفاق على أنها مقدسة في عام (٣٢٥) بعد ميلاد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في مجمع نيقية، وقد تم اختيار هذه الأناجيل حين ذاك من بين أكثر من سبعين إنجيل، ولم يتم ذلك الاختيار وفق منهج علمي تم على أساسه قبول ما قبل ورد ما رد، وإنما كان الضابط في ذلك ما ظنه رعاة المجمع من عدم معارضة تلك الأناجيل لما تبثوه من القول بالوهية المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وأنه ابن الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وبالطبع فلم يكن هذا القول ليحظى بموافقة كل المؤمنين، فقد عارضه جمع عظيم منهم، إلا أن قوة سيف الرومان حسمت الخلاف لصالح من ذهب إلى القول بالوهية المسيح عليه السلام، وجعلت من المخالفين مبتدعة ومهرطقين، علماً بأنهم الأكثرية، وفيهم عدد من الموحدين الذين نادوا بوحداية الله لا شريك له، وأن المسيح - عليه السلام - عبد الله ورسوله. وهكذا قضت قوة الرومان على هؤلاء المخالفين - وخاصة الموحدين منهم - بالملاحقة والتشريد والتعذيب، فلم ينتشر مذهبهم، بل اضمحل مع مرور الوقت حتى أضحى اليوم - فيما يظهر - من غير أتباع، والله أعلم.

س٣٩- إن الشيعة يقولون إن عثمان حذف من القرآن شيئاً يتعلق بعلي بن أبي طالب، وبعضهم يذكر سورة باسم (سورة النورين) كانت مما نزل وحذفها عثمان عند جمع المصحف، وهذا يعتبر تعديلاً في النصوص الموحى بها، فكيف تقولون إن القرآن لم يمس وأنه متطابق في المصاحف كلها؟

ج٣٩- إن الذين قالوا ذلك ليسوا من الشيعة، بل من الدخلاء على التشيع، ولا وجود لهم الآن في العالم كله، فقد انقرضوا، ومما يدفع هذه الفرية عن عثمان رضي الله عنه أن التشيع في خلافته كان شيئاً لا يُذكر، وكان علي يد (عبد الله بن سبأ) اليهودي الحاقد على

الإسلام. أما التشيع فلم يظهر إلا بعد حادثة التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - رضی الله عنهما - ومعنى هذا أن غمط حق علي بن أبي طالب لم يكن له وجود في عهد عثمان، فما الذي كان يحمل عثمان على غمط حقه؟ ولنفترض أن ذلك قد حدث.. فهل من المتصور أن حفاظ القرآن من الصحابة كانوا سيتدبرونه يعيث بكتاب الله؟ وقد قلنا قبل ذلك إن علياً قد أثنى على ما قام به عثمان من جمع القرآن، وكذلك كل الصحابة في خلافة عثمان، وإلى يومنا هذا فإن المصحف المتداول في العالم الإسلامي كله - بما فيه فرق الشيعة - هو المصحف العثماني.

واسمع إلى رأى الشيعة الإمامية - وهم أهم فرق الشيعة - كما ورد في كتاب أبي جعفر (الأم): (إن اعتقادنا في جملة القرآن الذى أوحى الله تعالى به إلى نبيه محمد ﷺ هو كل ما تحويه دفننا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر، وعدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو ١١٤ سورة، أما عندنا نحن الشيعة فسورتا الضحى والشرح تَكُونان سورة واحدة، وكذلك سورتا الفيل وقريش، وأيضاً سورتا الأنفال والتوبة، أما ما ينسب إلينا من أن القرآن أكثر من ذلك فهو كاذب) فماذا يقول خصوم القرآن بعد هذا البيان؟ وماذا يقولون عن كتابهم المقدس الذى قال:

كما أمر موسى عبدُ الربِّ بنى إسرائيل. كما هو مكتوب في سفر توراة موسى. (يشوع ٨: ٣١) فتشددوا جداً لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب في سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يميناَ أو شمالاً. (يشوع ٢٣: ٦) وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله. (يشوع ٢٤: ٢٦) فأين هذه الأسفار الثلاثة؟ ألا يدل ذلك على أن التوراة التى بين أيديكم ليست التوراة الحقيقية التى أنزلت على سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام؟ وإلا.. فما معنى (سفر توراة موسى) و(سفر شريعة موسى) و(سفر شريعة الله)؟ ثم إنكم متفقون معنا على أن الكتاب المقدس الموجود الآن هو ترجمة للتوراة والإنجيل، سواء كانت هذه الترجمة باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية... إلخ، فأين إذن النسخ الأصلية؟ ولم جعلتم التراجم مقدسة، وأطلقت عليها عبارة (الكتاب المقدس)؟ ألا كان المفروض أن تسمونه (ترجمة الكتاب المقدس) وخصوصاً أن هذه التراجم مختلفة مع بعضها البعض؟، والله أعلم.

س ٤٠- إن بعض المصاحف تختلف في عدد سور القرآن من ١١٢ إلى ١١٦، وكذلك تختلف المصاحف في عدد آيات القرآن، وفي عدد كلماته وحروفه، فكيف تقولون إن تعدد المصاحف عندهم على صورة واحدة، وإن كل مصحف تكرر لما عداه من المصاحف؟

ج ٤٠- إن الاختلاف بين مصاحف السنة والشيعة في تعداد السور فقط، فإنهم (كما ذكرنا في السؤال السابق) يدمجون بعض السور مع بعض بما لا يزيد في كتاب الله ولا ينقص، فإذا اعتبروا سورتي الأنفال والتوبة سورة واحدة، والضحي والشرح سورة واحدة، والفيل وقريش سورة واحدة، فإن هذا لا يزيد في كتاب الله كلمة، ولا ينقص منه كلمة. أما عدد الآيات فقد قام بعض الشيعة بقسمة بعض الآيات إلى آيتين، وهذا أيضاً لا ينقص ولا يزيد في كتاب الله شيئاً. وأما الأحرف، فهناك أحرف أُدغِمَت مثل (إن ما) كتبت (إمًا) وهكذا لم يزد في القرآن حرف ولم ينقص، والله أعلم.

س ٤١- كثير من سور القرآن افْتَحَتْ بكلمات عبارة عن طلاسُم لا تُفهم ولا يُفهم ما المراد منها، ولا يُرى منها فصاحة ولا بلاغة، مثل {آلم} {آلر} {كهيَقص} {حمر} {عسقى} {طسمر} وغيرها.

ج ٤١- أولاً: هذه أحرف مقطّعة وليست كلمات كما يقول المدّعى. ثانياً: لو أن هذه طلاسُم أو أَلغاز أو كلام عاطل لا معنى له - كما يقولون - لكان أول من تصدى لها أساطين الكلام من المشركين الذين كانوا يلعبون بالكلام كما يلعب الصبي بالكرة، ولاشتهر عنهم اعتراضهم الشديد على هذه الأحرف، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث على الإطلاق.

ثالثاً: إن بُلغاء العرب كانوا يعلمون أن وراء هذه الأحرف مُراداً، وأنها تعنى عند بعضهم أرقاماً لبقاء هذا القرآن، وقد قيل في هذه الحروف تفسيرات كثيرة، من أفضلها أن الله عز وجل يتحدى العرب بهذه الأحرف التي نزل بها القرآن، والتي يتكلمون بها، بمعنى: أن الخامة واحدة، فعليهم أن يأتوا بمثله، طالما في أيديهم نفس الخامة، وقد تحداهم الله بذلك في قوله: {قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء: ٨٨] ثم إن هذه الأحرف إذا جمعتها

وحذفت منها المتكرر تعطيك هذه العبارة (نص حكيم قاطع له سر) كما ذكره الإمام الرمخسرى. وقد قال أيضاً: إن هذه الأحرف هي نصف الأحرف الأبجدية الثمانية والعشرين، وهي تمثل الأساس في الأحرف الأبجدية المنطوق بها. وإذا نظرت في هذه الأربعة عشر حرفاً لوجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، وبيان ذلك أن فيها نصف الحروف المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمُطَبَّقة، والمنفتحة، والمستعلية، والمنخفضة.

ونقول لمن يعتبر هذه الحروف ليست حياً من عند الله، مع أنها ليس فيها ما يناقض ذلك: هل كل ما جاء في الكتاب المقدس وحى من عند الله؟ وهل كل ما ذكرناه في الرد على شبهات أخرى من ألفاظ جنسية صارخة، وسبّ للأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وغير ذلك من قصص الخيانة والسب والشتم والعنف وحى من عند الله؟ وهل القُبلة المقدّسة والسلامات التي ذكرناها في الرد على الشبهة رقم (٦١) وحى من عند الله؟ أضف إلى ذلك أن في سفر (الملوك الأول) إصحاحان كاملان - وهما السادس والسابع - في وصف الهيكل وطوله وعرضه وسُمكه وارتفاعه، وعدد غرفاته ونوافذه وأبوابه ومراحضه، وتفاصيل أخرى كثيرة يقول الكتاب المقدس إنها المواصفات التي يريد بها الرب لمسكنه الأبدى: وكان كلام الرب إلى سليمان قائلاً هذا البيت الذي أنت بانيه إن سلكت في فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك بما فإني أقيم معك كلامى الذى تكلمتُ به إلى داود أبيك. وأسكن في وسط بنى إسرائيل ولا أترك شعبى إسرائيل (الملوك الأول: ٦: ١١-١٣) وقد ذكرنا بعض مواصفات الهيكل في الرد على الشبهة رقم (٨٨)

وفي سفر (أخبار الأيام الأول) عدة إصحاحات (من الأول إلى التاسع) كلها أنساب سيدنا آدم وأحفاده، وسيدنا إبراهيم وذريته (على نبينا وعليهم الصلاة والسلام) وفي (عزرا: ٢١: ١-٦٧) قائمة بأسماء العائدين من بابل حسب عائلاتهم، وأعداد كل عائلة، بالإضافة لأعداد حميرهم وجمالهم، وقوائم أخرى بأعداد الجيوش والبوابين من كل سبط، وعدد كل جيش (انظر سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح ٢٣) و(الإصحاح ٢٧) و(الإصحاح ٣٤) وفي سفر (الخروج) يأمر الرب سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بصناعة

التابوت والمسكن بمواصفات دقيقة تستمر ١٣ صفحة، تبدأ من الإصحاح ٢٥ إلى الإصحاح ٣٠، وفي سفر (الخروج) الإصحاح (٢٨) تفصيل مُطوّل لحياكة الملابس المقدسة لسيدنا هارون وأولاده، من جبة ورداء و قميص وعمامة وسراويل... إلخ، وغير ذلك الكثير والكثير، فمن أراد المزيد فليرجع إلى الكتاب المقدس، والله أعلم.

س٤٢- أنتم تقولون إن الأحرف المقطعة في أوائل السور يأتي الحديث بعدها عن القرآن، ولكن هناك خمس سور بدأت بأحرف مقطعة ولم يأت بعدها ذكر للقرآن، وهي مريم والروم والعنكبوت والشورى والقلم.

ج٤٢- لم تخلُ سورة من هذه السور من وجه من وجوه الإعجاز، فسورة (مريم) جاء فيها ذكر ولادة سيدنا عيسى بلا أب، ومن قبله بحىء سيدنا يحيى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - من أب طاعن في السن، وامرأة عجوز عاقر. وسورة (الروم) جاء فيها البشارة بنصر الروم على الفرس {غَلَبَتِ الرُّومُ} في أدنى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢٠﴾ في بضع سنين ﴿٢١﴾ وسورة (العنكبوت) ذُكِرَ فيها من الإعجاز العلمي قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ أَخْتَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [٤١] وقد تكلمنا عنها في الرد على الشبهة رقم (٤٣٠) وسورة (الشورى) فيها إعجاز علمي في قوله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ} [٣٣] وقد ذكرناه في الرد على الشبهة رقم (٤٤٨) وسورة (القلم) جاء فيها الكلام عن الوليد بن المغيرة، وأنه {زَيْمٌ} أى أنه ابن زنى والعياذ بالله. ولا يعنى ما ذكرناه من الإعجاز في هذه السور أنها خلت من ضروب الإعجاز الأخرى، ولكن ما ذكرناه هو أبرز ما فيها من الإعجاز، والله أعلم.

س٤٣- هناك سورتان أثبتتهما أبى بن كعب في مصحفه ولم يأت ذكرهما في بقية المصاحف، وهما سورتا (الحفد) و(الخلع) فكيف تقولون إن الله قد حفظه من النقص والزيادة والتحريف؟

ج٤٣- يزعم السائل أن هناك سورتين حُذفتا من القرآن الكريم، وهما سورتا الحفد والخلع، وكانتا عند أبى بن كعب رضي الله عنه، ونصهما (اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله، نشكرك ولا

نكفرك، ونخلع وترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ونخاف عذابك، إن عذابك الجذ بالكفار ملحق) ونقول لهذا السائل وأمثاله: إنك لن تستطيع أن تثبت صحة هذا القول، وبفرض صحته فإن ما ورد في مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه ليس من القرآن، ولكنه دعاء كان يقنت به في الصلاة، وقد وضعه على هامش المصحف، كما كان يكتب بعضهم في مصحفه تفسيراً لآية معينة حتى لا ينساها، كما كتب أحدهم (صلاة العصر) أمام قوله تعالى: {حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي تَطَعْتُمْ} [البقرة: ٢٣٨] ولو كتب سيدنا أبي هذا الكلام على أنه قرآن لأخبر عنه سيدنا زيد بن ثابت - رضي الله عنهما - حتى يكتبه في نصوص القرآن حين كان يجمعه، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون هذا بمصاحفهم لثدرة أدوات الكتابة عندهم، ولأنها كانت مصاحفهم الخاصة بهم دون غيرهم، وقد آمنوا على أنفسهم أن يحدث لهم لبس في هذا الأمر، لأنهم كانوا يعلمون جيداً ما هو من القرآن أو غيره.

وقد استشهد الكتاب المقدس بأسفار لا وجود لها، فقال على سبيل المثال: لذلك يُقال في كتاب حروب الرب واهب في سوفة وودية أرنون (عدد ٢١: ١٤) فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. (يشوع ١٠: ١٣)

وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته أما هي مكتوبة في سفر أمور سليمان. (الملوك الأول ١١: ٤١)

وبقية أمور سليمان الأولى والأخيرة أما هي مكتوبة في أخبار ناتان النبي وفي نبوة أخيا الشيلوني وفي رؤى يعدو الرائي على يربعام بن نباط. (أخبار الأيام الثاني ٩: ٢٩) وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر صموئيل الرائي وأخبار ناتان النبي وأخبار جاد الرائي (أخبار الأيام الأول ٢٩: ٢٩)

فأين كتاب حروب الرب، وسفر ياشر، وسفر أمور سليمان، وأخبار ناتان النبي، ونبوة أخيا الشيلوني، ورؤى يعدو الرائي، وسفر صموئيل الرائي، وأخبار جاد الرائي؟

وجاء في الكتاب المقدس أيضاً:

وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة. لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً (متى: ٢: ٢٣) إن هذ معناه أنه يستشهد بما قيل في سفر (الأنبياء) الذى لا وجود له، لأنه لو كان يقصد أن الأنبياء قالوا عنه: (إنه سيدعى ناصرياً) لقال: لكى يتم ما قال الأنبياء، أو: لكى يتم ما قاله الأنبياء، والله أعلم.

س ٤٤ - كثيراً ما يذكر القرآن أن الله {يُخَيِّـمُ وَيُؤَمِّمُ} مع أن الإمامة سهلة، فلم لم يكف بقول: {يُخَيِّمُ}؟

ج ٤٤ - يظن السائل أن الموت سهل، وأنه بمقدور الإنسان، فيظن أن إطلاق الرصاص، أو السكين، أو السم، أو غير ذلك يميت الإنسان، كلا- إن هذا ليس إماتة ولكنه قتل، ومعناه هدم للبنية بموثر خارج عنها، كما فعل النمرود بن كنعان عندما حاور سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّمُ وَيُؤَمِّمُ قَالَ أَنَا أُخِيءُ وَأُمِّمْتُ} [البقرة: ٢٥٨] فماذا فعل النمرود؟ أتى برجل برىء فقتله، وأتى بأخر محكوم عليه بالإعدام فعفا عنه، فهل هذه إماتة؟ إنه قتل، أما الإمامة فهي خروج الروح بدون موثر خارج عن الجسد. ونحن نتحدى العالم أجمع أن يأتينا بأكبر عالم متخصص يستطيع أن يميت إنساناً بدون تسليط أى شيء عليه - كالإشعاع مثلاً - ولكن يأمره أن يموت فيموت، أو يوجّه إرادته له بالموت، أما الله سبحانه وتعالى فيميت بسبب وبغير سبب، فمثلاً: تجد مصاباً بمرض عضال يقف الطب أمامه عاجزاً، ويحكم عليه بأنه سيموت حتماً، ثم تجده يعيش لسنوات عديدة، ليس به إلا التنفس، والأكل المطحون يعطى له بمخروطوم عن طريق الأنف (الرايل) ويصاب بقرح الفراش، حتى يتمنى الناس له الموت، لدرجة أنهم أحدثوا لهذه الظاهرة اسماً، وهو (الموت الإكلينيكي) أو (السكتة الدماغية) كما حدث لشارون هذه الأيام، وتجده آخر يتمتع بصحة وافرة، وشباب وحيوية ثم يموت فجأة، لا لسبب إلا لأن الله هو الذى {يُخَيِّمُ وَيُؤَمِّمُ}، والله أعلم.

س ٤٥ - لماذا تخص الآيات التى تتكلم عن بر الوالدين الأم بالذكر دون الأب؟

ج ٤٥ - إن معظم الآيات التى أمرت ببر الوالدين ذكرهما معاً، مثل قوله تعالى: {وَوَقَّصِيْ

رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنًا} [الإسراء: ٢٣] وقوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [العنكبوت: ٨] وقوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف: ١٥] ثم إن دور الأم في حياة الإنسان أعظم بكثير من دور الأب، فهي التي تتحمل متاعب الحمل والولادة والرضاعة، كما قال الله عز وجل: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْتًا وَهْنًا وَعَمَّيْنِ} [لقمان: ١٤] وقال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف: ١٥] أما الرجل فحملة خفياً (السائل المتوى) ووضعه شهوة. ومعلوم أن أضعف فترة في حياة الإنسان والتي يحتاج فيها إلى رعاية ليل نهار هي السنوات الأولى من عمره، وهذه الفترة لا يتذكرها أحد، فهل أحد منا يتذكر حين كان في بطن أمه، أو حين كانت ترضعه، وتسهر على خدمته؟ أما الأب فرعايته لولده - عادة - تكون بعد ثلاث سنوات أو أربع، فالطفل يجد أباه هو الذي يشتري له طعامه وشرايه وملابسه، وهو الذي يأتيه باللعب والحلوى وكل شيء، وهذه الفترة يتذكرها الإنسان جيداً، وينسى دور أمه، وما لاقته من متاعب، فالله عز وجل يذكرنا بدور أمهاتنا كى نبرهن ولا ننسى فضلهن، كما قال رسول الله ﷺ: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا نَسِيَ} [الصُّحْبَةُ: "أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ" [صحيح مسلم]، والله أعلم.

س ٤٦ - كيف تقولون إن القرآن لكل العالم، وهو يقول: {لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام: ٩٢] و{أُمَّ الْقُرَى} عندكم هي مكة، فيكون ما حولها بضع قرى وليس كل العالم؟

ج ٤٦ - لقد ثبت علمياً أن مكة المكرمة تتوسط اليابسة زماناً ومكاناً (وليس الكرة الأرضية كلها، لأن خمس الأرض يابس والباقي ماء) قال الأستاذ الدكتور زغلول النجار عن صديقه الدكتور حسين كمال الدين - رحمه الله - الذي كان أستاذاً في هندسة القاهرة، ومن أعظم علماء المساحة: إنه كان يجري دراسة بواسطة الحاسب الآلى لتحديد اتجاه القبلة في مختلف بقاع الأرض، فأثبت أن مكة المكرمة هي وسط اليابسة، بمعنى أننا لو رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة فهذه الدائرة تحيط باليابسة كافة، فاقترح أن يعيد إسقاط الخرائط الجغرافية والجيولوجية وغيرها باعتبار أن خط طول مكة هو خط طول الأساس، لماذا؟ لأن خط طول جرينتش الذي فرضه الإنجليز على العالم بحمد السيف، بحكم أنهم

كانوا القوة العظيمة، واعتبروه خط طول الأساس (خط الصفر) فيه انحراف مغناطيسي، فإن كل موقع له شمال حقيقي وشمال مغناطيسي، الشمال الحقيقي هو الاتجاه العمودي على اتجاه شروق الشمس، والشمال المغناطيسي هو الذي تحدده الإبرة الممغنطة، سواء بواسطة بوصلة أو غيرها، ولذلك يضعون على كل خارطة شمالاً حقيقياً وشمالاً مغناطيسياً، والزاوية بينهما تسمى زاوية الانحراف المغناطيسي، وهي عند خط طول جرينتش تزيد على ثلاث وعشرين درجة، وعند خط طول مكة تساوى صفراً، فلو وُضِعَ خط مكة خط طول الأساس ينتظم شكل العالم وينتظم شكل الخرائط. وأضاف الدكتور زغلول النجار أن مكة تتوسط اليابسة زماناً أيضاً، لأن العلماء يتكلمون عن خط طول الصفر الزمني، فوجدوا أحد عشر خطأً عن يمينها وأحد عشر عن يسارها، والله أعلم.

س٤٧- إن نزول القرآن على مدار ثلاثة وعشرين عاماً أمر مريب، فهو الكتاب الوحيد الذي استغرق نزوله هذا الزمن، فالتوراة أنزلت على موسى دفعة واحدة، والإنجيل نزل على عيسى مرة واحدة، وهذا مما يثير الشك حول القرآن أنه من تأليف محمد، لأن تأليف الكتب يستغرق وقتاً طويلاً، بعكس الكتب المترلة من عند الله فإنها لا تحتاج لزمن.

ج٤٧- لقد أجبنا من قبل - بتوفيق الله جل وعلا - على زعم تأليف القرآن، في الشبهة رقم (٢٦) أما كونه لم يزل مرة واحدة فإن هذا السؤال ليس بجديد، فهو منذ عهد رسول الله ﷺ {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} [الفرقان: ٣٢] وقد رد الله عليهم في الآية نفسها بقوله سبحانه وتعالى: {كَذَلِكَ لِنُنشِئَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} إن الآية الكريمة قد بينت أن نزول القرآن منجماً كان لتثبيت قلب الرسول ﷺ فكلما ضاق صدره بتكذيب المشركين له نزلت عليه الآيات تصبّره وتثبتته، وتقص عليه قصص إخوانه من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وما فعله معهم أقوامهم. فتروله مرة واحدة لم يكن ليعجز الله عز وجل، فقد أنزله جملة واحدة ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض منجماً حسب الأحداث، كما قال ذلك عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - في تفسير (ابن كثير) وغيره.

وتزِيل القرآن لم يكن لتثبيت الرسول ﷺ فحسب، بل كان أيضاً لتثبيت الصحابة ﷺ فكلما حدث أمر وأرادوا معرفة حكم الشرع فيه جاءهم الوحي من عند الله غصّاً طريّاً يبين لهم ما هم عنه سائلون، وما هم فيه مختلفون، ولذلك كثيراً ما نجد في القرآن قوله: {تَسْأَلُونَكَ} أو {تَسْتَفْتُونَكَ} وعند ظهور أى مشكلة ويشتاق المجتمع كله لمعرفة الحق فيها تنزل الآيات بتوضيحه، لتروى ظمأهم وتشفى غليلهم، فتثبت الإجابة في صدورهم، ولا يستطيعون نسيانها، وبذلك تكون العلاقة بين الناس ورسولهم علاقة حيوية مستمرة، لا علاقة فاترة باردة، وهذا كما يقولون: (الطَّرْقُ عَلَى الْحَدِيدِ وَهُوَ سَاخِنٌ) فحين تكون عطشاً وليس عندك ماء فإنك تشتاق إليه، فإذا جاءك على ظمأ شعرت بقيمته وقيمة من أعطاه لك أكثر مما لو كان عندك منذ البداية {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} ولذلك كان بعض الصحابة ﷺ - مثل عبد الله بن مسعود - يعلم كل آية لماذا ومتى وأين نزلت. فلو نزل القرآن جملة واحدة ثم عَرَضَ لهم أمر لَمَّا ذهبوا إلى الرسول ﷺ ليسألوه، ولَمَّا حدث اختبار للمسلمين في كثير من المواقف، وكأنك أعطيت الإجابة جاهزة للطالب الذي تريد اختباره بجانب ورقة الأسئلة، فأين الاختبار إذن؟ ثم إن القوم الذين أرسل فيهم الرسول ﷺ كانوا أميين يصعب عليهم قراءة القرآن، فيضطرون لسؤال غيرهم، أما التلقّي من الرسول ﷺ مباشرة فقد كان أقوى لهم في معرفة كلام ربهم، وتثبيته في صدورهم، وارتباطهم بنبيهم، فما أجمله من شعور.. شعور ارتباط الإنسان بربه، لدرجة أن الصحابة ﷺ كانوا يكونون بعد موت النبي ﷺ لانقطاع الوحي، كما حدث مع السيدة بركة الحبشية وأبي بكر وعمر. وتخيّلوا معي كم كانت فرحة السيدة خولة بنت ثعلبة حين ذهبت للرسول ﷺ لتسأله عن ظهار زوجها منها، وهي تشتكى وتبكي، ثم ينزل الوحي ليحيب عن سؤالها ويفرّج كربها؟ (راجع تفسير سورة المجادلة).

ولنضرب لكم بعض الأمثلة التي توضح حتمية نزول القرآن متفرقاً حسب الأحداث: في حادثة الإفك - مثلاً - ظل الرسول ﷺ والمسلمون شهراً كاملاً في هذه المحنة وهذا البلاء العظيم، ولا يدرون ماذا يفعلون فيما يردده المنافقون عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فلو كانت براءتها معلومة منذ البداية لَمَّا حصل اختبار للرسول ﷺ والمؤمنين، ولَمَّا استفاد المجتمع المسلم من هذه التجربة، ولكن انقطاع الوحي شهراً كاملاً جعلهم

يتشوقون لبيان هذا الأمر والفصل فيه، فلما نزل الوحي شفى غليلهم وروى ظمأهم، وعلّموا جيداً ما هو المفروض عليهم في مثل هذا الموقف، وغير ذلك من الآداب التي نزلت في سورة (النور) بسببه. وعندما تخلف المؤمنون الثلاثة عن غزوة تبوك، وأمر النبي ﷺ المسلمين بمحرمهم إلى أن يقضى الله في أمرهم، فلو كان القرآن نزل جملة واحدة لعلّموا أن الله قد غفر لهم، فلم يكن ليهجر المسلمين لهم أي طعام، ولما تضرعوا لله كل هذا التضرع، ولما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت (كما ذكرت قصتهم في سورة التوبة) وكذلك الغزوات.. فلو علّموا - مثلاً - أنهم سيتصرون في غزوة بدر لاطمأنت قلوبهم ولما توكلوا على الله وتضرعوا إليه مثل ما كان منهم حينها. وكذلك غزوة أحد.. كيف كان حالهم لو علّموا مصيرها مسبقاً؟ أو لو علّموا بما سيحدث في غزوة حنين؟ {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} ﴿٨٠﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { [التوبة: ٢٥-٢٧]

وأشياء أخرى كثيرة يقصر المقام عن ذكرها، مثل تحويل القبلة، والإسراء والمعراج، وفتح مكة.. إلخ. وهي في مجملها تعني أن القرآن كان سيفقد روحه وتجده ورتفاعه مع الأحداث، وتكون العلاقة بين الأرض والسماء مرة واحدة وانتهت. فمن في واقعا تعرض له مشكلة ثم يرجو الله أن يتزل حكمها، ويشتاق لذلك ليريح قلبه، ويفرج همه؟ إن أي إنسان تعرض له مشكلة إما أن يذهب ليسأل عنها العلماء، أو يجتهد في البحث عنها بنفسه، فلا يجد في ذلك حلاوة استحابة الله له، وتزليل الوحي من أجله. أما الصحابة رضي الله عنهم فقد كانت تنزل عليهم الآيات تبشرهم وتثبتهم وتبين لهم، وكلما ألمت بهم محنة أو ضيق المشركون عليهم نزلت عليهم الآيات تبشرهم بالجنات، وتدعوهم إلى التفكير في خلق الله وذكره والتضرع إليه، فيزدادون إيماناً مع إيمانهم {فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: ١٢٤]

ثم أخبروني يا من تشيرون هذه الشبهة.. ماذا كان الحال لو علم الكفار أن الرسول ﷺ سيهاجر؟ وماذا كانت تعني {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ

أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا؟ [التوبة: ٤٠] ثم إن نزول القرآن منجماً يدل على أنه من عند الله.. وليس العكس، فلو كان من عند سيدنا محمد - كما تقولون - لَمَا تأخر في إجابة الكفار حين سأله عن أصحاب الكهف حتى يأتيه الوحي، ولَمَا تأخر في الرد على كثير من الأسئلة التي طُرِحَتْ عليه، والله أعلم.

س ٤٨- إن القرآن يشيد بالحواريين ويشيد بالتوراة والإنجيل، ويثبت أنه ليس بهما أى تحريف، فيقول: {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً} [الحديد: ٢٧] {وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ} [المائدة: ٤٣] {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} [المائدة: ٤٤] {وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ} [المائدة: ٤٦] {وَلِيَحْزَرَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} [المائدة: ٤٧]

ج ٤٨- أما إشادة القرآن الكريم بالحواريين أتباع سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلاهم كانوا على الحق، أى أنهم عبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئاً، وآمنوا أن عيسى عبد الله ورسوله {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [المائدة: ١١١] وأما إشادته بالتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السابقة فهي خاصة بالكتب المتولة من عند الله جل وعلا قبل أن يتم تحريفها، ولكنه مع إشادته بما أقر بأنه مهيمن عليها، فقال: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّجًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] فهو مصدق لما جاء فيها، ولكنه مهيمن عليها. أى أنه يُقرّ بعض أحكامها وينسخ البعض الآخر، فما أقره آمنة به وكان شرعاً لنا، وما نسخته آمنة به ولكنه ليس شرعاً لنا. ولا يخفى على أحد أن النسخ غير التحريف، فقد نص القرآن على تحريف أهل الكتاب لكتبهم، فقال: {وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ الَّتِي سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي كِهَابٍ مُنِيرٍ وَمِمَّنْ مِنْهُمْ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَمِنْهُمْ لَمَسْجِدٌ يُعْتَبَرُ سَيِّئًا لِلَّذِينَ اسْتَفْسَدُوا} [آل عمران: ٧٨] أما قول الله جل وعلا: {وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ} وقوله: {وَلِيَحْزَرَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} فلا يدل على عدم التحريف، لأن التحريف لم يكن شاملاً لكل نصوص التوراة والإنجيل، بدليل أن أوصاف النبي ﷺ كانت عندهم ولم تُحرف {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧] وإلى الآن

ليس كل ما بأيديهم محرّف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" {قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} الآية [صحيح البخارى] لأننا ربما صدقنا كاذباً أو كذبنا صادقاً، فالأفضل عدم التصديق وعدم التكذيب إلا ما فيه عندنا نص من الكتاب أو السنة. والدليل على أن كتبهم محرّفة ما نشاهده من تعدد كتبهم واختلافها فيما بينها، فهناك مثلاً: إنجيل يوحنا ومتى ومرقس ولوقا وغير ذلك من الأناجيل، أما نحن فليس عندنا قرآن أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي.. الخ. وقد شهد كتابهم نفسه على تحريفه، وإليكم بعض الأدلة:

فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لجدّه فلماذا أدان أنا بعدُ كخاطي. (رسالة بولس إلى رومية ٣: ٧)

مُبتلين كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه. وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون. (مرقس ٧: ١٣)

ولكن كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة (رسالة بطرس الثانية ٢: ١)

فقال الرب لى. بالكذب يتبأ الأنبياء باسمى. لم أرسلهم ولا أمرهم ولا كلمتهم. برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتبأون لكم. (إرميا ١٤: ١٤)

صار في الأرض دهش وقشعريرة. الأنبياء يتبأون بالكذب والكهنة تحكم على أيديهم وشعبى هكذا أحب. وماذا تعملون في آخرها. (إرميا ٣١)

لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مَوْلَع بالربح ومن النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب. (إرميا ٦: ١٣)

اذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي. (رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٢: ٨) (زلاحظ كلمة: بحسب إنجيلي)

وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه. (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٩: ٢٣)

وأنايأزها قد طئنا لهم بالطفال رائين باطلاً وعارفين لهم كذباً قائلين هكذا قال السيد الرب والرب لم يتكلم. (حزقيال ٢٢: ٢٨) فهذه وغيرها شواهد على تحريف كتبهم، والله أعلم.

٤٩- يُقَرُّ القرآن بأن آدم عصى ربه، وأن إبليس عصى ربه، فلماذا تاب الله على آدم ولم يتب على إبليس؟ مع أن إبليس كان مُحَقَّقًا في أن النار أفضل من الطين؟ ثم لماذا يأمره بالسجود لعبد مثله ولا يأمره بالسجود له؟

ج ٤٩- إن معصية سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم تكن كمعصية إبليس، فإن معصية آدم لم تكن عن كِبَرٍ أو جحود، فهي كمعصية من يغلبه هواه على فعل أمر ما، مع علمه بتقصيره في حق مولاه. ثم إن آدم ندم عليها وتاب منها {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ٣٧] {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣] أما إبليس فقد استكبر عن امتثال أمر الله {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤] ومن رحمة الله جل وعلا أن سأله عن عدم سجوده (وهو أعلم به) ولم يلعنه ويطرده من رحمته فور معصيته، ولكنه لم يندم ولم يتب، بل رد بسوء أدب مع خالقه جل وعلا {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: ١٢] {قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجر: ٣٣] فهناك فرق بين المعصيتين. فمثلاً: لو أن امرأة لم تحتجب، مع علمها بأن الحجاب فريضة من الله، وأنها مقصرة في حقه سبحانه وتعالى، فهذه يُرَجَى لها الخير، ولا تخرج من الملة بمعصيتها، أما لو تكبرت على امتثال أمر ربه، واستهزأت بفريضته، ولم تعترف بها، فإنها تكون في هذه الحالة قد كفرت، لأنها ردت الأمر على الأمر، ولم تقتنع به كما فعل إبليس (وهذه خطورة قول إحداهن: أنا غير مقتنعة بالحجاب) فمثلاً - {وَاللَّهُ أَلْمَلُ الْأَعْلَى} - لو أن لك ولدين، أمرهما بأمر فلم يمتثلا له، ولكن أحدهما اعتذر لك، وبكى من خشيتك، ووعدك بعدم عصيان أمرك مرة أخرى، فرقٌ له قلبك وعفوت عنه، أما الولد الآخر فقد تبجح ورد عليك بسوء أدب، واستهزأ بأمرك، فهل يستدر عطفك وتعفو عنه كأخيه؟ ثم من قال إن النار أفضل من الطين؟ إن هذا قياساً على حد تصور إبليس، وإلا- فكلاهما له خصائصه التي خلقها الله سبحانه وتعالى. والذي قال هذه المقولة شيطان مثل إبليس، لأنه أدخل القياس العقلي مع الأمر الشرعي، فلا يجوز بأى حال من الأحوال أن يرجح الإنسان هواه على أمر مولاه، أو يقترح شيئاً غير الذي أمره الله به، فمثلاً: لو قال إنسان

إن عدد ركعات الفجر أو المغرب قليلة لا تليق بالعبودية لله، ثم زاد من عنده ركعة أو أكثر، فهل يقبل منه؟ أو قال إن قطع يد السارق أمر عنيف وفيه شدة، ولكن الأفضل أن نجسبه لمدة معينة حسب حالته، فهل يكون هذا الإنسان مسلماً؟ إنه بذلك قد كفر لاعتراضه على أمر الله، والتحاكم لغير شرعه.

أما أمر إبليس بالسجود لآدم، فإن هذا ليس تعظيماً لآدم، بل تعظيم للأمر وهو الله سبحانه وتعالى، فحين يأمرنا الله جل وعلا ببرّ والدينا - وإن كانا كافرين - فهل هذا تعظيم لهما؟ إنما من أهل النار، ولكن برهما تعظيم لخالقهما سبحانه وتعالى، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أنك مدحت جهازاً مثل الكمبيوتر في كفاءته وكذا وكذا، فإنك في هذه الحالة لم تمدحه، ولكنك مدحت صانعه الذي جعله بهذا الإتقان. فالسجود لآدم إنما هو في الحقيقة سجود لله جل وعلا، وليس سجود عبادة لآدم، فليس لآدم فضل على الملائكة حتى يعظموه، إنما التعظيم لله سبحانه وتعالى. ولقد قال الشيخ الشعراوي رَحْمَةُ اللَّهِ: إن الملائكة التي سجدت لآدم هي الملائكة الموكلة بخدمته، كالحَفَظَةَ، وكاتبى الأعمال، والملائكة الموكلة بالأرحام والمطر والرياح... إلخ، وليس كل الملائكة، بدليل قوله تعالى: {أَسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص: ٧٥] أى أن {الْعَالِينَ} - على حدّ قوله - هم الملائكة الذين لم يشملهم الأمر بالسجود، كحَمَلَةَ العرش وجبريل، وغيرهم من الملائكة سلام الله عليهم أجمعين، والله أعلم.

س ٥٠ - كيف تقولون إن الأنبياء معصومون، وتعيون علينا ذكر أخطائهم، مع أن القرآن يُقرّ بأن لهم ذنوباً؟ فقد قال: {وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنُوبِكَ} {محمد: ١٩} وقال: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} {الفتح: ٢} وقال: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} {الشعراء: ٨٢} وقال {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ} {نوح: ٢٨} وهكذا جاء الاستغفار في القرآن من إبراهيم وداود وغيرهما من الأنبياء، وهذا يؤيد ما جاء في الكتاب المقدس من أن الأنبياء غير معصومين.

ج ٥٠ - كيف تزعمون أن القرآن يُقرّ بأن لهم ذنوباً بالمعنى الذي تقصدونه؟ إن قولكم هذا ليس طعناً فيهم، بل في الذي أرسلهم جل وعلا، وكأنه سبحانه وتعالى لم يحسن اختيارهم، وهو سبحانه الذي قال: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} {الأنعام: ١٢٤} وقال:

{اللَّهُ يَصْطَلِي مِنْ أَلْمَلِيكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ} [الحج: ٧٥] إن الذنوب عبارة عن كبائر وصغائر، وأول الكبائر هو الشرك بالله، ثم عقوق الوالدين، ثم ذنوب أخرى مثل الربا والقتل والسرقة والزنى وشرب الخمر والميسر والكذب والتولّي يوم الرّحف وقذف المحصنات واليمين الغموس... إلخ. وهناك صغائر مثل النظر المحرم، ولمس الأجنبية باليد... إلى غير ذلك. فالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - معافون من الذنوب جميعها، صغيرها وكبيرها. أما استغفارهم فهو إمّا من تصرفات عملوها بطبيعتهم بغير وحى من الله، وهذه التصرفات ليست حراماً، ولكنها لم تصادف مراد الله جل وعلا. وإمّا استغفاراً من حالة إيمانية أو تعبدية أقل مما هم عليه في سائر أحوالهم، قال رسول الله ﷺ: "إنه ليغان على قلبي، وإنى لأستغفرُ الله في اليوم مائة مرة" [صحيح مسلم] قال العلماء: إن إيمان النبي ﷺ وعبوديته لربه في ازدياد مستمر، فهو يستغفر في كل مرة من الحالة التي قبلها، أى الحالة التي كانت أقل إيماناً من حالته لحظة استغفاره. والحالة الثالثة من استغفار الأنبياء أنه استغفار عبودية، لأن الاستغفار تكليف من الله لجميع خلقه.. حتى المعصومين منهم، وهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وسنذكر بعض الأمثلة على تصرف الأنبياء بطبيعتهم بغير وحى، وبالله التوفيق:

عفو النبي ﷺ عن المنافقين المتخلفين عن الخروج معه في غزوة تبوك {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَمَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ} [التوبة: ٤٣].
أخذ الفدية من المشركين مقابل الأسرى في غزوة بدر {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: ٦٧].

استغفار النبي ﷺ لعنه أبى طالب وقد مات مشركاً {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة: ١١٣].

عبوس النبي ﷺ عندما دخل عليه عبد الله بن أم مكتوم ؓ وعنده كبار القوم يحاول أن يدعوهم إلى الله عز وجل، مع أن عبد الله كان أعمى لا يرى عبوس النبي ﷺ ولم يعبس النبي في وجهه تأففاً منه، ولكن حرصاً على هداية الجالسين معه {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ} [عبس: ١-٢].

تحريم النبي ﷺ على نفسه أكل العسل، لأنه عندما أكله عند السيدة زينب بنت جحش - رضی الله عنها - ثم دخل على السيدة عائشة والسيدة حفصة - رضی الله عنهما - قالتا له: أكلت مغافير؟ إنا نجد منك رائحة مغافير (وهو الصمغ) وقد قالتا له ذلك لغيرهما من السيدة زينب، فأقسم ألا يأكله بعد ذلك، فعاتبه ربه وقال له: {يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحریم: ١].

سؤال سيدنا نوح ربه أن ينحى ولده من الغرق، وقد كان ولده مشركاً {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِيَّ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} {هود: ٤٥} وسيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يدعُ لولده إلا لأنه فهم من قول الله جل وعلا: {أَجْعَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ} {هود: ٤٠} أن ابنه من أهله، ولكن الله سبحانه وتعالى كان له مُراد آخر من قوله: {وَأَهْلَكَ} أى أهله فى الإيمان وليس فى النسب {قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّقِلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْطَأْتُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} قال رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {هود: ٤٦-٤٧}.

دعاء سيدنا نوح على قومه {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذُبَابًا} [نوح: ٢٦].

خروج سيدنا يونس - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - من بين أظهر قومه - غضباً عليهم - بغير إذن من الله جل وعلا {وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} {الأنبياء: ٨٧} فما كان ينبغي له أن يخرج من بين أظهرهم إلا بإذن الله، كما فعل ذلك رسول الله ﷺ فى الهجرة، فإنه لم يخرج من مكة إلى المدينة مهاجراً إلا بإذن ربه جل وعلا.

قتل سيدنا موسى للقبطى الذى تشاجر مع رجل من قومه، مع أن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يكن يقصد قتله {فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [القصص: ١٥] ولم يكن حينها رسولاً، ولكنه اعتبر ذلك ذنباً، واستغفر ربه {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ} [القصص: ١٦].

كذب سيدنا إبراهيم على قومه حاورهم، فلم يكن كذبه - على نبينا وعليه الصلاة

والسلام - كذب معصية، ولكنه كان لمحاولة إقناعهم بوحداية الله جل وعلا (كما ورد في سورتي الأنعام والأنبياء).

استماع سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - للمتخاصمين وحكمه بينهما {وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمِحْرَابِ} [ص:٢١] إلى نهاية القصة، ثم استغفاره {وَوَطَّنَ دَاوُدُ أُمَّا فَتَنَّهُ فَاسْتَقْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص:٢٤] وقد قال العلماء: إنه استغفر ربه لأنه سمع من أحد المتخاصمين ولم يسمع من الآخر. وقيل: لأنه حكم بينهما في يوم انقطاعه لعبادة ربه، ولم يكن يوم القضاء بين الناس. وقيل: لأنه ظن بهم السوء وأنهم جاءوا ليقتلوه، لأنه كان يجلس منفرداً، وقد تسووروا عليه الجدار {فَفَزِعَ مِنْهُمْ} [ص:٢٢] أمّا ما قيل من أن هذا مثل ضَرْبٍ لما فعله مع أحد جنوده واسمه (أوريا) حين رأى امرأته فأعجبته، فأمره أن يطلقها ليتزوجها، فإن هذا من الإسرائيليات المكذوبة عليه، فإن الأنبياء معصومون لا يصدر منهم مثل هذه التصرفات الوضيعة الخسيصة، وقد ذكرنا ملخص القصة المكذوبة عليه في الكتاب المقدس في الرد على الشبهة رقم (١٠٩).

مما سبق وغيره يتضح أن استغفار الأنبياء والمرسلين لم يكن عن ذنوب حقيقية، ولكنها كانت نسبيّة، فمثلاً: لو أن طالباً اعتاد أن ينجح كل عام بدرجة ١٠٠% ثم نجح بدرجة ٩٥% فإن هذا يجزئه، لأنه نزل عن مستواه، أما لو كان ينجح كل عام بدرجة ٦٠% ثم نجح بدرجة ٩٠% فإن هذا يسعده ويكون شرفاً في حقه. وقد جاء في الحديث التالي عن رسول الله ﷺ ذكر بعض ذنوب الأنبياء، حيث قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يُسمِعُهُمُ الداعي وَيُنْفِذُهُمُ البصر، وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: اتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبونا، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه هانئ عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً

فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله {عبداً شكوراً} اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتونني فيقولون: يا محمدا أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمدا ارفع رأسك سلّ ثُغَطَ، واشفع تُشْفَع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمّتي أمّتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعي من مصاريع الجنة لكمما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى" [صحيح الجامع: ١٤٦٦] والثلاث كذبات اللاتي يقصدهن سيدنا إبراهيم اثنتان منهما كانتا لمحاورة قومه (كما ذكرنا من قبل) والثالثة حينما ذهب إلى مصر، وكانت معه زوجته،

فقال لهم إنما اخته، لأنه خاف إن علموا أنها زوجته أن يقتلوه ليأخذوها منه لشدة جمالها، ومع أنه كان يقصد أنها اخته في الله، ولكن لشدة خوفه من الله جل وعلا اعتبرها كذباً.

فيا من سألتهم هذا السؤال، وزعمتم أن القرآن يُقرّ بعدم عصمة الأنبياء مثل الكتاب المقدس.. فهل ما ذكرناه من ذنوبهم (وهي ليست ذنباً على الحقيقة) يتوافق مع مانسبتموه إليهم من فظائع الذنوب مثل الزنى والسرقه وشرب الخمر وغير ذلك مما ذُكر في مواضع كثيرة من هذا الكتاب؟ {سُبْحٰنَكَ هٰذَا بَعَثْتَنِي عَظِيْمًا}، والله أعلم.

س٥١- يصف القرآن الإنسان تارة بأنه حمار، وتارة بأنه كلب، وتارة بأنه كالأنعام، وذلك في الآيات التالية: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة:٥] {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} [الأعراف:١٧٦] {أَوْلَيْتِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} [الأعراف:١٧٩] وكذلك يشبه رسولكم الإنسان بالكلب في قوله: "الخوارج كلاب النار" [سنن ابن ماجه، صحيح الجامع:٣٣٤٧] فأين تكريم الإنسان إذن؟

ج٥١- إن كل الآيات التي ذكرت هذه العبارات لم تصف إنساناً بعينه، ولكنها شبهت أنواعاً من البشر يجمع بينهم قاسم مشترك - وهو الكفر بالله جل وعلا - بأنواع من الحيوانات، والله سبحانه وتعالى أعلم بعباده وصفاتهم، وما يوافق بعضها بعضاً. ولماذا تتعجبون؟ فإن الكافر بالله أخطأ من الحيوان، لأن الحيوان يعرف ربه ويسبح بحمده {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء:٤٤] وعلى سبيل المثال.. فقد ذكر لنا القرآن ما قاله الهدهد لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {إِلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَرَجَ الْأَخْبَةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} ٥٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [النمل:٢٥-٢٦] فالآية الأولى في السؤال تخص بالذكر اليهود الذين لم يعملوا بما أنزل إليهم في التوراة، فكانوا مثل الحمار الذي يحمل على ظهره كتاباً قيّمة، ولكنه لا يعرف قيمتها، ولا يفقه ما فيها، وهي ليست خاصة باليهود، وإن نزلت بسببهم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلو فعل المسلمون فعلتهم لكانوا مثلهم. والآية الثانية تصف من جحد الحق رغم علمه بأنه الحق، فبعدما آتاه الله آياته انتكس وكفر بما لعرض من الحياة الدنيا، فكان مثله كمثل الكلب الذي يلهث في جميع

الأحوال، سواء طارَدْتُهُ أم تركتَهُ. قال العلماء: إنه مثل للكافر الذى لا يهتدى سواء دعوته أم لم تدعُهُ، فجاء تشبيهه بأحط شيء من أحوال الحيوانات، لأن جميع الحيوانات تلهث من الفرار والجرى، أما فى حالة الراحة والسكون فلا تلهث، بخلاف الكلب الذى يلهث فى الحالتين. وقد شُبِّهَ الكافر به لأن الإيمان هو الذى يُطَمِّئِن قلب الإنسان فيستريح ويسكن، وبدونه فلا راحة لقلبه ولا سكون على أى حال {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ٦] أما الآية الأخيرة فهى وصف عام للكافرين بأنهم كالأنعام التى لا تفقه ماترى وتسمع. أما حديث الرسول ﷺ فإنه لا يخص أحداً بعينه، ولكنه يتكلم عن الخوارج عامة، وهم الذين يُكْفِرُونَ المسلمين بمعاصيهم، ويُقَنِّطُوهُمْ من رحمة الله تعالى، فكان جزاؤهم من جنس صنيعهم، فكما كانوا ينبحون على المؤمنين ويخيفوهم بأفكارهم الضالة، فهم ينبحون ويخيفون من يستحق النباح والتخويف فعلاً، وهم أهل النار والعياذ بالله. ولم يَرِدْ عنه ﷺ قط أنه شتم أو سب أحداً بعينه، بل إنه نهي عن الشتم والسب - مُطْلَقاً - فى أكثر من حديث، على نقيض ما جاء فى كتابكم المقدس، واقرأوا إن شئتم:

أيها الجُهَّال والعُمَيان (متى: ٢٣: ١٩)

لا تعطوا القدس للكلاب. ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير. (متى: ٧: ٦)

أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم. (متى: ٢٣: ٢٣)

فقال له الله يا غيى (لوقا: ١٢: ٢٠)

أولاد اللعنة. (رسالة بطرس الثانية: ٢: ١٤)

أما الرجل ففارغ عديم الفهم وكججش الفرا يولد الإنسان (أيوب: ١١: ١٢)

الإنسان الرمة وابن آدم الدود. (أيوب: ٢٥: ٦)

أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً. يا أغبياء أليس الذى صنع الخارج صنع الداخلى أيضاً. (لوقا: ١١: ٣٩-٤٠)

(٤٠)

ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات وبُسطاء كالحمم.

(متى: ١٠: ١٦)

قد أصابهم ما في المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيته وخزيرة مغتسلة إلى مراغة
الحمأة (رسالة بطرس الثانية: ٢٢)

يا ابن المتعوجة المتعمدة أما علمت أنك قد اخترت ابن يسى لحزبك وخزى عورة
أمك. (صموئيل الأول: ٢٠: ٣٠)
فتعمر في النهار ويعتمر أيضاً النبي معك في الليل وأنا أخربُ أمك. (موشع: ٤: ٥)،
والله أعلم.

س٥٢- يتناقض القرآن مع العلم تناقضاً واضحاً، فيزعم أن القلب هو الذى
يعقل، فيقول: {هَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ} [الأعراف: ١٧٩] ويقول: {أَفَلَمْ يَسْمِعُوا فِي
الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ} [الحج: ٤٦] مع أن العلم يهت أن الإنسان يعقل
بمخه وليس بقلبه، فالقلب ليس إلا مضخة للدم، وليس للتفكير أو التعقل.

ج٥٢- لماذا تعجبون من هذا وقد جاء في كتابكم المقدس ما هو أشد منه.. ألا وهو
ختان القلب، ولا ندرى كيف يكون هذا الختان؟

وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. (رسالة بولس إلى رومية ٢: ٢٩)
إن القلب بالنسبة للمخ كغرفة التحكم، أو غرفة العمليات، فالخ يفكر ويطرح
مُعطياته على القلب، والقلب هو الذى يقرر نتيجة هذا التفكير، ويختلف هذا القرار بين
الأفراد على حسب ما في قلوبهم من الإيمان أو عدمه، كغرفة عمليات قائدها طيّب،
وأخرى قائدها شرير، والإنسان مهما بلغ فلن يحيط بكل شيء من علم الله سبحانه وتعالى
{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: ٢٥٥] والأطباء أنفسهم يعترفون بأن
أغوار الإنسان وأسراره لم يُكتشف منها إلا القليل، وخصوصاً المخ.. يقولون عنه إنه
كالقارة المظلمة، رغم كل ما اكتشفوه من تركيبه التشريحي، ووظائفه الحيوية. وفي الواقع
شاهد على أن القلب يشعر بالأفراح والآلام والأحزان وغير ذلك، فمن ينكر أن قلبه
ينشرح لأشياء وينقبض لغيرها؟ حتى إنهم ليقولون: قلبى مطمئن أو مستريح لكذا، قلبى
منقبض من كذا، قلبى يقول لى كذا، هذا قلبه أبيض، وهذا قلبه أسود، هذا يتكلم من
قلبه، ما خرج من القلب دخل إلى القلب، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الأذان.. إلخ.
فأخبروني بربكم ما معنى هذا الكلام لو كان القلب مجرد مضخة للدم كما تقولون؟

فالْمُؤْمِنُ يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ بِمَا يَرْضَى اللَّهُ، وَيَنْقَبِضُ لِمَا يَغْضِبُهُ {اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشِرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: ٢٣] على خلاف الكافر أو المنافق أو الفاسق الذى ينشرح صدره لما يغضب الله، وينقبض لما يرضيه {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر: ٤٥]

ولنضرب مثلاً للفرق بين القلوب: يعلم شخصان بوجود امرأة عجوز غنية، تعيش بمفردها، ولا يخدمها أحد، هذه القضية مفهومها واحد، ومُعطياتها واحدة، لا يلتبس فهمها على أحد، ولكن الشخصين اللذين عرضت عليهما هذه القصة كان أحدهما مؤمناً والآخر سارقاً، فرقٌ لها قلب المؤمن، وسعى في الجحىء لها بمن يخدمها، أما الآخر فطمع فيها وقرر أن يسرقها، لماذا؟ لأن المؤمن صالح قلبه، وأما السارق ففاسد قلبه، قال رسول الله ﷺ: "إن الحلال بَيِّنٌ وإن الحرام بَيِّنٌ وبينهما مُشْتَبِهَاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِعَرِضِهِ وَدِينِهِ، ومن وقع في الشُّبُهَاتِ وقع في الحرام، كالراعى يَرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمهُ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسدت الجسد كله، ألا وهى القلب" [صحيح مسلم] فصلاح الإنسان أو فساده منوط بصلاح قلبه أو فساده. وهناك مثال آخر: يعلم شخصان - أحدهما مؤمن والآخر فاسق - بمكان أحد المجاهدين المختبئين من العدو، وقد رصد هذا العدو جائزة مالية كبيرة لمن يدلّه على هذا المجاهد، هل يلتبس فهم هذه القضية على الصغير فضلاً عن الكبير؟ وهل يلتبس فهمها على الأُمى فضلاً عن المتعلم؟ إن مفهومها واحد، ولكن الفرق في صلاح القلب أو فساده، فقلب المؤمن يوجهه إلى التستر عليه، وأما قلب الفاسق فيوجهه إلى إبلاغ العدو عنه، أما المخ فهو الذى يفكر في وسيلة التستر عليه أو الإبلاغ عنه، وكان القلب قد أعطى إشارة معينة للمخ ليتصرف بموجبها. وهناك أمثلة كثيرة في حياة كل واحد منا يستدل بها على صلاح القلب أو فساده، سواء بالنسبة له أو لغيره.

ونريد ان نسألکم أيها العلماء الماديون، يا من لا تعترفون إلا بما أثبتته العلم.. ألم يُقرّ العالم أجمع بأن القلب يجب ويكره؟ وهل يختلف على ذلك اثنان؟ فهل أثبت العلم أن

القلب به خلايا معينة أو صمامات تحب وتكره؟ إن غاية ما أثبتته العلم هو اضطراب ضرباته بالزيادة أو النقصان حسب الحالة النفسية للإنسان، أما كيف يجب أو يكره فلم يصل إليه العلم إلى الآن.

وقد جاء برنامج (عن كُتُب) على قناة (الجزيرة) يوم الأربعاء الموافق العاشر من يناير لعام ٢٠٠٧، فتحدثت عن بعض مرضى القلب الذين أُجريت لهم جراحة زرع قلوب من أناس ماتوا في حوادث أو غيرها، فوجدوا أن هؤلاء المرضى قد تغيرت بعض أنماط حياتهم واهتماماتهم وأنشطتهم وفقاً لما كان عليه أصحاب تلك القلوب الأصليون، مع العلم بأن هؤلاء المرضى لا علم لهم بمن أخذوا منهم تلك القلوب، لأن هذا الأمر يخضع لسرية تامة (حتى لا يظن ظان أنها حالة نفسية اعترتهم) ومن أمثلة ما حدث من هذا التغيير أنهم وجدوا رجلاً لم يحظَ بقدر كبير من التعليم، لأنه خرج من المدارس في سن مبكرة، ويعمل أعمالاً مهنية، ولم يكتب في حياته شعراً ولا نثراً، ولا حتى رسالة، ثم أصبح بعد زراعة القلب يحب الشعر ويولفه ويكتبه، وأصبح عاطفياً نحو امرأته أكثر مما كان، وبعد الاستقصاء عن صاحب القلب الأصلي علم أنه كان عاطفياً وشاعراً. وحالة أخرى هي امرأة كانت رقيقة تخاف من المشاكل، لدرجة أنها كانت تترك لزوجها الغرفة إذا شاهد مباريات كرة القدم في التلفاز، ثم بعد أن نقلوا إليها قلب رجل مُلاكم أصبحت عنيفة، وتشاهد المباريات، وتُصيحُ معها، وتُشيرُ بيديها، وتُسبُ كالرجال. وآخر كان لا يهتم بالرياضة، ثم أصبح بعد نقل القلب يحبها ويتسلق الجبال، لأن صاحب القلب كان يعشق الرياضة ويهوى المخاطر. وآخرون أصبحوا يحبون أكالات لم يكونوا يحبونها قبل زراعة القلوب لهم، وهذا كله دفع العلماء أن يُعملوا فكرهم وأبحاثهم ليعرفوا ما سر هذا التغيير في حياة هؤلاء الأشخاص، فوجدوا أن القلب به شبكات عصبية، وخلايا دماغية، وموجات مغناطيسية قوية، وأنه يسيطر على المخ، ويرسل إليه إشارات ويتلقى منه إشارات أخرى، ولكن التي يرسلها أكبر بكثير مما يستقبلها، وأنه هو الذي يُوجّه سلوك الإنسان، ويتحكم في تصرفاته، وأنه يحتفظ بجزء كبير من ذاكرته، وأن له علاقة بذكائه وتفكيره، فسبحان من قال: {سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}

[فصلت: ٥٣]

وقد جاء في الكتاب المقدس ما يؤيد ما نحن بصدده، إذ يقول:
وأما ما يخرج من القم فمن القلب يصدر. وذاك ينجس الإنسان. لأن من القلب
تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف. هذه هي التي تنجس
الإنسان. (متى: ١٥: ١٨-٢٠)

لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق سرقة طمع خبث
مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. (مرقس ٧: ٢١-٢٢)، والله أعلم.
س ٥٣- إن ردة عبد الله بن أبي السرح تدل على أن القرآن اجتهاد بشري، لأنه
كان يكتب القرآن لحمد فأكمل من عنده آية فوجدتها مثل ما قالها له محمد، فعلم أنه
من تأليفه، وارتد لهذا السبب.

ج ٥٣- إن عبد الله بن أبي السرح ؑ كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ وذات مرة
كان الرسول ﷺ يُملئ عليه قول الله تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ
﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون: ١٢-١٤] فأعجب
عبد الله بهذا الكلام، فقال: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} فأمره الرسول ﷺ أن يكتبها كما
قالها، لأنها هكذا نزلت، فشك عبد الله في القرآن، وظن أنه من عند سيدنا محمد ﷺ فارتد
عن الإسلام، وفر إلى مكة، وقد كان الرسول ﷺ يعلم نهاية الآية قبل أن ينطق بها عبد
الله، فلم يأخذها منه، ولكنها وافقت قوله، وقد حدث مثل هذا الأمر مع عمر بن
الخطاب ؑ في عدة مواقف، ولكنه لم يرتد كما ارتد عبد الله. فمثلاً: عندما استشار
الرسول ﷺ أبا بكر وعمر في أسارى بدر، فأشار عليه أبو بكر ؑ بقبول الفدية، وأشار
عليه عمر بقتلهم، فوافق القرآن قول عمر ؑ ووافق في فرض الحجاب على النساء،
وعلى القول الفصل في تحريم الخمر، وقد كان كتاب الوحي سبعة، والصحابة بالآلاف،
ولم يرتد منهم أحد، فليس معنى موافقة القرآن لقول عبد الله أن القرآن من تأليف سيدنا
محمد ﷺ فإن الإنسان بفطرته يعلم كثيراً من الحلال والحرام بغير وحى من السماء، كما
نرى ذلك في بعض البلدان الشيوعية أو البوذية التي تحرم القتل والزنى والسرقة وغير ذلك
من المنكرات. ثم إن عبد الله رجع إلى الإسلام بعد فتح مكة، وحسن إسلامه، واستعمله

أبو بكر وعمر بعد موت الرسول ﷺ، والله أعلم.

س ٥٤- هل كفر عمر بن الخطاب حين أقسم أن هناك آية للرجم يُعملُ بها، ولم تُكتب في المصحف، لأن هناك غنمة أكلت صحيفة من صُحف القرآن - كما جاء في الحديث الذي روته عائشة - أم أن القرآن أخطأ حين قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}؟

ج ٥٤- إن عمر بن الخطاب ﷺ لم يكفر - وحاشاه - حين قال ما معناه: (لولا أن يقال إن زدتُ في المصحف لكتبْتُ آية الرجم على هامشه) ولم يخطئ القرآن حين قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] إن آية الرجم التي يقصدها عمر هي {الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة} وقد كانت من الآيات التي نُسخَت تلاوةً وبقيت حُكماً (كما أشرنا إلى ذلك في الشبهة رقم ٣١) وقد عمل الرسول ﷺ بهذه الآية، وعمل بها من بعده الخلفاء الراشدون ﷺ، ومن بعدهم من السلف الصالح، وقد قال عمر قوله هذه خشية أن يُترك العمل بها، فأراد أن يكتبها على الهامش ليُذكر الناس بها، ولم يُرد أن يكتبها في صُلب نصوص القرآن لعلمه بنسخها، وإلا - فلماذا لم يُشر على زيد بن ثابت ﷺ أن يكتبها في المصحف، وهو الذي أشار على أبي بكر بتدوين القرآن في مصحف واحد عندما قتل سبعون من الحفظة في حرب الردة؟ وفي بادئ الأمر رفض أبو بكر الفكرة، لأن الرسول ﷺ لم يفعلها، ولكن مع إلحاح عمر عليه قبلها، وأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن وجعله في مصحف واحد، وكان زيد لا يقبل أى آية إلا إذا شهد بها اثنان على الأقل من الصحابة ﷺ، فلم يثبت قط أن عمر بن الخطاب عرض هذه الآية عليه، بغض النظر هل كان زيد سيحد شهادتها أم لا. وبفرض أن الداجن أكلت ما في الصحيفة، وكان فيها آية الرجم، فهل هذا يعنى أنها كانت الصحيفة الوحيدة التي لا مثيل لها في بيوت الصحابة ﷺ؟ لقد كان القرآن في صدورهم، ومدون على العباسيب وسعف النخيل والأكتاف والرقاع، وهذا كان القرآن محفوظاً في الصدور والسطور، وما في الصدور كان أقوى مما في السطور، فهل كان عمر هو الوحيد الذي يعلم هذه الآية؟ لقد كانوا يعلمونها، ولكنهم كانوا يعلمون بنسخها وبقاء حكمها (موضوع الداجن التي أكلت الصحيفة تم الرد عليه في الشبهة رقم ٦٢) والله الحمد والمثنة، والله أعلم.

س ٥٥- إن القرآن يعترف بأن اليهود والنصارى على حق، فيقول: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّةَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢] ويقول: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّةَ وَالنَّصْرَى مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: ٦٩]

ج ٥٥- إن أرجح الأقوال في الصابئين أنهم عبادة النجوم، فهل من يعبد النجوم يؤمن بالله واليوم الآخر؟ وهل له منهج ليعمل صالحاً؟ إن معنى الآيات الكريمة - بمنتهى البساطة - هو فتح باب التوبة لكل هؤلاء أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ ويعملوا صالحاً. فلم يرد في القرآن الكريم كله ذكر {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} إلا بمعنى الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، والعمل الصالح هو ما وافق هديه ﷺ، حتى لو أن أحد المسلمين عمل عملاً يظن أنه صالح ولكنه لم يوافق هديه ﷺ فلن يقبل منه، كأن يصلى العشاء خمس ركعات، أو يحج في شهر رجب، أو يصوم إلى العصر.. إلخ. قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: ٣١] فشرط قبول أى عمل أن يكون موافقاً لهدى النبي ﷺ وأن يكون خالصاً لوجه الله الكريم {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠] {عَمَلًا صَالِحًا} هو ما وافق هدى النبي ﷺ {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} هو الإخلاص لله في هذا العمل، قال رسول الله ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" [صحيح الجامع: ٦٣٩٨] "فهو رد" أى مردود عليه غير مقبول. وقد مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حبر من أحبار اليهود فوجده على حاله من الهزال والشحوب مما أصابه من كثرة العبادة، فبكى عليه وتلا قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۖ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۖ تَصَلَّىٰ تَارًا حَامِيَةً} [الغاشية: ٢-٤] لأن كل عبادته لن تنفعه، طالما أنه لم يؤمن بالرسول ﷺ. وقد ضربنا لذلك مثلاً بالطالب الذى عنده امتحان لغة عربية، وظلّ يذاكر طوال العام مادة أخرى كالكيمياء أو غيرها، هل ينجح في الاختبار؟ أو المسافر الذى تعب واجتهد في إصلاح سيارته، ثم اتجه بها إلى طريق خاطئ، وهو يظن أنه سيوصله لغايته، ولكن هيهات هيهات، لقد ضلّ الطريق منذ البداية، فأتى له الوصول في النهاية؟، والله أعلم.

س٥٦- أنتم تقولون إن القرآن نزل {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٥] مع أنه قد ورد به كثير من الكلمات العبرية والآشورية والفارسية والحبشية وغير ذلك، مثل {الْأَرْيَافِكُ} {فَسْوَرَةٌ} {إِسْتَبْرَقُ} {أَبَارِيقُ} {قَمَطَرِيرًا} {سَجِيلُ} {حَصْحَصُ} {الْإِنجِيلُ} .. إلخ.

ج٥٦- هناك كلمات لا تُترجم إلى أى لغة، مثل الأسماء.. كعبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد، وحسن، وعلى.. إلخ. فحين نستمع لنشرة الأخبار باللغة الإنجليزية أو الفرنسية نجدهم ينطقون الأسماء كما هي (بغض النظر عن عدم استطاعتهم لنطق بعض الحروف مثل العين) فهل سمع أحد منا من يقول عن شخص اسمه (سعيد) إن اسمه (هابي) أو شخص اسمه (الأسد) إن اسمه (ليون)؟ ونحن أيضاً حين ننطق أسماءهم ننطقها كما هي، رغم صعوبة بعضها وغرابتها. فهناك كلمات أدخلت على اللغة العربية فصارت كأنها منها، مثل سندوتش، راديو، تليفون، تليفزيون، كمبيوتر.. إلخ. وهناك بعض الكلمات في القرآن لم تكن من اللغة العربية الأصلية، ولكنها أصبحت منها لكثرة استعمالها، ولكن مع هذا لا تجد جملة واحدة في القرآن بلغة غير العربية. إذن فهي كلمات فقط وليست جُملاً، فلا يعنى وجود هذه الكلمات أن القرآن غير عربي. فمثلاً: لو دخلنا مسجداً به آلاف المصريين، وبينهم اثنان أو ثلاثة ليسوا مصريين، ثم قلنا إن هذا المسجد ملىء بالمصريين، هل نكون كاذبين؟ وهل وجود اثنين أو ثلاثة من غيرهم ينفي الصفة عنهم؟ ثم إن الكفار أنفسهم لم يعترضوا على مجيء هذه الألفاظ في القرآن، وهم أعلم الناس باللغة العربية، وقد كانوا يتمنون أن يجدوا فيه أى خطأ ليقدموا في نبوته ﷺ فهل أنتم أعلم منهم؟، والله أعلم.

س٥٧- إن قصة آدم مع إبليس جاءت في سبع سور، إن هذه إطالة مملة، وكذلك قصص الأنبياء مع أقوامهم جاءت في عدة سور، أما كان يكفي أن تكون هذه القصص في سورة أو سورتين؟

ج٥٧- إن هذا ليس تكراراً، فالذى يقرأ هذه الآيات يدرك عدم مطابقتها الحرفية لبعضها، فقد جاءت في عدة مواضع بصور مختلفة لتخدم الغرض الذى ذُكرت له، فهنا مشاهد لم تُذكر في تلك، وإيضاحات هناك لم تذكر هنا، أحياناً تُرد باختصار، وأحياناً

بإسهاب.. وهكذا. فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن هناك حدثاً هائلاً وقع في مكان ما، وتمّ تصويره بكاميرات الفيديو أو التصوير الفوتوغرافي لعرضها على المشاهدين، فهل يلتقطون له منظراً واحداً، أم أنهم يلتقطون له عدة مناظر من عدة جوانب حتى يعلم المشاهد من مجموع صورهِ حقيقة ما حدث فيه؟ إذا كان هذا يحدث في أمور الدنيا، وهي مهما كانت فلن تبلغ أهمية صراع الإنسان مع الشيطان، وهماية هذا الصراع بالكفر أو الإيمان. صحيح أن الله قادر على أن يعرض جميع مُلابسات القصة في سورة واحدة، ولكن لا بد من تكرارها لأهميتها، فإن قضية معصية الإنسان للرحمن وطاعته للشيطان في منتهى الخطورة، بل هي أخطر القضايا في حياة الإنسان، فهي قضية صراعه مع الشيطان، وهذا الصراع نهايته إما إلى جنة أو إلى نار، فهي مسألة ليست هينة ولا بسيطة، فلا بد من التنبيه عليها مرات عديدة حتى نأخذ منها حذرنا ونعد لها عدتنا. ومثال آخر - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو قلت لابنك: ذاكراً لأن الامتحان سيكون صعباً، ثم تركته طوال العام حتى جاء الامتحان فوجده في منتهى الصعوبة، ألا يعاتبك أنك لم تحذره كما ينبغي؟ ألا يقول لك: لقد قلت لي مرة واحدة إن الامتحان سيكون صعباً، ولكنني نسيت أو لم أتوقع أنه بهذه الصعوبة؟ أو لو أن هناك منطقة محذوراً السير فيها لخطورتها على حياة الإنسان، فهل تضع الحكومة يافطة واحدة تشير إلى مكانها؟ إنما تضع عدة إشارات وجنوداً وماريس وأضواء وإنذارات بعدم الاقتراب. ولو أن هناك أسلاكاً كهربائية عارية في الشارع، والتي نسميها (كوفريه) فإنك تحذر ابنك منها كلما نزل إلى الشارع، ولا تكتفي بتحذيره مرة واحدة. وقد رأينا كيف كان تحذير الدولة من أكل الدجاج خوفاً من الإصابة بأنفلونزا الطيور، رغم أن نسبة الإصابة بما حوالى نصف في المليون، فما بالكم بالإصابة بالنار في جهنم وبئس المصير؟ ألا نحتاج التحذير مراراً وتكراراً؟ وأما قصص بقية الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - فقد تكررت لأنها تخدم نفس القضية، وتصب في نفس الموضوع، وهو الإيمان وما يترتب عليه من خيرى الدنيا والآخرة، أو الكفر وما يترتب عليه من عذاب الدنيا والآخرة.

ومن يرجع إلى الكتاب المقدس - بعهديه القديم والحديث - يجد به من التكرار ما لا حصر له، لدرجة تكرار بعض الإصحاحات بكاملها، أو مع تغيير بسيط، فهناك تطابق

كلمة بكلمة، وحرف بحرف، وشولة بشولة، بين (الملوك الثاني: ١٩: ١-١٢) مع (إشعيا: ٣٧: ١٢-١) فهل نسي الله سبحانه وتعالى أنه أنزل هذا الإصحاح فأنزله مرة أخرى؟ وهل يوجد في القرآن سورة تكررت مرتين؟ وقد جاء هذا التكرار في إصحاحات أخرى مع تغيير بسيط، مثل (أخبار الأيام الأول: الإصحاح ١٧) مع (صموئيل الثاني: الإصحاح ٧) و(أخبار الأيام الأول: الإصحاح ١٨) مع (صموئيل الثاني: الإصحاح ٨) و(أخبار الأيام الأول: الإصحاح ١٩) مع (صموئيل الثاني: الإصحاح ١٠) وغير ذلك كثير وكثير، والله أعلم.

س ٥٨- تقولون إن الجذع حن لفراق رسولكم عندما تركه وخطب على المنبر بعد أن كان يخطب عليه، ويقول رسولكم عن جبل أحد: "أخذ جبل يحبنا ونحبه" [صحيح البخاري] وتزعمون أن الجمل اشتكى له من صاحبه الذي كان يضربه ويجوعه، وغير ذلك من القصص والروايات، حتى إن القرآن نفسه يزعم أن النمل والمهدد يتكلمون، بل يزعم أن هناك دابة ستظهر في آخر الزمان وتكلم الناس {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل: ٨٢]

ج ٥٨- إن هذا كله ليس زعماً ولكنه حق، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل أى شيء من مخلوقاته يتكلم، ولكن ليس شرطاً أن نفهم هذا الكلام، وإلا- فأخبروني كيف تتفاهم المخلوقات مع بعضها البعض؟ لقد أثبت العلم - بما لا يدع مجالاً للشك - أن هناك طريقة أو لغة تتفاهم بها المخلوقات، وهذا مُشاهد ومحسوس في واقعنا، حتى إن الإنسان ليتعجب من آيات الله سبحانه وتعالى في خلقه، فهذه النحلة التي تكتشف أفضل أنواع الرحيق ثم تدل بقية النحل على طريقه، أليست هذه لغة؟ وإذا وضعت كمية من السكر على مكان نظيف تماماً وليس به أى نحلة، ثم تركته بعض الوقت لوجدت عدداً كبيراً من النمل قد التف حوله، فمن أين جاء كل هذا النمل إلا أن تكون واحدة منه قد بحثت عن رزقها، فلما وجدته دلت عليه أخواتها؟ وغير ذلك الكثير مما يضيّق المكان عن ذكره، حتى إن بعض النباتات تموت بعد موت من كان يرعاها، حتى لو تولاهما بعده أحد غيره {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ^٤ مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ^٥ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام: ٣٨] ويوم القيامة ستنتطق الأيدي والأرجل والألسن والأسماع والأبصار لتشهد على صاحبها {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا

كَانُوا يَمْتَلُونَ} [النور: ٢٤] {وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۗ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت: ٢١]

إن الله سبحانه وتعالى فهم سيدنا سليمان لغة النمل والهدهد وغير ذلك من المخلوقات، وهذا وغيره مما حدث معه أو مع الرسول ﷺ فإنه من باب المعجزات التي أيدها الله بما رسله صلواته وسلامه عليهم أجمعين. أما الدابة التي ستخرج في آخر الزمان فسيفهم عنها كل من سمعها بقدرة الله سبحانه وتعالى {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ولقد جاء في كتابكم المقدس حوار بين الأشجار، وأن الحجارة تصرخ:

وأخبروا يوثام فلذهب ووقف على رأس جبل جرزيم ورفع صوته ونادى وقال لهم. اسمعوا لي يا أهل شكيم يسمع لكم الله. مرة ذهبت الأشجار لتمسح عليها ملكاً. فقالت للزيتونة املكي علينا. فقالت لها الزيتون أترك ذهني الذي به يُكْرَمُونَ بي الله والناس وأذهب لكي أملك على الأشجار. ثم قالت الأشجار للتينة تعالى أنت واملكي علينا. فقالت لها التينة أترك حلاوتي وثمرى الطيب وأذهب لكي أملك على الأشجار. فقالت الأشجار للكرمة تعالى أنت واملكي علينا. فقالت لها الكرمة أترك مسطاري الذي يُفَرِّحُ الله والناس وأذهب لكي أملك على الأشجار. ثم قالت جميع الأشجار للعوسج تعال أنت واملك علينا. فقال العوسج للأشجار إن كنتم بالحق تمسحونني عليكم ملكاً ففعالوا واحتموا تحت ظلي. وإلا فتخرج نار من العوسج وتأكل أرز لبنان. (قضاة: ٧-١٥)

فأجاب وقال لهم أقول لكم إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ (لوقا: ١٩: ٤)، والله أعلم.

س ٥٩- أنتم تحرمون الميتة مع أن الله هو الذي قتلها، وتحلون وتأكلون ما تذبحون بأيديكم، مع أن يد الله أظهر من أيديكم، فلماذا تأكلون ما قتلتموه ولا تأكلون ما قتلته الله؟ ثم إن الذبح طريقة بشعة.. ألا توجد طريقة أهون من ذلك؟

ج ٥٩- لقد توارث المشركون هذا السؤال جيلاً بعد جيل منذ عهد الرسول ﷺ فحكم الله على من أضعهم بالشرك {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوحِونَ لِإِئْتِيَابِهِمْ لِيُجْنِدُواكُمْ ۗ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}

[الأنعام: ١٢١] أى أن من أطاعهم في تحليل الميتة فقد أشرك بالله، لأن التحليل والتحریم ليس لأحد غيره. إن الميتة لا يصح أن يُقال إن الله قتلها، ولكنه أماتها، ولعلمه بضررها فقد حرم علينا أكلها، قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤] فالذى خلقها هو الذى أمر بذبحها، فهو سبحانه لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: ١٥٧] وقد أثبت العلم الحديث أن الميتة مليئة بالأمراض الفتاكة، فقد أجرؤا تجارب علمية كثيرة على الحيوانات والطيور المذبوحة وغير المذبوحة، فوجدوا أن الدم المحبوس في الميتة تنمو فيه الجراثيم بشكل رهيب، على خلاف ما يحدث في المذبوحة. وقد أجرى فريق من الأطباء السوريين تجارب على الذبائح التي ذُكر اسم الله عليها، والتي لم يُذكر اسم الله عليها، وقسموها قسمين: لحم مُكَبَّر عليه، ولحم غير مُكَبَّر عليه، ووضعوها في نفس الظروف، وعلى نفس المزارع، فوجدوا أن اللحم المُكَبَّر عليه خال من الجراثيم، في حين أن الآخر ملئ بها، فجزاهم الله خيراً. وقد أمرنا نبي الرحمة ﷺ بإحسان ذبح البهيمة، فقال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدِّد أحدكم شفرته وليُريح ذبيحته" [صحيح مسلم]

ثم إن كتابكم المقدس لم يأمر بذبح البهيمة فحسب، بل أمر برجمها، وكسر عنقها، رغم أنها لا تعقل: وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يُرجم الثور ولا يؤكل لحمه. (خروج: ٢١: ٢٨)

ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وإن لم تفده فتكسر عنقه. (خروج: ١٣: ١٣)
وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى وادٍ دائم السيلان لم يُحرث فيه ولم يُزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادى. (ثنية: ٢١: ٤)

ولقد حرم الله الميتة في كل الديانات لضررها، حتى إن كتابكم المقدس لم يجرمها فقط، بل حرم مسّها وحملها، فقال: وإذا مات واحد من البهائم التي هي طعام لكم فمن مسّ جثته يكون نجساً إلى المساء. ومن أكل من جثته يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. ومن حمل جثته يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء (لاويين ١١: ٣٩-٤٠)، والله أعلم.

س ٦٠- يحرم القرآن لحم الخنزير مع أنه ليس من أكلة اللحوم كالأسد والنمر

والقطط والكلاب وغيرها، فلماذا يحرم القرآن ما لم يحرمه الكتاب المقدس؟ مع أنه قال: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾**؟ [المائدة: ٤٨] أى أنه يصدّق ما جاء في التوراة والإنجيل.

ج ٦٠- يبدو أن السائل تعمد ألا يذكر الآية كلها حيث تقول: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّجًا عَلَيْهِ﴾** أى أن القرآن يصدّق ما جاء في الكتب الأصلية قبل تحريفها، ولكنه مهين عليها، أى أنه يُقرّ بعض ما فيها من أحكام، وينسخ البعض الآخر. ويبدو أنه لا علم له بما جاء في كتابه المقدس الذى لم يحرم عليه الخنزير فحسب، بل حرم عليه الجمل والأرنب والبط والأوز وغيرها.. إذ يقول:

شعب يفيظني بوجهي دائماً... يأكل لحم الخنزير وفي آنيته مرق لحوم نجسة... هؤلاء دُخان في أنفي نار مُتقدّة كل النهار... لا أسكتُ بل أجازي. أجازي في حزنهم. آثامكم وآثام آبائكم معاً قال الرب الذين ينجسوا على الجبال وعيرونى على الآكام فأكيل عملهم الأول في حزنهم (إشعيا ٦٥: ٣-٧) هذا الكلام ينسبونه لله جل وعلا!!

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً لهما كلماً بنى إسرائيل قائلين. هذه هي الحيوانات التى تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض. كل ما شقّ ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر وما يشق الظلف. الجمل. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً. فهو نجس لكم. والوبر. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم. والأرنب. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم. والخنزير. لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر. فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا. إنما نجسة لكم (لاويين ١١: ١-٨) والبط والأوز داخلان في التحريم، لأنهما لم يشقّا ظلفاً حسب القاعدة المذكورة في هذه الفقرة. وهناك محرّمات أخرى في (سفر اللاويين: الإصحاح ١١) وغيره من الأسفار.

ولم يكتفِ الكتاب المقدس بتحريم هذه الأشياء، بل حكم بنجاستها ونجاسة كل من مسّها أو وقعت عليه جثتها، وكسر الآنية وهدم الأبنية التى وقعت عليها جثتها: لكن سائر ديب الطير الذى له أربع أرجل فهو مكروه لكم. من هذه تتنجسون. كل من

مس جثتها يكون نجساً إلى المساء وكل من حمل من جثتها يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. وجميع البهائم التي لها ظلف ولكن لا تشقه شقاً أو لا تجتر فهي نجسة لكم. كل من مسها يكون نجساً. وكل ما يمشی على كفوئه من جميع الحيوانات الماشية على أربع فهو نجس لكم. كل من مس جثتها يكون نجساً إلى المساء. ومن حمل جثتها يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء... كل من مسها بعد موتها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما وقع عليه واحد منها بعد موتها يكون نجساً. من كل متاع خشب أو ثوب أو جلد أو بلاس. كل متاع يُعمل به عمل يُلقى في الماء ويكون نجساً إلى المساء ثم يطهر. وكل متاع خزف وقع فيه منها فكل ما فيه يتنجس وأما هو فتكسرونه... وكل ما وقع عليه واحدة من جثتها يكون نجساً التنور والموقدة يُهدمان. إنها نجسة وتكون نجسة لكم. (لاوين ١١: ٢٣-٣٥)

إن دائرة الحلال أوسع بكثير من دائرة الحرام، حتى إنه لم يأت نص واحد في القرآن الكريم يذكر الأشياء التي أحلها، ولكنه ذكر المحرمات لأنها قليلة ومعدودة، فالأصل في الأشياء الإباحة إلا ما دل النص على تحريمه، ونحن لا نناقش الله سبحانه وتعالى في أوامره ونواهيه، فهو الإله ونحن العبيد، ومن يناقش الله في أوامره ونواهيه فكأنما جعل نفسه نذراً لله سبحانه وتعالى. وقد أثبت العلماء أن الخنازير هي سبب انتشار مرض انفلونزا الطيور، لأنهم يقومون في أوروبا بتربية الخنازير بجانب الطيور، وهذا المرض كان يأتي للطيور فيهلكها، ولكنه كان لا ينتقل للإنسان، وأغلب الظن أنه هو الذي كانت تسميه النساء (الفِرَّة) ولكن تربية الخنازير بجانبها جعلت هذا الفيروس ينتقل للخنازير، ثم يعود إليها بعد أن تحوّر في جسد الخنازير وأصبح صالحاً للانتقال إلى الإنسان، وتسبب له في هذا المرض المدمر. هذا فضلاً عما يسببه أكل لحم الخنزير من أمراض خطيرة، لكونه يأكل من النجاسات والميتة والقمامة، وغير ذلك من الأشياء المقرزة، مثل الفئران الميتة والحية، حتى أنه يأكل الشاش والضمادات المستخدمة في علاج تقيحات الجروح إذا ما وُجدَ بجوار قمامة المستشفيات. ومن الأمراض التي يسببها أكل لحم الخنزير:

أولاً: أمراض باطنية مثل ضغط الدم، والذبحة الصدرية، وتصلب الشرايين، والجلطات، وذلك نتيجة الكوليسترول الناتج من تحلل لحم الخنزير بعد تناوله، ودهون الخنزير ترسب

في جسم الإنسان نتيجة صعوبة استحلابها في الأمعاء، فلا تتحول إلى دهن بشري كأى دهن في أى لحم آخر، بل تتحول إلى دهن خثري، ولا مفر من ترسب هذه الدهون الخطيرة حتى لو أكل لحم الخنزير مشوياً، لأن علماء الطب البيطري أثبتوا أن الدهن يتواجد في داخل الخلايا العضلية.

ثانياً: التهاب المفاصل.. خاصة بين الفقرات، ومشاكل في الأوتار والأربطة والغضاريف والعظام، وذلك لاحتواء لحم الخنزير على نسبة عالية من الكبريت، وهذا العنصر تؤثر كثرته في مدى امتصاص الأنسجة الضامة للماء، فتكتسب شكلاً كيميائياً اسفنجياً، فتتراكم المواد المخاطية في الأوتار والأربطة العضلية مُحدثة بعض الأمراض والآلام.

ثالثاً: بعض الأمراض البوابية مثل: الدودة الشريطية العوساء، الدودة الشعرية الحلزونية، الدودة الكبدية، والبلهارسيا اليابانية، طفيل داء النوم الأفريقي، الزحار الزقي، ميكروب المكور السبحي، فيروس الكريب، الحمرة الخثرية... إلخ.

ونحن نمتثل لأمر الله جل وعلا بغض النظر عن الأمراض والأعراض الناتجة عن تناوله، فالمسلم مُسلم أمره الله، يأتمر بأمره، وينتهي عن نهيه، بغض النظر أَعْلِمَ حكمته أم لم يعلمها، والله أعلم.

س ٦١- يقول القرآن: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ} [يونس: ٤٧] ويقول: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤] ويقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: ٤] أى إن لكل أمة رسول منها وإليها، فلو صح هذا الكلام لكان لكل دول العالم رسل وأنبياء، إذن فمن هم أنبياء ورسول دول وقارات العالم مثل أوروبا وأستراليا والهند والصين واليابان وكل بلاد العالم القديم؟

ج ٦١- لقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر: ٧٨] أى أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر جميع الرسل في القرآن، ولكنه ذكر الرسل الذين أراد أن نستفيد من سيرتهم مع أمهم، ونستفيد من حياتهم وبيئاتهم، وتعود قصصهم بالنفع على الرسول ﷺ وأمته، أما بقية الرسل فلم يُذكروا لحكمة يعلمها الله، ربما لأن قصصهم ستكون بمثابة علم لا ينفع وجهل لا يضر،

وقد كان الرسول ﷺ يستعيز بالله من علم لا ينفع [صحيح مسلم] فليست المسألة مسألة حشو للمصحف بغير فائدة.

وقد جاء في الكتاب المقدس قصص وحشو كثير لا طائل من ورائه، مثل:
 وصعد معهم لفيفاً كثير أيضاً مع غنم وبقر مواشٍ وافرة جداً. وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة فطيراً إذ كان لم يختمر. (خروج ١٢: ٣٨-٣٩)
 فبادرت أيجاييل وأخذت منق رغييف خبز وزقى همر وخمسة خرفان مهياة وخمس كيلات من الفريك ومنق عنقود من الزبيب ومنق قرص من التين ووضعتها على الحمير وقالت لفلانها اعبروا قدامي هانذا جائية وراءكم. ولم تخبر رجلاً ناهال.
 (صموئيل الأول ٢٥: ١٩)

سلم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس. أراستس بقى في كورنثوس. وأما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً. بادر أن تجيء قبل الشتاء. يسلم عليك أفبولس وبوديس ولينس وكلافدية والأخوة جميعاً. (رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٤: ١٩-٢١)
 أوصى إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم. لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع. اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم. وعلى الكنيسة التي في بيتهما. سلموا على آيبتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائية للمسيح. سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً. سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا في المسيح قبلي. سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب. سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح وعلى استاخيس حبيبي. سلموا على أبلس المزكى في المسيح. سلموا على الذين هم من أهل أرستوبولوس. سلموا على هيروديون نسيي. سلموا على الذين هم من أهل نركيسوس الكاثنين في الرب. سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب. سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب. سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي. سلموا على أسينكريتس فليغون هرماس بتروباس

وهرميس وعلى الإخوة الذين معهم. سلّموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولباس وعلى جميع القديسين الذين معهم. سلّموا بعضكم على بعض بقُبلة مقدسة. كنائس المسيح تسلّم عليكم... يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائي. أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب. يسلم عليكم غايس مضيقي ومضيف الكنيسة كلها. يسلم عليكم أراستس خازن المدينة وكوارتس الأخ. (رسالة بولس إلى رومية ١٦: ١-٢٤) فهل هذه السلامات وحي من عند الله؟ وهل الله سبحانه وتعالى يأمر الرجال والنساء أن يُقبّلوا بعضهم بعضاً بقُبلة مقدّسة؟ وإذا كان ترتيوس هو الذي كتب هذه الرسالة (أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة) فما الفائدة من ذكرها؟ وما الذي جعلها مقدسة؟

بادر أن تجيء إلى سريعا لأن ديماس قد تركني إذ أحبب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي وكريسكيس إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية. لوقا وحده معي. خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة. أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس. الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس أحضره متي جئت والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق. (رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٤: ٩-١٣)

حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتي إلى نيكوبوليس لأني عزمت أن أشتي هناك. (رسالة بولس إلى تيطس ٣: ١٢) هل قوله لصديقه إنه يريد أن يشتي ينفعكم بشيء؟ وهل تعترون هذا مقدّساً، أو أنه وحي من عند الله؟، والله أعلم.

س٦٢- ورد في سنن ابن ماجه، والدارقطني، والطبراني في معجمه، أن عائشة زوجة نبيكم قالت: (لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها) إن معنى هذا أن بعض آيات القرآن لم تُكتب في المصحف الذي بين أيديكم لأن الداجن (وهي الشاة أو المعز أو الدواجن) أكلته.

ج٦٢- نقول وبالله التوفيق: لو كان في حديث أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - يوم أن روته ما يشكك في سلامة الوحي الإلهي المكتوب بين أيدينا اليوم لكان حرياً بأعداء الإسلام يومها أن يتلقفوا قولها ليشنعوا على القرآن وأنه ليس كاملاً، وخصوصاً أن

كثيراً منهم قد ارتد عن الإسلام بعد موت الرسول ﷺ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. ولو كانت صحيفة أم المؤمنين - رضى الله عنها - هي المرجع الوحيد لهاتين الآيتين ما قبلهما الصحابة رضي الله عنهم بعد أن وضعوا لقبول آيات ربه شروطاً تليق بمقام قرآنهم يعجز أن يصمد أمامها أى كتاب على وجه البسيطة. وإن كانت الصحف التي احتفظ بها بعض الصحابة رضي الله عنهم قد أمر سيدنا عثمان بجمعها فإن ذلك لم يكن لمراجعة الوحي عليها، إنما كان لضمان سلامة ما سوف يتناقله المسلمون من بعدهم، فلم يكن المكتوب في الصحيفة أصدق مما حفظته صدور الصحابة، وما كانت الصحف المتناثرة بين أيدي صحابة رسول الله ﷺ بأدق مما يتلونه بألسنتهم، ويتعبدون به في ذكرهم، وفي صلواتهم خلف رسول الله ﷺ أو في بيوتهم. ومن المهم أن نفهم دلالة لفظ (صحيفة) الذي ورد في حديث أم المؤمنين - رضى الله عنها - فهو لا يشير لمصحف مطبوع - مثلاً - كالذي بين أيدي المسلمين اليوم، ولا يُتصوّر أنه كان مجلداً من أوراق الردي، أو رزمة من سعف النخيل، أو كمية من جلود المعز مما كان يستخدم في الكتابة. كما أنه لا يُتخيّل أن هذه الصحيفة كانت تحتوى على سورة البقرة - مثلاً - أو عشر من قصار السور، بل ولا أن تحتوى الصحيفة الواحدة على أكثر من آية، أو آيتين، أو ثلاث، أو عشر على أكثر تقدير. وقد جاء لفظ (صحيفة) في الحديث الشريف بصيغة (المفرد) ولم يرد بلفظ (صُحُف) بصيغة الجمع، مما يدل على أنها قطعة واحدة مما كانوا يكتبون عليه، ولو كانت هذه الصحيفة مما تتعبد به أم المؤمنين - رضى الله عنها - ما كان موضعها تحت السرير، بل يكون موضعها في متناول اليد، إذ لا يوضع تحت السرير غير الذي يمكن إيداعه أو الاحتفاظ به على سبيل الترك مدة طويلة، لا على سبيل الاستخدام، وقد كان هذا دأب جدّاتنا إلى عهد قريب بنا، فكان أسفل السرير هو أفضل الأماكن لحفظ الأشياء الثمينة والغالية والعزيزة على النفس. ولا يختلف اثنان في أن الذي كان مكتوباً في صحيفة أم المؤمنين - رضى الله عنها - كان موجوداً مضبوطاً ومجوداً ومُحكماً بنصّه في صدور الصحابة رضي الله عنهم، وكان يتردد على ألسنتهم، وكانوا يقرأونه على بعضهم البعض. كما كان مثله مكتوباً في عشرات الصحف الأخرى التي جمعها صحابة رسول الله ﷺ ووضعوها كلها بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين يدي من وكلّ إليهم مهمة جمع هذا الكتاب العظيم. أما القضية الأشد

أهمية فهي الحُكمان اللذان أشار إليهما الحديث الشريف، وهما: آيتا الرجم ورضاعة الكبير عشرًا، وهما مما لا نجد في المصحف الذي بين أيدينا اليوم، فإن ذكر عائشة - رضی الله عنها - للحُكَمَيْن لا يصلح وحده أن يكون حجة على إجماع اثني عشر ألفاً من المسلمين الذين كانوا شهوداً على جمع كتاب الله سبحانه وتعالى. ونفهم من ذلك أن الآيتين كانتا من التزويل الحكيم مصداقاً لقول أم المؤمنين - رضی الله عنها - وأنها مما نُسخ من آيات الله، مع بقاء حكم إحداهما، وهى آية الرجم. وقد ذكرنا بعض الحُكَم من النسخ في الرد على الشبهة رقم (٣١) وتكلمنا عن أنواعه الثلاثة، فَصَحَّ أن الآيات التي أكلتها الشاة لو أمر رسول الله ﷺ بتبليغها لبليغها، ولو بليغها لحفظت، ولو حفظت ما ضرها موته كما لم يضر موته ما بليغ من القرآن، وإن كان لم يبلِّغه أو بليغه ولكن لم يأمر بكتابه في القرآن فهو منسوخ بتبيين من الله تعالى، فلا يحل أن يضاف إلى القرآن. ومن قواعد علم القراءات أن القرآن لا يعتبر قرآناً إلا إذا كانت ركيزته التلقين والتوقيف والتلقي والمشافهة، وكانت دعامة الرواية والنقل والسماع، ولا شيء وراء ذلك من رسم أو كتابة، والله أعلم.

س ٦٣- يذكر القرآن أشياء تافهة مثل البصل والعدس والقثاء في قوله: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَصِيرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَحِدْوٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ خُذْ لَنَا مِمَّا تَكْتُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَتَصَلِيهَا} [البقرة: ٦١] ويذكر حيوانات مثل البقر والإبل والغنم، ويذكر حشرات مثل البعوض والعنكبوت والنمل والنحل، وغير ذلك مما لا يليق بكلام الله، بل ويسمى بعض السور بأسماء هذه الحيوانات والحشرات.

ج ٦٣- إن ذكر هذه الأشياء لا نكارة فيه، إذ أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلقها، وهو الذى ذكرها في كتابه، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، وذكرها في كتابه الكريم لم يأت عبثاً، ولا مجرد قصص لا فائدة فيه، بل كلٌّ منها يخدم معنى معيناً. وتسمية السور كان لتمييزها من بعضها، ولذلك كانت السورة تُسمى بما يميزها عن غيرها بذكر ما جاء فيها وحدها دون غيرها، فمثلاً: سورة (البقرة) سُمِّيت هكذا لورود قصة البقرة فيها دون غيرها، وليس تعظيماً للبقرة، أو أن قصتها أعظم ما ورد في السورة، وكذلك سور (النحل) و(النمل) و(العنكبوت) لورود ذكر هذه الحشرات فيها وحدها.

وقد جاء في الكتاب المقدس ذكر حيوانات وحشرات كثيرة، وأنواع من الأطعمة وطريقة طهيها، وطريقة حياكة بعض الملابس (سفر الخروج، الإصحاح ٢٨) وغير ذلك مما يطول شرحه، ونكتفى هنا بذكر بعض النصوص:

أَفْضِجِ اللَّحْمَ تَبْلُهُ تَبْيِلاً (حزقيال ٢٤: ١٠)

فَاعْطَى يَعْقُوبُ عَيْسُو خَبِزاً وَطَبِيخَ عَدَسٍ. (تكوير ٢٥: ٣٤)

وَعَسَّلَ الْأَحْشَاءَ وَالْأَكَارِعَ وَأَوْقَدَهَا فَوْقَ الْمَهْرَقَةِ عَلَى الْمَذْبَحِ. (لايرين ٩: ١٤)

تَاجَرُوا فِي سَوَاقِكَ بِحَنْطَةِ مَنِيَتٍ وَحَلَاوِيٍّ وَعَسَلٍ وَزَيْتٍ وَبَلْسَانَ. (حزقيال ٢٧: ١٧)

فَنَاولُوهُ جِزْءاً مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ وَشَيْئاً مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ. فَآخِذْ وَأَكَلْ قُدَّامَهُمْ (لوقا ٢٤: ٤٢-٤٣)

قَدْ تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ مَجَاناً وَالْقَهَاءَ وَالْبَطِيخَ وَالكَرَّاتِ وَالْبِصَلَ وَالثُومَ. (عدد ١١: ٥)

مِنْهَا اللَّبُوبَةُ وَالْأَسَدُ الْأَفْعَى وَالشَّعْبَانُ السَّامُ الطَّيَّارُ (إشعيا ٣٠: ٦)

اللَّيْثُ هَالِكٌ لِعَدَمِ الْفَرِيْسَةِ وَأَشْبَالُ اللَّبُوبَةِ تَبَدَّدَتْ (أيوب ٤: ١١)

وَيَلِ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيْسِيُّونَ الْمَرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ تَعَشَّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشَّبَثَ

وَالكُمُونَ... أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمَيَانُ الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ الْبِعُوضَةِ وَيَلْعَنُونَ الْجَمَلَ (متى ٢٣: ٢٣-٢٤)

(٢٣-٢٤)

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً. كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا لِي تَقْدِمَةً. مِنْ كُلِّ مَنْ يَحْتَشِ

قَلْبُهُ تَأْخُذُونَ تَقْدِمَتِي. وَهَذِهِ هِيَ التَّقْدِمَةُ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا مِنْهُمْ. ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ وَنَحَاسٌ

وَأَسْمَانْجُونِيٌّ وَأَرْجُونٌ وَقِرْمِزٌ وَبُوصٌ وَشَعْرٌ مِعْزِيٌّ وَجُلُودٌ كِبَاشٍ مُحَمَّرَةٌ وَجُلُودٌ تَحْسُ

وَخَشَبٌ سِنَطٌ وَزَيْتٌ لِلْمَنَارَةِ وَأَطْيَابٌ لِدَهْنِ الْمَسْحَةِ وَاللِّبْخُورُ الْعَطْرُ وَحِجَارَةٌ جِزْعٌ

وَحِجَارَةٌ تَرْصِيعٌ لِلرِّدَاءِ وَالصُّدْرَةِ. فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِساً لِأَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ. (خروج ١٥: ٨-١)

(٨-١)

وَخَبْزٌ فَطِيرٌ وَأَقْرَاصٌ فَطِيرٌ مَلْتَوْتَةٌ بِزَيْتٍ وَرِيقَاقٌ فَطِيرٌ مَدَهُونَةٌ بِزَيْتٍ. مِنْ دَقِيقِ حَنْطَةٍ

تَصْنَعُهَا. وَتَجْعَلُهَا فِي سَلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَتَقْدِمُهَا فِي السَّلَّةِ مَعَ الثُّورِ وَالْكَبْشَيْنِ (خروج ٢٩: ٢-٣)

(٣)

وكان كلام الرب له قائلاً... وقد أمرتُ الغريبان أن تعولك هناك... وكانت الغريبان تأتي إليه بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساءً (الملوك الأول ١٧: ٢-٦)

وكان للمرأة عجل مُسَمَّن في البيت فأسرعت وذبحته وأخذت دقيقاً وعجنته وخبزت فطيراً ثم قدمته أمام شاول وأمام عَبْدَيْهِ فآكلوا. وقاموا وذهبوا في تلك الليلة (صموئيل الأول ٢٨: ٢٤-٢٥)

واضرب مثلاً للبيت المتمرد وقل لهم. هكذا قال السيد الرب. ضَعِ القِدْرَ. ضعها وأيضاً صَبِّ فيها ماء. اجمع إليها قطعها كل قطعة طيبة الفخذ والكتف. املأوها بخيار العظام. خذ من خيار الغنم وكومة العظام تحتها. أغْلِهَا إِغْلَاءً فَتَسَلِّقْ أَيْضاً عِظَامُهَا فِي وَسْطِهَا (حزقيال ٢٤: ٣-٥)

وإذا قَرَّبَ أحد قربان تقدمه للرب يكون قربانه من دقيق. ويسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً. ويأتي بها إلى بنى هرون الكهنة ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن تذكراها على المذبح وقود رائحة سرور للرب... وإذا قَرَّبَ قربان مقدمة محبوزة في تنور تكون أقراصاً من دقيق فطيراً ملتوتة بزيت ورفاقاً فطيراً مدهونة بزيت. وإن كان قُربانك مقدمة على الصاج تكون من دقيق ملتوتة بزيت فطيراً. فتُفْتَّها فُتَاتاً وتسكب عليها زيتاً. إنها مقدمة وإن كان قربانك مقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت تعمله... ويوقد على المذبح وقود رائحة سرور للرب... ولا تُخَلْ تقدمتك من ملح عهد إلهك... وإن قَرَّبَ مقدمة باكورات للرب ففريكاً مشويّاً بالنار جريشاً سويقاً تقرب مقدمة باكوراتك. وتجعل عليها زيتاً وتضع عليها لباناً. إنها مقدمة. فيوقد الكاهن تذكراها من جريشها وزيتها مع جميع لبانها وقوداً للرب (لاويين: الإصحاح الثاني)

وهذه تكروهونها من الطيور. لا تؤكل إنما مكروهة. النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق على أجناسه وكل غراب على أجناسه والنعامة والظليم والساف والباذ على أجناسه واليوم والغواص والكركي والبجع والقوق والرخم والقلق والبيغا على أجناسه والمهدد والخفاش... هذا منه تأكلون. الجراد على أجناسه والذبا على أجناسه والخرجوان على أجناسه والجنذب على أجناسه... وهذا هو النجس لكم من

الديب الذي يدب على الأرض. ابن عرس والقار والضب على أجناسه والحردون والورل والوزغة والعظاية والحرباء. هذه هي النجسة لكم من كل الديب. كل من مسها بعد موتها يكون نجساً إلى المساء. (لايين ١١: ١٣-٣١)، والله أعلم.

شبهات ظالمة حول الإسلام

س٦٤ - لماذا سمح الإسلام للرجل بتعدد الزوجات، رغم أن هذا يضر بالمرأة؟
ولماذا لم يسمح للمرأة بتعدد الأزواج؟ أليست هذه عنصرية ظالمة؟

ج٦٤ - لقد جاء الإسلام والتعدد موجود، وليس محدوداً بعدد معين، بل كما يشاء الرجل، ولو مائة امرأة، ففي هذه الحالة أيكون الإسلام عدد أم حدد؟ وبعد نزول آية التعدد في سورة (النساء) أمر الرسول ﷺ من كان معه أكثر من أربع أن يطلق الزيادة، أي أن تنفيذ الأمر - بلغتنا الحديثة - كان بأثر رجعي، وفي هذه الحالة يبيح الإسلام للمطلقات أن يتزوجن، على نقيض ما جاء في الكتاب المقدس:

فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها. وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بأخر تزني (مرقس ١٠: ١١-١٢)

إن التعدد في الإسلام ليس فرضاً، ولكنه مباح، وله من الحكمة ما لا يُعد، فمن المعلوم أن عدد الذكور في كل المخلوقات - أو معظمها - أقل بكثير من عدد الإناث، ليس في بني الإنسان فقط، بل في المملكة الحيوانية وغيرها، كما هو مُشاهد - مثلاً - بين الدجاج، فتجد أن المائة بيضة يخرج منها تقريباً خمسة أو ستة ديوك والباقي إناث، وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى، فلو كان العكس لحدثت كارثة، ولتضارب الذكور على الإناث، ولخُطِفَت النساء من أزواجهن في الشوارع. ومعلوم أيضاً أن عدد الوفيات بين الرجال أكثر من النساء لتعرضهم للأمراض والحوادث الناجمة عن الأعمال الشاقة التي يقومون بها دون النساء، مثل العمل في المناجم، وحفر الآبار، وأفران الحديد والصلب، وكسح الأتغام، والتعامل مع الكهرباء عالية القوة، والغوص في أعماق البحار، والطيران وغير ذلك. وفي حالات الحروب تحصد العديد من الرجال، فيزداد عدد النساء، كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية، عندما ازداد عدد النساء في ألمانيا زيادة رهيبية، وأصبحت النساء بغير أزواج، فكنَّ يسافرن في العطلة الأسبوعية لإشباع رغباتهن في الدول الأخرى، وتداخلت الأعراق والأنساب، وكثر اللقطاء بصورة لا مثيل لها، حتى إنهم قُدِّروا بحوالي خمسين مليوناً في أرجاء أوربا الشرقية والغربية، فلو أنهم كانوا يدينون بالإسلام لَمَّا لجأوا إلى الزنى، ولَمَّا اختلطت أنسابهم، ولَمَّا ظهر اللقطاء وأطفال الشوارع الذين لا يعرفون

آباءهم. وهذا في حد ذاته رد على السؤال الثاني.. وهو لماذا لم يُيح الإسلام للنساء التعدد كما سمح للرجال؟ فلو سمح لمن بذلك.. فكيف يعرف كل طفل أباه؟ بالإضافة إلى أسباب أخرى كثيرة، فإن هذا الأمر تأباه الفطر السليمة، ليس من جانب الرجال فحسب، بل من جانب النساء أيضاً. ودعونا نتساءل.. لو أن هذا الأمر حدث ماذا ستكون النتيجة؟ كيف يعرف كل زوج أبناءه؟ سيحدث حتماً اختلاط في الأنساب، وتنازع على الأبناء، فكل زوج يريد الولد الأجل والأذكى والأقوى، وهذا يريد الذكور، وآخر يريد الإناث... وهكذا. ومعلوم أن الذكر الواحد بإمكانه تلقيح عدد كبير من الإناث، وبهذا يزداد النسل، بعكس النساء، لو حملت إحداهن فإن خصوبتها تُعطل طوال مدة حملها، وربما مدة الرضاعة أيضاً. وبالإضافة لما سبق.. فقد أثبتت التحاليل والفحوص الطبية أن معايشة المرأة لأكثر من رجل يعرضها لأمراض كثيرة، أهمها سرطان عنق الرحم، وهو من أخطر السرطانات. وقد أثبتت أحدث الفحوص والدراسات العلمية أن منى الرجل له بصمة داخل رحم الأنثى لا تتركه إلا بعد ثلاث حيضات، كيف هذا؟ يقولون إن أول حيضة يسقط معها ما يعادل ثلث البصمة تقريباً، والحيضة الثانية كذلك، والحيضة الثالثة كذلك، سبحان الله {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: ٢٢٨] وقد فسر العلماء الثلاثة قروء بثلاث حيضات، أو ثلاث طهرات. أما المتوفى عنها زوجها فيقولون إن حالة الاكتئاب التي تمر بها تجعل البصمة لا تزول إلا بعد ١١٨ يوماً {وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة: ٢٣٤]

ومن حكم التعدد أيضاً حالات مرض الزوجة أو عقمها، أو وجود عذر يمنعها من المعايشة الزوجية لمدة طويلة لا يطيقها الزوج، فبعض النساء تستمر دورهن الشهرية أياماً كثيرة، وبعضهن يُمتنعن من المعايشة الزوجية أثناء الحمل، مثل حالات الإجهاض المنذر، وكذلك أيام النفاس. ومن الأسباب أيضاً وجود أرامل (وهن كثيرات لما ذكرناه من كثرة الوفيات بين الرجال) ومطلقات ليس هن عائل، ويتامى لا يجدون من يقوم على رعايتهم. ولا يقول أحد إنه يكفي رعاية كل هؤلاء بمساعدتهم مادياً، فإن المال ليس كل شيء، فالمرأة تحتاج لمن يعفها، وخصوصاً لو طُلقَت أو مات عنها زوجها وهي في سن

مبكرة، وكذلك فإن الأطفال يحتاجون للتربية والتوجيه والقيام على مصالحهم، وهذا لا تكفى فيه المرأة وحدها. وكذلك وجود بنات عوانس تجاوزن سن الزواج.. مَنْ لهن؟ أيتركن للضياع والانحراف؟ أليس لهن الحق كبقية النسوة؟ ونقول للمستغربين قلباً وقالباً (أى الذين يعشقون الغرب بقضه وقضيضة): إن التعدد ضرورة اجتماعية، وقد كان منتشرأ في أوربأ إلى عهد الملك (شارل مان) كما جاء في مقال الكاتب المصرى (محمد التابعى) في مجلة (آخر ساعة) الصادرة بتاريخ ٣ يونيو ١٩٤٥، إذ كان هذا الملك متزوجاً بعدة نساء، وبعد ذلك جاء أمر من القساوسة بمنع التعدد، فأصبح مباحاً للرجل أن يتخذ أكثر من عشيقة في الحرام، ولا يتزوج على امرأته في الحلال، لدرجة أنهم حين ظهر مرض الإيدز وأرادوا عمل دراسات على الرجال الذين لم يعاشروا إلا زوجاتهم لمدة خمس سنين، لم يجدوا ولا رجلاً واحداً وفي تركيا عندما أنهى (مصطفى كمال أتاتورك) الخلافة الإسلامية، وجعلها علمانية، وألغى التعدد (عليه من الله ما يستحقه) انتشر الزواج العرفى والزنى وكثر اللقطاء مثلما حدث في أوربأ.

ولقد ورد التعدد في الكتاب المقدس في أكثر من موضع، وإليك بعض الأدلة:
إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة. (تثنية ٢١: ١٥)

ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته (تكوين ٣٦: ٦)
فتمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا.
ليُدعَ فقط اسمك علينا. انزع عارنا (إشعيا ٣: العدد الأخير)
وعندهم أن سيدنا يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام- تزوج راحيل واختها ليفة ابنتي خاله لابان (تكوين ٢٩: ٢١-٣٠) وتزوج أخوه عيسو مَحَلَّة بنت إسماعيل بن إبراهيم على نسائه (تكوين ٢٧: ٩)، والله أعلم.

س ٦٥- لماذا يبيح الإسلام الطلاق؟

ج ٦٥- إن العلاقة الزوجية في الإسلام تقوم على المودة والرحمة، قال تعالى: **لَوْ مِّنْ ءَايٰتٍۭٓ أَن يَخْلُقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** [الروم: ٢١] ولكن إذا فُقِدَت هذه المودة والرحمة، وَحَلَّتْ

مكافئ الشحنة والبغضاء، فماذا يكون الحل؟ هل يبقى الاثنان مرتبطين ببعضهما رغم أنفهما، وكأنهما قد حُكِمَ عليهما بالسجن مدى الحياة؟ إن الإسلام لا يبحث على الطلاق، ولكنه يبيح للضرورة، عندما تستحيل الحياة بين الزوجين، قال رسول الله ﷺ: "أبغضُ الحلالِ إلى الله الطلاق". [سنن أبي داود وابن ماجه، والسنن الكبرى للبيهقي] وقد وضع الإسلام للزواج ضوابط شرعية، لو اتبعها المسلمون لكان الطلاق نادراً. ومن هذه الضوابط أنه حث على الارتباط بين الزوجين على أساس الدين، قال رسول الله ﷺ: "تُنكحُ المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" [متفق عليه] وقال: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" [صحيح الجامع: ٢٧٠]. وأمر الله الرجال بحسن المعاشرة، فقال: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ١٩] وأمر النساء أيضاً بحسن المعاشرة، فقال: {فَأَلْصِقْنَ لِغُلَامِكُنَّ فِي الْبَيْتِ مِثْلَ بِلْدَانِكُنَّ لَا يَخْرُجْنَ إِلَّا بِإِذْنِكُنَّ وَالْأَقْرَبُونَ بِمَبْعَظِكُنَّ إِذْ يَبْعَثُكُمْ فِيهِنَّ لِغَيْبِكُنَّ بِمَا مَنَعَتْ الْفُلُوكَ مِنَ الْإِخْرَاقِ إِلَّا إِذْ يَخْرُجْنَ فِيهَا وَلَا يَخْرُجْنَ فِيهَا إِلَّا بِنِذْرِكُنَّ وَالْأَقْرَبُونَ بِمَبْعَظِكُنَّ إِذْ يَبْعَثُكُمْ فِيهِنَّ لِغَيْبِكُنَّ بِمَا مَنَعَتْ الْفُلُوكَ مِنَ الْإِخْرَاقِ إِلَّا إِذْ يَخْرُجْنَ فِيهَا وَلَا يَخْرُجْنَ فِيهَا إِلَّا بِنِذْرِكُنَّ} [النساء: ٣٤] وقال: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩] وقد شرع خطوات للإصلاح يتخذها الأزواج قبل أن يصل الأمر بهم إلى الطلاق، ومن هذه الخطوات ما جاء في قوله تعالى: {وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ} [النساء: ٣٤] فأول خطوة للإصلاح هي وعظ الزوج لزوجته، وتخفيفها من عقاب الله، وهذه الخطوة كافية لمن تتقى الله جل وعلا، فإن لم تنجح بالوعظ لجأ إلى الخطوة التي تليها، وهي أن يهجرها في المضجع، وهذا الهجر كناية عن عدم الجماع، ويُلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال: {فِي الْمَضَاجِعِ} أي أن الزوج لا يترك بيته، بل يهجرها وهو مقيم معها. وبما يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: "حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّح، ولا يهجر إلا في البيت". [صحيح الجامع: ٣١٤٩] قال عبد الله بن عباس - رضی الله عنهما - وغيره: الهجر هو ألا يجامعها، ويضاجعها على فراشها، ويولِّبها ظهره (تفسير ابن كثير) فإن استقامت، ورجعت عن معصيتها له فيها ونعمت، وإلا - فالخطوة الثالثة، وهي الضرب غير المُبرِّح، قال رسول الله ﷺ: "فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يُؤطِننَّ فُرُشَكُمْ أحداً

تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح، وهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوفهنَّ بالمعروف" [صحيح مسلم] وقد قال العلماء: يضربها ضرباً لا يُسيل دماً، ولا يكسر عظماً، ولا يترك أثراً، كأن يضربها بالثوب وتَحْوِه (أى مثله) والسواك ونحوه. وقد توعدَّ الله الرجال إذا تمادوا في إيذاء نساتهن بقوله: {فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْنَ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٣٤] وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه لم يضرب امرأة قط، ولا خادماً، ولا شيئاً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، كما جاء ذلك في (صحيح مسلم) من قول السيدة عائشة رضی الله عنها. وعندما اشتكت النساء لزوجاته - رضی الله عنهن - من ضرب أزواجهن هن، قال: "لقد طاف الليلة بآل محمد نساء كثير كلهن تشكو زوجها من الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم" [صحيح الجامع: ٥١٣٧]، وإذا فعل الزوج كل هذه الأشياء، وعالج بكل هذه الأدوية، ولم تنجح في نُشوز زوجته، يأتي الحل قبل الأخير، وهو الذي ورد في قوله جل وعلا: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْتِهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِمْ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِيهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي آلَهُ بَيْنَهُمَا وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٣٥] فإن لم تفلح كل هذه الحلول لم يكن بُدَّ من الطلاق {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ} [النساء: ١٣٠] وهنا يعطى الإسلام للرجال فرصتين ليراجعوا زوجاتهم، ولم يجعلها طلقة واحدة أو اثنتين وينتهى الأمر، بل جعل الطلاق ثلاث مرات. وفي كلِّ من الطلقتين الأوليين تمكث المرأة في بيت زوجها، وتؤاكله وتشاربه، وتترين له، إلا أنه لا يجامعها إلا إذا راجعها، ومن العلماء من قال: إن جامعها فقد راجعها. وهنا تُذكَرُ بأمر هام جداً لا يفطن له كثير من المسلمين، حيث أنهم يخرجون المرأة من بيت زوجها بعد الطلقة الأولى والثانية، وهذا مخالف لشرع الله جل وعلا، فسبحانه له الحكمة في بقائها في بيت زوجها، لعله يَحِنَّ إليها، وتَحِنَّ إليه، ويصلح الله بينهما، ويزيل العداوة من قلوبهما، قال تعالى: {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق: ١] وقد أباح الله للزوج والزوجة أن يتصالحا على أمر مُعَيَّن حتى لا يطلقها، فبعض الرجال تكون له أكثر من زوجة، وليس بوسعه أن يعدل بينهما - أو بينهن - فيقرر أن يطلق واحدة، ففي هذه الحالة يتصالحا - مثلاً - على ألا يُسوَّى بينهما في النفقة أو المبيت، بشرط أن يكون ذلك برضاها، وبغير إضرار لها، حتى لا ينهدم ذلك البيت المسلم، ويتشرد الأطفال إن كان

بينهما أطفال، يقول الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ خَافَتِ مِنْ بَعْلِهَا نُسُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} [النساء: ١٢٨] ولم يُعْطِ الإسلام الحق للرجل دون المرأة في الطلاق، فلها الحق أن تتخلع من زوجها إن كان يؤذيها، أو لا يقوم بحقها. ولكن - رغم إباحة الطلاق والخُلْع - فقد حَثَّ الإسلام كُلاً من الزوجين على الصبر واحتمال الأذى، ورد السيئة بالحسنة، لدرجة أنه أحلَّ الكذب بينهما في أمور العاطفة، حتى تدوم العشرة، وينصلح حال الأسرة.

وقد كان الطلاق مباحاً في العهد القديم (التوراة) ثم جاء العهد الجديد (الإنجيل) فنسخه، كما ذكرنا ذلك في الإجابة على الشبهة رقم (٣١) ثم جرت محاولات في بعض تشريعات أوربية حديثة لتبيح الطلاق مرة أخرى، لِمَا رَأَوْه من فوائده، تماماً كما شعروا بفوائد تعدد الزوجات، والله أعلم.

س٦٦ - لماذا لم يُبيح الإسلام للمرأة طلاق زوجها من باب المساواة كما أباح للرجل؟

ج٦٦ - إن الآية نفسها التي أباحت للرجل طلاق زوجته أباحت لها الخُلْع، قال تعالى: {الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِعَقْرِ الْوَيْفِ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ ۗ وَلَا يُحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} [البقرة: ٢٢٩] وقد حدث في عهد الرسول ﷺ أن ذهبت إليه امرأة ثابت بن قيس، وقالت له: ثابت بن قيس ما أعتبُ عليه في خُلُقٍ ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، (أى كفر العشير وليس الكفر بالله) فقال لها: "أترُدِّينَ عليه حديقته؟" (لأنه كان قد أعطها لها مهراً) قالت: نعم، فقال له الرسول ﷺ: "أقبل الحديقة وطلقها تطليقة" [صحيح البخارى] ولكن لا يفهم من هذا أن المرأة تتخلع من زوجها بغير سبب، قال رسول الله ﷺ: "المختلعات هن المنافقات" [صحيح الجامع: ٦٦٨١] ويوضحه الحديث الذى بعده، وهو: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة" [صحيح الجامع: ٢٧٠٦] فالمرأة إذا طلبت الطلاق بسبب شرعى.. كأن يكون زوجها ضراباً أو شتاماً أو لا ينفق عليها... إلخ، فلا تكون منافقة. والإسلام يبيح للمطلقة أن تتزوج بعد انقضاء عدتها، أما الكتاب المقدس فلا يبيح لها أن تتزوج، بل ويحكم عليها

وعلى من تزوجها بالزنى، فيقول: كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى. وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى (لوقا: ١٦: ١٨) فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها. وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بأخر تزنى (مرقس: ١٠: ١١-١٢) من طلق امرأته إلا لعله الزنى يجعلها تزنى. ومن يتزوج مطلقاً فإنه يزنى (متى: ٣١-٣٢) ونحن نتساءل: ماذا تفعل المطلقات وخصوصاً لو كنَّ صغيرات؟ وما ذنبها لو طلقها زوجها بغير سبب.. أتترك للضياع أم تكون في ذمة رجل يعفها، وينفق عليها، ويقوم على مصالحها؟ وما ذنب الرجل أن يقيم طوال عمره مع امرأة تنقص حياته طالما أنها لا تزنى؟ وما ذنبها هي أيضاً أن تبقى مع رجل ينقص حياتها ولا يعطيها حقها؟، والله أعلم.

س٦٧- للذكر مثل حظ الأنثيين عندكم في الميراث، هل هذا العدل الذى تدعون؟
ج٦٧- إن نصيب المرأة عندنا في الميراث إكرام لها، لأن المرأة في الإسلام ليس عليها أى نفقات - ولو على نفسها - سواء كانت أمّاً أو زوجة أو بنتاً أو أختاً، ففى جميع الحالات يُلزم وليّها بالنفقة عليها، حتى لو كانت غنية، أما الرجل فعليه كل النفقات، من مهر وإعداد المسكن وتجهيزه، وكفالة أسرته وأولاده وكل شىء. أما ما يحدث من مشاركة أهل الزوجة في جهاز ابنتهم فهو محمود، لأنه من باب التعاون على الخير، ولكنه ليس مُلزمًا لهم، قال الله عز وجل: ﴿وَأَتُوا الْقِسَاءَ صَدَقَاتِنَّ حِجَلًا﴾ [النساء: ٤] أى (مهرًا واجباً بطيب نفس) فالمهر حق للمرأة تفعل به ما تشاء، وليست مُلزمة بمشاركة زوجها أو أهلها في نفقات زواجها، وليس لأحد من أوليائها حق في أخذ مهرها، ولو كان أباً أو أختاً أو عمّاً أو جدّاً، فالمرأة في الإسلام لها ذمة مالية مستقلة، وليس لأحد وصاية عليها، ولكن لها أن تتصدق على زوجها الفقير بمحض إرادتها، ويكون لها في هذه الحالة أجران.. أجر الصدقة وأجر الصلّة، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ، أما زوجها فلا يحل له أن يتصدق عليها لأنه مُلزم بالنفقة عليها، وأن يطعمها مما يطعم، وأن يكسوها كما يكسى، فلا يخص نفسه بالطيب من الطعام والشراب والملبس دونها، ولو كانت غنية، أما هي فلا يلزمها ذلك، بل لها أن تخصص نفسها بما شاءت. ولو طلقها فلها مؤخر الصداق (إن كانت لم تأخذه) ونفقة مطلقة، ونفقة متعة، بالإضافة لما تأخذه من أثاث بيت الزوجية الذى اشتراه لها زوجها، وهو ما يسميه العامة (القائمة) ثم إذا أراد طليقها أن يتزوج، فعليه من

حديد أن يتحمل المهر والسكن والأثاث وغير ذلك للزوجة الأخرى. والمرأة كانت في الجاهلية لا تَرِث، بل كانت تُورَث كأي متاع، فكانت إذا مات عنها زوجها، يأتي والده أو أخوه أو أي رجل من عَصَبَتِهِ - حتى لو كان ابن المتوفى - فيلقى عليها ثوبه، فتكون ملكاً له بذلك، ثم جاء الإسلام فحرم هذه العادة القبيحة، فقال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا آلِيَسَاءِ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩] وفي بعض القرى - إلى اليوم - لا يُورثون المرأة، لأنهم يقولون إن مالها سيذهب لزوجها، وهذا حرام قطعاً، وإن استحلّه أحد (أي اعتقد أنه حلال) يصبح بذلك كافراً.

وبالإضافة لما سبق.. فإن الرجل مكلف بطلب العلم والجهاد في سبيل الله أكثر من المرأة، وهذا مما يجعله أشد احتياجاً للمال.

ثم إن الذين ينكرون علينا تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث يفضلون الذكر على الأنثى منذ ولادته، بل ويجعلون الأنثى نفسها تُورَث فضلاً عن أن تَرِث، فيقول كتابهم المقدس:

وكَلَّمَ الرب موسى قائلاً كَلِّمْ بنى إسرائيل قائلاً. إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام... وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين (لاوين ١٢: ١-٥)

إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج. والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يُمَحَى اسمه من إسرائيل (تثنية ٢٥: ٥-٦)، والله أعلم.

س٦٨- لماذا أقر الإسلام تجارة الرقيق؟ وهل يرضى الله للإنسان المُكْرَم أن يكون سلعة تُباع وتُشترى؟ وإذا كان لا يرضى فلمَ لم ينص القرآن على تحريمها؟ وكيف يبيع للرجل أن يظاً ملك يمينه مع أنها ليست زوجته؟

ج٦٨- إن الإسلام لم يتدع الرّق، فقد كان سائداً لقرون طويلة بين أبناء الديانات المختلفة، وبين غير ذوى الأديان، وكان استخدام الرقيق يتم بصورة وحشية غير آدمية، وكانوا يُعْرَضُونَ للقمع والذل والإهانة، ويُضربون كالبهائم بالسوط (الكراباج) لا لشيء إلا لمجرد لذة السيادة، ويتم استخدامهم في الأعمال الشاقة والمهينة، في شدة الحر والبرد،

وهم مقيدون بالحديد حتى لا يهربوا، وليس لهم أدنى حق حتى في الشكوى، وكان يُنظر لهم على أنهم أشياء ليسوا كبقية البشر، خُلِقوا لِيُسْتَعْبَدُوا. فعلى سبيل المثال: كان الهنود الجوس يعتبرونهم خُلِقُوا من قَدَمِ الإله، ولا بد أن يُذَلُّوا وَيُحْتَقَرُوا، ويعملوا الأعمال الشاقة المهينة، ويُعذبوا عسى أن تُنْسَخَ أرواحهم بعد مماقم على هيئة البشر! وكان الأمر في بلاد الفرس مثل ذلك. وفي العصر الروماني كانوا يغيرون على البلاد الفقيرة لينهبوا خيراتها، ويستعبدوا أهلها (كما يحدث في عصرنا الحاضر) ويسوموهم سوء العذاب، ويحرقوهم بالنار، حتى إنهم كانوا يجبرونهم على مبارزات بالسهام والنبال مع بعضهم ومع الوحوش، لا لشيء إلا لمتعة السادة برؤية دماء هؤلاء العبيد المساكين، ولا يجدون في أنفسهم أى شفقة عليهم، حتى لو تمزقت أجسادهم في هذه المبارزات. بل كان السادة - وربما الإمبراطور نفسه - يحضرون هذه المهرجانات، ويضحكون ويصفقون لمن يقضى على خصمه، ولا دية لهم، ولا ينتصر لهم أحد أو يسمع شكواهم، وكأنهم كلاب قتلتها الضواري وانتهى الأمر. وورثهم الأوربيون من بعدهم، فكانوا يغيرون على البلاد الأفريقية، ويخطفون الرجال والنساء والأطفال، ويقوم القراصنة بنقلهم في سفن البضائع مُكَدَّسِينَ في مكان ضيق مظلم كرية الرائحة، لا يُسَمَّح لهم حتى بالمسافة التي تكون في الحظيرة بين بقرة وبقرة، يولون ويتفوطون على بعضهم بعضاً، مع الحشرات والفئران، دون أدنى مراعاة لآدميتهم، بل كان التعامل معهم أحمق وأحقر من معاملة البهيمة، وشاهد على ذلك مسلسل (جنور) الذى أنتجوه بأنفسهم ليكون شاهداً على ظلمهم أمام الأجيال المتعاقبة. وكان الرجل الأبيض يستعبد الرجل الأسود، ويرى أن من حقه أن يفعل فيه ما يشاء، يسفك دمه، وينهب أرضه، ويهتك عرضه، ليحيا حياة المُنْعَمِينَ المترفين، ولو على حساب الآخرين، فكان - وما زال - ينطبق عليهم قول القائل: قَتَلُ رَجُلٍ أبيض في غابة شيء لا يُغْتَفَرُ، وقتل شعب بأكمله أمرٌ فيه نظراً

وما زالت التفرقة العنصرية شاهدة على ماضيهم الأسود. ومن العجيب أن هؤلاء الظلمة المحتلين الذين سفكوا الدماء، وهتكوا الأعراس، وسلبوا الأموال، هم الذين يثيرون الشكوك حول الإسلام، كالأعمى الذى ينفخ بفيه تجاه الشمس ليطفى نورها! وينسون - أو يتناسون - أن دينهم لم يحرم عليهم تجارة العبيد، ليس هذا فحسب، بل أمرهم

بضرهم، وأباح لهم بيع بناتهم، وما هي بعض الأدلة من كتابهم المقدس:
ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدّم سريعاً واتكئ. بل
ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمني حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل
وتشرب أنت. فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به. لا أظن. (لوقا ١٧: ٧-٩)

إذا اشتريت عبداً عبرانياً فستة سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجانياً. إن دخل
وحده فوحده يخرج. إن كان بعيل امرأة تخرج امرأته معه. إن أعطاه سيده امرأة
وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده. ولكن إن
قال العبد أحب سيدي وامراتي وأولادي لا أخرج حراً يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى
الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمقرب. فيخدمه إلى الأبد. (خروج ٢١: ٢-٦)

أيها العبيد أطيعوا ساداتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما
للمسيح. (رسالة بولس إلى أفسس ٦: ٥)

وإذا باع رجل ابنته أمة (خروج ٢١: ٧)

وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيضرب
كثيراً. (لوقا ١٢: ٤٧)

ونقول لهؤلاء الحاقدين: إن المشركين في الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا لا يختلفون
عن أسلافهم في قمع العبيد، وإذلالهم، وتعذيبهم، وكانوا يغيرون على القبائل، ويخطفون
الرجال والنساء والأطفال لبيعهم في سوق النخاسة، وعندما جاء الإسلام لم يُحرّم الرّق،
لأن هؤلاء العبيد كانوا رءوس أموال لأصحابهم، ولتنخيل لو جاء أي نظام جديد يحرم
الناس من أملاكهم.. ماذا يكون رد فعلهم؟ إن هذا سيصد الكثيرين عن الإيمان به
وأتباعه، وخاصة في بادئ الأمر قبل أن تقبله العقول وترضاه النفوس. ولو حرّم الرّق..
فكيف كان يُعامل أسرى الحروب؟ يُعاملون مثل معاملتهم في وقتنا الحاضر، فيُسجنون
ويُعذبون ويُهانون كما حدث في سجن (أبو غريب) بالعراق ومعتقل جوانتانمو، أم
ينعمون بحياة آدمية مطمئنة، في بيوت نظيفة، يأكلون ويشربون ويلبسون مثل أصحابها؟ ثم
إن أخذ الأسرى من العدو في الحروب واسترقاقهم هو معاملة بالمثل، ولكن بشروط معينة
يُرجع إليها في كتب الفقه، وقد جعل لهم الإسلام حقوقاً تكفل لهم العيش الكريم مع

إخوانهم، وجعلهم مُكْرَمِينَ، لهم حقوق كسائر البشر، وحرّم ظلّمهم أو الاعتداء عليهم بأى وسيلة، وأمر مُلاكهم بالألا يكلفوهم ما لا يطيقون من الأعمال الشاقة، وإذا كلفوهم أن يعينوهم، قال رسول الله ﷺ: "إن إخوانكم خَوَلُكُمْ جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم" [صحيح البخارى] سبحان الله! هل هناك خُلُقٌ أفضل من هذا؟ لقد جعلهم الرسول ﷺ إخواناً لمن هم تحت أيديهم، و"خَوَلُكُمْ" معناها الذين يتخولون مصالحكم، كما نقول بلغتنا (خُولى الجنينة) أى الذى يتعهد البستان برعايته وإصلاحه. وتخيلوا معى كم تساوى كلمة "إخوانكم"؟ وكيف كان رفعها لمعنويات هؤلاء الخدم، بعد أن كانوا يعاملون على أنهم أشياء محتقرة ذليلة؟ وكيف وصّى بإطعامهم وكسوتهم، بعد أن كانوا لا يأكلون إلا الردىء من الطعام، ولا يلبسون إلا المهلهل من الثياب، يفترشون التراب، ويلتحفون بالسحاب. إن الخدم فى عصرنا الحاضر لَيَتَمَتُّونَ أن تكون لهم مثل هذه الحقوق التى لم يحصلوا عليها فى ظل ما يدعونونه من مراعاة حقوق الإنسان فى العالم المتحضر.

ومن إكرام الإسلام لهم قول رسول الله ﷺ: "لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى، كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله، ولكن ليقُلْ غلامى وجاريق وفتاى وفتاتى" [صحيح مسلم] وقوله: "من ضرب غلاماً له حَدّاً لم يأتِه أو لَطَمَه فإن كفارته أن يعتقه" [صحيح مسلم] فهل بعد هذا حفظ للحقوق؟ لقد جعل مجرد ضربهم أو لطمهم سبباً لعنتهم، وهذا إذا كان بغير ذنب، وهو معنى "له حَدّاً لم يأتِه" وهذا العتق كفارة لذنبه، لينجيه من عذاب الله يوم القيامة، وليس مُلزماً له فى الدنيا إلا عند الإمام مالك (والله أعلم) ولطم الوجه - عموماً - هى عنه الرسول ﷺ، حتى إنه هى عن ضرب البهيمة فى وجهها، فقال: "أما بلغكم أئى لعنت من وسمَ البهيمة فى وجهها أو ضربها فى وجهها" [صحيح الجامع: ١٣٢٦] سبحان الله! هل علم العالم أجمع فى قديمه أو حديثه أرفع من هذا الخُلُق؟ أو رفقا بالحيوان أعظم من هذا؟ فالذى رفق بالحيوان هو أجدر بأن يرفق بالإنسان. فاحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بما نعمة.

لقد حرم الإسلام قتل العبيد، أو الاعتداء عليهم بغير حق، سواء كان بضرهم، أو

جَدَّعَ أَنْوْفَهُمْ، أَوْ إِخْصَائَهُمْ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مُمْتَشِراً فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ، لِيَصْبِحُوا غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى الْمَعَاشِرَةِ الزَّوْجِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى نِسَائِهِمْ فِي غِيَاهِمُ، لِيَقُومُوا بِخِدْمَتِهِمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ خَصَصَى عَبْدَهُ خَصِيصَةً" [سنن النسائي] وَقَالَ: "مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتْلَانَا، وَمَنْ جَدَّعَ عَبْدَهُ جَدَّعَانَا" [سنن أبي داود والترمذي] أَيْنَ هَذَا مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ الَّذِي يَبِيحُ لِلسَّيِّدِ أَنْ يَضْرِبَ عَبْدَهُ ضَرْباً مُبْرِحاً وَلَا يُنْتَقَمَ مِنْهُ، طَالَمَا أَنَّ الْعَبْدَ لَمْ يَمُتْ خِلَالَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، لِأَنَّهُ اشْتَرَاهُ بِمَالِهِ؟ وَهِيَ هِيَ الدَّلِيلُ: وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَبْدَهُ أَوْ أُمَّتَهُ بِالْعَصَا فَمَاتَ تَحْتَ يَدِهِ يُنْتَقَمُ مِنْهُ. لَكِنْ إِنْ بَقِيَ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ لَا يُنْتَقَمُ مِنْهُ لِأَنَّهُ مَالُهُ. (خروج: ٢١: ٢٠-٢١) إِنْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَاتَ مِنَ الضَّرْبِ بَعْدَ الْيَوْمِ الثَّانِي فَلَا يُنْتَقَمُ مِنْ سَيِّدِهِ! أَيْنَ هَذَا مِنْ تَكْرِيمِ الْعَبِيدِ فِي الْإِسْلَامِ؟ وَهَلْ هُنَاكَ تَكْرِيمٌ عَرَفْتَهُ الْبَشَرِيَّةُ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْحُرُّ الْأُمَّةَ، وَأَنْ تَتَزَوَّجَ الْحُرَّةُ الْعَبْدَ؟ إِنْ النَّاسُ يَسْتَنْكِفُونَ مِنْ زَوْجِ الْخَادِمِ وَالْخَادِمَةِ، بَلْ وَيَسْتَنْكِفُونَ مِنْ زَوْجِ مَنْ هُمْ دُونَهُمْ فِي الْجَاهِ وَالْمَنْصَبِ وَالتَّعْلِيمِ.. إلخ، فَمَا بِالْكَفْرِ بِالْعَبْدِ وَالْأُمَّةِ؟ وَلَكِنَّ اللَّهَ الرَّحِيمَ اللَّطِيفَ بِعِبَادِهِ شَرَعَ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: {وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ} [البقرة: ٢٢٠] وَفِي الْآيَةِ نَفْسَهَا {وَلَعَبَدٌ مُؤْمِنٌ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ} لِأَنَّ تَفَاضُلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَىٰ {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات: ١٣] وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتْيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مَحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِيحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَحْدَانٍ} [النساء: ٢٥] {بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ} تَمَاماً كَالْحُرَّةِ، فَالْحُرَّةُ لَا يَصِحُّ زَوَاجُهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهَا، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ" [صحيح البخاري] وَبِالْفِعْلِ حَدَثَ هَذَا عِنْدَمَا تَزَوَّجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ﷺ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَهِيَ الشَّرِيفَةُ الْقُرَشِيَّةُ بِنْتُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ بِاسْمِهِ إِلَّا زَيْدًا، فَقَالَ: {فَلَمَّا فَصَىٰ زَيْدٌ مِّمَّهَا وَطَرَأَ} [الأحزاب: ٣٧] وَأَمْرَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مَوْتَةَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاسْتَشْهَدَ فِيهَا ﷺ، وَأَمْرُ ابْنِهِ أَسَامَةَ ﷺ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً عَلَى الْجَيْشِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَجْلَاءِ ﷺ. قَالَ ﷺ:

"كلكم بنو آدم و آدم خُلِقَ من تراب، كَيْتَهَيِّنُ قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكوننَّ أهون على الله من الجُعْلان" [صحيح الجامع: ٤٥٦٨] ("الجُعْلان" معناه الخُنْفَسَاء) وقال لسيدنا بلال رضي الله عنه: "يا بلال! بَمَ سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنة قط إلا سمعتُ خشخشتك أمامي، إني دخلتُ البارحة الجنة فسمعتُ خشخشتك أمامي" [صحيح الجامع: ٧٨٩٤] وقال: "إن الجنة لتشتاقُ إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان" [سنن الترمذي، صحيح الجامع: ١٥٩٨] وعمّار وسلمان - رضى الله عنهما - كانا عبيدين مملوكين. ورؤي أن أبا بكر رضي الله عنه حينما أعتق بلالاً قال له: يا سيدي، فقال له: لا تقل سيدي، إنما أنا أخوك. وورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حين ذاك: سيّدنا وأعتق سيّدنا. وقد توارثت الأجيال تعظيمهم جيلاً بعد جيل، فلا يُذكر بلال الحبشي إلا ويُقال سيدنا، وكذلك عمّار بن ياسر، وصُهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وغيرهم، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين، اللهم اجعلنا معهم يوم الدين.

ولم يكتفِ الإسلام بكل هذا التكرم، بل عمل على تخفيف منابع الرِّقِّ، فحرّم بيع الأحرار، وحث على عتق الرِّقاب، وجعله قُرْبَى لله سبحانه وتعالى، مثل: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ} [البلد: ١٢-١٣] فكان أول من امثل لأمر الله سبحانه وتعالى هو الرسول صلى الله عليه وآله بأن أعتق جميع من عنده من العبيد، وبعده أبو بكر الذي أنفق ماله في تحريرهم، ليرحمهم من التعذيب الذي كانوا يلاقونه على أيدي الكفار ليفتنوهم عن دينهم. وقد جعل الله عز وجل عتقهم تكفيراً للذنوب، فعلى سبيل المثال: القتل الخطأ، كفارة اليمين، الظهار، الجماع في نهار رمضان.. الخ. وجعل لعتقهم نصيباً من زكاة المال {وَفِي الرِّقَابِ} [التوبة: ٦٠] وحث على تحريرهم بالمكاتبة، فقال: {وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} [النور: ٢٣] والمكاتبة هي أن يطلب العبد من سيده أن يحرره مقابل مبلغ من المال، بحيث يتركه يعمل ويسدده له على أقساط، وإذا عمل عند سيده في هذه الفترة يكون عمله بأجر، وأمر الله سيده (أو غيره من المسلمين) بإعطائه نصيباً من المال لإعانتة على هذا الأمر، قال صلى الله عليه وآله: "لا يسألُ الرجل مولاة من فضل هو عنده فيمنعه إياه إلا دُعِيَ له يوم القيامة فضله الذي منعه شجاعاً أقرع" [صحيح الجامع: ٧٧٠٩] رأيتم ما هو عقاب من

منع وليه فضل ما عنده؟ أن يُمَثَّلَ لَهُ ثعباناً ضخماً الهيئته، يُسَمَّى (الشجاع الأقرع) والعياذ بالله. وإذا رفض سيده أن يكاتبه فله أن يشتكيه للقاضي، ويلزمه القاضي بقبول المكاتبه، بشرط أن يكون هذا العبد موثقاً في أمانته وصدقه، لضمان حق وليه. وقد كان رسول الله ﷺ يفك أسرى المشركين مقابل تعليمهم المسلمين القراءة والكتابة، فكان شرط فكاك الواحد منهم أن يعلم عشرة من المسلمين. ويكفي أن آخر وصية للرسول ﷺ قبل موته كانت بالعبيد، إذ قال: "الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم" [سنن ابن ماجه ومسند أحمد، صحيح الجامع: ٣٨٧٣]

أما وطاء الرجل أمته، فإن هذا احترام لحقها وليس إهانة، فإنها كانت قبل الإسلام ليست ملكاً لسيدها وحده، بل لابنه، وأبيه، ولمن شاء أن يقدمها له من الضيوف، فحرم الله إجبارهن على البغاء، فقال: (وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَبْتَتُنَّوْا عَرَضَ الْحَيَوةِ الْأَدْنَىٰ) [النور: ٣٣] وهى امرأة، ولها متطلباتها كبقية النساء، وإذا تُرِكَت بغير زوج.. فمن يُعْفَى إذن؟ أترك لتكون عرضة لمطعم الفسقة والفجرة من الرجال؟ إن هذا يعرضها للأمراض، فضلاً عن إشاعة الفساد في البلاد. ولها تكريم آخر.. أنها إذا ولدت ولداً تصير حرة، وبعض العلماء قال والبنات أيضاً. أما إذا خطبها أحد - سواء كان حراً أو عبداً - فلا مانع من ذلك، بشرط أن يكون بإذن وليها، وفي هذه الحالة تحرم على وليها، لأنها أصبحت زوجة لرجل غيره.

وقد أباح الكتاب المقدس أخذ السبايا، ووطء الإماء، وهذه بعض الأدلة: فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلواها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبوهن لكم حيات. (عدد ٣١: ١٧-١٨) أى أنهم يقتلون الذكور من الأطفال، أما الإناث من الأطفال فلا يُقتلن طالما أنهن عفيفات، ولكن يُؤخذن كأسيرات.

إذا خرجت غاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيت منهم سبياً ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تخلق رأسها وتقلّم أظفارها وتزع ثياب سبيها عنها وتقع في بيتك وتبكي أباهاً وأما شهرها من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتزوج بها فتكون لك زوجة. (تشية ٢١: ١٠-١٤)

فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها. وقالت ليعقوب هب لي بنين. فحمى غضب يعقوب على راحيل وقال أَلَعَلِّي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن. فقالت هوذا جاريتي بلهة. ادخل عليها فتلد علي ركبتي وأرزق أنا أيضاً منها بنين. فأعطته بلهة جاريتها زوجة. فدخل عليها يعقوب (تكوين ٣٠: ١-٤)

وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي (تكوين ٢٥: ٦)، والله أعلم
س ٦٩- إن تحريم الربا في الإسلام يصيب الاقتصاد العالمي بالشلل التام.
ج ٦٩- سنورد لكم بعض أقوالكم لتكون حجة عليكم:

لقد جاء في كتابكم المقدس ما نصه: إن أقرضتَ فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي. لا تضعوا عليه ربا (خروج ٢٢: ٢٥) ولكن هذا التحريم - للأسف - خاص بأبناء دينكم، بدليل: لا تُقرض أخاك ربواً ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يُقرض بربا. للأجنبي تُقرض بربا ولكن لأخيك لا تُقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك (تشية ٢٣: ١٩-٢٠)

إن رجل الاقتصاد الأول وهو العالم الألماني (شاخت) وضع نظرية سنة ١٩٥٠ قال فيها: (إن الربا ليتسبب في مصائب عالمية، وإن الربا ليضر بالاقتصاد العالمي، وإنه ليزيد الفقير فقراً والغنى غنى) وكذلك فإن مؤسس علم الاقتصاد العالمي، وهو رجل بريطاني اسمه (كيتز) قال: (إن العالم ليحلم بأن يدور رأس المال مرتين ونصف المرة كل سنة، وعندها تتحقق الرفاهية لكل الشعوب) أي أن رأس المال يعاد استثماره كل أربعة أشهر، إن هذا معناه هو مقدار الزكاة. ويقول أيضاً: (حين تصل قيمة الفوائد إلى الصفر يشيع النماء والرخاء في العالم كله) معنى هذا هو عدم الربا. وقد لجأت الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة للإقراض بدون فوائد لتشجيع الاستثمار في المجتمع الأمريكي.

إن الربا هو الذي يضر بالاقتصاد العالمي، وليس تحريمه كما يدعى المفرضون، فلنفترض أنك اقترضت مليون جنيه لعمل مشروع، ثم ربحت عشرين بالمائة أو أقل في نهاية العام، وفي الوقت نفسه كانت قيمة الأرباح المطلوب منك سدادها هي أيضاً عشرين بالمائة، فكم يكون ربحك حينها؟ إن هذا المشروع عند رجال الاقتصاد لا يساوي نشاطه، فتضطر

لغلق المصانع وتسريح العمالة، أو تزداد ديونك عاماً بعد عام، إلى أن يتم استيلاء الجهة المُقرضة على ممتلكاتك أو وضعك في السجن، فهل هذا يؤدي إلى نمو الاقتصاد، والقضاء على البطالة، وتشغيل الأيدي العاملة؟ في حين أنك لو قمت بهذا المشروع من مالك الخاص، أو اقترضت قرضاً حسناً بغير فوائد، لكان ربحك خالصاً لك، كما أن في هذا استمراراً للإنتاج، وازدهاراً للاقتصاد، وقضاءً على البطالة - أو الحد منها - ورفعاً لمستوى المعيشة.. إلخ. ربما يتعجب البعض ويقول: من الذي يقرض قرضاً حسناً في هذا الزمان؟ إنه بذلك يكون قد عطل ماله، ولم يُعد عليه بأى نفع دنيوى؟ فنقول له: ليس شرطاً أن يكون قرضاً، ولكنه يشارك في المشروع، ويتفق مع شريكه - أو شركائه - على نسبة معينة من الربح أو الخسارة، بحيث لا تكون الفائدة ثابتة، حتى لا يقع في الحرام، فرمما خسر المقرض، أو ربح أرباحاً طائلة، فيكون بذلك قد ظلم نفسه، أو ظلم شريكه. والذي يسدد أرباحه كفوائد للديون.. ماذا يفعل؟ إنه - كما قلنا - إما أن يغلق مصانعه، وينهى مشروعته، ويسرح عمالته، وإما أن يتراكم عليه ديونه، وفي هذه الحالة قد يلجأ إلى حيل تضر بمجتمعه ليسدد ديونه، ولنفترض أنه يبيع سلعاً استهلاكية، فلو باعها بسعرها في السوق لَخَسِرَ، ولو باعها بثمان أعلى ليحقق قيمة الربح المرجوة لسداد ديونه بفوائدها لكسدت سلعته، فماذا يفعل؟ إنه يلجأ إلى ما يسمى بالحيل التكدية، كأن يغش البضاعة، فيقدم للمجتمع سلعاً مغشوشة تضر بالمستهلك، وإن لم يستطع غشها - كالملابس الجاهزة مثلاً - فإنه يلجأ إلى استغلال المرأة لاستقطاب الزبائن - كما يحدث في أوروبا - نساء يرقصن ويغنين من أجل ترويج السلعة وبيعها بسعر أعلى، أو يشغل عنده المتبرجات تريجاً صارخاً، وفي هذه الحالة أيضاً يضر بالمستهلك، لأنه يبيع له بسعر عال - فضلاً عن ضرره في دينه - فيخفض مستوى المعيشة، لأن المستهلك في هذه الحالة لا يستطيع شراء كل ما يحتاجه من السلع لارتفاع سعرها.

والذين يبيحون الفوائد (الربا) يقولون إن العقد شريعة المتعاقدين، وإن كلا الطرفين (الدائن والمدين) راضيان عن هذا العقد. ونقول لهم: إن هناك مُشرعاً أعلى، وهو الله سبحانه وتعالى. وقاعدة (العقد شريعة المتعاقدين) لا تصلح إلا في العقود الحلال، وإلا - لأصبحت عقود الزنى حلالاً بالتراضي أيضاً. والربا عقود باطلة قانونياً، وليس شرعياً

فقط، فالمفروض أن القانون يحمي الطرفين: المقرض والمقترض، أما عقود الربا فإنها تحمي المقرض فقط، لأنها تبيح له أن يأخذ كل الضمانات التي يريدها من المقترض، مثل الحجز على متاع بيته أو كذا أو كذا، ولا يضمن للمقترض أى حق. والذين يقولون إن البنوك لا تخسر، وإقراضها للناس بالفوائد يعتبر مثل البيع، فإن قولهم هذا مثل قول الكافرين أيام الرسول ﷺ: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥] وكان المفروض أن يقولوا (إنما الربا مثل البيع) ولكنهم بدأوا بالبيع لتشبيهه بالربا في جلب الزيادة للمال.

ومن قال: إن البنوك لا تخسر؟ إن هناك الكثير من البنوك العالمية التي تخسر بالمليارات، وتغلق أبوابها، وتسرح عمالها، بل وتستدين، وشركات عالمية تخسر وتعلن إفلاسها، فطالما أنك دخلت في التجارة فإنك معرض للربح والخسارة. وهناك سؤال: ما الفرق بين البيع والربا؟ إنك في البيع تبيع السلعة بنقود، أما الربا فإنك تبيع نقوداً بنقود، والنقود ليست سلعة، ولو أصبحت النقود سلعة لتحولت السلع إلى نقود، وهنا يسقط التقايض وتسقط المنافع العامة، فلا بد وحتماً أن تكون التعاملات المصرفية البنكية على أن رصيدها من الفوائد صفر. ومن حكم تحريم الربا ألا يدور رأس المال بين الأغنياء فقط (حتى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) [الحشر: ٧] {دولة} معناها التداول، فإن رعوس الأموال في العالم - عادة - تدور دورة أفقية مع الأغنياء فقط مثل (المروحة) ولكن الإسلام يريد أن يدور المال دورة رأسية مثل (الساقية) حتى لا يجرم الفقير، يتزل المال من الغني على الفقير، ويصعد من الفقير إلى الغني، فالغني يشغل الفقراء، والفقراء يستثمرون مال الغني، ويعطونه الربح.

إن الربا - كما قال شاخت - يزيد العني غنيً ويزيد الفقير فقراً، لأن الغني تتضاعف أمواله بالربا، أما الفقير فإنه ينشغل بسداد ديونه وفوائدها فيزداد فقراً على فقر، ويضطر إلى الحرام. فالتعاسة التي أصابت الاقتصاد العالمي سببها أكل الربا، وحين حرّمه الإسلام لم يترك الناس يتخبطون في البحث عن البديل، ولكنه حث على الصدقة والقرض الحسن، وجعل أجره أعلى من أجر الصدقة، ووعده من صير على المعسر بجزيل الأجر والثواب، وفي هذا تكافل اجتماعي كبير ليس له في العالم نظير، والله أعلم.

٧٠- تقولون إن الاغتسال والوضوء بالماء للطهارة، فإذا فقدتم الماء تيممتم بالتراب، فهل وضع التراب على الوجه طهارة أم قذارة؟

ج ٧٠- نعم.. نحن نقول إن الاغتسال والوضوء طهارة، ولكن من قال لكم إن الطهارة هي النظافة؟ إن الطهارة هي رفع الحدث الأكبر بالاغتسال، ورفع الحدث الأصغر بالوضوء، والتيمم يحل محل الاثنين في حالات معينة، فرمما كان الإنسان طاهراً ويستطيع أن يصلي، مع أن جسده متسخ أو ملابسه، بشرط ألا يكون متسخاً بنجاسة (بغض النظر عن أنه لا يليق بالمسلم) في حين أن غيره ربما يكون نظيف البدن، نظيف الثياب، متعظراً، ولكنه لا يستطيع أن يصلي، لأنه لم يتطهر من الحدث الأكبر أو الأصغر. إن الوضوء أمر تعبدي اختاره الله لنا لنتهيأ للوقوف بين يديه، ويسر علينا أن نستبدله عند فقدته بشيء آخر يحل محله، ونحن عبيده يأمرنا بما يشاء، وينهانا عما يشاء، وما علينا إلا الطاعة، سواء علمنا حكمته أم لم نعلم، فلو أننا أطعناه فيما نعلم حكمته، وتركنا غيره، فأين الإيمان والتسليم إذن؟ وهناك شيء آخر: إن الإنسان خلق من طين، وهو عبارة عن ماء وتراب، فإذا فقد الماء فإنه يلجأ للشق الآخر. ونحن حين نتيمم لا نضع كمية كبيرة من التراب على وجوهنا، أو ندخله في عيوننا وأنوفنا وأفواهنا كما تظنون، ولكن يكفي أن نضرب الأرض بكفوفنا، ثم نفضها كما كان يفعل رسول الله ﷺ، قال تعالى: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} [المائدة: ٦]. فهو مجرد غبار، أو أى شيء طاهر صعد على وجه الأرض - وإن لم يكن به تراب - مثل الجبال الصخرية أو الرخام أو غيرها.

والآن نذكر لكم بعض ما جاء في كتابكم المقدس لتقارنوا بينه وبين التيمم:
فقال لي انظر. قد جعلتُ لك خِشِي البقر بدل خُرءِ الإنسان فتصنع خبزك عليه.
(حزقيال ٤: ١٥)

هأنذا انتهر لكم الزرع وأمُدُّ الفَرْثَ على وجوهكم فَرثُ أعيادكم فتزْعون معه.
(ملاحي ٢: ٣)، والله أعلم.

س ٧١- كيف تقولون إن النساء ناقصات عقل، وقد تفوقن في علوم شتى، ووصلن إلى أعلى الشهادات، حتى إن المرأة أصبحت طبيبة ومهندسة وأستاذة جامعية، وربما

تفوقت على الزجل في بعض المجالات؟

ج ٧١- نقول وبالله التوفيق: نعم.. إن النساء كما تقولون قد تفوقن في مجالات شتى من العلوم والفنون، ولكن من قال لكم إن العقل هو الذكاء أو التفوق؟ إن الرسول ﷺ حين قال للنساء: "ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب لبَّ الرجلِ الحازمِ منكنَّ" فسَّرَ لهنَّ ذلك بقوله: "أليسَ شَهادَةُ المرأةِ مثلَ نِصفِ شَهادَةِ الرجلِ... فذلك من نُقصانِ عقلِها، أليسَ إذا حاضتِ لم تُصَلِّ ولم تُصُمْ... فذلك من نقصانِ دينِها" [صحيح البخاري] فلم يقل الرسول ﷺ إهن ناقصات ذكاء أو مهارة أو فطنة.. إلخ، ولكن قال: "ناقصات عقل" والعقل معناه الربط والتحكم، كما جاء في الحديث الشريف: "اعقلها وتوكل" [سنن الترمذي، صحيح الجامع: ١٠٦٨] وذلك حينما سأله رجل عن ناقته هل يُطَلِّقُها ويتوكل، أم يعقلها (أى يربطها) ويتوكل، فالعقل هو الرباط الذى يربطون به الناقة حتى لا تفر، والعقل هو الذى يتحكم فى الإنسان فيضبط تصرفاته ويحجزه عما يضره، فلا ينساق وراء عواطفه، ويجعله يتصرف بحكمة ولو فى أحلك المواقف وأخطر الظروف. ومعلوم أن هذا أقوى عند الرجال، فعند حدوث أى خطر - كحادثة طريق أو حريق - تجرد النساء لا يستطعن السيطرة على أنفسهن، ويصرخن ويغشى عليهن، أما الرجال فهم الذين يسارعون فى إنقاذ المصابين، والاتصال بالإسعاف، والنجدة... إلخ. إن التفوق العلمى ملكة وهبة من عند الله للرجال والنساء، ولكن المرأة لا تتحمل المواجهات الساخنة، مهما بلغت من الدرجات العلمية، ولو كانت أستاذة جامعية، فلو سمعت صوت لص، أو رأت فأراً - ولا أقول ثعباناً - ماذا تفعل؟ إنها تصرخ وتنادى أى رجل - ولو البواب الذى لا يعرف القراءة والكتابة - لينقذها مما هى فيه. إن عاطفة المرأة تغلب عقلها، ولذلك لا ينبغي أن تكون قاضية، لأنها لو أتاها مجرم - ولو كان سارقاً أو قاتلاً - وبكى لها واشتكى لعفت عنه، ولضيعت حقوق العباد، ولو أنه مدحها لرقَّ إليه قلبها. وكذلك فإنها بطبيعتها الضعيفة الرقيقة التى خلقها الله عليها لا تستطيع القيام بالأعمال الشاقة، والأعمال الخطرة، لأنها لا تحسن التصرف فيها، فلا نجد لها - مثلاً - فى فرق الإسعاف، أو قوات المطافئ، أو قوات الصاعقة، والمظلات، والإبرار الجوى... إلخ. وفى هذا أيضاً رد على السؤال الذى يطرح منذ عشرات السنين، وتمتلى به وسائل الإعلام

المقروءة والمسموعة والمرئية عن مساواة الرجل بالمرأة، فالذين ينادون بتحرير المرأة - كما يقولون - هم أعداء لها، وإلا - فمِمَّ يحررونها؟ أمى أسيرة؟ إنهم يريدون تحريرها من حياتها وحماها وعفتها، فتختلط بالرجال، وتشاركهم في كل مجال، مع أن طبيعة المرأة وخلقتها تختلف تماماً عن الرجل، كما قال الله عز وجل: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى} [آل عمران: ٣٦] وهم يظلمونها، ويحملونها ما لا تطيق من الأعمال التي لا يقدر عليها إلا الرجال. وعدم قدرتها ليس عيباً في حقها، ويكفيها شرفاً أن جعلها الله رقيقة، عطوفة، رحيمة، حتى تراعى زوجها وأولادها، وتقوم على شئون بيتها، فهم لا يريدون أن يعترفوا أن لها قدرات محدودة، لضعف بدنها وقدرتها تحملها، فبالإضافة لما سبق لا نجد لها جراحة مخ وأعصاب - مثلاً - أو جراحة قلب مفتوح، أو غواصة في البحار، أو عاملة في المناجم والآبار، وأعمال الحفر والمعمار... إلخ. فالذي خلقها أعلم بما {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤] حتى إنه سبحانه وتعالى خفف عنها بعض العبادات أيام حيضها ونفاسها، فإنها تكون في تلك الأوقات أضعف نفسياً وبدنياً، وألزم الرجال بالنفقة عليها، لأنهم أقدر على السعى في كسب لقمة العيش منها، ف سبحانه {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠]

إن المرأة في الكتاب المقدس شر، ولا يحل لها أن تتكلم في الكنيسة، ولا أن تذهب إليها لتتعلم، وإذا جاءها حيض أو استحاضة فهي نجسة، وكل ما تلمسه نجس، وكل من يلمسها نجس، بل إنما تعتبر مذنبه ولا بد أن تكفر عن خطيئتها، أين هذا من قول رسولنا ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" [متفق عليه] وقوله: "إن المؤمن لا ينجس" [متفق عليه] و"المؤمن" يشمل المؤمن والمؤمنة. فالمرأة عندنا ليست نجسة، وإن كانت حائضاً أو نفساء. وقد كان ﷺ ينام في حجر السيدة عائشة - رضی الله عنها - وهي حائض، ويقرأ القرآن. وأين هذا من معارضة امرأة لسيدنا عمر ؓ حين كان يخطب على المنبر فنهى عن الغلو في المهر، فقامت من بين المصليات - وعلى مسمع من الرجال - وذكرته بقول الله تعالى: {وَأَتَيْتَنَّهُنَّ كَيْتَابًا} [النساء: ٢٠] فقال قوله المشهورة: (أخطأ عمر وأصاب امرأة) وحتى لا نطيل عليكم في سرد أدلة تكريم المرأة في الإسلام، ننتقل إلى بعض - وليس كل - ما جاء في الكتاب المقدس بشأن النساء:

وكانت امرأة جالسة في وسط الإيفة. فقال هذه هي الشر. (زكريا: ٧-٨)
ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة فهو الرجل.

(رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١: ٣)

وقال للمرأة كثيراً أكثر أعاب حَبْلِكَ. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رَجْلِكَ يكون

اشتياقك وهو يَسُودُ عليك. (تكويين: ٣: ١٦)

لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مآذوناً هنَّ أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً. ولكن إن كنَّ يُردنَّ أن يتعلمن شيئاً فليسالن رجاهنَّ في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة. (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٤: ٣٤-٣٥)
لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لستُ آذنُ للمرأة أن تُعَلِّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت. لأن آدم جَبِلَ أولاً ثم حواء. وآدم لم يَعْرِ لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن تَبَّتْ في الإيمان والحجة والقداسة مع التعقل (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١١-١٥) في هذا النَّص نجد أن اللوم يقع على السيدة حواء - رضى الله عنها - ولم يقع على سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بعكس القرآن الذي أثبت المعصية لآدم، وإن كانت حواء ساعدته عليها، فقال: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه: ١٢١] ونجد في النَّص - أيضاً - عدم السماح للمرأة أن تُعَلِّم، بل تتعلم فقط.. وفي سكوت. ونجد أن الذى يخلصها من خطيئة السيدة حواء هو أن تنجب أولاداً مؤمنين، أما إذا لم تنجب فلا ندرى ماذا يحدث لها؟

أما نجاستها أيام حيضها واستحاضتها، ونجاسة كل من مسها ومسته.. فهو في الرد على الشبهة رقم (٢٧٨) ونكتفى هنا بذكر كونها مخطئة أيام حيضها واستحاضتها:

وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر. وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخى حمام وتأتى بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع. فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر مُحَرَّقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها. فتعزلان بنى إسرائيل عن نجاستهم لتلا يموتوا في نجاستهم بتنجيسهم مسكنى الذى في وسطهم (لاويين ١٥: ٢٨-٣١) سبحان الله! هل تفعل المرأة هذا كلما جاءها الحيض؟ أين هذا مما حدث مع السيدة عائشة - رضى الله عنها - حين طلب منها

الرسول ﷺ أن تناوله ثوباً وهو في المسجد (لأن حجرهما كانت تُطَل عليه) فاعتذرت له بأنها حائض، فقال لها: "إن حيضتك ليست في يدك" [صحيح مسلم]؟ وأين هذا من قوله ﷺ للحائض: "إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاغتسلي وأهلي بالحج واقضى ما يقضى الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت ولا تصلى" [صحيح الجامع: ٢٢٥٤]؟ لقد سمح لها الرسول ﷺ بالقيام بجميع أعمال الحج إلا الطواف والصلاة، ويكفيها الاغتسال لتطهر من حيضها، فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بما نعمة، والله أعلم.

س٧٢- إن انتشار الفقر والمرض والتخلف في بلاد المسلمين له ارتباط وثيق بالدين، بدليل رقى البلاد الغربية وتفوقها.

ج٧٢- يعلم الناقد أن رقى الدول الغربية لم يقم على تعاليم دينها، وقد أشرنا إلى ذلك في الرد على الشبهة رقم (٩٧) وإلا- فهناك دول أفريقية كثيرة متخلفة مع اعتناقها للمسيحية. ويعلم أيضاً أن الحضارة الغربية ما قامت إلا على الحضارة الإسلامية، وعلى سرقة عقول الشعوب، وامتصاص دمايهم، وهب ثرواتهم باحتلال بلادهم. وسنذكر - إن شاء الله - بعض نصوص الكتاب المقدس ونترك القارئ المنصف يقارن بين ما جاء فيه وبين ما جاء به الإسلام.

إن ما أصاب المسلمين من مرض وتخلف وفقر - وهو ما يسمى بالثالث المدمر - فهو من بعدهم عن تعاليم دينهم، وليس لالتزامهم به، وإنما لتحدى أن يأتينا أى إنسان بأية أو حديث فيه صدّ عن العلم أو العمل، أو فيه ما يؤدي إلى الفقر والمرض. إن الله سبحانه وتعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة من أى شيء إلا العلم، فقال جل في علاه: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤] وكانت أول آية أنزلت عليه ﷺ هي: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١-٥] إن الله سبحانه وتعالى لا يذكر شيئاً في كتابه يَمُنُّ به على عباده إلا إذا كان له أهمية عظيمة، فذكر القلم لم يأت عبثاً، فإنه أساس تدوين كل العلوم، وما وصلت إليه البشرية اليوم من العلوم فهو مبنى على ما سبقه من العلوم المدونة، وكل جيل يطور ما وصل إليه آباؤه وأجداده من قبله، ثم الجيل الذى بعده... وهكذا، كل جيل يبدأ من حيث انتهى الآخرون. والآيات والأحاديث التى نحث على العلم والعمل كثيرة جداً،

نذكر من الآيات على سبيل المثال: {قُلْ يَمُرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} [العنكبوت: ٢٠] {وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: ١٠٥] {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢١] {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٨٥] {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥] {وَأَبْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة: ١١] وغير ذلك كثير، لدرجة أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم التجارة أثناء الحج فقال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رِّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} [البقرة: ١٩٨] أما الأحاديث التي تحت على العلم فنذكر منها على سبيل المثال أيضاً: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" [سنن ابن ماجه، صحيح الجامع: ٣٩١٤] قوله ﷺ: "على كل مسلم" يشمل المسلمة (كما هو معلوم من الآيات والأحاديث التي تأتي بلفظ المذكور في حين أنها للجنسين) و"من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" [صحيح الجامع: ٦٢٩٧] وهناك أحاديث أخرى تحت على طلب العلم. وقد مر بنا أن الرسول ﷺ كان يفك أسر المشركين مقابل تعليم المؤمنين القراءة والكتابة.

وأما الأحاديث التي تحت على العمل فنذكر منها: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" [صحيح الجامع: ١٤٢٤] "ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة، وما أكلت الطيور فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة" [صحيح مسلم] قوله: "يرزؤه" أي يُصاب فيه، لأن (الرزء) هو المصيبة. وقال ﷺ عن الخارج لطلب الرزق: "إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعِفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومُفَاخَرَةً فهو في

سبيل الشيطان" [صحيح الجامع: ١٤٢٨] "لأن يأخذ أحدكم حَبْلَهُ فَيَأْتِي الْجَبَلَ فَيَجِيءُ بِجَزْمَةِ الْحَطْبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا فَيَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ" [صحيح الجامع: ٥٠٤١] وغير ذلك أحاديث كثيرة. وبفرض عدم وجود أدلة على الترغيب في العلم والعمل، فإن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يردّ الدليل على تحريمه، فكيف والأدلة كثيرة لا يحصيها العَدُّ؟

أما الفقر الذي أصاب كثيراً من المسلمين، فإن السبب في ذلك أن الأغنياء بخلوا بما عندهم، ولم يمتثلوا لأمر ربهم في إخراج زكاة أموالهم، فما جاع الفقراء إلا بثُخْمَةِ الأغنياء، والآيات والأحاديث التي تحت على الزكاة والصدقة لا تحتاج لبيان في هذا الموضوع، لأنها معلومة لدى الكبير والصغير، والله سبحانه وتعالى قد أنزى الأمة الإسلامية بالموارد التي تُدر عليها المال الوفير، مثل آبار البترول، والمعادن المختلفة، والأراضي الزراعية الخصبة، ولكن هذه الأموال لم تستخدم على الوجه الذي يريد الله عز وجل - إلا القليل منها - وشاهد على ذلك دول الخليج التي فتح الله لها كنوز الذهب الأسود، فلو أنهم اتقوا الله فيما جعلهم مستخلفين فيه لَمَّا جاع مسلم على وجه الأرض، ولَمَّا رأينا المجاعات في الصومال والنيجر وغيرها من بلاد المسلمين، قال رسول الله ﷺ: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له" [صحيح مسلم] ثم إن هناك سبباً قوياً لفقر المسلمين، وهو التقسيم الاستعماري لبلادهم، حتى أصبحت كل دولة مغلقة على نفسها، وخيرها ليس إلا لأهلها، أو من يعملون فيها، أما لو كانت هناك خلافة إسلامية لأصبحت جميع الشعوب التي تدين بالإسلام تحت إمرة حاكم واحد هو (الخليفة) ولأصبحت موارد الدولة الموحدة وخيراتها ينال منها القريب والبعيد من أبناء المسلمين، ولتوافرت فرص العمل لهم جميعاً، ولَمَّا تكدست الأموال عند بعضهم دون البعض، ولسَاد التضامن والتكافل والرخاء نتيجة تعاونهم واتحادهم.

أما الأمراض فإن الإسلام قد جعل الوقاية منها بعدة أسباب، منها النظافة، وهي عامل مهم جداً في الوقاية منها ومنع انتشارها، فليس هناك ديانة ولا ملة ولا نخلة ولا منهج سماوي أو وضعي يحث على النظافة كما حث عليها الإسلام. إن أول شرط في دخول الإسلام - قبل النطق بالشهادتين - هو الاغتسال، ونحن نتحداكم أن تأتونا بأى منهج

سماوى يُلزم الإنسان بغسل وجهه ويديه ورجليه فى اليوم خمس مرات، وأن يستترى من بوله وغائطه، وأن يغتسل مرة على الأقل كل أسبوع، وبعد الحدث الأكبر مثل الجنابة والحيض والنفاس. إن الكثير من الكفار - رغم ما أوتوا من علم ومال وجمال - لا يتطهرون من البول والغائط كما يتطهر المسلمون، لأنهم يتنظفون بالورق الذى لا يزيل أثر البول والغائط كما يزيله الماء. ونحن نجد الذين يحافظون على الوضوء ليس لأقدامهم رائحة، فى حين أن غيرهم يتعاطون العقاقير لعلاج ما بين أصابعهم من الفطريات والرائحة الكريهة لعدم نظافتها، حتى إن الزوجة لتأنف من زوجها، والزوج ليأنف من زوجته. وكذلك فإن المسلم الذى يحافظ على وضوئه لا تجد لفته رائحة كريهة، لكثرة السواك والمضمضة والحلّة.

إن أنظف إنسان فى الوجود هو الرسول ﷺ الذى "كان إذا أراد الحاجة أبعد" [صحيح الجامع: ٤٦٥١] أى أنه إذا أراد أن يتبول أو يتغوط بعد عن الناس بعداً كبيراً. وكان لا يرى له أثر بول أو غائط، وكان يلبس الثياب البيض، ويدهن شعره ويمشط ويتعطر، ويستاك عند كل وضوء، وأحياناً بغير وضوء، و"كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وحقق بها صوته" [صحيح الجامع: ٤٧٥٥] وقد نهى عن التنفس فى الإناء، فقال: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء، فإذا أراد أن يعود فليتح الإناء، ثم ليعد إن كان يريد" [صحيح الجامع: ٦٢٤] و"نهى أن يُنفخ فى الطعام والشراب" [صحيح الجامع: ٦٠٢٨] و"نهى عن الشرب من فى السقاء" [صحيح الجامع: ٦٨٨٩] "السقاء" هى قرية الماء، و"فى السقاء" أى فيها. وكان من سنته غسل اليدين قبل الطعام وبعده، وهو الذى قال: "إذا نام أحدكم وفى يده ريح غمر فلم يغسل يده فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه" [صحيح الجامع: ٨٠٣] "ريح غمر" معناها رائحة اللحم أو دسمه، لأنه يجلب إليه الحشرات والهوام، ويسبب له الأمراض. ونهى ﷺ عن التبول فى الماء الراكد، فقال: "لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد" [صحيح الجامع: ٧٥٩٦] وهذا يمنع أمراضاً كثيرة مثل البلهارسيا وغيرها. ونهى عن التبول أو التبرز فى ظل الناس، فقال: "اتقوا الملاعن الثلاث: أن يقعد أحدكم فى ظل يستظل فيه، أو فى طريق، أو فى نقع ماء" [صحيح الجامع: ١١٣] "يقعد" أى يقعد للتبرز، "فى ظل" يشمل الحائط، أو الشجرة، أو أى شئ يستظل به الناس من حر الشمس، "نقع

الماء" معناه الماء الراكد مثل البرك والمستنقعات. وهو الذى علم البشرية استخدام نبات الخلة لإخراج الطعام من بين الأسنان والأضراس، حتى لا يتحلل ويتعفن، ويصيب اللثة والأسنان بالأمراض. ونهى عن ترك الشعر بدون تنظيف، وأمر بتهذيبه، وقال: "من كان له شعر فليكرمه" [صحيح الجامع: ٦٤٩٣] كلمة "شعر" تعنى شعر الرأس واللحية، وإكرامه يكون بتنظيفه، ودهانه، وترجيله. وكان يأمر بغسل الأيدي بعد الاستيقاظ من النوم، فقال: "إذا قام أحدكم من النوم فأراد أن يتوضأ فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدرى أين باتت يده، ولا على ما وضعها" [صحيح الجامع: ٧١٨] ومعلوم أن بعض الديدان - مثل الدودة الدبوسية - لها دورة كاملة داخل جسم الإنسان، فهي تضع بيضها حول فتحة الشرج، ولذلك يصاب الإنسان بحكة.. وخصوصاً أثناء نومه، فإذا وضع يده على فتحة الشرج ثم لم يغسل يديه قبل الطعام.. فإن هذا البيض يدخل عن طريق فمه، ويكمل دورته داخل جسمه، ويصيبه مرة أخرى. وأمر ﷺ بالاستحداد، وبتف الإبط، وتقليم الأظافر في زمن لا يزيد على أربعين يوماً، والاعتسال يوماً على الأقل في الأسبوع - وهو يوم الجمعة - وقال: "عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، وبتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء" [صحيح مسلم] قال مُصْعَبُ (أحد رواة الحديث): ونسيتُ العاشرة إلا أن تكون المضمضة. "البراجم" هى الجلد الذى به ثنيات، مثل الذى على عَقْلِ الأصابع، لأن الأوساخ تتجمع فيها. وقال ﷺ: "إذا تنخَّم أحدكم وهو فى المسجد فليغيب نخامته، لا تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه" [صحيح الجامع: ٤٣٩] وهناك سنن أخرى وأحاديث كثيرة يُرجعُ إليها فى كتب الفقه والسيره.

ومن أسباب الوقاية من الأمراض أيضاً: تقليل الطعام، وعدم الشبع، فإن الكثير من الأمراض سببها امتلاء المعدة، قال ﷺ: "ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يُقَمَّنُ صُلْبُهُ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٥٦٧٤] هذا بالإضافة إلى النهى عن تعاطى ما يضر من الطعام والشراب أو أى شىء، بقره ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار" [صحيح الجامع: ٧٥١٧] وأمر بالتداوى من الأمراض، فقال: "يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء

غير داء واحد: الهَرَمَ" [صحيح الجامع: ٧٩٣٤] "الهَرَمَ" معناه الشيخوخة. وقال: "لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برئ" ياذن الله تعالى" [صحيح الجامع: ٥١٦٤] ووصف علاجاً لأمراض كثيرة ليس هنا مجال ذكرها.

والآن نسرد عليكم بعض ما جاء في الكتاب المقدس:

أنكم تركتم وصية الله وتمسكون بتقليد الناس. غسل الأباريق والكؤوس وأموراً آخرَ كثيرة مثل هذه تفعلون. (مرقس ٧: ٨)

ثم سأله الفريسيون والكتبة لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون بأيديهم غير مغسولة. فأجاب وقال لهم حسناً تنبأ إشعياء عنكم أنتم المُرَّائين كما هو مكتوب. (مرقس ٧: ٥-٦)

وأما الأكل بأيديهم غير مغسولة فلا ينجس الإنسان (متى ١٥: ٢٠).
فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً (لوقا ١٤:

٣٣)

وحقلك لا تزرع صنفين ولا يكن عليك ثوب مُصنَّف من صنفين. (لاويين ١٩: ١٩)
ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله. لأن دخول جبل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله. (لوقا ١٨: ٢٤-٢٥)

لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحبَّ أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعظُّم المشيئة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمشى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد (رسالة يوحنا الأولى ١٢: ١٥-١٧)

لا يقدر خادم أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويجب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال (لوقا ١٦: ١٣)

ادخلوا من الباب الضيق. لأنه واسع الباب ورتخب الطريق الذى يؤدي إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيَّق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدي إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه (متى ٧: ١٣-١٤)

وقال لتلاميذه من أجل هذا أقول لكم لا تفتنوا حياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما

تلبسون. الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. تأملوا الغريبان. أما لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يُقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور. ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة. فإن كنتم لا تقدرن ولا على الأصغر فلماذا تفتنون بالبواقى. تأملوا الزنايق كيف تنمو. لا تعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان العُشب الذى يوجد اليوم فى الحقل ويُطرح غداً فى التُّور يُلبسه الله هكذا فكُم بالحري يُلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا. فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم. وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه. بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تُزاد لكم لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سرَّ أن يعطيكم الملكوت. بيعوا ما لكم واعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياساً لا تفنى وكثراً لا ينفد فى السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سُوس (لوقا ١٢: ٢٢-٣٣)

لا تفتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم. ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً. (متى ١٠: ٩-١٠)

وأخيراً ننصحكم بقراءة الإصحاحين (١٣ و ١٤) من سفر (اللاويين) لتعلموا ما جاء فى كتابكم المقدس عن المصاب بالبرص أو القرع (سقوط الشجر) وأنه نجس وأثم، ولا بد من ذهابه للكاهن للكشف عليه، وتحديد نوع البرص أو القرع، ثم الطقوس المطلوبة لتطهيره، والأشياء التى يقرها إلى الله - بزعمكم - حتى يتطهر. ولتعلموا ما جاء فيهما عن البرص الذى يصيب الثوب وجدران البيت، واعتبار الثوب والبيت نجسين، ولا بد من تطهيرهما، بل والتكفير عن البيت من هذا البرص، لأننا لا نستطيع سرد هذين الإصحاحين لطولهما، ولكن نكتفى بنقل بعض فقراتهما، وبالله التوفيق:

فهو إنسان أبرص. إنه نجس فيحكم الكاهن بنجاسته. إن ضربته فى رأسه. والأبرص الذى فيه الضربة تكون ثيابه مشقوفة ورأسه يكون مكشوفاً ويغطى شاربيه ويُنَادَى نجس نجس. كل الأيام التى تكون الضربة فيه يكون نجساً. إنه نجس. يقيم وحده. خارج المَحَلَّة يكون مُقامه

يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيّان طاهران وخشب أرز وقرمز

وزوفاً. ويأمرُ الكاهن أن يُذبح العصفور الواحد في إناء خزف على ماء حى. أما العصفور الحى فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحى في دم العصفور المذبح على الماء الحى وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء

ويكفر عنه الكاهن أمام الرب. ثم يعمل الكاهن ذبيحة الخطية ويكفر عن المتطهر من نجاسته. ثم يذبح المُحرقة ويُصعد الكاهن المُحرقة والتقدمة على المذبح ويكفر عنه الكاهن فيطهر لكن إن كان فقيراً ولا تنال يده يأخذ خروفاً واحداً ذبيحة إثم لترديد تكفيراً عنه وعُشراً واحداً من دقيق ملتوت بزيت لتقدمة ولُج زيت ويمامتين أو فرخى حمام كما تنال يده فيكون الواحد ذبيحة خطية والآخر مُحرقة. ويأتى بهما في اليوم الثامن لظهره إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع أمام الرب

وينضح الكاهن بأصبغه اليمنى من الزيت الذى فى كفه اليسرى سبع مرات أمام الرب. ويجعل الكاهن من الزيت الذى فى كفه على شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إهام يده اليمنى وعلى إهام رجله اليمنى على موضع دم ذبيحة الإثم. والفاضل من الزيت الذى فى كف الكاهن يجعله على رأس المتطهر تكفيراً عنه أمام الرب

إذا كانت الضربة قد امتدت فى الثوب فى السدى أو اللُحمة أو فى الجلد من كل ما يصنع من جلد للعمل فالضربة برص مُفسد. إنها نجسة فيحرق الثوب

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً متى جئتم إلى أرض كنعان التى أعطىكم ملكاً وجعلت ضربة برص فى بيت فى أرض ملككم. يأتى الذى له البيت ويخبر الكاهن قائلاً قد ظهر لى شبة ضربة فى البيت. فيأمر الكاهن أن يفرغوا البيت قبل دخول الكاهن ليرى الضربة لئلا يتنجس كل ما فى البيت

ويغلق البيت سبعة أيام. فإذا رجع الكاهن فى اليوم السابع ورأى وإذا الضربة قد امتدت فى حيطان البيت يأمر الكاهن أن يقلعوا الحجارة التى فيها الضربة ويطرحوها خارج المدينة فى مكان نجس. ويُقشّر البيت من داخل حوالبه ويطرحون التراب الذى يقشرونه خارج المدينة فى مكان نجس. ويأخذون حجارة أخرى ويدخلونها فى مكان الحجارة ويأخذ تراباً آخر ويُطين البيت. فإن رجعت الضربة وأفرخت فى البيت بعد

قَلَعَ الحِجَارَةَ وقَشَرَ البَيْتَ وتَطَيَّبَهُ وأَتَى الكَاهِنَ ورَأَى وإذا الضَّرْبَةُ قد اَمْتَدَّتْ فِي البَيْتِ فَهِيَ بَرَصٌ مَفْسُدٌ فِي البَيْتِ. إِنَّهُ نَجَسٌ. فَيُهْدَمُ البَيْتَ حِجَارَتُهُ وَأَخْشَابُهُ وَكُلُّ تَرَابِ البَيْتِ وَيُخْرَجُهَا إِلَى خَارِجِ المَدِينَةِ إِلَى مَكَانٍ نَجَسٍ. وَمَنْ دَخَلَ إِلَى البَيْتِ فِي كُلِّ أَيَّامِ انْفِلاقِهِ يَكُونُ نَجَسًا إِلَى المَسَاءِ. وَمَنْ نَامَ فِي البَيْتِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَمَنْ أَكَلَ فِي البَيْتِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ.

فِيأخِذُ لِتَطْهِيرِ البَيْتِ عَصْفُورَيْنِ وَخَشَبَ أَرزٍ وَقَرْمَزًا وَزَوْفًا. وَيَذْبَحُ العَصْفُورَ الوَاحِدَ فِي إنَاءٍ خَزَفٍ عَلَى مَاءٍ حَيٍّ وَيَأْخِذُ خَشَبَ الأَرزِ وَالزَوْفَا وَالقَرْمَزِ وَالعَصْفُورَ الحَيَّ وَيَغْمِسُهَا فِي دَمِ العَصْفُورِ المَذْبُوحِ وَفِي المَاءِ الحَيِّ وَيَنْضِجُ البَيْتَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَيُطَهِّرُ البَيْتَ بِدَمِ العَصْفُورِ

وَيَكْفُرُ عَنِ البَيْتِ فَيَطْهَرُ

هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ لِكُلِّ ضَرْبَةٍ مِنَ البَرَصِ وَالمَلْعَرَعِ وَالبَرَصِ الثَّوْبِ وَالبَيْتِ وَالمَنَائِجِ وَالمَلْعُوبَاءِ وَالمَلْمَعَةَ لِلتَّعْلِيمِ فِي يَوْمِ النِّجَاسَةِ وَيَوْمِ الطَّهَارَةِ. هَذِهِ شَرِيعَةُ البَرَصِ هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا جَاءَ فِي الكِتَابِ المَقْدَسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

س٧٣- إن الإسلام يحارب الفقراء بأبشع الصور بحيث لو سرق الفقير الجوعان رغيفاً من الخبز طُبِقَ عليه حد السرقة وقُطِعَت يده، وإذا جاع وسرق رغيفاً آخر قُطِعَت يده الثانية، حتى لو كان سيطعم أولاده الصغار، ما هذه الوحشية يا أيها المسلمون؟

ج٧٣- إن حد السرقة في الإسلام ليس في الرغيف كما تقولون، إن حد السرقة لا يطبق إلا في ربع دينار من الذهب، وبشرط أن يكون في حِرْزٍ، قال رسول الله ﷺ: "لا تُقَطَّعَ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا" [صحيح مسلم] والدينار يساوي أربعة جرامات وربعاً، فلو قلنا - بالتقدير الحالي - إن الجرام يساوي مائة جنية، فيكون الدينار بأكثر من أربع مائة جنية (٤٢٥) وربع الدينار يساوي أكثر من مائة جنية، ورغيف الخبز الذي تتكلمون عنه يساوي خمسة قروش أو عشرة قروش، أي أنه لا يساوي بالنسبة لحد السرقة واحداً إلى ١٠٠٠، تنقص أو تزيد قليلاً حسب سعر الذهب والخبز. فالإسلام لا يعاقب بحد السرقة في أقل من ربع دينار ذهب ولو كان كسر حِرْزاً، يعني أننا لا نقطع -

كما تقولون - يد من سرق رغيفاً، ولا حتى من سرق بطة، أو دجاجة مشوية، فأين هي الوحشية؟ وفي الجماعات لا تقطع يد من سرق ليطعم نفسه أو أولاده، ولو سرق كبشاً. أما عندكم فإن السارق إذا ضُبط وهو يحاول سرقة ثور أو شاة فضرِبَ حتى مات فلا دية له، وما هو كتابكم المقدس يقول: إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فلدبجه أو باعه يعوّض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم. إن وجد السارق وهو ينقب فضرِبَ ومات فليس له دم (خروج ٢٢: ١-٢)

فلا بد إذن في قطع اليد من ثلاثة شروط، الأول: أن يكون مقدار السرقة يساوي ربع دينار أو أكثر، فلو سرق بالقيمة الحالية تسعة وتسعين جنيهاً لا تقطع يده. الثاني: لا بد أن يكون المال أو المتاع الذي سرقه في حرز، أى في شيء مغلق عليه، مثل أن يكسر دُرْجاً، أو باب شقة، أو خزانة. فلو خطف السارق شيئاً من أحد يسير في الشارع - مثلاً - لا تقطع يده، ولو كان الشيء المسروق أكبر من ربع دينار، أما لو هدهه بالسلاح وأخذ ماله، فإن هذا يسمى غضباً، ويطبق عليه حد الخرابة، وهو أشد من قطع اليد، حتى يأمن الناس على أرواحهم وأموالهم، فلا بد أن تكون العقوبة رادعة لمن تُسوّل له نفسه الاعتداء على خلق الله. الثالث: أن يصل الأمر إلى الحاكم، فلو سرق أحد من حرز - ولو ١٠٠٠ جنيه أو أكثر - ثم جاء أهله واعتدروا لصاحب المال، وتذللوا له أن يترك ولدهم، ولا يرفع أمره إلى الحاكم، فغفا عنه، أو تصالحوا على شيء مقابل ألا يبلغ عنه، فلا تقطع يده، قال رسول الله ﷺ: "تعاؤوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب" [سنن أبي داود والنسائي، صحيح الجامع: ٢٩٥٤] ومعنى هذا الحديث الشريف أن الناس إذا تسامحوا فيما بينهم في حقوقهم فلا تطبق عليهم الحدود، أما لو بلغ الأمر إلى الحاكم فقد وجب عليه تطبيق الحد. ولو سرق أحد من حرز، فكسر خزينة - مثلاً - وسرق مائة ألف جنيه، ورفّع أمره إلى الحاكم، واعترف بسرقة، ولكنه اعتذر عن سرقة بأنه عمِلَ عند هذا الرجل، ولم يعطه أجره الذي يساوي أكثر من المبلغ الذي سرقه، وأتى بشهود فشهدوا له بما قال، فلا تقطع يده. ولو سرق فقير لشدة حاجته واضطراره - مثلاً - إلى إجراء عملية فيها إنقاذ لحياته، أو لحياة ولده، ولا يجد من يساعده، فلا تقطع يده. وقطع اليد فيه حفاظ على أموال الناس، فكما أنه يحذر من سرقة غيرك، ففي الوقت نفسه يحذر جميع

الناس أن يسرقوا منك. والدول التي تطبق حد السرقة - مثل السعودية - يعيش الناس فيها آمنين على أموالهم، ومن يَمُنَّ الله عليه بالحج أو العمرة يرى أصحاب المحلات يتركونها مفتوحة، ويذهبون إلى الصلاة وهم آمنون، فمن يضحى بيده ولو أعطيته كنوز الأرض؟ وهنا سؤال يطرح نفسه.. هل معنى هذا أن كل من سرق ولم تنطبق عليه شروط إقامة الحد لا يُعاقب؟ إذن لا تحترف السرقة خلق كثيرون! ونقول لهم: إن هذه الأحوال فيها التعزير، وهو ما يحدده القاضي - أو من ينوب عنه - من عقوبة، مثل الضرب، أو السجن، أو التقي، كل بحسب حاله.

والذين يتهموننا بالوحشية في قطع يد السارق عندهم ما هو أشد من ذلك، فقد جاء في كتابهم المقلس:

إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضاً رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكي تخلص رُجُلَهَا من يد ضاربه ومدّت يدها وأمسكت بعورته فاقطع يدها ولا تشفق عينك (تثية ٢٥: ١١) وجاء فيه أيضاً: فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك خيراً لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقطعها وألقها عنك خيراً لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان. (متى ١٨: ٨-١٠)، والله أعلم.

س ٧٤- لماذا تصرون على ارتداء المرأة للحجاب، مع أن هذا لا يعنى تدينها، ولا يضمن لها السلامة الخلقية، بدليل أن المرأة العربية في الجاهلية كانت محتجة، وهناك كثير من النساء يرتدين الحجاب وهن غير متدينات، بل ويأتين الفاحشة، فما قيمته إذن؟

ج ٧٤- ما رأيكم في الصورة الفوتوغرافية التي تقولون إنها صورة السيدة مريم رضى الله عنها؟ وما رأيكم في أمكم (تريزا) التي تحبوها وتوقرونها، وتقولون إنها قامت بأعمال خيرية كثيرة للفقراء في الهند وغيرها، ثم توفيت في فترة التسعينيات بعدما تجاوزت الثمانين عاماً؟ هل كانتا ترتديان الحجاب أم لا؟ فإذا كنتم تؤمنون بهما وتحبوهما وقد كانتا محبتين، فلماذا تنكرون الحجاب علينا؟ ثم إن هناك أدلة كثيرة في كتابكم المقلس - ليس على الحجاب فقط - بل على النقاب أيضاً، حتى إنه قد حكم على التي ترفض الحجاب

بقص شعرها، واقرأوا إن شئتم:

وأما كل امرأة تصلّى أو تتبّأ ورأسها غير مُغطّى فتشين رأسها لأنها والمخلوقة شيء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تغطّي فليُقص شعرها. وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتغطّ. (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١١: ٥-٦)

احكموا في أنفسكم. هل يليق بالمرأة أن تصلّى إلى الله وهي غير مُغطّاة. (الرسالة

الأولى إلى كورنثوس ١١: ١٣)

ها أنت جميلة يا حبيبي ها أنت جميلة عينك حمامتان من تحت نقابك. (نشيد الأنشاد: ٤: ١)

خذك كفلقة رمانة تحت نقابك. (نشيد الأنشاد: ٤: ٣)

إن الحجاب له قيمة عظيمة، فكما أنه حماية للمرأة من الاغتصاب والمعاكسات.. فهو حماية للرجال من الفتنة في دينهم، وإشاعة الفساد في المجتمع، فليس شرطاً أن التي ترتديه تكون متدينة، بل إنه يُفرض حتى على النساء الكافرات في بلاد المسلمين، لأنها لو ابتذلت وتكشفت لكانت مثيرة للغرائز والشهوات، وفتنة للشباب المسلم، فنقول لها لك حرية العقيدة، ولكن لا تؤذينا في ديننا. فالشاب الذي لا يجد ما يعف به نفسه من الحلال ماذا يفعل؟ إنا أن يحاول الوصول إليها، وحينها يكون معرضاً لعقوبة الدنيا والآخرة، أو يكتب شهوته، فيصاب بالعقد النفسية. والرجل المتزوج من امرأة دميمة حين يرى الجميلة يسخط على قدر الله، ويتحسر، ويغض امرأته، وينظر إليها نظرة احتقار، وربما طلقها أو أساء معاملتها، أو حاول الوصول لغيرها، أما لو غطت المرأة مفاتها فلن تثير أحداً، ولن يتعرض لها أحد، لأنه لا يدري أهي صغيرة أم كبيرة، أهي جميلة أم قبيحة، أهي بيضاء أم سمراء.. إلخ. ولو فرضنا أن سلوكها الشخصي غير منضبط فإن هذا لا يضر إلا القليل، أما التي تخرج من بيتها متبرجة - وإن كانت عفيفة - فكم تفنن من الرجال؟ وكم نظرة زنى تعرض لها؟ وكم صدّت عن سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ: "كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيئُهُ مِنَ الزَّيْنِ مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زَانَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَانَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَانَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَانَاهُ الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَانَاهُ الْخَطْيُ، وَالْقَلْبُ يَهْوِي وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ" [صحيح مسلم] وما كثرة حوادث الاغتصاب إلا من كثرة تبذل النساء وعريهن، حتى إن الله عز وجل حينما تكلم عن الزنى ذكر المرأة

أولاً لأنها السبب، فقال: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور: ٢] وإلا- فأخبرونا عن أى امرأة مختمرة أو منتقبة اغتصبت (والعياذ بالله). إن من أهمية الحجاب التي لا يُستهانُ بها أنه يحجز من ترتديه - إلى حد كبير - عن فعل المنكرات، لأنها تستحي - في كثير من الأحيان - من بعض الأفعال التي لا تليق بحجائها، كالشرطي الذي يرتدى بدلة عمله تجده لا يتصرف كتصرفه لو خلعها. ويكفى الحجاب شرفاً أن الله سبحانه وتعالى وجّه الأمر به لزوجات النبي ﷺ وبناته أولاً، ثم لنساء المؤمنين من بعده، فقال: {يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَٰلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ} [الأحزاب: ٥٩] فالعفاف لا يغني عن الحجاب، فاعتبروا يا أولى الألباب.

والذين يقولون: إن الحجاب تخلف وعودّة للوراء، نقول لهم: أهو حجاب للعقل أم للبدن؟ وهل التحضر والرقي والثقافة في التعرّي؟ وهل الحجاب منع النساء أن يتفوقن؟ إن الناظر لصور المتفوقات في الثانوية العامة في الصحف والمجلات يجد أن كلهن - أو أكثرهن - محجبات، فلماذا لم يمنعهن الحجاب من التفوق؟ ولو ارتدت الحجاب أى امرأة ممن تفتخرون بعلمهن وثقافتهن فهل يطير العلم من رأسها؟ ولو ارتدت الحجاب أى وزيرة أو أستاذة جامعية - أو حتى رئيسة دولة - فهل تصبح أمية أو متخلفة؟ وهل كل المتبرجات مثقات؟ إنهن بالملايين في الدول المتخلفة - مثل بعض البلاد الأفريقية - فأين هي ثقافتهن؟ وحين فتح المسلمون البلاد، ودانت لهم المشارق والمغرب هل كانت نساؤهم متبرجات؟، والله أعلم.

س٧٥- إن عدم الاختلاط عندكم أصاب الشباب والشابات بالكبت والعقد النفسية، فلماذا لا تبيحون الجنس كما هو عندنا في الدول الأوروبية؟

ج٧٥- إن قائل هذا القول لا دراية له بالنفس البشرية، والشاهد من واقعنا أن الذى يطلق نفسه العنان في إشباع رغباته الجنسية، يأتي عليه بعد فترة شعور بالألم النفسى، والحسرة، وعدم الاستقرار، وينظر لمن عَفَّ نفسه بالحلال وأصبحت له أسرة وأطفال نظرة غبطة، ويتمنى أن لو كان مكانه، وكذلك المرأة التي لا تبالي بأى قيود شرعية أو غير شرعية، تشعر هي الأخرى بعد فترة بالتمزق النفسى، وتتمنى أن لو كان لها زوج وأطفال

من الحلال، هذا لأن الإنسان كما هو محتاج لإشباع جسده فهو محتاج لإشباع روحه، وإشباع روحه لا يأتي إلا بالتقرب إلى من خلقها، والدليل على ذلك أن أكبر نسبة انتحار في العالم توجد في الدول الأوروبية حيث الرقى المادى، والانحلال الجنسى، وكل وسائل الترف والنعيم، ولكن نفوسهم خواء. وسَلُّوا قاتل هذا القول: هل استقرت الأمور بعد أن أطلقتكم الحريات حتى لا يكاد يتأكد أحد من معرفة أبيه؟ وهل الانحلال عندكم أدى إلى إشباع جنسى واستراحت النفوس؟ إنهم لم يكتفوا بالمتاح لهم من النساء فلجأوا إلى الاغتصاب، حتى وصل الاغتصاب في أوروبا وأمريكا إلى أعلى النسب العالمية، ولم يردعهم رادع، رغم قسوة القوانين التي وصلت في بعض البلدان إلى الإعدام، ولقد أصيبوا بالأمراض النفسية والشذوذ الجنسى، لدرجة أنهم أباحوا ما يسمى بزواج المثليين (أى زواج الذكركين وزواج الأنثيين) حتى إن القساوسة في أمريكا وأوروبا يقومون بعقد هذا الزواج في كنائسهم! هذا فضلاً عما أصيبوا به من الأمراض الفتاكة المهلكة كالزهري، والسيلان، وسرطان عنق الرحم، وكان آخرها مرض الإيدز الذى تتكلف أبحاثه مليارات الدولارات، ورغم هذا فهو في زيادة مطردة. وظهور الأمراض الجديدة التى تتسبب فيها الفاحشة أخبر عنه رسول الله ﷺ حيث قال: "يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أنمتهم بكتاب الله عز وجل ويتخبروا بما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم" [سنن ابن ماجه، صحيح الجامع: ٧٩٧٨] هذا بالإضافة إلى التفكك الأسرى، وكثرة أطفال الشوارع واللُّقطاء. إن الاختلاط هو سبب المصائب وسبب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، نار وبترين، نسمح للفتى والفتاة فى أوج شهوتهما أن يختلطا ببعضهما بحجة الزمالة، أو القرابة، أو ما شابه ذلك، ونقول إنهما مثل الإخوة، وقد تربيا مع بعضهما! ثم نعض على أصابعنا حين يحدث ما لا نُحمد عقباه. لقد قدرُوا حالات الأطفال الذين لا يعترف بهم آباؤهم فى

بلادنا بنحو أربعة عشر ألفاً. إن التبرج والاختلاط هو الذى يأتى بالكبت والعقد النفسية، عَرَض السلعة ومَنَع الشراء، أَضْعَ أمامك الطعام وأنت جوعان، ثم أقول لك: إياك إياك أن تمتد إليه يدك! فهل يُقَرَّر ذلك عاقل؟ إن بعض الدول الإسلامية التى حذت حَذُو الغرب، وسمحت بالاختلاط بين الشباب والشابات، كثرت فيها الفواحش والزواج العرفي، والأب آخر من يعلم، لقد قَدَّرُوا عدد حالات الزواج العرفي في بلادنا بنحو ٦ ملايين، أكثرها بين طلبة المدارس والجامعات، وهو ليس بنكاح، ولكنه سفاح، قال رسول الله ﷺ: "لا نكاح إلا بولي" [صحيح البخاري] وقال: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيهَا فَنِكَاحِهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحِهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحِهَا بَاطِلٌ" [صحيح الجامع: ٢٧٠٩] فلا بد من موافقة ولي الزوجة (وهو أبوها أو من يحل محله) والإشهار، قال رسول الله ﷺ: "فصل ما بين الحلال والحرام الذُّفُّ والصَّوْتُ في النكاح" [سنن النسائي وابن ماجه، صحيح الجامع: ٤٢٠٦] ولا يُفهم من الحديث الشريف أن "الصَّوْتُ" يُقصدُ به الزغاريد، أو الأغاني الماجنة، أو الموسيقى، ولكنه الضرب بالذُّفِّ فقط، والأغاني العفيفة، بدون تمجيع، أو اختلاط بين الرجال والنساء، قال رسول الله ﷺ: "صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة ورثة عند مصيبة" [صحيح الجامع: ٣٨٠١].

إن الإسلام حارب الرذيلة، وحمى المجتمع منها بفرض الحجاب، وغض البصر، وتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة، والخضوع بالقول، وكل ما من شأنه إثارة الغرائز والشهوات، وشجع على الزواج وتعدده، حتى لا تبقى عوانس، أو مطلقات، أو أرامل بغير زوج، لأن عدد الرجال في أى دولة في العالم أقل من عدد النساء، وحث على عدم العُلُو في المهر والنفقة حتى لا يكون عائقاً للحلال، مُشجِعاً على الحرام، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢] {الْأَيْمَىٰ} جمع أَيْم، ويطلق على الرجل والمرأة، فيقال (رجل أَيْم) أى بغير زوجة، و(امرأة أَيْم) أى بغير زوج، وقال الرسول ﷺ: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" [صحيح مسلم] "وجاء" أى وقاية، أما إن بقيت بعد ذلك حالات خيانة فهي نادرة، وتعبير عن فطرة ملتوية غير سليمة، والله أعلم.

س٧٦- إن عقوبة الزاني المُحصَنَ عندكم هي الرجم بالحجارة حتى الموت، وعقوبة غير المُحصَنَ مائة جلدة، فما هذه البشاعة رغم رضا الطرفين؟ أليس هذا إهداراً لكرامة الإنسان الذي قهرته شهوته رغماً عنه؟

ج٧٦- أيهما أهدر لكرامة الإنسان.. الزنى أم عقوبته؟ إن الزنى ليس إهداراً لكرامة المرأة وحدها، بل لأهلها، ومن يهّمه أمرها، فلا بد أن تكون عقوبته شديدة، حتى لا تكون أعراض الناس عُرضة للمجرمين والمستهترين. وديننا ليس هو الدين الوحيد الذي يفرض هذه العقوبة، فقد جاء في الكتاب المقدس ما هو أشد، إذ جعل عقوبة الزنى الحرق، أو الرجم بالحجارة حتى الموت، ولو كان الزانى أو الزانية غير مُحصنين:

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أُخبرَ يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك. وها هي حُبلى أيضاً من الزنى. فقال يهوذا أخرجوها فَتُحرق. (تكويرن ٣٨: ٢٤) (كنتك) معناها زوجة ابنك.

وإذا تدلّست ابنة كاهن بالزنى فقد دُلّست أباه. بالنار تُحرق (لاوين ٢١: ٩)

أما عندنا فليس هناك فرق بين ابنة العالم أو غيرها، فلو زنت ابنة العالم غير المُحصنة فحدّها كغيرها، وهو الجلد فقط، وليس الحرق كما عندهم، أما المحصن فلا بد أن تكون عقوبته أشد، لأنه ليس له أدنى عذر في ارتكاب الفاحشة، قال رسول الله ﷺ: "إذا رأى أحدكم المرأة التي تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم، فإن ذلك معهم" [صحيح ابن حبان، صحيح الجامع: ٥٥٢] ويفرض أن زوجته لا تلبى رغباته - بغض النظر عن السبب - فله أن يتزوج بثانية، وثالثة، ورابعة. أما لو كان الزوج غير قادر على أن يعفّ زوجته، فلها أن تنخلع منه، وتتزوج بغيره، فإن ديننا ليس كالأديان الأخرى التي تحرّم الطلاق وتعدد الزوجات، ولكنه دين يضع الحلول لكل مشاكل البشر.

وحد الزنى لا يطبق إلا بشروط صعبة قلّما توجد، فلا بد من شهادة أربعة رجال يرون هذا الفعل بوضوح تام، بحيث لو شك واحد منهم رُفِضت شهادتهم جميعاً، فمن الذى يفعل هذه الفعلة النكراء على مرأى من الناس؟ فلو كان متفحشاً لهذا الحد لاستحق هذه العقوبة. إن شهادة رجل أو اثنين أو ثلاثة لا تصلح لإقامة الحد، بل إنهم يُجلّدون ثمانين جلدة لو لم يأتوا بالشاهد الرابع، ولو كانوا صادقين {وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ

يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ} [النور: ٤] ربما يقول قائل: ربما يراه الناس من حيث لا يدري، فنقول له: إن
 ديننا قد هانا عن التحسس وتتبع العورات، وبفرض أن أحداً رأى هذه الفاحشة حال
 وقوعها، فذهب ليأتي بثلاثة رجال ليشهدوا معه، فهل يسمح له الوقت بذلك؟ ولهذا فإنه
 لا يطبق غالباً إلا على المعترف بهذا الفعل. إن الزنى - بالإضافة إلى أنه معصية لله ورسوله
 - هو السبب في انتشار كثير من الأمراض الفتاكة، كالزهرى، والسيلان، والإيدز،
 وسرطان عنق الرحم، وغير ذلك، وكذلك فإنه السبب في وجود اللقطاء الذين يُرْمَوْنَ في
 الشوارع للقطط والكلاب، أو يُرْمَوْنَ في الملاجم، لا يعرفون لهم أباً ولا أمّاً، فيتعرضون
 لاحترار المجتمع، مما يصيبهم بالعقد النفسية، وربما يكبرون وعندهم شهوة الانتقام من
 الأعراس، ليذيقوا ما ذاقوه لغيرهم. وحد الزنى - سواء الجلد أو الرجم - كفارة لمرتكب
 هذه الفاحشة، فلا يُعَذَّبُ بها يوم القيامة، فهل عقوبة الدنيا أشد أم عقوبة الآخرة؟ والدليل
 على ذلك أن الرسول ﷺ قال عن ماعز الذي أمر برجمه بعدما اعترف له بالزنى:
 "استغفروا لماعز بن مالك لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لوسعتهم" [صحيح مسلم]
 وقال عن المرأة الغامدية التي أمر برجمها بعدما اعترفت له بأنها حامل من الزنى: "لقد تابت
 توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن
 جادت بنفسها لله" [صحيح مسلم] ومن يرجع لقصتها (في صحيح مسلم) وغيره يعلم أنه
 ﷺ لم يرحمها بمجرد اعترافها، ولكنه أمرها أن تأتيه بعد ولادتها، ثم أمرها أن تأتيه بعد أن
 تتم رِضَاعَةُ ولدها وتطفمه، وأمر وليها بالإحسان إليها، كما أنه أمر بسترها عند رجمها،
 ثم صلى عليها ودُفِنَتْ، ودفع بابنها لأحد المسلمين ليقوم على رعايته.

أين هذا مما جاء في الكتاب المقدس من ذبح أبناء الزانية، وكشف عورتها لمُحِبِّبِهَا
 ومُبْغِضِهَا، وتقطيعها بالسيف بعد رجمها، وحرق بيتها، حيث يقول: وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا
 لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زَنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ. ها أنا ألقياها والذين يزنون معها في ضيقة عظيمة إن
 كانوا لا يتوبون عن أعمالهم. وأولادها أقتلهم بالموت فستعرف جميع الكنائس أني أنا
 هو الفاحص الكلي والقلوب سأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله. (رؤيا يوحنا: ٢١-٢٣).

هكذا دخلوا على أهولة وعلى أهولية المرأتين الزانيتين. والرجال الصديقون هم يحكمون عليهما حكم زانية وحكم سفاكة الدم لأنهما زانيتان وفي أيديهما دم. لأنه هكذا قال السيد الرب. إني أصعدُ عليهما جماعة وأسلمهما للجور والنهب. وترجمهما الجماعة بالحجارة ويقطعونهما بسيوفهم ويذبحون أبناءهما وبناتهما ويحرقون بيوتهما بالنار. فأبطل الرذيلة من الأرض فتأدب جميع النساء ولا يفلنَ مثل رذيلتكما. (حزقيال ٢٣: ٤٤-٤٨).

فلذلك يا زانية اسمعى كلام الرب. هكذا قال السيد الرب. من أجل أنه قد أنفقَ نحاسك وانكشفت عورتك بزناك بمحبك... لذلك هانذا أجمعُ جميع محبيك الذين لذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك واكشفُ عورتك لهم لينظروا كل عورتك... ويعرون عنك ثيابك ويأخذون أدوات زينتك ويتركونك عريانة وعارية. (حزقيال ١٦: ٣٥-٣٩).

لأنه هكذا قال السيد الرب هانذا أسلمك ليد الدين أبغضتهم ليد الدين جفنتهم نفسك. فيعاملونك بالبغضاء ويأخذون كل تعبك ويتركونك عريانة وعارية فتتكشف عورة زناك ورذيلتك وزناك. (حزقيال ٢٣: ٢٨-٢٩).

حاكموا أمكم حاكموا لأنما ليست امرأتى وأنا لست رَجُلها لكى تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ندييها لئلا أجردّها عريانة وأوقفها كيوم ولادقها وأجعلها كقفر وأصيرها كارض يابسة وأميتها بالعطش. ولا أرحمُ أولادها لأنهم أولاد زنى (موشع ٢: ٤-٢).

إن الزانى قد تعدى كل الحدود، وتخطى كل العراقيل التى وضعها الشارع فى طريق هذه الفاحشة، فهو الذى أورد نفسه المهالك، فإن شرعنا الخفيف لم يحرم الزنى فحسب، بل حرم مقدماته، فحرم الخلوة بين الرجل والمرأة، وأمر بعدم الاعتلاط بين الرجال والنساء، وأمر بغض البصر، وعدم الخضوع بالقول، حتى إنه حرم مصافحة الرجل للمرأة، وحث على الزواج المبكر لمن يملك البائة، والبائة هى القدرة على الزواج من الناحية الجسدية والمالية، وحث على تيسير المهور حتى يتيسر الحلال، ولا يلجأ أحد إلى الحرام، ومن لم يستطع الزواج أمره الرسول ﷺ بالصوم فإنه له وجاء (أى وقاية).

ونريد أن نضرب مثلاً لاستحقاق عقوبة الزنى - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن حاكماً حذر من الدخول إلى مكان معين، وأوعد من دخله بالعقوبة، ولكن من عدل هذا الحاكم أن وضع في الطريق إلى هذا المكان المحذور إشارات وعراقيل كثيرة تحذر من الاقتراب منه، ولكن البعض لم يهتمهم هذا التحذير، فتخطوا كل هذه العقبات، إلى أن وصلوا إلى هذا المكان، ففي هذه الحالة.. أيستحقون العقوبة أم لا؟

إن المرأة التي وقع عليها الزنى بالإكراه تحت تهديد السلاح لا يُقام عليها الحد في الإسلام، أما في الكتاب المقدس فهي مُدانة، وتُرجم بالحجارة حتى الموت، ولو كانت غير مُحصنة، وإليكم الدليل على ذلك:

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة وارجوهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه. فتزع الشر من وسطك (تثنية: ٢٢: ٢٣-٢٤) ونحن نتساءل: ماذا يكون حالها لو أن مغتصبها هددها بالسلاح فلم تستطع الصراخ؟ أو لو فاجأها بتكميم فمها قبل أن يغتصبها لكي لا تتمكن من الصراخ، أيكون هذا وذاك مما تواخذ عليه؟ والله أعلم.

س٧٧- إن حد اللواط عندكم هو أن يُلقي الفاعل والمفعول به من شاهق مثل برج القاهرة، فهل هناك أبشع من هذه العقوبة؟

ج٧٧- قبل أن نجيب على هذا السؤال نودُّ أن نذكّر المسلمين بأن إطلاق كلمة (اللواط) على الشذوذ الجنسي بين الرجال غير صحيح، لأن هذه الكلمة مأخوذة من اسم سيدنا لوط - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وهو الذي كان ينهى قومه عن هذا الفعل الشنيع، ولكن الأصح أن يُقال: فعل قوم لوط، أو: الشذوذ الجنسي بين الذكور.

نعم.. نحن نرميهم من شاهق عقوبة لهم، وليكونوا عبرة لغيرهم لأنهم نكسوا فطرتهم، وخالفوا حكمة الله من التناسل لعمارة الأرض، واستخلاف بني آدم فيها، فمن أين تأتي الذرية لو كان الرجل يتصل بالرجل، والمرأة تتصل بالمرأة؟ هذا فضلاً عما يتسبب فيه فعل قوم لوط من أمراض خطيرة، كان آخرها وأبشعها مرض الإيدز الذي أجمع العالم كله على أن سببه كان هذا الفعل الشنيع. ومرض الإيدز يُعدُّ من أخطر الأمراض؛ لأنه يدمر

الجهاز المناعى للإنسان تدميراً كاملاً، فيصبح عُرضة للإصابة بالأمراض الفتاكة، ولو من أضعف الميكروبات، ويكون مصيره الموت العاجل، وللأسف أنه ينتقل للأبرياء بطرق كثيرة، مثل نقل الدم، والحقن، والحلاقة، والجماع، والولادة.. إلخ. فهل رَمَى اثنين من شاهق - ولو حتى برج إيفل - أبشع أم انتشار الإيدز فى المجتمع؟ إن الإحصائيات العالمية تقول إن المصابين بمرض الإيدز حوالى ٣٨٠ مليوناً، هذا فضلاً عما ذكرناه من انتكاس الفطرة وعدم التناسل. وقد جاء فى الكتاب المقدس إن عقوبة فعل قوم لوط هى القتل، وكذلك عقوبة إتيان البهيمة:

وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجساً. إنهما يُقتلان.

دمهما عليهما. (لاويين ٢٠: ١٣)

كل من اضطجع مع بهيمة يُقتل قتلاً. (خروج ٢٢: ١٩)

وإذا جعل رجل مَضْجَعَهُ مع بهيمة فإنه يُقتل والبهيمة تميئتها. وإذا اقتربت امرأة إلى

بهيمة لنزائها تُميت المرأة والبهيمة. إنهما يُقتلان. دمهما عليهما. (لاويين ٢٠: ١٥-١٦)، والله أعلم.

س٧٨- يقول القرآن: { إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة: ٣٣] إن حد الحرابة الذى تتكلم عنه الآية يعتبر وحشية، ومغلاة وبشاعة فى العقوبة، تقتلون، وتصلبون، وتقطعون الأيدي والأرجل، ما كل هذه المجازر البشرية؟ ألا توجد عقوبة أقل من ذلك؟ والآن توجد حدود إقليمية للبلاد، وليس بوسع أحد أن يدخلها كما يشاء، فأين يذهبون عند نفيمهم؟

ج٧٨- على من يُطبَّق حد الحرابة؟ يطبق على قطاع الطرق، لماذا؟ لأنهم {يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} ولكن كيف يحاربون الله ورسوله؟ لأنهم يجرمون العباد مما أحله الله لهم، وما تقوم عليه معاشهم من التجارة، والتجارة ركن من أكبر أركان المعاش والاقتصاد فى العالم، فهى نقل للسلعة من المنتج إلى المستهلك، وفيها منافع للجميع. فالحرابة هى ما يفعله قطاع الطرق من سرقة، ونهب، وقتل، وتخويف للآمنين، وهى إفساد

في الأرض، لأن السلعة إذا لم تنقل إلى المستهلك فإنها تفسد، فمثلاً: لو أن إحدى الدول تعيش على الزراعة، وتصدر محاصيلها الزراعية لدول أخرى، أو دولة منتجة للبترو، وتصدره للآخرين، فلو أن هذه التجارات تعطلت بسبب قطاع الطرق، لحدث ضرر عظيم للناس في معيشتهم، واقتصاد بلادهم.

وحد الحِرابَة أنواع، ولهذا جاء بالتحخير بكلمة {أو} وليس بحرف (الواو) لأن الحِرابَة أنواع: فمنها ما يكون للسرقة فقط، مثل ما يفعله البعض ويسمى (الثبیت) أى السرقة تحت تهديد السلاح، فهذا يطبق عليه حد السرقة، مع قطع الرجل من الجهة الأخرى للحسد. ومنها ما هو للسرقة والقتل، وهذا تقطع يده ورجله، ويقتل. ومنها ما هو للسرقة، والقتل وهتك العرض، وهذا تقطع يده ورجله، ويقتل، ثم يصلب، ولا يدفن، حتى يكون عبرة لغيره، فلا يجرؤ على مثل فعله. وفي بعض الولايات الأمريكية - التي تعيب علينا حد الحِرابَة - تكثر بها الجرائم، لدرجة أن الشرطة تحذر الناس من الخروج من المنازل، والمشى في الشوارع بعد دخول أول الليل، وإلا- فإنها غير مسؤولة عما يحدث من جرائم القتل والنهب والاعتصاب، فلو أنهم طبقوا هذا الحد كما وُجِدَت هذه الجرائم. والحالة الرابعة هي التخويف فقط، بمعنى أنه يقطع الطريق على الناس ويخوفهم فقط، ولا يسرق، ولا يقتل، ولا يهتك عرضاً، كما يفعل من نسميهم (الفتوات) في زمننا هذا، لإرهاب الناس منهم، فهذا حده النفي فقط.

أما الشُّق الثاني من السؤال - وهو الخاص بالنفي - فليس شرطاً أن يُنْفَى قاطع الطريق إلى دولة أخرى، ولكنه يُعتقل في مكان بعيد في دولته نفسها. والشاهد من واقعنا على فاعلية هذه العقوبة.. ما يقوم به بعض الوزراء أو المديرين من نقل الموظفين إلى أماكن بعيدة عن محل سكنهم وأسرهم، كمن يُنقلون إلى سيناء، أو السلوم، أو منطقة البحر الأحمر، وهم من سكان القاهرة، مع أنهم غير معتقلين، فكيف لو كانوا معتقلين؟

والذين يتظاهرون بالرحمة والشفقة على المجرمين يُتْرَلون أشد العقوبات بالذنين، حتى إنهم يعاقبون المُبْتَلَى على بلائه، مع أنه لا ذنب له فيه، فيقول كتابهم المقدس:

وأجعل غيرتى عليك فيعاملونك بالسخط. يقطعون أنفك وأذنك وبقيتك تسقط بالسيف. يأخذون بنيك وبناتك وتوكل بقيتك بالنار. (حزقيال ٢٣: ٢٥)

ومن سرق إنساناً وباعه أو وُجِدَ في يده يُقْتَلُ قَتْلًا. (خروج ٢١: ١٦)

وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة. بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم. (لاويين ٢٠: ١٤)

وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها عَرَىٰ يَبْغُوعُها وكشفت هي يَبْغُوعُ دمها يُقَطَّعَانِ كِلَاهِمَا من شعبهما. (لاويين ٢٠: ١٨)

وإذا كان في رجل أو امرأة جَانٌّ أو تابعة فإنه يُقْتَلُ. بالحجارة يرمونه. دمه عليه (لاويين ٢٠: ٢٧)، والله أعلم.

س٧٩- لماذا فرض الإسلام الجزية على الذين لم يعتنقوه؟ أليس هذا إكراهاً في الدين؟

ج٧٩- نريد أن نسألكم: الروح أغلى عندكم أم المال؟ إن الإسلام قد فرض على أبنائه الجهاد لرفع رايته، وللدفاع عن الأرض والعرض، وعافاكم من هذا الحمل الثقيل، أكنتم تختارون أن تكونوا في صفوف المجاهدين لرفع راية دين غير دينكم؟ لو أن الإسلام دين قهر ووحشية - كما تقولون - لأجبركم على القتال في صفوفه، ولكنه من عَدْلِهِ لم يجبر أحداً غير أبنائه على رفع رايته، والدفاع عن أرضه، والكافر إذا خَيْرَ بين القتال والمال لاختار المال، فالمسلم هو الذي يقاتل ويُلَاقِي الأخطار والأهوال، فهو مُعْرَضٌ للقتل والجرح والأسر، وكل هذا قد عوفيتم منه مقابل، قدر قليل من المال، كأنه ضريبة دفاع عن النفس.. مثل ما كان الناس في بلادنا يدفعونه، ويُسمونه (محو آثار العدوان) فنحن ندافع عنك، ونحافظ على روحك ودمك وعرضك - بأمر الله جل وعلا - مقابل هذا القدر القليل من المال، وتعيش آمناً في بيتك أنت وأهلك وأولادك. والناس في عصرنا يتمنون أن يضحوا بأموالهم مقابل الحفاظ على أولادهم، وعدم تعرضهم للمخاطر. وقد كانت الجزية موجودة قبل الإسلام، حتى إن المسيح نفسه - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - دفعها:

فلم يطردهوا الكنعانيين الساكنين في جازر. فسكن الكنعانيون في وسط أفرام إلى هذا اليوم وكانوا عبيداً تحت الجزية (يشوع ١٦: ١٠)

وكان لما تشدد بنو إسرائيل أنهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً. (يشوع ١٧: ١٣)

فأعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف. والإكرام لمن له الإكرام. (الرسالة إلى رومية ١٣: ٧)

ولما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا أما يوفى مُعلّمكم الدرهمين. قال بلى. فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً ماذا تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمنَ بينهم أم من الأجانب. قال له بطرس من الأجانب. قال له يسوع فإذا البنون أحرار. ولكن لتلا نعرهم اذهب إلى البحر وألتي صنارة والسمكة التي تطلع أولاً خذها ومثي فتحت فاها تجد إسترأً فخذها وأعطهم عفى وعنك (متى: ١٧: ٢٤-٢٧)

وقبل أن نترك هذه الشبهة نوّد أن ننبه على أمر خطير.. وهو أن كثيراً من الناس لا يفهمون قول الله عز وجل: {لَا [كِرَاهَ فِي الدِّينِ] [البقرة: ٢٥٦]} ويظنون أنهم يعملون ما يشاءون، من ترك الصلاة، أو الزكاة، أو الحجاب، أو غيره. {لَا [كِرَاهَ فِي الدِّينِ] معناها لا إكراه على الدخول في الدين، أما بعد دخوله فهو مجبر على الصلاة، والزكاة، وغيرهما، وتكره المرأة على الحجاب والعفاف.. وهكذا، فالمسلم لا يُسَمَح له أن يحتج بهذه الآية دون فهم مُرادها. ولتوضيح هذا الأمر نذكر لكم مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن إنساناً تعاقد مع آخر أن يُسكَنه في بيته، ودفع له ما طلبه من المال، ثم بعد ذلك نقض العهد، وقال له: أنا قد راجعت نفسي، ولا أريد أن أُسكّنك في داري، ففي هذه الحالة له أن يقاضيه، ويسكن عنده بقوة القانون، لأنه ليس له خيار بعد التعاقد، إنما كان الخيار قبل التعاقد. ومن يقول إن الذين أسلموا هم الفقراء، لأنهم لم يكونوا يستطيعون دفع الجزية، أما الأغنياء الذين دفعوها فظلوا متمسكين بدينهم، وذرياتهم هي الباقية إلى اليوم، نقول لهم: لو أن هناك إكراهاً في الدين - كما تقولون - لحدث تطهير عرقي منذ البداية، ولقتلوا آباءكم، وأخذوا جميع أموالهم، بدلاً من هذا القدر البسيط الذي يُسمّى الجزية، ولَمَّا كان لكم وجود إلى يومنا هذا، فإن وجودكم لهُوَ من أكبر الأدلة على عدم إكراه آباءكم على الدخول في الدين. ثم هناك شيء آخر قد تناسيتموه.. وهو أن الذي لا يستطيع دفع الجزية لا يُقَهَر عليها، وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يهودياً كبيراً طاعناً في السن يتسول الناس، فسأله لماذا يفعل هذا، فأجابته أنه لا يستطيع دفع الجزية، لذا

يتسول ليجمعها، فقال له عمر: أكلناك لحماً ورميناك عظماً! ثم كتب له كتاباً برفع الجزية عنه، وأمر بإعطائه راتباً شهرياً من بيت مال المسلمين. فالجزية لا تفرض على النساء والأطفال والعبيد وذوى العاهات، بل تفرض فقط على الرجل الحر البالغ العاقل القادر على الكسب، والله أعلم.

س ٨٠- تقولون إن عندكم حرية عقيدة {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: ٢٩] ثم تقتلون من يخرج من ملتكم وتسمون ذلك (حد الردة) فأين حرية العقيدة إذن؟ فلولاً حد الردة هذا لخرج من دينكم الكثير والكثير.

ج ٨٠- إن هذا لزعم باطل بدليل واقعا اليوم، فمع عدم تطبيق الحدود (الردة - السرقة - الخمر... إلخ) لا يخرج أحد من الإسلام إلا تحت وطأة الجوع في بعض الدول الأفريقية المُعدّمة مقابل الغذاء، أو قلة من لا حظ لهم من العلم وقعوا في شبك التنصير، لأنهم لم يكن لديهم رصيد إيماني ولا رصيد علمي يقفون به أمام تيار الشبهات الجارف، والحملة المسعورة للتشكيك في الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أما حد الردة فهو لعدم التلاعب بالدين، فالدين ليس مرْتعاً للهازلين والعاثين يدخلون فيه ثم يخرجون منه. وحرية العقيدة التي تتكلمون عنها مكفولة في الإسلام ولكن قبل الدخول فيه، فمن حَقك أن تفكر ولو ألف مرة، وتراجع نفسك، وتدرس وتَسأل، لكن طالما دخلت فيه لا تخرج منه، لأن هذا سيكون فتنة لغيرك من ضعفاء الإيمان، لأنهم سيظنون أنه قد ظهر لك فيه عيب، وإلا- فلمَ خرجت منه؟ وخاصة لو كنت من وُجْهَاء القوم الذين يُشار إليهم بالبنان، وهذا الشرط يعرفه الإنسان قبل دخول الإسلام.. فهل هذا يكون تماثلاً على دخول الناس فيه أم صدَّ عنه؟ ولنضرب لذلك مثلاً - مع الفارق العظيم قطعاً - لو أنك ذهبت لخطبة امرأة، فقال لك وليها: سأزوجها لك بمهر زهيد جداً، ولكن لو طلقتها فستدفع لها ملايين الجنيهات.. هل هذا يشجعك على الزواج منها بسهولة، أم يصدك عنها؟ إنك في هذه الحالة ستفكر ألف مرة قبل أن تُقدم على زواجها. فحد الردة حماية لكل الناس، لأن الذي يدخل فيه يدخل على بينة، ويعلم أنه لو خرج منه فسوف يُقتل، حتى لا يتخذ الدين هزواً يسلم اليوم ثم يكفر غداً، ويكفر اليوم ثم يسلم غداً. وحد الردة لا يُطبَّق إلا على الجاهر بها، فنحن لا نتسلق الجدران على أحد لنعلم أهو على دينه

أم ارتد، وحتى المجاهر فإنه لا يقتل بمجرد العلم برّدته، بل إنه يُستتاب لمدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر (على خلاف بين العلماء) وإن كانت عنده شبهات فنوضحها له، فلو أصرّ بعد ذلك على كفره يُقام عليه الحد. وجميع التّظُّم العالمية تتهم الخارج عن الدولة بالخيانة العظمى، وعقوبتها القتل، هذا حال الخارج على نظام البشر، فكيف بالخارج على نظام الله جل وعلا؟ وقد جاء في الكتاب المقدس رجم المرتد عن دينه بالحجارة، وإبادة الشعوب المشركة بكاملها، ليس هذا فحسب.. بل حرق المدن بما فيها من مآثم وغيرها، وها هي بعض الأدلة:

وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك ولا ترق له ولا تستره بل قتلاً تقتله. يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً. ترجمه بالحجارة حتى يموت. لأنه التمس أن يطوّحك عن الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. (تثنية ١٣: ٦-١٠)

إذا وُجدَ في وسطك في أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل سراً في عيني الرب إلهك بتجاوز عهده ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء. الشيء الذى لم أوص به. وأخبرت وسمعت وفحصت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد عمل ذلك الرجس في إسرائيل فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت. (تثنية ١٧: ٢-٥)

أما إبادة الشعوب المشركة، وحرقتها بما فيها، فقد أوردنا الدليل عليه في الرد على الشبهة رقم (١٧٩).

وجاء في الكتاب المقدس أيضاً في (الملوك الأول ١٨: ١٧-٤٠) أن النبي إيليا ذبح في وادي قيشون ٤٥٠ رجلاً من الذين عبدوا البعل، والله أعلم.

س ٨١- إن الإسلام انتشر بحد السيف، والآيات القرآنية تحث المسلمين على

الجهاد ونشر الإسلام بالقوة العسكرية.

ج ٨١- هذه الشبهة قديمة تتوارثها أجيال الخاقدين على الإسلام جيلاً بعد جيل، فمثلهم كمثل من قال الله فيهم: {أَتَوَصَّوْا بِمِثْلِ هُمْ قَوْمٍ طَآغُوتٍ} [الذاريات: ٥٣] وقبل أن نجيب على هذه الفرية، نسأل من يُرَوِّجُهَا: ما الذى حمل الكثير من الأوربيين على اعتناق الإسلام في عصرنا الحاضر، مع تفوقهم العلمى على المسلمين؟ هل حملهم أحد على اعتناقه بالقوة؟ أم أطمعهم أناس هدامهم الله عز وجل، واحترموا عقولهم، ولم يتعصبوا تعصباً أعمى لدينهم، وأَعْمَلُوا فِكْرَهُمْ في المقارنة بين الأديان، فوجدوا أن الإسلام هو دين الحق، وكل ما عداه فهو باطل؟ وهل وَجَدَ إنسان على مر الزمان استطاع أن يقهر ما يَقْرُبُ من ربيع سكان العالم على أتباعه بالقوة؟ وإن كان الدين قد انتشر بالسيف - كما تقولون - فَلِمَ لم يرتد أتباعه بعد ما حلَّ بالمسلمين من ضعف وهوان كما هو معلوم الآن؟ والذين يرددون هذه الشبهة نسوا أو تناسوا ما جاء في كتابهم المقدس من العنف والقسوة، وها هي بعض الأدلة:

فَالآن اذهب واضرب عماليق وحرِّموا كل ماله ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة. طفلاً ورضيعاً. بقرأً وغنماً. جملأً وحمارأً. (صبرئيل الأول: ١٥-٣-٤)

وسى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع مآثمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. (عدد ٣١: ٩-١٠)

اعبروا في المدينة وراءه واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا. الشيخ والشاب والعدراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسان عليه السمة وابتدثوا من مقدسى. فابتدثوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت. وقال لهم نجسوا البيت واملأوا الدور قتلى. (حزقيال ٩: ٥-٧)

لا تظنوا أنى جنتُ لألقى سلاماً على الأرض. ما جنتُ لألقى سلاماً بل سيفاً. فإنى جنتُ لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكئة ضد حماقها. وأعداء الإنسان أهل بيته. (مق ١٠: ٣٤-٣٧)

جنتُ لألقى ناراً على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت. ولى صيغة أصطبها وكيف المحصر حتى تكمل. أظنون أنى جنتُ لأعطي سلاماً على الأرض. كلا أقول

لكم بل انقساماً. (لوقا ١٢: ٤٩-٥١)

ملعون من يعمل عمل الرب برخاء وملعون من يمنع سيفه عن الدم (إرميا ٤٨: ١٠).
 إن الإسلام بدأ بفرد واحد هو رسول الله ﷺ فأين كان سيفه الذي رفعه على الناس ليسلموا؟ إن رفع السيف يحتاج لعصبة أولى قوة توازره، فأين كانت هذه العصبة وأقرب الناس إليه قد عاداه وعادى دعوته منذ نشأتها؟ إن الإسلام بدأ غريباً في مجتمع يعج بالكفر والوثنية، فقبل بعداوة لا مثيل لها، ولاقى أتباعه في سبيله العذاب والتنكيل والتشريد، فما الذي كان يحملهم على تحمل كل هذه الصعاب، وأغلبهم فقراء مستضعفون؟ هل كان الرسول ﷺ يجبرهم على الإسلام؟ أم أنهم ذاقوا حلاوة الإيمان فلم يرضوا عنه بديلاً؟ لقد مكثوا في هذا التعذيب إلى أن أشار عليهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم من الأذى، والذين لم يتمكنوا من الهجرة ظلوا في الضيق والأذى والاضطهاد إلى أن جعل الله لهم من المدينة المنورة فرجاً ومخرجاً، وهذه كانت أول انطلاقة للإسلام خارج بلد الله الحرام، فهل كانت هذه الانطلاقة بالسيف؟ لقد بدأت بإيمان مجموعة من الرجال شرح الله تعالى صدورهم للإسلام، وبايعوا الرسول ﷺ في موسم الحج على ستة أشياء - وهي التي ذُكرت في سورة الممتحنة - ولذلك سُميت (بيعة النساء) لأنها مثل بيعتهن، ألا وهي: ١- ألا يشركوا بالله شيئاً، ٢- ألا يسرقوا، ٣- ألا يزنوا، ٤- ألا يقتلوا أولادهم (كما كان منتشرًا في الجاهلية) ٥- ألا يأتوا بيهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ٦- ألا يعصوه في معروف، ثم رجعوا إلى قومهم دُعاة إلى الله، فشرح الله لهم الصدور، وأنار لهم العقول، في وقت من أصعب الأوقات عليهم، فقد كانت بين الأوس والخزرج عداوات وإحْن وبغضاء وحروب، وكان من أشهرها حرب (بُعَاث) التي استمرت لعشرات السنين لا تنطفئ نارها، ولا يهدأ شررها، وسالت فيها دماؤهم أنهاراً. فحين رأى أهل يثرب أخلاق هؤلاء المؤمنين قد تغيرت.. أسلموا وحسن إسلامهم، وكان في إسلامهم حقن لدمائهم، فقد أَلَفَ اللهُ عز وجل بين قلوبهم {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٦٣] ثم هاجر إليهم الرسول ﷺ بعد أن أخذ العهد عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأطفالهم (أى يدافعون عنه ضد أى عدوان) وأقام دولة الإسلام على أرضهم التي تبعد عن

موطنه وحمل نشأته بخمسمائة كيلو متر، تقطعها أكباد الإبل في أكثر من عشرة أيام. ولكن لم يكتفِ أعداؤه من قومه بأنهم أخرجوه من أحب البقاع إليه، وأخرجوا أصحابه من ديارهم وأموالهم (أى أنهم كما نقول بلغتنا: تركوا لهم الجمل بما حمل) فبدأوا يكيّدون له ولأتباعه ليقتلوا الدولة الإسلامية من جذورها، فأذن الله سبحانه وتعالى له ولأصحابه بالقتال للذود عن حياضهم، ولتأمين أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، لتكون كلمة الله هي العليا، فكان أول ما نزل من آيات القتال: **{أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}** الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُدَّيْتُمْ وَبِيعَ وَصَلَّوْا وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَتَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ مِنْ بَنَصْرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {الحج: ٣٩-٤٠} فبين سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه أذن للمؤمنين بالقتال لأنهم {ظلموا} و{أخرجوا من ديارهم بغير حق} إلا أن يقولوا ربنا الله {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُدَّيْتُمْ وَبِيعَ وَصَلَّوْا وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} لأن الكثير من الناس لا يهدأ لهم بال، ولا يقرّ لهم قرار، إلا بالتخريب، وإشاعة الرعب والفرع بين عباد الله الآمنين، والاعتداء على حرّمات الله وأماكن عبادته، فكان لابد من ردعهم بالقوة حيث لا تنفعهم الموعظة، وبين سبحانه أن التمكين للمؤمنين في الأرض ليس لغرض دنيوى، أو لحب الاستبداد والسيطرة على العباد، فقال في الآية التي تليها: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ}** وليس كما يفعل أعداء الله اليوم، الذين يرفعون شعار الحرية والديمقراطية، ثم يدمرون البلاد ويقتلون العباد، ولا يرحمون مريضاً، ولا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة عجوزاً، بل يُغيرون بكل ما آتاهم الله من قوة على المستضعفين العزل، وبعد هذا يثيرون الشبهات حول الإسلام، ويقولون إنه انتشر بالقوة! لقد كان معظم قتال الرسول ﷺ إما لاسترداد بعض حقوق المسلمين كما حدث في موقعة بدر، وإما للدفاع عن المدينة المنورة، وتأمين الدولة الإسلامية من اعتداءات قبائل العرب من المشركين الذين تألبوا وتحزبوا واجتمعوا على قتاله، هم وأعدائهم من يهود المدينة، فأمر الله عز وجل بقتالهم: **{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً}** [التوبة: ٣٦] فجاهد ﷺ هو وصحابته الكرام ﷺ في سبيل الله حق جهاده إلى أن نصر الله

دينه، ومكّن له في أرضه، وأصبحت الدولة الإسلامية لا يلين لها جانب، ولا يستطيع أحد أن ينال من عزها وكرامتها. ومن أبدى له الرغبة في التعايش السلمى، وعدم التعرض له ولأصحابه بالأذى، وعدم مظاهرة أحد على قتاله، لم يتمتع أن يعقد معهم العهود والمواثيق، حتى لو لم يعلم صدق نيتهم {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأنفال: ٦١] وذلك مثل ما حدث بينه وبين بعض قبائل العرب من المشركين واليهود، وكان أعظمها صلح الحديبية الذى كان مفتاح انطلاقة للإسلام إلى خارج الجزيرة العربية، ولذلك سماه الله سبحانه وتعالى فتحاً مبيناً {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١] لأن الرسول ﷺ كان مشغولاً قبل هذا الصلح وأصحابه الكرام ﷺ بكفّ أذى المشركين عنهم، والدفاع عن دينهم وأرضهم - كما أشرنا من قبل - فبدأ الرسول ﷺ بعد هذا الصلح بإرسال الرسل إلى رؤساء وملوك الدول المجاورة ليعرض عليهم الدخول في الإسلام بطريقة سلمية، كان من بينها رسالته إلى هرقل عظيم الروم "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين {يَتَأَهَّلَ الْكُتُبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"} [صحيح البخارى] أما قتال من أجرى معهم الصلح، فإن ذلك كان لنقضهم عهدهم معه، كما قال الله عز وجل: {أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرُّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرْءٌ} [التوبة: ١٣] فلو كان الرسول ﷺ يجب حمامات الدم - كما يقولون - لما قبل من أحد صلحاً، ولأصرَّ على القتال حتى يُسلموا، والشاهد على ذلك أنه عندما فتح مكة قال أحد الصحابة ﷺ: اليوم يوم الملحمة، اليوم أذل الله قريشاً، فقال رسول الله ﷺ: "اليوم يوم الرحمة، اليوم يُعزُّ الله قريشاً" [رواه الأمامى في المغازى] وقصته مع من اضطهدوه وعذبوا أصحابه وحاربه معروفه، حين قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" [أخرجه البخارى في المغازى] فلو كان في طبعه سفك الدماء لانتقم منهم بعد الفتح. وانظروا إلى من يقومون بانقلابات عسكرية للإطاحة بحكامهم.. ماذا يفعلون بمن أطاحوا بهم؟ إنهم لا يكتفون بعزهم عن حكمهم، بل ويقىمون لهم المشائق والمذابح، لأنهم

بذلك - من وجهة نظرهم - يقطعون رؤوس الفساد التي أذلت العباد، أما الرسول ﷺ فكان لا يغضب لنفسه قط، إلا أن تُنتهك حُرُمات الله، ومن يدرس سيرته المطهَّرة يجد الكثير من أمثلة عفوه عَمَّنْ أراد قتله، ولو تكلمنا عن هذا ما انتهينا، ولو كان محباً للقتال لَمَّا قال: "أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، اللهم مُزِلَ الكتاب ومُجِرَى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم" [متفق عليه]

إن جملة من قُتل من المسلمين والمشركين في جميع الغزوات والسرايا على عهد رسول الله ﷺ ٣٨٦، في حين أن الصَّرب قتلوا من الكُرُوات خمسمائة ألف في الحروب الطائفية التي دارت بينهم منذ عشرات السنين، وفي الحملة الصليبية التي شهد التاريخ ببشاعتها قتل الصليبيون مائة ألف من المسلمين واليهود في أول يوم من حملتهم، وتعقبوا من لجأ إلى بيت المقدس ليحتمي به وذبحوهم بداخله، حتى إن الخيول كادت تسبح في دماء المسلمين، وغير ذلك الملايين من الذين قتلهم هتلر، وستالين، وموسوليني، وغيرهم من الجبابرة. ولم يرد عن الرسول ﷺ قط أنه أجبر أحداً من الأسرى، أو أحداً من الوفود التي كانت تأتيه في المدينة على الدخول في الإسلام، حتى إن الله عز وجل أمره أن يعطى الأمان لمن استجار به من المشركين ولو ممن أمر بقتالهم، حتى يُسمِعَهُ كلام الله، ثم يرده إلى أهله ولو لم يُسلم {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة: ٦] وكان ﷺ يوصى بالأسرى، فامتثل أصحابه ﷺ لأمره حتى أتى الله عليهم بقوله: {وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: ٨] وكان ﷺ ينهى عن التعرض بأى أذى لمن عاهدهم على الصلح أو دفع الجزية، فقال: "ألا من ظلم مُعَاهِدًا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة" [سنن أبي داود، صحيح الجامع: ٢٦٥٥] وقال: "من قتل مُعَاهِدًا لم يَرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً" [صحيح البخارى] فهل عرف التاريخ إحساناً إلى الأسرى، أو وفاءً لليهود مثل هذا؟

وكما انتشر الإسلام في المدينة المنورة بالدعوة إلى الله بالحسنى، وبالأخلاق الحسنة، فقد انتشر في معظم البلدان الآسيوية والأفريقية، دون حمل لأى سلاح، ولم يكن لإسلام

هذه البلدان بيعة كبيعة أهل المدينة، ولكن بأخلاق التجار المسلمين، فقد كانت تربط الجزيرة العربية بهذه البلدان تجارات كثيرة كالتى نسميها بلغتنا (استيراد وتصدير) فرأى أهل هذه البلاد أن العرب قد تغيرت أخلاقهم، فبعدها كانوا كذابين غشاشين ممالطين، مرايين، أصبحوا أمناء صادقين موفين بالعهود، لا يغشون، ولا يخدعون، ولا يمالطون، بالإضافة إلى السماح في البيع والشراء، وحسن المعاملة، وإيثار بعضهم على بعض، فتعجبوا لما حدث لهؤلاء التجار، وتساءلوا عن سر تغيرهم، فعلموا أنه الإسلام، فدخلوا في دين الله أفواجاً، والدليل على ذلك أكبر الدول الإسلامية.. وهى (إندونيسيا) فهل فتحها المسلمون بالحرب؟ فمن ادعى ذلك فليقل لنا مَنْ فَتَحَهَا؟ ومَتَى فَتَحَهَا؟ وليقل لنا - على سبيل المثال - من فتح ماليزيا وطاجيكستان وأوزبكستان؟ أما البلاد الأخرى التى فتحها المسلمون بالجهاد (مثل مصر) فإنهم لم يهجموا على هذه البلاد هجمات بربرية شرسة لأغراض دنيوية كما يحدث فى عصرنا الحاضر (كما فى العراق) ولم يكن لإكراه الناس على الدخول فى الإسلام {أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس: ٩٩] ولكن كما قال رَبِيعِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه لِرُسْتَمِ قَائِدِ جِيوشِ الْفَرَسِ: إِنْ اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ الْعِبَادَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَىٰ سَعَةِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ جَوَّرَ الْأَدْيَانَ إِلَىٰ عَدْلِ الْإِسْلَامِ. فقد كانت هذه الشعوب ترزح تحت وطأة الحكام الجبابرة من الفرس والروم، الذين يحكمون الناس بالحديد والنار، وحين فتح المسلمون هذه البلاد رفعوا الظلم عن العباد، وكفلوا لهم حرية العقيدة، وأمنوهم فى ديارهم من بطش أعدائهم، ولم يتعرضوا لأماكن عبادتهم، فأحببهم الناس لِمَا رَأَوْهُ مِنْ حَسَنِ أَخْلَاقِهِمْ، وَرَحْمَتِهِمْ، وَعَدْلِهِمْ، وَحَسَنِ مَعَامِلَتِهِمْ الَّتِي لَمْ يَعْهَدُوهَا فِي أبنَاءِ دِينِهِمْ، فَأَسْلَمُوا وَحَسَّنَ إِسْلَامَهُمْ.

إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَرْسَلَ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم لِلْعَالَمِينَ {لَا تُدْرِكُهُمُ بِيَدُهُ وَمَنْ يَبْلُغْ} [الأنعام: ١١٩] {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] {لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى: ٧] {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥] فلا بد من توصيل دعوته للعالمين، فالإسلام نور، ومن حق كل إنسان أن يصله هذا النور بالحجة والبيان، لا بالشتم والتجريح كما يفعل أعداؤنا. ولكى تصل الدعوة إلى هذه البلاد فلا بد أن يُفَسَّحَ لها الطريق بغير قتال، ولكن إذا لم يُفَسَّحَ لها الطريق،

فلتصالح مع أهل هذه البلاد (الذين استكبروا عن قبول الدعوة) على دفع الجزية، ولا نتعرض لهم ولا يتعرضون لنا بأى أذى، وهى حق جعله الله عز وجل للمسلمين {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩] وبديهي أن الذى سيدفع الجزية لابد له أولاً أن يعلم لمن ولماذا سيدفعها؟ وهذا فى حد ذاته يجعله يسأل عن هذا الدين الجديد، وهذا تصل الدعوة إليه، فإن أسلم فبها ونعمت، وإن استمر على كفره استمر على دفعها جزاءً لاستكباره على أمر ربه، ومقابل تأمينه من التعرض له بأى أذى (ومعلوم أن الجزية لا تفرض على النساء والأطفال والعبيد وذوى العاهات، أو غير القادرين) فإن أبوا أن يعطونا الجزية فلنقاتل من حال بيننا وبين تبليغ رسالة ربنا، أما من لم يعترض طريقنا فلا سبيل لنا عليه، وبعد إبلاغ الدعوة للناس بالحجة والبيان لا يقهر أحد على الدخول فى الإسلام {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦] {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: ٢٩] ومعنى هذا أننا لا نقاتل غير المحاربين الذين صدونا عن إبلاغ الدعوة بالحسنى، على نقيض ما جاء به الكتاب المقدس حين قال: حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إهلك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إهلك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إهلك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إهلك (تثنية: ٢٠: ١٠-١٧) ففى هذا النص أمر باستعباد الشعوب التى رضيت بالصلح، أمّا التى لم ترض بالصلح فيقتل جميع ذكورها - سواء المحاربين منهم أو غير المحاربين - وأمّا النساء والأطفال والبهائم فيؤخذون كغنائم، وهذا هو الحال فى المدن البعيدة جداً، أمّا المدن القريبة (وهى الستة أمم المذكورة

في أنص) فالحال فيها مختلف، فلا يُقتل ذكورهم وتُسى نساءهم، بل يُيادون إبادة جماعية (فلا تستبقي منهم نسمة ما) هل هذا يُقارَن بما أمرنا به رسولنا ﷺ في قوله: "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم أن يتحولوا من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلّهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذمكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل الحصن فأرادوك أن تُنزّهم على حكم الله، فلا تُنزّهم على حكم الله، ولكن أنزّهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا" [صحيح الجامع: ١٠٧٨] وقوله حين رأى امرأة مقتولة: "ما كانت هذه لتقاتل" (أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان) وقوله: "تألفوا الناس وتأثروا بهم، ولا تُغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل مدر أو وبر أن تأتوني بهم مسلمين أحب إليّ من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم، وتقتلوا رجالهم" (أخرجه ابن منده وابن عساکر عن عبد الرحمن بن عائذ) وقوله: "انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تُغلّوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين" [ضعيف الجامع: ١٣٤٦] وقوله: "ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية؟ ألا إن خياركم أبناء المشركين، ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا تقتلوا ذرية، كل نسمة تولد على الفطرة فما يزال عليها حتى يُعرب عنها لسانها، فأبواها يهودانها أو يُنصرانها" [صحيح الجامع: ٥٥٧١] "ألا إن خياركم أبناء المشركين" معناها أن الصحابة ﷺ كانوا من أبناء

المشركين، فربما يهدى الله هؤلاء الأطفال كما هداهم. وقد "فنى عن التّهيب والمُثلة" [صحيح الجامع: ٦٩١٧] وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه لأهل اليمن: "إنك ستأتى قوماً أهل كتاب، فإذا جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" [صحيح الجامع: ٢٢٩٨] ففى هذه الأحاديث وغيرها يتضح منهج الرسول صلى الله عليه وآله في القتال.. لا غدر- لا غُلُول - لا تمثيل بالقتلى (وإن مثلوا بقتلانا) - لا لقتل الأطفال والنساء والشيوخ - لا للتعذيب - لا للإجهاز على الجرحى - لا للتعرض للعابدين في صوامعهم - لا لخرق الأشجار، ولا لردم الآبار، ولا لتخريب الديار، لا للظلم والإذلال، لا للقهر والاستغلال... إلخ، حتى إنه صلى الله عليه وآله لم يترك جثث الكفار لتأكلها السباع والهوام، ولكن أمر بدفنها في القليب بعد انتصاره عليهم في موقعة بدر، على عكس ما جاء في الكتاب المقدس: هَانَذَا أَجْلِبُ عَلَيْكَ شِراً وَأَيْدُ نَسْلِكَ... لأجل الإغاضة التي أغظتني وجعلتك إسرائيل يخطئ. وتكلم الرب عن إيزابل أيضاً قائلاً إن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل. من مات لآخاب في المدينة تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء. (الملوك الأول ٢١: ٢١-٢٤) وجاء فيه أيضاً التمثيل بالجثث (كما ذكرنا في الرد على الشبهة رقم ٨٦، وبالله التوفيق) والدليل على أن المسلمين لم يقهروا أحداً على الدخول في الدين هو وجود غير المسلمين ببلاد الإسلام إلى عصرنا هذا، وإلا- لكان أجدادهم قُتلوا فلم يبق نسلهم.

ونلاحظ مما تقدم أننا لا نفاجئ الناس بالهجوم عليهم، بل نعرض عليهم الإسلام ونعطيهم فرصة ثلاثة أيام، لدرجة أنه قد حدث في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن قائد الجيوش، واسمه (قُتيبة بن مسلم) فاجأ أهل (سَمَرْقند) بالهجوم عليهم، وفتح ديارهم، فاشتكوا إلى الخليفة أنه لم يعطهم الفرصة ليتفكروا في أمرهم، فأمره الخليفة بالرجوع بجنوده من بلادهم، فلما رأى أهلها ذلك الخلق العالى، والعدل والإنصاف الذى لا يُتَوَقَّع ممن انتصر على قوم، ودخل ديارهم، أسلموا، وأجازوا دخوله لبلادهم طواعية منهم.

إن القاعدة في الإسلام هي السلام، والحرب هي الاستثناء للضرورة، والضرورة إما أن تكون للدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن المسلم ضد الاعتداء، وهذا ما يسمى بجهاد الدفع (أى الدفاع) قال الله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠] وقال رسول الله ﷺ: "من قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فهو شهيد، ومن قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهو شهيد، ومن قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فهو شهيد، ومن قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فهو شهيد" [صحيح الجامع: ٦٤٤٥] أو للدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد في سبيلها بتعذيب من آمن بها، أو بصد من أراد الدخول فيها، أو بمنع الداعي من تبليغها، وهو ما يسمى بجهاد الطلب، قال تعالى: {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِمَّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [٣] فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٤] وَتَقْبَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ [٥] الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩١-١٩٤]

والجهاد في الإسلام إما فرض عين، وذلك أولاً: على من حضر القتال {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} [٦] وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال: ١٥-١٦] وثانياً: إذا أغارت دولة كافرة على ديار الإسلام، ففي هذه الحالة يكون الجهاد فرضاً على كل مسلم ومسلمة، حتى إن المرأة تخرج للجهاد ولو بغير إذن زوجها، في حين أنها لا تخرج للحج إلا بإذنه، ويخرج الابن بغير إذن أبيه، والعبد بغير إذن وليه {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَىٰ الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [٧] إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة: ٣٨-٣٩] {أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة: ٤١] وثالثاً: على من أمره الحاكم المسلم بالجهاد في سبيل الله، وليس لِحَمِيَّةٍ جاهلية، أو اعتداء على الأبرياء (كما يحدث - للأسف - في

عصرنا هذا من اعتداء دولة مسلمة على دولة أخرى مسلمة) قال رسول الله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" [متفق عليه] وقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" [متفق عليه] وقال: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف" [صحيح مسلم]

وإما أن يكون الجهاد فرض كفاية، إن قام به البعض سقط عن الآخرين، وذلك أولاً: إذا وقع الظلم على أقلية مسلمة تعيش في البلاد الكافرة، كالتشريد والقتل والاضطهاد، مثل التطهير العرقي الذي حدث في البوسنة والهرسك منذ عدة سنوات، هنا يهب المسلمون لنصرة إخوانهم، ورفع الظلم عنهم، وتمكينهم من ممارسة عباداتهم وشعائهم بغير خوف ولا تقييد لحرياتهم {وَمَا لَكُمْ لَأَنْ تَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ نَصِيرًا} [النساء: ٧٥] وليس معنى كلمة (فرض كفاية) أن تقوم به أقلية لا يتم بها الغرض من دفع العدوان عن إخوانهم، ولكن بالعدد والإمكانات التي تتم بها الكفاية. وثانياً هو الجهاد الدعوي (وهو غير مسموح به الآن لأن المسلمين مستضعفون) وهو أن يُسمح لعلماء المسلمين بدعوة غيرهم بالحسنى {قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤] فإن استكبروا عن سماع الحق، فليدفعوا الجزية، وإلا- فالقتال، قال تعالى: {وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢] وقال رسوله ﷺ: "أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" [صحيح مسلم] وهذا الحديث هو عمدة حُجَج الكافرين الواهية في ادعائهم على الإسلام بأنه انتشر بالسيف، وهو ما يلتبس أمره أيضاً على كثير من المسلمين. وقبل أن نجيب عن هذا، نود أن نسألكم: هل كان بوسع الرسول ﷺ أو صحابته الكرام ﷺ أن يتأكدوا من إسلام كل الناس، وأنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، حتى لو حاربوهم؟ إن هذا ليس

بمقدور أى أحد من البشر، مهما بلغت قوته، وكثر أتباعه، ولكن الغرض من الحديث أن الرسول ﷺ أمر بتبليغ الدعوة للناس، وإن اقتضى الأمر أن يقاتل من حال بينه وبين تبليغها، وهذا ما ذكرناه من أننا نقاتل من صدنا عن تبليغ رسالة ربنا، ونحب أن نضع ألف خط تحت قول (من صدنا) أمّا من سالنا ولم يقف في طريقنا فلا سبيل لنا عليه {إِن آعَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَغْتَبِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} [النساء: ٩٠] إن الرسول ﷺ كان إذا بعث سراياه أمرهم ألا يُغيروا على قوم يسمعون منهم النداء بالصلاة، فهل كان متأكدًا أن كل أهل القرية مسلمون، ويقىمون الصلاة، ويؤتون الزكاة؟ أم أن هذا مجرد دليل على أن دعوة الإسلام قد وصلتهم؟

وقبل أن نفارق هذه الشبهة - التي أطلنا الحديث عنها - نقول وبالله التوفيق: إنه من المعلوم في أى مكان في العالم أنه لا بد من التسلسل القيادي، فكل هيئة من الهيئات لها رئيس، ومجموع تلك الهيئات تخضع لوزارة معينة، فمثلاً: وزارة الصحة.. تتبعها جميع المراكز الصحية والمستشفيات والإدارات التابعة لها، ولكل من هذه المراكز والمستشفيات والإدارات رئيس أو مدير، وفوق هذا المدير مدير آخر، إلى أن نصل في السلم الوظيفي إلى الوزير، أليس كذلك؟ وما نقوله عن وزارة الصحة ينطبق على جميع الوزارات، وكل هذه الوزارات مجتمعة لها رئيس يسمى (رئيس الوزراء) وكذلك كل محافظة لها رئيس أو محافظ، ثم في النهاية يصل حكم الدولة كلها إلى واحد، وهو رئيس الدولة أو الملك، وكان التسلسل القيادي يأخذ شكلاً هرمياً، قاعدته مديرون ورؤساء كثيرون، ثم يعلو إلى رؤساء أقل منهم عدداً، ثم يعلو إلى حاكم واحد. ربما يتعجب البعض ويقولون: ما دخل كل هذا بموضوعنا؟ وأقول لكم: إن ما أريد أن أصل إليه هو: كما أنه لا يصلح أن يحكم أى دولة إلا حاكم واحد، فلا بد أن يكون لكل العالم حاكم واحد وهو الله جل وعلا، بل إنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} [التين: ٨] وإذا كان أى حاكم - {وَاللَّهُ أَلَمَلُ الْأَعْلَى} - لا يرضيه أن يخرج أحد من رعيته على حكمه، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟ كيف يخرج أحد من خلقه على حكمه؟ أترضون الله ما لا ترضونه لأنفسكم، وهو خالقكم، ورازقكم، ومدير أمركم، ومن بيده بحياكم ومماتكم؟ {أَفَحُكْمَ الْجَبَلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠] فتوحيد الله وطاعته

حق على عباده، وهو الغنى عنهم، {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧] {أَفَقَرَّ دِينِ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَالَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: ٨٣] قال رسول الله ﷺ: "يا معاذ بن جبل.. هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" [صحيح الجامع: ٧٩٦٨]، والله أعلم.

س ٨٢- لماذا تفتخرون بدينكم وتدعوننا للدخول فيه؟ فإن الدين بالوراثة، فابن اليهودى يكبر ويشب على دين أبيه، وكذلك ابن المسيحي، وابن المسلم، فكيف نترك ديننا، وهو دين آبائنا، وندخل في دين آبائكم؟

ج ٨٢- من قال لكم إننا نفتخر عليكم أو على غيركم؟ إن ديننا مئة من الله علينا، ونحن غير متمسكين به لمجرد أنه دين آبائنا، ولكننا مقتنعون به تمام الاقتناع. إن رسول الله ﷺ - وهو خير خلق الله - لم يفتخر بنفسه حين عبدد نعم الله عليه، فقال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مُشَفَّع ولا فخر" [صحيح الجامع: ١٤٦٨] فالمسألة ليست قضية تفاخر، إنما قضية حق وباطل، ونحن نريد لكم الخير باتباع الحق لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، ولا تكونوا كالذين تمسكوا بدين آبائهم، ولم يؤمنوا بأنبيائهم، فتكونوا كالذين قال الله فيهم: {أُولَٰئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدُونَ} [المائدة: ١٠٤] فإن الحق لا يتجزأ، وسبيله واحد هو الإيمان بالله وبجميع أنبيائه ورسله، والإيمان بخاتم المرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أما سبيل الباطل فهي كثيرة، فنحن ندعوكم للمناظرة الهادئة الهادفة العاقلة المستنيرة المبنية على العلم، وليس على الحمية العمياء مجرد التمسك بدين الآباء، و{يَتَأَهَّلَ آلُكَاتِبٍ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤]، والله أعلم.

س ٨٣- إن الذين دخلوا في الإسلام من مصر كانوا هم الفقراء، لأنهم لم يستطيعوا دفع الجزية، أما الأغنياء الذين استطاعوا أن يدفعوها فلم يدخلوا فيه.

ج ٨٣- لو كان الفقراء هم الذين دخلوا في الإسلام كما تقولون؛ فلم لم يخرجوا منه بعد ذلك؟ وخاصة أن عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن فتحها ترك فيها عدداً قليلاً من الجنود، كان يسهل على المصريين حينها أن ينقلبوا عليهم. وهل كانت الجزية بالقدر الذي يعجزهم عن دفعها؟ لقد كانت قيمتها دينارين في السنة عن الرجل البالغ العاقل مقابل الدفاع عنه، والدينار قيمته أربع جرامات وربع الجرام من الذهب. وبفرض أن البعض كان لا يستطيع دفعها، فإنها في هذه الحالة تسقط عنه، بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسقطها عن الرجل الكبير الذي وجده يتسول ليجمعها، وأمر له بعتاء من بيت مال المسلمين. وهناك كتاب اسمه (السيف الثقيل) كان في مصر، ولكنه سُرق أيام نابليون بونابرت، ووضِعَ بمتحف (اللوفر) في فرنسا، وهو كتاب مخطوط يحتوي على المناظرات التي تمت بين الصحابة رضي الله عنهم والقساوسة المصريين، وقد اقتنع منهم الكثير، ودخلوا في الإسلام، كما دخل فيه الكثير من أهلها طواعية، لَمَّا رأوا سماحته ومعاملة أهله الطيبين، وهم الذين حولوا كنائسهم إلى مساجد. فسيدينا عمرو لم يهدمها، ولكنه بنى في ظهر كل كنيسة مسجداً، وكان لهذه الكنائس أبراج عالية لدقِّ الأجراس، فحين أسلم أهلها حولوا هذه الأبراج إلى مآذن، وجعلوا لها سلام ليصعد عليها المؤذن وينادي بالصلاة، فلم تكن المآذن معروفة في المساجد قبل هذا، وقد حدث الأمر نفسه في البلاد الأخرى التي دخلها الإسلام. إن الجيش الذي فتح مصر كان قوامه ١٥٥٠ مقاتلاً، وكان هذا العدد قليلاً جداً بالنسبة لأهل مصر، الذين كان يُقدَّر تعدادهم بحوالي مليون نسمة أو يزيدون، وبعد فتحها لم يمكث بها إلا القليل، حوالي ألف أو خمسمائة، وهم عبارة عن قوة حاكمة يسمونها الحامية الإسلامية، والباقي ذهب لفتح ليبيا وتونس والمغرب والأراضي المجاورة لها. والصحابة رضي الله عنهم كان بينهم وبين المصريين وُدّ ومحبة، لأن بينهم نسباً، فإن السيدة هاجر - رضی الله عنها - أم سيدنا إسماعيل أبي العرب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت مصرية، وكذلك السيدة مارية القبطية - رضی الله عنها - زوج الرسول صلی الله عليه وسلم كانت أيضاً مصرية. ولذلك فإن المصريين أكبروا الصحابة رضي الله عنهم وأحبوهم، ودخلوا في دين الله أفواجاً بسبب هذا النسب، وبسبب المعاملة الطيبة التي وصى بها الرسول صلی الله عليه وسلم صحابته حيث قال: "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يُسَمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها

فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمّة ورحمًا، فإذا رأيتَ رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها" [صحيح الجامع: ٢٣٠٧] بل إن المصريين انضموا إليهم، وقاتلوا معهم قتالاً مريراً ضد الرومان، لأن الرومان كانوا قد أذلّوهم، وساموهم سوء العذاب، حتى إنهم اضطهدوا باباواتهم، وهرب كبير الباباوات (بنيامين) إلى وادي النظرون، والذي أمّنه ورجّعه هو عمرو بن العاص رضي الله عنه. والجزية لم يتدعها الإسلام، ولكنها كانت في الديانات التي قبلنا، وقد ذكرنا بعض ما جاء بشأنها في الكتاب المقدس في الرد على الشبهة رقم (٧٩)، والله أعلم.

س ٨٤ - إن المسلمين ليسوا مصريين، ولكنهم أبناء العرب، بينما أصحاب البلاد الحقيقيون المصريون هم أقباط مصر، فهم أولى بها، والمسلمون غرباء عنها.

ج ٨٤ - غالبية المصريين الذين تسموهم أقباط مصر أسلموا طواعية - كما ذكرنا في السؤال السابق - عندما رأوا الفرق بين المسلمين والرومان الذين هم على ملّتهم، فبينما كان الرومان يسوموهم سوء العذاب، جاء الإسلام فرفع الظلم عنهم، وأعطاهم حريتهم، ورأوا أخلاق الصحابة رضي الله عنهم وعدلهم، وورعهم، وتقواهم، فأمنوا بدينهم. والكل يعرف قصة الشاب المصري الذي تسابق مع ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه فسبقه، فضربه ابن عمرو، وقال له: أتسبقي وأنا ابن الأكرميين؟ فغضب الولد واشتكى لأبيه، فذهب به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واشتكى له، فما كان من عمر إلا أن بعث برسالة عاجلة - من أبلغ ما يكون - إلى عمرو بن العاص، يقول له فيها: من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أمير مصر: يدك في الخطاب ورجلك في الركاب، وأتني بولدك. فذهب إليه، واستمع لقولهما وقول الشاب المصري، فقال لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ ثم أمر الشاب المصري أن يضرب ابن الأمير كما ضربه، بل ويضرب الأمير نفسه على رأسه، وحين تساءل الأمير: لماذا يضربني وقد أخذ حقه؟ فقال له: لولا أنت ما ضربه. فهذه الحادثة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، وغيرها من صور العدل والرحمة، جعلت الكثير من أهل مصر يدخلون في دين الله، وحسن إسلامهم، ولو كان إسلاماً ظاهرياً بالحديد والنار لانقلبوا بعد ذلك، كما انقلب أتباع الشيوعية بعد انقضاء عريشها، فمجموع المسلمين في مصر معظمهم إذن هم أبناء السلف الذين دخلوا في دين

الله أفواجاً، وبتزواج العرب والقبط صاروا وأبناؤهم مزيجاً ونسيجاً مصرياً عربياً مسلماً. ثم إن الإسلام ليس ديناً مَحَلِّياً مرتبطاً بالمكان الذي بدأ فيه، بل هو رسالة لجميع الإنس والجن إلى قيام الساعة، فليس محددًا بزمان ولا مكان، وليس له جنسية عربية أو غير عربية، فالمسلمون كلهم إخوان، وإن اختلفت جنسياتهم ولغاتهم، والله أعلم.

س ٨٥- لقد قُتِلَ بعض أصحاب محمد وهم أمراء المسلمين، مثل عمر وعثمان وعلى، وأنتم تقولون إنهم صالحون، وعلى درجة كبيرة من الإيمان بالقرآن واتباع هدى نبيكم، فلم قُتِلوا إذن؟

ج ٨٥- هل معنى أنهم قُتِلوا أنهم غير صالحين؟ لقد زعمتم أن معبودكم قُتِلَ.. فهل كان يستحق القتل؟ أو كان غير صالح؟ ولقد قتلتم الكثير من أنبيائكم، فهل حرمة الصحابة ﷺ أشد عندكم من حرمة أنبيائكم؟ وهل كان الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يستحقون القتل؟ لقد أوضح القرآن الكريم في أكثر من آية أن قتلهم إيهاهم كان بغير حق، فكذلك قتل هؤلاء الصحابة كان بغير حق، وقد نالوا بذلك الشهادة، ومعلوم أن الذي قتل عمر لم يكن مسلماً، ولكنه كان مجوسياً، والذي قتل علياً كان من الخوارج، أما عثمان فقد كان ضحية فتنة قادها عبد الله بن سبأ اليهودي، والله أعلم.

س ٨٦- إن القصاص في الإسلام يزهق الأرواح، ويملاً المجتمع بالتشوهات، ففي سورة البقرة آية ١٧٨ {يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا كُيِّبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلَمْ يَكُنْ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وفي سورة المائدة آية ٤٥ {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} فهل رأيتم استهانة بأرواح الناس وأجسادهم مثل هذا؟

ج ٨٦- إن اعتراضكم على القصاص لهُوَ من أشد الظلم، وكان الأجدر بكم أن تطبقوه في مجتمعاتكم، لأن فيه صيانة لأرواحكم ودمائكم وأعراضكم، فهل يرضى سائل

هذا السؤال أن يقتله أحد، أو يقتل أحد أقاربه، ثم لا يُقْتَصَّ من القاتل بقتله؟ أم هل يرضى أن يبقأ عينه أحد، ثم يُسَجَّنَ لمدة عام أو أكثر، ثم يخرج من السجن، وينعم بعينيه طول حياته؟ أم أنه يتمنى أن لو قُفِّت عينه مثله؟ إن الذى أشاع الجرائم فى كثير من المجتمعات هو عدم تطبيق حدود الله، فلو أن المجرم علم أنه سَيُقْتَصَّ منه، ويُفَعَّلَ به ما فعل بالناس، لَمَّا أقدم على جريمته، وَلَمَّا أصبحت دماء الناس، وأمواهم، وأعراضهم، نُهبة سائغة له، يقتل هذا، ويقطع أُذُنَ هذا، ويفقأ عين هذا، ثم يدخل السجن يأكل ويشرب وينام، وبعد ذلك يخرج سليم الأعضاء، بعدما أراق دماء الناس، وشوّه أجسادهم، فهل هذا يقبله عاقل؟ إن بعض المجتمعات المسلمة التى لم تمثل لأمر ربها، شاعت فيها جرائم التشويه لأقصى درجة، ففى باكستان - على سبيل المثال - شاع ظلم الرجل للمرأة ظلماً شديداً، وأصبح من المألوف عندهم أن الرجل يعاقب المرأة برش ماء النار على وجهها! فلو أنه عوقب بفعلته نفسها لَمَّا تجرأ على ذلك، ولكنه الظلم {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وقد جاء فى كتابكم المقدس ما يشابه آية سورة (المائدة) التى وردت فى السؤال:

وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويدياً بيداً ورجلاً برجل وكيّاً بكيّ وجرحاً بجرح ورضاً برض. (خروج ٢١: ٢٣-٢٤)

وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيباً فكما فعل كذلك يُفَعَّلُ به. كَسَرُ بَكْسَرٍ وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌ بِسِنٍ. كما أحدث عيباً فى الإنسان كذلك يُحَدِّثُ فيه. (لاويين ٢٤: ١٩-٢٠)

وجاء فيه أن جزاء القاتل قتله، ليس هذا فحسب.. بل التمثيل بجثته بعد موته:

إذا كان رجلاً باغيان يقتلان صديقاً فى بيته على سريره. فالآن أما أطلب دمه من أيديكما وأنزعكما من الأرض. وأمر داود الغلمان فقتلوهما وقطعوا أيديهما وأرجلها وعلقوهما على البركة فى حبرون. (صموئيل الثانى ٤: ١١-١٢)

سأفك دم الإنسان بالإنسان يُسْفَكُ دمه. لأن الله على صورته عمل الإنسان.

(تكوين ٩: ٦-٧)

إن القاتل يُقْتَلُ. (عدد ٣٥: ١٦)

ثم إن الإسلام لا يمنع أحداً أن يتنازل عن حقه فى القصاص {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ

مَنْ قَتَلَ فَاتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّى إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ { فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ } أما الكتاب المقدس فلا يبيح العفو عن القاتل المتعمد، ولا يبيح أخذ الدية منه، بل لابد من قتله: ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يُقتل. ولا تأخذوا فدية ليهرب إلى مدينة ملجئه فيرجع ويسكن في الأرض بعد موت الكاهن. لا تدنسوا الأرض التي أنتم فيها لأن الدم يدنس الأرض. وعن الأرض لا يُكفِّرُ لأجل الدم الذي سُفِكَ فيها إلا بدم سافكه. ولا تنجسوا الأرض التي أنتم مقيمون فيها التي أنا ساكن في وسطها. إني أنا الرب ساكن في وسط بني إسرائيل (عدد ٣٥: ٣١-٣٤)

ومن عدل الله سبحانه وتعالى أن قضى بأن الذي قتل يُقتل، ولا يُقتل أحد غيره ظلماً وعدواناً، على نقيض ما يحدث في بعض القرى من أنهم لا يأخذون الثأر من القاتل، بل يأخذونه من البريء، فإذا كان القاتل غير ذى بال، كأن يكون فقيراً، أو وضعياً في قومه، لم يقتصوا منه، ولكن يقتصون ممن هو أعلى منه منزلة وجاهاً، رغم براءته، ولذلك قال الله تعالى: { الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى } وحدّ القتل في الإسلام يطبق على من فعله متعمداً، أما قتل الخطأ ففيه الدية، كأن يخطئ طبيب في إجراء عملية للمريض فيموت، أو يعطيه جرعة كبيرة من البنج تكون سبباً في موته، أو حادثة سيارة عن غير قصد، أو غير ذلك. أما في الكتاب المقدس فإن من قتل خطأ لا يدفع دية لأهل المقتول، ولكنه يهرب من ولى الدم (أى من ولى المقتول) حتى لا يعاقبه: وكلم الرب موسى قائلاً. كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان. فتعيثون لأنفسكم مُدناً تكون مُدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذي قتل نفساً سهواً (عدد ٣٥: ٩-١١) ولكن إن دفعه بفتنة بلا عداوة أو ألقى عليه أداة ما بلا عمد أو حجراً ما مما يُقتل به بلا رؤية. أسقطه عليه فمات وهو ليس عدواً له ولا طالباً أذيته تقضى الجماعة بين القاتل وبين ولى الدم حسب هذه الأحكام. وتُنقذ الجماعة القاتل من يد ولى الدم وتردّه الجماعة إلى مدينة ملجئه التي هرب إليها (عدد ٣٥: ٢٢-٢٥) ربما يظن أهل الكتاب أن هروب القاتل غير المتعمد، وعدم معاقبته بدفع الدية لأهله هو الصواب، لأنه في نظرهم غير مذنب. ونقول لهم: صحيح أنه لم يتعمد، ولكن هذا يفتح الباب للمجرمين

كى يقتلوا من أرادوا قتله، ويتفننون فى طرق القتل حتى تبدو فى التحقيقات وكأنها عن غير قصد، ثم يكذبون ويقولون: لم نقتله متعمدين. وكذلك فإنه يفتح الباب للعابثين والمستهترين ألا يحتاطوا، طالما أنهم لن يُعاقبوا، كالشباب المتهور الذى يقود السيارات بسرعة رهيبه، أو الذين يطلقون الرصاص فى الأفراح والاحتفالات، وغير ذلك من مظاهر الاستخفاف، وعدم أخذ وسائل الحيطه والحذر. ثم إن الدية التى يأخذها أهل الميت تخفف عنهم مصابهم إلى حد كبير، وخصوصاً لو ترك يتامى، فإن المال الذى يأخذونه يعينهم على أمر معاشهم، والله أعلم.

س٨٧- لقد دافعتم عن حد القصاص وقتلتم إنه عدل لأنه معاملة بالمثل، فلم لا يكون القصاص فى الزنى والسب والقذف بالمثل أيضاً؟

ج٨٧- إن هذا سؤال خبيث لا يُظن بقائله إلا أنه يجب إشاعة الفاحشة فى المؤمنين. إن الإسلام هو دين العفة والمحافظة على الأعضاء، فهو الذى يحض على الفضيلة، ويحارب الرذيلة بكل وسيلة، فهل يعاقب على الفاحشة بفاحشة مثلها، حتى تنتشر فى المجتمع أكثر وأكثر؟ وهل هذا يقبله عاقل، فضلاً عن أن يكون شرعاً؟ وهل لو سبَّ دين الله أحدٌ تكون عقوبته أن يُسبَّ دينه؟ إن هذا لا يزيد الشرر إلا تطأيراً، كما يقول المثل: (لا يزيد الطين إلا بله) قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: ١٩] وقد قال العلماء: إن مجرد الكلام عن قصص الفحش والتفحش - وليس ردَّ الفاحشة بفاحشة مثلها - يدخل فى مضمون هذه الآية، أى أن ما يحدث فى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة من نشر الفضائح، وأخبار القتل والسرقة، والخيانة الزوجية، داخل فى مضمون هذه الآية - وللأسف - فإن كثيراً من المسلمين لا يعلمون هذا الأمر، ولا يفتنون له، وتراهم يتناقلون ما سمعوه وما قرأوه من هذه الأخبار المشينة، ولا يدرون أنهم يفعلهم هذا ينشرون الفاحشة بين الناس أكثر وأكثر. وكذلك الذى يذهب للعمل فى بعض البلاد العربية، ثم يعود فيحكى عمّا رآه وسمعه من هذه المعاصى، ولا يعلم - فضلاً عن وقوعه فى أعراض المسلمين - أنه ينشر الفاحشة بين المؤمنين. حتى لو كانت دولة كافرة فلا ينبغي له أن يحكى ما رأى وما سمع فيها، لأنه يفسد قلوب سامعيه وهو لا يشعر. كذلك فإن المعصية

همون في أعين الناس بكثرة سماعها، وتجعلهم يظنون أنهم أفضل من غيرهم، فلا يزدادون في الأعمال الصالحة. أما سماع قصص الصالحين فهي تحت على الاقتداء بهم، واحتقار النفس بالنسبة لهم، مما يبعث على النشاط في العبادة، والاستكثار من الأعمال الصالحة، قال رسول الله ﷺ: "لا تسبَّن أحداً، ولا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن آيبتَ فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإنه من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك، فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه" [صحيح الجامع: ٧٣٠٩] أرايتم كيف نهي الرسول ﷺ عن رد الإساءة بإساءة مثلها؟ فكيف برّد الفاحشة بفاحشة مثلها؟

إن التعامل بالمثل، ورّد الفاحشة بمثلها، هو ما جاء به الكتاب المقدس، حيث قال:

مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون مُلتويّاً. (صموئيل الثاني: ٢٢: ٢٧)

هكذا قال الرب ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس. لأنك أنت فعلت بالسّر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس. (صموئيل الثاني: ١٢: ١١-١٢) أتدرون من من، ولمن هذا الكلام؟ إنه - بزعمهم - من الله سبحانه وتعالى لسيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والدليل على ذلك ما جاء في الكلام الذي قبله من الإصحاح نفسه، والله أعلم.

٨٨- تقولون إن دينكم ينهى عن الإسراف والتبذير، مع أنكم أشد الناس تبذيراً وإسرافاً، ألا ترون ما تفعلونه في الحج من كثرة الذبائح التي تُعدّ بمئات الألوف، وتركها في منى لا يستفيد منها أحد من الفقراء، ويكون مصيرها الفساد وانتشار الأمراض، وخصوصاً قبل وجود المجازر الآلية والثلاجات؟

ج ٨٨- متى تُذبح هذه الذبائح؟ إنها تُذبح يوم النحر.. وهو أول أيام العيد، ثم تليه أيام التشريق الثلاثة التي قال رسول الله ﷺ عنها: "أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله" [مسند أحمد، صحيح الجامع: ٢٦٨٩] فالمسلم مأمور بأن يوسّع على نفسه وأهله، وعلى فقراء المسلمين في هذه الأيام المباركة، على قدر استطاعته. ولكن لماذا سُميت هذه الأيام بأيام

التشريق؟ إن إجابة هذا السؤال في حد ذاتها رد على هذه الشبهة. لقد سُميت بهذا لأن العرب كانوا يذبحون الذبائح في مِني، ثم يسلخونها ويقطعونها قطعاً صغيرة، ويرشونها بالملح، ويربطونها ببعضها، ويعلقونها في اتجاه شروق الشمس، إلى أن يخرج منها الماء تماماً، وتصبح جافة مثل قوالب الطوب، وهذه الطريقة كانت تحفظ اللحم من التعفن، ليستخدموه طوال العام، بعد نقيه في الماء عند اللزوم، ليزول منه أثر الملح، ويصبح طرياً قابلاً للطهي، وهذه الطريقة من أفضل طرق حفظ اللحم، لأن الملح ليس له أضرار جانبية مثل غيره من المواد الحافظة (وقد بُنيت على هذه الطريقة فكرة صناعة البسطرمة) أمّا الآن فتوجد جمعيات وهيئات خيرية تقوم بالإشراف على هذه الذبائح، والاحتفاظ بها في الثلاجات، ثم تقوم بتوزيعها على فقراء المسلمين في أنحاء العالم.

وتؤدّ أن نسألکم: هل تعترون هذا إسرافاً، ولا تعترون ما جاء في كتابكم المقدس من استخدام الذهب والمجوهرات في بناء الهيكل، وعمل مراحيضه من النحاس إسرافاً؟

والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسُمّكه ثلاثون ذراعاً... وهياً محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب. ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً وعشرون ذراعاً عرضاً وعشرون ذراعاً سُمكاً. وغشاه بذهب خالص... وغشّى سليمان من داخل بذهب خالص. وسدّ بسلاسل ذهب قدام المحراب. وغشاه بذهب. وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل البيت وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب... وغشّى الكرويين بذهب... وغشّى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج... ورسم عليهما نقش كرويم ونخيل وبراعم زهور وغشاهما بذهب ورصع الكرويم والنخيل بذهب... ونحت كرويم ونخيلاً وبراعم زهور وغشاهما بذهب... وعمل بيتاً لابنة فرعون التي أخذها سليمان كهذا الرواق. كل هذه من حجارة كريمة... وكان مؤسساً على حجارة كريمة حجارة عظيمة حجارة عشر أذرع وحجارة ثمان أذرع. ومن فوق حجارة كريمة كقياس المنحوتة... وعمل القواعد العشر من نحاس طول القاعدة الواحدة أربع أذرع وعرضها أربع أذرع وارتفاعها ثلاث أذرع... والأكتاف مسبوكة تحت المرحضة... وعمل عشر مراحيض من نحاس تسع كل مرحضة أربعين بثاً.

المرحضة الواحدة أربع أذرع. مرحضة واحدة على القاعدة الواحدة للعشر القواعد... وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب المذبح من ذهب والرجوه والمائدة التي عليها خبز الوجوه من ذهب. والمناثر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المخراب من ذهب خالص والأزهار والسرج والملاقط من ذهب. والطرسوس والمقاص والمناضح والصحون والنجامر من ذهب خالص. والوصل لمصاريع البيت الداخلى أى لقدس الأقداس ولأبواب البيت أى الهيكل من ذهب. وأكمل جميع العمل الذى عمله الملك سليمان لبيت الرب. وأدخل سليمان أقداس داود أبيه. الفضة والذهب والآنية وجعلها في خزائن بيت الرب (مختصر ما جاء في سفر الملوك الأول، الإصحاح ٦ و٧)

إن من رحمة الله سبحانه وتعالى بأمة سيدنا محمد ﷺ أن أباح لهم الأكل من هذه الذبائح وغيرها، أمّا الأمم السابقة فكانت هناك نار تنزل من السماء لتأكل ذبائحهم كعلامة على قبولها. وفي الكتاب المقدس توجد كلمة (مُحْرَقَة) و(مُحْرَقَات) عشرات المرّات، ومنها قوله: ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المُحْرَقَة والذبائح وملاً مجد الرب البيت. (أخبار الأيام الثانى ٧: ١) وقوله: ثم إن الملك والشعب ذبحوا ذبائح أمام الرب. وذبح الملك سليمان ذبائح من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة وعشرين ألفاً ودشّن الملك وكل الشعب بيت الله... وقدس سليمان وسط الدار التي أمام بيت الرب لأنه قرّب هناك المُحْرَقَات وشحم ذبائح السلامة لأن مذبح النحاس الذى عمله سليمان لم يكفٍ لأن يسع المُحْرَقَات والتّقدمات والشحم. (أخبار الأيام الثانى ٧: ٤-٧)، والله أعلم.

س ٨٩- إن الذى أخرج المسلمين من جزيرة العرب هو الجوع والفقر وليس لنشر الدين كما تزعمون.

ج ٨٩- سنسلم معكم جدلاً أنهم خرجوا يبحثون عن الطعام، فلماذا لم يكتفوا بفتح بلاد الشام المليئة بالأثمار والثمار؟ ما الذى اضطرهم أن يفتحوا البلاد الواقعة في شمال أفريقيا، مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر، وبعض البلاد الأخرى مثل الأندلس، حتى وصلوا إلى مشارف فرنسا؟ وهل الفقير الذى يبحث عن الطعام يعرض نفسه للحروب - وهى مظنة الهلاك - بعدما وجد بُغيته؟ إننا نجد الأغنياء مستعدين لدفع آلاف الجنيهات

ليجتنبوا أنفسهم وأولادهم الدخول في الحروب التي تحرمهم من رَغَد العيش الذي ينعمون به، ولكن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم ما خرجوا إلا لنشر دين الله جل وعلا، والذي يقرأ سيرهم يعلم أنهم رغم كل الفتوحات التي من الله بها عليهم لم تغرهم الدنيا، ولم تشغلهم عن عبادة ربه، وكانوا كلما انتهوا من فتح بلد استعدوا لفتح بلد آخر، فهل هذا فعل من يبحث عن الطعام؟ ثم إن الجزيرة العربية ظلت فقيرة معتمدة في رزقها - بعد الله سبحانه وتعالى - على موسم الحج، والمعونات التي كانت تأتيها من الدول المجاورة، إلى أن ظهر فيها البترول بفضل من الله ونعمة، فلو كانوا خرجوا للبحث عن المال فلم يبعثوا به لأهلهم، وينقذوهم من الفقر كما يفعل من يسافر للعمل في دول الخليج، أو كما يفعل المستعمر الغربي الذي يسرق أقوات الشعوب وثرواتها ويحولها لبلاده؟ إن المستعمر الغربي لم يكتف بتحويل الثروات، بل حوّل الآثار والحيوانات، حتى إن الإنسان نفسه لم يفلت من قبضتهم، فحوّلوه لبلادهم ليخدمهم، كما حدث في ترحيل الأفارقة إلى أمريكا وغيرها، ليقوم الرجل الأسود بخدمة الرجل الأبيض، وظلّ القراصنة المستعمرون يعاملوهم أسوأ معاملة عُرِفَت بالفرقة العنصرية، التي ما زالوا يعانون من آثارها إلى يومنا هذا. حتى إنهم سرقوا العقول الذكية من العالم الثالث بالإغراء المادي - وما زالوا يسرقونها- حتى أصبحوا ينعمون بالثراء الفاحش، ويملكون أكبر حضارة على وجه الأرض. فلو أن المسلمين الأوائل فعلوا فعلتهم لعاش أهل الحجاز في رغد وسعة عيش، ولافتقرت البلاد التي فتحوها، وكان لهم أعداد كثيرون في كل مكان من العالم، كما للرجل الأبيض الآن، ولتمتعت الجزيرة العربية بالكراهية التي يتمتع به الغرب، وعلى رأسهم أمريكا، ولكن - والله الحمد - لم يحدث أي شيء من هذا، بل على العكس من ذلك.. فكّم تنازل الحكام العرب الفاتحون لأهالي البلاد المفتوحة عن أموال الجزيرة، فلم يدفعها إلا القليلون، وكم شُيِّدت الدواوين والأنظمة لتنظيم جمع الخراج، وتخفيف أموال الجبايات، إن أصاب البلاد المفتوحة جذب وقحط، وكم رغب الإسلام في إكرام الجيران والضيّاف، وإشاعة العدل والإحسان، حتى بين أهل البلاد المفتوحة، وأهل الذمة والمُعاهدتين، والله أعلم.

س ٩٠- إن انتصار المسلمين على الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية جاء بعد أن

أفكتهما الحروب وأصابهما الضعف، فاستغل المسلمون الفرصة وقضوا عليهما.

ج ٩٠- إن الفترة التي انتصر فيها المسلمون على الروم والفرس لم تكن بينهما فيها حروب، فإن آخر حرب بينهما كانت والرسول ﷺ ما زال في مكة، أما أول انتصار للمسلمين على الروم فكان في موقعة (اليرموك) في خلافة عمر بن الخطاب ؓ فكانت المدة بينهما حوالي عشرين عاماً أو أكثر، استعادت فيها كل منهما قوتها وعددها وعتادها، أما غزوة (موتة) فكانت أيام الرسول ﷺ وقد سُميت غزوة رغم أن الرسول ﷺ لم يحضرها لأنه كان يشاهدها ويصفها وهو في المدينة كما لو أنه رآها رأى العين، ولم تتسم هذه الغزوة بالتكافؤ العددي، فقد كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وكان الروم مائتي ألف، فرجع المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ؓ بعدما استشهد من الصحابة ؓ حوالي سبعين، مقابل مائتي قتيل في صفوف العدو. أما غزوة (تبوك) فلم يحدث فيها أي قتال بين المسلمين والروم، بعدما ذهب إليهم الرسول ﷺ ليقاتلهم، لأنهم اعتدوا على من أسلم منهم بالتعذيب والقتل، وأرادوا مهاجمة المسلمين في المدينة، فذهب إليهم في ثلاثين ألف مقاتل، إلى أن وصل إلى تبوك، ومكث بها حوالي عشرين يوماً ينتظرهم، ولكنهم لم يأتوا لحربه، فرجع ﷺ إلى المدينة. وفي موقعة (اليرموك) كان عدد المسلمين ستين ألفاً، مقابل مائتين وأربعين ألف مقاتل من الروم، معهم القساوسة والبطارقة والمطارنة، يرتلون لهم الأناجيل، ويدقون لهم بالنواقيس، ليثبتوهم في المعركة، ورغم ذلك انتصر عليهم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد، الذي ذهب بعد انتصاره عليهم ليساعد سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنهما - في حربه ضد الفرس، فانتصر المسلمون على الفرس والروم في آن واحد بفضل من الله ونعمة، وليس بضعف الإمبراطوريتين كما تزعمون. والدليل على أنهما لم يصبهما ضعف أن البلاد الواقعة تحت حكمهما لم تنفصل عنهما، فقد كانت كل امبراطورية منهما تحكم مجموعة من البلاد والشعوب، ونحن نشاهد في عصرنا أن الدول العظمى حين تضعف قوتها يظهر فيها المتمردون والانفصاليون، وكل أهل بلدة يحاولون الوصول إلى حكم أنفسهم (حكماً ذاتياً) كما حدث عندما انهار الاتحاد السوفيتي، فقد تفرقت بعض البلاد الواقعة تحت سيطرته، وكونت جمهوريات مستقلة. ولا يخفى على الأريب مصادر القوة الأخرى غير العددية لجيوش الروم والفرس، فإن هناك الاستقرار في مواقع بلادهم، وقد يقال: (الأرض تلعب مع أصحابها) فهم كانوا أذرى

بأحوالها من مياه، وتضاريس، وثغور، وطُرُق، وجسور... إلخ من العرب المنقولين إليهما، بعد المعاناة في الغزوات وشظف العيش، وحروب المرتدين، وموت الرسول القائد ﷺ ثم لا ننسى عظمة التاريخ العسكري والعلمي والاقتصادي، وطول أمد ذلك للدولتين، وما كانت تمدهما به المستعمرات من أمداد وعتاد، والله أعلم.

س ٩١- أنتم تزعمون أنكم تؤمنون بموسى وعيسى، ثم لا تقبلون أن تزوجوا نساءكم للرجل اليهودي أو النصراني، في حين أنكم تسمحون لأنفسكم بالزواج من المرأة اليهودية والمسيحية، كما قال كتابكم: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكِ آبَائِهِمْ وَإِيَّامِهِمْ لَقَبُوا بِتَنَزُّهَاتٍ إِنَّ اللَّهَ مُخْتَلِئٌ غَيْرٌ مُسْتَفْهِحٍ} [المائدة: ٥] فهل هذا من عدل الإسلام؟

ج ٩١- إن المسلم يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فحين يتزوج من اليهودية أو النصرانية فهو يؤمن برسوليهما، ولن يمنعها من أداء شعائرها، لأن بيننا وبين اليهود والنصارى قواسم مشتركة، كالإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر، وتحريم الخمر والزنى والسرقه وفعل قوم لوط.. إلخ. فحين تطلب منه اليهودية أن تذهب للمعبد يوم السبت - مثلاً - فلن يمنعها، وكذلك حين تطلب منه النصرانية أن تذهب إلى الكنيسة يوم الأحد - أو أى يوم - فلن يمنعها. أما لو تزوجت المرأة المسلمة من الرجل اليهودي أو النصراني فالحال مختلف، لأنه لا يؤمن بالإسلام، فربما منعها من أداء عبادتها، فإذا أرادت - مثلاً - أن تصوم رمضان جعلها تفطر لحاجته إليها، وربما منعها من الصلاة أو الزكاة أو الذهاب للحج، بل وربما أجبرها على اتباع دينه. قد يقول قائل: لماذا تحكمون على اليهودي أو النصراني بأنه سيمنع زوجته من أداء عبادتها، أو يجبرها على دينه؟ أليس من المحتمل أن يكون رجلاً متحضرًا يؤمن بحرية العقيدة؟ فنقول له: ومن يضمن لنا أنه رجل متحضر يؤمن بحرية العقيدة؟ ولو فرضنا أن بعضهم عنده هذا الفكر.. فهل كل اليهود والنصارى على شاكلته؟ ثم إن هناك شيئاً آخر.. وهو أن المرأة ضعيفة الشخصية، وتتأثر كثيراً بزوجها، على عكس الرجل.. فإنه لا يتأثر كثيراً بزوجه، وهذا مُشاهد في واقعنا، لدرجة أن كثيراً من النساء يتكلمن بطريقة أزواجهن، ويستخدمن نفس الأسلوب، ونفس العبارات والتعليقات، لدرجة أنك تقول: سبحان الله! إن فلانة تتكلم

مثل زوجها تماماً! فلماذا يُخشى على المرأة المسلمة أن تتأثر بدين زوجها، وتتبعه وتترك دينها، وإن لم يفرضه عليها. وهناك شيء آخر لا يقل أهمية - بل يزيد - وهو أن الأطفال - في الغالب - يكونون على دين آبائهم، وليس على دين أمهاتهم، لأنه - كما قلنا من قبل - هم الأقوى شخصية، ونفوذاً وتحكماً، ونحن لا نرضى لأولاد المسلمات أن يكونوا كفاراً. كما أن جميع القوانين الوضعية في العالم أجمع تنسب الأبناء إلى الآباء عند تسميتهم، فهل يرضى أحد من المسلمين أن ينتسب للكافرين؟ وتوضيح آخر: هل يرضى من كان اسمه (محمد) أو (أحمد) أن يُنسب لبطرس أو مرقس أو يوحنا؟

ونقول للسائل: إنكم تعيرون علينا أننا لا نزوج رجالكم لبناتنا، وتزوج بيناتكم، مع أن هذا يساهم في حل مشكلة العنوسة عندكم، في حين أن كتابكم المقدس نهي عن هذا وذاك، وإن شئت فاقراً: وأن لا نعطي بناتنا لشعوب الأرض ولا نأخذ بناتكم لبنينا. (نحميا ١٠: ٣٠)، والله أعلم.

س ٩٢- تقولون إن الجنة بها أكل وشرب وجماع، وهذا يتنافى مع كمال وجمال القرب من الله في دار كرامته، لما فيه من كشف العورات والانشغال بالشهوات، كما أن ذلك يؤدي إلى إخراج الفضلات والقاذورات التي لا تليق بالجنات، إن هذا التمتع الذي تتشددون به هو تمتع بهيمي محض، ليس فيه للروح أى نصيب.

ج ٩٢- إن الإنسان جسد وروح، وكل منهما له متعته، فمتعة الروح في القرب من الله سبحانه وتعالى وذكره ومناجاته، ومتعة الجسد في الأكل والشرب والجماع.. إلخ. والله سبحانه وتعالى قد أعد لأولياته في دار كرامته كلا النوعين من النعيم، وهذا من تمام النعيم وكماله. ومن الأحاديث التي وردت في المتعة النفسية لأهل الجنة قوله ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك! والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم نعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربّ وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً" [صحيح البخارى] وقوله: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا" [صحيح

الجامع: ٢٣٠٦] أما الأحاديث التي ذكرت النعيم المادي لأهل الجنة فهي أكثر من أن تحصى، ومنها قوله ﷺ: "في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين، يطوف عليهم المؤمن" [صحيح الجامع: ٤٢٤٣] فالنعيم في الجنة للروح والجسد معاً، وأعلى نعيم في الجنة هو لذة النظر إلى وجه الله الكريم. وأريد أن أسألكم.. هل أهل الجنة سيتذكرون الدنيا؟ ستقولون: نعم.. أليس كذلك؟ فما الحال إذن لو أنهم تذكروا متاع الدنيا من الأكل والشرب والجماع؟ إنهم - قطعاً - سيشتاقون إليه، فماذا يكون الحال لو أنهم لم يجدوا مثله في الجنة؟ إن ذلك يناق كمال متعتهم، ويكون متاع الجنة ليس مشبعاً لكل رغباتهم، لأنهم سيتحسرون على فوات هذه اللذات، وهذا يناق قوله تعالى: {هُم فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} [الفرقان: ١٦] ولو كان زعمكم حقاً لكانت الدنيا أفضل من الجنة، لأن الدنيا جمع بين المتع البدنية والروحية، أما الجنة فهي للمتعة الروحية فقط. وهذه الأشياء التي تتحدثون عنها قد رَضِيَها الله لأحب خلقه إليه، وهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أفلا يرضاها لأهل الجنة؟ ولقد حرم الله الرهبانية على المسلم في الدنيا، أفيرضاها له في الآخرة؟ ثم من قال لكم إن في الجنة فضلات تتج عن الطعام، أو منياً يخرج بالجماع؟ قال رسول الله ﷺ: "أول زُمرَة تَلِج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوَّطون، آتيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بُكْرَةً وَعَشِيًّا" [صحيح البخاري] فالنعيم في الجنة لا يكدره شيء من بول أو غائط أو غيره.

ثم إن الذين يعترضون على النعيم الجسدي في الجنة، جاء في كتابهم المقدس ما يدل على هذا النعيم، وهذه بعض الأدلة:

طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله. (لوقا: ١٠: ١٥)

اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان

لأن هذا الله الأب قد ختمه. (يوحنا: ٦: ٢٧)

ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل. فلما جلس تقدم إليه تلاميذه. ففتح فاه وعلمهم

قائلاً. طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات... طوبى للجياع والعطاش إلى البر. لأنهم يشبعون. (متى: ٥: ١-٦)

الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله. (مرقس: ١٤: ٢٥)

وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً. لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر (لوقا: ٢٢: ٣٠)

وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى. (متى: ٢٦: ٢٩)

ولما كانت الساعة اتكأ والاثنى عشر رسولاً معه. وقال لهم شهوة اشتهيت أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم. لأنى أقول لكم إنى لا أكل منه بعد حتى يكمل فى ملكوت الله. (لوقا: ٢٢: ١٤-١٦)

وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمى يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية. (متى: ١٩: ٢٩)

وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات. (متى: ٨: ١١)

ويأتون من المشارق ومن المغرب ومن الشمال والجنوب ويتكثرون فى ملكوت الله. (لوقا: ١٣: ٢٩)

بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه. (رسالة بولس إلى كورنثوس: ٢: ٩)

وقد صرّح الكتاب المقدس بأن العذاب يوم القيامة يقع على الجسد، فقال: فإن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله فى جهنم (متى: ٥: ٢٩-٣٠) وقال: وإن أعترت يدك فاقطعها. خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتحمى إلى جهنم إلى النار التى لا تُطفأ. حيث دُوِّهَم لا يموت والنار لا تُطفأ.

(مرقس ٩: ٤٣-٤٤)

فطالما أن العذاب يقع على الجسد، فيكون المقابل له أن النعيم للجسد أيضاً، والله أعلم.

س٩٣- لماذا تفتسلون من الجنابة؟ ألا يكفي غسل العضو الذي تنجس؟ هب أن معك كيساً ملى بالتمر، فوقعت منه قمرة في الطين، هل تغسل كل التمر أم التي وقعت؟ ج٩٣- إن الأمر بالاعتسال أمر إلهي لا دخل لنا فيه، وما علينا إلا السمع والطاعة لربنا جل وعلا، ولا يعنى اغتسلنا من الجنابة أننا تنجسنا، ولكننا فعلنا ما يوجب الغتسال، فالمؤمن لا ينجس على أية حال، لعموم قول الرسول ﷺ: "إن المؤمن لا ينجس" [متفق عليه] والاعتسال من الجنابة والحيض والنفاس مفيد للصحة الجسدية والنفسية والعقلية، وفيه تجديد للنشاط والحيوية. وقد جاء الغتسال من الجنابة في كتابكم المقدس، ليس هذا فحسب، بل إن الجنب عندكم يصبح نجساً حتى بعد اغتساله: والمرأة التي يضطجع معها رجل اضطجاع زرع يستحمان بماء ويكونان نجسين إلى المساء. (لاوين ١٥: ١٨).

وَتَوَدُّ هُنا أن نلقى الضوء على بعض ما جاء في الكتاب المقدس بشأن الطهارة والنجاسة، ليشكر المسلمين رهم على تيسير دينهم:

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً كَلِّمًا بنى إسرائيل وَقُولًا لهم. كل رجل يكون له سَيْلٌ من لحمه فسَيْلُهُ نجس. وهذه تكون نجاسته بسَيْلِهِ. إن كان لحمه يبصق سَيْلُهُ أو يخبس لحمه عن سَيْلِهِ فذلك نجاسته. كل فراش يضطجع عليه الذى له السَيْلٌ يكون نجساً وكل متاع يجلس عليه يكون نجساً. ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. ومن جلس على المتاع الذى يجلس عليه ذو السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. ومن مس لحم ذى السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإن بصق ذو السيل على ظاهر يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل ما يركب عليه ذو السيل يكون نجساً. وكل من مس كل ما كان تحته يكون نجساً إلى المساء ومن حملهن يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مسه ذو السيل ولم يغسل يديه بماء يغسل ثيابه ويستحم بماء

ويكون نجساً إلى المساء. وإناء الخزف الذي يمسه ذو السيل يُكسّر. وكل إناء خشب يُغسل بماء. وإذا طهّر ذو السيل من سيله يُحسب له سبعة أيام لظهره ويغسل ثيابه ويرحّض جسده بماء حتى فيطهر. وفي اليوم الثامن يأخذ لنفسه يمامتين أو فرخى حمام ويأتي إلى أمام الرب إلى باب خيمة الاجتماع ويعطيها للكاهن. فيعملهما الكاهن الواحد ذبيحة خَطِيئة والآخر مُحرّقة ويُكفّر عنه الكاهن أمام الرب من سيّله (لاويين ١٥):

(١٥-١)

هذه هي الشريعة. إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام. وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس. وكل من مسّ على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام. فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخَطِيئة ويجعل عليه ماء حياً في إناء. ويأخذ رجل طاهر زوفاً ويغمسها في الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذي مسّ العظم أو القتل أو الميت أو القبر. ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع. ويظهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحّض بماء فيكون طاهراً في المساء. وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجس مقدس الرب. ماء النجاسة لم يُرش عليه. إنه نجس. فتكون لهم فريضة دهرية. والذي رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذي مس ماء النجاسة يكون نجساً إلى المساء. وكل ما مسه النجس يتنجس والنفس التي تمس تكون نجسة إلى المساء (عدد ١٩: ١٤-٢٢)

نلاحظ في النص الأخير أن الذي يمَس إنسان مات في الخيمة يصبح نجساً سبعة أيام، ولا بد أن يتطهر، وإن لم يتطهر يُباد من بينهم. ولكن بماذا يتطهر؟ يتطهر بماء مخلوط بغبار من رماد ذبيحة خَطِيئة، أي أن الإنسان يتطهر برّماد حيوان. ليس هذا فحسب، بل إن كل من كان في الخيمة يتنجس بموت الإنسان، ولا بد أن يتطهر بالطريقة نفسها، حتى إن الإناء الذي ليس عليه غطاء يتنجس أيضاً. والعجيب أن الذي يمَس (ماء النجاسة) - الذي جعل للتطهير - يتنجس هو أيضاً، أي أنه ماء يُطهر ويُنجس في الوقت نفسه! لقد رأينا كيف أن الذي يمَس ميتاً، أو عظمته، أو قتيلاً، أو قبراً يتنجس، في حين أن

الذى يمس تَقْدِمَةَ مصنوعة من الدقيق يتقدّس، ويتقدّس أيضاً إذا مسَّ ذبيحة خَطِيئَةٍ، وها هي الأدلّة:

وهذه شريعة التَّقْدِمَةِ. يقدّمها بنو هَرُونَ أمام الرب إلى قُدَامِ المذبح ويأخذ منها بقبضته بعض دقيق التَّقْدِمَةِ وزيتها وكل اللبّان الذى على التقدمة ويوقد على المذبح رائحة سرور تذكّارها للرب. والباقي منها يأكله هَرُونَ وبنوه. فطيراً يؤكل في مكان مقدّس. في دار خيمة الاجتماع يأكلونه. لا يُخْبِزُ خميراً. قد جعلته نصيبهم من وقائدى. إنّها قُدْسٌ أقداس كذبيحة الخطيئة وذبيحة الإثم. كل ذكر من بنى هَرُونَ يأكل منها. فريضة دهرية في أجيالكم من وقائد الرب. كل من مسّها يتقدّس (لاوين ٦: ٢٤-١٨) وكلم الرب موسى قائلاً كلم هَرُونَ وبنيه قائلاً. هذه شريعة ذبيحة الخطيئة. في المكان الذى تُذْبَح فيه المُحْرَقَةُ تُذْبَح ذبيحة الخطيئة أمام الرب. إنّها قُدْسٌ أقداس. الكاهن الذى يعملها للخطيئة يأكلها. في مكان مقدّس تؤكل في دار خيمة الاجتماع. كل من مسّ لحمها يتقدّس. (لاوين ٦: ٢٤-٢٧)، والله أعلم.

س ٩٤- إن الإسلام يستغل فقر الناس لإغرائهم بالدخول في الدين، فقد جعل

القرآن بنداً من بنود الزكاة للإغراء {وَأَلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ} [التوبة: ٦٠]

ج ٩٤- لو كان الإسلام يغرى الناس للدخول في الإسلام عن طريق المال لَمَا فرض عليهم الجزية {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩] وهل تسمون مكارم الأخلاق إغراء؟ إذن فلماذا تقيمون المستشفيات والميرآت الخيرية والملاجئ، وتساعدون الفقراء في بلاد المسلمين؟ ولماذا أنشأتم هيئة الصليب الأحمر، وغيرها من الهيئات؟

إن اختصاص بعض الناس بالعطايا ليدخلوا في الإسلام هو من رحمة الله بهم، كَمَنْ يرى ابنه مُشْرِفاً على الهلاك، كأن يكون قد جلس على حافة نافذة يوشك أن يتردى منها، أو قُرْبَ من موقد (مثل البوتاجاز) وعليه ماء مغلى يخشى وقوعه عليه، فلو زجره لانتفض ووقع في الشارع، أو وقع عليه الماء المغلى، فماذا يفعل ليحافظ على حياته وصحته؟ إنه يدنو منه مبتسماً متحياً إليه بشيكولاته أو غيرها ليقربه إليه، فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ

الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - أمر رسوله ﷺ بإعطاء {الْمَوْلَفَةَ قُلُوبِهِمْ} رحمة بهم، وليس احتياجاً إليهم، فهو الغنى عن العالمين، قال رسوله ﷺ: " قال الله تعالى: يا عبادى! إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا، يا عبادى! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم، يا عبادى! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم، يا عبادى! إنكم تحفظون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى! إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص الميخيط إذا أدخل البحر، يا عبادى! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" [صحيح الجامع: ٤٣٤٥] ومما يؤيد قولنا برحمة الله سبحانه وتعالى بعباده باختصاصهم ببعض العطايا لكيلا يدخلوا ناره قول رسوله ﷺ: "إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله فى النار على وجهه" [صحيح البخارى]

وعلى آية حال فإن إعطاء المال للناس لترغيبهم فى الدين أهون من مُمالأهم على باطلهم لاستجلاب وُدِّهم، كما جاء ذلك فى الكتاب المقدس على لسان بولس الرسول: فإنى إذ كنتُ حُرّاً من الجميع استعبدتُ نفسى للجميع لأربح الأكرهين. فصرتُ لليهود كيهودى لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس. مع أنى لستُ بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح. لأربح الذين بلا ناموس. صرتُ للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرتُ لكل كل شىء لأخلص على كل حال قوماً. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس: ٩: ١٩-٢٣) إن هذا النص واضح الدلالة على أن بولس الرسول كان يتعامل مع الناس بأكثر من وجه ليكسب

وُدَّهِمْ، بَعْضُ النَّظَرِ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُهُ، وَأَنَّهُ عَمَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ لِيَكُونَ شَرِيكًا فِي الْإِنجِيلِ، أَى أَنَّهُ أَضَافَ فِيهِ أَشْيَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

س٩٥- إن الإسلام لم يكتفِ بتفضيل الرجل على المرأة في الدنيا، بل إنه فضله عليها في الآخرة، حيث جعل له في الجنة من الحور العين ما شاء، أما هي فليس لها من المتعة إلا القليل.

ج٩٥- إن المرأة المؤمنة تتنعم بما يتنعم به الرجل في الجنة من طعام وشراب وغير ذلك، إلا أن له عدة زوجات، أما هي فلها زوج واحد (وهو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة) وهو زوجها في الدنيا إن كان من أهل الجنة، وإن لم يكن لها زوج، أو كان زوجها من أهل النار، فسيزوجها الله رجلاً آخر من أهل الجنة، وإن كانت قد تزوجت في الدنيا بأكثر من رجل بعد طلاق أو وفاة أحدهم، فستكون لأحسنهم خُلُقاً ودينياً، وهذا يتناسب مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فمن من الرجال يرضى أن يكون لزوجته زوج غيره؟ أمّا المرأة فصحيح أن عندها غيرة، ولكنها أقل بكثير من غيرة الرجل. والجنة ليس فيها أى كَدْرٍ، فهذا القدر اليسير من غيرها سيُذهبه الله عنها، ولا تشعر به، كما أنّها ستكون مَلَكة على الحور العين، وستُعطى جمالاً وِعذوبة صوت وِرقة أكثر منهن. وقد ورد أن الحور العين يُقَلن للمؤمنات: نحن الخالدات فلا نبئد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له. فترد عليهن المؤمنات ويقلن: نحن المصليات ولم نُصَلِّين، نحن الصائمات ولم نَصُومُن، ونحن الحافظات لكتاب الله ولم نحفظن.. إلخ، فيقول الله لهن: "ليس من خلقتة بيدي كمن قلت له كن فيكون". إن أمر المرأة في الإسلام - وخصوصاً الجنسى - مبيّ على التستر، حتى إن السنّة في ختان الولد أن يُعلن عنه، وتُصنَع له وليمة، أمّا الأنتى فيُخفى خفاضها (ختانها) ولا تُصنَع لها وليمة، فكذلك متعتها بالرجل في الآخرة لا تُذكر صراحة، بل ضمنيّاً، لأن الجنة وصفها الله سبحانه وتعالى بأن {فِيهَا مَا تَشْتَهُوهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} [الزخرف: ٧١] وأن أهل الجنة {هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} [النحل: ٣١] فما تشاؤه المرأة في الجنة تجده، إلا أنّها لن تشاء أن يكون لها أكثر من زوج، لأنه سيكون في عينيها أجمل رجل على الإطلاق، ولأن فطرتهَا لن تتغير، والله أعلم.

س ٩٦- يُصِرُّ المسلمون في سائر بقاع الأرض على تطبيق الشريعة الإسلامية، مع أن هذا سيحدث فتنة طائفية، لأن في البلاد الإسلامية أقليات وأعراقاً دينية مختلفة، وهذا يسبب أعمال عنف شديدة بين هذه الفئات، ثم إن هذا التمسك بتطبيق الشريعة يُعدُّ مُصَادِرَةً للعقول المستنيرة يجعلها تابعة لا مبدعة.

ج ٩٦- لقد قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٨٤] إن المسلمين يعظمون جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولم تحدث فتنة طائفية في تاريخ تطبيق الشريعة الإسلامية، بل إن غير المسلمين قد وجدوا في المسلمين من هم أرحم بهم من أهل دينهم (كما ذكرنا ذلك في أكثر من موضع) فالشريعة الإسلامية لا تجعل للمسلمين حقوقاً دون غيرهم، بل لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فلا تقضى الشريعة - مثلاً - بقطع يد السارق البوذى ومُعَاوَاة السارق المسلم، ولا تقضى برجم أو جلد الزاني اليهودى وترك المسلم، أو أخذ القصاص من النصراني دون المسلم... وهكذا. وهذه الحدود كما قال عنها الشيخ الغزالي رحمه الله: (إن لم يقبلوها شريعة فليقبلوها قانوناً) والمعروف في سائر دول العالم أن قانون الأغلبية هو الذى يطبق، وشاهد على ذلك ما يحدث في البلاد الغربية من تطبيق حكمها على الأقليات المسلمة التى تعيش بها، وهو ما يسمونه بالديمقراطية، وهى أن قانون الأغلبية يسرى على الأقلية، ويتضح هذا في انتخاباتهم العامة والمحلية، فترئيس الدولة يُعَيَّن كرئيس لها ولو بفارق واحد بالمئة على مُنَافِسِه، صحيح أنه مسموح للأقلية بالإدلاء بأصواتها، ولكن النتيجة النهائية تكون للأغلبية. والإسلام يحافظ على غير المسلم طالما أنه غير متآمر أو محارب، ولا يفرض عليه الدخول في الدين، ويحافظ على أماكن عبادته ولا يتعرض لها بسوء، ويحمى دمه وماله وعرضه كما يحمى المسلمين، فهل يرفض تطبيق الشريعة إلا مُتَكِسِر الفطرة؟ وهل يكره قطع يد السارق إلا للصوص؟ وهل يكره رجم الزانى إلا الزناة؟ وهل يكره جلد شارب الخمر إلا السكِّير العريبد؟ وهل يكره القصاص إلا الظلمة المعتدون؟ والأمثلة على عدل الإسلام في تعامله مع غير المسلمين أكثر من أن تحصى، ومنها تبرئة الرجل اليهودى من

ثمّة السرقة التي نُسبت إليه على عهد الرسول ﷺ والتي ورد ذكرها في الآيات (١٠٥-١١٣) من سورة (النساء) ومنها قول الرسول ﷺ: "ألا من ظلم مُعاهداً، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة" [صحيح الجامع: ٢٦٥٥] إن من لم يحافظ على الأقليات غير المسلمة يشوّه سمعة الإسلام، ويصد عن سبيل الله (بشرط ألا يكونوا محاربين، أو مُعينين للمحاربين ضد المسلمين) وقد ذكرنا في الرد على الشبهة رقم (٨٤) ما حدث بين الشاب القبطي وابن عمرو بن العاص ﷺ وحُكْم عمر بن الخطاب ﷺ بينهما. ولا يتسع المُقام لسرد الأدلة على عدل الإسلام، ولكن هذه إشارات لبعضها، والتاريخ حافل بها، لدرجة أن بعض الشعوب كانت تبعث لولاة المسلمين أن يذهبوا لفتح بلادهم لِمَا سمعوه عن عدلهم، ومنها ما حدث من الملك (تشارلز) ملك بريطانيا حين بعث للخليفة (المأمون) الذي كان مقر خلافته في بغداد، ولكن المأمون حين تلقى الرسالة سأل عن بريطانيا، فقالوا له إنها بلاد بعيدة، ولا بد أن يقطع المسافر إليها البحر، فخاف على العلماء والدعاة والجنود من طول مسافة السفر، وخشى عليهم من الغرق، فتكاسل وتباطأ في تلبية رغبة الملك، فانظر نتيجة تباطؤ الحكام في تبليغ الإسلام!، والله أعلم.

س٩٧- نحن نرى أن العلمانية هي خير طريق، فهي وسط بين الأديان منعاً للفرقة والاختلاف والطائفية، فنحن نؤمن بالله والرسول، ولكن لا بد من التطوير والتحديث لنسائر العصر، إذ أنه من غير المعقول أن نأتي في القرن الحادى والعشرين ونقول برجم الزاني والزانية رغم رضا الطرفين، أو نقطع يد السارق، أو نقتل القاتل فيزداد عدد القتلى، فنحن ننظم الحياة بالطريقة التي نراها، ونسائر الحضارة، ولا نعود إلى عصر الجمال والحميز.

ج٩٧- قبل أن نجيب على هذا لا بد أن نعرف ما هي العلمانية؟ إن العلمانية هي اتباع العلم ونبذ الدين، أى تحكيم العلم في جميع شئون الحياة، وجعل الدين قاصراً على دور العبادة والعبادات، مثل الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات التي لا شأن لها بالسياسة، ولا الاقتصاد، ولا الفنون، ولا أى شىء من شئون الحياة. وقد ظهرت العلمانية في أوروبا، في عصر النهضة، بعد عام ١٥١٦م بعدما قامت الثورة الفرنسية، وكان شعارها

(اشنقوا آخر قسيس بأمعاء آخر نبيل، أو اشنقوا آخراً نبيل بأمعاء آخر قسيس) والنبيل معناها عندهم (الغني أو الإقطاعي) ذلك لأن الكنيسة في أوروبا وقفت حجر عثرة في طريق التقدم والحضارة، فكانت تحكم على كل جديد بالحُرْمَة، وأنه من عمل الشيطان، وحاربت العلم والعلماء، لدرجة أنهم أعدموا بعض المكتشفين والمخترعين، مثل (جاليليو) الذي قالوا عنه إنه يريد أن يرى الرب، وكانت في حالة من التخلف والقفارة لدرجة أن طارق بن زياد حين فتح الأندلس، ووصل إلى مشارف فرنسا، وجدها لا تعرف الاغتسال، كمثيلاًها من دول أوروبا التي كانت تُسَمَّى ببلاد الهَمْجِ الهامِجِ، لدرجة أنهم كانوا يعتبرون الاغتسال عقوبة، وكانت عندهم حمامات يغسلون فيها من يريدون معاقبته، فلما كثر فيهم تقتيل العلماء، وتعذيبهم، ومنعهم من العلم، بفتاوى هؤلاء القسيسين، وتحكّم فيهم الأغنياء، وأذلّوهم، وساموهم سوء العذاب، ثار عليهم دُعاة النهضة والإصلاح، وقتلوا القساوسة والنبلاء، ونادوا بفصل الدين عن الحياة، فهَمَّشُوا الكنيسة، وجعلوها قاصرة على العبادات فقط، وليس لها أي دخل في شئون الحياة، وانطلقوا في أبحاثهم، وتقدموا في علومهم التي اقتبسوها من علماء المسلمين في الأندلس، وأصبح منهجهم - إلى اليوم - أن يؤمنوا بالعلم ويحكّمونه في حياتهم، حتى لو خالف ما جاءت به شريعتهم الكنسيّة، وسنّوا القوانين، وأقاموا نُظُم الحكم على أساس تفكيرهم، بغض النظر عن دينهم ورجاله. أما الإسلام فلم يقف كحجر عثرة في طريق العلم، ولم يعاقب العلماء، ولم يحرم ما يقومون به من أبحاث علمية نافعة كما فعلت الكنائس في أوروبا في القرون الوسطى، وكذلك فإنه لم يفرق بين الدين والدولة، فليس فيه (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) بل {إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} [آل عمران: ١٥٤] {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُبْرِتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

ثم كيف نحكم أنفسنا بأنفسنا؟ إننا ضعفاء قاصرو العلم والفكر، ولا نعلم الخير لأنفسنا كما يعلمه ربنا، وكذلك الشر، ونختلف فيما بيننا في تصوّر هذا الخير والشر، وكل منا له وجهة نظره التي يعتبرها أفضل من وجهة نظر الآخرين، وهذا لا يجمع شمل الناس على منهج واحد، كما نرى دولاً شيوعية وأخرى رأسمالية، ودولاً اشتراكية وأخرى ديمقراطية،

وكل من هؤلاء يظن أن نظامه أفضل من النظم الأخرى. إن صانع الشيء هو الذى يعلم ما يصلحه وما يفسده، وهو الذى يضع له قوانين تشغيله وحمايته (وهو ما يسمى بالكتالوج) فهل تُصلح سيارتك عند الجزار؟ أو غسالتك عند النجار؟ - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - فالذى خلقنا هو الذى شرع لنا قوانين حمايتنا، وسعادتنا، بما وضعه لنا من منهج حياتنا {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤] أما الحدود - سواء حد القتل أو السرقة أو غير ذلك - فقد أجبنا عنها فى مواضعها.. وبالله التوفيق. والواقع أكبر شاهد على انتشار جرائم الزنى، والسرقة، والقتل، فى البلاد التى لا تطبق شرع الله جل وعلا، وكثُرَ فيها تحايل الناس على القوانين الوضعية بتقديم الشهادات الطبية التى تدعى أن حالتهم النفسية غير سوية، حتى لا تطبق عليهم العقوبات الوضعية، كعقوبة القتل أو السرقة أو غير ذلك.

إن الإسلام عقيدة وعمل، وهذا العمل يشمل العبادات، وجميع شئون الحياة السياسية، والاقتصادية والثقافية.. إلخ. وهل أتى بالشُرور والمصائب فى البر والبحر إلا مخالفة الشرع؟ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١] وهل أتى بالأمراض المهلكة، مثل الإيدز، والسيلان، والجذام والزُهري، وغير ذلك من الأمراض والأوبئة إلا مخالفة الشرع؟ حتى جنون البقر فسببه مخالفة الشرع، لأنهم أطعموه العلف المصنوع مما نَفَقَ وتبقى من الأبقار، والحيوانات الأخرى بعد تجفيفها وطحنها، قال رسول الله ﷺ: "يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركون: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سَلَطَ اللهُ عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل، ويتحرروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم" [صحيح الجامع: ٧٩٧٨]، إن أعلى معدلات الجرائم من سرقة، واغتصاب، وقتل، هى فى الدول التى لا تدين بالإسلام، أو التى لا تحكِّم شرع الله، حتى إن أمريكا -

وهي أكثر الدول تقدماً - بما أعلى نسبة من حوادث السيارات في العالم، وذلك بسبب الخمر. وليست خطورة الخمر قاصرة على هذه الحوادث، بل إنما السبب في انتشار الكثير من أمراض الكبد والكلى، فلو كان رأيهم عن العلمانية صحيحاً لكانت هذه الجرائم والأمراض عندهم أقل من البلاد التي تطبق الشريعة (كالسعودية مثلاً) إن تطبيق الشريعة يجعل الإنسان آمناً على نفسه وماله وعرضه، حافظاً لبدنه وعقله، وذلك بما شرعه الله له من قوانين حمايته مما يضره، وبما شرعه من الحدود الرادعة لمن يتعدى عليه بقتل، أو قطع طريق، أو سرقة، أو اغتصاب، أو غير ذلك. إن من قُطعت أيديهم بسبب السرقة من عهد الرسول ﷺ إلى عهد علي بن أبي طالب ؓ ستة أفراد، وكان تطبيق الحدود في هذه الفترة على أشده، أما الآن - ولغياب تطبيق الحدود - فإن أموال الناس وأقوات الشعوب تُنهب، دون أى رادع من تقوى أو قانون، وهل يفهم الإنسان تنظيم حياته أكثر من ربه؟ وهل فرض علينا الإسلام أن نركب الجمال أو الحمير بدلاً من السيارات؟ وانظروا على أحوال من تسموهم متشددين، أو أصوليين، أو متطرفين - أو حتى من تسموهم إرهابيين - هل حرّموا على أنفسهم ركوب القطارات، والسيارات، والطائرات؟ وهل حرّموا استخدام الثلاثجات، والتليفونات والكمبيوترات، والتلكسات... إلخ؟ فلماذا تظنون أن تطبيق الشريعة يعود بالإنسان إلى عصر الحمير والجمال؟ إن هذا العلماني الذي سأل هذا السؤال لا يريد التقيّد بالشرع، حتى لا يحرم نفسه من ملذاتها وشهواتها، فهو يريد أن يطلق العنان لنفسه دون النظر لعاقبته، والله أعلم.

س٩٨- إن نبيكم يسمح على ظهر الخُفّ في الوضوء، وكذلك أنتم تفعلون، أليس من الأحرى أن تمسحوا على باطن الخف لأنه أقدَر؟

ج٩٨- أولاً: إن الدين بالنقل وليس بالعقل (كما قال علي بن أبي طالب ؓ) ولو كان الدين بالعقل لكان الاغتسال من الغائط أولى من الاغتسال من الجنابة. ثانياً: لو فرضنا أن المسح كان أسفل الخف.. فماذا يحدث لو كان الخف مليئاً بالتراب؟ إن هذا التراب سيتحول إلى طين لو مسحنا عليه بالماء، وسيلوّث المساجد. ولا أقول إن هذه هي الحكمة، ولكنها مجرد فكرة، والله أعلم.

س٩٩- هل الأغنياء الصالحون عندكم أفضل عند الله من الفقراء الصالحين؟ فإن

نبيكم حينما اشتكى له الفقراء من مشاركة الأغنياء لهم في الذكر والطاعة، وتفوقهم بالعتق والصدقة، قال لهم: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}

ج ٩٩- إن القاعدة المعروفة عند المسلمين هي {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣] فالتقوى هي انقياد الوحيد للتفضيل، فربما تفوق الغني على الفقير، أو الفقير على الغني بناءً على هذه القاعدة، وكلاهما مُبتلى {وَتَبْلُوكُمْ بِالنَّيِّبِ وَالْحَيْرِ فَتَنَةٌ} [الأنبياء: ٣٥] فالغني مُبتلى بغناه {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ} [الفجر: ١٥] والفقير مُبتلى بفقره {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر: ١٦] والقاعدة عند العلماء أنه كلما ثقل مالك ثقل حسابك. ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل أبواب الطاعات كثيرة جداً، فمن لا يقدر على بعضها، فيوسع أن يجتهد في البعض الآخر، فمن لا يقدر على الصدقة فأبواب الخير كثيرة أمامه، من صيام وقيام وبر الوالدين وصلة الرحم وإحسان إلى الجار... إلخ. ليس هذا فحسب.. بل إن الفقير الذي يتمنى أن يتصدق ولا يملك فإن الله سبحانه وتعالى يكتب له أجر المتصدقين، قال رسول الله ﷺ: "ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلماً صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله تعالى علماً، ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملتُ بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يجتبط في ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزرهما سواء" [صحيح الجامع: ٣٠٢٤] وقد اختلف العلماء أيهما أفضل؟ الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟ فمنهم من رجح الأول، ومنهم من رجح الثاني. والشاكر ليس معناه الذي يقول الحمد لله، ثم يفعل في ماله ما يشاء بدون أى ضوابط شرعية، ولكن الشاكر هو الذي يُصرّف نعم الله فيما أرضاه، فلا يخرج غناه عن طاعة مولاه، مع قوله الحمد لله، قال رسول الله ﷺ: "نعم المال الصالح مع الرجل الصالح" [صحيح ابن حبان] والصابر ليس بالمتسخط على قدر الله، الذي

يشتكى لخلق الله، ولكنه الصابر المحتسب، الذي لا يلجأ للكسب الحرام، مهما كان فيه، ولا يشتكى لغير الله، ولا يذل نفسه لأحد سواه، قال رسول الله ﷺ: "من سأل شيئاً وعنده ما يُغنيه فإنما يستكثر من جهر جهنم" قالوا: وما يغنيه؟ قال: "قدر ما يغذيه ويعيشه" [صحيح الجامع: ٦٢٨٠] وقال: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل، فيجىء بجمرة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعه" [صحيح الجامع: ٥٠٤١] (هناك تفاصيل في كتب الفقه عن الحالات التي يجوز فيها السؤال)

وهل يعيب ديننا أنه يبحث على الزكاة والصدقة، ويفتح أبواب الخير للغني والفقير معاً؟ أما الغني فسيزيده الله سبحانه وتعالى في الدنيا ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وفي الآخرة سيحازيه على طاعته، وامتنال أوامره، وأما الفقير فيسد حاجته في الدنيا بمعاونة إخوانه، ويجزيه في الآخرة على صبره خير الجزاء ﴿إِنَّمَا يُؤَيِّتُ الْوَفَى الْوَصِيَّةَ لِمَنْ أَحْرَمَهُمْ يَغْتَبِرَ حِسَابًا﴾ [الزمر: ١٠] والزكاة جعلها الله سبحانه وتعالى غير مرهقة للغني، أي أنها ليست عبئاً عليه، فهي ربع عشر ماله (مع اختلافات بسيطة في بعض أنواع المال) وبذلك يسهل عليه إخراجها، ومن ثم يثاب عليها. أما عندكم فالزكاة تعجيزية، بمعنى أنها تطالب الغني بالتصدق بكل ماله، إن كان يريد دخول الجنة، وإن لم يفعل فلن يدخلها، وما هو الدليل من كتابكم المقدس:

بِغِ كُلِّ مَالِكٍ وَوَزَعٍ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونُ لَكَ كَثْرٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَى اتَّبِعْنِي. (لوقا: ١٨٨٢: ٢٢) فلما سمع رجل غني ذلك الكلام من المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حزن لأنه لا يستطيع التصدق بكل ماله، فلما رأى المسيح حزنه قال: ما أعسر دخول ذَوِي الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ. لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله. (لوقا: ١٨٨٢: ٢٤-٢٥)

أما نبينا ﷺ فيقول: "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام" [أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح] أي أن الأغنياء لن يُحرموا من دخول الجنة، ولكنهم سيدخلونها بعد الفقراء بخمسمائة عام، وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى، لأن الفقراء حُرِمُوا فِي الدُّنْيَا، فلا بد أن يعرضهم الله يوم القيامة، والله أعلم.

س١٠٠- إن الإسلام يتدخل في حرية الناس الشخصية التي لا تضر أحداً، مثل تحريم الذهب والحريز على الرجال.

ج١٠٠- إن مسألة تحريم الذهب والحريز على الرجال أمر تعبدى، وليس كما يقول البعض إته منعاً للترف، إذن فلماذا لم يحرم الماس والأحجار الكريمة عليهم؟ فلو كان النهى عنهما منعاً للترف، لكان الأولى منع ما هو أكثر منهما ترفاً. والإسلام لم يحرم على الرجال أنواعاً كثيرة من الأقمشة، ربما تفوق الحريز في ثمنها، ولم يحرم عليهم التزيين، بل إن الله أمرهم به في قوله تعالى: {يَبْنِيْٓءَآدَمَ حُذُوْا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٣١] ولكن بغير إسراف ولا مخيلة، قال رسول الله ﷺ: "كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة" [صحيح الجامع: ٤٥٠٥] ومعلوم أن المحرم على الرجال هو الحريز الطبيعي فقط وليس الصناعى، وحتى الطبيعى مسموح به في حالات الإصابة ببعض الأمراض الجلدية، كما سمح بذلك رسول الله ﷺ.

والذين يتعجبون من تحريم الذهب والحريز على الرجال، يشجعونهم على (الإخفاء) مع ما فيه من حرمانهم مما أحله الله لهم من النكاح والتناسل اللازم لعمارة الأرض، فيقول العهد الجديد (الإنجيل):

لأنه يوجد خصيان وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس. ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات. من استطاع أن يقبل فليقبل (متى: ١٩: ١٢)

مع أن هذا يتناقض مع ما جاء في العهد القلم (التوراة) حيث تقول:

لا يدخل مَخْصِيّ بِالرُّضْ أو محبوب في جماعة الرب. (تثنية ٢٣: ١-٢)، والله أعلم.

س١٠١- إن الإسلام يقف حجر عثرة أمام الإبداع والفنون، خصوصاً السينما والمسرح والأوبرا والباليه، ويعطل الإبداعات والملكات الذكية عند الموهوبين، خصوصاً في مجال الفن.

ج١٠١- عجباً لكم أيها القوم، أتمنون الدعارة والفحش والرذيلة فتناً؟ أى فن هذا الذى يسمح للمرأة أن تنام بجوار رجل أجنبي عنها، بدون أدنى حياء، على مرأى ومسمع من الآخرين؟ بل ويفعل معها ما لو ذكرناه لدُئس هذا الكتاب! إن الذى يرضى عن هذا

- ولو برؤيته أو سماعه فقط - فهو آثم، قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" [صحيح الجامع: ٦٢٥٠] هذا فضلاً عن إشاعة الفواحش والردائل بين الناس، وصرفهم عن دينهم، وتعليمهم فنون السرقة والإجرام وغير ذلك مما تأباه الفطر السليمة. إن هؤلاء الفنانين - كما تقولون - ومن عاونهم على فعلهم، أو أباحه لهم، ليستحق العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فمنهم من يستحق الرجم، ومنهم من يستحق الجلد، ومنهم من يُنفى من الأرض، ومنهم من يُعزَّر.

إن تسميتكم لهذه الأشياء بغير أسمائها كالذى يشرب الخمر ويقول إنها ليست خمرأ، ولكنها بيرة، أو كونيك، أو شامبنيا، أو مشروبات روحية، أو غير ذلك من الأسماء الكاذبة. إن ما يقال عنه (فن الباليه) مستورد من روسيا الملحدة التي لا تدين بدين، ولا تعترف بالخالق العظيم، ولا يرضى من عنده أدنى قدر من الرجولة أن يفعل مع زوجته أو ابنته أو اخته ما يفعل مع هذه الراقصة. ونحن نتعجب.. لماذا لا يُطلق لقب (فنان) على الطبيب الخاذق، أو المهندس البارِع، أو الصانع الماهر؟ لماذا يكون لقب (الفن) قاصراً على الهابطين والهابطات؟ حتى إنه قد وصل الأمر إلى أناس يسبون الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويستهزئون بالله واليوم الآخر، ثم يقال عنهم إنهم مفكرون وأدباء ومُبدعون، ويُكرَّمون ويُعطون أعلى الجوائز، كجائزة (نوبل) فهل الكفر والإجرام والوقاحة إبداع؟ إن هذا قلب للموازنين، ووضع للأمور في غير موضعها، قال رسول الله ﷺ: "سيأتى على الناس سنوات خداعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة، قيل: وما الرويضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة" [صحيح الجامع: ٣٦٥٠]

ونحن نظن أن السائل استباح الرقص والغناء والمزامير لأن كتابه المقدس اعتبر بعض هذه الأشياء من العبادة، حيث يقول:

مُكَلِّمِينَ بَعْضَكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرٍ وَتَسَابِيحٍ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ مَتَرَلِّمِينَ وَمَرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ

للرب. (رسالة بولس إلى أفسس: ٥: ١٩)

غَنُّوا لِلرَّبِّ أَغْنِيَةَ جَدِيدَةً (إشعيا: ٤٢: ١٠)

فأخذت مريم النبية أخت هارون الذئف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهن مريم. رثموا للرب فإنه قد تعظّم. (خروج ١٥: ٢٠-٢١)

اسمعوا كلمة الرب أيها الأمم وأخبروا في الجزائر البعيدة وقولوا مُبَدَّد إسرائيل يجمعه ويحرسه كزراع قطيعة. لأن الرب فدَى يعقوب وفكّه من يد الذى هو أقوى منه. فيأتون ويرثمون في مرتفع صهيون ويجرّون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت وعلى أبناء الغنم والبقر. وتكون نفسهم كحثة رثا ولا يعودون يذوبون بعد. حينئذ تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معاً وأحوّل نوحهم إلى طرب وأعزّيهم وأفرّحهم من حزنهم. وأروى نفس الكهنة من الدّسم ويشبع شعبي من جودى يقول الرب (إرميا ٣١: ١٠-١٤) (نلاحظ رقص الرجال والنساء مع بعضهم)

فأخبر الملك داود وقيل له قد بارك الرب بيت عوبيد أدوم وكل ما له بسبب تابوت الله. فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود بفرح. وكان كلّما خطا حاملوا تابوت الرب ستّ خطوات يذبح ثوراً وعجلاً معلوفاً. وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب. وكان داود منتطقاً بأفود من كتان. فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق... فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه في مكانه في وسط الخيمة التى نصبها له داود وأصعد داود مُحْرقات أمام الرب وذبائح سلامة. ولما انتهى داود من إصعاد المحرقات وذبائح السلامة بارك الشعب باسم رب الجنود. وقسم على جميع الشعب على كل جمهور إسرائيل رجالاً ونساء على كل واحد رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب... فقال داود لميكال إنما أمام الرب الذى اختارنى دون أهلك ودون كل بيته ليقمى رئيساً على شعب الرب إسرائيل. فلعبتُ أمام الرب. (صموئيل الثانى ٦: ١٢-٢١) هل هذا يُعقل؟ نبي يرقص ويوزع الخمر ويلعب؟ وأمام من يلعب؟ يلعب أمام الرب؟ وهل الله سبحانه وتعالى يرضى عن هذا اللعب؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، والله أعلم.

س ١٠٢- لماذا يقول القرآن: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء: ٢٤] ولماذا يقول نبيكم: "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة" [صحيح الجامع: ٥٢٢٥] أليس هذا تفضيلاً للرجل على المرأة؟

ج ١٠٢- لقد ورد قدر كبير من الرد على هذه الشبهة في الرد على الشبهة رقم (٧١) وهو مختصر في كون الرجال أرحح عقلاً، وأصوب رأياً، وأقوى جسداً، وأكثر تحملاً، وأضبط لعواظهم من النساء. وقوامه الذكر على الأنثى أمر فطرى حتى في المملكة الحيوانية، ولو أننا قمنا بعمل استطلاع للآراء، لوجدنا أن معظم النساء يفضلن قوامه الرجل عليهن، حتى في الدول البوذية التي لا تدين بدين، ولا تؤمن برب العالمين. فالزوجة اليابانية - على سبيل المثال - مشهورة بأنها أفضل الزوجات، وذلك لحسن تبعلها وطاعتها لزوجها، وقد ملّت النساء الأوربيات من تحملهن للمسئولية كالرجال، واشتقن للعودة لبيوتهن، وتربية أطفالهن، كما دلّت على ذلك نتائج استطلاع آراء النساء في تلك البلاد، والنساء أنفسهن يحتقرن الرجل الذي يخضع لامرأته، ويصفنّه بعدم الرجولة. ونودّ هاهنا أن نورد بعض الأدلة من الكتاب المقدس على تفضيل الرجل على المرأة، وأنها لا بد أن تخضع له، ولا يخضع لها، بل لا بد أن تتعلم منه، ولا يتعلم منها، فيقول:

أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة. وهو مخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء. (الرسالة إلى أفسس ٥: ٢٢-٢٤)

فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يُزَيّن أنفسهن خاضعات لرجالهن كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها. (رسالة بطرس الأولى ٣: ٥-٦)

فإن الرجل لا ينبغي أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١١: ٧-٩) ولكن لست أذن للمرأة أن تُعَلِّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت. (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١٢) ولذلك فإن اليهود لا يسمحون للمرأة أن تكون من الأبحار، أو الحاخامات، ولا يسمح النصارى لها أن تكون شماسة أو قسيصة أو مُطْرانة... إلخ، ثم يطالبوننا بأن نسمح لها بالولاية العامة!

إن قوامه الرجل على المرأة لا تعنى أنه يقهرها أو يذلّها أو لا يعطيها حقها، بل تعنى

تحمله للمسئولية أكثر منها، قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٦﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَبْدِلَ زَوْجَ مَكَانٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِيَّاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ءَاتَاخُذُوهُنَّ بِهِتَنًا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٧﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِثْلًا غَلِيظًا} [النساء: ١٩-٢١] {هُنَّ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧] {وَلَا تُسِيكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا} [البقرة: ٢٣١] {وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ} [الروم: ٢١] {وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَّمْنَاهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلِيمٌ دَرَجَةٌ} [البقرة: ٢٢٨] وهذه الدرجة التي للرجال دون النساء هي درجة القوامة، وقد توعد رسول الله ﷺ من يظلمهن بقوله: "إني أخرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة" [صحيح الجامع: ٢٤٤٧] وكان يوصي بمن في قوله: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبَتْ ثَقِيْمُهُ كسرتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً" [صحيح الجامع: ٩٦٠] "ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا كُنَّ له سِتْرًا من النار" [شعب الإيمان للبيهقي، صحيح الجامع: ٥٣٧٢] "من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ له سِتْرًا من النار" [صحيح الجامع: ٥٩٣٢] "حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يُقَبِّح، ولا يهجر إلا في البيت" [صحيح الجامع: ٣١٤٩] "ولا يُقَبِّح" أى لا يسب، ولا يشتم، ولا يفعل أفعالاً تؤذيها أو تهينها، وكان ﷺ يحسن معاشرته زوجاته رضى الله عنهن وأرضاهن، ولما سُئِلَتْ عنه السيدة عائشة قالت: "كان يَحِيْطُ ثوبه، ويخفف نعله، ويفعل ما يفعله الرجال في بيوتهم" [صحيح الجامع: ٤٩٣٧] وكان ﷺ يقول: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" [سنن الترمذى وابن ماجه، صحيح الجامع: ٣٣١٤] وكان عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - يقول: إني لأتزين لامرأتي كما أحبُّ أن تتزين لى. ولكن بالرغم من أن للمرأة مثل الذى عليها، إلا أنه لا بد للأسرة من قائد حتى تنضبط أحوالها، ويستقيم أمرها، وإلا- لانفرد كل فرد فيها برأيه وتصرفاته، ولتمزق شملها، ولم يستقر

أمرها، والمثل الشعبي يقول: (المركب التي لها رئيسان تفرق) فكما أن الدولة لا بد لها من رئيس واحد، فلا بد للأسرة من رئيس واحد، وكما أنه لا ينبغي للحاكم أن يستبد برأيه دون استشارة شعبه، فلا ينبغي للرجل أن يستبد برأيه دونها، بل يستشيرها كما استشار رسول الله ﷺ السيدة أم سلمة - رضی الله عنها - في أمر أصحابه ﷺ حينما تباطأوا في حلق رعووسهم، ونحر هديهم، من شدة حزنهم على عدم دخولهم الحرم عام صلح الحديبية. أما الحديث الوارد في السؤال بشأن تولى المرأة لأمر الدولة.. فما قلناه عن قوامة الرجل عليها، نقوله على توليها الحكم، فإذا كانت لا تصلح للقوامة على زوجها، فكيف تصلح للقوامة على بلدها؟ ولا أدلّ على عدم صلاحيتها للحكم من واقع العالم اليوم، فلو نظرنا إلى أشد الدول مُطالبَة لحقوق المرأة، ومشاركتها في الحكم، لوجدنا أن عدد النساء الحاكِمات - أو المشتركات في الحكم - قليل جداً بالنسبة للرجال، وعلى سبيل المثال: البيت الأبيض الأمريكي، الكونجرس ومجلس الشيوخ الأمريكي، مجلس الأمن، الأمم المتحدة، الكنيسة الإسرائيلية، مجلس الدوما الروسي، محكمة العدل الدولية في لاهاي، البرلمانات ومقار الحكم في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وإيطاليا.. إلخ.

ونقول للعالم أجمع، ولن يثير الشبهات حول حقوق المرأة في الإسلام: والله ثم والله ثم والله.. إن الذي ظلم المرأة في الدول الإسلامية ليس الإسلام، ولكنه الرجل الذي لم يمتثل لأمر ربه جل وعلا، ولا لأمر نبيه ﷺ في تكريم المرأة، فأعطى بذلك صورة مشوهة لدينه، والإسلام بريء من ذلك، فالمرأة في الإسلام هي الأم والأخت والزوجة والبنات والحالة والعمّة، وهي نصف المجتمع، وأمّ للنصف الآخر، فكيف لا نكرمها؟، والله أعلم.

س١٠٣- نحن نرى أن رمضان يتسبب في قلة الإنتاج، نظراً لجوع الناس وعطشهم، فترى الموظفين في المصالح الحكومية نائمين على المكاتب، والعمّال متكاسلين، وإذا سألتهم اعتدروا بقولهم: إنه رمضان.

ج١٠٣- إن هذه التهمة قديمة من بداية حكم العلمانيين لبعض البلاد الإسلامية، وهم السبب في ذلك.. لأنهم يقومون أثناء شهر رمضان بعرض مئات الفوازير والأفلام والتمثيليات والمسرحيات والحفلات ومباريات كرة القدم، ويُحشد التلفاز - على غير العادة - بكل هذه السهرات الفاسدة إلى أذان الفجر وبعده، والشباب يلعبون كرة القدم

في الشوارع ليلاً، والرجال والنساء يسهرون على المقاهى في الأحياء الشعبية، وتقام الأُمسيات الشَّعرية، والصالونات الأدبية، وكأنه شهز السهر والمجون، وليس شهر العبادة، فمن الطبيعي أن ينهب الناس إلى أعمالهم في حالة من الإعياء الشديد، حتى أن طلبة المدارس والجامعات لا يستطيعون استيعاب دروسهم. فأجهزة الإعلام بدلاً من أن تعلم الناس دينهم، وتقربهم إلى ربهم في هذا الشهر الكريم.. حولته إلى لعب وهو، وغير ذلك مما لا يرضى الله سبحانه وتعالى، ثم بعد هذه الحيل الماكرة، والسهرات الطويلة المرهقة يَتَّهم شهر رمضان بأنه يتعب الناس ويعطل الإنتاج، في حين أنه شهر البركة وشهر الانتصارات والفتوحات الإسلامية. ولو أن المسلمين صلوا العشاء والتراويح ورجعوا إلى بيوتهم ليناموا مبكرين، ثم استيقظوا قبل الفجر بساعة ليتسحروا ويصلوا الفجر في جماعة، ثم ناموا مرة أخرى قبل العمل، نَمًا حدث ما تحدث عنه من تكاسل العمال ونوم الموظفين على المكاتب، ولو أنهم أحرأ السحور كما أمرهم نبيهم لكان سبباً في عدم إحساسهم بالجوع والعطش الذي تحدث عنه، وكان سبباً في نشاطهم، قال ﷺ: "لا تزال أمتي بخير ما عَجَّلوا الإفطار وأَخَّروا السحور" [مُسند أحمد] ومما زاد الطين بِلَّةً ظهور هذه الفضائيات الخبيثة - إلا قليلاً منها - وما يَبُث فيها من برامج تافهة وأخرى فاسدة مفسدة، جعلت الناس لا يسهرون على معصية الله في رمضان وحده، بل في السنة كلها. ونحن نتحدى أى دولة في العالم، أن يسهر أهلها لوقت الفجر لمدة شهر كامل، ثم يستطيعوا أن يُنتجوا، أو يذهبوا لأعمالهم بنشاط، حتى ولو كانوا غير صائمين، والله أعلم.

س ١٠٤ - إن الإسلام لا يعطى المرأة حقها في اختيار زوجها، ولكن وليها هو الذى يتولى تزويجها، فيقول نبيكم: "لا نكاح إلا بولي" [صحيح الجامع: ٧٥٥٥] ويقول: "أيا امرأة تُكِّحَت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل" [صحيح الجامع: ٢٧٠٩]

ج ١٠٤ - إن الإسلام لا يبيح لولى المرأة أن يفرض عليها زوجاً معيناً، ولكنه في الوقت نفسه لا يطلق لها العذة لتختار من شاءت، ولو كان غير صالح لها، فالمرأة عاطفية بطبعها، وغالباً ما يتحكم فيه قلبها دون عقلها، وتستميلها المظاهر الخادعة، والكلمات العذبة، والوعود الكاذبة، وربما تتمنى الزواج بمن لا دين له ولا خُلُق، بل لمجرد جماله أو ماله أو

منصبه، أما وليها فهو أدرى بمصلحتها، ومن يصولها ولا يهينها. ولكن الإسلام لا يطلق الحبل على الغارب لأولياء الأمور ليتحكموا فيمن يتولونهم من النساء - سواء بناهم أو أخواتهم، أو من هن تحت ولايتهم - فلا يبيح للولي أن يزوجها من تارك الصلاة، أو شارب الخمر، أو سباب الدين... إلخ، ولا يحل له أن يزوجها ممن لا رغبة لها فيه، ليتحقق له بهذا الزواج مصلحة شخصية، أو منفعة دنيوية، ومن حقها أن ترفض من يريد أن يجبرها على الزواج منه. ولا يحل له أن يحجزها عنده، ويتركها للعنوسة، ليستفيد من مالها، إن كان لها دخل خاص بها، ولا يحل له أن يمنعها من الزواج من الكفاء إذا تقدم لخطبتها، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] وقال رسوله ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" [صحيح الجامع: ٢٧٠] وإذا منعها من الزواج ممن تقدم لخطبتها وكان كفواً لها فنسقط ولايته عليها وتنتقل لمن بعده من أقربائها، وإن لم يكن لها ولي فولي الأمر - أو من يحل محله كالقاضي - وليها.

إن الإسلام - كما قلنا - لا يفرض على المرأة زوجاً معيناً، أما الكتاب المقدس فيفرض الزواج في بعض الأحيان على الرجل والمرأة معاً، وذلك في حالة المرأة التي مات عنها زوجها ولم ينجب منها، وكان لهذا الميت أخ حي، فيجبره الكتاب المقدس أن يتزوج من امرأة أخيه حتى تنجب منه فيجى ذكر أخيه، أى أن الولد في هذه الحالة يُنسب لعمه المتوفى، ولا يُنسب لأبيه، وإن مات هو الآخر ولم تنجب منه، فتتزوج بأخيه، ثم أخيه... وهكذا، وإليكم الدليل:

إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج. والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحق اسمه من إسرائيل وإن لم يرضى الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجى أن يقيم لأخيه اسماً فى إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج. فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها تتقدم

امراً أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرح وتقول هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيُدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل (تثنية ٢٥: ٥-١٠)

في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلين يا معلم قال موسى إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسله لأخيه. فكان عندنا سبعة إخوة وتزوج الأول ومات. وإذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه. وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة. وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً. ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة. فإنها كانت للجميع. (متى ٢٢: ٢٣-٢٨)، والله أعلم.

س ١٠٥- يقول نبيكم: "أفضل الحجّ العجّ والثجّ" [صحيح الجامع: ١١٠١] و"العجّ" هو رفع الصوت بالتلبية، و"الثجّ" هو إراقة دماء الهدى، وتقولون إن الله يحب إراقة دماء الأضاحي في العيد، فماذا يستفيد الله من إراقة هذه الدماء؟

ج ١٠٥- إن الله سبحانه وتعالى لا يستفيد من هذه الدماء، ولا من غيرها، فهو الغني عن العالمين، والكل فقير ومحتاج إليه، قال تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ} [الحج: ٣٧] ولكن هذا تعظيم لشعائره سبحانه وتعالى {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢] والمستفيد الأول والأخير من هذه الذبائح كلها هو الإنسان، وكون الله يحبها يجعل المسلمين يقدمونها عن طيب نفس لعلمهم بثوابها. وقد جاء في الكتاب المقدس ما هو أشد مما تعجب منه السائل، فقد جاء فيه رش دم الذبيحة على الأبنية والناس، وجاء فيه أن رائحة شواء اللحم هي رائحة سرور للرب سبحانه وتعالى، وإليكم بعضاً مما جاء فيه لأننا لا نستطيع أن نذكره كله لكثرتة:

فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب. وبكر في الصباح وبني مذبحاً في أسفل الجبل واثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثني عشر. وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا مُحْرَقَاتٍ وَذَبَحُوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسى نصف الدم ووضعها في الطسوس. ونصف الدم رشه على المذبح. وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا كل ما تكلم

به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هُوَذَا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال (خروج: ٢٤: ٣-٨)

وتأخذ الكبش الثانى. فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش. فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن هارون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى. وترش الدم على المذبح من كل ناحية. وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هارون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه. فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه. ثم تأخذ من الكبش الشحم والإلية والشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى. فإنه كبش ملاء. ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلّة الفطير التى أمام الرب. وتضع الجميع فى يدي هارون وفى أيدي بنيه وتردها ترديداً أمام الرب. ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب. وقود هو للرب (خروج: ٢٩: ١٩-٢٥)

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً هذه فريضة الشريعة التى أمر بها الرب قائلاً. كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعل عليها نير فتعطونها لأعازار الكاهن فتخرج إلى خارج المَحَلَّة وتذبح قُدَّامَه. ويأخذ الأعازار الكاهن من دمها بأصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتُحَرَّق البقرة أمام عينيه. يُحَرَّق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها. ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفاً وقرمزاً ويطرحهن فى وسط حريق البقرة. ثم يغسل الكاهن ثيابه ويرحض جسده بماء وبعد ذلك يدخل المَحَلَّة ويكون الكاهن نجساً إلى المساء. والذى أحرقها يغسل ثيابه بماء ويرحض جسده بماء ويكون نجساً إلى المساء. ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلّة فى مكان طاهر فتكون لجماعة بنى إسرائيل فى حفظ ماء نجاسة. إنها ذبيحة خَطِيئة. والذى جمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. فتكون لبنى إسرائيل وللغريب النازل فى وسطهم فريضة دهرية (عدد: ١٩: ١-١٠)

لكن بَكْر البقر أو بَكْر الضأن أو بَكْر المعز لا تقبل فداءه. إنه قُدس. بل ترش دمه

على المذبح وتوقد شحمه وقوداً رائحة سرور للرب. (عدد: ١٨: ١٧)
وعُشراً واحداً من دقيق ملتوت بزيث تُقَدِّمَةٌ لكل خروف. مُخْرَقَةٌ رائحة سرور
وقوداً للرب. (عدد: ٢٨: ١٣)

برائحة سروركم أرضى عنكم (حزقيال ٢٠: ٤١) وقد وردت عبارة (رائحة سرور للرب) كثيراً جداً في الكتاب المقدس، وخصوصاً في سفر اللاويين، الإصحاح الأول والثاني، والله أعلم.

س ١٠٦- إن القرآن يحل مشكلة الخيانة الزوجية بمجرد القسم وتنتهي المسألة، فيقول: **﴿وَيَذَرُهَا عَتْبًا آلْعَذَابِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ﴾** **﴿وَالْحَنَمِصَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾** [النور: ٩]

ج ١٠٦- ماذا تريدون أن نفعله مع من أتهمها زوجها بالزنى؟ هل تريدون أن يفضحها، فيأتي بثلاث رجال معه ليشهدوا عليها، فيزيد الطين بلة؟ أم هل تريدون أن نقيم عليها الحد بمجرد شهادته، وقد يكون كاذباً؟ إن الإسلام يفرق بينهما بعد هذه الملائنة، ويكل أمرهما إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يحاسبهما. ولقد جاء في كتابكم المقدس أن الذي يرمى زوجته بالزنى يأتي بها إلى الكاهن، فتكشف رأسها أمامه، ويسقيها ماء اللعنة (وهو ماء مخلوط بتراب)، فإن كانت مخطئة تتورم بطنها، ويصاب فخذها بالشلل، وتصبح ملعونة بين شعبيها، وهذا ملخص ما جاء بهذا الشأن:

وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة... يأتي الرجل بامرأته إلى الكاهن ويأتي بقربانها معها عشر الإيفة من طحين شعير لا يصبُّ عليه زيتاً... فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب ويأخذ الكاهن ماء مقدساً في إناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن ويجعل في الماء... ويكشف رأس المرأة... ويقول الكاهن للمرأة يجعلك الرب لعنة وحلفاً بين شعبك بأن يجعل الرب فخذك ساقطة وبطنك وارماً. ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك لورم البطن ولإسقاط الفخذ. فتقول المرأة آمين آمين. ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ثم يحوها في الماء المُر ويسقى المرأة ماء اللعنة المُر فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة... ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رجُلها يدخل فيها ماء

اللعنة للمرارة فيرم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة في وسط شعبها. وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تثيراً وتجبيل بزرع (عدد: ١١-٢٨) إذا كان ماء اللعنة يفرق بين الخائنة لزوجها والبرية، فهياً اتونا بالكهنة، ليحلوا مشاكل الخيانة الزوجية في العالم، ويوفروا على معام الأبحاث تحليلات الـ (DNA) الباهظة الثمن، والتي تحتاج لتقنيات ومهارات عالية لتثبت نسب الولد لأبيه من عدمه، والله أعلم.

س١٠٧- هناك خلل في بعض حالات الميراث، كما نراه في مسائل العول. ومثاله: ماتت امرأة وتركت زوجاً وأختاً شقيقة وأماً، فلو قلنا: للزوج النصف لعدم وجود الفرع الوارث لبقى في التركة النصف، فلو أعطيناه للأخت لم يبق للأُم شيء، ويضاف لذلك سدس الأم فتعول المسألة.. يعني أن المستحق أكثر من أصل التركة، فكيف تزيد السهام عن أصل التركة؟

ج١٠٧- أولاً: لقد جاء الميراث في الإسلام بعد أن كان المال كله يذهب للقوى من ورثة الميت الذي يستطيع أن يحمى الأسرة، ويركب الدابة من بعده، وليس للفقراء، ولا للإناث فيه من نصيب، بل كانوا يورثون كما يورث المتاع، ف جاء الإسلام بالميراث على هذا النحو ليقطع النزاع، وليعطى كل ذي حق حقه، فميز الذكر عن الأنثى لما يلزمه ولا يلزم الأنثى من الجهاد والنفقة وغير ذلك.

ثانياً: الأحكام تُبنى على الغالب الأعم، وليس للشاذ حكم العَلْبَةِ، بمعنى أن غالب المسائل ليس فيها عول، بدليل أن هذه المسألة لم تحدث في زمان النبي ﷺ ولا في زمان أبي بكر ﷺ وهذا يؤكد أنه أمر نادر، وفي غالب الأحوال يكون الميراث على قدر المسألة.

ثالثاً: كان أول ظهور العول في زمان عمر بن الخطاب ﷺ فجمع الصحابة ﷺ واستشارهم فيه، فاتفقوا على أن ينقص قدر من نصيب كل واحد، حتى لا يُحرَم أحد، ونحن لا ننكره بل نعمل به لأن إجماع الصحابة عليه، ولا تجتمع الأمة على ضلالة. وأخذ بعض ميراث الورثة أفضل من حرمان البعض وإعطاء البعض، إذ ليس أحد منهم أولى من الآخر، وإن وُجدَ بين المسلمين - كابن مسعود ﷺ - يقدم بعض الورثة على بعض في الميراث لقوته، فلا يكون هناك عول، ونحن الأخذ بالعول أضبط وأحكم. هذا ولم يقل أحد بوجود التساوي بين الفروض حتى تكون المسألة صحيحة، وإنما هو فضل الله يوتيهِ

من يشاء. ثم إن هذه المسألة منقوضة بأمر يبيِّن.. ألا وهو (الدَّيْن) فلو افترضنا أن رجلاً مديناً لرجل بمائتين، ولآخر بثلاثمائة، ولآخر بخمسمائة، وهم جميعاً في درجة واحدة، ثم قضى القاضى ببيع جميع ما يجوز بيعه من ماله لوفاء دينه، فلم يجئ من ذلك إلا خمسمائة، فهل يُقدَّم واحد على واحد، بأن نعطي صاحب الخمسمائة، ثم نمنع الباقيين؟ أم نعطي صاحب القليل جميع ماله ثم نعطي الباقيين ما بقى من المال؟ وكيف تقسم هذه المسألة على مذهب هولاء؟ لا شك أن التقسيم باعتبار العول في هذه المسألة أولى وأحكم بأن نعطي كل واحد من الدائنين الثلاثة مما تحصل من المال قيمة ما يناسب دينه بالنسبة إلى مجموع الديون.

رابعاً: هذه الشبهة مردودة أيضاً بالرد، فلو فرضَ أن الميت مات عن بنت وزوجة، وأعطينا البنت النصف، والزوجة الثمن.. فأين يذهب الباقي؟ هل نقول: إن القسمة غير عادلة، لعدم المساواة بين سهام التركة وأصلها، أم أننا نرد الباقي على الوارثتين بحسب ميراث كل واحدة منهما؟ فكما أن الوارث استفاد في حال الرد، فلا حرج أن يقل نصيبه بالعول عند كثرة السهام، والله أعلم.

* * *

شبهات حاكمة حول الرسول ﷺ

س١٠٨- إن محمداً أول من خالف أحكام القرآن في الزواج، فقد أباح القرآن للمسلم أن يتزوج أربعاً، ولكن محمداً كان شهوانياً مجاً للنساء، فكسر القاعدة وتزوج تسع نسوة، والغريب أن القرآن يصفه بأنه {أَشْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]

ج١٠٨- أما لماذا لم يتقيد الرسول ﷺ بأربع لأن آية تحديد الزوجات نزلت ومعه تسع نساء، فلم يطلق الزيادة؟ لأن الله عز وجل حرم زوجاته على المؤمنين لأنهم أمهاتهم {الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦] وفي السورة نفسها {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} [٥٣] فإذا طلقهن فأين يذهبن؟ هل ترضون هذا لبناتكم وأخواتكم وأمهاتكم؟ ولأسباب أخرى كثيرة، فلو طلقهن فإن هذا يجزهن، ويوغر صدور أهلهن، بل وقبائلهن. ربما يقول قائل: إن هذا الكلام ينطبق على أى مسلم إذا طلق زوجته، فإن هذا يجزها ويوغر صدور أهلها، نعم.. ولكن الرسول ﷺ يختلف عن بقية المسلمين، لماذا؟ لأن الغضب أو الضيق من أى مسلم يكون قاصراً عليه، أما الرسول ﷺ فالضيق منه أو الغضب عليه يغضب الله عز وجل، فضلاً عن كونه صديقاً عن سبيل الله. أما لماذا تزوج بأكثر من واحدة؟ فإن هذا كان بأمر الله ولأسباب شرعية، ولنسأل هؤلاء المعرضين: أتزيد الشهوة أم تنقص مع تزايد العمر؟ فلو كان شهوانياً لم لم يعدد في صباه؟ إن الرسول ﷺ ظل ممسكاً على واحدة وهى السيدة خديجة - رضى الله عنها - خمسة وعشرين عاماً هى سنوات شبابه وفتوته، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة، ولم يزوج إلا بعد وفاتها، وبعد أن صار عنده ٥٣ عاماً، وكان منشغلاً بتبليغ الدعوة، وقيام الليل حتى تنفطر قدماه، والجهاد في سبيل الله، واستقبال الوفود، والتصدي لمؤامرات اليهود والمنافقين والقبائل المجاورة، وغير ذلك مما لا يقدر عليه أحد لولا أن الله أعانه، فبربكم.. أمتع كل هذه الأعباء في هذه السن يتبقى له وقت أو جهد للتمتع بالنساء؟ هذا فضلاً عن حياة الزهد التى كان يحيها، حتى إنه كان يربط على بطنه حجرتين من الجوع، وتمر ثلاثة أهلة ولم يوقد في بيته نار (صلوات ربي وسلامه عليه) وفضلاً عن كثرة صيامه، حتى إنه هـى

أتمه عن صيام الرِّصال ويصوم هو لمدة ثلاثة أيام متواصلة، فهل هذا يُقضى له شهوة؟ وهل الشهواني يختار صغيرات السن أم العجائز؟ وهل يختار البكر أم الثيب؟ إن نساء رسول الله ﷺ - رضی الله عنهن - كن كلهن كبيرات السن، ماعدا السيدة عائشة، حتى إن بعضهن كنَّ أسنَّ منه، وهن السيدة خديجة، والسيدة سودة، والسيدة زينب بنت خزيمة، وكن كلهن نبيات، ماعدا السيدة عائشة. ومعلوم أن الرجل الشهواني يحب من زوجته أن تترين وتلبس له أجمل الثياب، فهل هذا كان متاحاً لهن؟ إهن حين طلبن زيادة النفقة أمره ربه أن يخيّرهن بين الطلاق أو البقاء معه على حياة الزهد والتقشف، فقال عز وجل: {يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً} [الأحزاب: ٢٨-٢٩] فاخترن كلهن الله ورسوله والدار الآخرة، فرضى الله عنهن وأرضاهن. لقد كانت كل زيجة لها أسبابها الخاصة، وكانت بأمر الله عز وجل، فمثلاً: السيدة سودة بنت زمعة مات عنها زوجها وكان أهلها مشركين، وكان عمرها حينئذ ستة وستين عاماً، أتت ترك للضياع أم لأهلها المشركين؟ وهل زواج الرسول بها يُعد شهوة، وهي تكبره بحوالى خمسة عشر عاماً؟ والسيدة عائشة رأى في المنام أنها زوجته، قال ﷺ: "أرَيْتَكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ يَحْمِلُكَ الْمَلِكُ فِي سُرْقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفِي عَنْهَا فَإِذَا أَنْتَ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْنُهُ" [صحيح الجامع: ٩١٥] وكان زواجه منها هي والسيدة حفصة إكراماً لهما ولأبويهما، فقد كانا وزيريها، وكان زواجه من بنتيهما يتيح لهما التردد عليه وزيارته بغير حرج. أما السيدة أم سلمة، واسمها (هند بنت أبي أمية بن المغيرة) فقد كانت من أصحاب الهجرتين (الحبشة والمدينة) وقد مات عنها زوجها أبو سلمة ﷺ وله من الفضل ما له، وكان في حجرها يتامى يحتاجون للرعاية، فكان زواجه منها إكراماً لها على صبرها وسبقها في الإسلام، وإكراماً لزوجها برعايتها بعده ورعاية أولاده، فقد كان ﷺ يدعو الله أن يزوجهما من بعده من هو خير منه. وحتى ندرك أنه ﷺ لم يكن شهوانياً.. إنه في ليلة زواجه منها لم يجد أبناءها، فسألها عنهم، فأخبرته أنهم ذهبوا لخالهم، فلم يرضَ بذلك وأمرها بردهم، وقال: "من فرّق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة" [سنن الترمذی،

صحيح الجامع: [٦٤١٢] وكان يلاطفهم، ويلاعبهم، ويضعهم على حجره، ويأكل معهم، صلوات ربي وسلامه عليه. أما السيدة أم حبيبة، واسمها (رملة بنت أبي سفيان) فقد ذاقت من أبيها وأخيها الوليات، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وهناك تنصّر زوجها، فأصبحت وحيدة، فبعث الرسول ﷺ للنجاشي أن يخطبها له إكراماً لها، فلو أنها رجعت لأهلها لساموها سوء العذاب. والسيدة زينب بنت جحش - بنت عمته - زوجها الله له لإنهاء التبنّي الذي كان سائداً قبل الإسلام. والسيدة جويرية بنت الحارث كانت ضمن سبى غزوة بني المصطلق، وأبوها الحارث بن أبي ضرار زعيم القبيلة، فلما عاد الرسول ﷺ إلى المدينة ذهب إليه أبوها ليفتديها بقطع من الإبل، ولكنه عندما وصل إلى مكان يسمى (العقيق) نظر إلى الإبل فأعجبه منها اثنان، وضمنّ بهما على المسلمين فقيّهما (حجّاهما) ثم أتى الرسول ﷺ وقال: لقد سبيتم ابنتي وهذه الإبل فداؤها، فقال له الرسول ﷺ: "أين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا؟" فقال الحارث: والله ما شهد ذلك أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فطلب منه أن يزوجه له فزوجه إياها، فانظروا كيف كان إكرامها وإكرام أبيها بعد إسلامه، بل وإكرام أهلها، ليس فقط أن يعتقها، بل أن يتزوجها خير خلق الله صلوات ربي وسلامه عليه، وكانت بركة على قومها، فقد أعتق الصحابة ﷺ كل من في أيديهم من أسرى بني المصطلق - وكانوا نحو مائة - إكراماً لأصهار النبي ﷺ. والسيدة زينب بنت خزيمة كانت أسنّ منه، وكان زوجها قد استشهد في غزوة أحد، ولم يكن لها أحد يؤولها، فتزوجها الرسول ﷺ وكانت تسمى (أم المساكين) لكثرة إنفاقها على الفقراء والمساكين. والسيدة صفية بنت حنّى بن أعطب اليهودي كانت قد سبّيت في غزوة خيبر، التي قُتل فيها زوجها وأبوها وأخوها وعمها، فحررها رسول الله ﷺ وتزوجها إكراماً لها ومواساة ورحمة. أمّا كيف تزوجه بعد قتل كل هؤلاء؟ ذلك لأنها كانت قد رأت في المنام أن القمر في ليلة البدر وقع في حجرها، وحين قصّت الرؤيا على أهلها لطمها عمها على وجهها، وقال لها: أتريدين أن تتزوجي نبي العرب؟ ولا يخفى أن زواجه من هؤلاء النسوة كان تودداً لأهلهن وقبائلهن، ليكون دافعاً لهم للدخول في الإسلام. وهناك حكمة أخرى هي معرفة سيرته في بيته، فإن الإنسان قد يبدو أمام الناس بمظهر العالم العابد التقى الورع، ولكن لا يستطيع أن يفعل هذا في

بيته، فأعلم الناس به هي زوجته، ولم تكن واحدة تكفى لذلك، لأنها إن أُخبرت عن سيرته العطرة فرمما كانت تُتَّهم بالتستر عليه لحبها له، أو تُتَّهم بانشغالها بأعباء الزوجية وشؤون البيت عن ملاحظة أحواله، أو بالنسيان، أما عندما تتواتر أخباره من عدة نساء - وخصوصاً أن هن ضرائر - فإن هذا أبلغ في التصديق، فمن طبيعة المرأة أنها تحب زوجها وتستر عليه طالما أنه لها وحدها، أما لو أن لها ضرائر فإن هذا ادعى لبغضه وإفشاء عيوبه، ولو بعد موته - كما يحدث بعد موت الرؤساء والزعماء - وخاصة ممن قُتِلَ من أهلها على يديه قبل إسلامها، كالسيدة صفية والسيدة خويرية، أما وقد اجتمعن كلهن على مدحه، وأن سره مثل علانيته في الصفاء والنقاء والتقوى، فإن هذا ادعى لتصديقهن رضی الله عنهن وأرضاهن، ولو حدث أى شيء يخالف ذلك لأصبح شائعاً، كما شاعت القصة التي وردت في سورة (التحريم) {وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ بِهِ} إلى آخر الآية. كما أن كثرة بيوتات النبي ﷺ جعلت منها مصادر لنشر الدين والأخلاق والتشريع.. وخاصة في أمور النساء التي لا يعرفها الرجال.

وهؤلاء المغرضون الذين يقذفون بالتهم على سيد الخلق ﷺ يُقرُّون في كتابهم المقدس أن أنبياءهم تزوجوا بعدد كبير من النساء، كما ورد فيه عن سيدنا داود (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) أنه تزوج نساء كثيرات: وَوُلِدَ لِدَاوُدَ بَنُونَ فِي حَبْرُونَ. وكان بكره أمنون من أخينوعمَ اليزرعيلية. وثانيه كيلاّب من أبيجايل امرأة نابال الكرملى. والثالث أبشالوم ابن مَعَكَة بنت تلماي ملك جشور. والرابع أدونيا ابن حجيث. والخامس شفتيا ابن أبيطال. والسادس يثرعام من عَجلة امرأة داود. هؤلاء ولدوا لداود في حبرون (صموئيل الثاني: ٣: ٢-٥) كما سُمِحَ له أن يتزوج بعدد غير محدود من النساء: فقال ناثان لداود أنت هو الرجل. هكذا قال الرب إله إسرائيل. أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حُضْنِكَ وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا. (صموئيل الثاني: ١٢: ٧-٨)

وجدعون كان نبياً باعترافهم، والدليل على نبوته ما جاء في (قضاة: ٦: ٧-٢٤) وقد

تزوج بعدة نساء:

وكان لجدعون سبعون ولداً خارجون من صُلبه لأنه كانت له نساء كثيرات. وسرّيته التي في شكيم ولدت له هي أيضاً ابناً فسماه أيمالك. (قضاة٨: ٣٠-٣١) (سرّيته) معناها أمتة أو جاريتها.

ويكفي ما ورد في كتابهم عن سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام: وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراي فأملت نساؤه قلبه. (الملك الأول١١: ٣) ولو كان هذا محرماً في شريعتهم لحرمه عليهم أنبياءهم.

ونقول لهؤلاء: إن تعدد الزوجات بالنسبة للرسول ﷺ كان تقييداً وليس إطلاقاً، لأن في مقدور أى مسلم أن يتزوج ويطلق ويتزوج ويطلق، حتى ولو عشرين امرأة، بشرط ألا يجمع أكثر من أربع في آن واحد، وألا يكون زواج متعة (مقيداً بوقت) أما الرسول ﷺ فلم يُسَمَح له بأن يتزوج بغيرهن، حتى لو ماتت إحداهن أو كلهن {لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} [الأحزاب: ٥٢]، والله أعلم.

س١٠٩- كيف يتزوج رسولكم طفلة عمرها ٦ سنوات وهو في سن الشيخوخة، والفارق بينه وبينها ٤٤ سنة؟

ج١٠٩- أترضون لأنبيائكم الزنى والسرقه وشرب الخمر (وحاشاهم) ولا ترضون لنبينا الزواج؟ {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} وكان الأولى بكم أن تقرأوا ما في كتابكم المقدس قبل أن تلقوا باللوم على غيركم.

ثم إنه قد جاء في (الموسوعة الكاثوليكية العالمية) التي يعتمدها الفاتيكان، وجميع الكنائس الكبرى، باعتبارها مرجعاً علمياً معتمداً.. أن يوسف النجار خطيب السيدة مريم (على حد قولهم) كان عمره ٩٠ عاماً، وكان عمر مريم - رضى الله عنها - في وقت حملها ما بين اثني عشر عام إلى أربعة عشر.

إن الرسول ﷺ عقد على السيدة عائشة - رضى الله عنها - وهي بنت ست سنين، ولم يَبْنِ لها إلا وهي بنت تسع، ومعلوم عند أطباء النساء أن كثيراً من البنات يبلغن في هذه السن المبكرة لأسباب بيئية ووراثية وغذائية، وخصوصاً في البلاد الحارة مثل الجزيرة العربية، وقد مر بنا أنه رأى في المنام أنها زوجته، فكان زواجه منها بأمر الله عز وجل، وله سبحانه وتعالى حكم كثيرة بالإضافة إلى ما ذكرناه من إكرام أبيها، فقد سبق في علمه

سبحانه وتعالى ما ستكون عليه من الحكمة والفتنة والذكاء بحيث تعى جيداً ما يقوله الرسول ﷺ وما يفعله في بيته (وخاصة في هذه السن المبكرة) فتنقله للأمة ليقنتوا به، كما يقولون: (التعليم في الصغر كالنقش على الحجر) فقد عاشت - رضى الله عنها - بعد الرسول ﷺ حوالي سبعة وأربعين عاماً علّمت فيها الصحابة رضي الله عنهم والتابعين سنته، حتى إنهما بقيتا إلى زمن تدوين الأحاديث، فنقل عنها الكثير والكثير، وتعد الثالثة في رواية الأحاديث بعد أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ولو كانت كبيرة السن كبقية نساته لَمَا عَمَّرت بعده زمناً طويلاً ولَمَا أفادت في بيان أحاديثه وسنته للأجيال المتعاقبة إلى يوم الدين، وخصوصاً الأشياء التي لا يطلع عليها أحد، مثل معاملة الرجل لزوجته وأهل بيته، وأمور التطهر من الجنابة، وما للزوج من امرأته أثناء الصيام أو الحيض، وكذلك الأمور التي تتعلق بالمرأة وتستحي أن تسأل عنها الرجال، وغير ذلك كثير، فجزاها الله عتاً خيراً الجزاء. والساتل قد حكم على هذا الزواج بنظرة القرن العشرين، ولم ينظر إليه بنظرة البيئة التي كان يعيش فيها الرسول ﷺ، فقد كان هذا في زمنه أمراً عادياً، إذ لم يكن الرسول ﷺ أول من تزوج بفتاة تصغره بهذا السن، فقد تزوج جده عبد المطلب من هالة بنت وهيب، وهي الصغيرة في السن، مثل زوجة ابنه عبد الله، آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ، وتزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في سن جدها، والمشركون واليهود والنصارى كانوا يتمنون للرسول ﷺ أى هفوة أو زلة، فلو كان هذا الأمر غريباً عليهم لشنعوا به، ولفضحوه بين القبائل، ولكنه كان أمراً عادياً كما أسلفنا.

والآن نستعرض بعض ما جاء بشأن الأنبياء في الكتاب المقدس:

وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي. فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلت. فأرسل داود إلى يوباب يقول أرسل إلى أوريا الحثي. فأرسل يوباب أوريا إلى داود... ودعا داود فاكل أمامه

وشرب وأسكره... وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوبأ وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول. اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه. فيضرب ويموت... أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً.

(ملخص ما ورد في صموئيل الثان: الإصحاح ١١)

وحدث لما أخرب الله مدن الدائرة أن الله ذكر إبراهيم وأرسل لوطاً من وسط الانقلاب. حين قلب المدن التي سكن فيها لوط وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحى من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه. فنحى من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموءابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى. وهو أبو بني عمون إلى اليوم (تكوين ١٩: ٢٩-٣٨)

وجاء في الكتاب المقدس اقتراءً على سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أنه تزوج من بنت الملك شاول، وقدم لها أعجب مهر في الدنيا.. أتدرون ما هو؟ لقد اشترط الملك عليه أن يأتي بمائة غُلفَة من غُلفِ الفلسطينيين، فكان داود أكرم منه ودفع مهرها مئتي غُلفَة، وإليك الدليل:

فقال شاول هكذا تقولون لداود ليس مَسْرَةَ الملك بالمهر بل بمئة غُلفَة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين. فأخبر عبيده داود بهذا الكلام فحسن الكلام في عيني داود أن يصابه الملك. ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى بغُلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك. فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة. فرأى شاول

وعلم أن الرب مع داود. (صموئيل الأول: ١٨-٢٥) (الغُلْفَة) هي الجلدة التي تُقَطَّع من الذكر عند ختانه، والله أعلم.

س ١١٠- إن نبيكم رأى زينب بنت جحش فأعجبته وأحبها فأمر زيد بن حارثة أن يطلقها ليتزوجها استغلاً لعبودية زيد بن حارثة له.

ج ١١٠- لقد مر بنا أن زواج الرسول ﷺ من السيدة زينب - رضى الله عنها - كان لإهاء النبي الذي كان سائداً قبل الإسلام، فكان الرجل في الجاهلية لا يتزوج زوجة ابنه الدَّعِي (ابنه بالنبي) ويعتبر هذا عيباً كبيراً، فأراد الله عز وجل أن يُنهي هذا الأمر في شخص الرسول ﷺ ليكون أدعى للاقتداء به، وخاصة أن هذا الأمر كان قد تأصل في النفوس لدرجة كبيرة بحيث يصعب عليهم تركه. ولو كان الرسول ﷺ هو الذي أُلِّف القرآن - كما يدعى المغرضون - أو لو كنتم شيئاً منه لَمَا ذكر هذه الآيات. ولتفكر سويّاً فيما ورد بهذا الشأن في القرآن الكريم: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [الأحزاب: ٣٧] أول دليل يناقض ادعاءهم أنه أمر زوجها أن يطلقها هو قوله عز وجل: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} والثاني - وهو بيت القصيد كما يقولون - أنهم تأولوا الآية الكريمة: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} على أنه ﷺ كان يحبها ويخشى ملامة الناس! فنقول وبالله التوفيق: ما الذي كان يخفيه رسول الله؟ كان يخفى ما الله سيديده. أليس كذلك؟ وما الذي أبداه الله؟ هل أبدى أنه كان يحبها؟ لا - بل إنه سبحانه وتعالى أبدى زواجه منها وإهائه النبي، فمن هذا نعلم أن رسول الله ﷺ كان يخشى أن يُبدى للناس أن الله سيزوجه إياها، لَمَا ذكرناه من تأصل هذه العادة عند العرب لزمان طويل، واعتبار ذلك (أى زواج امرأة الدَّعِي) عيباً خطيراً. وهل كان الرسول ﷺ في حاجة لانتظار سيدنا زيد ﷺ أن يطلقها ليتزوجها؟ إنما ابنة عمته، وكان يعرفها جيداً قبل الإسلام وقبل نزول آيات الحجاب، وكان بوسعها أن يتقدم لخطبتها، ولكنه هو الذي أمرها أن تتزوج زيدا، وكانت ترفض ذلك لشرفها، فهي قُرْشِيَّة حرة وهو عبد، ولكنها عندما نزلت الآية

الكريمة: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب: ٣٦] علمت أنه أمر من الله فوافقت، وكان سيدنا زيد يأتي الرسول ﷺ يشتكى له منها لإحساسه بتعاليلها عليه، فكان يأمره بإسماها مع علمه بأن الله سيزوجها له، فكل الروايات التي ذكرت أنها أعجبتة ضعيفة أو موضوعة. ومن قال إنها ازدادت حسناً بعد زواجها من زيد فإن قوله مردود عليه بأنها كانت ثيباً حين تزوجته ولم تكن بكرًا. ومن زعم أن هذه الآيات ألغت التبنّي لتسمح للنبي بزواجها، نقول له: فلماذا لم تُنسخ هذه الآيات بعد ذلك؟ أو لماذا لم يُخص الرسول ﷺ بهذا الحكم كما خص بعض الأحكام مثل أن تهب امرأة نفسها؟ {وَأَمْرًا مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب: ٥٠] فإن هذا الأمر خاص به وحده، فلا يجوز لأى امرأة أن تقول لأى رجل: (وهبتك نفسى) كما يظن بعض الجاهلين. ثم إن الآية نفسها ترد على هذه المقولة الكاذبة، فقد بين الله سبحانه وتعالى حكمة إلغاء التبنّي في قوله تعالى: {زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} فلو قالت الآية: (لكى لا يكون عليك حرج) لكان زعمهم صحيحاً، ولكنها كانت لرفع الحرج عن سائر المؤمنين.

والذين يلومون على الرسول ﷺ أنه تزوج من مطلقة ابنة بالتبنّي ويعتبرونها خيانة.. جاء في كتابهم المقدس أن يهوذا (جَدَّ معبودهم) لم يتزوج من امرأة ابنة، بل زنى بها، وقد آوردنا الدليل على ذلك في الرد على الشبهة رقم (١٦٣) وجاء فيه أيضاً من قصص الخيانة:

وقال الرب لى اذهب أيضاً أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبنى إسرائيل (هوشع ٣: ١) أى أن الله سبحانه وتعالى (بزعمهم) أمر نبيه هوشع بحب الزانية حبيبة صاحبه كمحبه لبنى إسرائيل!

بالديباج فرشت سريرى بموشى كتان من مصر. عطرت فراشى بمر وعود وقرفة. قلتم تروبو وذا إلى الصباح. نتلذذ بالحب. لأن الرجل ليس فى البيت. (الأمثال ٧: ١٦-١٩)

كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبهها أمنون بن داود. وأحصر

أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء... وكان لأمنون صاحب اسم يوناداب بن شمعي أخى داود. وكان يوناداب رجلاً حكيمًا جداً. فقال له لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح. أما تخبرني. فقال له أمنون إني أحب ثامار أخت أبسالوم أخى. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض. وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دَعْ ثامار أختي فتأتى وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فأكل من يدها. فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك ليراه. فقال أمنون للملك دَعْ ثامار أختي فتأتى وتصنع أمامي كعكتين فأكل من يدها... فأمسكها وقال لها تعالِ اضطجعي معي يا أختي. فقالت له لا يا أخى لا تدلني... والآن كلّم الملك لأنه لا يمنعني منك. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكّن منها وقهرها واضطجع معها. (صوبير الثاني ١٣: ١-١٤) نلاحظ في هذه الفقرة عدّة أمور:

أولاً: أن الكتاب المقدس وصف الذى يحض على الخيانة والزنى بالمحارم بأنه (رجلاً حكيمًا جداً) وأن هذا الرجل كان ابن (شمعي أخى داود) أى أنه يحرض ابن عمه على الزنى بأخته. ثانياً: أن أمنون كان متحرّجاً في أول الأمر لأن أخته كانت عذراء، أى أنه لو كانت ثيباً ما كان يعنيه شيء. ثالثاً: أنها قالت له: (كلّم الملك لأنه لا يمنعني منك) أى أن المشكلة في أنه لم يستأذن أباه، أما لو استأذنه فلا حرج عليه، والله أعلم.

س ١١١ - تقولون إن نبيكم شاهد جبريل في غار حراء.. أليس من المحتمل أن يكون قد رأى أشباحاً، أو تكون هذه حالة نفسية اعترته مثل من يرى أشياء لا وجود لها؟ وتقولون إنه كان يأتيه الوحي فيستلقى على الأرض ويغطونه بالبرد.. أليس من الممكن أن يكون هذا تمثيلاً؟

ج ١١١ - لماذا أنكرتم هذا الأمر على نبينا ﷺ ولم تنكروه على معبودكم الذى قال عنه كتابكم: فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه. وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذى به سررتُ (متى ٣: ١٦-١٧) وإذا كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس هيئة جسمية مثل الحمامة وكان صوتاً من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررتُ (لوقا ٣: ٢١-٢٢)

لقد أنكرتم على نبينا ﷺ رؤية الملاك، في حين أن كتابكم المقدس أثبتته حتى لنسائكم: فترأى ملاك الرب للمرأة (قضاة: ١٣: ٣) أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى. وفيما هي تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بشياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً. (يوحنا: ٢٠: ١١-١٢)

إن المصاب بحالة نفسية تكون له أحوال غير طبيعية يعرفها المقربون منه، والرسول ﷺ لم يُعرف عنه قط أنه كما يقولون (يهلوس) أو تعتريه أى حالة نفسية غريبة، بل كان معروفاً بالحكمة والصدق والأمانة، وغير ذلك من الصفات الحميدة التي لا يمكن أن تكون في رجل غير سوي. ثم إنه لو كان يتخيل.. فهل الخيال يأتي بخير؟ هل وجدنا إنساناً يتخيل رؤية شيء لا وجود له، ثم بعد ذلك أخبرنا أن الذي رآه أمره بخير أو نهاه عن شر، أو وضع منهاجاً لحياته؟ أما استلقاؤه ﷺ على الأرض حين كان يتزل عليه الوحي.. فإن هذا من شدة ما كان يعتريه حال نزوله عليه، لأن التقاء ملك بإنسان ليس بالأمر الهين، فالطبعتان مختلفتان، وهذه صورة من صور نزول الوحي عليه، وهناك صور أخرى قال عنها ﷺ: "أحياناً يأتي - يعنى الوحي - في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده على، فيفصم عني وقد وعيتُ ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول" [موطأ مالك، سنن الترمذي، صحيح الجامع: ٢١٣] وحالة مجيء الوحي على هيئة رجل معروفة في الحديث الذي رواه سيدنا عمر رضي الله عنه الذي في [الصحيحين] حين سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة. ولو كان الرسول ﷺ يمثل كما يقولون، فهل كان يمثل العرق؟ إن السيدة عائشة - رضی الله عنها - تقول: ولقد رأيتُه يتزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصمُ عنه وإن جبينه ليتفصدُ عرقاً [موطأ مالك، سنن النسائي] وهل كان ﷺ يمثل ثقلٍ فخذه؟ لقد كان ذات مرة جالساً واضعاً فخذه على فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه ثم نزل عليه الوحي فتغشاه الكرب كما كان يتغشاه، وثقلت فخذه على فخذ زيد حتى كادت أن ترُضها (أى تكسرهما) كما ورد في [صحيح البخاري] وذات مرة كان راكباً ناقته القصواء، فتزل عليه الوحي، فتثقل على الناقة، فناخت به حتى كادت أن توقعه على الأرض. وأحياناً كان سيدنا عمر رضي الله عنه يسمع بالقرب من صدره أزيزاً كأزيز النحل عند نزول الوحي عليه، فهل كل هذا كان تمثيلاً؟ والله أعلم.

س١١٢- يقول نبيكم: "نصرتُ بالربِّ مَسِيرَةَ شهرٍ" [صحيح البخارى] وهذا يدل على أن نبيكم نبي مرعب ينصر دينه بالربِّ والإرهاب، والاعتراف سيد الأدلة.
ج١١٢- فلنقرأ أولاً بعض ما جاء في الكتاب المقدس:
لا تظنوا أنى جئتُ لألقى سلاماً على الأرض. ما جئتُ لألقى سلاماً بل سيفاً.

(متى: ١٠: ٣٤)

جئتُ لألقى ناراً على الأرض. (لوقا: ١٢: ٤٩)

الشيخ والشاب والعدراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك. (حزقيال: ٩: ٦)

وأخرقوا جميع مدغمهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. (عدد: ٣١: ١٠)

لأجل ذلك تأكل الآباء الأبناء في وسطك والأبناء يأكلون آباءهم (حزقيال: ٥: ١٠)

نعود إلى افتراءكم.. ولننظر معاً.. متى ذُكِرَ الرعب في القرآن؟ لقد ذُكِرَ في أربعة مواضع لم يكن للإرهاب أو الظلم فيها مكان، فأول هذه المواضع كان في الحديث عن موقعة بدر، وهذه الموقعة كانت لاسترداد بعض حقوق المسلمين التي اغتصبها المشركون، فأيد الله المسلمين ونصرهم على المشركين، فتغيرت بذلك نظرة العرب والقبائل المحاورة للرسول ﷺ وأتباعه، وشفى الله صدور المؤمنين بالانتقام ممن أذلوهم وساموهم سوء العذاب من كفار مكة {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: ١٢] والموضع الثاني في الحديث عن موقعة أحد، التي كانت حرباً دفاعية، حين بغى المشركون وطفوا، وأرادوا أن يهاجموا المسلمين في عقر دارهم، بعد أن تركوا لهم البلاد والأهل والمال، ولكنهم لم يكتفوا بذلك وأرادوا أن يقضوا على الإسلام وأهله، فحال الله عز وجل بينهم وبين ما في قلوبهم، رغم ما أصاب المسلمين في سبيل الدفاع عن عقيدتهم وأرضهم، فطمأنهم الله عز وجل بأنهم إذا حاربوهم مرة أخرى فسيلقى في قلوب الذين كفروا الرعب {سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَيَفْسُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ١٥١] والموضع الثالث في الحديث عن غزوة الأحزاب، حين تحزبت قريش وحلفاؤها على حرب رسول الله ﷺ وعزموا أمرهم على الهجوم عليه من جميع الجهات، ليدكوا المدينة عليه ومن معه، ولكن

الله خيب سعيهم، ووفق المسلمين لحفر الخندق - الذي لم تعرفه العرب من قبل - بالمشورة المباركة لسلمان الفارسي رضي الله عنه، ليس هذا فحسب، بل ألقى الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوب أعدائه، وأرسل عليهم الريح الشديدة التي قلبت خيامهم، وقدرهم، وأمتعتهم، ففروا هارين {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَدَأُوا حَرْبًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا} [الأحزاب: ٢٥] وأمر الله رسوله بقتال بني قريظة الذين خانوا العهد معه، وغمالأوا عليه مع المشركين، ووافقوا أن يسمحوا لهم بالهجوم على المدينة من قبلهم، ولكن الله عز وجل رد كيدهم في نحورهم وفرق شملهم، فكانت الحرب ضدهم جزاء خيانتهم ونكثهم لعهدهم {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمُرُونَ بِرِيقًا} [الأحزاب: ٢٦] أما الموضوع الرابع فقد جاء ذكره في الحديث عن غزوة بني النضير لما نكثوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاولوا قتله {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} [الحشر: ٢] فأخبرونا بربكم أى المواضيع الأربعة كانت إرهابية، أو لنصر الدين بالرعب كما تزعمون؟ ثم من الذى ألقى الرعب في قلوب الكافرين.. الله أم رسوله؟ وهل لو توحدت جيوش المسلمين للدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم، وحاربوا اليهود لتكون كلمة الله هى العليا، ويعود للمسلمين قدسهم وللفلسطينيين وطنهم، فيلقى الله الرعب في قلوب أعدائه، فيفرون هارين أمام جحافل المسلمين.. أياكون هذا إرهاباً؟ إن تسميته إرهاباً يُعدُّ من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا غرابة في ذلك.. فإنها شيمة أهل الكتاب. إن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بلغت تسعة عشرة غزوة، جملة من قتلوا فيها من المسلمين والمشركين ٣٨٦، وهذا بالمقارنة مع ما فعله الصليبيون واليهود مع المسلمين لا يصل إلى الواحد بالمائة، ويساوى تقريباً عشر قتلى الفتنة التي وقعت بين الكاثوليك والبروتستانت في عيد سان بارتيلينيو. إن الدماء التي أريقت في الحروب التي تقولون إن الإسلام انتشر بها تعتبر كقطرة في بحر الدماء الذي صاحب تطبيق الشيوعية وسيطرة نفوذها، لقد ذبح الملحدون مئات الألوف من المسلمين في شمال آسيا وشرقها، وبعد حرق

رفات الضحايا زعموا أن الشيوعية تدعو للسلام! وما زال الواقع القريب يشهد على المذابح الوحشية ضد المسلمين في البوسنة والمهرسك، والشيشان، وفلسطين، والعراق، والصومال، وكشمير، والفلبين، وغير ذلك من بلاد المسلمين، لدرجة أن الصرب النصارى كانوا يشقون بطون الحوامل المسلمات في البوسنة، ويرمون أطفالهن في القمامة، ويضعون في أرحامهن أجثة كلاب وقطط، فهل هذه أفعال آدمية؟ وهل بعد هذا وحشية؟، والله أعلم.

س ١١٣ - إن نسب أنبيائنا - مثل موسى وعيسى - أفضل من نسب نبيكم، لأن آباءهم لم يعبدوا الأصنام، ولكن آباء وأجداد محمد قد عبدوها.

ج ١١٣ - إن هذه من الشبهات التافهة التي تعودنا عليها، وقد ذكرنا في الرد على الشبهة رقم (١٦٣) أن الكتاب المقدس جعل السيد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - من نسل امرأة زانية اسمها (ثامار) ومن نسل امرأة أخرى زانية اسمها (بشبيع) وعلى أية حال فلا يشترط أن يكون الولد مثل أبيه وأجداده، فإن أبا سيدنا إبراهيم كان كافراً، وهو أبو جميع الأنبياء، وابن سيدنا نوح كان كافراً، ولم يقدح هذا في نبوته، كما لم يقدح كفر أبي سيدنا إبراهيم في نبوته، فالاثنتان من أولى العزم من الرسل. وهذا الكلام حجة عليكم، لأن الرسول ﷺ جاء ليعمل في أرض بور خالية من التوحيد ولم يساعده أحد، أما أنبياءكم - على جميع أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام - فكان يساعده بعضهم بعضاً، فإبراهيم كان معه ابن أخيه لوط، وكان معه ولداه إسماعيل وإسحاق، وإسحاق كان معه يعقوب، وكان ليعقوب اثنا عشر ابناً هم الأسباط، وموسى كان يساعده أخوه هارون ويوشع بن نون تلميذه، وزكريا كان معه ابنه يحيى، وعيسى كان معه ابن خالته يحيى، وقد جاء وقومه موحدون، وهم أتباع موسى، أما الرسول ﷺ فقد أرسل إلى قوم مشركين ليس لهم علاقة بأى دين، ولا يؤمنون بالبعث والحساب والجنة والنار، فبينه وبين جده إسماعيل حوالي خمسة آلاف سنة {لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة:٣] فكانت مهمته صعبة للغاية، وكأنك تأتي بقوم تريد أن توصلهم لنيل أعلى الشهادات وهم لا يعرفون القراءة والكتابة، فتبدأ معهم من الصفر، بل إن الأمر أعظم من ذلك، فتعليم القراءة والكتابة أهون من تغيير العقيدة المتوارثة على مر الأجيال،

الراسخة في العقول والأذهان. ربما يقول قائل: إن نوحاً لم يكن معه أحد يساعده.. فنقول له: إن الرسول ﷺ قاتل في سبيل الله لآخر عمره، أما سيدنا نوح فلم يقاتل أحداً. ثم إن هذا الكلام حجة عليكم من جهة أخرى.. فلو أن الرسول ﷺ هو الذي ألف القرآن لَمَا عاب من أقاربه أحداً كما في سورة (المسد) وَلَمَّا نَهَى عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ، كما حدث عندما أراد أن يستغفر لعمه أبي طالب، فنهاه الله عن ذلك {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة: ١١٣] وليس الغريب أن يخرج النبي من قوم موحدين، ولكن الغريب أن يخرج من قوم مشركين ليخرجهم {مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} [إبراهيم: ١] وليصل بهم إلى أن يكونوا خير أمة {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠] فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - لو خرج طبيب من عائلة كلها متعلمة تعليماً جامعياً، فإن هذا لن يكون غريباً، أما إذا خرج من عائلة أمية، ليس هذا فحسب.. بل تفوق على جميع قرنائه، وكان ترتيبه الأول، فإن هذا هو الغريب، والله أعلم.

س ١١٤- إن القرآن يقر بأن عيسى أفضل من محمد بدليل أنه ذكر مريم أم عيسى وعظم شأنها، ولم يذكر آمنة أم محمد، ومعلوم أن العظيمة هي التي تلد العظيم.

ج ١١٤- إن هذا سؤال ساذج يستطيع أن يرد عليه الأطفال فضلاً عن الكبار. إن تعظيم القرآن للسيدة مريم - رضی الله عنها - في حين أن أم النبي ﷺ لم تُذكر ولا في آية واحدة، حجة لنا لا علينا، فإن السيدة مريم ذُكرت في القرآن في ثلاثين موضعاً، وهناك سورة باسمها، فلو أن الرسول ﷺ هو الذي ألف القرآن - كما تقولون - فلم لم يذكر أمه أو إحدى نساته أو بناته؟ ولم لم يُسمَّ بعض السور بأسمائهن؟ إن النساء اللاتي هن تأثير في حياته حوالي سبع عشرة امرأة على الأقل، هن أمهاته - سواء من النسب أو الرضاعة - وزوجاته وبناته، فعدم ذكر أي واحدة منهن، وعدم ذكر أقاربه أو أصدقائه لهُوَ دليل على أنه لم يتكلف القرآن من تلقاء نفسه، ليس هذا فحسب، بل إنه قد عدد الكاملات من النساء ولم يذكر أمه، ولا زوجاته، ولا بناته، فقال: "كَمُلَّ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ" [صحيح البخاري] وحين ذكر خير نساء العالمين لم يذكر إلا السيدة خديجة والسيدة فاطمة - رضی

الله عنهما - ولم يذكر أمه ولا بقية نسائه وبناته، فقال: "خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون" [صحيح الجامع: ٣٢٢٨] رأيتم كيف وصف الرسول ﷺ السيدة مريم بأنها من الكاملات؟ ومن خير نساء العالمين؟ لقد عظّمها أكثر من ابنها الذي تنكّر لها (بزعمكم) وخاطبها بقوله: (يا امرأة) كما خاطب الزانية، وما هي الأدلة: وفيما هو يكلم الجموع إذ أمته وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه. فقال له واحد هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقاتل له. من هي أمي ومن هم إخواني. ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخواني. لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخى وأختي وأمى (متى: ١٢: ٤٦-٥٠) فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة (يوحنا: ١٩: ٢٦) ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد. (يوحنا: ٣-٤) أمّا خطابه للزانية فهو في النص التالي: وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك. (يوحنا: ٨-٩)

نعود فنقول: ليس شرطاً أن يكون الابن مثل أبيه في الإيمان، مع أن تأثير الأب في تربية الأبناء أشد من تأثير الأم، فإن ابن سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان كافراً، رغم أن أباه كان من أولي العزم من الرسل، وكما هو مشاهد في واقعنا أن الأب أو الأم الصالحين قد يكون لهما ولد فاسد، والعكس صحيح، حتى إنهم يقولون في المثل: (يخلق من ظهر العالم فاسد ومن ظهر الفاسد عالم) ونحن نقرّ بأن أم سيدنا عيسى أفضل من أم سيدنا محمد - عليهما الصلاة والسلام - ولكن هذا لا يعني أن سيدنا عيسى أعظم من سيدنا محمد، والله أعلم.

س ١١٥ - يقول نبيكم: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" [صحيح الجامع: ٢٤٢٣] وقال: "صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ" وهذا يدل على أن القدوة عندكم مفقودة، لأن كثيراً من الأئمة فجرة، وإذا كان الإمام فاجراً فالأموم أفجر، كما قال الشاعر: (إذا كان رب البيت بالدف ضارباً... فشيمة أهل البيت كلهم الرقص)

ج ١١٥- لنفهم الحديث الأول أحدثكم عن واقعة حدثت في مصر عندما احتلها الفرنسيون بقيادة (نابليون بوناپرت) عام (١٧٩٨) فتصدى له المصريون (وخاصة علماء الأزهر) وقاتلوه وجنوده قتالاً مريراً بكل قوة وعنف، فكان الفرنسيون يُقتلون في كل يوم، فاستشار بعض المقريين إليه وسألهم ما الذي يمكن أن يفعله ليقربه إلى المصريين ويجيبه إليهم فلا يقاوموه هذه المقاومة الشرسة، فقالوا له: إن أعظم شيء يجبه المصريون هو القرآن يقرأونه آناء الليل وأطراف النهار، فلو طبعته لهم ووزعته عليهم فسوف تستحلب حبهم (وكان قد أحضر معه مطبعة) وكان المصحف قبل ذلك يُنسخ باليد، تشتري الورق من الوراق ثم تذهب به إلى النساخ لينسخه، ثم الشكّال ليشكله (بالضمة والفتحة والكسرة.. إلخ) ثم تذهب إلى الأزهر ليراجعه، وكل هذه المراحل كانت تتكلف أموالاً كثيرة، وتستغرق وقتاً طويلاً، فطبع نابليون المصحف بكميات كبيرة، ووزعه على المصريين تقريباً إليهم، فأصبح المصحف في كل بيت بعد أن كان عند الأثرياء فقط، ثم بعد سنوات طويلة جاء الاحتلال الإنجليزي لمصر عام (١٨٨٢) فوجد المقاومة الشرسة نفسها من المصريين، وخاصة من علماء الأزهر الذين يحفظون القرآن الكريم، ففكروا ما الذي يهدئ حدة المقاومة، فوجدوا أن أكثر الذين يقاومونهم من حفظة القرآن، فقرروا ألا يُدخلوهم الجيش، وفرح الناس بذلك، لأن معظمهم لا يريدون أن يدخلوا أولادهم الجيش تحت إمرة الاستعمار، فاجتهدوا في تحفيظ أولادهم القرآن، فامتألت الكتائب بالأطفال، وأصبح غالبية المصريين من حفظة القرآن الكريم، وخرج منهم أئمة القراء في العالم. أما الحديث الثاني الذي ورد في السؤال بخصوص الصلاة خلف الفاجر فقد ورد في (السنن الكبرى للبيهقي) وضعّفه الشيخ (الألباني) ولكن العلماء أقرّوا العمل به لدرء الفتنة، وتوحيد كلمة المسلمين على إمام واحد، وهو الذي يُعيّن من قِبَل ولى الأمر، حتى لا تهجر المساجد، وحتى لا تحدث فرقة بين المسلمين، وكل مجموعة تختار لها إماماً، ويكون في المسجد الواحد عدة جماعات في وقت واحد.

وعلى أية حال فصلاتنا خلف الفاجر أهون من نسبة الكذب والفجر - بل الكفر - لأنبياء الله ورسله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كما اهتمهم بذلك الكتاب المقدس، وإذا كان الأنبياء كذبة وفجرة وكفرة.. فكيف بأتباعهم؟ وهذا بعض ما جاء

عنهم: فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل. فأمسكوهم فترل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك (الملوك الأول ١٨: ٤٠) (فيه نسبة الشرك بالله لبعض الأنبياء)

لأن النبي والكاهن كليهما يطوفان في الأرض ولا يعرفان شيئاً. (إرميا ١٤: ١٨)
 وابتدأ نوح يكون فلاحاً وعرساً كرمياً. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. (تكوين ٩: ٢٠-٢١)
 هَانَذَا بِالْإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْخَطِيئَةِ حَبِلْتُ بِي أُمِّي (مزمو ٥١: ٥) (ينسبون هذا لسيدنا داود، وهو منه براء)

الكاهن والنبي ترثحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاها من المسكر ضللا في الرؤيا قلقا في القضاء. (إشعيا ٢٨: ٧)

لذلك أعطى نساءهم لآخرين وحقوهم لما كين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد موع بالريح من النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب. (إرميا ٨: ١٠)
 وجاء فيه أيضاً تعيين القضاة في الكنيسة من المُحْتَقَرِينَ، وأن الزواني يسبقون إلى ملكوت الله (أى جنته): فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة الدنيا فأجلسوا المُحْتَقَرِينَ في الكنيسة قضاة. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٦: ٤)
 قال لهم يسوع الحق أقول لكم إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله. (متى ٢١: ٣١)، والله أعلم.

س ١١٦- يقول نبيكم: "إذا جاء رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُنِدَتْ الشياطين" [صحيح مسلم] مع أن منكم من يرتكب الموبقات في رمضان من شرب للخمر وسرقة وغيرها، وتقوم بينكم الحروب مثل حرب العراق وإيران التي استمرت ٨ سنوات بما فيها من أشهر رمضان.. فكيف يكون نبيكم صحيحاً؟

ج ١١٦- بالفعل نحن نرى المشاجرات وفعل الموبقات في رمضان، ولكن من المستول عن هذا؟ أهو الشيطان وحده؟ إن الشيطان أضعف الجنود {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٧٦] ويكفيك الاستعاذة بالله منه {وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعُّ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ٢٠٠] أما ما هو أشد من الشيطان: فالنفس الأمارة بالسوء {إِنَّ

النَّفْسَ لَأَمَارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} [يوسف: ٥٣] والهوى {أَرَاءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الفرقان: ٤٣] {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦] وحب الدنيا {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} ﴿٥١﴾ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَدَّبُوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥-١٦] وكم من الجرائم والقتل والسرقة والزنى وشرب الخمر وغير ذلك كانت نتيجة هذه الأشياء الثلاثة، حتى إن أول جريمة قتل عرفتها البشرية كان سببها اتباع الهوى وحب الدنيا، حينما أراد قابيل أن يتزوج أخته التي لا تحل له في شرع سيدنا آدم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. ثم إن العلماء قالوا: إن الشياطين التي تُصَفَّدُ في رمضان ليسوا قرناء بني آدم، فكل إنسان له قرين يحاول أن يغويه ويصده عن سبيل الله ما استطاع، وهذا القرين لا يفارقه في رمضان وغيره، وقد جعله الله فتنة للإنسان ليختبره، وفي مقابل ذلك وهب له العقل الذي يميز به بين الخير والشر، وأرسل إليه الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - لتبين له الحق والباطل، وأنزل إليه الكتب لتبشر المؤمنين بالنعيم المقيم، وتنذر الكافرين بالعذاب الأليم {فَأَمَّا مَنْ طَغَى} ﴿٦٧﴾ وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ﴿٦٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} ﴿٦٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} ﴿٧٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: ٣٧-٤١] بالإضافة إلى أنه فطره على توحيده وتعظيمه، وجعل له وازعاً من نفسه يميل إلى الحق وينأى عن الباطل، ما لم يُغلب صاحبه هواه على دوافع الخير في نفسه، فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} ﴿٧١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} ﴿٧٢﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} ﴿٧٣﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٧-١٠] وقال رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" [صحيح البخاري] وعلى أية حال فقد أثبتت الدراسات هبوط معدل الجريمة في الدول الإسلامية، وزيادة أعمال البر والإصلاح والتعاون على الخيرات في هذا الشهر المبارك، والله أعلم.

س١١٧- تقولون إن جبريل جاء لنبيكم وسأله متى تكون الساعة، فقال له: "ما المستول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أماراتها، فقال له: "أن تلد الأمة ربّتها"... إلى بقية الحديث الذي ورد في الصحيحين، وما رأينا للآن أن الأمة تلد ربّتها؟

ج ١١٧ - الله أكبر.. صدق الله ورسوله.. إن هذا جزء من حديث صحيح ولكنهم لم يفهموا معناه، وقد تحقق كما قاله الرسول ﷺ. لقد كان العلماء في الماضي يقولون إن معنى هذا الحديث ما نشاهده من أن الأم الأمية التي لا تعرف القراءة والكتابة تلد الطيبة والمهندسة والعلمة.. إلخ، أو أن المرأة تلد من تكون عاقّة لها، متسلطة عليها، تأمرها وتنهاها، وكأنها سيدتها، وأمها تطيعها خوفاً منها، وكل هذا الكلام أثبتته الواقع، ولكن ظهر في عصرنا ما يناسب ويقارب معنى الحديث تماماً، وهو أن بعض نساء الخليج الغنيات المترفات لا يُرَدْنَ أن يشوّهن أجسادهن بالحمل والرضاعة، ولا يردن أن يعطلهن عن السفر للترهة واللهو واللعب.. فماذا فعلن؟ لجأ البعض منهن إلى ما يسمى (الأم البديلة) كيف هذا؟ يأخذ الطبيب منها البويضة ويأخذ الحيوان المنوي من زوجها، ثم يقوم بعمل ما يُسَمَّى (طفل الأنابيب) بأن يضع الحيوان المنوي والبويضة متقاربين في وعاء خاص، ويوضع هذا الوعاء في ظروف معينة، حتى إذا تم التخصيب (اختراق الحيوان المنوي للبويضة) وبدأت الخلية المخصبة في الانقسام إلى عدة خلايا.. قام بوضعها في رحم الأُمّة أو الخادمة، فتنمو في رحمها وتكبر إلى أن تلد (وهذا حرام) ففي هذه الحالة من تكون الأم الحقيقية؟ طبعاً هي المرأة الخليجية، وتصبح هذه المولودة سيدة من ولدها (الأم البديلة) فسبحان من قال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: ٣-٤]، والله أعلم.

س ١١٨ - يقول القرآن عن النبي يوحنا (يحيى): {يَنبَحِثُنِي حُنْدٌ أَلْكَتَبَ بِقُوَّةٍ ۗ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيًّا} [مريم: ١٢] انظروا إلى أنبياء بني إسرائيل، فإنهم يُؤْتُونَ النبوة من الصِّغَرِ، في حين أن نبيكم تقولون إنه أُرْسِلَ في سن الأربعين، وكذلك فإن عيسى قد تكلم في المهدي، وموسى نجاه الرب في التابوت وهو رضيع، ويونان (يونس) عاش في بطن الحوت ثلاثة أيام، وولدت حنّة مريم وهي عاقر في سن الخامسة والثمانين، وولدت أختها الياصابات يحيى من زوجها زكريا وعمره تسعون عاماً، وعمرها يقارب عمر أختها، فنحن شعب المعجزات، فأين نبيكم من هذه المعجزات؟

ج ١١٨ - جميع الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - بما فيهم أنبياء بني إسرائيل، لم يُعْتَوُوا رُسُلًا إلا في سن الأربعين، وهناك قول بأن سيدنا نوحاً لم يعث إلا

بعد المائتي عام، أما سيدنا يحيى فإن الله قدّر له الشهادة في سن الخامسة والثلاثين، فكيف كان ينتظر ليكون رسولاً في سن الأربعين؟ أما كلام سيدنا عيسى في المهد فإنه حجة عليكم، لأنه ليس في كتابكم المقدس ما يثبت ذلك، فإن الفضل في إظهار هذه المعجزة هو القرآن. وهذه المعجزات التي تتكلمون عنها صانعها هو الله وليس الأنبياء، وقد كانت تأييداً لرسالتهم؛ وهي ليست قاصرة على أنبياء بني إسرائيل، وشاهد على ذلك سفينة سيدنا نوح، وناقة سيدنا صالح، والنار التي كانت برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم، ولولا أن القرآن أخبرنا بهذه المعجزات ما صدّقناها، لأنها انتهت بموت من عاصرها ورآها، أما القرآن فمعجزته باقية إلى يوم القيامة، وقد تكلمنا عن ذلك في أكثر من موضع. ومعلوم أن ولادة سيدنا عيسى كانت معجزة، واليهود قوم مادّيون لا يؤمنون إلا بالمادة، فهم الذين قالوا للبيهم: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} [البقرة: ٥٥] فلو وُلِدَ سيدنا عيسى بدون أب بغير مقدمات تسبقه لَمَا آمنوا به، فكان لا بد من تمهيد لمعجزته. بمعجزة يشاهدونها تثبت لهم قدرة الله جل وعلا، حتى إذا جاءت معجزته لا يستبعدون وقوعها، فكان حمل السيدة حنّة بنت فاقوس وولادتها للسيدة مريم وهي في سن الثالثة والثمانين من زوجها سيدنا عمران الذي جاوز سن التسعين معجزة تمهد لمعجزة ولادة سيدنا عيسى، وكذلك حمل وولادة أختها اليصابات - وهي أيضا فوق الثمانين - لسيدنا يحيى من زوجها سيدنا زكريا، رغم أنها كانت عاقراً لا تحيض، وكان زوجها شيخاً كبيراً، حتى إنه حين دعا ربه لم يدعُ جهازاً {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} [مريم: ٣] فإنه لو دعا جهازاً لكان غريباً على الناس أن يدعو أحد بالذرية في هذه السن، ولسخروا منه، كمن يرى شيخاً كبيراً قد انحنى ظهره، وهو متوكئ على عصا، ثم يدعو بالذرية! فكانت ولادة السيدة مريم وابن خالتها سيدنا يحيى تمهيداً لمعجزة ولادة سيدنا عيسى، فلو جاءت معجزته فجأة بدون مقدمات لكان صعباً على العقول استيعابها، ولكن رغم ذلك فإن الكثير منهم لم يؤمنوا به، واتهموا أمّه بالفاحشة، وهم أغبياء في ذلك، ليس فقط لمعرفة السابقة بسيرتها الكريمة - رضى الله عنها - ولكن لَنُطِقَ سيدنا عيسى في المهد، فلو أنها كانت كما قالوا من الإفك والبهتان، لكان ولدها طفلاً عادياً كسائر الأطفال، ولكن كلامه في المهد كان معجزة من الله عز وجل، فلم يصدقوا كلامه ولم يصدقوا براءتها؟

وقد ذكرنا بعض المعجزات التي صاحبت ولادة الرسول ﷺ في الرد على الشبهة (١٣٠) وبعض المعجزات الأخرى في الرد على الشبهة (٢٥٨)، والله أعلم.

س١١٩- أنتم تقولون إن نبيكم أفضل الأنبياء مع أنه كان أمياً، فأى أفضلية في هذه الأمية؟ وهل تفضلون الأمى على المتعلم باعتبار الأمية ميزة عندكم؟

ج١١٩- نحن لا نفضل الأمية ولا نفتخر بها، إذن لتخلفت أمتنا عن ركب التقدم والحضارة كما حدث اليوم في كثير من البلدان الإسلامية، ولكن أمية الرسول ﷺ كانت ميزة لأن الذى علمه هو الله، ولم يعلمه أحد من البشر، فكل متعلم له معلم، فالذى حصل على الدكتوراه في أى مجال من مجالات العلم - ولو في الذرة - فإن معلمه بشر يصيب ويخطئ، أما رسول الله ﷺ فقد علمه الله سبحانه وتعالى (حتى لا يتفاخر أحد بأميته ويقول أنا أمى مثل الرسول) وقد مر بنا أن الرسول ﷺ كان يفك الأسير المشرك مقابل تعليمه القراءة والكتابة لعشرة من المسلمين. ولو علمه القراءة والكتابة أحد من البشر لقالوا إنه هو الذى علمه القرآن أيضاً، فقد قالوها وهو أمى.. فكيف لو تعلم من غيره؟ كما أنه لا يخفى على أحد أن أول آية نزلت على رسول الله ﷺ هي {اقرأ}، والله أعلم.

س١٢٠- عندما أراد على بن أبى طالب أن يتزوج على فاطمة بنت نبيكم غضب نبيكم غضباً شديداً ولم يأذن له، فحرّم على غيره ما أحله لنفسه، وخالف بذلك القرآن في إباحة التعدد.

ج١٢٠- إن الرسول ﷺ لم يغضب غضباً شديداً كما قلتم، ولم يحرم على غيره ما أحله لنفسه، ولم يخالف القرآن، ولكن على بن أبى طالب ﷺ أراد أن يتزوج بنت أبى جهل، فأبى الرسول ﷺ أن تجتمع بنت حبيب الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد، فقال: "إن فاطمة بضعة منى وأنا أتخوف أن تُفتن في دينها، وإني لستُ أحرّم حلالاً ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً" [صحيح الجامع: ٢١١٥] كما أنه لفرط حبه لها خاف عليها من شدة الحزن، وقال: "فإنما هي بضعة منى يربيني ما أربأها، ويؤذيها ما آذاها" [صحيح البخارى] وهذا الأمر ليس خاصاً بالنبي ﷺ فمن حق أى ولى أن يشترط على من يتقدم لخطبة ابنته - أو من تحت

ولايته - ألا يتزوج عليها، ومن حقها هي أيضاً أن تشتترط هذا الشرط، فإن قبله الخاطب فليس له الرجوع فيه، وإن رجع فيه فلها الحق في طلب الطلاق لعدم وفائه بشرطه، أما لو لم تشتترط هي أو وليها فله الحق أن يتزوج عليها، وليس لها الحق في هذه الحالة أن تطلب الطلاق، والله أعلم.

س ١٢١- إن نبيكم لم يُبعث إلا للعرب، بدليل قول القرآن: { إِنَّا أَرْسَلْنَا قُرُونًا عَرَبِيًّا } [يوسف: ٢] { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِيهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } [إبراهيم: ٤] { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ } [الجمعة: ٢] { لِنُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ } [السجدة: ٣] { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء: ٢١٤] فهل من عدل الإله أن يطلب من أهل الكتاب أن يؤمنوا بنبي لم يُرسل إليهم؟

ج ١٢١- غالباً ما يختار الخصم ما يخدمه - في ظاهر الأمر - من الأدلة ويخفي ما عداها، وإلا- فأخبروني ماذا تعني هذه الآية: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ٦٤]؟ إن من أدلة عالمية رسالة الرسول ﷺ قول الله تبارك وتعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سبا: ٢٨] { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: ١٠٧] { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران: ٨٥] { وَأَوْحِيَ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام: ١٩] { لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } [الشورى: ٧] وقد مر بنا أن { أُمَّ الْقُرَى } هي مكة { وَمَنْ حَوْلَهَا } جميع اليابسة (في الرد على الشبهة رقم ٤٦) قال رسول الله ﷺ: "أَعْطَيْتُ حِمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَمَاذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأَحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأَعْطَيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُعْتَرُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" [صحيح الجامع: ١٠٥٦] وقال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" [صحيح الجامع: ٧٠٦٣] إن التوراة أنزلت باللغة العبرية، والإنجيل باللغة الآرامية، وقد دخل في

اليهودية والنصرانية أناس تختلف لغاتهم عن لغة هذين الكتابين، فليس صحيحاً أنه طالما أنزل القرآن باللغة العربية ألا يؤمن به إلا العرب. أما أن الرسول ﷺ بُعثَ بلسان قومه، فإن هذا بديهى ليستطيع التحدث معهم فيفهم عنهم ويفهمون عنه، وتكون مهمة أتباعه بعد ذلك أن يترجموا معانيه إلى اللغات الأخرى، أما لو أرسل في بادئ الأمر إلى من تختلف لغتهم عن لغته فكيف كان يبلغ رسالة ربه؟ وكيف كانوا يفهمونه؟ أما كونه قد أمر أن ينذر قومه وعشيرته الأقربين فلأنهم أولى بذلك، كما أنك لو ملكت خيراً يتفجع به الناس فإنك تبدأ بأهلك أولاً، فلا تتعداهم إلى غيرهم وتركهم، لأنهم أولى الناس بك.

وكيف لا يكون عدلاً أن يأمر الله أهل الكتاب أن يؤمنوا به وقد أخذ الميثاق على جميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أن يؤمنوا به إذا ظهر في زمانهم، فكيف بأتباعهم؟ {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِمْ وَتَتَّبِعُونَهُمْ قَالُوا أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١] أيؤمن به الأنبياء ويكفر به الأتباع؟ وقد كانت صفات الرسول ﷺ مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [الأنعام: ٢٠] ولكنهم بعد ذلك حرفوها حتى لا تكون حجة عليهم، ورغم ذلك التحريف فقد بقي في الكتاب المقدس بعض ما بشر بنبوته ﷺ، مثل:

وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة (تكوين: ١٧: ١٨-٢٠) وجاء فيه أيضاً: وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك (تكوين: ٢١: ١٣) وجاء فيه أيضاً: فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملى الغلام وشدنى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القرية ماء وسقت الغلام. (تكوين: ٢١: ١٧-١٩).

فمن تكون هذه الأمة العظيمة إن لم تكن أمة سيدنا محمد ﷺ؟ وما هى هذه البشر إن

لم تكن بمرزوم؟

إن الإسلام هو الدين الخاتم الذي ارتضاه الله للناس إلى يوم القيامة، فإن الكتب التي سبقتها قد حُرِّفَتْ ولم يصبح للكتب الأصلية أى أثر، فأنزل الله القرآن وتكفل بحفظه، وجعله أكمل كتاب، وجعل فيه من الشرائع ما يصلح للبشرية إلى هائتها، فلا يوجد قبله كتاب تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله كما تحداهم بهذا الكتاب العظيم، وقد جعله الله مصدقاً لما فيها ومهيماً عليه {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَايِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] ثم إذا تدبرنا لفظة {عَرَبِيًّا} فسنجد أن من معانيها فى لغة العرب: أنه يُعَرَّبُ، ويُعَبَّرُ، وفى حالة إفصاح وتبيان وجلاء، وكما نقول: إن فلان يُعَرَّبُ عمًا فى نفسه، فيدلنا على مقصوده ومراميه، فلا يخفى علينا قوله.

ونقول لمثري هذه الشبهة: ارجعوا إلى كتابكم المقدس لتعلموا أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يُرسل إلا لبني إسرائيل، فلماذا آمن به غيرهم؟ ولماذا تقومون بالحملات التنصيرية لتدخلوا من استطعتم فى دينكم، ولو لم يكن من بني إسرائيل؟

فاجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خِرافِ بني إسرائيل الضالَّة (متى: ١٥: ٢٤)

هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً. إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرى إلى خِرافِ بيت اسرائيل الضالَّة. (متى: ١٠: ٥-٦)، والله أعلم.

س١٢٢- يقول نبيكم: "أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله" [صحيح الجامع: ٢٥٧٣] ويقول: "إن أول ما يُحَكَّم بين العباد فى الدماء" [صحيح الجامع: ٢٠٢١] فنحن لا ندرى أتكون المحاسبة أولاً على الصلاة أم على الدماء؟

ج١٢٢- "أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة" إن هذا فى حق الله جل وعلا، أما الحديث الآخر المتعلق بالدماء فهو فى حق العباد، ويجمع بين الحديثين حديث واحد يوضح هذا المعنى، وهو قوله ﷺ: "أول ما يُحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يُقضى بين الناس فى الدماء" [سنن النسائى، صحيح الجامع: ٢٥٧٢]، والله أعلم.

س ١٢٣- تقولون إن نبيكم (أشجع الشجعان) مع أنه خرج في الهجرة متخفياً من قومه، بينما خرج عمر بن الخطاب علانية. أليس كان الأجدر بنبيكم أن يفعل مثله حتى يستحق هذا اللقب؟

ج ١٢٣- إن الرسول ﷺ قدوة لكل الأمة. أقويائها وضعفائها، فقد خرج علانية على الشباب الراقين ببابه وهم مدحجون بالسلاح ليقتلوه.. غير خائف منهم؛ بل كان متوكلاً على الله سبحانه وتعالى، ولم يكتف بذلك.. بل حثا على رعوسهم التراب وقرأ عليهم {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [س:٩] فكان في خروجه هذا أقوى وأشجع من عمر بن الخطاب ﷺ أمّا خروجه من عند أبي بكر ﷺ فكان خفية، ولهذا يكون الله عز وجل قد جمع له بين الأمرين.. خروج الأقوياء وخروج الضعفاء، ليكون قدوة لكلا النوعين من المسلمين. وفي خروجه متخفياً فوائد أخرى غير قدوته للضعفاء، فقد علم الأمة التخطيط الدقيق، والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، فبعدما اجتهد في التخفي حتى وصل إلى غار ثور تتبع الكفار آثاره حتى وصلوا إلى الغار، ولكنه لم يخف منهم، وقال لأبي بكر بكل يقين: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟" [صحيح مسلم] فانظروا من العبد أن يبذل كل ما في وسعه من الأسباب التي مكّنه الله منها، ولكن لا يتوكل عليها، بل يتوكل على الله جل وعلا، لأنه هو الذي يكلل سعيه بالنجاح {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] ولو خرج الرسول ﷺ للهجرة بغير تدبير ولا تخطيط لَمَا كان قدوة لأمته في التدبير والتخطيط، وإعمال العقل، والأخذ بالأسباب، ولقالوا: لقد خرج بحفظ الله له لأنه نبي، وأتى لنا بذلك؟ وليس معنى هذا أن الأسباب التي اتخذها هي التي نجتّه، أو أن الله لم يحفظه، ولكنه فعل أقصى ما في وسعه - فكما قلنا - إن المشركين وصلوا إلى المكان الذي اختبأ فيه في غار ثور، ولولا الله سبحانه وتعالى ما نجوا. وهناك دروس أخرى كثيرة من الهجرة المباركة يُرجع إليها في كتب السيرة.

والذين ينسبون الخوف لنبينا ﷺ لا ينسبون لمعبودهم الخوف فقط، بل وينسبون له الانزعاج والاكتئاب والحزن والبكاء، فيقول كتابهم المقدس: فلما رآها يسوع تبكي

واليهود الذين جاءوا معهما ليكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وانظر. بكى يسوع. (يوحنا ١١: ٣٣-٣٥) فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر. (يوحنا ١١: ٣٨) ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت. (مرقس ١٤: ٣٣-٣٤) فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه. فلم يكن يسوع أيضاً يمشى بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القرية من البرية إلى مدينة يقال لها أفرام ومكث هناك مع تلاميذه (يوحنا ١١: ٥٣-٥٤) وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل. لأنه لم يُرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه (يوحنا ٧: ١) فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا (يوحنا ٨: ٥٩) ونحن نسأله: لو كان المسيح إلهاً - كما تقولون - فلماذا كل هذا الخوف والحذر من اليهود الذين أرادوا قتله؟ ليس المفروض أنه يعلم الغيب، ويعلم أنه لن ينجو منهم؟ وإذا كان قد جاء ليفتديكم بنفسه - كما تقولون - فلم كان يهرب منهم؟ والله أعلم.

س ١٢٤ - يقول نبيكم: "ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" [صحيح الجامع: ٥٦٧٤] معلوم أن التنفس يكون بالرتين، فما دخل المعدة فيه؟

ج ١٢٤ - إن الذى يعرف - ولو قدرأ يسيراً - من علم التشريح يعلم أن بين المعدة والرتين ما يُسَمَّى (الحجاب الحاجز) وهذا الحجاب الحاجز يتحرك لأسفل ولأعلى مع الشهيق والزفير، فهو يهبط مع الشهيق ليسمح للرئة أن تمتلئ بالهواء الذى يتولى على الأكسجين، ثم يعلو مع الزفير ليسمح لها أن تخرج ثانى أكسيد الكربون، وقد قدر المتخصصون حجم المعدة بألف وحمسمائة سنتيمتر مكعب تقريباً، وقدروا ما يحتاجه الإنسان في تنفسه حوالى خمسمائة سنتيمتر مكعب تقريباً، فحين يملأ الإنسان ثلث معدته بالطعام (أى خمسمائة سنتيمتر) يحتاج (تقريباً) لمثلها ماء، فيتبقى الثلث الأخير من المعدة فارغاً ليسمح للحجاب الحاجز أن يتزل مع الشهيق، ويتيح الفرصة للرئة أن تمتلئ بما يحتاجه الإنسان من الأكسجين، فحين تكون المعدة ممتلئة تماماً لا يستطيع الحركة بحرية (لأنه كما قلنا إن المعدة ملاصقة له من أسفل) فلا يسمح للرئة أن تأخذ القدر المطلوب

من الهواء، وهذا يسبب ضيقاً في التنفس، ونلاحظ هذا الأمر فيمن يملأون بطونهم من الطعام والشراب، فلا يستطيعون التنفس إلا بصعوبة، ويبحثون عن الأدوية التي تعينهم على هضمه من فوار أو غيره، ولو أنهم امتثلوا أمر الرسول ﷺ لَمَا أصابهم هذا الضيق، ولَمَا أصيبوا بأمراض كثيرة، فإن معظم الأمراض من التُّخمة وكثرة الطعام.

وما رأيك أيها المعترض على حديث رسول الله ﷺ وما رأى الطب فيمن يأكل طعاماً واحداً لمدة ٣٩٠ يوماً وهو متكئ على جنبه؟ وما رأيك في الذى يأكل لحم الشاة ورأسها وأكارعها وأحشاءها مع الفطير بعَجَلَة (بسرعة) والذى يأكل الفطير لمدة سبعة أيام؟ ربما تتعجب وتقول: ما دخل هذا بموضوعنا؟ فأقول لك: إن هذا ما جاء به كتابك المقدس، ليس هذا فحسب.. بل جاء فيه أن من يأكل خَميراً في أيام مُعَيَّنة يُقَطَّع من جماعة إسرائيل، وها هي الأدلة:

وَتُخَذُ أَنْتَ لِنَفْسِكَ قَمِيحاً وَشَعيراً وَفولاً وَعَدَساً وَذُخْنًا وَكَرْسَةً وَضَعْفًا فِي وَعَاءٍ وَاحِدٍ وَاصْنَعَهَا لِنَفْسِكَ خَبِزاً كَعَدَدِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَتَكَيُّ فِيهَا عَلَى جَنْبِكَ. ثَلَاثَ مِئَةِ يَوْمٍ وَتَسْعِينَ يَوْماً تَأْكُلُهُ. (حزقيال ٤: ٩)

تكون لكم شاة صحيحة ذكراً ابن سنة. تأخذونه من الخرفان أو من المواضع. ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر. ثم يدبجه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشيّة. ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها. ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويّاً بالنار مع فطير. على أعشاب مرّة يأكلونه. لا تأكلوا منه شيئاً أو طبيخاً مطبوخاً بالماء بل مشويّاً بالنار. رأسه مع أكارعه وجوفه. ولا تُبْقُوا منه إلى الصباح. والباقي منه إلى الصباح تحرقونه بالنار. وهكذا تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم في أرجلكم وعصيّكم في أيديكم. وتأكلونه بعَجَلَة. هو فصّح للرب. فإن اجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب. ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فعيّدونه عيداً للرب. في أجيالكم تعيّدونه فريضة أبدية سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم

الأول تعزلون الخَمِيرَ من بيوتكم. فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تُقَطِّعُ تلك النفس من إسرائيل... وتحفظون الفطير لأنى في هذا اليوم عَيْنِهِ أخرجتُ أجنادكم من أرض مصر. فتحفظون هذا اليوم في أجيالكم فريضة أبدية. في الشهر الأول في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادى والعشرين من الشهر مساء. سبعة أيام لا يوجد خَمِيرَ في بيوتكم. فإن كل من أكل مُخْتَمِراً تُقَطِّعُ تلك النفس من جماعة إسرائيل الغريب مع مولود الأرض. لا تأكلوا شيئاً مُخْتَمِراً. في جميع مساكنكم تأكلون فطيراً (خروج ١٢: ٥-٢٠)، والله أعلم.

س ١٢٥- يقول نبيكم إن الأمراض تكفير للذنوب، فما بال الأطفال؟ هل يذنبون حتى يصابوا بالمرض؟ وما ذنب الأطفال الذين يولدون بعيوب خلقية؟
ج ١٢٥- أولاً: لقد مر بنا في الرد على الشههه رقم (٩) أن كلمة (عيب خلقى) لا تصح، لأنها اتهم الله سبحانه وتعالى بالعبث في صنعته.

ثانياً: إن مرض الطفل أو ولادته مشوّهاً في ميزان حسناته يوم القيامة، وتكفير لذنوب والديه، قال رسول الله ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٥٨١٥] والله سبحانه وتعالى {لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: ٤٠] فلن يضيع أجر هذا الطفل، فهو الذى لا يضيع حتى أجر الكافر، ولكنه يعجل أجره في الدنيا من مال وولد وصحة وشهرة... إلى غير ذلك، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا وَهَمًّا فِيهَا لَا يُبْتَخَسُونَ} [مود: ١٥-١٦] وقال: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزَنَ الدُّنْيَا نُوفِيَهُ مِنَّا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: ٢٠] وقال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يُعْطَى عليها في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناته في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُعْطَى بها خيراً" [صحيح الجامع: ١٨٥٣] والأمراض مفيدة للطفل في تقوية جهازه المناعى، وتأهيله لمواجهة مصاعب الحياة من مرض وغيره، وقد يكون مرض الإنسان في صغره أو تشوّهه الخلقى مما يخفف عنه عقوبة ذنوبه عند كبره، بمعنى أنه إذا كبر وعمل ذنوباً تستوجب

المواخذة عليها، فرما خفف الله عنه بهذه الأمراض والتشوهات التي أصابته في الصغر، لأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبد الخير عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا، كما قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله بعبد الخير عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوفَى به يوم القيامة" [صحيح الجامع: ٣٠٨] وربما منعه هذه الإعاقة عن بعض المعاصي، وكانت سبباً في تقربه لله سبحانه وتعالى، فكان ذلك خيراً له، وربما عرضه الله ملكات أخرى خيراً مما فقدتها، وربما كانت حافزاً له على العلم والتفوق، وهذا الأمر مُشاهد في كثير من أصيبوا بتشوهات خلقية، فنبغوا في علوم شتى، لأن إصابتهم أقعدتهم عن اللهو واللعب، وجعلتهم يتفرغون للمذاكرة والعلم والبحث، وأزكت فيهم رغبة التحدى والتميز على غيرهم من الأسوياء. وكذلك فإن التشوهات الخلقية والأمراض التي تصيب الأطفال تحفز العلماء على الأبحاث والفحوصات والتحليل، ودراسة هذه الأمراض، وكيفية الوقاية منها، وطرق علاجها، فتتقدم بذلك العلوم، وتزداد خيرة العلماء، ولو كان الأطفال كلهم يولدون على هيئة واحدة لا تتغير، لقال الملحدون إنها الطبيعة، وكأنه (أكلاشيه) يطبع نسخاً متشابهة، أو لقالوا إن الله ليست له طلاقة القدرة على التغيير. ولو لم تأتكم الأمراض لَمَّا وُجِدَ طب الأطفال وجراحة الأطفال وغير ذلك، ولكان عدم إصابتهم بالأمراض أمراً محيراً، إذ كيف يصاب الكبار بالبكتيريا - مثلاً - أو الفيروسات، أو الحوادث، أو غير ذلك، ولا يصاب الصغار؟ أمّا الذين يموتون وهم صغار فربما لو عاشوا لفسدوا أو أفسدوا في الأرض وأصبحوا من أهل النار، فحين يقبضهم الله في الصغر فهذا يكون رحمة بهم وبمن حولهم، مثل الولد الذي قتله الخضر ووردت قصته في سورة (الكهف) وأطفال المسلمين في الجنة يسرحون فيها حيث شاءوا (والجمهور على أن أطفال الكفار أيضاً في الجنة) قال رسول الله ﷺ: "صغاركم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه فيأخذ بثوبه فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة" [صحيح الجامع: ٣٧٦٤]

(الدعموص) قيل إنه نوع من السمك الصغير كثير الحركة، أو هو الزوّار للملوك الذي يدخل ويخرج من عندهم كما يشاء، بغير إذن ولا حاجب يحجبه، وقد شبه بذلك الأطفال لكثرة دخولهم وخروجهم ولعبيهم في الجنة.

والذين يشفقون على الأطفال من الأمراض عندهم في كتابهم المقدس ما هو أشد من

ذلك.. وهو أكل الآباء والأمهات لأولادهم في الحصار، كما ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم (١٤٨) وعندهم أيضاً: تُجَازَى السامرة لأنها قد تمردت على إلهها. بالسيف يسقطون. تُحَطَّم أطفالهم والحوامل تُشَقَّ (هوشع ١٣: ١٦) نلاحظ شق بطون الحوامل كما فعل الصَّرب بمسلمي البوسنة.

طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة (مزمور ١٣٧: ٩)

حتى الحيوانات لم يرحمها الكتاب المقدس إذ يقول: وكان هناك عند الجبال قطع كبير من الخنازير يرعى. فطلب إليه كل الشياطين قائلين أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها. فأذن لهم يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير. فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر. وكان نحو ألفين. فاختنق في البحر. (مرقس ٥: ١١-١٣) ونحن نتساءل: ما ذنب الخنازير؟ ألم يستطع معبودكم أن يخرج الشياطين من الرجل الممسوس دون أن يدخلها في هذه الخنازير؟ ثم ما ذنب صاحبها؟ أليس هذا إضراراً بثروته؟ وما تأثير ذلك على الاقتصاد العام؟ وماذا تقول جمعية الفرق بالحيوان عن هذا التصرف؟، والله أعلم.

س١٢٦- كيف يدعى القرآن أن نبيكم على خُلُقٍ عظيم، في حين أنه عبس في وجه الرجل الأعمى الفقير عبد الله بن أم مكتوم؟

ج١٢٦- إن رسول الله ﷺ هو أعظم الناس خُلُقاً، حقاً، وصدقاً، ويقيناً، كما وصفه ربنا تبارك وتعالى، وعبوسه في وجه عبد الله بن أم مكتوم ﷺ كان لحرصه الشديد على هداية قومه، وعلى السادة منهم، لأنهم لو أسلموا لاتبعهم الكثير والكثير لشرفهم في قومهم، وكثرة أتباعهم من الزوجات والأولاد والعبيد، والرسول ﷺ لم ينهر عبد الله، ولم يسبه، ولم يأمر أحداً بإخراجه من عنده، بل غاية ما فعله أنه عبس لأن عبد الله قطع عليه الكلام، وكان الرسول ﷺ يود أن ينتظره حتى يكمل حديثه، فإن الإنسان حين يكظم غيظه يظهر على وجهه بعض العبوس، ولا يستطيع إخفاءه كلياً، وعبوس الرسول ﷺ لم يكن احتقاراً له، فهو الذي جعله يؤذن لصلاة الفجر، فقال: "إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم" [متفق عليه] ولو كان النبي ﷺ هو الذي أُلْف القرآن - كما يدعى المغرضون - لَمَا أخبرنا عن هذا العبوس، ولو أنه قصر في تبليغ آيات الله، أو

حذف شيئاً منها، لحذف هذه الآية.

والذين يعتبرون مجرد عبوس الرسول ﷺ في وجه الأعمى الذى لا يراه ينافى حُسن الخلق.. ماذا يقولون عن سبِّ معبودهم لتلاميذه ومحبيه؟ فقد جاء في كتابهم المقدس: فالتفت وقال يا بطرس اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لى (متى: ١٦: ٢٣) مع العلم أن (بطرس) مُعظَّم عندهم بتَّصَّ كتابهم الذى قال: وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيتك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات. (متى: ١٦: ١٨-١٩)، والله أعلم.

س١٢٧- تقولون إن نبيكم كان متواضعاً، وأنه كان يعطف على الفقراء والمساكين، ثم ينفي القرآن صفة التواضع عنه، فيقول: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام: ٥٢] وما هو يطردهم يريد زينة الحياة الدنيا {وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٢٨]

ج١٢٧- إن ما حدث هو أن بعض السادة من المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم يوماً يستمعون فيه إلى حديثه، ويجعل للفقراء والعيبد يوماً، فقد كان هناك تفاوت طبقي رهيب بين السادة والعيبد، فلما رأى السادة من المشركين أن بلاً وصُهيياً وخباب بن الأرت وغيرهم من العبيد يجلسون بجوار أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من وُجَّهَاء القوم من المسلمين - رضى الله عنهم أجمعين - لم يعجبهم هذا الأمر، وقالوا له: (أتجلسنا بجوار هؤلاء العبيد؟ إن راثحتهم تؤذينا، فإن أردت أن نسمع منك فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً) وذلك (بمنطق المتكبرين) كما لو أردت أن تجلس جُندياً بجانب لواء، أو عامل نظافة بجانب وزير، والرسول ﷺ كان حريصاً كل الحرص على هداية الناس أجمعين، فهو الذى رأى النار وأهلها بعينه ليلة المعراج، وهو الذى قال: "والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش، وخرجتم إلى الصَّعْدَات تجأرون إلى الله" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٢٤٤٩] فالرسول ﷺ لم يجبهم إلى طلبهم، ولكنه فكر فيه مجرد تفكير، ولم يكن ذلك لمصلحته الشخصية، ولكن حرصاً على

هدايتهم كما قلنا، فقد كان حزيناً عليهم أشد الحزن، لدرجة أن حزنه عليهم كاد يقتله، كما قال له ربنا تبارك وتعالى: {لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٣] وقال: {فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: ٦] فمجرد تفكيره هذا لم يُرضِ الله عز وجل، فأنزل عليه هذه الآيات لتلا يجيبهم إلى ما طلبوه، فإن الميزان عند الله سبحانه وتعالى بالتقوى والعمل الصالح، وليس بالجاه أو المال أو الولد، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ} [الحجرات: ١٣] وقال: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالْبِئْتِ تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْآخِرَاتِ ءَامِنُونَ} [سبا: ٣٧] وقال رسوله ﷺ: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" [صحيح الجامع: ١٨٦٢] فهو سيد المتواضعين صلوات ربي وسلامه عليه، وهو الذي رآته امرأة ذات مرة يأكل وهو جالس القرفصاء، فقالت: إنه يجلس جلسة العبد (لأن العبد يجلس هذه الجلسة ليكون مستعداً للقيام بسرعة إذا طلب منه سيده أى شيء) فقال: "أكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد" [مصنف عبد الرزاق، أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤٤١]، أما قوله تعالى: {تُرِيذُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فهو للفت نظره أن هذا فعل من يريدون زينة الحياة الدنيا لتلا يكون مثلهم، كما أن أى توجيه للرسول ﷺ هو توجيه لأُمَّته من باب أولى.

إن الرسول ﷺ لم يثبت عنه قط أنه طرد أحداً من المسلمين، ولو كان أفقر الفقراء، حتى ولا أحداً ممن عُرفوا بالنفاق، أين هذا مما جاء في كتابكم المقدس من وصف معبودكم للمرأة التي استنجدت به بالكلاب؟ وما هو الدليل:

ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً. فلم يُجِبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة. فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعني. فأجاب وقال ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب. فقالت نعم يا سيد. والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذ أجاب

يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريدن. فشُفِيَتْ ابنتها من تلك الساعة (متى ١٥: ٢١-٢٨) وقد أمر تلاميذه ألا يسلموا على أحد في الطريق، فقال: ولا تسلموا على أحد في الطريق (لوقا ١٠: ٤) أين هذا من قول رسولنا ﷺ لمن سأله أىّ الإسلام خير: "تُطْعِمُ الطَّعَامَ وتَقْرَأُ السَّلَامَ على من عرفتَ ومن لم تعرف" [متفق عليه]؟، والله أعلم.

س ١٢٨- إن نبيكم كان قاطع طريق، ألا ترون ما فعله هو وأصحابه من الخروج

لقطع الطريق على قافلة أبي سفيان؟

ج ١٢٨- إن ما فعله الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ لم يكن قطعاً للطريق - وإن بدا ذلك في ظاهر الأمر - لأن المهاجرين تركوا ديارهم وأمواهم فراراً بدينهم من تعذيب المشركين لهم، ولم يكتفِ المشركون بذلك، بل إنهم استولوا على تلك الأموال والديار وباعوها، حتى بيت النبي ﷺ لم ينجُ من سَطْوِهِمْ، وقصة صهيب الرومى ﷺ معروفة، حين منعه من المحجرة إلا أن يترك لهم جميع أمواله، فتركها وهاجر إلى الرسول ﷺ فلما رآه الرسول قال له: "رَبِّحَ البَيْعَ أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى" فهل إذا سطا عليك أحد وأخذ منك جميع ما تملك، ثم وجدتَ فرصة لاسترداد بعض ما أخذه منك، أياكون هذا قطعاً للطريق؟ وإننا لتتعجب ممن يلصقون التُّهْمَ بأشرف الخلق أجمعين، صلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين، ويخفون ما جاء في كتابهم المقدس من قتل الأطفال والشيوخ، وحرق المُدُن، وخطف النساء والاعتداء عليهن، لدرجة اتهام سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بخطف امرأة من زوجها، وما هي الأدلة:

كل من وُجِدَ يُطْعَنُ وكل من انحاش يسقط بالسيف. وتُحَطَّمُ أطفالهم أمام عيولهم

وتُنَهَبُ بيوتهم وتُفَضَّحُ نساؤهم (إشعيا ١٣: ١٥-١٦)

وأوصوا بنى بنيامين قائلين امضوا واكمنوا في الكروم. وانظروا فإذا خرجت بنات

شيلوه ليُدْرَنَ في الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته

من بنات شيلوه واذهبوا إلى أرض بنيامين. (قضاة ٢١: ٢٠-٢١)

فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها. لم يُبق

شارداً بل حَرَّمَ كل نَسَمَةَ كما أمر الرب إله إسرائيل. (يشوع ١٠: ٤٠)

ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار. كقول الرب تفعلون. انظروا. قد أوصيتكم. (يشوع ٨: ٨)

فأرسل أنبى من فوره رُسلًا إلى داود قائلاً لمن هي الأرض. يقولون أقطع عهدك معي وهُوذا يدي معك لردّ جميع إسرائيل إليك. فقال حسناً. أنا أقطع معك عهداً إلا إنى أطلبُ منك أمراً واحداً وهو أن لا ترى وجهي ما لم تأت أولاً بميكال بنت شاول حين تأتى لترى وجهي. وأرسل داود رُسلًا إلى أيشبوش بن شاول يقول أعطنى امرأتى ميكال التى خطبتها لنفسى بمئة غُلْفَة من الفلسطينيين. فأرسل أيشبوش وأخذها من عند رَجُلِهَا من فلطيثيل بن لايش. وكان رَجُلُهَا يسير معها ويكى وراءها إلى بحوريم. فقال له أنبى اذهب. ارجع. فرجع (صرويل الثانى: ١٢-١٦) والدليل عل أن كلمة (رَجُلِهَا) تعنى (زوجها) ما جاء فى الكتاب المقدس عن السيدة حواء، حيث قال: فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. (تكوين ٣: ٦)، والله أعلم.

س ١٢٩- إن ربكم قد أخرج نبيكم من حنثه فى اليمين كما تخرج الشعرة من العجين، وذلك حين قال له: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحریم: ٢]

ج ١٢٩- إن هذا تيسير على الأمة كلها، ورفع الحرج عنها، وليس خاصاً بالرسول ﷺ وحده، فهل قالت الآية (قد فرض الله لك تحلة أيمانك) أم قالت: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ}؟ وتَحْلَةُ الأيمان قد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى قوله: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩] فى هذه الآية الكريمة رفع للحرج عن المؤمنين من جهة، والتوسعة عليهم من جهة أخرى، أمّا رفع الحرج فقد وضحه الرسول ﷺ فى قوله: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه" [صحيح مسلم] وأما التوسعة على المؤمنين فى طريقة التكفير عن اليمين، فهى إما بإطعام المساكين، أو كسوتهم، أو

تحرير رقبة، وهذا فيه النفع لفقراء الأمة ورفقها، ومن لم يستطع الإطعام أو الكسوة أو العتق فليصم ثلاثة أيام، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه. وهذا الأمر ليس قاصراً على كفارة اليمين، بل إن معظم الكفارات قائمة على نفع المخلوقين بالصدقة والعتق والإطعام والكسوة أكثر من القيام بالعبادة المحضة التي لا يعود نفعها إلا على فاعلها كالصلاة والصيام. وآية كفارة اليمين نزلت قبل أن يجرم الرسول ﷺ على نفسه العسل، فلم تنزل له خاصة، بل هي للمؤمنين عامة.

وقد جاء في الكتاب المقدس - ليس فقط سهولة كفارة اليمين - بل سهولة كفارة القتل، إذ يقول:

إذا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ لِتَمْتَلِكَهَا وَأَقْعًا فِي الْحَقْلِ لَا يَعْلَمُ مِنْ قَتْلِهِ يَخْرُجُ شِيُوخٌ وَقُضَائِكُ وَيُقَيِّسُونَ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنْ الْقَتِيلِ يَأْخُذُ شِيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عَجَلَةً مِنَ الْبَقْرِ لَمْ يُحَرِّثْ عَلَيْهَا لَمْ تَجْرُ بِالْتَّيْرِ وَيَنْحَدِرُ شِيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِالْعَجَلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ لَمْ يُحَرِّثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ الْعَجَلَةِ فِي الْوَادِي... وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شِيُوخِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعَجَلَةِ الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقِ فِي الْوَادِي وَيُصْرِّحُونَ وَيَقُولُونَ أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمِ وَأَعَيْنَا لَمْ تُبْصِرْ. اغْفِرْ لَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي فَدَيْتَ يَا رَبُّ وَلَا تَجْعَلْ دَمَ بَرِيٍّ فِي وَسْطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. فَيُغْفَرُ لَهُمُ الدَّمُ. فَتَنْزِعُ الدَّمَ الْبَرِيَّ مِنْ وَسْطِكَ إِذَا عَمِلَ الصَّالِحُ فِي عَيْنِي الرَّبِّ (تثنية ٢١: ١-٩) ونحن نتساءل: ما ذنب العجلة أن يُكسر عنقها؟ ألا كان يكفي أن يُقسِموا أنهم لم يقتلوه؟، والله أعلم.

س ١٣٠- إن ميلاد محمد ليس فيه أى خارقة كميلاد عيسى وموسى، فأما عيسى فقصته معلومة، وأما موسى فقد وُلدَ في عام الذبح ولكنه لم يُذبح، بل تربى في قصر فرعون، فلو كان شأن نبيكم عظيماً - كما تدعون - لكان لولادته شأن عظيم أيضاً.

ج ١٣٠- إن هذا من باب الأسئلة الطفولية التي تضطر أن نجيب عليها حتى لا يُقال إننا هربنا منها، ونجيبكم بسؤالكم: هل تؤمنون بنبي الله إبراهيم أم أنكم لا تؤمنون به؟ بالطبع ستكون إجابتكم أن نعم، فنسألكم: هل حدثت في ولادته أى خارقة، أو أى شيء غير طبيعي؟ وهل كانت في ولادة نوح، أو إدريس، أو إسحاق، أو يعقوب، أو هارون،

أر أى نبي من أنبياء بنى إسرائيل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أى خارقة؟ ثم من قال: إن ولادة سيدنا محمد ﷺ لم تكن فيها معجزات؟ لقد كانت هناك معجزات كثيرة، ولكننا لا نعول عليها، لأنها مضت.. فرمما جحدتها الجاحدون، ولأن المعجزة الأهم والأبقى هي معجزة القرآن، ومن هذه المعجزات أن جميع الأصنام التي كانت في الكعبة وقعت يوم ولادته، حتى (هبل) الذي كان أضخمها، وكان مُثَبَّتاً في الأرض بالأوتاد، وقع على وجهه. وغارت بحيرة (ساوا) التي كانت تُعبد من دون الله، وسقطت كل الكنائس التي حولها. واهتز إيوان (كسرى) عظيم الفرس، وسقطت منه بعض الشرفات، وأطفئت نار الجوس التي مر عليها ألف عام وهي موقدة، وقد كان الفرس يعبدونها من دون الله، ولم تكن ناراً عادية، فقد كان لها معبد ضخم البنيان، ومصادر لتغذيتها بالوقود من الزيت والخشب، وكان لها دوريات تحرسها ليل نهار، فانطفأت فجأة، مما أثار تشاؤم كسرى الذي كان يسمى (أنوشروان) وكاد يفتك بالجنود الموكلين بحراستها، ولكنه سأل الكهنة والسحرة عن السبب في هذا، فقالوا له: إن نبي العرب قد وُلِدَ. وقد نزل الرسول ﷺ شاخصاً يبصره إلى السماء، واضعاً كفيه على الأرض، كأنه ساجد لله تعالى، ولم تشعر أنه بجمله ولا ولادته، مما جعلها تقول: (حملته خفاً ووضعته خفاً) وقد حدثت هذه الأشياء كلها كإشارة إلى التوحيد الذي جاء به هذا النبي الخاتم ﷺ، والله أعلم.

س ١٣١- يقول نبيكم: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة: المصوِّرون يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" [مسند أحمد، صحيح الجامع: ٩٩٩] فلو كان محمد مرسلًا من عند الله لَمَا حَرَّمَ عملاً رائعاً تقوم عليه حضارة الدنيا الآن، وهو ضرورة حتمية من ضرورات الحياة الحديثة، مثل تحقيق الشخصية، وتعليم الطب والجراحة، وعالم الحيوان والبحار.. إلخ، ونحن نرى شيوخ الإسلام في الفضائيات، فهل تعتبرونهم عُصاة؟ حقاً.. إنه لأمر مضحك.

ج ١٣١- إن هذا فهم خاطئ لكلمة (صورة) فكلمة (صورة) تعني تمثالاً أو صنماً.. أى ما له ظل، وبناءً على ذلك فالمقصودون في الحديث الشريف هم صناع التماثيل أو النحاتون، لأنهم يحاولون تقليد صنع الله، وهي مدعاة لتعظيمها وعبادتها من دون الله، ولذلك يقال لهم يوم القيامة: "أحيوا ما خلقتم" إذن فالحديث لا يمنع تطور العلم، لأنه لا

يمنع هذه الصور التي قصدتها السائل، فالذي سأل عنه هو التصوير الفوتوغرافي الذي لم يكن موجوداً على عهد رسول الله ﷺ، وهو ليس بتصوير حقيقي، ولكنه نقل للصورة عن طريق آلة التصوير، ولا يحتاج لأي مهارة، فلو وقع طائر - مثلاً - على زر التقاط الصورة لصورها، ولو ضغط على الزر طفل لصورها، إذن فهو ليس بمحاولة لتقليد خلق الله، ولم يجرمه فقهاء المسلمين طالما أن له نفعاً وضرورة، أما إذا استُخدم في تصوير محرّم فيكون محرماً (رياض الصالحين بشرح ابن العثيمين، الجزء الرابع: ص ٢٤٠-٢٤٢) وحتى التماثيل لو أن هناك ضرورة لصنعها فقد أباحها العلماء، بشرط ألا تكون على هيئة يحيا عليها الإنسان أو الحيوان، أي أنها لا تكون كاملة.. فيقطعون رءوسها - مثلاً - أو يصنعون يداً أو قدماً كعلاج لبتير الأطراف، أو غير ذلك مما تدعو إليه الحاجة. وكذلك فإن لعب الأطفال مباحة لأنها تمان، ولكنها لا تُكرّم بوضعها على مكان عال أو بأى طريقة، وبشرط ألا يُبالغ في مضاهاتها لصنع الله جل وعلا. إن من أسماء الله تعالى (المصوّر) فهل يصوّر صوراً كهذه الصور الفوتوغرافية، أم أنه يخلق خلقاً متكاملًا؟ وما يدل على هذا المعنى قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} [آل عمران: ٦] وقوله: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [التغابن: ٣] فهل صورنا في أرحام أمهاتنا صوراً فوتوغرافية؟ أم أنه صورنا بمعنى أنه خلقنا فأحسن صورنا؟

وليس غريباً على من يصنعون التماثيل للفتران والبواسير أن ينكروا علينا تحريم التماثيل، فقد جاء في كتابهم المقدس:

واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التي تفسد الأرض واعطوا إله اسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنكم وعن آهتكم وعن أرضكم (صموئيل الأول: ٦: ٥)

ووضعوا تابوت الرب على العجلة مع الصندوق ويران الذهب وتماثيل بواسيرهم (صموئيل الأول: ٦: ١١)

وهذه هي بواسير الذهب التي ردها الفلسطينيون قربان إثم للرب. (صموئيل الأول: ٦: ١٧)

(١٧)

فقالوا وما هو قربان الإثم الذي نردّه له. فقالوا حسب عدد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب. لأن الضربة واحدة عليكم جميعاً وعلى

أقطابكم (صموئيل الأول: ٦: ٤) وحتى لا يظن أحد - من دهشته - أن البواسير ربما كان لها معنى آخر عندهم، فليرجع إلى الإصحاح الذي قبله. ولكن مع هذا فقد حرم كتابهم المقدس التماثيل في موضع آخر، فقال: ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب عملاً يَدَى نَحَاتٍ ويضعه في الخفاء. ويجب جميع الشعب ويقولون آمين. (تثنية ٢٧: ١٥)، والله أعلم.

س ١٣٢ - إن الإدمان مرض يعانى منه كثير من الشعوب، وتقام لعلاج المصححات، ولكن نبيكم بدلاً من أن يعالج المدمنين يأمر بقتلهم، مع أنهم كانوا يشربون الخمر قبل الإسلام شرهم للماء، فيقول: "من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد الثانية فاجلدوه، فإن عاد الثالثة فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه" [صحيح الجامع: ٦٣٠٩] فهل هذا {رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ}؟

ج ١٣٢ - إن المستدل بالحديث ليس عنده علم، ولكنه تلقفه ليطعن في الرسول ﷺ، فبالرغم من صحة الحديث إلا أنه منسوخ، لأن الرسول ﷺ عُرِضَ عليه الذى شرب الخمر أكثر من ثلاث مرات فلم يقتله، فكان فعله نسخاً لقوله، وهذا من رحمته ﷺ، حتى إن رجلاً لعن شارب الخمر الذى أقيم عليه الحد عدة مرات، فقال الرسول ﷺ: "لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يجب الله ورسوله" [صحيح البخارى] فلم يقتل الرسول ﷺ مدمناً قط، ولم يقتل بعده أحد من الخلفاء الراشدين أى مدمن. والسائل يعلم أن التاريخ كله لم يعرف نجاح أحد مثل نجاح سيدنا محمد ﷺ في القضاء على الخمر، حتى إن (برنارد شو) المفكر الانجليزي قال: (لو كان محمد على قيد الحياة لحل مشاكل البشرية كلها وهو يشرب فنجاناً من القهوة) ولما سُئِلَ عن هذه المقولة قال: (إن محمداً استطاع أن يحرم الخمر على أمة عاشقة للخمر، ولكن العالم المتحضر كله لا يزال يعانى من مشكلة إدمان الخمر، ولم تفلح معهم أى قوانين) ويكفى السائل أن يعلم أن حوادث السيارات المترتبة على شرب الخمر في أمريكا وأوروبا تفوق قتلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، بل وكل الحروب على مر السنين، فأين هى معاجتهم؟

وسبحان الله! إنهم يعيرون علينا حديثاً منسوخاً لم يعمل به أحد، وينسون أن عقوبة شارب الخمر عندهم الرجم بالحجارة حتى الموت، وهذا نص ما جاء في كتابهم المقدس:

إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما. يمسه أبوه وأمّه ويأتیان به الى شيوخ مدینته وإلی باب مكانه ويقولان لشیوخ مدینته. ابنا هذا معاند ومارد لا یسمع لقولنا وهو مسرف وسکیر. فیرجه جمیع رجال مدینته بمجارة حتى يموت. فتزع الشر من بینکم ویسمع کل إسرائيل ویحافون (تنبیه ٢١: ١٨-٢١) أما عقوبة الجلد التي يتأفون منها، ويتهموننا بالوحشية في تطبيقها، فهي في كتابهم المقدس، إذ يقول: إذا كانت خصومة بين أناس وتقدموا إلى القضاء ليقضى القضاة بينهم فليبرروا البارّ ويحكموا على المذنب. فإن كان المذنب مستوجب الضرب يطرحه القاضي ويجلدونه أمامه على قدر ذنبه بالعدد. (تنبیه ٢٥: ١-٢)، والله أعلم.

س١٣٣- إن محمداً ينصح أتباعه بشرب الأبل والبغال إذا أصابهم مرض الاستسقاء، أليس هذا أمراً مقررًا تشمئذ منه النفوس؟ ثم ما دخل الأبل والبغال بالاستسقاء؟

ج١٣٣- إن السائل قد تعجب من هذا العلاج، ولم يذكر أن الذين وصف لهم الرسول ﷺ هذا الدواء قد صحّت أبدانهم بعدما شربوها، ونقول له ولأمثاله: إن هذا الحديث غير مُلزم، أى أنه ليس فرضاً على من أصيب بالاستسقاء أن يشرب ما تعافه نفسه، فقد أحلّ رسول الله ﷺ أكل الضّب، ولكنه لم يأكله، وقال عنه: "لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه" [متفق عليه] ولكن بعض المرضى لا يأفون من هذا العلاج، لأنه أهن عليهم من المرض، وأيسر من التداوى بالحقن، وأرخص من الأدوية المكلفة، حيث أن العلاج ببديل الزّلال الناقص عندهم يتكلف آلافات الجنيهات. وقد أثبتت دراسة علمية أجرتها كلية (المختبرات الطبية) بجامعة (الجزيرة) بالسودان عن استخدامات قبيلة (البطانة) في شرق السودان (بول الإبل) في علاج بعض الأمراض، حيث أنهم يستخدمونه لعلاج الاستسقاء والحميات والجروح. وقد كشف البروفسور (أحمد عبدالله محمداني) تفاصيل تلك الدراسة العلمية التطبيقية المذهلة داخل ندوة جامعة الجزيرة، حيث ذكر أن الدراسة استمرت ١٥ يوماً حيث اختير ٢٥ مريضاً مصابين بمرض الاستسقاء، وكانت بطوهم منتفخة بشكل كبير قبل بداية التجربة العلاجية، وبدأت التجربة بإعطاء كل

مريض يومياً جرعة محسوبة من بول الإبل مخلوطاً بالباها ليكون طعمه مستساغاً، وبعد ١٥ يوماً من بداية التجربة أصابهم الذهول من النتيجة، إذ انخفضت بطونهم وعادت لوضعها الطبيعي، وشفى جميع أفراد العينة من الاستسقاء، وتصادف - بقدر الله - وجود بروفيسور إنجليزي أصابه الذهول وأشاد بالتجربة العلاجية. وقال البروفيسور أحمد: أجرينا قبل الدراسة تشخيصاً لكبد المرضى بالموجات الصوتية فاكشفنا أن كبد ١٥ من الـ ٢٥ مريضاً يحتوي (شعماً) وبعضهم كان مصاباً بتليف في الكبد بسبب مرض البلهارسيا، وجميعهم استجابوا للعلاج بـ (بول الإبل) وبعض أفراد العينة استمروا برغبتهم في شرب جرعات بول الإبل يومياً لمدة شهرين آخرين، وبعد نهاية تلك الفترة أثبت التشخيص شفائهم من تليف الكبد وسط دهشتنا جميعاً.

ويخبرنا البروفيسور أحمد عبد الله عميد كلية المختبرات الطبية عن تجربة علاجية أخرى عن طريق لبن الإبل، وهي تجربة قامت بها طالبة ماجستير بجامعة الجزيرة لمعرفة أثر لبن الإبل على معدل السكر في الدم، فاختارت عدداً من المتبرعين المصابين بمرض السكر لإجراء التجربة العلمية، واستغرقت الدراسة سنة كاملة حيث قسمت المتبرعين لفئتين: كانت تقدم للفئة الأولى جرعة من لبن الإبل بمعدل نصف لتر يومياً شرباً على (الريق) وحبته عن الفئة الثانية، وجاءت النتيجة مذهلة بكل المقاييس إذ أن نسبة السكر في الدم انخفضت بدرجة ملحوظة وسط الفئة الأولى ممن شربوا لبن الإبل، عكس الفئة الثانية، وهكذا عكست التجربة العلمية لطالبة الماجستير مدى تأثير لبن الإبل في تخفيض أو علاج نسبة السكر في الدم.

وأوضح د. أحمد المكونات الموجودة في بول الإبل، حيث قال إنه يحتوي على كمية كبيرة من البوتاسيوم يمكن أن تملأ جرادل، ويحتوي أيضاً على زلال بالجرامات، ومغنسيوم، إذ أن الإبل لا تشرب في فصل الصيف سوى ٤ مرات فقط، ومرة واحدة في الشتاء، وهذا يجعلها تحتفظ بالماء في جسمها، فاصوديوم يجعلها لاتدر البول كثيراً، لأنه يرجع الماء إلى الجسم. ومعروف أن مرض الاستسقاء إما نقص في الزلال أو في البوتاسيوم، وبول الإبل غني بالاثنين معاً.

وقد جاء في الكتاب المقدس أكل العذرة (الغايط) وشرب بول الإنسان، إذ يقول:

فقال لهم ريشاقي هل إلى سيدك وإليك أرسلني سيدي لكي أتكلم بهذا الكلام. ليس إلى الرجال الجالسين على السور ليأكلوا عذرتهم ويشربوا بولهم معكم. (الملوك الثاني: ١٨: ٢٧)

وجاء فيه من المخالفات العلمية التي لا أصل لها في (عدد: ١١-٣١) أن الرجل إذا شك في خيانة امرأته يأخذها للكهان فتعزى رأسها أمامه، فيسقيها ماء اللعنة، وهو ماء مخلوط بالتراب، فإن كانت خائنة ورم بطنها وشلّ فخذاها. ونحن نتساءل: هل شرب الماء المخلوط بالتراب يحدث بالبطن ورمًا؟ وبالفخذ شللًا؟ وهل للتراب دخل في الأعمال، فيصيب الخائنة دون غيرها؟ وكيف الحال لو أن هذا التراب كان ملوثًا بالجراثيم وغيرها؟ والله أعلم.

س١٣٤- يقول نبيكم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" [صحيح مسلم] وهذا لا يتناسب مع الواقع الذي نعيشه، فعلى سبيل المثال دول الخليج المسلمة بالمقارنة مع الدول البوذية المُعدّمة، أين هي جنة البوذيين وسجن المؤمنين؟

ج١٣٤- إن ما فيه المؤمنون من هذا النعيم لا يساوى شيئاً بالنسبة لما أعدّه الله لهم من النعيم المقيم، وما فيه الكافرون من الفقر والمرض يعتبر جنة بالمقارنة لما ينتظرهم من العذاب الأليم. كذلك فإن القيود التي يتقيد بها المسلم من الأوامر والنواهي تجعله - بالنسبة للآخرة - وكأنه في سجن، وانطلاق الكافر في ملذاته وشهوته تجعل الدنيا جنته، والله أعلم.

س١٣٥- يقول نبيكم: "بيت لا ثمر فيه جياع أهله" [صحيح مسلم] ما هذا يا مسلمون؟ أيكون الأغنياء جياعاً إن لم يكن عندهم ثمر؟ إن هذا لمضحك حقاً!

ج١٣٥- إن التمر من أفضل الثمار المفيدة للإنسان على مر الأزمان، وقد كان التمر أغلب قوت بلاد الحجاز في زمن الرسول ﷺ، وقد قال العلماء: إن هذا الحديث ينطبق على من ليس عنده غالب قوت بلده، فمن كان غالب قوت بلده البُر.. يقال: بيت لا بُر فيه جياع أهله، ومن كان غالب قوت بلده الأرز (مثل مصر) يقال: بيت لا أرز فيه جياع أهله.. وهكذا. وهناك تفسير آخر للحديث الشريف.. وهو أن البيت الذي فيه التمر - ولو كان غنياً - فهو يسد جوع أهله مؤقتاً ريثما يُطهى الطعام، فلو دخل رب البيت -

مثلاً - وهو جائع، وزوجته لم تكمل طهي الطعام فإنه يتصبر بيضع تمرات حتى تنتهي من تحضير طعامها، والله أعلم.

س١٣٦- إن نبي الرحمة - كما تقولون - يهدد أهل ملته، ويريد إحراقهم بالنار إن لم يصلوا في مسجده، كما ورد ذلك في الصحيحين.

ج١٣٦- إن الرسول ﷺ لم يحرق أحداً أبداً، بل ولم يحرق أى كائن حى، حتى إنه نهي عن حرق قرية النمل وقال: "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا ربُّ النار" [صحيح الجامع: ٢٤٢٥] ويبدو أن السائل لا علم له باللغة العربية، لأن الحديث يقول: "أُحْرِقَ عليهم بيوتهم" ولا بد للموجود فيها أن يخرج، وكأن البيوت سبب انقطاع الرجال عن المسجد، فالرسول ﷺ همَّ بأن يحرق السبب وهو البيوت، ولم يهَمْ بحرق الناس، لأن صلاة الجماعة لها في الإسلام شأن عظيم، وأجر كبير، وفوائد متعددة، وهى أفضل العبادات، ويضيق المقام عن ذكر فوائدها. والرسول ﷺ هو القدوة، فلم يأمرهم بالصلاة في المسجد ويصلى هو في البيت، بل هو إمام المسلمين في كل الصلوات. ثم إنه ﷺ همَّ بالتحريق فقط ولم يتفدَّ ما همَّ به، وذلك من شدة غضبه عليهم، كمن يغضب على ابنه غضباً شديداً ويقول: لأفعلنَّ به كذا وكذا، ثم لا يفعل شيئاً، فمجرد الهمَّ بالشىء لا يؤاخذ عليه الإنسان كما ورد ذلك في أحاديث الرسول ﷺ. وقد ذكرنا في الإجابة على الشبهة رقم (١٧٩) وغيرها أن الكتاب المقدس أمر بإحراق المدن بمن فيها وما فيها. وجاء فيه أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعاقب قوماً، ثم رجع في كلامه (بزعمهم) ولم يعاقبهم:

فتمرد الأبناء علىّ. لم يسلكوا في فرائضى ولم يحفظوا أحكامى ليعملوها التى إن عملها إنسان يجيا بها ونجسوا سُبوتى فقلتُ إني أسكبُ رِجْزى عليهم لأتَمَّ سخطى عليهم في البرية. ثم كفتُ يدي (حزقيال ٢٠: ٢١-٢٢) مع أن هذا يتناقض مع النَّصِّ التالى الذى يؤكد أن الله لا يرجع في كلامه:

ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل. أو يتكلم ولا يفى. (عدد ٢٣: ١٩)، والله أعلم.

س١٣٧- ذكر ابن هشام في السيرة أن نبيكم كان يشك في ما رآه هل هو ملك أم شيطان؟ فطلب من خديجة أن تكشف له عن حقيقته، فأجلسته على فخذه

وكشف شعرها، وعندها ذهب عنه ما رآه أخبره أنه ملك، فهل ما فعلته دليل على نبوته؟

ج١٣٧- لقد جاءت هذه الرواية في سيرة ابن هشام عن طريقين كلاهما لا يُحتج به لأنه ضعيف، فالرواية الأولى عن طريق ابن إسحاق قال: حدثني إسماعيل بن أبي حكيم آل الزبير أنه حَدَّثَ عن خديجة - رضی الله عنها - أنها قالت لرسول الله ﷺ: أى ابن عم أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: يا خديجة هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت فَحَوَّلَ فاجلس على فخذي اليمنى، قال: فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذه اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجرى، قال: فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

الطريق الثانية: عن ابن إسحاق قال: حدثت عبد الله بن حسن فقال قد سمعت أُمى بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ﷺ: إن هذا لملك وما هو بشيطان.

وإليك الدليل على ضعف الروایتين: الرواية الأولى بما انقطاع، لأن إسماعيل بن حكيم لم يسمع من السيدة خديجة - رضی الله عنها - وقال إنه (حَدَّثَ) ولم يذكر من حَدَّثَهُ، وهذا كاف لإبطال هذا الطريق. أما الرواية الثانية فهي عن فاطمة بنت حسين عن خديجة، وفاطمة هي بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهي تابعة ولدت بعد وفاة السيدة خديجة بنحو ثلاث وأربعين سنة، ففاطمة لم تسمع من خديجة، فيصبح هذا من المراسيل، وهذا كاف لتضعيف هذا الطريق أيضاً، وحتى الحسين عليه السلام لم ير السيدة خديجة لأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، والحسين ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة، أى

بعد وفاتها بسبع سنين، فإذا كان لم يسمع منها فكيف بابتته؟ وبفرض صحة هذين الحديثين فإن هذا كان في بادئ الأمر عندما جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء وهو وحده وليس معه أحد، فخاف على نفسه أن يكون أصابه شيء من الجن. ثم إن الرسول ﷺ لم يطلب من السيدة خديجة أن تكشف له عنه، ولكنها هي التي طلبت منه ذلك كما يتضح من الرواية.

وقد جاء الأمر في الكتاب المقدس - ليس فقط بكشف الشعر أمام الملك - بل بكشف العورة أمام الرجال: فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب. هكذا قال السيد الرب. من أجل أنه قد أنفق نحاسك وانكشفت عورتك بزناك بمحبيك... لذلك هأنذا أجمع جميع محبيك الذين لذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك... ويزعون عنك ثيابك ويأخذون أدوات زيتك ويتركونك عريانة وعارية. (حزقيال ١٦: ٣٥-٣٩)، والله أعلم.

س ١٣٨- إن رسولكم قد شرب الخمر، فقد شرب النبيذ وأمركم بشربه، وما النبيذ إلا حمراً.

ج ١٣٨- إن السائل لم يفهم معنى كلمة نبيذ، وقد قرأ الرواية التي وردت عن رسول الله ﷺ وطار بما، ألا وهي: حدثنا روح حدثنا حماد عن حميد عن بكر بن عبد الله أن أعرابياً قال لابن عباس: ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل، وآل فلان يسقون اللبن، وأنتم تسقون النبيذ، أمن بُخل بكم أو حاجة؟ فقال ابن عباس: ما بنا ببخل ولا حاجة، ولكن رسول الله ﷺ جاءنا ورديفه أسامة بن زيد فاستسقى فسقناه من هذا - يعني نبيذ السقاية - فشرب منه، وقال: "أحسنتم هكذا فاصنعوا" [مسند الإمام أحمد]

إن معنى كلمة (نبيذ) هو ما يُنَبِّذ (أى يُنْقَع) في الماء أو اللبن أو العسل، سواء كان من التمر أو الزبيب أو الشعير.. إلخ. ومن الواضح أن النبيذ الذي ورد في الحديث كان شيئاً زهيد السعر، فلو كان حمراً كما فهم هذا الناقد لَمَا اتهم الأعرابي عبد الله بن عباس - رضی الله عنهما - بأن قومه بخلاء، إذ كيف يتهمه بالبخل والخمر أغلى من الماء واللبن والعسل؟ ومن المعروف عن بني هاشم أنهم كانوا ينقبون التمر في الماء ويسقونه للحجيج. ثم كيف يشرب الرسول ﷺ شيئاً نهي عن شربه حيث قال: "كل مُسْكِرٍ حرام" [متفق]

عليه] وقال: "كل شراب أسكر فهو حرام" [متفق عليه] أما النبيذ (وهو ما يصنعه المسلمون في رمضان) فقد أحله الرسول ﷺ بشروط، فقال: "هتيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مُسكراً" [صحيح مسلم] "لا تجمعوا بين الرطب والبُسْر، وبين الزبيب والتمر نبيذاً" [صحيح مسلم] "من يشرب النبيذ منكم فليشربه زبيياً فرداً، أو تمرأ فرداً، أو بُسراً فرداً" [صحيح الجامع: ٦٦١٥]

وأخيراً ننصحكم أن ترجعوا لكتابكم المقدس لتقرأوا فيه أن أول آية (بزعمكم) ضُهِرت على يد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تحويل الماء إلى خمر: وفي اليوم الثالث كان عُرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودُعِيَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد. قالت أمه للخادم مهما قال لكم فافعلوه. وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يَسَع كل واحد مطرين أو ثلاثة. قال لهم يسوع امأوا الأجران ماء. فمأوها إلى فوق. ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ. فقدموا. فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحوّل خمرأ ولم يكن يعلم من أين هي. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكأ العريس وقال له. كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكرُوا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن. هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فأمن به تلاميذه (يوحنا ٢: ١-١١) يا للعجب! أول آية كندليل على النبوة (أو الألوهية بزعمكم) تكون في صالح السكرارى؟ فماذا يفعل التلاميذ إذ كان مُعلّمهم هو الذى شجعهم على شرب الخمر وجعلها آية؟ ولم يساعدهم على شربها فقط، بل شربها هو أيضاً (بزعمهم) حيث يقول: جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هُوذا إنسان آكول وشرب خمر. مُحب للعشارين والخطاة. (لوقا ٧: ٣٤)، والله أعلم.

س ١٣٩- تروى كتب الأحاديث عن عائشة أنها كانت حائضاً فأمرها نبيكم أن تكشف عن فخدها، ثم نام عليه وغطته بثوبها.

ج ١٣٩- تقول الرواية: حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد الله يعني ابن عمر بن غانم عن عبد الرحمن يعني ابن زياد عن عمارة بن غراب قال إن عمّة له حدثته أنها سألت

عائشة قالت: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد، قالت أخبرك بما صنع رسول الله ﷺ دخل فمضى إلى مسجده - قال أبو داود: (تعني مسجد بيته) فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأوجعه البرد، فقال اذن مني، فقلت إن حائض، فقال: وإن.. اكشفي عن فخذيك، فكشفت فخذي فوضع خده وصدره على فخذي، وحيثُ عليه حتى دفعي ونام. (رواه أبو داود والبيهقي، وضعفه الألباني) كلمة "إن" أي وإن كنت حائضاً.

عبد الرحمن بن زياد: وهو الأفریقی مجهول، قال البخاري في كتاب الضعفاء الصغير ٣٠٧: في حديثه بعض المناكير. وقال الترمذي: ضعيف في الحديث عند أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان وأحمد بن حنبل. وقال البزار: له مناكير (كشف الأستار رقم ٢٠٦١) وقال النسائي: ضعيف (الضعفاء والمتروكون ٣٣٧) وقال الدارقطني: في سننه (٣٧٩/١) ضعيف لا يُحتجَّ به.

وبفرض صحة الحديث فإن هذا لا يشين النبي ﷺ في شيء، بل هو من كمال تواضعه ﷺ إذ لم يستنكف من زوجته - رضى الله عنها - وهي حائض، بعكس ما جاء في الكتاب المقدس من نجاسة المرأة أيام حيضها، ونجاسة كل ما تلمسه ويلمسها (كما ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم ٢٧٨) ولا يشينها هي أيضاً، لأنها ذكرته لتعلم الأمة سيرته. والعجيب أن السائل يستنكر الحلال، ولا يستنكر ما جاء في كتابه المقدس من الحرام، وإليكم بعضه:

خذى الرَّحَى واطحنى دقيقاً. اكشفي نقابك شمري الذيل. اكشفي الساق. اعبرى الأنهار. تنكش عورتك وتُرى معاريك. (إشعيا ٤٧: ٢-٣)

ما أجمل رجلِكِ بالنعلين يا بنت الكرم. دوائر فخذيك مثل الحلوى صنعة يدى صنّاع. سُرَّتْكَ كَأْسٌ مَدْوُورَةٌ لَا يَعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن. ثدياك كخشفتين توأمى ظبية. عنقك كبرج من عاج... ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة بالذات. قامتك هذه شبيهة بالنخلة وThدياك بالعناقيد. قلتُ إني أصعدُ إلى النخلة وأمسكُ بعدوقها. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح وحنكك كأجود الخمر. لحبيبي السائفة المرققة السائحة على شفاها النائمين أنا لحبيبي وإلى اشتياقه. تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولتبت في القرى... هنالك

أعطيك حُبِّي. اللقاح يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرها لك يا حبيبي (نشيد الأنشاد: الإصحاح ٧)

لأني من كوة بيتي من وراء شبّاكي تطلعت فرأيت بين الجهال لاحظت بين البنين غلاماً عديم الفهم عابراً في الشارع عند زاويتها وصاعداً في طريق بيتها في العشاء في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام. وإذا بامرأة استقبلته في زِيّ زانية وخبيثة القلب. صحّابة هي وجامحة. في بيتها لا تستقر قدمها. تارة في الخارج وأخرى في الشوارع. وعند كل زاوية تكمن. فأمسكته وقبلته. (أمثال ٧: ٦-١٣)

في الليل على فراشي طلبت من تحب نفسي طلبته فما وجدته. إني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته. وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرايتم من تحبه نفسي. فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أزره حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبّلت بي. أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأبائنا الحقل ألا يُقطنن ولا تُنبهن الحبيب حتى يشاء (نشيد الأنشاد ٣: ١-٥)

كما جاء في الكتاب المقدس أيضاً - زوراً وهتاناً - أن سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - نام بجوار فتاة عذراء، جميلة، لا تحمل له، ليدفأ من البرد، وقد أوردنا الدليل على ذلك في الرد على الشبهة (٢٧٨)، والله أعلم.

س ١٤٠ - إن نبيكم اضطلع مع زوجة عمه أبي طالب في قبرها، أهكذا تكون العفة؟

ج ١٤٠ - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطلع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: "إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسّي من حُلل الجنة، اضطجعتُ معها لِيَهْوَنَ عليها" (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر) عن ابن عباس قال: لما ماتت أم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت ممن كفّل النبي ﷺ وربّته بعد موت عبد المطلب، كفنها النبي ﷺ في قميصه، وصلى عليها واستغفر لها، وجزاها الخير بما ولىته منه، واضطلع معها في قبرها حين

وُضِعَتْ، فقيل له: صنعت يا رسول الله بما صنعا لم تصنع بأحد! قال: "إنما كفتها في قميصي ليدخلها الله الرحمة ويغفر لها، واضطجعت في قبرها لينخف الله عنها بذلك" (كثر العمال).

لنسأل أولاً: ما معنى الاضطجاع؟ الاضطجاع هو الاستلقاء أو النوم على الجنب. قال تعالى: {تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} [السجدة: ١٦] وقال رسوله ﷺ: "إن هذه ضجعة يبغضها الله تعالى" [صحيح الجامع: ٢٢٧١] (أى أن الله يبغض النوم على البطن) إذن ليس هناك شيء مما ذهب إليه السائل من عدم العفة، فالرسول ﷺ نام في قبرها وهي مكفنة، على مرأى من الصحابة رضي الله عنهم، لعل الله يرحمها، وذلك من تمام وفائه لها إذ ربته، وأحسنبت إليه، وجعلته كابنها، وليس عملاً يؤخذ عليه. وقد أساء السائل الظن بالرسول ﷺ لأن الاضطجاع عنده في الكتاب المقدس يعنى الجماع، وغالباً ما يطلق على الزنى، بدليل:

وخرجت دينة ابنة ليثة التي ولدتها ليعقوب لتتظر بنات الأرض. فرآها شكيم ابن حَمُور الحَوِيِّ رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها. (تكوين ٣٤: ١-٢)

وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه. (تكوين ٣٥: ٢٢)

راعوث تضاجع (بوعز) بوصية من حماها: ومتى اضطجع فاعلمى المكان الذى يضطجع فيه وادخلى واكشفت ناحية رجله واضطجعى وهو يجبرك بما تعلمين. (راعوث ٣: ٤)، والله أعلم.

س ١٤١- روى البخارى في صحيحه أنه ذُكِرَ عند نبيكم رجل نام ليله حتى أصبح (أى لم يُصَلِّ الفريضة) فقال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنه" فهل الشيطان يبول؟

ج ١٤١- إذا كان الشيطان يأكل ويشرب، فما الغرابة في أن يبول؟ وإذا كان لا يُرى ولا يُشعر به، فهل يُرى بوله أو يُشعر به؟

لقد وجه العلماء الأفاضل معنى بول الشيطان في أذن من نام حتى فاتته الفريضة عدة توجيهات، منها: الأول: أن يُقال بأن هذا مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول في أذنه فنقل أذنه وأسد حسه، والعرب تُكَنِّي عن الفساد بالبول. وقال انطىي: حُصَّ الأذُن بالذکر وإن كانت العين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي

موارد الانتباه. الثاني: أن يقال بأن الأمر هو على حقيقته. قال القرطبي وغيره لا مانع من ذلك، إذ لا إحالة فيه، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول. الثالث: أن يقال بأن ذلك هو كناية عن سدّ الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر. الرابع: أن يقال بأن معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر. الخامس: هو أن الأمر كناية عن ازدياد الشيطان به. السادس: هو أن يقال بأن المعنى أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذ كالكنيف المُعد للبول، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.

وقد جاء في كتابكم المقدس أن معبودكم رأى الشيطان على هيئة البرق، فلماذا لم تنكروا عليه ذلك؟ فقال لهم رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء. (لوقا: ١٠: ١٨)، والله أعلم.

س ١٤٢- إن نبيكم قابل زيد بن حارثة وحضنه وهو عريان.

ج ١٤٢- إليكم الرواية الضعيفة التي يحتجون بها: حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد المدني حدثني أبي يحيى بن محمد عن محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضی الله عنها - قالت: قدّم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأناه ففرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ عرياناً يجر ثوبه، والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده، فاعتقته وقبله. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الزهري إلا من هذا الوجه.

هذا الحديث أخرجه الترمذی، ولم تثبت صحته، ففي سننه أبو يحيى بن محمد، قال عنه الذهبي ضعيف، وقال عنه الساجي: في حديثه مناكير وأغاليط. وفي الحديث علة أخرى: إبراهيم بن يحيى بن محمد ليين الحديث، وقال عنه الرازي ضعيف، وقد أورد العلامة الألباني هذا الحديث ضمن سلسلة الأحاديث الضعيفة [ضعيف الترمذی: ٥١٦] وهكذا يتبين مدى ضعف هذه الرواية، ومدى سقوط الاحتجاج بها. ثم إن الرسول ﷺ قد عصمه الله من أن يُرى عرياناً قبل النبوة.. فكيف بعدها؟ والقصة معروفة من كتب السيرة حين كان ينقل حجارة الكعبة مع فتیان قريش، فأمره عمه أن يخلع إزاره ويضعه على كتفه ليضع عليه الحجارة، وبمجرد أن همّ الرسول ﷺ بخلع إزاره وقع على الأرض، ولم

يره أحد.

والآن ننقل لكم ما جاء به الكتاب المقدس من نسبة التعرّي للمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ولأكبر تلاميذه (بطرس) بل والله سبحانه وتعالى:
 قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وأتزر بها. ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها. (يوحنا ١٣: ٤-٥)
 فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة. فعرّوه وألبسوه رداءً قرمزيًا. (متى ٢٧: ٢٧-٢٨)

بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا. كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم وثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم. قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد. قالوا له نذهب نحن أيضاً معك. فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً. ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع. فقال لهم يسوع يا غلمان أعمل عندكم إداماً. أجابوه لا. فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرّون أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب أتزر بثوبه لأنه كان غريباً وألقى نفسه في البحر. (يوحنا ٢١: ١-٧) ونحن نسأل: هل كان التعرّي أمام المسيح حراماً، وأمام غيره حلالاً؟

أمشى حافياً وعرياناً. (مicha: ٨) أتدرون لمن ينسبون هذا الكلام؟ إنهم ينسبون لله سبحانه وتعالى، ومن لم يصدق فليقرأ الكلام الذي قبله والذي بعده من السفر نفسه، والله أعلم.

س ١٤٣- إن نبيكم أمر سهلة بنت سهيل امرأة حذيفة أن ترضع سالم ابن حذيفة من التبنّي وهو رجل كبير، هل هذا يتفق مع ما تدعونه من العفة؟

ج ١٤٣- لقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم وأئمة المذاهب الفقهية وأتباعهم على أن الرضاع المحرّم هو الذي يناله الرضيع وهو دون الستين من عمره، لصريح قول الله تعالى: **{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ}** [البقرة: ٢٣٣] ولقول

رسوله ﷺ: "إنما الرضاعة من الجماعة" [صحيح مسلم] أى أن الرضاعة التى تُحرّم هى ما كانت فى فترة الصغر حتى يكون اللبن سبباً فى بناء لحم الطفل، فتكون المرصعة قد أنبتت من لبنها لحم الطفل كما أن الأم أنبتت من رحمها لحمه، فتكون المرصعة كالأم فى هذه الحالة. وفى الترمذى وصححه عن أم سلمة مرفوعاً: "لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء، وكان قبل الفطام" وللدارقطنى عن ابن عباس يرفعه: "لا رضاع إلا فى الحولين" وعند أبى داود عن ابن مسعود يرفعه: "لا رضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم" فكل هذه الأحاديث تدل على أن الرضاعة المُحرّمة هى ما كانت دون السنتين قبل الفطام، وما بعد ذلك فلا أثر لها. وأما ما جاء فى حديث سهلة بنت سهيل امرأة أبى حذيفة من قصة سالم مولى أبى حذيفة من أن أبا حذيفة كان قد تبنى سالمًا، فلما صارت امرأة أبى حذيفة يشق عليها دخول هذا الغلام الذى كبر لِمَا رأت من تغيّر فى وجه زوجها أبى حذيفة، استفتت النبى ﷺ فى ذلك، فقال لها: "أرضعيه تحرمى عليه" وكيف أن أمّ المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قد رأت أن هذا الأمر عامًا (كما فى سنن أبى داود) فكانت تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يُرضعن من أحببت أن يراها، أو يدخل عليها، وإن كان كبيراً خمس رضعات. فالجواب على ذلك أن جمهور العلماء ذهب إلى أن قصة سالم ﷺ هى واقعة خاصة بسالم لا تتعداه إلى غيره، ولا تصلح للاحتجاج بها. قال الحافظ ابن عبد البر: (عدم تحديث أبى مليكة بهذا الحديث لمدة سنة يدل على أنه حديث تُرك قديماً ولم يُعمل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومته، بل تلقوه على أنه مخصوص) (شرح الزرقانى على الموطأ ٢/٢٩٢) وقال الحافظ الدارمى عقب ذكره الحديث فى سننه: (هذا لسالم خاصة) وبذلك صرّحت بعض الروايات، ففى صحيح مسلم عن أم سلمة - رضى الله عنها - أنها قالت: (أبى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخلن عليهن أحداً بهذه الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا راثيناً) وبالتالي يكون عمل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - إن صح الخبر - اجتهاداً منها ليس إلا، وكان فهم وعمل الصحابة وسائر أزواج النبى ﷺ على خلافه. وقد قيل: إن ما روى عن عائشة - رضى الله عنها - محمول على أنها إذا تفرّست بطفل خيراً وأرادت أن يدخل عليها بعد بلوغه تأمر بنات أخيها أن

يرضعه وهو صغير، فإذا كبر دخل عليها. فالظاهر أن تخصيص الرخصة بسالم ﷺ من دون الناس هو الراجح من حيث اختيار معظم أمهات المؤمنين له، وذهاب معظم الصحابة ﷺ وجمهور العلماء إلى القول به، وهو المفهوم من ظاهر النصوص المعارضة لحديث سهلة بنت سهيل، ولو كان الأمر على إطلاقه لشاع بين الصحابة الكرام ومن بعدهم من السلف، ولتعددت طرقه، ورُوِيَ أخباره.

ولقد فهم أعداء الإسلام من قوله ﷺ لسهلة: "أرضعيه" أنه يتحتم ملامسة الثدي فتعجبوا لهذا. ومن أحسن ما قيل في توجيه ذلك قول الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه على صحيح مسلم (١٠ / ٣١) (قال القاضي: لعلها حَلَبَتْهُ ثم شَرِبَتْهُ، دون أن يَمَسَّ ثديها، ولا التَمَّتْ بِشَرَاتِهَا، إذ لا يجوز رؤية الثدي ولا مَسَّهُ ببعض الأعضاء) وقال أبو عمر: (صفة رضاع الكبير أن يُحَلَبَ له اللبن ويُسْقَاه، فأما أن تَلْقَمَهُ المرأة ثديها فلا ينبغي عند أحد من العلماء، وهذا ما رجحه القاضي والنووي) (شرح الزرقاني ٣/٣١٦) وقد روى ابن سعد في طبقاته عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه قال: كانت سهلة تحلب في مسعط أو إناء قَدْرَ رُضْعَتِهِ فيشربه سالم في كل يوم حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهي حاسرة، رخصة من رسول الله ﷺ لسهلة. (الطبقات الكبرى ٨/٢٧١ الإصابة لابن حجر ٧/٧١٦) ثم إن النص لم يصرح بأن الإرضاع كان بملامسة الثدي، فنحن نشرب لبن البقر والجاموس، فهل نزل تحتها لنشربه؟ وسياق الحديث متعلق بالحرج من الدخول على بيت أبي حذيفة، فكيف يَغَارُ أبو حذيفة من دخول سالم على امرأته ثم يرضى بالرضاع المباشر؟ لقد حرم النبي ﷺ مجرد المصافحة، حيث قال: "لأن يُطْعَنَ في رأس أحدكم بِمِخْيَطٍ من حديد خير له من أن يمَسَّ امرأة لا تُحَلِّلَ له" [صحيح الجامع: ٥٠٤٥] وقال: "إني لا أصافحُ النساء" [صحيح الجامع: ٥٢١٣] فكيف يجوز لمس الثدي بينما يحرم لمس اليد؟ ثم نسأل هولاء: هل الطفل الذي يشرب الحليب من غير ارتضاعه من الثدي مباشرة يثبت له حكم الرضاعة أم لا؟ والجواب عند جمهور العلماء أنه يثبت، وبالتالي نقول إنه إذا كان شرب اللبن بدون مباشرة الثدي يثبت حكم الرضاع للصغير.. فمن باب أولى أن يثبت للكبير، ذلك لأن شرب اللبن بدون مباشرة الثدي يصح أن يكون رضاعاً. قال العالم النحوي ابن قتيبة الدينوري في توجيهه

لحديث سهلة: أراد رسول الله ﷺ بحلّها عنده، وما أحبّ من اتلافهما، ونفى الوحشة عنهما، أن يزيل عن أبي حذيفة هذه الكراهة، ويطيب نفسه بدخوله فقال لها: "أرضعيه" ولم يرد: ضعي ثديك في فيه، كما يفعل بالأطفال، ولكن أراد: احلبى له من لبنك شيئاً، ثم ادفعه إليه ليشربه. ليس يجوز غير هذا، لأنه لا يحل لسالم أن ينظر إلى ثديها إلى أن يقع الرضاع، فكيف يبيح له ما لا يحل له، وما لا يؤمن معه من الشهوة؟ (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٠٨-٣٠٩)

إن هذا من رحمة الرسول ﷺ بسهلة وابنها من التبنّي، لأنه كانت هناك بينهما ألفة كالألفة التي بين الأم وابنها، لأنها هي التي ربته منذ صغره فأصبحت مثل أمه، ويصعب عليها وعليه أن يفترقا، وخاصة بعد أن كبرت سنّها وأصبحت وزوجها محتاجين لهذا الغلام عوناً لهما، ولا يُظنُّ أبداً أن ينظر إليها أو تنظر إليه نظرة شهوة، ولذلك فهي حالة خاصة تحتاج لحكم خاص، وكأنه تدرّيج في التشريع كما حدث في تحريم الخمر، ومعلوم أن تعلق المرأة بابنها والابن بأمه أشد من تعلق الإنسان بشرب الخمر. والآن نستعرض بعض ما جاء في الكتاب المقدس:

وافرح بامرأة شبابك الطيبة المحبوبة والوعلة الزهية. لِيُرِوكَ ثديها في كل وقت وبمحبّتها اسكر دائماً. (أمثال ٥: ١٨-١٩)

لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان. فماذا نصنع لأختنا في يوم تُخطب (نشيد الأنشاد: ٨)

لذلك هكذا قال الرب امرأتك تزنّي في المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف (عاموس ٧: ١٦)

وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيوفهن وخاطرات في مشيهن ويخشخن بأرجلهن يُصلعُ السيد هامة بنات صهيون ويُعرّى الرب عورتهم (إشعيا ٣: ١٦-١٧)

ثم ذهب شمشون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها. (قضاة ١٦: ١) مع العلم بأن شمشون نبى بنص كتابهم الذي يقول: فتول شمشون وأبوه وأمّه إلى تمّة وأتوا إلى كروم تمّة. وإذا بشبل أسد يزجر للقائه. فحلّ عليه روح الرب (قضاة ١٤: ٥-٦)

وأخيراً نقول لمن يظنن حول هذه الشبهة ويتغنى بها: إن ما لا يقبله عقل، ولا يُقره شرع، أن يترل الله سبحانه وتعالى ويرضع من ثدى امرأة، كما تزعمون في كتابكم المقدس: وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما (لوقا: ١١: ٢٧)، والله أعلم.

س ١٤٤ - يثبت نبيكم في الحديث الصحيح أنه عاشق للنساء، إذ يقول: "حُبَّ إِلَى من دنياكم الطَّيِّبُ والنَّسَاءُ" وأنتم ترفضون هذا القول رغم صحته.

ج ١٤٤ - يبدو أن السائل قد تعمد ألا يكمل الحديث، حيث يقول: "حُبَّ إِلَى من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة" [صحيح الجامع: ٣١٢٤] أى أن أحب شيء إليه ﷺ الصلاة، ولو أنه فهم اللغة العربية كما سأل هذا السؤال، لأن الرسول ﷺ قال: "حُبَّ إِلَى" ولم يقل (أحببت) أى أن الذى وضع هذا الحب في قلبه هو الله سبحانه وتعالى. ولكن لماذا حبه الله في النساء؟ لأن العرب كانوا ينظرون للمرأة نظرة احتقار، ولا يجعلون لها حظاً في الميراث، بل كانوا يتوارثونها هي نفسها، فنهاهم الله عن ذلك في قوله: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا} [النساء: ١٩] وكانوا ينظرون إليها على أنها دون الرجل في كل شيء، ويأكلون مهرها ولا يعطونها حقها، بل ويبدوها في مهدها {وَإِذَا أَلْمُؤَدَّةُ سِيلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨-٩] فأراد الله أن يجعل لها مكانة في قلب الرسول العظيم الأسوة ليُعَلِّي قدرها، وليتأسى به أصحابه ﷺ وأتباعه من بعده، فيرتفع قدرها في قلوب الأمة، فالمرأة هي الأم والأخت والزوجة والابنة والعمة والخالة، ولكل منهن حقها، والآيات والأحاديث في تكريم المرأة كثيرة جداً يضيق المقام عن ذكرها، ففي القرآن الكريم سورة طويلة تسمى (النساء) وليس فيه سورة تسمى (الرجال) ومن الآيات والأحاديث التي تحت على تكريمها: {وَمَنْ يَتْلُ الَّذِي عَلَّيْنِ بِالْعُرْفِ} [البقرة: ٢٢٨] {وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ١٩] {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق: ٢] "ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٧٨٨٠] "إني أخرج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة" [السنن الكبرى للبيهقى، صحيح الجامع: ٢٤٤٧] "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى

حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغداها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران" [صحيح الجامع: ٣٠٧٣] "حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يُقَبِّح، ولا يهجر إلا في البيت" [صحيح الجامع: ٣١٤٩] "من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ له سِتْرًا من النار" [صحيح الجامع: ٥٩٣٢] وليس معنى قوله ﷺ: "ابتلى" أفن شر، ولكن الابتلاء هو الاختبار، قال تعالى: {وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْحَرَمِ فَتَنَةً} [الأنبياء: ٣٥]

ونقول للسائل: إن الرسول ﷺ لم يثبت عنه قط أنه أحب امرأة من غير محارمه، أما الكتاب المقدس فقد جاء فيه:

وَأَحَبُّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ. (تكوين ٢٩: ١٨)

كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود. (صموئيل

الثاني ١٣: ١)

أحلفكن يا بنات اورشليم إن وجدتن حبيبي أن تخبرنه بأني مريضة حُبًا (نشيد

الانشاده: ٨)

حلقة حلاوة وكله مُشتهيات. هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات اورشليم (نشيد

الانشاده: ١٦)

ليتك كآخ لي الراضع ثدي أُمي فأجدك في الخارج وأقبلك ولا يخزوني. وأقودك وأدخل بك بيت أُمي وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني. شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني. أحلفكن يا بنات اورشليم ألا تيقظن ولا تبهن الحبيب حتى يشاء من هذه الطالعة من البرية مستدة على حبيبيها... لأن المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالأهوية. هيبها هيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفى المحبة والسيول لا تغمرها... أنا سور وئدياي كبرجين. (نشيد الانشاده: ٨: ١-١٠)

ها أنت جميلة يا حبيبي ها أنت جميلة عينك حمامتان من تحت نقابك. شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد. أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متم وليس فيهن عقيم. شفتاك كسلكة من القرمز. وفمك حلو. خذك كفلقة

رمانة تحت نقابك. عنقك كبرج داود... ثديك كخشفق ظبية توأمين يرعيان بين السوسن... كلك جميل يا حبيبي ليس فيك عيبة (نشيد الأنشاد: ٤: ١-٧)، والله أعلم.

س ١٤٥- إن القرآن يُبرئ محمداً من سرقة الشملة التي غلّها من المغام يوم بدر حتى لا يفتضح أمره.

ج ١٤٥- لقد جاء في تفسير قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلُّ وَمَنْ يَفْعَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: ١٦١] أن المنافقين اتهموا رسول الله ﷺ في قطيفة حمراء قالوا إنه غلّها من غنائم بدر، فترلت هذه الآية لتبرئته من هذه الفعلة الشنيعة، ولم تبرئه ﷺ وحده، ولكنها برأت جميع أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وكيف يغل رسول الله ﷺ وهو الذي نهى عن الغلول في أكثر من حديث، وحذر منه أشد التحذير، فقال: "ليس لي من هذا القميص شيء، ولا هذه الوبرة، إلا الخمس، والخمس مردود فيكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشاراً يوم القيامة" [صحيح الجامع: ٧٨٨٣] ونهى عن هدايا العمال فقال: "أما بعد.. فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أهدي إليّ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى له أم لا؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يغل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بعيراً جاء به له رغاء، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار، وإن كانت شاة جاء بها تيعر، فقد بلغت" [صحيح الجامع: ١٣٥٧] وقال: "هدايا العمال غلول" [صحيح الجامع: ٧٠٢١]

إن القرآن الكريم يعظم الأنبياء ويجلّهم، أما الكتاب المقدس فيقذفهم بقبائح الأفعال والخصال، فقد جاء فيه أن سيدنا يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كذب على أبيه، وسرق النبوة من أخيه، فقال:

وحدث لما شاخ إسحق وكنت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابني. فقال له هأنذا. فقال إنني قد شخّنتُ ولست أعرف يوم وفاتي. فالآن خذ عدتك جمعتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً. واصنع لي أطعمة كما أحب وأنني بها لأكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت وكانت رفقةً سامعةً إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به. وأما رفقة

فكلمت يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً. ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي. فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به. اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى. فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يجب. فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أمه هوذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربما يجسنى أبى فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة. فقالت له أمه لعنتك على يا ابني. اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي. فذهب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت في يد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال يا أبى. فقال هأنذا. من أنت يا ابني. فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكُل من صيدى لكى تباركنى نفسك. فقال إسحق لابنه ما هذا الذى أسرع لتجد يا ابني. فقال إن الرب إلهك قد يسر لي. فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجستك يا ابني. أنت هو ابني عيسو أم لا. فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه. فباركه. وقال هل أنت هو ابني عيسو. فقال أنا هو. فقال قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسى. فقدم له فأكل. وأحضر له خمرأ فشرب. فقال له إسحق أبوه تقدم وقبلى يا ابني. فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه... لئستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيداً لأخوتك. وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين... فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً. وقال لأبيه باركنى أنا أيضاً يا أبى. فقال قد جاء أخوك بمكر. وأخذ بركتك... فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التى باركه بها أبوه. وقال عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبى. فأقتل يعقوب أخى. فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هوذا عيسو أخوك متسل من جهتك بأنه يقتلك. فالآن يا ابني اسمع لقولي وقم اهرب إلى أخى

لابان إلى حاران. وأقيم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك. (تكوين ٢٧: ١-٤٤) يزعمون في هذا النص أن سيدنا إسحاق - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - شرب الخمر، وأن النبوة يهبها الإنسان لمن يشاء، إذ أن سيدنا إسحاق كان يريد أن يهبها لابنه البكر عيسو، ولكن سيدنا يعقوب احتال عليه فوهبها له بدلاً من أخيه، والله أعلم.

س ١٤٦- إن يوم القيامة لم يأت بعد، فمن الذين رأهم نبيكم في الجنة والنار ليلة المعراج؟

ج ١٤٦- إن أول شيء خلقه الله القلم، وأمره أن يكتب كل شيء، قال رسول الله ﷺ: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد" [صحيح الجامع: ٢٠١٧] إن كل شيء في الوجود منذ خلق الله السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة في كتاب عند الله جل وعلا، قال تعالى: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس: ٦١] وقال: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الحاثية: ٢٩] قال ابن عباس - رضى الله عنهما - وغيره في تفسيرها: تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم، فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ثم قرأ {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ومعنى كلامه ﷺ أن الملائكة تكتب أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فتجدها مطابقة تماماً لما كتبت في اللوح المحفوظ من القدم، ولكن ليس معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى فرض الأعمال على العباد، ولكنه علمها قبل أن يعملوها. إذن فأعمال العباد ومآلهم إلى الجنة أو النار مكتوبة عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك فقد تمكن الرسول ﷺ من رؤيتها ليلة المعراج، ولا يستبعد ذلك أحد، فالله على كل شيء قدير، وقد وصل الإنسان إلى تصوير الأحداث بكاميرات الفيديو، وكأنها ماثلة أمام العيون حال وقوعها، وقد تمكن من تسجيلها لساعات طويلة على أقراص الليزر الصغيرة، وتوصل إلى اختراع جهاز الموجات الصوتية ثلاثي الأبعاد، وكذلك التلفاز ثلاثي الأبعاد الذى يجعل المشاهد يرى الأشياء مجسمة، وكأنها أمامه وليست مصورة، فإذا كان هذا تصوير العبد

الضعيف الفقير قاصر العلم، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟، والله أعلم.

س١٤٧- يقول نبيكم: "يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب" [سنن الترمذى،

صحيح الجامع: ٨١٢٨] لقد ساوى نبيكم بين المرأة والكلب والحمار.

ج١٤٧- لقد ذُكِرَ ما يقطع الصلاة أمام السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقالت:

لقد جعلتمونا كلاباً، لقد رأيت النبي ﷺ يصلى وإنى لبينه وبين القبلة، وأنا مضطجعة

على السرير، فتكون لى الحاجة، فأكره أن أستقبله، فأُتِىَ انسللاً [صحيح البخارى]

وفى رواية أخرى للبخارى أيضاً أمّا قالت: أعدتُمونا بالكلب والحمار؟ لقد رأيتنى

مضطجعة على السرير فيجىء النبي ﷺ فيتوسّط السرير فيصلى، فأكره أن أستنحه،

فأُتِىَ من قِبَلِ رِجْلَى السرير حتى أُتِىَ من لِحافى. قولها (أُستنحه) أى أظهر له من

أمامه، قال الخطابى: هو من قولك سنع لى الشىء إذا عرض لى، وقولها (أُتِىَ) أى أخرج

بخفة أو برفق. قال (ابن رشيد) قصد البخارى أن شغل المصلى بالمرأة إذا كانت فى قبلته

على أى حالة كانت أشد من شغله بالرجل، ومع ذلك فلم تضر صلاته ﷺ لأنه غير

مشتغل بها، فكَذلك لا تضر صلاة من لم يشتغل بها، والرجل من باب الأولى.

أما قطع الحمار للصلاة.. فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: أقبلتُ ركباً على حمار

أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلى بالناس بمنى إلى غير جدار،

فمررتُ بين يدي بعض الصف، وأرسلتُ الأتان ترتع، فدخلتُ فى الصف، فلم ينكر

ذلك على أحد [صحيح البخارى] قوله: (ناهزت الاحتلام) أى قاربته، وقوله: (يصلى

بالناس بمنى) أى فى حجة الوداع، وقوله: (فلم ينكر ذلك على أحد) قال ابن دقيق العيد:

(استدل ابن عباس بترك الإنكار على الجواز، ولم يستدل بترك إعادتهم للصلاة، لأن ترك

الإنكار أكثر فائدة) أى أن ترك الإعادة يدل على صحتها فقط، لا على جواز المرور،

وترك الإنكار يدل على جواز المرور وصحة الصلاة معاً. ويُستفاد منه أن ترك الإنكار

دليل على جواز المرور، ولا يُقال ربما لم يعلم النبي ﷺ بمروره، لأن النبي ﷺ كان يرى فى

الصلاة من ورائه كما يرى من أمامه. وفى رواية أخرى أنه مر بين يدي بعض الصف

الأول، وعلى ذلك فليس هناك احتمال لعدم رؤية النبي ﷺ له. وقد استدل العلماء بهذا

الحديث على أن مرور الحمار بين يدي المصلى لا يقطع الصلاة. وقد قال العلماء (ومنهم

الطحاوى وغيره): إن هذا الحديث وحديث السيدة عائشة - رضى الله عنها - ينسخان الحديث الذى ذُكِرَ فى السؤال. ومال الشافعى وغيره إلى تأويل القطع فى الحديث بأن المراد به نقص الخشوع لا الخروج من الصلاة، ويؤيد ذلك أن الصحابى راوى الحديث سأل عن الحكمة فى التقييد بالكلب الأسود فأجيب بأنه شيطان، أى فى قوله ﷺ: "إذا قام أحدكم يصلى فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرُّحْل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرُّحْل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود" قيل: ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر؟ قال: "الكلب الأسود شيطان" [صحيح الجامع: ٧١٩] وقد عَلِمَ أن الشيطان لو مر بين يدي المصلى لم تفسد صلاته، كما فى قوله ﷺ: "إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذنين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا نُوبَّ بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى" [صحيح الجامع: ٨١٧] وقال الإمام أحمد رحمه الله: يقطع الصلاة الكلب الأسود، وفى النفس من الحمار والمرأة شىء. ووجهه ابن دقيق العيد وغيره بأنه لم يجد فى الكلب الأسود ما يعارضه، ووجد فى الحمار حديث ابن عباس، يعنى الذى تقدم فى مروره وهو راكب بمعى، ووجد فى المرأة حديث عائشة رضى الله عنها، والله أعلم.

س١٤٨- يقول نبيكم: "إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء، وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء، فليغمسه كله ثم ليترعه" [صحيح الجامع: ٨٣٥] أليس هذا مقززاً؟ ثم إنه من المعلوم أن الذباب ينقل الأمراض فكيف يكون فيه دواء؟

ج١٤٨- إن الذين ينكرون على رسولنا ﷺ هذا الحديث، عندهم فى الكتاب المقدس أن الرب يصفر للذباب، وقد ذكرنا هذا وغيره فى (صفات الرب فى الكتاب المقدس) فى الرد على الشبهة رقم (١٩) وعندهم أيضاً: وتأكل كعكاً من الشعير. على الخُرء الذى يخرج من الإنسان تحبزه أمام عيونهم. وقال الرب. هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم. (حزقيال: ٤: ١٢-١٣) أتدرون ما هو الخُرء؟ إنه البراز!

ماذا يفعل من فقد الماء في الصحراء؟ وماذا يفعل الجنود الذين حاصروهم العدو ومنع عنهم الماء والغذاء؟ هل ترون أنهم يتقززون من شرب أى نوع من الماء حتى لو كان ملوثاً؟ إن الأمر قد يصل بهم أحياناً إلى شرب بولهم لينقذهم من الهلاك.

لقد جاء في الكتاب المقدس أن الآباء والأمهات يأكلون أبناءهم، وتأكل المرأة مشيمتها في الحصار، بل ويخجل الآباء والأمهات على بقية أولادهم أن يأكلوا معهم من لحم إخوتهم:

فتأكل ثمرة بطنك لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إهلك في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك. الرجل المتنعم فيك والترفة جداً تبخل عينه على أخيه وامرأة حضنه وبقية أولاده الذين يقيهم بأن يعطى أحدهم من لحم بنيه الذي يأكله لأنه لم يبق له شيء في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك في جميع أبوابك. والمرأة المتنعمة فيك والترفة التي لم تجرب أن تضع أسفل قدمها على الأرض للتنعم والترفة تبخل عينها على رجل حضنها وعلى ابنها وبناتها بمشيمتها الخارجة من بين رجلها وبأولادها الذين تلدهم لأنها تأكلهم سراً في عوز كل شيء في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك في أبوابك. (تثنية: ٢٨: ٥٣-٥٧) ثم قال لها الملك مالك. فقالت إن هذه المرأة قد قالت لي هاتي ابنك فأكله اليوم ثم ناكل ابني غداً. فسألنا ابني وأكلناه ثم قلت لها في اليوم الآخر هاتي ابنك فأكله فخبأت ابنها. (الملوك الثاني: ٦: ٢٨-٢٩) فأين هذا من شرب الماء الذي وقع فيه الذباب؟

إن حديث الذبابة الذي تتكلمون عنه، وتشنعون به على نبينا محمد ﷺ ليس مُلزماً، فمن يتقزز من هذا الأمر فليس فرضاً عليه، فإن الرسول ﷺ نفسه وضعوا له ضباً فلم يأكله، لأنه لم يكن في قومه فعاثته نفسه (أى تقزز منه) ولكنه لم يجرمه، وقد قيل هذا الحديث في بيئة شحيحة الماء، ومنهم من يعيشون في الصحراء. وقد أثبت العلم الحديث بعد تجارب معملية عديدة أن كلام الرسول ﷺ حق، فقد أجروا تجارب على كؤوس كثيرة مليئة بالماء، وغمسوا في بعضها أحد جناحي الذبابة، وفي الأخرى الذبابة كلها، ثم نزعوا الذباب وعملوا مزارع بكتيرية على الكؤوس كلها، فوجدوا النتيجة التي أهرقتم، وهي أن الكؤوس التي وضع بها أحد جناحي الذباب مليئة بالجراثيم، أما الأخرى فتكاد

تكون خالية من الجراثيم، وقد عرض نتيجة هذه الأبحاث الدكتور (يحيى ابراهيم محمد عيد) في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الذي أقيم في دبي في الفترة (٢٢-٢٥ مارس ٢٠٠٤) وقال إن الذين أجروا هذه الأبحاث متخصصون في علم البكتريا بجامعة الملك عبد العزيز وجامعة القاهرة، وقد استخدموا ماءً معقماً وآخر غير معقم، وعملوا مزارع بكتيرية على بيئات مختلفة (وهي ما تسمى أجار وبلاد أجار) ودرجات حموضة مختلفة، فوجدوا النتيجة نفسها، وكان المفروض أن غمس الذباب يزيد من عدد البكتيريا، لأن الغمس يكون بمثابة غسل للذباب في الماء، ولكنهم وجدوا العكس.. وهو (كما قلنا) أن التي غُمِسَتْ - ولو لعدة مرات - تركت وراءها كمية قليلة من الميكروبات، أما التي لم تغمس، أو التي طارت بنفسها، فقد خلفت وراءها كمية كبيرة جداً من هذه الميكروبات. وقد اتضح لهم الإعجاز العلمي في هذا الحديث الشريف من ناحيتين: أن الرسول ﷺ أخبر بأن الذباب يحمل أمراضاً، وهي التي تسببها الجراثيم التي لا تُرى بالعين المجردة، والتي لم يتعرف عليها الإنسان قبل اختراع الميكروسكوبات العادية أو المجهرية، فكيف تُسئى للرسول ﷺ معرفتها مُسبقاً إلا بوحى الله له؟، والإعجاز الثاني أن غمس الذباب ليخلف وراءه كمية قليلة من الميكروبات هي فكرة التطعيم ضد الأمراض المعدية، وهي أن يعطوا جرعة صغيرة من الميكروبات لتنشيط الجهاز المناعي للإنسان، فيقوم بعمل أجسام مضادة لهذه الميكروبات، والله أعلم.

س ١٤٩- إذا سلمنا أن محمداً هو أحد الأنبياء، فكيف يفضل نفسه على سائر البشر والأنبياء والمرسلين؟ حتى إنه ليستعلى على آدم أبي البشر، وإبراهيم أبي الأنبياء، وأضف إليهم موسى وعيسى، وذلك بقوله: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع وأول مُشفَع ولا فخر" [صحيح الجامع: ١٤٦٨]

ج ١٤٩- إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج منا إلمامة سريعة بمهمة هذا الرسول العظيم ﷺ وأن نعقد مقارنة بينه وبين سائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مع التزامنا بقول ربنا تبارك وتعالى: {لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥] (أى لا نفرق بينهم في الإيمان بهم) ونحن نقدم هذه المقارنة في صورة نقاط، تحت عنوان الفرق بين

محمد ﷺ وسائر الرسل:

١- كل نبي أرسل إلى قومه خاصة، وأرسل سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة، بل وللجن أيضاً {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]

٢- أنه تفوق على سيدنا آدم في أنه رسول معه رسالة، وآدم ليس معه رسالة، ولكنه نبي فقط.

٣- أنه تفوق على إخوانه من أولى العزم من الرسل بأنه قاتل أعداء الله، ولم يقاتلوا.

٤- أنه تفوق على جميع الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - بأنه كان وحيداً لم يساعده أحد من الرسل، وقد ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم (١١٣).

٥- أنه ﷺ تفوق على كل الأنبياء والمرسلين في أنه أرسل إلى قوم لم يأتيهم رسول من قبله، كما قال تعالى: {لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} [السجدة: ٣] أى أنه مثل من تعامل مع أرض بُور لم تزرع من قبل، ولم يساعده فيها أحد.

٦- أنه ﷺ هو النبي الخاتم {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠] وكتابه هو الكتاب الخاتم والمهيمن على سائر الكتب قبله {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِّنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّجًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] ولن يأتي بعده نبي ولا كتاب، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٧- أنه النبي الوحيد الذي أخذ الله ميثاق جميع الأنبياء أن يؤمنوا به ويتبعوه إذا ظهر في زمانهم {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١]

٨- أنه النبي الوحيد الذي لم يخاطبه الله باسمه مجرداً، بل خاطبه بقوله: {يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ} أو {يٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ} في حين أنه خاطب بقية الأنبياء بأسمائهم، مثل: {يٰٓقَادِمُ أَنْبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} [البقرة: ٢٣] {يٰٓأَيُّهَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَن هٰذَا} [هود: ٧٦] {يٰٓنُوحُ أَخِيطِ بِسَلْمِكَ} [هود: ٤٨] {يٰٓمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النمل: ٩] {يٰٓبِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ كُونِ مِنَ الْوَاقِعَاتِ وَرَافِعَاتِ} [آل عمران: ٥٥] ولم يذكره باسمه إلا وقرّنه بالنبوة أو الرسالة، مثل: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: ١٤٤] {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح: ٢٩]

٩- أن الله سبحانه وتعالى خصه بالشفاعة العظمى بعد أن اعتذر عنها أولو العزم من الرسل.. في الحديث الذي ذكرناه في الرد على الشبهة رقم (٥٠).

١٠- أن أتباعه ﷺ أكثر من أتباع الرسل قبله، وسيكون يوم القيامة أكثرهم تابعاً، قال ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرَ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَبُونَ وَعَلَى رِجْمٍ يَتَوَكَّلُونَ" [صحيح الجامع: ٣٩٩٩]

ثم إن الرسول ﷺ حين قال هذا الكلام الذي ورد في السؤال لم يقدح في نبوة أحد ممن كانوا قبله، أما معبودكم فقد جاء في كتابكم المقدس أنه سَبَّ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ: فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق أقول لكم إني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سُراق ولصوص. (يوحنا: ١٠: ٧-٨) (ولا ندرى ما وجه الشبه بين الأنبياء والخراف؟) وقال: أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام (يوحنا: ١٥: ١) وقال: لأني وديع ومتواضع القلب. (متى: ١١: ٢٩)، والله أعلم.

س ١٥٠- يزعم نبيكم أن الرعد مَلَكٌ من الملائكة، فيقول: "الرعد مَلَكٌ من ملائكة الله مُوَكَّلٌ بالسحاب، معه مَخَارِيقٌ من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله" [صحيح الجامع: ٣٥٥٣] مع أن الحقيقة العلمية تقول إن الرعد عبارة عن صوت الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب، فكيف يكون الرعد ملكاً؟

ج ١٥٠- لقد وَكَّلَ اللهُ سبحانه وتعالى بكل شيء مَلَكاً لينفذ أمره فيه، فالمطر له ملك، وهو ميكائيل عليه السلام، وهناك ملك للرياح، وآخر للجبال، وآخر للزرع، وآخر للأرحام.. إلخ، فإن كانت كل الظواهر الطبيعية لها أسس علمية، فإن من ورائها هؤلاء الملائكة يقومون بتنفيذها دون أن نشعر بهم أو نراهم. وربما يكون الملك الموكَّلُ بالرعد اسمه (رعد) ولذلك سُمِّيَ الرعد باسمه، فهناك أشياء كثيرة في واقعنا سُمِّيَتْ باسم من صنعها أو

اخترعها. ألا تطلب من البائع أن يعطيك سندوتش؟ هل علمت لماذا سُمِّيَ سندوتش؟ لأن الذى ابتكره كان اسمه (سندوتش) وتطلب من البقال أن يبيع لك بسطرمة، هل تعلم لماذا سميت بسطرمة؟ لأن أول من صنعها كان اسمه (بسطرمة) وعندما تذهب إلى الصيدلية لتشتري حقنة بنسلين، هل تعلم لماذا سميت بنسلين؟ لأن مخترعها كان اسمه (بنسليم لوتاتم) وهناك بلد فى صعيد مصر تسمى إدفو.. هل تعلم لماذا سميت إدفو؟ لأن الصحابة ؓ دخلوها فى الشتاء، وكان جوها دافئ، فقال بعضهم لبعض: (ادخلوا ادفو) أى ليتدفئوا من البرد. هل تعلم لماذا سميت الفيوم بهذا الاسم؟ لأن سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بناها فى سبع سنين، أى حوالى ألفى يوم، ثم حُوِّرت إلى (الفيوم) إذن.. فكثير من الأشياء تسمى باسم فاعلها أو مخترعها، لدرجة أن هناك أماكن على سطح القمر سُمِّيت باسم العلماء الذين نزلوا عليه. قال رسول الله ﷺ: "الحمو الموت" [متفق عليه] وكلمة "الحمو" معناها أقارب الزوج، فهل هم الموت حقيقة، أم أن الرسول ﷺ شَبَّه خطورة دخولهم على النساء بالموت؟ وقد كان العرب يسمون الشيء باسم من اشتهر به، فكانوا يقولون مثلاً: (الجُودُ حاتم) لأنه كان كريماً، و(الشجاعة عنتر) لأنه كان شجاعاً.. وهكذا. فقول الرسول ﷺ: "الرعد ملك" تسمية مجازية بمعنى أنه بيد ملك، أما كونه "معه خارق من نار يسوق بما السحاب" فهذه هى التى تسبب تصادم السحاب ببعضه.

وقد جاء فى كتابكم المقدس تسمية مجازية أشد غرابة من هذه بكثير، حيث قال: الله قائم فى مجمع الله. فى وسط الآلهة يقضى. (مزمور ٨٢: ١) (الله) فى هذا النص معناه القاضى، أى أنه يحكم بحكم الله، و(الآلهة) بمعنى وجهاء القوم.

ولقد تعجبتم من المخالفة الظاهرية فى هذا الحديث للحقيقة العلمية، فى حين أن كتابكم المقدس ملئ بالمخالفات العلمية، ولكنكم لا تعلمون، فمن هذه المخالفات: وكل ديب الطير الماشى على أربع فهو مكروه لكم. إلا هذا تأكلونه من جميع ديب الطير الماشى على أربع... لكن سائر ديب الطير الذى له أربع أرجل فهو مكروه لكم. (لاويين ١١: ٢٠-٢٣) هل هناك طيور تمشى على أربع؟

فأخذ يعقوب لنفسه قضبانا خضراً من لبنى ولوز وذُلب وقشر فيها خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذى على القضبان. وأوقف القضبان التى قشرها فى الأجران فى

مساقي الماء حيث كانت الغنم تجمىء لتشرب. تجاه الغنم. لتتوخم عند مجيئها لتشرب. فتوخم الغنم عند القضبان وولدت الغنم محططات ورقطاً وبلقاً. (تكرين: ٣٠: ٢٧-٢٩) ونحن نسألکم: هل الغنم تتوخم؟ ولو توخمت.. هل يفهمها أحد؟، والله أعلم.

س ١٥١- إن نبيکم يقسم الكذب إلى نوعين، أبيض وأسود، والمعروف أن الكذب مذموم عند كل الناس، فكيف يحلله نبيکم؟

ج ١٥١- لا يوجد دين حارب الكذب مثل الإسلام، أما الكتاب المقدس فقد وصف كثيراً من الأنبياء بأنهم كذبة، وقد أوردنا أدلة كثيرة على ذلك في الرد على الشبهة رقم (٤٨) وقد جاء فيه أيضاً أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كذب على إخوته حينما دعوه للصعود معهم في عيد (المظال) وتظاهر بأنه لن يذهب معهم ثم ذهب: اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لستُ أصعدُ بعد إلى هذا العيد لأن وقتي لم يكمل بعد. قال لهم هذا ومكث في الجليل ولما كان إخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو أيضاً إلى العيد لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء. (يوحنا: ٧: ٨-١٠)

إن أدلة تحريم الكذب في الإسلام لا تعد ولا تحصى، منها قوله ﷺ: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" [صحيح مسلم] وجعل الكذب من صفات المنافقين في قوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان" [صحيح الجامع: ١٦] حتى إنه ﷺ نهي عن الكذب ولو في المزاح، فقال: "ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له" [سنن أبي داود، صحيح الجامع: ٧١٣٦] وقال: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" [صحيح الجامع: ١٤٦٤] ولكن هناك أنواعاً من الكذب ترتاح لها الفطرة السليمة.. جمعتها قوله ﷺ: "كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاثاً: الرجل يكذب في الحرب فإن الحرب خدعة، والرجل يكذب المرأة فيرضيها، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما" الحديث ضعفه الألباني، ولكن

معناه صحيح، وهذه الأنواع الثلاثة من الكذب هي التي أحلها علماء المسلمين، حتى ولو كان قائلها ولياً من أولياء الله الصالحين. أما النوع الأول فهو الكذب على الأعداء، بشرط ألا يكون فيه نقض لعهد أو أمان، قال رسول الله ﷺ: "الحرب شُذعة" [متفق عليه] ولا شك أن هذا الكذب من المباحات، إذ كيف نصدق مع عدونا؟ أنفشى له أسرارنا ليغضب أرضنا، ويسفك دماءنا، ويهتك أعراضنا؟ وهل إفشاء الأسرار من خطط حربية، ومواقع عسكرية، وأنواع الأسلحة والذخيرة، وأماكن وجودها، وأماكن منصات إطلاق الصواريخ... إلخ يقوله عاقل؟ إن هذا يعتبر من الجرائم العظمى التي يُعاقب عليها في بعض البلدان بالقتل. والمُخادعة في الحرب فيها حقن للدماء وتحقيق للغاية أكثر من المواجهة. أما النوع الثاني فهو الكذب على الزوجة، كأن تكون قبيحة فيقول لها إنها جميلة، أو أنه لا يجبها فيكذب عليها ويقول إنه يحبها، وذلك لعمارة البيوت، ودوام العشرة، وتربية الأولاد. ولكن لا يعنى هذا أنه يكذب عليها في كل شيء، بل هو مباح في مثل ما قلناه، أو ما شأبه من الإصلاح وتجنب الخلافات. وهي أيضاً يمكنها أن تكذب عليه فتقول إنها تحبه وهي على غير ذلك، حتى لا يغضب عليها أو يطلقها. أما النوع الثالث فهو للصلح بين المتخاصمين، كأن تقول لأحدهما: إن فلاناً يحبك ويمدحك ويقول عنك كذا وكذا، وتقول للآخر مثل ذلك، وهذا لإصلاح ذات البين، فقد قال الله سبحانه وتعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال: ١] وقال رسوله ﷺ: "ليس بالكاذب الذي يُصلح بين الناس فيقول خيراً أو يُنمى خيراً" [رواه الطبراني في الكبير] وقال: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة" [صحيح الجامع: ٢٥٩٥] "الحالقة" أي أنها تحلق الدين ولا تحلق الرأس (كما جاء في رواية أخرى) لأن المشاحن يغتاب صاحبه، ويربص به الدوائر، ويتمنى له الشر، وغير ذلك مما يثير الأحقاد والعداوة بين المسلمين، وكذلك فإن الخصومة بين المسلمين تعرضهم لعدم مغفرة ذنوبهم، قال رسول الله ﷺ: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا" [مرطاً مالك، صحيح الجامع: ٢٩٧٠] إذن هم ثلاثة أنواع فقط ليس لهم رابع، وليس من عاقل في الدنيا يعتبر هذه

الأنواع كذباً مذموماً. ولكن هناك نوعاً آخر لا يسمى كذباً ولكنه تعريض، وهذا لا يُستعمل إلا في الضرورة القصوى، كأن يتعرض الإنسان لمهلكة ويريد أن ينجو منها، أو لأنه لو قال الحق الصريح فسيعرض غيره للخطر أو ينفسي سره، ففي هذه الحالة يقول كلمة صادقة، ولكنها تُفهمُ بمعنى آخر، وذلك كما فعل الصديق عليه السلام حين هاجر مع النبي صلى الله عليه وآله إذ لقيه رجل وسأله من هو؟ فلو قال له إنه رسول الله لبلغ عنه قريشاً، ولتعقبته لتقطع عليه هجرته، فقال له: إنه هاد يهديني إلى الطريق. فهو صادق في قوله، ولكن الرجل فهمها على أنه دليل يريه الطريق الذي يريد أن يسلكه. ولكن لا يجوز استخدام المعارض في الشهادة، أو لتضييع الحقوق، أو غير ذلك مما يغضب الله جل وعلا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن في المعارض لمندوحةً عن الكذب" وقد ضعفه الألباني ولكنه معمول به عند أهل العلم، بشرط ألا يعود عليه الإنسان، لأنه يُفرضى به إلى الكذب، ولا يكون إلا في الضرورة كما قلنا، وألا يوقع به ضرراً على أحد، والله أعلم.

س ١٥٢ - عندما أتى ماعز لنييكم يعترف له بالزنى حتى يقيم عليه الحد، سأله نبيكم وقال له: "لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت" فقال له: لا، فسأله نبيكم وقال له كلمة شنيعة، أول حرف فيها ألف، والثاني نون، والثالث كاف، والرابع تاء، والخامس هاء، والسادس ألف. فهل يصح أن ينطق بهذه الكلمة نبي؟ وحتى لا تكذبوننا.. فالحديث في (صحيح البخاري) الذي تعتبرونه أصح كتب الحديث.

س ١٥٢ - لقد نسبتم الزنى لأنبيائكم (وحاشاهم) وقد ذكرنا الأدلة على ذلك في أكثر من موضع، ولم تستطيعوا أن تنسبوه لنبينا صلى الله عليه وآله رغم عداوتكم له وعدم الإيمان به، ولم ينسبه له أحد من قبلكم على مر العصور والأيام، رغم العداوة المطلقة له صلى الله عليه وآله من المشركين والملحددين والمستشرقين وغيرهم، أتكون هذه الكلمة أشد عندكم من الزنى؟ إن الرسول صلى الله عليه وآله كان أشد الناس حياءً، حتى وصفه أصحابه عليهم السلام بأنه "كان أشد حياءً من العذراء في خدرها" [صحيح الجامع: ٤٧٩٩] وكان كثيراً ما يُكنى ويستخدم ألفاظاً غير صريحة للتعبير عما يريد، وذلك مثل قوله: "إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل" [صحيح الجامع: ٣٨٥] وقوله في الحديث الذي ذكرناه في حد الزنى: "إذا رأى أحدكم المرأة التي تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم، فإن ذلك معهم" [صحيح ابن حبان، صحيح الجامع: ٥٥٢] وحين

سألت امرأة عن التطهر من حيضها أمرها بالغسل، ثم قال لها: "خذى فرصة من المسك فتطهري بها" قالت: كيف أتطهر؟ قال: "تطهري بها" قالت كيف؟ قال: "سبحان الله! تطهري" فاجتذتها السيدة عائشة - رضى الله عنها - وقالت لها: "تبعي بها أثر الدم" [صحيح البخارى] وفي رواية أخرى في [صحيح مسلم] أنه قال لها: "تطهري بها سبحان الله" واستتر، أى غطى وجهه، فعرفت السيدة عائشة ما يريد... إلى آخر الحديث. ولا يظن أحد أنه علمها كيفية الغسل بألفاظ صريحة، فقد وضحت الرواية التالية التى وردت فى [سنن ابن ماجه] كيفية شرحه لهذا الغسل "تأخذ إحداكن ماءها وسنذرها فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى يبلغ شتون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة مُمسكة فتطهر بها" [صحيح الجامع: ٢٩٠٣] "فرصة" هى قطعة من القطن، "مُمسكة" أى بها مسك، "فاجتذتها" أى شدتها إليها.

إن الرسول ﷺ لم ينطق بالكلمة التى وردت فى السؤال إلا مرة واحدة فى حياته، وقد قالها حتى يتأكد من أن ماعز رضي الله عنه زنى، لأنه ربما كان يجهل شروط إقامة حد الزنى، ويظن أنه يُقام على من قبِل أو غير ذلك من الأفعال التى لا تعنى الجماع، فأراد النبي ﷺ ألا يقيم عليه الحد - إبقاءً على حياته - حتى يستوثق تماماً من فعلته، ولم يكن هناك بديل لهذه الكلمة التى تعنى فى اللغة العربية إتمام الجماع كما يحدث بين الرجل وزوجته. ومعلوم أن بعض الألفاظ تكون مُستقبحة فى بعض المجتمعات دون غيرها، وربما كانت هذه الكلمة غير مُستقبحة فى عهده ﷺ، فمثلاً كلمة (نسوان) مستقبحة عندنا فى مصر، رغم أنها كلمة عربية مثل (نساء) وفى بعض البلدان العربية يقولون عن المرأة (مرّة) ولا يجدون فيها أى عيب، فى حين أنها مستقبحة جداً فى مصر، ويعتبرونها شتيمة للمرأة، ولكنها فى الحقيقة ليست كذلك، لأنها اختصار أو تحوير لكلمة (امرأة) وكذلك فإن كلمة (لباس) قد استُخدمت فى مصر فى غير معناها، ولو نطق بها أحد لكانت عيباً، فى حين أن معناها الحقيقى لا يعنى معناها العامى، فمعناها الأصلى هو ما يلبسه الإنسان، قال تعالى عن أهل الجنة: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر: ٣٣] وقال: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧] أى أنه سبحانه وتعالى شبه المرأة بأنها لباس لزوجها وهو لباس لها، بمعنى أنها ستّر له وهو ستّر لها كما يستر اللباس صاحبه. ربما يقول مجادل: لماذا لم يقل له:

أجامعتها؟ فنقول له: إن كلمة (الجماع) لم تُطْلَق قط على الزنى، ولكنها تطلق على العلاقة الحلال بين الرجل وزوجته، ومن تصفح كتب الفقه من أولها إلى آخرها لا يجد أحداً استخدمها للتعبير عن الزنى.

والآن نجد أنفسنا مضطربين لأن نذكر بعض الألفاظ الجنسية التي وردت في الكتاب المقدس، ولولا الدفاع عن نبينا وحبينا وقرّة أعيننا ﷺ ما ذكرناها:

وكانت إلى كلمة الرب قائلة. يا ابن آدم عَرَفَ أورشليم برجاساقها وَقُلْ. هكذا قال السيد الرب لأورشليم... أما ميلادك يوم وُلِدْتَ فلم تُقَطِعْ سُرْتِكَ ولم تُغْسَلِي بالماء للتنظيف ولم تُمَلِّحِي قَمَلِيحاً ولم تُقَمِّطِي قَمِيطاً. لم تشفق عليكِ عين لتصنع لكِ واحدة من هذه لترق لكِ. بل طَرَحْتَ على وجه الحقل بكرهه نفسك يوم وُلِدْتَ. فمررتُ بكِ ورَأَيْتُكِ مَدُوسَةً بدمكِ فقلتُ لكِ بدمكِ عيشي. قلتُ لكِ بدمكِ عيشي. جَعَلْتُكِ رِبوةَ كنباتِ الحقلِ فَرَبَّوَتْ وكَبُرَتْ وبلغتِ زينةَ الأزبان. نَهَدَ ثدياكِ ونبت شعركِ وقد كنتِ عريانةً وعاريةً. فمررتُ بكِ ورَأَيْتُكِ وإذا زمنتكِ زمن الحب. فَبَسَطْتُ ذيلي عليكِ وسرتُ عورتكِ وحَلَفْتُ لكِ ودخلتُ معكِ في عهد يقول السيد الرب فصِرْتِ لِي. فحَمَمْتُكِ بالماءِ وغسلتُ عنكِ دماءكِ وَمَسَحْتُكِ بالزيت... فأثكلتِ على جمالِكِ وزينتِ على اسمكِ وسكبتِ زناكِ على كلِّ عابِرٍ فكان له. وأخذتِ من ثيابكِ وصنعتِ لنفسكِ مُرتفعاتِ موشاةٍ وزينتِ عليها. أمرٌ لم يأتِ ولم يكن. وأخذتِ أمتعةَ زينتكِ من ذهبٍ ومن فضةٍ التي أعطيتكِ وصنعتِ لنفسكِ صُورَ ذكورٍ وزينتِ بها... وفرَّجتِ رجليكِ لكلِّ عابِرٍ وأكثرتِ زناكِ. وزينتِ مع جيرانكِ بنى مصرِ الغلاظِ اللحمِ وزدتِ في زناكِ لإغاظتي... وزينتِ مع بنى آشورِ إذ كنتِ لم تشبَعِي فزيتِ بهم ولم تشبَعِي أيضاً. وكثرتِ زناكِ في أرضِ كنعانِ إلى أرضِ الكلدانيين وبهذا أيضاً لم تشبَعِي... أيتها الزوجة الفاسقة تأخذِ أجنيين مكانَ زوجها. لكلِّ الزواني يُعْطَوْنَ هديةً. أما أنتِ فقد أعطيتِ كلِّ محبيكِ هداياكِ ورشيتهم لِيأتوكِ من كلِّ جانبٍ للزنا بكِ. وصارَ فيكِ عكسُ عادةِ النساءِ في زناكِ إذ لم يُزَنَ وراءكِ بل أنتِ تُعْطِينَ أجرَةَ ولا أجرَةَ تُعْطِي لكِ. فصرتِ بالعكسِ فلذلكِ يا زانيةِ اسمي كلامِ الرب. هكذا قال السيد الرب... لذلكِ هأنذا أجمعُ جميعَ محبيكِ الذين لددتِ لهم وكلِّ الذين أحببتهم مع كلِّ

الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك... ويتركوك عريانة وعارية... وأحل غضبي بك فتتصرف غيرتي عنك فأسكن ولا أغضب بعد. (حزقيال ١٦: ١-٤٢) إن هذه القصة - بالإضافة إلى ما فيها من ألفاظ جنسية صارخة - تنسبُ لله سبحانه وتعالى - زوراً وبُهتاناً - أنه مرَّ بأورشليم فوجدها مُلقاه في الحقل، لم تُقَطَّع سُرَّتْها، ولم يغسلها أحد، فبسط ذيله عليها، وسترها، ونظفها بالماء، ومسحها بالزيت، وألبسها لباساً جميلاً، وأطعمها طعاماً لذيذاً، وحلاها بالذهب والفضة، واتخذها زوجة، وولدت له بنين وبنات، ثم خانتها فزنت، وفعلت ما جاء في النَّصِّ لتغيظه، فعاقبها بأشد العقوبات حتى تذهب عنه غيرته، ثم غفر لها. وقد اختصرنا بعض الفقرات حتى لا نطيل على القارئ، فمن أراد الاطلاع على القصة كاملة فليقرأ الإصحاح من أوله إلى آخره.

وهاكم مختصر قصة أخرى وردت في الكتاب المقدس: وكان إلى كلام الرب قائلاً. يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة. وزنتا بمصر. في صباهما زنتا. هناك دُغِدِغْتَ ثديهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتيهما. واسمها أهولة الكبيرة وأهولبية أختها وكانتا لى وولدتا بنين وبنات... وزنت أهولة من تحتي وعشقت محبيها أشور الأبطال... كلهم شبان شهوة... ولم تترك زناها من مصر أيضاً لأنهم ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عذرتيها وسكبوا عليها زناهم... هم كشفوا عورتها... فلما رأت أختها أهولبية ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنى أختها. عشقت بنى أشور... كلهم شبان شهوة... عشقتهم عند ملح عينيها إياهم... فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها. كشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها... وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير وميتيهم كمنى الخيل. وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل لى صباك لأجل ذلك يا أهولبية هكذا قال السيد الرب. هاأنذا أهيج عليك عُشاقك الذين جفتهم نفسك وآتى بهم عليك من كل جهة... كل بنى أشور شبان شهوة... وأجعل غيرتى عليك... ويتركوك عريانة وعارية فتتكشف عورة زناك ورذيلتك وزناك... وتجتئين نديك لأنى تكلمتُ يقول السيد الرب. لذلك هكذا قال السيد

الرب من أجل أنك نسيتني وطرحتنى وراء ظهركِ فتحملني أيضاً رذيلتكِ وزناكِ
(حزقيال ٢٣: ١-٣٥)، والله أعلم.

س ١٥٣- يقول نبيكم: "تزوجوا الودود الولود فإن مكاثر بكم الأمم" [صحيح
الجامع: ٢٩٤٠] أئى لكم معرفة خصوبتها وهى بكر؟ وأما "الودود" وتعنى (المتحبة)
فكيف تعرفونها وأنتم تحرمون الاختلاط؟

ج ١٥٣- لقد تطورت الأبحاث العلمية لمعرفة خصوبة المرأة ولو كانت بكرأ، أما في
الماضى فكانت تعرف من قريباتها، وخصوصاً أمها وأخواتها وخالاتها، لأن الخصوبة من
الصفات الوراثية. أما "الودود" فلا تحتاج للاختلاط لمعرفة أخلاقها، بل تُعرف من
معاملتها لزوجها السابق إن كانت ثيبأ، أو بمعاملة أمها مع أبيها لو كانت بكرأ، لأن
البنات غالباً ما يأخذن صفات أمهاتهن، وكذلك من معاملة أخواتها مع أزواجهن، وتُعرف
أيضاً بسؤال جيرانها أو أقاربها أو صديقاتها عن أخلاقها وتصرفاتها، والله أعلم.

س ١٥٤- جاء في كتب السيرة في صلح الحديبية أن نبيكم كان إذا تنخَّم نخامة
أخذها أصحابه ومسحوا بها وجوههم، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على فضل وضوئه،
فهل كان نبيكم يرضى عن هذه الأفعال المقززة؟

ج ١٥٤- إن ما فعله الصحابة ؓ لم يكن بأمر النبي ﷺ ولكنه من فرط حبهم له،
والتيك به، وتعظيمه، كما كانوا يقسمون بينهم شعر رأسه عندما يحلقه، ومن أمثلة ذلك
أيضاً أن جاءه سيدنا قتادة بن النعمان ؓ في غزوة أحد وهو يحمل عينه على كفه، وقال:
يا رسول الله.. قُلعت عيني، فبللها الرسول ﷺ بريقه الشريف ووضعها مكانها، قال: فوالله
إنها كانت أحدً من السليمة. وتروى كتب السير أن السيدة أم أيمن (بركة الحبشية رضى
الله عنها) مربية رسول الله ﷺ بعد أمه، كانت تبيت معه لخدمته في أول أيام هجرته،
وكان تحت سرير رسول الله ﷺ فخارة يتبول فيها ليلاً حتى لا يخرج إلى الخلاء، لأنه كان
مُسْتَهْدَفاً من الأعداء، وفي ذات ليلة قامت السيدة بركة من نومها فشربت ما فيها وهى لا
تدرى، فلما أمرها أن تريقها قالت: يا رسول الله قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها،
فقال لها: "إنك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا أبداً" [السيرة النبوية لابن كثير] وفعلاً
طال عمرها حتى ماتت في خلافة سيدنا عثمان ؓ ولم تشك بطنها أبداً، وبديهي أنها لو

شعرت بأى شىء مفرز في هذا البول لتركته، ولكنها لم تر به بأساً، فإذا كان هذا حال بول النبي ﷺ فكيف بنخامته؟ إن أحوال الأنبياء غير سائر البشر، فما هو سيدنا أنس بن مالك ؓ يقول: خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لى أف قط، وما قال لى شىء صنعته لم صنعته؟ ولا لى شىء تركته لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ [رواه الترمذى فى سننه وقال حسن صحيح] فكما أن عرقه ليس كسائر البشر، فكذلك نخامته ﷺ ليست كسائر البشر. ثم إنكم قد حكمتكم على تصرفات هؤلاء الصحابة ؓ بمنطقكم لأنكم لم تشعروا بفرط حبهم له وتعظيمهم إياه، فمن الصعب عليكم تصور ما فعلوه، رغم أن فى واقعنا ما يشاهمه، فما هى الأم تاكل ما يلفظه ابنها من فمه دون أدنى حرج، فى حين أن أباه لا يستطيع ذلك، وذلك لفرط حبهما له أكثر من أبيه.

والذين يتعجبون من فعل هؤلاء الصحابة ؓ جاء فى كتابهم المقدس رش الفرث على الوجوه، وقد ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٧٠) وجاء فيه أيضاً أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وضع طيناً على عين الأعمى فأبصر، وتقل على الأصم فتكلم: فقالوا له كيف انفتحت عينك. أجاب ذاك وقال. إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطفى عيني وقال لى اذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت فأبصرت. (يوحنا ٩: ١٠-١١) وجاءوا إليه بأصم أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده عليه. فأخذه من بين الجمع على ناحية ووضع أصابعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه. ورفع نظره نحو السماء وأن وقال له إفا. أى انفتح. وللوقت انفتحت أذناه وانحل رباط لسانه وتكلم مستقيماً. (مرقس ٧: ٣٢-٣٥)، والله أعلم.

س ١٥٥- تروى كتب الأحاديث أن الناس كانوا يبعثون إلى نبيكم بالهدايا فى يوم عائشة لعلمهم بحبه لها، فغارت بعض نسائه من ذلك، فأرسلن له أم سلمة نائبة عنهن لتكلمه فى ذلك، فقال لها: "لا تؤذيني فى عائشة، فإن الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة" وهذا يثبت أنه كان يرتدى ثوبها، ويأتيه الوحى وهو على ذلك، رغم أنكم تقولون إنه فى عن تشبه الرجال بالنساء.

ج ١٥٥- إن قوله ﷺ: "في ثوب عائشة" لا يعني أنه كان يأتيه الوحي وهو لابس ثوبها كما ظن السائل بفهمه السطحي، ولكن هذا يُعتبر من التعبير المجازي، فحينما ذكر الله سبحانه وتعالى قول فرعون: {وَأَصْلَبَنكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} [طه: ٧١] هل يعني ذلك أن فرعون صلبهم داخل النخل أم أنه صلبهم عليه؟ وحين قال سبحانه وتعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧] فهل معنى ذلك أن المرأة لباس لزوجها وهو لباس لها بهذا المعنى السطحي، أم أن معنى (اللباس) في الآية الستر والعفة، وغير ذلك مما يكون من ستر المرأة لزوجها وستره لها؟ وهناك حديث آخر يوضح معنى هذا الحديث.. وهو قول السيدة عائشة رضى الله عنها: كان الناس يتحرون مهديهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحبتي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة.. إن الناس يتحرون مهديهم يوم عائشة، وأنا نريد الخير كما تريد عائشة، فقولى لرسول الله ﷺ يأمر الناس يهدون إليه أينما كان، فذكرت ذلك أم سلمة فأعرض عنها، ثم عاد إليها فأعادت الكلام فقالت: يا رسول الله إن صواحبتي قد ذكرن أن الناس يتحرون مهديهم يوم عائشة، فأمر الناس يهدون أينما كنت، فلما كانت الثالثة قالت ذلك، قال: "يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه ما أنزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" [صحيح البخارى] واللحاف هو الغطاء، ولا يخفى على أحد معرفته. وبهذا يتضح أن الحديث الذى ذُكر في السؤال معناه أن الوحي لم يزل عليه إلا في بيتها أو وهو بجانبها، وذلك لفضلها وفضل أبيها رضى الله عنهما. وقد ذكرنا أن الكتاب المقدس قال عن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إنه خلع المنشفة التي كان متزراً بها ومسح بها أرجل تلاميذه، وذلك في الرد على الشبهة رقم (١٤٢)، والله أعلم.

س ١٥٦- يقول القرآن: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرَىٰ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۗ وَإِذَا لَمْ تَحْذُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَمُوتُونَ مِمَّا كَانُوا عَلَيْكُمْ} [الإسراء: ٧٣-٧٤] إن هذا اعتراف بأن نبيكم كاد يُفتن.

ج ١٥٦- إن هذا إن كان يعنى شيئاً فإنما يعنى في المقام الأول أن الرسول ﷺ صادق فيما بلغ عن ربه جل وعلا، لأنه لو تكلف القرآن أو أخفى شيئاً منه لما ذكر هذه الآية. ومما قيل في سبب نزولها إن وقد ثقيف قالوا للرسول ﷺ: أجلنا سنة حتى نقبض ما يُهدى

لآلهتنا من الأصنام، فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا، فهممٌ ﷺ بقبول ذلك فزلت الآية. فقله تعالى: {لَقَدْ كِدَّتْ تَزَكُّنُ إِلَيْهِمْ} أى هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضه عليك لولا تثبيت الله لك، ولو فعلت ذلك {إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: ٧٥] ومعلوم من اللغة العربية أن (الهمم) معناه مقاربة فعل الشيء، أى أنه لم يقع، ولكن صاحبه نوى على فعله، وهذا في حد ذاته لا يعتبر معصية، ولا يواخذ المرء عليه إلا إذا فعله، وذلك لقول الرسول ﷺ: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به" [صحيح الجامع: ١٧٣٠] بل إن المرء إذا همم بسية ولم يعملها - خوفاً من الله جل وعلا - كتبت له حسنة كاملة، كما جاء في الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ، والله أعلم.

س ١٥٧ - لقد حاول نبيكم الانتحار بعدما رأى جبريل في غار حراء.

ج ١٥٧ - إن ما ورد عنه ﷺ من أنه حاول الانتحار بعدما رأى جبريل ﷺ في غار حراء فهي روايات غير صحيحة، وإلا - فما الذى منعه من الانتحار؟ ولو صححت هذه الروايات - جداً - فهي لا تعدو كونها خاطرة من شدة خوفه على نفسه أن يكون قد أصابه مس من الشيطان أو الجنون، وكان أبغض شيء إليه أن يُصاب في عقله، فقد كان جالساً وحده في الغار فظهر له جبريل ﷺ على هيئة التى خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح تملأ الأفق، فكان منظرًا مُرَوِّعًا، وخصوصاً أنه أتاه في ظلام الليالى الأخيرة من رمضان. ثم إنه لا يُواخذ على ذلك لسبيين: الأول: أنه لم يكن حينها مُكَلَّفًا. الثانى: أن الإنسان لا يُواخذ بما حدثته به نفسه، كما ورد في الحديث الذى ذكرناه في الرد على الشبهة السابقة.

وقد ورد في الكتاب المقدس أن شاول - وهو أحد أنبيائكم - مات منتحراً: فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعنى به لئلا يأتى هؤلاء الغُلف ويطعنونى ويقبَحونى. فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً. فأخذ شاول السيف وسقط عليه. ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه. (صموئيل الأول ٣١: ٤-٥) مع أن طريقة الانتحار هذه تتناقض مع الطريقة التى جاءت في الرد على الشبهة رقم (٣١٣) والدليل على نبوة شاول ما يلي:

وكان عندما جاء الروح من قِبَلِ الله على شاول (صموئيل الأول: ١٦: ٢٣) فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل وانطرح عرياناً ذلك النهار كله وكل الليل. لذلك يقولون أشاول أيضاً بين الأنبياء (صموئيل الأول: ١٩: ٢٤) ونحن نتساءل.. هل بداية النبوة عندكم بالتعرى؟ إن هذا هو التجنى!، والله أعلم.

س١٥٨- إن نبيكم كان يستقبل ضيوفه وهو لابس ثوب عائشة.

ج١٥٨- لقد جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد حدثني أبي عن جدي حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك ف قضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال ف قضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنتُ عليه فجلس وقال لعائشة: "اجمعي عليك ثيابك" فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أركَ فزعتَ لأبي بكر وعمر كما فزعتَ لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: "إن عثمان رجل حَيٌّ وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته" لقد ظن السائل أن الرسول ﷺ كان لابساً مرط عائشة - رضى الله عنها - بمعنى أنه كان لابساً ثوبها، أو بالمعنى الحال (فستانها) فلما حضر سيدنا عثمان ﷺ أعطى المرط لعائشة وقال لها: "اجمعي عليك ثيابك" أي أنها كانت بغير ثياب حين دخل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر - رضى الله عنهما - ولما دخل سيدنا عثمان خلع المرط (أي تعرى) ثم أعطاه إياها لترتديه. إن ركاكة هذا الفهم السقيم لا يليق بالأطفال فضلاً عن الكبار، وقد ورد هذا الحديث في صحيح مسلم أيضاً بطريقة أخرى، وهي أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تفتش له ولم تُباليه، ثم دخل عمر فلم تفتش له ولم تُباليه، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟"

إن المرط ليس فستاناً ولا ثوباً، المرط هو كساء من صوف أو خز أو كتان يضعه الرجل عليه كما تضعه المرأة، يلتحف به الرجل والمرأة على السواء، كما ورد في سنن الترمذى - رحمه الله - عن السيدة عائشة قالت: "خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط من شعر أسود" [قال الترمذى: حديث حسن غريب صحيح] والعرب تقول: (لابس) لمن وضع الشيء عليه أو جلس عليه، كما ورد في الحديث: (جالس على حصير بلى من طول ما لبس) أى أن الحصير تلف من كثرة جلوسه عليه. فمعنى كلمة (لبس) أعم في لغة العرب من معناها في اللهجات العامية، فهي تشمل في اللغة العربية وضع الرداء أو اللحاف على الجسد، وتشمل الجلوس على الحصير أو أى سجاد، وهو ما فعله النبي ﷺ من أنه كان ملتحفاً بالمرط (أى بالكساء)

والقصة واضحة لا إشكال فيها، إذ كانت السيدة عائشة في ناحية البيت مرتدية حجابها، والنبي ﷺ مضطجع وعليه لحافها، فدخل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر - رضى الله عنهما - والنبي ﷺ على هذا الحال، والسيدة عائشة على حجابها، ثم لما دخل سيدنا عثمان رضي الله عنه وهو شديد الحياء، خشى الرسول ﷺ أن يراه مضطجعاً ملتحفاً فيمتنع من قول حاجته، كمن يدخل على رجل نائم على سريره ومغطى بغطاءه، فيتخرج من ذلك، ويشعر أنه قد أقلق صاحب البيت، فيعتذر ولا يذكر حاجته، فأراد النبي ﷺ أن يظهر له أنه في وضع استعداد لمقابلة الضيوف، وأنه ليس نائماً، وأمر زوجته ألا تكتفى بالحجاب، ولكن تجمع عليها ثيابها أكثر حتى تبدو هي أيضاً في حال استقبال، كمن تسوى ثيابها إذا دخل ضيف حتى لا تبدو غير مهندمة.

أما ماجاء في الرواية الأخرى من أنه كان كاشفاً فخذه، فإن النبي ﷺ بشر كسائر البشر، ومن طبيعة البشر أنهم يسقطون بعض الكلفة أمام خاصتهم بما لا يفعلونه أمام غيرهم، والنبي ﷺ كان يرى في سيدنا عثمان حياءً شديداً، فهو يستحي أن يراه في مثل هذا الحال، فخاف النبي ﷺ أن تمنعه رؤيته على هذا الحال أن يذكر حاجته، فجلس وتهاى له بما يناسب طبيعته رضي الله عنه ثم قال: "إن هذا الرجل تستحي منه الملائكة" وكان النبي ﷺ يقول: إننى أقدر شدة حياته وأستحي منه كما تستحي منه الملائكة، والله أعلم.

س ١٥٩ - لقد وضع محمد في القرآن ما يوافق هواه، بدليل أن عائشة قالت له: ما

أرى ربك إلا يسارع في هواك [صحيح البخارى]

ج ١٥٩- كعادة السائل أنه لا يذكر من النصوص إلا ما يوافق هواه. فلننظر لماذا قالت له السيدة عائشة هذا القول؟ تجيبنا رضى الله عنها بقولها: كنت أغارُ على اللاتى وهنَّ أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى {تُرْجَى مَن كَفَّاءُ مِنهنَّ وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مَن كَفَّاءُ وَمَن آبَتْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ} قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. وقد قال النووي في معنى "يسارع في هواك": أى يخفف عنك ويوسّع عليك في الأمور، ولهذا خيرك (أى في أمر نسائه) وقال القرطبي: هذا قول أبرزه الدلال والغيرة، وهو من نوع قولها: ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله (أى عند تبرئة الله لها من حادثة الإفك) وإلا فإضافة الهوى إلى النبى ﷺ لا يُحْمَل على ظاهره، لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل بالهوى، ولو قالت (إلى مرضاتك) لكان أليق، ولكن الغيرة يُغْتَمَر لأجلها إطلاق مثل ذلك.

مما سبق يتضح لنا أن قولها كان من باب الغيرة، وإلا- فقد أفضنا الحديث في شبهات أخرى عن أنه لو ألف القرآن لكتم منه أشياء كثيرة. وقد جاء في الكتاب المقدس ما يثبت أن بولس الرسول كان يتكلم أحياناً برأيه دون وحى من الله، كما ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم (٣٥٦) ونضيف هاهنا:

وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأياً كَمَن رَحِمَهُ الرب أن يكون أميناً. فأظنُّ أن هذا حَسَنٌ لسبب الضيق الحاضر أنه حَسَنٌ للإنسان أن يكون هكذا. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٧: ٢٥-٢٦) نلاحظ قوله: (فأظنُّ)

لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة (أعمال الرسل ١٥: ٢٨) نلاحظ قوله: (رأى الروح القدس ونحن)، والله أعلم.

س ١٦٠- تزعمون أن نبيكم كان رحيماً، في حين أنه دعا على المريض الذى لا يستطيع أن يأكل بيمينه.

ج ١٦٠- من رجع إلى القصة في [صحيح مسلم] باب (آداب الطعام) يجد أن الرجل الذى قال له الرسول ﷺ: "كُلْ بيمينك" فردَّ عليه بقوله: (لا أستطيع) لم يكن مريضاً كما تقولون، ولكنه لم يمثل لأمر الرسول ﷺ تكبراً، فكان جزاؤه أن دعا عليه الرسول ﷺ

قائلاً: "لا استطعت" فما رفعها إلى فيه، أى أنه لم يستطع رفع يده اليمنى بعد ذلك إلى فمه. ولو كانت مريضة من الأصل ولا يستطيع رفعها فما فائدة دعاء الرسول إذن؟ ولقد جاء في كتابكم المقدس الذى يقول: (الله محبة) أن معبودكم دعا على شجرة التين - التى لا ذنب لها - لأنه لم يجد بها ثمراً: وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جامع. فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها لا يكن منك ثم بعد إلى الأبد. فبيست التينة فى الحال. (متى: ٢١: ١٨-١٩)، والله أعلم.

س ١٦٦- إن نبيكم أصاب من خير حماراً وسماه يعفور، وكان يتكلم معه ويرسله لينادى أصحابه.

ج ١٦٦- إليكم نص هذه القصة الموضوعة على رسولنا ﷺ:

عن أبى منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيراً أصاب من سهمه أربعة أزواج من البغال، وأربعة أزواج خفاف، وعشر أواق ذهباً وفضة، وحماراً أسود، ومكتلاً. قال: فكلم النبي ﷺ الحمار، فكلمه الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدى ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبي، لم يبق من نسل جدى غيرى، ولا من الأنبياء غيرك، وكنت أتوقع أن تركبني، قد كنت قبلك لرجل يهودى، وكنت أعثر به عمداً، وكان يبيع بطنى ويضرب ظهري، فقال النبي ﷺ: "سميتك يعفور، يا يعفور" قال: لبيك، قال: "تنتهى الإناث" قال: لا، فكان النبي ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أوماً إليه أن أجب رسول الله ﷺ فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بئر كان لأبى التيهان فتردى فيها، فصارت قبره جزءاً منه على الرسول ﷺ. راجع (تاريخ ابن كثير ٦: ١٥٠) و(أسد الغابة ج ٤ ص ٧٠٧) و(لسان الميزان، باب من اسمه محمد، محمد بن مزيد) و(السيرة الحلبية، غزوة خير)

وإليكم أقوال العلماء - رحمهم الله - فى هذه الرواية:

أولاً: أورد الامام ابن كثير فى تاريخه (٦: ١٥٠) هذه القصة وأشار إلى أنها ضعيفة، وقد أنكرها غير واحد من الحفاظ الكبار.

ثانياً: نص ابن الأثير فى (أسد الغابة ج ٤ ص ٧٠٧) على أن القصة ضعيفة وليست

بصحيحة، وقال في نقله عن أبي موسى عقب ذكر القصة: هذا حديث منكر جداً إسناداً ومتناً لا أصل لأحد أن يرويه عنى إلا مع كلامى عليه.

ثالثاً: أورد الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب (لسان الميزان) باب (من اسمه محمد بن يزيد) هذه القصة كمثال للكذب الذى يرويه محمد بن يزيد، وأورد كلام الحافظ ابن حبان، وهذا نصه: هذا خير لا أصل له وإسناده ليس بشيء. وقال ابن الجوزى: لعن الله واضعه.

رابعاً: قال عنه الإمام السيوطى في كتاب (اللائح المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، الجزء الأول، كتاب المناقب): إنه (موضوع) ثم ذكر كلام ابن حبان، وهذا نصه: لا أصل له وإسناده ليس بشيء، ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن يزيد.

إذن فالحديث موضوع على رسول الله ﷺ، وهناك آلاف الأحاديث الموضوعة عليه، فهل نتبّعها حديثاً حديثاً حتى نرد عن رسولنا الشبهات؟ فينبغى للمسلم ألا يُصدّق ما صاح به كل ناعق، وعليه أن يستوثق من الأخبار قبل أن تجتج به الأفكار لتهى به فى النار.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ركب على أتان (أثنى الحمار) وجحش ابن أتان فى آن واحد، ونحن لا ندرى كيف فعل ذلك؟ وجاء فيه أيضاً أن الحمار نطق فمنع حماقة نبي، وأن الأتان تتكلم: قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع. وأتيا بالأتان والجحش ووضعوا عليهما ثيابهما فجلس عليهما. (متى ٢١: ٥-٧)

ولكنه حصل على توبيخ تعدييه إذ منع حماقة النبي حماراً أعجم ناطقاً بصوت إنسان.

(رسالة بطرس الثانية: ٢: ١٦)

ثم اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف فى مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يمينا أو شمالاً. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام. فحمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب. ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام. ماذا صنعت بك حتى ضربتني الآن ثلاث دفعات. فقال بلعام للأتان لأنك ازدرت بي. لو كان فى يدي

سيف لكنت الآن قد قتلتك. فقالت الأتان لبلعام ألسنت أنا أتانك التي ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم. هل تعودت أن أفعل بك هكذا. فقال لا (عدد ٢٢: ٢٦-٣٠)، والله أعلم.

س ١٦٢- لقد قتل (زيد بن ثابت) امرأة عجوزاً قتلاً عنيفاً لأنها كانت تعادى نبيكم، وهي (أم قرفة) فشدَّ رجلها بين بعيرين، ثم زجرهما فذهبا فقطعاها، ولم ينكر عليه نبيكم، فهل هذه هي الرحمة التي تصفونه بها؟

ج ١٦٢- لقد جاءت الرواية في (طبقات ابن سعد) وعنه ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) ومدار الرواية على محمد بن عمر الواقدي، وهو شخص متهم بالكذب لدى علماء الحديث. والقصة أوردها ابن كثير في (البداية والنهاية) مختصرة ولم يعلق عليها بشيء، وذكرها ابن هشام في (السيرة) وكلاهما عن محمد بن اسحق الذي لم يذكر سند الرواية، فالحاصل أن الرواية لم تصح فلا يجوز الاحتجاج بها.

والواقدي هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي أبو عبد الله المدني قاضي بغداد مولى عبد الله بن بُرَيْدَةَ الأسلمي.

قال البخاري: الواقدي مَدِينِيٌّ سكن بغداد متروك الحديث، تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا (مذهب الكمال مجلد ٢٦ ص ١٨٥-١٨٦) وقال أحمد: هو كذاب. وقال يحيى: ضعيف، وفي موضع آخر: ليس بشيء. وقال أبو داود: أخبرني من سمع من علي بن المديني يقول: روى الواقدي ثلاثين ألف حديث غريب. وقال أبو بكر بن خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: لا يكتب.. حديث الواقدي ليس بشيء. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت عنه علي بن المديني فقال: متروك الحديث. قال النسائي في (الضعفاء والمتروكين): المعروفون بالكذب على رسول الله أربعة، وذكر منهم الواقدي بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام.

يتضح مما سبق أن هذه الرواية موضوعة. وقد ذكرنا البشاعة في القتل والتنكيل والتمثيل بالجثث في الكتاب المقدس، فليرجع إليها القارئ، وخصوصاً في الرد على الشبهات رقم (٨١) و(١١٢) و(١٢٨) وغير ذلك من الشبهات، والله أعلم.

س ١٦٣- جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد في الجزء الأول أن عبد الله بن

عبد المطلب تزوج آمنة بنت وهب أم نبيكم، وفي الوقت نفسه تزوج عبد المطلب من ابنة عمها هالة بنت وهيب، فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة عم نبيكم. ثم قال في (الجزء الثالث) باب (البدريين: طبقات البديريين من المهاجرين) إن حمزة كان معلماً يوم بدر بريشة نعام... إلى أن قال: وقُتِلَ رحمه الله يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وهو يومئذ ابن تسع وخمسين سنة، كان أسنً من رسول الله ﷺ بأربع سنين. إن هذا يعني أن أم نبيكم ولدت له من رجل آخر بعد أربع سنوات من زواجها بعبد الله.

ج ١٦٣ - أولاً: لقد قال النبي ﷺ: "خرجت من لُدُنْ آدم من نكاح غير سفاح"

[صحيح الجامع: ٣٢٢٣]

ثانياً: إن هذا كتاب تاريخ، ونحن لا نأخذ ديننا من كتب تاريخيه، بل من القرآن والسنة الصحيحة وما يوافقهما.

ثالثاً: الروايتان قائلهما محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي، وقد ذكرنا من هو هذا الرجل الكذاب في الرد على الشبهة السابقة. وعلى هذا فالروايتان بهما ضعف لأن الراوي متروك الحديث، ومُتهم في صدقه وروايته.

لكن هناك طرق أخرى تؤكد الرواية الثانية، وهي أن سيدنا حمزة ﷺ كان أسنً من الرسول ﷺ بعامين أو ٤ سنوات، وهي روايات صحيحة، وأن زواج عبد المطلب كان قبل زواج ابنه عبد الله والد الرسول ﷺ بأعوام كثيرة، وإن كان ميلاد سيدنا حمزة تم قبل ميلاد الرسول ﷺ بعامين أو بأربع سنوات. فليس شرطاً أن تكون أم سيدنا حمزة قد ولدت مباشرة بعد زواجها. وذكر البكائي عن ابن إسحاق قال: كان حمزة أسنً من رسول الله ﷺ بستين، كما ورد في كتاب (الاستيعاب في تمييز الأصحاب) وكون ثوية قد أرضعته كما أرضعت الرسول ﷺ فهذا لا يعني أن الرضاعة كانت في زمن واحد، ولكن المهم أنهما رضعا من ثدى واحد.

ثم إن الكتاب المقدس جعل المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - من نسل زنى مرتين في (متى: ١: ١-١٧) إذ جعله من نسل فارص بن ثامار، وثامار هذه هي التي زنت مع

حاما يهوذا (بزعمهم) فأنجبت له فارص وزارح، مع أن يهوذا من الأسباط أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (على نبينا وعليهم الصلاة والسلام) ثم جعله ولد زنى من ناحية أخرى، إذ جعله من نسل سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - الذين زعموا أنه وُلِدَ من زنى والده سيدنا داود مع بثشبع امرأة أوريا الحثي، وقد ذكرنا ملخص هذه القصة المزعومة على سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في الرد على الشبهة رقم (١٠٩) أما ما ورد بشأن ولادة فارص من الزنى فهو كما يلي: فأخبرت ثامار وقيل لها هُوَذَا حموك صاعد إلى تمّنة ليجز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطّت ببرقع وتلفّفت وجلست في مدخل عيناي التي على طريق تمّنة... فنظرها يهوذا وحسبها زانية... فمال إليها على الطريق وقال هاتني أدخل عليك. لأنه لم يعلم أمّا كنته... ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك. وها هي حُبلى أيضاً من الزنا... وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان... فدُعِيَ اسمه فارص وبعد ذلك خرج أخوه... فدُعِيَ اسمه زارح (تكوين ٣٨: ١٣-٢٤) (كنته) أى زوجة ابنه.

ونريد أن نسألكم.. أستم تومنون مثلنا أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ليس له أب من البشر؟ إذن فلماذا نسبتموه ليوسف النجار في أول صفحة من الإنجيل، وهو إنجيل متى؟ أليس هذا يوافق ما قاله عنه اليهود؟ ألم يكن الأجدر بكم أن تذكروا نسب أمه بدلاً من ذكر نسب يوسف النجار؟، والله أعلم.

س١٦٤- هل من الرحمة أن يطلق نبيكم (سودة بنت زمعة) بعدما كبرت بما

السن؟

ج١٦٤- إن الرسول ﷺ لم يطلقها ولم يصرح لها برغبته في ذلك، ولكنها شعرت بما يدور في خَلْدِه، لأنه كان قد كبر في السن، ويحتاج من زوجته أن تخدمه وتقوم على شئونه، والسيدة سودة - رضى الله عنها - كانت أسنّ منه، وكانت امرأة عجوزاً لا تستطيع القيام بخدمته، فلو ترك ليتها لظلمها، فماذا يفعل؟ لقد كان الحل في هذه المشكلة باقتراح حكيم منها، إذ عرضت عليه أن يجعل ليتها للسيدة عائشة - رضى الله عنها - لعلمها بحبه لها، فوافق ﷺ على ذلك ولم يطلقها، والله أعلم.

س ١٦٥- يقول نبيكم: "جُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رُحمي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ علي من خالفَ أمرى" [صحيح البخارى] ألا يعنى هذا أن نبيكم كان محباً للقتل، مُبتغياً للرزق من المغنم عن طريقه؟

ج ١٦٥- لقد أطلنا الكلام من قبل في دفع هذه الفرية عن رسولنا ﷺ في الشبهة رقم (٨١) أما هذا الحديث فهو تشریف له ﷺ إذ قضى معظم أيام رسالته في الجهاد في سبيل الله جل وعلا، وإعلاء كلمته، ورفع راية الإسلام، ونشره في ربوع المعمورة، وقد أكرمه الله سبحانه وتعالى بأن أباح له الغنائم التي لم يُبَحَّها لأحد قبله، قال ﷺ: "أعطيْتُ خمساً لم يُعْطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلى: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأئماً رجل من أمى أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيْتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى الناس عامة" [صحيح الجامع: ١٠٥٦] ورغم أن الله سبحانه وتعالى جعل له خمس الغنائم، إلا أنه كان ينفقها في سبيل الله ويحيا حياة الفقراء، وكان بوسعه أن يعيش عيشة الأغنياء، ولكنه آثر الآخرة على الدنيا، وآثر الباقي على الفاني، حتى إنه مات ودرعه مرهونة عند رجل يهودى على ثلاثين صاعاً من تمر، وكان ينام على الحصى حتى أثر في جنبه ﷺ، وكانت تمر عليه وعلى نسائه - رضى الله عنهن - ثلاثة أهلة في شهرين دون أن يوقد في بيوته نار، وكان يربط حجرين على بطنه من الجوع، وغير ذلك من مظاهر حياة الزهد والتقشف التي يعلمها من درس سنته ﷺ، فلم يكن محباً لجمع المال عن طريق القتال كما ادعى السائل الذى جاء في كتابه المقدس كثير من قصص النهب والسرقه والقتل التي ذكرنا بعضها في الإجابة عن شبهات أخرى، ونذكر منها هنا ما يلى:

وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى والعازار الكاهن وإلى جماعة بنى إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة (عدد: ٣١١-١٢)

وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجزيزيين والعمالقة لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر. وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش. (صموئيل الأول: ٢٧)

وكلم الرب موسى قائلاً. أحصِ النهبَ المسببَ من الناس والبهايم أنت والعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة. ونصّف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة... وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتتمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفاً. ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً. ومن الحمير واحداً وستين ألفاً. ومن نفوس الناس من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفاً. (عدد ٣١: ٢٥-٣٥)

ثم أتى بنو يعقوب على القتلى وغنموا المدينة. لأنهم نجسوا أختهم. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه. وسبوا وغنموا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت (تكوين ٣٤: ٢٧-٢٩)

فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضرهم ضربة عظيمة (صموئيل الأول ٢٣: ٥)

إن ما ذكرناه آنفاً فهو في (العهد القديم) أي التوراة، ثم يأتي (العهد الجديد) وهو (الإنجيل) يُقَرِّ ما فعله أنبياء العهد القديم من القتل، والنهب، وسائر مظاهر العنف، فيقول بولس: وماذا أقول أيضاً لأنه يُغَوِّزني الوقت إن أخبرتُ عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وسموئيل والأنبياء الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود أطفالوا قوة النار نجوا من حدّ السيف تقوّوا من ضعف صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء. (الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٣٢-٣٤) ففي هذا تأييد من بولس لما فعله أنبياء العهد القديم من القتل والنهب بزعمهم، والله أعلم.

س١٦٦- يقول نبيكم: "أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها، أتدرون متى ذاكم؟ حين {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا" [صحيح الجامع: ٨٤] ما هذا يا مسلمون؟ أهذا يتفق مع العلم الذي تدعون أن دينكم يؤيده؟

ج ١٦٦- إن هذا الحديث لا يخالف العلم كما تقولون، فهل تكلم عن شيء مغاير لتكوين الشمس، أو خواصها، أو حركتها... إلخ؟ لقد قال: إنها تجرى.. وهذا ما أثبتته العلم، أما كونها تسجد تحت العرش ويُقال لها: "ارجعي من حيث جئت" فهذا أمر غيبي نؤمن به ولكن لا ندرى كيفية حدوثه، فهل يوجد منكم - أو من غيركم - من يدعى أنه يعرف مكان العرش حتى ينكر هذا الحديث؟ ومعلوم أن الشمس لها في كل لحظة مشرق ومغرب على أرجاء المعمورة، ومعنى ذلك أنها في حالة سجود دائم لله سبحانه وتعالى، وهذا ما أقره القرآن الكريم في قوله: {الَّذِينَ تَرَأَتْهُمُ اللَّائِي يَسْجُدُ لَهُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِيبْ إِلَى اللَّهِ فَمَا لَهُ مِن مَّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨]

ولقد جاء في كتابكم المقدس ما هو أبعد من ذلك بكثير، إذ يقول: وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسريلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً وهي حُبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد. وظهرت آية أخرى في السماء. هوذا تئین عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان. وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والتئین وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يتلع ولدها متى ولدت. فولدت ابناً ذكراً عنيداً أن يرعى جميع الأمم بعضاً من حديد. واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه. والمرأة هربت إلى البرية حيث لهما موضع مُعدّ من الله لكي يعولوها هناك ألفاً ومئتين وستين يوماً وحدثت حرب في السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التئین وملائكته ولم يقروا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطرح التئین العظيم الحية القديمة المدعو إيليس والشيطان الذي يضل العالم كله طُرح إلى الأرض وطُرح معه ملائكته. وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طُرح المشتكى على إخوتنا الذي كان يشتكى عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً. وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يجبوا حياتهم حتى الموت. من أجل هذا افرح أيتها

السموات والساكنون فيها. ويل لساكني الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم علماً أن له زماناً قليلاً ولما رأى التّين أنه طرَحَ إلى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت الأبن الذكر. فأعطيت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير إلى البرية إلى موضعها حيث تُعالُ زماناً وزمانين ونصف زمان من وجه الحيّة. فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهه لتجعلها تحمّل بالنهر. فأعانت الأرض المرأة وفتحت الأرض فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التّين من فمه. فغضب التّين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقى نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح (رؤيا يوحنا: الإصحاح ١٢) مع العلم بأن (الخروف) عندهم يعنى (الرب) كما ذكرنا ذلك في (صفات الرب في الكتاب المقدس) في الرد على الشبهة رقم (١٩)، والله أعلم.

س ١٦٧- يقول القرآن: {سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى} ⑤ {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعلى: ٦-٧] وقد روى البخارى عن عائشة أنها قالت: سمع النبي قارئاً يقرأ من الليل في المسجد فقال: "يرحمه الله.. لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا" وفي رواية "أنسيها" إن معنى هذا أنه يُسقط ما يشاء من القرآن أو ينساه، فكيف تقولون: إنه بلغ القرآن كاملاً؟

ج ١٦٧- لقد قال العلماء: إن وقوع النسيان منه ﷺ فيما ليس هو مأمور فيه بالبلاغ - مثل الأمور العادية والحياتية - فهذا جائز مطلقاً لما جُبلَ عليه من الطبيعة البشرية، أما النسيان منه فيما هو مأمور فيه بالبلاغ فهذا جائز ولكن بشرطين.. الشرط الأول: أن يقع منه النسيان بعد ما يقع منه تبليغه، وأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً. والشرط الثاني: أن لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكره إما بنفسه وإما بغيره. وقالوا أيضاً: إن نسيانه ﷺ لشيء من القرآن يكون على قسمين.. أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وعليه يدل قوله ﷺ في حديث السهو: "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون" [متفق عليه] وهذا القسم سريع الزوال، لظاهر قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه لنسخ تلاوته، وهذا القسم مُشار إليه في قوله تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّثْبَاتٍ أَوْ مِثْلَهَا} [البقرة: ١٠٦] أما قوله تعالى: {سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى} فهو وعد كريم بعدم

نسيان ما يقرؤه من القرآن، إذ أن (لا) في الآية نافية، أى أن الله أخبر نبيه ﷺ بأنه لا ينسى ما أقرأه إياه. والاستثناء في الآية بعدها مُعلّق على مشيئة الله، فإنه إذا أراد أن ينسيه لم يعجزه ذلك، ولكنه لم يشأ، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] فالقصد هو نفي النسيان أصلاً، وجاء بالاستثناء لبيان أن هذا الأمر - وهو عدم الإنساء - ليس خارجاً عن إرادته، فإذا أرادَه لم يمنعه مانع، فكل شيء بيده سبحانه وتعالى. وقيل إن الحكمة في هذا الاستثناء أن يعلم العباد أن عدم نسيان النبي ﷺ القرآن هو محض فضل الله وإحسانه، ولو شاء تعالى أن ينسيه لأنساه، وفي ذلك إشعار للنبي ﷺ أنه دائماً مشمول ومُحاط بنعمة الله وعنايته، وإشعار للأمة بأن نبيهم لم يخرج عن دائرة العبودية، فلا يفتنون به كما فتن النصارى بالمسيح عليه السلام.

وللد علي أن نسيان الرسول ﷺ للآية التي ذكره بها أحد أصحابه ﷺ يطعن في تمام تبليغه للقرآن نقول وبالله التوفيق:

أولاً: إن الآيات التي أنسيها النبي ﷺ ثم ذكرها كانت مكتوبة بين يديه، ولم تنزل آية عليه إلا قام كتبه الوحي بكتابتها، وكانت محفوظة في صدور أصحابه ﷺ الذين تلقوها عنه، والذين بلغ عددهم مبلغ التواتر، وليس في الخبر إشارة إلى أن هذه الآيات لم تكن مما كتبه كتاب الوحي، ولا ما يدل على أن أصحاب النبي ﷺ كانوا نسوها جميعاً حتى يُخشى عليها من الضياع.

ثانياً: إن روايات الحديث لا تفيد أن هذه الآيات التي سمعها الرسول ﷺ من أحد أصحابه كانت قد مُحيّت من ذهنه الشريف جملة، بل غاية ما تفيده أنها كانت غائبة عنه ثم ذكرها، وحضرت في ذهنه بقراءة صاحبه، وليس غيبة الشيء عن الذهن كمحوه منه، فالنسيان هنا بسبب اشتغال الذهن بغيره، أما النسيان التام فهو مستحيل على النبي ﷺ.

ثالثاً: إن قوله: "أسقطتها" مفسرة بقوله في الرواية الأخرى: "أنسيها" فدل على أنه أسقطها نسياناً لا عمداً، فلا محل لما أورده السائل من أنه قد يكون أسقط عمداً بعض آيات القرآن. قال النووي: (قوله: "كنتُ أنسيها" دليل على جواز النسيان عليه فيما قد بلغه إلى الأمة) وقد ذهب البعض إلى أن ما نسيه النبي ﷺ كان مما نسخَه الله تعالى ولم يعلم الصحابي بنسخه، ثم وقع العلم عند الصحابي بذلك. وقد قلنا في أكثر من موضع: لو

أن النبي ﷺ كنتم شيئاً من القرآن، أو أسقطه عمداً - كما تقولون - لكنكم آيات كثيرة مثل بعض آيات سور (عبس) وغيرها.

رابعاً: كان سيدنا جبريل عليه السلام يراجع الرسول ﷺ بالقرآن كل عام في رمضان لكيلا ينساه، وفي آخر حياته الشريفة راجعه إياه كاملاً مرتين.

خامساً: كثرة ترديد الآيات وتلاوتها في المناسبات، والخطب، والصلوات، ساعدت على حفظ القرآن جيداً والعمل به، والله أعلم.

س١٦٨- تزعمون أن نبيكم كانت له قوة أربعين نبياً، وأنه كسر الصخرة التي لم يقدر عليها أصحابه حين حفروا الخندق، وأنه أصاب أعين المشركين بجفنة من التراب في غزوة بدر، وأنه كذا وأنه كذا، ما كل هذه المبالغات؟

ج١٦٨- إن هذه ليست مبالغات. ولكنها من المعجزات التي أيد الله بها نبيه ورسوله ﷺ ولا حرج على فضل الله، وقد كانت له معجزات أخرى كثيرة ذكرنا بعضاً منها في الإجابة عن الشبهة رقم (٢٥٨) وقد جاء في كتابكم المقدس ما هو أبعد مما ذكرتموه بكثير، ومنه ما يلي:

ثم قال الرب لموسى وهارون خذوا ملء أيديكما من رماد الأتون. وليذرهُ موسى نحو السماء أمام عيني فرعون. ليصير غباراً على كل أرض مصر. فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة بثُور في كل أرض مصر. فأخذوا رماد الأتون ووقفوا أمام فرعون وذراه موسى نحو السماء. فصار دمامل بثُور طالعة في الناس وفي البهائم. ولم يستطع العرّافون أن يقفوا أمام موسى من أجل الدمامل. لأن الدمامل كانت في العرّافين وفي كل المصريين. (خروج ٩: ٨-١١)

هذه أسماء الأبطال الذين لداود. يوشيب بشبث التحكموني رئيس الثلاثة. هو هزّ رُمحه على ثمان مئة قتلهم دفعة واحدة. (صموئيل الثاني ٢٣: ٨) هل يستطيع أحد - مهما أوتى من قوة - أن يقتل ثمان مائة رجل برُمحه دفعة واحدة؟

وهذا هو عدد الأبطال الذين لداود. يشبعام بن حكموني رئيس الثوالت. هو هزّ رُمحه على ثلاث مئة قتلهم دفعة واحدة. (أخبار الأيام الأول ١١: ١١)

وكان بعده شمعون بن عناة فضرب من الفلسطينيين ست مئة رجل بمنساس البقر

وهو أيضاً خَلَصَ إسرائيل (قضاة٣: ٣١) ما هذا؟ ست مائة رجل يُقتلون بمنساس البقر (أى ذيله)؟

شمشون يضرب ١٠٠٠ رجل بلحى حمار طرى، ويشق الأسد بيديه نصفين، ويربط ذبول ٣٠٠ ثعلب ببعضها:

ووجد لحي حمار طرياً فمَدَّ يده وأخذه وضرب به ألف رجل. فقال شمشون بلحى حمار كومة كومتين. بلحى حمار قعلت ألف رجل. (قضاة١٥: ١٥) (لحى حمار) أى فك حمار.

وإذا بشبل أسد يزجر للقاته. فحلَّ عليه روح الرب فشقه كشق الجلدى وليس في يده شىء ولم يخبر أباه وأمه بما فعل... مال لكى يرى رمة الأسد وإذا ذبَّرت من النحل في جوف الأسد مع عسل. فاشتر منه على كفيه وكان يمشى ويأكل وذهب إلى أبيه وأمه وأعطاهما فأكلا ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد اشتر العسل (قضاة١٤: ٥-٩) نلاحظ من هذا النص أن الأسد لم يتعفن بعدما شقه شمشون بيديه، وأن النحل اتخذت جوفه بيتاً لصنع العسل.

وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذئباً إلى ذئب ووضع مشعلاً بين كل ذئبين في الوسط. ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون (قضاة١٥: ٤-٥) (ابن آوى) هو الثعلب، والله أعلم.

س١٦٩- أنتم تقولون إن نبيكم جاء ذكره في التوراة والإنجيل، وها هو الكتاب المقدس بين أيدينا، وليس فيه أى صفة من صفات نبيكم، لا تصريحاً ولا تلميحاً.

ج١٦٩- أنتم تقولون إن البشارة بالمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - جاءت في العهد القديم (التوراة) عشرات + بل مئات - المرات، فهل تستطيعون أن تأتونا ببشارة واحدة ذكرت اسمه صريحاً؟ إن البشارات التى تتحدثون عنها لم يأت فيها ذكر (المسيح) أو (يسوع) ولكنكم تؤكدون أنها تعنيه بقرائن أخرى، فكذلك نحن نؤكد أن الكتاب المقدس الذى بين أيديكم الآن ذكر سيدنا محمداً ﷺ ولكن ليس باسمه صريحاً بل تلميحاً، أما قبل تحريفه فقد ذُكر فيه اسمه صريحاً، كما قال سيدنا عيسى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ

يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَتَمُّهُ أَحْمَدُ} [الصف:٦] وما هي بعض النصوص التي بشرت به ﷺ في الكتاب الذي بين أيديكم: أقيم لهم نبياً من وسط إخوتكم مثلك وأجعلُ كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أظالبه. (تثنية: ١٨: ١٨-١٩) إن هذه بشارة بالرسول ﷺ وليست بالمسيح كما تقولون، لأنها قالت عن هذا النبي (مثلك) أي مثل سيدنا موسى، ولو أن وجه الشبه بين موسى وعيسى أهما نبيان يهوديان لكانت تنطبق على أنبياء كثيرين ممن جاءوا بعد موسى، مثل: سليمان وإشعيا ودانيال وحزقيال وهوشع... إلى آخرهم، ولكن سيدنا محمداً هو الذي مثل سيدنا موسى، وليس المسيح.. بدليل:

إن المسيح لا يشبه موسى بمقتضى عقيدتكم، لأنكم تزعمون أن المسيح هو الإله المتجسد على هيئة البشر، ولكنكم لا تقولون إن موسى كان إلهاً. أتم تعتقدون أن المسيح ضحى بنفسه من أجل خطايا البشر، ولا تعتقدون ذلك في موسى.

كان لموسى أب وأم كما كان لمحمد ﷺ أما المسيح فلم يكن له أب.

محمد ﷺ وموسى تزوجا وأنجبا، أما المسيح فظل عزباً طوال حياته.

محمد ﷺ وموسى كانا نبيين مثلما كانا زعيمين، أي أهما كانا يحكما شعبيهما، وهما سلطان عليهما بحيث يوقعان العقوبة بالمخطئ، كما جاء عن موسى في الكتاب المقدس أمره بإعدام عبدة العجل (خروج: ٣٢: ٢٦-٢٩) أما المسيح فكان نبياً فقط، ولم يحكم شعبه، بل كان يأمره بطاعة ولى أمره: حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة... فقل لنا ماذا تظن. أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا... فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. (متى: ٢٢: ١٥-٢١) وصرح بأن مملكته ليست على الأرض: أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا.

(يوحنا: ١٨: ٣٦)

محمد ﷺ وموسى أتيا بشريعة جديدة وأحكام جديدة لشعبيهما، أما المسيح فلم يأت بشريعة جديدة ولا بأحكام جديدة، بل كان يؤكد لهم أنه لم يأت لينقض الناموس (أي

التوراة) بل ليكملهُ، كما ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم (٢٤٢) ولذلك لا نجد الإنجيل مكتوباً وحده بغير التوراة، بل لا بد من اقترانه بها فيما يسمى (الكتاب المقدس) بعهديه: القديم.. وهو التوراة، والجديد.. وهو الإنجيل.

محمد ﷺ وموسى ماتا مودة طبيعية مثل جميع البشر، أما المسيح فقد رفعه الله إليه حياً، وأنتم تعتقدون أنه صُلب، ولا تعتقدون ذلك في موسى.

محمد ﷺ وموسى يرقدان في قبريهما في الأرض، أما المسيح فأنتم تقولون إنه: منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله. (لوقا ٢٢: ٦٩)

أنتم تعتقدون أن المسيح مكث في قبره ثلاثة أيام ثم رُفِعَ، ولكن موسى لم يُفعل به ذلك.

وهناك أمور أخرى - وهي الأهم - تثبت أن هذه البشارة خاصة بسيدنا محمد ﷺ غير كونه مثل موسى، فلم تُقل البشارة (نبياً من بين أنفسهم) حتى تظنوا أن هذا النبي من بني إسرائيل (أى من بني يعقوب بن إسحاق، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، لأن إسرائيل هو يعقوب) ولكنها قالت: (من وسط إخوتهم) وهم العرب أبناء إسماعيل، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. والكتاب المقدس نفسه يثبت أن أبناء إسماعيل إخوة لأبناء إسحاق: فولدت هاجر لأبرام ابناً. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. (تكوين ١٦: ١٥) (أبرام معناه إبراهيم) وأمام جميع إخوته يسكن. (تكوين ١٦: ١٢) وهذه سنو حياة إسماعيل. مئة وسبع وثلاثون سنة. وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه. وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور. أمام جميع إخوته نزل (تكوين ٢٥: ١٧-١٨)

وقد قالت البشارة: (وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) وهذا ينطبق على سيدنا محمد ﷺ لأنه عندما جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء وقال له مرتين: اقرأ، ورد عليه ﷺ في كل منهما بقوله: "ما أنا بقارئ" ثم قال له في الثالثة: {أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} عَلَّمَ الرَسُول ﷺ أن أمر جبريل له بالقراءة هو أن يردد هذا القول خلفه، لا أن يقرأ من كتاب، وهذا ما دلَّت عليه بشارة الكتاب المقدس (وأجعل كلامي في فمه) أى

أنه ينطق بكلام الله.

ثم إن الكتاب المقدس نفسه ينفي بحىء نبي من بنى إسرائيل مثل موسى، فيقول: ولم يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لَوَجْهِهِ (تثنية ٣٤: ١٠)

وهناك بشارات أخرى بالرسول ﷺ في الكتاب المقدس، ومنها: أو يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ هَذَا فَيَقُولُ لَا أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ (إشعيا ٢٩: ١٢) وهذا النص واضح الدلالة على أنه سيدنا محمد ﷺ.

وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال. جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألاً من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. (تثنية ٣٣: ١-٣) (جاء الرب) أى جاء ملاك الرب بالوحي، وهذا يعنى نبوة سيدنا موسى، ثم نبوة سيدنا عيسى، ثم نبوة سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم - حسب ترتيبهم الزمني، لأن (سيناء) هى مهبط الوحي على سيدنا موسى، و(سعير) مهبط الوحي على سيدنا عيسى، و(فاران) مهبط الوحي على سيدنا محمد ﷺ. والدليل على أن (فاران) هى (مكة المكرمة) أن الكتاب المقدس ذكر أن سيدنا إسماعيل سكن فيها: وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامى قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر (تكوين ٢١: ٢٠-٢١) ولكنهم يغالطون أنفسهم ويقولون إن (فاران) هى (إيلات) مع أن (إيلات) لم يُعِثَ فيها نبي قط. ونلاحظ أن النص قال: (تلألاً من جبال فاران) وقد أنزل الوحي على سيدنا محمد ﷺ وهو في غار حراء على جبل النور، وكلمة (تلألاً) أقوى من (جاء) و(أشرق) أى أن نور رسالة سيدنا محمد ﷺ أقوى من سابقتها.

قال رسول الله ﷺ " إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [صحيح البخارى] وقد جاء في الكتاب المقدس على لسان سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما يوافق هذا الكلام: الحجر الذى رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا (مزمو ١١٨: ٢٢-٢٣) إن هذا معناه أن جميع أنبياء بنى إسرائيل - على

نبينا وعليهم الصلاة والسلام - تشير إليهم الحجارة الكثيرة في بناء بيت الرب، أما الحجر الذي هو رأس الزاوية والذي يمسك البناء كله، فهو - وإن كان حجراً واحداً - إلا أنه هو الأهم والأعظم أثراً في إقامة هذا البناء وتماسكه، وهو يشير بذلك إلى سيدنا محمد ﷺ باعتباره خاتم النبيين، وبرسالته يتم البناء ويكتمل. ولقد ظن النصارى أن هذه البشارة خاصة بالمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في حين أن المسيح نفسه قال:

اسمعوا مثلاً آخر. كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبني بُرجاً وسَلَّمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث. هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين. قالوا له. أولئك الأردياء يُهلكهم هلاكاً ردياً ويُسَلِّم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتهم. قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البتائون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُترَع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه (متى ٢١: ٣٣-٤٤) في هذا النص يضرب المسيح عليه السلام مثلاً - {وَلِيَّهَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - للأنبياء الذين أرسلهم الله جل وعلا لهداية خلقه، فجلدهم المكذبون بهم، وقتلوه، ورجمهم، ثم أرسل الله إليهم المسيح فقتلوه هو أيضاً بزعمهم (لقد ذكرنا في الرد على الشبهة رقم (١٧) أن كلمة (ابنه) تعني: المؤمن به) ثم أخبرهم المسيح أن (الملوكوت) أى (النبوة) سترَع منهم (أى من بنى إسرائيل) وتُعطى لأمة أخرى تقوم بحقها أفضل ممن سبقها، وأشار إلى الحجر الذي صار رأس الزاوية، والذي جاء ذكره في بشارة سيدنا داود - وهو محمد ﷺ - والذي لا يستقيم البناء بغير وجوده، وأن (من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه) وهذه إشارة لجهاده ﷺ في سبيل الله، وإلى قوة الإسلام، وأن من يعاديه سوف يسحقه الله. وقد حدث هذا عندما استطاع

المسلمون الأوائل - على قلتهم - الانتصار على أعظم قوتين في ذلك الحين، وهما الفرس والروم. إن تنبؤ المسيح بقوة النبي ﷺ وأتمته يوافق ما جاء في بشارة سيدنا موسى التي ذكرناها من قبل (ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطلبه) أى أن الله سبحانه وتعالى سينتقم ممن لا يطيع هذا النبي المبارك ﷺ.

لقد تبين لنا من كلام المسيح - عليه السلام - أن عبارة (ملكوت الله) تعنى (النبوة) حتى لا يقول مجادل: إنما تعنى يوم القيامة، إذ كيف يقول عن يوم القيامة (يُترَع منكم)؟ ومن ثم فإن النصوص التالية تؤكد هذا المعنى، أى أن النبوة ستصير لنى آخر بعد المسيح عليه السلام، ألا وهو رسولنا ﷺ: جاء يسوع يكرز ببشارة ملكوت الله. ويقول قد كمل الزمان واقرب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل (مرقس ١: ١٤-١٥) (يكرز) معناها (يُشَر)

فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السماوات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. (لوقا ١١: ٢)

فصلوا أنتم هكذا. أبانا الذى فى السماوات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. (متى ٦: ٩-١٠)

وقد جاءت بشارات أخرى بالرسول ﷺ فى الكتاب المقدس باسم (المُعزى) أو (روح الحق) أو (الروح القدس) أو (الكامل) ومنها ما يلى:

الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى. والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المُعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ١٤: ٢٤-٢٦) و(المُعزى) معناه (المُواسى) أى الذى يواسى أتباعه ويصبرهم على ما يلاقونه من الأذى. والرسول ﷺ هو الذى علمنا كل شىء، حتى قال أحد اليهود لعمر بن الخطاب ﷺ: لقد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخِزاة (أى حتى التطهر من البراز) أما تذكيره ﷺ بما قاله المسيح - عليه السلام - فقد جاء فى آيات كثيرة معلومة.

ومتى جاء المُعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء (يوحنا ١٥: ٢٦-٢٧)

والرسول ﷺ يشهد بنبوة المسيح عليه السلام، ويشهد للحواريين أتباعه بأنهم آمنوا به ونصروه.

لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم... وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذاك يُمَجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. (يوحنا ١٦: ٧-١٤) هذا النص يوضح أن (المعزّي) أفضل من المسيح، لأنه قال: (خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي) ويوضح أيضاً أن (المعزّي) يرشدنا إلى جميع الحق، وهذا لا يحتاج لبيان من سيرته عليه الصلاة والسلام، ويوضح أيضاً أنه يخبرنا بما سيأتي، ولا شك أن الآيات والأحاديث أخبرتنا بغيبات كثيرة لا مجال لذكرها لكثرتها، وأخيراً يوضح النص أن (المعزّي) يمجد المسيح، والرسول ﷺ بمجد جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ. ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يُبطل ما هو بعض. (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٣: ٩-١٠) فمن هو الكامل الذي شملت رسالته كل الرسائل قبله إن لم يكن الرسول ﷺ؟ ومن الذي تكون رسالته كاملة لجميع الأمم؟ ومن الذي لم تترك رسالته صغيرة ولا كبيرة إلا وتكلمت عنها؟ إن هذا النص معناه أن علم من قبله وتنبؤهم لم تكن كاملة، حتى يأتي ﷺ فتكون رسالته الكاملة ناسخة لما قبلها، وهو معنى (يُبطل ما هو بعض).

وهناك دلائل أخرى في الكتاب المقدس تشير إلى الرسول ﷺ وإلى مكة المكرمة، والحج، وغير ذلك، فليرجع إليها من شاء في مصادرها، ومنها كتاب (محاضرات في مقارنة الأديان) للأستاذ إبراهيم خليل أحمد، وكتاب (مناظرة بين الإسلام والنصرانية) وهو عبارة عن مناقشة بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، وكتاب (إظهار الحق) لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، والله أعلم.

س ١٧٠ - إن محمداً يعترف أنه يجلد ويسب ويلعن، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تُخلفني، فأئماً مؤمن أديته أو سببته أو جلدته

فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة"

ج ١٧٠- إن هذا الكلام جاء من رسول الله ﷺ على قمة الورع والتواضع، فإنه لم يجلد أو يسب أو يلعن أحداً، ولكنه سأل ربه إن وقع هذا الأمر منه، وهذا على سبيل التواضع والانكسار والخشوع لله تعالى، كما فهم ذلك علماء اللغة، وأنه يخشى الزلّة وإن دقت. ومُحتمل الحديث طلب المغفرة له ولأمته في أعظم صور الورع والخشية، وفي الحديث كمال شفقتة على أمته وجميل خلقه وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم.

وقد ذكرنا بعض ما جاء في الكتاب المقدس من السبّ والشتم، وذلك في الرد على الشبهة رقم (٥١) وجاء فيه أيضاً عن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما نصّه: وكان فصّح اليهود قريباً فصعد يسوع إلى اورشليم. ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرأً وغنماً وحماماً والصيافف جلوساً. فصنع سوطاً من حبال وطرده الجميع من الهيكل. الغنم والبقر وكبّ دراهم الصيافف وقلب مواثدhem. (يوحنا: ١٣-١٥) أين هذا من رحمة رسولنا ﷺ بالأعرابي الذي بالّ في المسجد وأراد الناس أن يضربوه، فقال لهم: "دعوه وأهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم يُعسّرين" [صحيح البخاري]، والله أعلم.

س ١٧١- إن محمداً أمر بإحراق هبار بن الأسود ثاراً لابنته زينب، لأنه تعرض لها أثناء الهجرة، ألا كان القتل أهون من الحرق؟

ج ١٧١- يقول ابن عبد البر: تُوفيت زينب بنت الرسول ﷺ في حياة أبيها متأثرة بالوقعة التي سقطتها من على الحمل وهي حامل، حينما عمد هبار بن الأسود إلى نخس حملها بالرمح، فظلت تترّف حتى أسقطت جنينها. والحقيقة التي أخفاها السائل أن الرسول ﷺ بعدما أمر بإحراق هبار عدل إلى الأمر بقتله، وقال: "إنما يُعدّب بالنار ربُّ النار" [صحيح الجامع: ١٤١٢] وفي الحقيقة أنه لم يحدث هذا ولا ذاك، لأن هباراً أسلم وحسن إسلامه، فعفا عنه الرسول ﷺ مع أنه تسبب في قتل ابنته وجنينها. ولا أظن أن أحداً من العوام - فضلاً عن الملوك والحكام - يعفو عن رجل قتل ابنته وجنينها في بطنها. والمعروف عند العرب أنه من الكبائر التي لا تُغتفر تعرض الرجل للمرأة بسلاح أو بغيره،

فَعَفُوَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْهُ يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، كَمَا عَفَا عَنْ وَحْشَى بْنِ حَرْبٍ الَّذِي قَتَلَ عَمَّهُ حِمْرَةَ ﷺ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنَ الْفَتْكِ بِهِ، وَاكْتَفَى بِأَنْ جَعَلَهُ يُغَيِّبُ عَنْهُ وَجْهَهُ (أَي لَا يَجْلِسُ أَمَامَ الرَّسُولِ ﷺ مَبَاشَرَةً).

وقد جاء في الكتاب المقدس حرق المذنب بأكملها، كما ذكرنا ذلك في أماكن أخرى، وجاء فيه أيضاً أن يشوع النبي أحرق رجلاً وبنيه وبناته، وكل ما يملك، لأنه أخذ من الغنيمة غلواً، وقد أحرقه (بزعمهم) بعدما كَلَّمَهُ بِطَرِيقَةٍ تَشْعُرُهُ بِالْأَمَانِ: فَقَالَ يَشُوعُ لِعِخْنَانَ يَا ابْنِي أَعْطِ الْآنَ مَجْداً لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ وَاعْتَرَفْ لَهُ وَأَخْبِرْنِي الْآنَ مَاذَا عَمَلْتَ. لَا تُتَخَفْ عَنِّي. فَأَجَابَ عِخْنَانُ يَشُوعَ وَقَالَ حَقّاً إِنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ وَصَنَعْتُ كِذْباً وَكِذْباً... فَأَخَذَ يَشُوعُ عِخْنَانَ بْنَ زَارِحَ وَالْقَضِيَّةَ وَالرِّدَاءَ وَلِسَانَ الذَّهَبِ وَبَنِيهِ وَبَنَاتِهِ وَبِقَرِهِ وَحَمِيرِهِ وَغَنَمِهِ وَخَيْمَتَهُ وَكُلَّ مَا لَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ وَصَعِدُوا بِهِمْ إِلَى وَادِي عِخْزُورٍ. فَقَالَ يَشُوعُ كَيْفَ كَدَّرْتَنَا. يَكْدُرُكَ الرَّبُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ. فَرَجَعَهُ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ بِالْحِجَارَةِ وَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ وَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ وَأَقَامُوا فَوْقَهُ رِجْمَةً حِجَارَةً عَظِيمَةً إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. فَرَجَعَ الرَّبُّ عَنْ حَمُو غَضَبِهِ. وَلِلذَلِكَ دُعِيَ اسْمُ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَادِي عِخْزُورٍ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ (يشوع ٧: ١٩-٢٦)، والله أعلم.

س ١٧٢- إن نبيكم يأمر بنقل رأس الأسود العنسي بعدما قُطِعت من اليمن إلى المدينة ليتشفي فيه.

ج ١٧٢- إن الأسود العنسي أسلم ثم ارتد، وهو من أول المرتدين الذين خرجوا على دولة الإسلام، وقاتل قبائل اليمن المسلمين، ونهب أموالهم، واستباح دماءهم، وانتهاك أعراضهم، وقتل حاكم اليمن المسلم (شهر بن باذان) واغتصب امرأته، وأدعى النبوة، وأرغم الكثيرين على أتباعه، فتعاون على قتله البطل المسلم (فيروز الديلمي) بمساعدة زوجة شهر بن باذان، وزاز ابنة عم فيروز الديلمي، وفيروز ابن أخت النجاشي ملك الحبشة، وقد نجحت هذه الأسرة العريقة التي جمعت بين المُلْكِ والدِّينِ مع المخلصين من المسلمين على قتل الأسود العنسي، أما الادعاء بأن الرسول ﷺ أمر بنقل رأس العنسي من اليمن إلى المدينة فهو محض افتراء، وخبر شاذ رده الحافظ ابن عبد البر في (الاستيعاب) وكذلك الحافظ ابن حجر في (الإصابة) ومنشأ الرد أن في الإسناد ضمرة بن ربيعة

الكذاب الذى رفضته الثقات.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قال (بزعمهم): أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملاك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى (لوقا: ١٩: ٢٧) إن هذا إن دلَّ على شىء فإنما يدلُّ على أنه أراد أن يتشقى برؤيتهم وهم يُذبحون، وأنه مُحِبُّ للدماء، وإلا.. فما الفرق أن يذبحوهم أمامه أو بعيداً عنه؟ ونحن نرى سيدنا عيسى وجميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - من هذه البشاعة، والله أعلم.

س١٧٣- إن محمداً يزعم أن موسى أحكم وأرحم بأمته من ربه، وأنه يعلم قدراتهم أكثر منه، فهذا هو يقول فى حديث المعراج (كما ورد فى الصحيحين): "ففرض الله عز وجل على أمى خمسين صلاة، فرجعتُ بذلك حتى مررتُ على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعتُ فوضعَ شطرها، فرجعتُ إلى موسى قلت: وضعَ شطرها، فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعتُ فوضعَ شطرها، فرجعتُ إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعتُ فقال: هى خمس وهى خمسون، لا يبدل القول لَدَى، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلتُ: استحييت من ربي"

ج١٧٣- يزعم الناقد عدم معرفة سيدنا محمد ﷺ بصفات الله جل وعلا، وهو أعلم خلق الله بالله، وأتقاهم له، كما قال ﷺ: "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا" [صحيح البخارى] وحديث المعراج ليس فيه أى دلالة أو إشارة على أن الأنبياء أكثر معرفة بالناس من الله، حاشاه سبحانه أن يظن به أحد ذلك، وغاية ما هنالك أن الله سبحانه فرض الصلاة على النحو الأول خمسين صلاة فى اليوم والليلة، فلما مر نبينا ﷺ على سيدنا موسى سأله عن فريضة الله عليه فأخبره، فنصحته بأن يسأل الله التخفيف، والسؤال هنا من الأدنى للأعلى من باب الدعاء والتذلل، لا من باب الأمر والإلزام، فإن هذا لم يُقل به أحد، ولا يجرؤ على قوله أحد، والدليل على ذلك قول نبينا ﷺ: "سألتُ ربي حتى استحييتُ منه، ولكن أَرْضَى وَأَسَلِّمُ" [صحيح الجامع: ٢٨٦٦] والسؤال بهذه الكيفية ليس منهيّاً عنه، ولكنه من جنس العبادة المأمور بها، كمن يتزل به بلاء فيسأل الله التخفيف، بدليل قوله تعالى: {وَقَالَ

رَبُّكُمْ أَذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠] ولم يرد أن النبي ﷺ تطاول في السؤال، أو تجاوز في الحد المأذون فيه، ولم يكن منه إلا الطلب، والدعاء لله جل وعلا، حتى خفف الله عن أمته.

وقد جاء في الكتاب المقدس أن سيدنا إبراهيم حاور ربه، وجعله يخفف العقوبة عن قوم سيدنا لوط - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - لعدة مرات، وأن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أقم ربه (بزعمهم) بالإساءة إلى شعبه، والأعجب من ذلك أنه - على حد قولهم - أمره بالندم والرجوع عن غضبه:

وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب فتقدم إبراهيم وقال أَفْتَهْلِكُ الْبَارِ مَعَ الْأَيْمِمْ. عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة. أَفْتَهْلِكُ الْمَكَانَ وَلَا تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَاراً الَّذِينَ فِيهِ. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميمت البار مع الأئيم فيكون البار كالأئيم. حاشا لك. أَدَيَّانَ كُلِّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدَلاً. فقال الرب إن وجدتُ في سدوم خمسين باراً في المدينة فإني أصفحُ عن المكان كله من أجلهم. فأجاب إبراهيم وقال إني قد شرعتُ أَكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تَرَابٌ وَرَمَادٌ. ربما نقص الخمسون باراً خمسة. أَتَهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ. فقال لا أَهْلِكُ أَنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ. فعاد يكلمه أيضاً وقال عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال لا أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الْأَرْبَعِينَ. فقال لا يسخط المولى فأتكلم. عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال لا أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلَاثِينَ. فقال إني قد شرعتُ أَكَلِّمُ الْمَوْلَى. عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أَهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشْرِينَ. فقال لا يسخط المولى فأتكلمُ هذه المرة فقط. عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال لا أَهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشْرَةِ. وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه (تكوين: ١٨: ٢٢-٣٣)

فرجع موسى إلى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب. لماذا أرسلتني. فإنه منذ دخلتُ إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب. وأنت لم تخلص شعبك (خروج: ٥: ٢٢-٢٣)

فقال موسى للرب لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجدُ نعمة في عينيك حتى أنك وضعتَ ثقل جميع هذا الشعب عليّ. (عدد: ١١: ١١)

لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بجث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن هو غضبك واندم على الشر بشعبك... فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه (خروج ٣٢: ١٢-١٤)، والله أعلم.

س١٧٤- إن نبيكم لا يتقى الله بدليل قول قرآنكم: {يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ آتَى اللَّهِ}

[الأحزاب: ١]

ج١٧٤- إن الرسول ﷺ هو سيد المتقين، وسيد الأولين والآخرين، ولكن معنى الآية: حافظ واستمر على التقوى وصابر عليها، وهذا كما جاء في قوله تعالى: {فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُمْ} [هود: ١١٢] فهل كان غير مستقيم، أم أنه أمر بالثبات على الاستقامة والدوام عليها؟ وكقوله تعالى للمؤمنين: {يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا} [النساء: ١٣٦] وقد ذكرنا التعليق عليها في الرد على الشبهة رقم (٣٢٠) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س١٧٥- إن محمداً يلجأ - كحكام العرب الدكتاتوريين - إلى التصفية الجسدية، فقد أرسل مجموعة من القتلة المحترفين لاغتيال سلام بن أبي الحقيق اليهودى، وكعب بن الأشرف اليهودى، الذى كان شاعراً وفارساً وسيداً فى قومه.

ج١٧٥- إن الرسول ﷺ لم يأمر بقتل سلام إلا لأنه كان العقل المدبر فى تأليب المشركين واليهود على قتال المسلمين، وهو القاتل لمشركى مكة - عبادة الأصنام - حينما سأله أهدى أم محمد: (أنتم أهدى من محمد سبيلاً) مع علمه بأنهم على الباطل، وأن سيدنا محمداً ﷺ على الحق، ولذلك نزل فيه قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّيْفُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا} [النساء: ٥١] أما كعب بن الأشرف فقد نحى منحى لم يتخذه أحد قبله، وهو أنه - من حسنة وذميمة أخلاقه - هجا نساء النبي ﷺ ونساء الصحابة ﷺ بأقبح الألفاظ، أضف إلى ذلك أنه كان رأس حربية فى قتل وإيذاء المسلمين، وكان شريكاً فى تأليب المشركين على المسلمين فى غزوة أحد مع سلام بن أبي الحقيق، فكان القتل لهما جزءاً وفاقاً.

إن الذين يعيبون على رسولنا ﷺ أنه أمر بقتل (سلام بن الحقيق) و(كعب بن الأشرف) جاء فى كتابهم المقدس أن الذى يشتم أبوية يُقتل، وقرأوا إن شتمتم:

ومن شتم أباه أو أمه يُقتل قتلاً. (خروج: ٢١: ١٧) فهل يوجد في الإسلام مثل هذا؟ وهل الأبوين أشد حرمة من رسول الله ﷺ ونسائه رضى الله عنهن وأرضاهن؟، والله أعلم.

س١٧٦- إن الدليل على أن محمداً فرض الإسلام على القبائل العربية بالإكراه، أنه بعد موته ارتد كثير منهم، وتحرروا من الاستعباد الذي فرضه عليهم.

ج١٧٦- إن سبب ارتداد بعض القبائل العربية عن الإسلام لم يكن لأنهم أُجبروا على الإسلام، أو الاستعباد، ولكن ما حدث أن بعض شيوخ القبائل - مثل مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح، وغيرهم - ادَّعَوْا النبوة، وأجبروا أقوامهم على ترك الإسلام، وأتباعهم تحت وطأة الحديد والنار، ولقد كانت أقوامهم أعلم الناس بأنهم كذابون، فهم أصحاب سَيْرٍ سيفة طيلة أعمارهم، ولا يملكون منهجاً من السماء، وقد أحلوا كل الفواحش التي حرَّمها الإسلام، وقاموا بالسلب والنهب، وتهديد القبائل المجاورة لهم، فلم يُعرف عنهم إلا كل شر، واستغلوا وجود جيش الإسلام بقيادة أسامة ؓ على تخوم الروم، وموت النبي ﷺ، فظنوا أنه لا مُؤدِّب لهم، وحسبوا فوزي، فهبَّ الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ؓ لتأديبهم، واستأصل شأفتهم، فأمن بذلك قبائل العرب من شرهم، وهزمهم شر هزيمة، والله أعلم.

س١٧٧- إن محمداً الرحيم يخالف الأعراف الحربية ويقتل الأسرى، واقروا السيرة لتعلموا أنه قتل عُقبة بن أبي مُعَيْط، وهو أسير لا يحل قتله.

ج١٧٧- إن عُقبة كان مشركاً شأن أهل مكة، ولكنه كان أشد الناس إيذاءً للإسلام والمسلمين، حتى إن الرسول ﷺ لم يسلم من إيذائه، فقد ألقى عليه سَلَى جَزور وهو يصلى (أى أحشاءها) كما جاء ذلك في صحيح البخارى، وجاء فيه أيضاً أنه خنق الرسول ﷺ خنقاً شديداً وهو يصلى في حجر الكعبة، فدفعه عنه أبو بكر ؓ وهو يقول: {أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [غافر: ٢٨] وكان حليف اليهود في نقل الشبهات على رسول الله ﷺ، وكان من كبار المحرضين على قتال المسلمين في غزوة بدر، ووصل به إجرامه أن بصق ذات يوم على وجه الرسول ﷺ. أما سبب قتله وهو أسير هو أن رسول الله ﷺ كان قد أهدر دمه قبل غزوة بدر لشنائه على المسلمين المستضعفين في مكة، فلما حضرت

الغزوة كان في أوائل صفوف المشركين، وهو مهذور الدم سواء قبل المعركة أو بعدها، فلا حُرمة إذن لدمه، والله أعلم.

س١٧٨- إن محمداً لا يتورع عن قتل النساء، كما جاء في السيرة أنه اغتال عصماء بنت مروان الخطمية، واغتال فتاتى ابن خطل، وهما فرتنى وقرية.

ج١٧٨- إن هذه المرأة المسماة (عصماء) كانت تعيب الإسلام، وتؤذى النبي ﷺ وتحرض عليه، وتؤذى من أسلم، حتى ولو كان من قبيلتها، وكانت تطرح المحايض في مسجد بني خطمة، فلما استفحل شرها قتلها رجل مسلم من قومها، وهو عمير بن عدى الخطمي ﷺ ولم يعارضه أحد من قبيلتها لسوء خلقها، وقسوتها على كل من أسلم، وقال الرسول ﷺ لعمير حين سأله هل عليه شيء في قتلها: "لا ينتطح فيها عقران" [سيرة ابن هشام وغيرها] أى أنه بلغ من شرها أنه لا يختلف في وجوب قتلها أحد. أما عن فتاتى ابن خطل.. فهاتان كانتا تُغنيان بمحاء رسول الله ﷺ، ولقد قُتلت إحداهما وهربت الأخرى، ثم طُلب لها الأمان، فأمنتها رسول الله ﷺ وأسلمت.

والذين يلومون على الرسول ﷺ السماح بقتل هؤلاء النسوة، مع ما فعلته من عداوة للإسلام والمسلمين - وعلى رأسهم رسول الله ﷺ - جاء في كتابهم المقدس الأمر بقتل من لا يمثل لأمر الكاهن أو القاضى، ولا أقول لأمر نبيهم، بل لأمر كاهنهم أو قاضيهم، حتى لو كان ذنبه لا يستحق عقوبة القتل أصلاً، فما هو كتابهم يقول:

إذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم ودم أو بين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات في أبوابك فقم واصعد إلى المكان الذى يختاره الرب إهلك. واذهب إلى الكهنة اللاويين وإلى القاضى الذى يكون في تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء... والرجل الذى يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إهلك أو للقاضى يُقتل ذلك الرجل فترع الشر من إسرائيل. (تثنية ١٧: ٨-١٢)، والله أعلم.

س١٧٩- إن محمداً يمنع سكان أهل مكة الأصليين من الحج، بحجة أن المشركين

نَجِس.

ج١٧٩- إن سيدنا محمداً ﷺ لم يمنع أهل مكة من الحج إلا المشركين منهم، وذلك

لعدة اعتبارات إيمانية وأخلاقية، فأما الإيمانية فلأنهم عبّاد أصنام، يشركون بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وهذا بيت الله الحرام، وقد أمر الله نبيه بما أمر به إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أن يطهر بيته من هذه الأوثان، فلا مكان إذن للمشركين فيه. أما الناحية الأخلاقية فهي أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراً، رجالاً ونساءً. أما قول الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} [التوبة: ٢٨] فهي نجاسة معنوية متعلقة بقلوبهم لا بأبدانهم، لأنهم عبدوا مع الله آلهة أخرى، وليست نجاسة حسيّة. ثم إن غالب أهل مكة قد أسلموا في الفتح، إلا بضع أفراد يُعدّون على أصابع اليد الواحدة، فأين ما زعمه الناقد؟

إن الذين يتهمون الرسول ﷺ بالدكتاتورية في طرده للمشركين من الجزيرة العربية، جاء في كتابهم المقدس إبادة الشعوب المشركة بكاملها، بما فيها من بهائم لا ذنب لها، بل وحرقت كل أمتعتها، فيقول:

إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إهلك لتسكن فيها قولاً قد خرج أناس بنو لثيم من وسطك وطوّحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها وفحصت وفتشت وأسألت جيداً وإذا الأمر صحيح وأكد قد عمل ذلك الرجس في وسطك فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إهلك فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبني بعد. (تشية: ١٣: ١٢-١٦)، والله أعلم.

س ١٨٠- إن محمداً لم يكتفِ بالزواج من تسعة نسوة، فبعد الطواف عليهن يذهب إلى امرأة أجنبية لا تحل له - وهي أم سُلَيْم - ويقبل عندها، فتأخذ من عرقه وشعره وتضعه في قارورة، كل هذا وزوجها خارج البيت. ويذهب لامرأة أخرى أجنبية عنه، وهي أم حَرَام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت، بحجة مضحكة، وهي أن تُفلى له رأسه في غيبة زوجها أيضاً، فأين كان يضع محمد رأسه حين كانت تفلي هذه المرأة في غياب زوجها؟

ج ١٨٠- إن الذي لا تعرفه أيها المتهجم على رسول الله ﷺ أن أم سُلَيْم - رضی الله عنها - خالة الرسول ﷺ من الرضاعة، كما قال ذلك ابن الجوزي، وورد عنه في فتح

البارى، والمنهاج شرح مسلم، فقد كانت أم سليم أخت أمينة بنت وهب أم الرسول ﷺ من الرضاعة. أما السيدة أم حرام بنت ملحان - رضى الله عنها - فهي أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك ﷺ أى أنها هى أيضاً خالة الرسول ﷺ من الرضاعة، كما قال ذلك ابن وهب، فأين المرأة الأجنبية التى تتحدث عنها أيها المُدْعَى؟ وأى عجب فى أن تفلَى المرأة ابن اختها من الرضاعة، أو أن يُقِيلَ عندها، أو أن تأخذ من عرقه، أو أن يدخل عليها فى غيبة زوجها، خصوصاً وأن أنس بن مالك ﷺ كان معه ﷺ؟

وقد أوردنا فى الرد على الشبهة رقم (٤١٨) أن الكتاب المقدس جاء فيه أن امرأة زانية قَبِلَتْ قَدَمَى الْمَسِيحِ - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ومسحتهما بشعرها، فغفر لها، والله أعلم.

س١٨١- إن نبيكم يأمركم بالسب والشتم، فيقول: "إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فَأَعِضُوهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا" [صحيح الجامع: ٥٦٧] إن معنى هذا أن تقولوا لمن يتعزى بعزاء الجاهلية: عُضْ ذَكَرَ أَبِيكَ، لأن "بِهَنْ أَبِيهِ" تعنى (بذكر أبيه).

ج١٨١- لقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى حذرِها [صحيح الجامع: ٤٧٩٩] وهو الذى نهى عن السب والشتم فى أحاديث كثيرة معلومة، لدرجة أنه نهى عن سبِّ الشيطان، فقال: "لا تسبوا الشيطان وتعوذوا بالله من شره" [صحيح الجامع: ٧٣١٨] ولو أفضنا فى الكلام عن خلقه العظيم ﷺ ما وَسَعْنَا الْمَقَالَ. ولكن لماذا أمرنا الرسول ﷺ بسبِّ من تعزى بعزاء الجاهلية؟ وما هو عزاء الجاهلية الذى استحق فاعله هذا العقاب؟ لقد قال العلماء: إن عزاء الجاهلية هو أن يتفوه الإنسان إذا أصيب بمصيبة بأقوال لا ترضى الله جل وعلا، كأن يقول: لماذا يا رب فعلتْ بى كذا وكذا، أو كالذى ينعى حظّه، ويقول: وامصيتاه، واحسرتاه، واخبيتاه... إلى غير ذلك من ألفاظ التسخط على قدر الله. وقالوا أيضاً: إن معناها التفاخر بالآباء، والأحساب، والأنساب... إلخ، كأن يتفاخر المرء بأبيه، أو عائلته، فيقول مثلاً: أبى كان غنياً، كان وزيراً، كان مديراً... إلخ، وعائلتى كانت كبيرة، وتعمل كذا وكذا، مجرد التفاخر والتعالى على خلق الله. وحين يتشاجر مع غيره يستنفر قومه لقتال خصمه، بغضّ النظر عن السبب فى الخصومة، وبغضّ النظر عن تحكيم شرع الله بينهما، ومَن الظالم، ومَن المظلوم، ولكنها حمية جاهلية مجرد

القراية، أو التَّسَبُّب، أو المنفعة. وهذا - للأسف - منتشر بين كثير من المسلمين، لدرجة أن منهم من يظلم الناس ويقهرهم اعتماداً على منصب أبيه أو أحد أقاربه، أو سُمعة عائلته، أو قوة أصدقائه ومعارفه. ولهذا جاء هذا التحذير الشديد من الرسول ﷺ لمثل هؤلاء، ليكون رادعاً لهم عن مثل هذه الأقوال، التي لا يستحقون عليها الشتم فقط، بل ويستحقون عليها العذاب في جهنم، قال ﷺ: "من دعا بدعوة الجاهلية فهو من جناء جهنم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله التي سَمَّاكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله" [صحيح الجامع: ١٧٢٤] وقال: "ومن ادعى دعوى الجاهلية فهو من جنى جهنم" قيل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: "وإن صام وصلى، تداعوا بدعوى الله الذي سَمَّاكم بها المؤمنين المسلمين عباد الله" [صحيح ابن حبان]

والحديث الذي ورد في هذه الشبهة ليس فيه تصريح بكلمة (الفرج) أو (الذكر) وإن كان المعنى واحداً، ولكن الذين يشنعون على الرسول ﷺ بهذا الحديث؛ جاءوا بألفاظ صريحة بدلاً من ألفاظ الحديث، ليلفتوا الأنظار إلى ما يقصدونه من الطعن على رسول الله ﷺ ولم يذكروا مساوئ التعزُّي بعزاء الجاهلية، والتي ذكرنا بعضاً منها، ولم يذكروا أن هذه العبارة كانت شائعة على السنة العرب، ولم يتدعها الرسول ﷺ من نفسه، ولم يسمح بها إلا في هذا الموضع. فالمسلم عفيف اللسان، ولكن حين يسمع من يعترض على قدر الله، أو ينتسب إلى غير الإسلام، فله أن يسب من فعل هذا سباً صريحاً ليزجره عن قوله. فعزتنا بالإسلام وحده، ولا عزة لنا بغيره، كما قال سيدنا عمر ؓ: (كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله) ولكن ينبغي أن يكون هذا السب في أضيق الحدود، لأن الرسول ﷺ نهى عن الفحش والتفحش، فقال: "ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه" [صحيح الجامع: ٥٦٥٥] وقال: "ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي" [صحيح الجامع: ٥٣٨١] لدرجة أنه عندما دخل عليه اليهود وقالوا له: (السَّام عليك يا محمد) و(السَّام) هو الموت، لم يردَّ عليهم إلا بقوله: "وعليكم" وحين ردَّت عليهم السيدة عائشة - رضی الله عنها - قال لها: "ممة يا عائشة! فإن الله لا يحب الفحش والتفحش" [صحيح مسلم] وقال لها في رواية أخرى في صحيح مسلم أيضاً: "يا عائشة لا تكوني فاحشة"

وقد قال العلماء: إن المقصود من الحديث هو الزجر الشديد عن هذه الأقوال، لأن من سمع هذا التحذير فلن يَجْزَأُ على قولها، لأنه يعلم مَعْبَتَهَا، وحينئذ لن يكون هناك سَبٌّ ولا شتم، وذلك كالذى يعلم أنه لو سرق لَقُطِعَت يده، فلن يُقَدِّمَ على السرقة، ولن تُقَطَّع يده.

وقد أوردتُ نَصًّا من الكتاب المقدس في الرد على الشبهة رقم (١٥٢) وقد جاءت في هذا النّص عبارة يعلم الله أنني استحييتُ من تفسيرها، ولكني أجدني الآن مضطراً لتفسيرها، والله لولا الدفاع عن الشبهة التي نحن بصدددها ما فسّرناها، ألا وهى في الجزء التالى من النّص:

وَعَشِقَتْ مَعشوقِيهِم الذين لحمهم كلحم الحمير وَمَنِيهِم كَمَنِي الخيل. (حزقيال ٢٣: ٢٠) هل تدرون ما معنى (لحمهم كلحم الحمير)؟ معناها أن الأعضاء التناسلية للرجال الذين زنت معهم (أهولبية) كالأعضاء التناسلية للحمير، بدليل أن العبارة التي بعدها وصفت مَنِيهِم بِمَنِي الخيل. وإذا قال مُجَادِلٌ منهم: إنما لا تعنى الأعضاء التناسلية، فأقول له: وماذا تعنى كلمة (لحمهم) قبل ذكر مَنِيهِم؟ هل تعنى لحم أجسادهم؟ وهل تشبيه لحم الإنسان بلحم الحمير من الشناء أو المدح فى شىء؟، والله أعلم.

س١٨٢- تزعمون أن نبيكم ينهى عن المثلثة وتشويه الجثث، بينما هو يفعل ذلك فى أبشع الصور، كما جاء فى صحيح البخارى أنه سَمَلَ أعين بعض اللصوص (أى فقأها) وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وحرّمهم من الماء حتى ماتوا من العطش، ولم يرحمهم.

ج١٨٢- إن الناقد المترحم على هؤلاء القتلة اللصوص المرتدّين، الذين ارتكبوا حدّاً من أكبر حدود الإسلام، ألا وهو حدّ الحِرَابَةِ فى أبشع صُورِهِ، غدر وخيانة وقتل وسرقة - فضلاً عن الردّة - استدل بخديث (البخارى) ولم يستدل بما جاء فى صحيح مسلم. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: إنما سَمَلَ النبي صلى الله عليه وآله أعين أولئك لأنهم سَمَلُوا أعين الرعاة. وجاء ذلك أيضاً فى سنن الترمذى، وسنن النسائى، والسنن الكبرى للبيهقى، والمعجم الكبير والأوسط للضريانى، وسنن الدار قطنى.

والقصة باختصار هى أن نَفَرًا من عُرَبِيَّةٍ وَعُكْلٍ (أسماء قبائل) جاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله فى

المدينة، وأعلنوا إسلامهم، ولم يناسبهم جَوَّ المدينة فمرضوا، وأصابهم الاستسقاء، فاشتكوا إلى الرسول ﷺ فبعثهم ليشربوا من ألبان إبل الصدقة وأبوالها، فَصَحُّوا (أى بَرُّوا) ثم ارتدوا عن الإسلام، وَسَمَلُوا أعين الرعاة (أو الراعى) وقتلوه، واستاقوا الإبل (أى سرقوها) وهربوا، أبعد ذلك تستكثرون عليهم ما فعله الرسول ﷺ بهم؟ إنها معاملة بالمثل، وتطبيق حَدِّ من حدود الله، قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} [المائدة: ٣٣] وقال: {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا} [المائدة: ٤٥] إذن فالرسول ﷺ لم يظلمهم، ولم يعتد عليهم، بل هم الذين ارتدوا، وقتلوا الرعاة ومثلوا بهم، بعدما أطمعهم وعالجوهم، وسرقوا إبل الصدقة، فكان جزاؤهم من جنس فعلهم. والذي لا يعلمه الناقد الحاقد - أو يعلمه ويخفيه - أن الرسول ﷺ قد طبَّق عليهم قانون السماء، لأنه لا يملك إلا ذلك، فقد قال ﷺ: "تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب" [سنن أبي داود والنسائي، صحيح الجامع: ٢٩٥٤]. أى أن الحد إذا وصل إلى الحاكم وجب عليه تنفيذه. ولو أنه ﷺ صفح عنهم - فرضاً - لكان في هذا عبث، وتضييع لحقوق العباد، وإسقاط هبة الدولة الإسلامية، وحاشاه أن يفعل ذلك، وهو الذى قالت عنه السيدة عائشة رضی الله عنها: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُتَّهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ" [متفق عليه] فكان انتقامه منهم لانتهاكهم حُرْمَاتِ اللَّهِ، وحتى لا يَجْرَأَ أحد بعدهم على مثل فعلهم. وقد جاءت في الكتاب المقدس عقوبات شديدة وعنيفة، ذكرنا أمثلة منها في الرد على افتراءات أخرى، ونذكر منها ما هنا:

وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم فى أثون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب الى اورشليم (صموئيل الثانى ١٢: ٣١) كلمة (أثون) معناها فُرْن. وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقتة على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً (تثنية ٢١: ٢٢-٢٣)، والله أعلم.

س ١٨٣- يقول نبيكم: "لولا حواء لم تَخُنْ أُنثَى زَوْجَهَا الدَّهْرُ" [صحيح مسلم]
كيف خانت حواء زوجها، ولم يكن هناك رجل غيره؟

ج ١٨٣- إن الخيانة في هذا الحديث الشريف ليست خيانة فرّاش، أى أنها لم تكن بفعل الفاحشة، ولكنها بمعنى عدم الإخلاص لزوجها في النصيحة، لأنها اجتهدت عليه مع إبليس ليأكل من الشجرة، فقد أغواها إبليس بالأكل من الشجرة فأكلت، ثم أقنعت زوجها فأكل هو أيضاً. والدليل على أن الخيانة لا يُقصدُ بها خيانة العِرضِ فقط، هو قول الله تعالى عن زوجة سيدنا نوح وسيدنا لوط، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: {صَتْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا} [التحریم: ١٠] فخيانتهما لم تكن خيانة بالمعنى المقصود في السؤال، ولكنها كانت خيانة عقائدية. ومعلوم أن مَنْ أَخْلَصَ فِي نُصْحِهِ، وَأَظْهَرَ الْحَقَّ.. فَهُوَ آمِين، وَعَكْسُهُ خَائِنٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "المستشار مؤتمن" [سنن أبي داود والترمذى، صحيح الجامع: ٦٧٠٠] أى أن المستشار لا بد أن يكون أميناً في إظهار الحق لمن استشاره، وأن يتقى الله في نصحه، وأن يكتم سرّه الذى ائتمنه عليه. فمثلاً: لو أراد أحد أن يسكن في منزل تعرفه، وسألك عنه، فلا بد أن توضح له مزاياه وعيوبه، ولا تخفى عنه شيئاً لهوى في نفسك، أو ظناً منك أنك ستقع في معصية لو أخبرته بسوء خلق جيرانه، أو عدم صلاحية ذلك المسكن له... إلى غير ذلك. وكذلك لو استشارك في الزواج من امرأة تعرفها، فلا بد أن توضح له ما تعلمه من أحوالها، وأحوال أهلها، بغير توسّع في هتك الأستار، وإشاعة الأسرار، وبغير غرض آخر في نفسك من وراء هذا النصّح. وكل من لم يتق الله في نصحه، أو أفضى سرّاً من ائتمنه، أو لم يخلص في شركته مع غيره.. فهو خائن، قال رسول الله ﷺ: "إن الله يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما" [سنن أبي داود، السنن الكبرى للبيهقى، سنن الدار قطن]

فمعنى خيانة حواء أنها قبلت ما زينه الشيطان لها، ثم زينته لزوجها، وقد ورثت بناتها خيانتها جيلاً بعد جيل، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو القول، إلا ما رَحِمَ رَبِّي، ولا أقصدُ أنها تفعل الفاحشة، ولكنها خيانة من قبيل خيانة أمها. ولكن لا ينبغي للنساء أن يترخّصنَ بما فعلت أمهنّ، فيتمادينَ في خيانة أزواجهن، ولكن ينبغي لهن

أن يتقين الله بقدر استطاعتهم، لأن كل إنسان مسئول عن نفسه وعن رعيته يوم القيامة، وينبغي للرجال أن يصبروا على زوجاتهم، لما وَرَّثَهُ مِنْ أُمَّهِنَّ.

وراثه بعض الطباع والأخلاق مُشَاهِدَةٌ في واقعنا، مثلها كمثل وراثه الصفات الخلقية تماماً، قال رسول الله ﷺ: "فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسى آدم فنسيت ذريته، وخطي آدم فخطت ذريته" [سنن الترمذی، صحيح الجامع: ٥٢٠٨] وقد جاء في الكتاب المقدس أن حواء لما غَوَتْ بأكلها من الشجرة، عاقبها الله، وعاقب ذريتها بالآلام في الحمل والولادة، فيقول:

وَأَدَمَ لَمْ يَغْوِ لَكِنِ الْمَرْأَةُ أَغْوَيْتِ فَحَصَلْتُ فِي الْبَعْدَى. (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١٤)

وقال للمرأة تكثيراً أكثرُ أتعابِ حَبْلِكَ. بالوجع تلدين أولاداً. (تكوين ٣: ١٦)، والله أعلم.

س ١٨٤- إن محمداً عرض على اليهود الإسلام بعد دخوله المدينة، فلما رفضوا أقام لهم مجازر الوحشية، فقتل من قتل، وفر من فر إلى الشام ليتحقق له ملك الحجاز، بدليل قوله: "لا يَبْقَيْنَ دِينَانَ بَارِضِ الْعَرَبِ" [موطأ مالك، صحيح الجامع: ٤٦١٧]

ج ١٨٤- إن من يقرأ تاريخ اليهود على مر العصور لا يشك لحظة أنهم أهل غدر وخيانة، ونقض للعهود والمواثيق، وهم الذين سبوا ربهم، وقتلوا أنبياءهم، فحدث عن جرائمهم ولا حرج. وكان يهود المدينة وما حولها على شاكلتهم، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، ويهود خيبر. وحين دخل الرسول ﷺ المدينة سالمهم، وصالحهم، وعقد معهم عدة اتفاقيات، تسمى بالمصطلح الحديث (حُسن الجوار) أو (الدفاع المشترك) ولكن هيهات هيهات، فسرعان ما نقضت يهود بنو قينقاع عهد رسول الله ﷺ وحرقوا أسواق المسلمين، فصر عليهم الرسول ﷺ ولم يعاقبهم، ثم لجأوا إلى حيلة ذنيئة، فقام أحدهم بكشف عورة امرأة مسلمة في سوق اليهود، وتضاحكوا عليها، فاستغاثت بالمسلمين، فانتصر لها أحدهم، وقتل اليهودي الخسيس، فاجتمع اليهود وقتلوا ذلك المسلم، فأتبرى لهم الرسول ﷺ وأجلاهم من المدينة، ولم يقتل منهم أحداً كما يقول المدعى.

أما يهود بنو النضير فقد تأمروا على الرسول ﷺ وهو ضيف عليهم، ضارين حُسن الضيافة، والنُّبْل، والمروءة - التي تعارف عليها العرب - عُرض الحائط، وقام أحدهم بمحاولة إلقاء الرُحَى عليه من فوق جدار كان يجلس تحته، فأعلمه ربه سبحانه وتعالى بمكرهم، فقام من فورِهِ، وسير إليهم جيشاً، فتحصنوا منه في الحصون، فحاصرهم وأجلاهم عن آخرهم، ولم يقتل منهم أحداً كما يقول الناقد.

أما يهود بني قريظة فكانت خيانتهم أشد على الإسلام والمسلمين، وكانت بحق هي الخيانة العظمى، حيث إن موقعهم كان شمال المدينة المنورة، ولما كان المشركون قد تحزَّبوا ضد الرسول ﷺ والصحابة ؓ عام غزوة الخندق، وحشدوا لقتالهم أكبر جيش عرفته الحجاز، قوامه عشرة آلاف مقاتل، حاصروا المدينة، وكان الرسول ﷺ قد حفر خندقاً بينه وبينهم، بالمشورة المباركة من سيدنا سلمان الفارسي ؓ فلم يبق لهذا الجيش العرمرم مدخل إلى المدينة إلا من ناحية اليهود، الذين كان الرسول ﷺ قد استأنهم ألا يعينوا عليه أحداً، حسب الاتفاقات المُبرَّمة بينهم، وألا يُؤتَى من قِبَلِهِم، وإلا ستكون الكارثة المروعة على الإسلام وأهله. وكان الرسول ﷺ قد جعل النساء والأطفال في حصن ناحية اليهود الذين خانوه وحاولوا التعرض لهم، فأرسلوا جاسوساً يستطلع حصنهم، فقتلته السيدة صفية - رضی الله عنها - عمّة الرسول ﷺ فتراجعوا عن مهاجمتهم، ظناً منهم أن معهم رجالاً مسلمين يجرسونهم. وكانت الخيانة الأعظم من ذلك أنهم سمحوا لجيوش المشركين أن يجتاحوا ديار المسلمين في المدينة من ناحيتهم، وكانت هذه الخيانة أسوأ خيانة تعرض لها الرسول ﷺ وكادت تعصف بالإسلام والمسلمين لولا أن الله سلّم، فأوقع بينهم، وهزم المشركين، وفرق شملهم، وأرسل عليهم الريح التي اقتلعت خيامهم، وقلبت قدورهم ومتاعهم، فرجعوا خائبين، ونجى الله المؤمنين بغير قتال. وكان من الطبيعي أن يتفرغ الرسول ﷺ لهؤلاء اليهود الذين خانوا عهده، وتحالفوا مع المشركين ضده، فقتل مُقاتِلَتَهُم، وسبى نساءهم وأطفالهم، وكان هذا أقل ما يجب فعله إزاءهم.

أما يهود خيبر فقد قتلوا عبد الله بن سهل، أخا بني حارثة، فكسروا عنقه ودفنوه في بئر، وهو في رحلته إلى خيبر ليشتري تمراً، فطلب منهم الرسول ﷺ دِيَّتَهُ، فأنكروا قتله، فدفع الرسول ﷺ الدية لأهله، وصبر عليهم. وقد كانت خيبر وكرّاً للذس والتأمر، ومركز

الاستفزازات العسكرية، ومعَدِنِ التحرشات وإثارة الحروب، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على بُعْدِ ستين ميلاً شمال المدينة، وكانت على أهبة الاستعداد لقتال المسلمين، وكانت هي الجديرة بالثقات المسلمين إليها، لأن أهل خير هم الذين حُزِبوا الأحزاب لقتال المسلمين، وحرصوا بني فريظة على الغدر والخيانة، وكانوا يجرِّضون المنافقين داخل المدينة، وغطفان وأعراب البادية خارج المدينة، ووضعوا خطة لاغتيال الرسول ﷺ، مما اضطر المسلمين إلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين، مثل سلام بن أبي الحقيق، وأسير بن زارم. لكن الذي أخطر المسلمين عن قتال يهود خير أن هناك قوة كبرى متمثلة في قريش، كانت هي الألدَّة والأخطر من اليهود، فلما انتهت هذه المجاهدة بصلح الحديبية، صفا الجو لمحاسبة أولئك اليهود المجرمين. وقد كان لليهود خير أصفياء في المدينة من المنافقين، وعلى رأسهم رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، الذي أرسل إليهم أن محمداً قصدكم، وتوجّه إليكم، فخذوا حذرکم ولا تخافوا، فإنكم أكثر عدداً وعدة منه، وقوم محمد شرذمة قليلون، وعزّل لا سلاح معهم إلا القليل. واستعدى كنانة بن أبي الحقيق، وهودا بن قيس غطفان، ورعل، وزكوان، وعصية، ليعينوهم على المسلمين مقابل أن يعطوهم نصف خير، فنصر الله المسلمين عليهم، وفاوضهم الرسول ﷺ على حقن دماء مقاتلتهم في الحصون، وأن يترك لهم الذرية، شريطة أن يخرجوا من خير، ويتركوا كل شيء إلا ملابسهم، وقال لهم: "برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم موافقين شيئاً" [دلائل النبوة لليهقي] فكنتموا وخانوا، فأجلاهم الرسول ﷺ من المدينة، بعدما قتل ابني أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع، لأنهم نقضوا العهد، وأخفوا مالا كثيراً لِحَيِّ بن أخطب، وكثر يهود بني النضير.

يتضح جلياً مما سبق أن الرسول ﷺ لم يُقِمِ المذابح المروعة كما قال هذا الحاقد. ونقول له وأمثاله: إن المتبع للتاريخ، والذي عنده منهج علمي استقرائي مستقيم، يشهد أن الوحشية، وشريعة الغاب، وحمامات الدم، لم تكن يوماً من الأيام من سحايا الإسلام والمسلمين، سواء كانت جيوشاً فاتحة، أو وفوداً مُعلِّمة، وهذا بشهادة أهل العلم المنصفين، ولكنها كانت في اليهود، والمغول، والتتار، والحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، ولا زالت نراها في أفغانستان، وكشمير، والشيشان، والبوسنة، وكوسوفا، وفلسطين،

والعراق، وأخيراً الصومال، كل هذا يشهد على إجرام غير المسلمين، الذين قال الله فيهم: **{وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}** [البقرة: ٢١٧] ويُحِيل القارئ إلى الرجوع للإجابة على بعض الشبهات الماثلة، ليقراً ما جاء في الكتاب المقدس من العنف والوحشية، والله المستعان، والله أعلم.

س ١٨٥ - يقول نبيكم: "في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السَّام" [متفق عليه] إذن نغلق المستشفيات والصيديات، ونجعلها مراكز لبيع الحبة السوداء، حتى نسمع كلام نبيكم.

ج ١٨٥ - لقد بشركم معبودكم بأن من آمن منكم يستطيع أن ينقل شجرة الجميزة من مكانها ويطحها في البحر، وأن يشفى المرضى، وإذا شرب السم لا يضره، وغير ذلك من المعجزات، ولم نرَ أى واحد منكم فعل مثل ما قال، ألا يوجد في بقاع الأرض كلها مؤمن واحداً؟ فأين إذن القساوسة، والمطارنة، والرهبان... إلخ؟ والآن نجيب على شبهتكم، ثم نتبعها إن شاء الله بذكر ما ورد في الكتاب المقدس بهذا الشأن:

لقد أثبت العلم أن للحبة السوداء (حبة البركة) فوائد جمة، وأعظمها تقوية جهاز المناعة الذى يساعد في مقاومة جميع الأمراض. وما خطورة مرض الإيدز إلا أنه يصيب ذلك الجهاز المناعى، فيصبح الإنسان عُرضة للإصابة بأضعف الميكروبات، ولا يستجيب لأقوى المضادات.

وقد جاء في كتاب (دفع الشُّبه عن السنة والرسول) لفضيلة الدكتور (عبد المهدي عبد القادر) أن البحوث العلمية أثبتت أن الحبة السوداء بها من العناصر ما يلي:

الفوسفات والحديد والفوسفور، والكربوهيدرات، والزيوت الطيَّارة. كما أنها تحتوى على مضادات حيوية، تقضى على الميكروبات والفيروسات والجراثيم. وبها الكاروتين، وهو مادة مضادة لمسيبات السرطان. وبها هرمونات تقوى التناسل في الرجال والنساء. وبها عناصر تفتح السدد، فتدر البول والحيض، وتدر لبن الأم والصفراء. وبها إنزيمات هضمية، ومضادة للحموضة. وبها مواد منبِّهة ومهدئة في الوقت نفسه. وقد أثبتت البحوث أنها تحتوى على مادة (النيجيللون) وأمكن فصلها، واستُخدمت كعلاج سريع لنربو الشُّعبى، وبرلات البرد المزمنة، وعلاج السُّعال الديكى عند الصغار خاصة، والكبار

عامة. كما أنها تحتوي على مادة (الثيموهيدروكينيون) وأمكن فصلها، واستعمالها ضد بكتيريا التعفن المعوى.

وقد تداولت الأمة بهذا الدواء المبارك مئات السنين، قبل اكتشاف هذه العناصر المهمة فيها، واستخلاص الأدوية الفعالة منها. والحبة السوداء ليس لها أضرار جانبية كبقية الأدوية، التي لا يكاد دواء يخلو منها، كما أن الجسم حين يأخذ كفايته منها، يُخرج الزيادة بغير أدنى ضرر عليه، بعكس الأدوية المصنّعة من مواد كيميائية مركبة، والتي لا يستطيع الجسم أن يتخلص مما زاد على كفايته منها، بل وربما أضرت به أكثر مما نفعته.

وقول الرسول ﷺ إن "في الحبة السوداء شفاء من كل داء" لا ينافي الاستعانة ببعض الأدوية معها، فلم يَقُلْ ﷺ إن فيها (الشفاء) ولكنه قال: "شفاء" أى أن بها نوعاً من الشفاء، وليس كل الشفاء، وهذا النوع من الشفاء يتمثل في كونها تقوى جهاز المناعة كما أسلفنا. ولو أن الرسول ﷺ يقصد أن بها تمام الشفاء لجميع الأمراض، لَمَا وصف أى دواء غيرها، وهذا ما لم يحدث، ولم يدّعيه أحد، فقد كان الناس يأتونه ويشتكون إليه من أمراض عديدة، فيصف لهم أدوية كثيرة غير الحبة السوداء، ولكن الحديث عنها خرج مَخْرَجَ الغالب، أى أنها شفاء لمعظم الداء. وأحياناً تُسْتَعْمَلُ كلمة (كُلٌّ) ويراد بها (معظم) كما تقول - مثلاً - عن الذى يدير أعمالك أو مصنعك: فلان هو الكل فى الكل، أو تقول: إنه عليه العِبءُ كله، فى حين أنه لا يمكن أن يقوم بجميع الأعمال وحده. أو من يقول عن نفسه بعدما أَكَلَ: (لقد أَكَلْتُ الطعام كله) فهل يقصد أنه أَكَلَ كل كسرة خبز، وكل حبة أرز... إلخ، أم أنه يقصد معظم الطعام؟ أو كما نقول عَمَّنْ انتقل من مسكنه لمسكن آخر: (لقد رحل وأخذ كل ما فى شقته) ومن البديهي أنه لم يأخذ غير متاعه، فلم يأخذ - مثلاً - الشبايك والأبواب، وصنابير المياه والأحواض، ومفاتيح الكهرباء والأسلاك... إلخ.

وفى القرآن الكريم شاهد على ذلك، فى قوله تعالى: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [هود: ٢٥] ومعلوم أن الريح التى أرسلت على عاد لم تدمر كل ما فى السموات والأرض، ولكنها دمرت كل شىء خاص بعاد.

والآن حان وقت عرض نصوص الكتاب المقدس التى وعدناكم بها:

الحقّ الحقّ أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد. (يوحنا: ٨):

(٥١)

ثم دعا تلاميذه الإثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض... اشفوا مرضى. طهروا بُرصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين.

(متى: ١٠: ١-٨)

يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون باللسنة جديدة. يحملون حَيَات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم (مرقس: ١٦: ١٧-١٨)

فقال الرب لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعي وانغرسى في البحر فتطيعكم (لوقا: ١٧: ٦)

ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شىء. (لوقا: ١٠: ١٩)، والله أعلم.

س١٨٦- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦] مع أن نبيكم اسمه محمد، وليس أحمد.

ج١٨٦- إن هذه من الشبهات التافهة التي تعودنا عليها، ولكن مع تفاهتها تُلقى الضوء على أمرين هامّين، أولهما أن الرسول ﷺ لم يؤلف القرآن، لأنه لو ألفه لقال (ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه محمد) إذ أنه من المستحيل أن ينسى اسمه. وثانيهما أنه ﷺ لم يبدل ولا حرفاً واحداً من كتاب الله جل وعلا، وإلا.. فما الفرق بين أحمد ومحمد؟ إنه حرف واحد، وهو الألف في أولهما، والميم في ثانيهما. إن الرسول ﷺ له عدّة أسماء، كما قال عن نفسه: "إن لى خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على قدمي، وأنا الماحى الذى يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب" [صحيح الجامع: ٢١٨٩] معنى "العاقب" أى لا نبي بعده. ولكن رغم أن له خمسة أسماء كان لا بد أن يقول فى الآية - لو أنه ألف أو بدّل - إن اسمه محمد، لأنه كان لا يدرى هل سيُبلغ حديثه هذا كل الناس فيعرفوا جميع أسمائه، أم لن يصل إليهم، والله أعلم.

زعم تناقض القرآن مع نفسه

س ١٨٧- يقول القرآن إن الذي يدخل الجنة لا يخرج منها أبداً، مع أنه قال إن آدم خرج منها، فماذا نصدق إذن؟

ج ١٨٧- إن الجنة التي دخلها سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ليست جنة المأوى التي يُجَازَى بها المؤمنون في الآخرة، ولكنها جنة على الأرض على ربوة عالية، ومعنى كلمة (جنة) هي الشجر الكثير الملتف الذي لا يُرى من بداخله، ونحن نسميها بلغتنا (جنيّة) ومنها كلمة (جنّ) لأنه يخفى علينا فلا نراه، والقرآن حين تحدث عن قصة خلق آدم قال: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠] أى أن الله سبحانه وتعالى سيستخلفه في الأرض، وليس في جنة المأوى. إن جنة الخلد ليست دار ابتلاء ولكنها دار جزاء، وحينما دخل آدم وزوجته الجنة حذرهما الله جل وعلا من مطاوعة إبليس لعنه الله {إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} [طه: ١١٧] ولكن إبليس احتال عليهما، وأظهر أنه ناصح لهما بأنهما إذا أكلا من الشجرة فسيخلدان فيها أبداً {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَقَادِمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبْلَى} [طه: ١٢٠] وأقسم لهما على ذلك {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِيقٌ} [الأعراف: ٢١] فصدقه آدم لأنه لم يكن يتخيل أن يقسم أحد بالله كاذباً، ولكنه حين أطاعه هو وزوجته انكشفت سوءاتهما وأخرجا من الجنة {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا سَوَاءً مُمِيقًا وَطَفِقَا مَخَصَصَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} [الأعراف: ٢٢] فندما وتابا إلى الله {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣] وقبل الله عز وجل توبتهما {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه: ١٢٢]

وقد ورد في الكتاب المقدس تناقض بين مصير سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إذا أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، وهاكم التناقض:

فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة ناكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا. (تكرين: ٣-٢-٣) في هذا النص تقول السيدة حواء - رضى الله عنها - للحية إن الله أمرها وزوجها ألا يأكلا من الشجرة حتى لا

يموتاً، ثم يأتي النص التالي فيقول إن آدم لو أكل من الشجرة فسيحيا إلى الأبد، وكان الله سبحانه وتعالى كذب على آدم حتى لا يأكل من الشجرة فيحيا مثله إلى الأبد (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً):

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. (تكوين ٣: ٢٣) وقد أكل آدم من الشجرة ولم يمُتْ في حينها، ولكنه مات بعد سنوات عديدة، ولكنه لم يخلد أبداً، أى أن كلا القولين لم يتحققا، والله أعلم.

س ١٨٨ - يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} [البقرة: ٣٠] أليس هذا تطاولاً من الملائكة على الله، في حين أن القرآن يثبت لهم السمع والطاعة، فيقول: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}؟ [الأنبياء: ٢٧]

ج ١٨٨ - إن تساؤل الملائكة ليس تطاولاً على الله عز وجل، ولكنه خوف ورجاء، خوف من أن يكونوا قصرُوا في عبادته سبحانه وتعالى، ورجاء ألا يفضّل عليهم أحداً. ولتقريب فهم هذا المعنى نقول وبالله التوفيق: - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن عندك خادماً وقلت له إنك ستأتى بخادم آخر فقال لك: لِمَ تأتي بخادم آخر يا سيدي؟ هل أنا قصرت في خدمتك؟ أيكون قد تطاول عليك أم أنه تذل بين يديك؟ وربنا سبحانه وتعالى ليس بحاجة لخدم {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: ٧٤] ولكن كما قالوا (بالمثال يتضح المقال) فالملائكة كما قال الله عنهم: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦] والدليل على تزييمهم لرهم وتعظيمهم له هو قولهم في الآية نفسها: {وَتَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} وهنا يُطرح سؤال: ما الذى علّم الملائكة أن الإنس سوف يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء؟ قال العلماء إنهم توقعوا أن يفعلوا كمن كان قبلهم من الجن، فقد أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فأرسل الله عليهم الملائكة فحاربتهم وطردهم إلى أعلى الجبال والقفار والبحار، أو أن هذا علم علمهم الله إياه.

ونريد أن نسألكم.. أتعبرون هذا تطاولاً من الملائكة، وتنسون ما جاء في كتابكم المقدس من تطاول أنبيائكم (بزعمكم) على ربكم؟ واقرأوا إن شئتم:
إليك أصرخ فما تستجيب لي. أقوم فما تنتبه إليّ. تحوّلت إلى جاف من نحوى.

بقدره يدك تضطهدني. (أيوب: ٣٠: ٢٠-٢١)

حقى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخَلِّص.
(حقوق: ١: ٢)

وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهي أيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد
أسأت بإماتتك ابنها. (الملوك الأول: ١٧: ٢٠) (نلاحظ مخاطبة الله عز وجل بكلمة: قد
أسأت)

يا رب لماذا تقف بعيداً. لماذا تختفي في أزمة الضيق. (مزور: ١٠: ١)

يا إلهي لا تُبطئ (مزور: ٤٠: ١٧)

لأجل هذا تتجلد يا رب. أتسكت وتذلنا كل الذل (اشعيا: ٦٤: ١٢)

حقى متى يا رب تخبئ كل الاختباء. حقى متى يتقد كالنار غضبك. أذكر كيف أنا
زائل. إلى أى باطل خلقت جميع بني آدم. (مزور: ٨٩: ٤٦-٤٨)

لماذا تنسانا إلى الأبد وتركنا طول الأيام. (مراثي إرمياء: ٥: ٢٠)

يا رب إلى متى تنظر... لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً ولا يتغامز بالعين
الذين يعضونني بلا سبب... قد رأيت يا رب. لا تسكت يا سيد لا تبعد عني.
استيقظ وانتبه إلى حكمي (مزور: ٣٥: ١٧-٢٣)، والله أعلم.

س ١٨٩- يقول القرآن: {وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} [البقرة: ٤٩] ويقول: {وَإِذْ أَجْبَيْنَكُمْ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ} [الأعراف: ١٤١] فلماذا قال مرة
{يُذَبِّحُونَ} ومرة {يُقْتَلُونَ}؟ وما فائدة زيادة (الوار) في سورة (إبراهيم) {وَيُذَبِّحُونَ}؟
فهل محمد يلعب بالألفاظ؟

ج ١٨٩- قال الشيخ الشعراوي - رحمه الله - ما معناه إن المتكلم في سورة (البقرة)
هو الله جل وعلا، فلذلك قال: {وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} أما المتكلم في سورة (إبراهيم) فهو سيدنا موسى -
على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلذلك قال: {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} بزيادة (الوار) لأن الله عز وجل حينما يَمُنُّ على عباده

فإنه يَمُنُّ عليهم بعظائم النعم دون صغارها، فذكر أنه نجاهم من تذييح أبنائهم واستحياء نسائهم، وهو أشد ما تعرضوا له من العذاب، أما سيدنا موسى حين مَنَّ عليهم بنعم الله، مَنَّ عليهم بكبيرها وصغيرها، فلذلك زادت (الوار) وكأنه أراد أن يقول لهم إنهم ذاقوا من آل فرعون عذاباً آخر غير ذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وأن الله نجاهم من هذا كله، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - إذا مَنَّ الأب على ابنه فإنه يَمُنُّ عليه بعظائم إنعامه عليه، فيقول له: أنا ربيتك وصرفت عليك حتى تخرجت من الكلية، أما أمه حين تذكره بفضل أبيه عليه فإنها تقول له: أبوك الذي اشتري لك الملابس، والكتب، والحلوى، وكذا وكذا، وفعل لك كذا وكذا، فتعدد له أشياء كثيرة لم يذكرها والده. أما لماذا قال مرة: {يُقْتَلُونَ} ومرة {يُذَبِّحُونَ} فإن فرعون أمر بقتل الذكور ثم أمر بتذييحهم.. لماذا؟ لأن القتل ليس يقينياً في القضاء عليهم.. كيف؟ لأن القتل يمكن أن يتم - مثلاً - بضرهم على رؤوسهم حتى يغيبوا عن الوعي، ويُظَنُّ أنهم ماتوا، ثم بعد ذلك يفيقون من غيبوتهم، ويمكن أن يتم بخنقهم حتى يُظَنُّ أيضاً أنهم قد ماتوا، ثم يفيقوا بعد ذلك، أما الذبح فهو يقينى في القضاء على حياتهم. كما أن تشديد حرف الباء في كلمة {يُذَبِّحُونَ} يعنى إمعاناً في الذبح، حتى يتحقق موت الضحايا، بعد إيلاهم وتقطيع رقايمهم، ويقول أهل اللغة العربية: إن زيادة المبتى تدلُّ على زيادة المعنى، والله أعلم.

س ١٩٠ - يقول القرآن: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦] معنى هذا أن أعمال الخير تأتي بلفظ {كَسَبَتْ} وأعمال الشر تأتي بلفظ {اِكْتَسَبَتْ} ثم يناقض القرآن نفسه فيقول: {سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة: ٩٤] وكان المفروض أن يقول (جزءاً بما كانوا يكتسبون)

ج ١٩٠ - ما هو الاكتساب؟ هو الافتعال والتكلف والتصنع، فمثلاً: إذا نظر رجل إلى امرأة لا تحل له، تراه متكلفاً متصنعاً، يختلس النظر إليها، وهو ينظر يميناً وشمالاً، هل يراه أحد؟ على عكس الذى ينظر إلى زوجته، أو إحدى محارمه، وكذلك التى تمشى مع رجل لا يحل لها، تراها مرتبكة تخشى أن يراها أحد، وإذا شعرت بأن أحداً سيراهها تتبعد عنه، أو تأمره بالبعد عنها، وهو أيضاً يفعل الشيء نفسه، على عكس من يمشى مع زوجته أو أمه

أو أخته. ولو اختلى رجل بامرأة لا تحل له، ثم طرق الباب طارق، لأصاهما الفزع ولم يفتحا الباب، أو لاختبا أحدهما، أما الذى يكون مع زوجته وطرق الباب طارق، فإنه يفتح بكل جرأة، وهى كذلك. وهذه الأمثلة تنطبق على من يشعر أنه عاصٍ، ويستجيب أن يجاهر بمعصيته، أما العاتى الطاغى فى معصيته الذى لا يخشى الله ولا يستجيب من خلقه فإنه يحترف بمعصيته، ويفعلها وهو متبجح، وكأنها حلال. فمثلاً لو نظر إلى امرأة أو شاغلها ثم لامة أحد لقال له: انا حر أعمل ما أريد، وليس لأحد عندى شىء، فهذا معصيته أصبحت سهلة بدون تكلف، كالذى يشرب الخمر أو يفطر فى رمضان جهاراً، ولا يبالي هل يراه أحد أو لا يراه، فالكلام فى الآية الكريمة عن المنافقين، وهؤلاء قد احترقوا وأدمنوا المعصية، وأصبحت مألوفة بالنسبة لهم كمن يفعل الحلال، ولذلك جاءت بلفظ {يَكْسِبُونَ} وتحتل كلمة {يَكْسِبُونَ} هكماً، فيكون توبيخاً وتحقيراً للمنافقين الذين يظنون أن رجسهم مكسب لهم، وجزاء حسن، مع أنه فى الحقيقة وبآل وخسارة، مثل تاجر يبيع تجارته بالغش والتطفيف ونقص المكيال والميزان ظناً منه أن فى ذلك مكسباً، لكنه فى الحقيقة خسارة {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الطافين: ٦]، والله أعلم.

س ١٩١- يقول القرآن: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْهَبْ إِلَى الْبَنَاتِ الْأَعْيُنِ وَمَنْ يَدْعُكُنَّ فَخُذِي إِلَهُنَّ بِحَبْلٍ وَإِنَّمَا الِذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} أليس الذين اتبعوه هم النصارى؟ والذين كفروا به هم اليهود والمسلمون؟

ج ١٩١- الوفاة فى اللغة لها أكثر من معنى، فهى تأتى بمعنى الموت كما جاء فى الآية الكريمة: {قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة: ١١] وتأتى بمعنى النوم {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فِيمَسْكُ الْبَنَاتِ الْأَعْيُنِ وَالْمَوْتِ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} [الزمر: ٤٢] كما نقول عن النوم إنه الموتة الصغرى، ويشتق من الوفاة معنى تأدية كل الأوامر على أكمل وجه، كما جاء عن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام {وَابْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى} [النجم: ٣٧] ومنها استيفاء الأجر {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} [الزمر: ٧٠] فمعنى {مُتَوَفِّيكَ} أى رافعك إلى بكاملك جسداً وروحاً، وهذا يزيل الشك فى رفع جسده.

أما قول الله عز وجل: {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} فالذين اتبعوه هم الذين اتبعوه على الحق الذي أرسل به. وما هو الحق الذي أرسل به؟ لقد أرسل بالتوحيد الخالص لله رب العالمين كبقية الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأنه عبد الله ورسوله، فبذلك يكون الذين اتبعوه هم أتباعه الأولون الذين لم يشركوا بالله رب العالمين، ونحن المسلمين أتباعه، وأتباع جميع الأنبياء والمرسلين، لأننا آمننا بهم أجمعين، وعلى رأسهم خاتمهم سيدنا محمد؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ونحن بذلك ممثلون لأمر ربنا تبارك وتعالى، حيث قال: {قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّنَا لَّا نَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٦] أما النصارى الذين جاءوا من بعدهم فليسوا أتباعه، لأنهم عبدوه وأمه من دون الله، ولم يؤمنوا برسول الله ﷺ الذي بشر به {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَدَّبُّهُ رَبِّي بِرُوحِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَأَنجَاهُمْ بِالْحَقِّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف: ٦] ولكنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ رغم أن صفته في كتبهم التي بأيديهم، ولكنهم جحدوها وبدلوها. قد يقول قائل: إن الآية تقول: {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} ونحن نرى المسلمين متخلفين عن اليهود والنصارى، فكيف يكون المسلمون فوقهم؟ فنقول والله التوفيق: إن الفوقية ليست فوقية قوة مادية، ولكنها فوقية حجة ومنهج وتشريع، أي أن المسلمين لهم الحجة على اليهود والنصارى إلى يوم القيامة، فاليهود كفروا به ووصفوه وأمه بأبشع الصفات المردولة، والنصارى غالوا فيه واعتبروه إلهاً، والمسلمون توسطوا فآمنوا به عبداً لله بشراً رسولاً {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩]، والله أعلم.

س ١٩٢- يقول القرآن: {فَإِنْ حِفْتُهُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: ٣] ويقول في السورة نفسها: {وَلَنْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ نَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} [١٢٩] أليس هذا تناقضاً؟

ج ١٩٢- إن هذا ليس تناقضاً، ولكنه لرفع الحرج عن المسلمين، لأنهم أمروا بالعدل

بين النساء، فرمما ظنوا أن العدل في كل شيء حتى الحب، ولكن هذه الآية توضح أن الزوج لا يمكنه العدل فيما لا يملك، فلا يحمله هذا أن يميل كل الميل لواحدة ويترك الأخرى كالمعلقة، فلا هي حرة فتزوج، ولا هي ذات زوج يلي احتياجاتها، ولكن عليه العدل في المبيت والنفقة، من مسكن وطعام وشراب وكسوة، وغير ذلك من معاملة حسنة وملاطفة... إلخ، قال رسول الله ﷺ: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداها جاء يوم القيامة وشقه مائل" [سنن أبي داود، صحيح الجامع: ٦٥١٥] أما ما لا يملكه من الميل القلبي فلا يواخذه الله عليه.

وقد جاء في الكتاب المقدس تناقض في حكم الزواج من الأرملة بين الحل والحُرمة، فقال: يأخذ امرأة عذراء. أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ. بل يتخذ عذراء من قومه (لاويين ٢١: ١٢-١٣) ثم يقول: ولا يأخذون أرملة ولا مطلقة زوجة بل يتخذون عذاري من نسل بيت إسرائيل أو أرملة التي كانت أرملة كاهن (حزقيال ٤٤: ٢٢) فالنص الأول يحرم الزواج من الأراامل مطلقاً، والثاني يحل أرملة الكاهن، والله أعلم.

س ١٩٣- يتضارب القرآن في علم المواريث، فمرة يقول إن للذي يرث الكلالة السدس، ومرة يقول الثلث، ومرة يقول النصف، ومرة الثلثان، ومرة للذكر مثل حظ الأنثيين.

ج ١٩٣- قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: لا بد أن نفرق بين كلاله وكلاله، حين يجعل الله للمنفردة النصف، والاثنتين الثلثين، وبين الكلاله التي يجعل الله فيها للمنفرد السدس، ويجعل للأكثر من فرد الاشتراك في الثلث، دون التمييز للذكر على الأنثى، فهما.. أى الآية: {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَوَلَّهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ} [النساء: ١٢] والآية: {رَسَقْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْعِلُكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ آمَرْتُمْ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَوَلَّهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً وَرِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ} [النساء: ١٧٦] متحدثان في أنه لا أصل ولا فرع للمتوفى، والمسألة هنا تتعلق بالأخوة، ونقول: إن الأخوة لها مصادر متعددة، هذه الأخوة

إمّا من أبٍ وأمّ، وإما أخوةٌ لأبٍ فقط، وإما أخوةٌ لأمّ فقط، فإذا كان أخٌ شقيقاً، أو لأبٍ، فهو من العصبية الأصلية، وهما المعنيان في الآية ١٧٦ من السورة نفسها، وبذلك تكون آية السدس والثالث التي في الآية رقم ١٢ متعلقة بالأخوة لأمّ، إذن فالكلالة إما أن يكون الوارث أخاً لأمّ فقط، وإما أن يكون أخاً لأبٍ فقط، أو أخاً لأبٍ وأمّ، فالحكمان لذلك مختلفان، لأن موضع كل منهما مختلف عن الآخر، والله أعلم.

س ١٩٤ - يقول القرآن: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} {الأنعام: ٦١} ويقول: {قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ} [السجدة: ١١] ويقول: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَائِهَا} [الزمر: ٤٢] فمن الذي يميت؟ الله أم الملائكة أم ملك الموت؟

ج ١٩٤ - كما قلنا في الرد على الشبهة رقم (٦) إن الله سبحانه وتعالى يتكلم عن نفسه مرة بصيغة المفرد، ومرة بصيغة الجمع للتعظيم، أو لوجود وسائط يكلفهم من خلقه سبحانه وتعالى.. فكذلك هنا، ففي سورة (الأنعام) {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} وهم الملائكة المساعدون لملك الموت في قبض الروح، فإن هؤلاء الملائكة يسحبون الروح من جميع الجسد من أسفله إلى أعلاه، حتى إذا بلغت الحلقوم جذبها ملك الموت، وفي سورة (السجدة) {قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ} لأنه هو الذي يقوم بجذبها النهائي، وفي سورة (الزمر) {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} فهو سبحانه الذي يتم بأمره كل شيء، وهو الذي يأمر الملائكة وملك الموت عليهم السلام، والله أعلم.

س ١٩٥ - يقول القرآن: {وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَىٰ} ثم يقول: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت: ١٣] أليس هذا تناقضاً؟

ج ١٩٥ - هناك ضال ومُضِل، وفساد ومُفسِد، فأما الضال (وهو الكافر) فعليه وزره وحده، أما المضل فعليه وزره ووزر من تسبب في ضلالهم، مع أنه لن ينقص من أوزارهم شيئاً، وكذلك الفاسد.. كشارب الخمر - مثلاً - فعليه وزره وحده، أما إذا جعل غيره يشربها فإنه يتحمل وزره، من غير أن ينقص من وزره شيئاً، وهذا الأمر يتضح في قول الله عز وجل: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: ٢٥] ومن رحمة الله جل وعلا أنه لم يقل (وأوزار الذين يضلونهم) ولكن قال: {وَمِنْ أَوْزَارِ} أى بعض أوزارهم وليس كلها، فهو يتحمل ما تسبب فيه فقط،

ولا يتحمل بقية الأوزار التي لم يكن له دخل فيها، كمثل من علم غيره شرب البانجو، ولكن هذا الإنسان لم يشرب البانجو فقط، ولكنه قتل أو زنى أو سرق، ففي هذه الحالة لا يتحمل الأول إلا وزر شرب البانجو فقط، وليس له دخل ببقية الذنوب، قال رسول الله ﷺ: "من سنَّ سنةً حسنةً عملَ بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ سنةً سيئةً فعملَ بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" [صحيح الجامع: ٦٣٠٦]

ثم إن التناقض عندكم، فقد جاء في كتابكم المقدس أن الأبناء لا يُقتلون عن الآباء، ولا الآباء عن الأبناء، فقال:

لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل

(تشبيهة ٢٤: ١٦)

ثم ناقضتم أنفسكم وزعمتم أن خطيئة سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قد توارثها أولاده جيلاً بعد جيل، ولا منقذ لأحد منها إلا أن يؤمن بالمسيح إلهاً أو ابن إله، لأنه قد جاء (بزعمكم) ليكفر عن خطيئة آدم، وليخلص البشرية منها. ونحن نتساءل: ما ذنب المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في خطيئة آدم؟ وما ذنب الأجيال المتعاقبة في هذه الخطيئة؟ وما حكم من لم يؤمن بالمسيح ممن ماتوا قبله، ومنهم أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم؟ أتلحقهم الخطيئة لأنهم جاءوا قبل أن يُكفروا عنها؟ ولماذا لم يبعثه الله قبل جميع الأنبياء حتى يطهرهم من هذه الخطيئة؟ وهل كان الله سبحانه وتعالى يحتاج لهذه التمثيلية حتى يغفر لآدم؟ وهل كان أحد يستطيع منعه من المغفرة؟ وهل المعاصي الشنيعة التي نسبتوها لأنبيائكم - زوراً وبهتاناً - من قتل وزنى وشرب خمر.. إلى غير ذلك لا تساوى خطيئة أكل آدم من الشجرة؟ وهل يحتاجون لزلول الإله مرة أخرى ليكفروا عنهم؟ وهل وهل... إلخ؟ {سُبْحٰنَ ٱللَّهِ وَتَعٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص: ٦٨]

ثم إن المسيح نفسه لم يقل إنه جاء لتقديم نفسه فداءً لهذه الخطيئة، ولم يذكر آدم ولا خطيئته قط، بل إنه كان يهرب من اليهود الذين أرادوا قتله (كما ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم ١٢٣) وكان يتضرع إلى الله أن ينجيه منهم، ويأمر تلاميذه أيضاً أن

يتضرعوا لله لينقذه، فهل يُعقل أن تكون هذه مُهمته التي جاء من أجلها ولا يذكرها؟ بل ويهرب منها؟ وما هي النصوص التي تدل على ذلك:

وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون. وتبعه أيضاً تلاميذه. ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة. وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً يا ابتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذا كان في جهاد كان يصلى بأشد الحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن. فقال لهم لماذا أنتم نيام. قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة (لوقا ٢٢: ٣٩-٤٦)

وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني فقال لتلاميذه اجلسوا هاهنا حتى أصلي. ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدا يدهش ويكتئب. فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا. ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبّر عنه الساعة إن أمكن. وقال يا أبا الآب كل شيء مُستطاع لك. فأجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت. ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه. ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه. ثم جاء الثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا. يكفي. قد أتت الساعة. هوذا ابن الإنسان يُسَلَّم إلى أيدي الخُطاة. (مرقس ١٤: ٣٢-٤١) (ابن الإنسان: يعني نفسه)

وحين صُلبَ (بزعهم) سأل الله لماذا تركه ولم ينجيه؟ وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوى الوى لما شبقنى. الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركنى. (مرقس ١٥: ٣٤) ألا يعنى هذا تناقضاً مع قولكم إنه جاء ليفتدى البشر من خطيئة أبيهم؟ ولو كان إلهاً فهل يحتاج للملك أن يقويه؟ (وظهر له ملاك من السماء يقويه) ثم ما كل هذا العذاب؟ إن الإنسان لا يستطيع أن يرى ابنه يتعذب بهذه الطريقة وهو قادر على أن ينقذه، ولو تركه - فرضاً - لآتمه الناس بالقسوة، والجفوة، وقلة الرحمة، وقلة الحيلة،

أَيُنَكَّرُ هَذَا عَلَى الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ، وَيُنَسَّبُ لِمَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؟
 عَجَباً لِلْمَسِيحِ بَيْنَ النَّصَارَى وَإِلَى اللَّهِ وَلِذَا نَسَبُوهُ
 وَأَسْلَمُوهُ إِلَى الْيَهُودِ وَقَالُوا حِينَ قَتَلُوهُ صَلَبُوهُ
 فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا فَسَلُّوهُمْ أَيْنَ كَانَ أَبِيهِ
 فَإِنْ كَانَ رَاضِيًّا بِأَذَاهُمْ فَاشْكُرُوهُمْ لِأَجْلِ مَا صَنَعُوهُ
 وَإِنْ كَانَ سَاخِطًا غَيْرَ رَاضٍ فَاعْبُدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ غَلَبُوهُ

فاعتبروا يا أولى الألباب، واعبدوا رب الأرباب، ولا تشركوا به من أصله من تراب
 {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل
 عمران: ٥٩]، والله أعلم.

س١٩٦- يقول القرآن في سورة (الأعراف) عن ثمود ومدين.. قومى صالح
 وشعيب: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} بينما يقول في آيات أخرى: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ} فهل هي
 رجفة أم صيحة؟ أم أن محمداً نسى وهو يؤلف القرآن؟

ج١٩٦- لنعرف أولاً ما هي الصيحة؟ وما هي الرجفة؟ الصيحة هي الصوت الشديد
 العالى، وهي كما نقول بلهجتنا العامية (الشخطة) صاح فيه أى (شخط فيه) والصيحة
 الشديدة تأتي بالرجفة (الرعشة) من شدة الرعب حتى إنهم يقولون (فلان بيرجف) أى
 أن به رعشة، فالرجفة هي ما ترتب على الصيحة. وقد ثبت علمياً أن الصوت الشديد
 (كصوت الانفجارات) يحدث في الجسد تغيرات مهلكة تصل إلى الموت، بسبب انفجار
 الرئتين وغير ذلك، فمرة يتكلم الله سبحانه وتعالى عن المقدمة، ومرة يتكلم عن النتيجة،
 فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن أحداً أطلق على أحد رصاصة جعلته يترف حتى
 الموت، ففي هذه الحالة.. إن قلت إنه مات بالرصاص فأنت صادق، لأنها السبب في
 التريف، وإن قلت إنه مات بالتريف فأنت صادق أيضاً، لأنه كان النتيجة. ومثال آخر: لو
 أن أحداً ضعيف القلب (كما يقولون) سمع صوتاً رهيباً كصوت انفجار قبلة، فإنه ربما
 يموت بالسكنة القلبية، رغم عدم إصابة أى شيء من أعضائه (مع ملاحظة أنه لا بد أن
 يرتجف ولو لمدة ثانية قبل موته) فلو قلنا إنه مات بصوت القبلة.. لكان هذا صحيحاً، ولو
 قلنا إنه مات بالسكنة القلبية لكان هذا صحيحاً أيضاً، وبالطبع فإننا حين نمثل الصيحة التي

أهلكتهم بالشخطة أو القبلة.. فهذا قياس مع الفارق العظيم، ولكنه لتقريب المعنى، والله أعلم.

س١٩٧- يصف القرآن الجنة مرة بأنها {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة: ٧٢] ومرة {تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة: ١٠٠] فهل الأنهار تجرى {تَحْتَهَا} أم {مِنْ تَحْتِهَا}؟

ج١٩٧- إن {تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} تصف جريان الأنهار تحت الجنة، في حين أن منابعها بعيدة عنها، أما {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} فتصف تفجر منابع الأنهار من تحت الجنة، فالحالة الأولى كمن يبني قصرأ فوق مجرى النيل، أى أن قصره يطل على النيل من جميع النواحي، والحالة الثانية كمن يبني قصرأ فوق منبع النيل، فالحالة الأولى أعظم من الثانية، والحالتان موجودتان في الجنة، مع الفارق العظيم، والله أعلم.

س١٩٨- يُعَبِّرُ الْقُرْآنُ عَنْ غَضَبِ اللَّهِ مَرَّةً بِكَلِمَةِ {خَتَمَ} فيقول: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [البقرة: ٧] ومرة بكلمة {طَبَعَ} فيقول: {طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [التوبة: ٩٣] ولم يوضح لنا أحد من المسلمين ما الفرق بينهما؟

ج١٩٨- الختم مثل الختم الذى نستعمله فى حاضرننا، كما يختم على بعض الأبواب بالشمع الأحمر، فيقال: إنه مختوم عليه، وفى هذه الحالة فإنه لا يُسْمَح لأحد أن يدخل أو يخرج من هذا المكان، أو كما يُختم على قارورة زجاجية مثلاً، فلو ألقيتها فى البحر لا يدخل شىء إليها، ولا يخرج شىء منها، فالآية الكريمة: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} تعنى أن قلوبهم قد أغلقت، فلا يخرج منها الكفر، ولا يدخلها الإيمان. أما {طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} فالطبع هو تطبيع قلوبهم على المعصية فيعشقونها، فكان قلوبهم قد أشربت الكفر والنفاق والمعصية، كما قال الله عز وجل عن الذين عبدوا العجل من دونه: {وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ} [البقرة: ٩٣]

وقد عبّر الكتاب المقدس عن لفظ (إلهى) مرة بلفظ (إيلى) ومرة بلفظ (الوى) فقال: صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لِمَا شَبَقْتَنِي أَى إلهى إلهى لِمَاذَا تَرَكْتَنِي. (متى ٢٧: ٤٦) ثم قال: وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوى الوى لِمَا شَبَقْتَنِي. الذى تفسيره إلهى إلهى لِمَاذَا تَرَكْتَنِي. (مرقس ١٥: ٣٤)، والله أعلم.

س١٩٩- ينفى القرآن الحُفَّةَ عن الناس يوم القيامة، فيقول: {يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفِيعَةً [البقرة: ٢٥٤]

ويقول: {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ} [إبراهيم: ٣١] ثم يناقض نفسه فيقول: {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧]

ج ١٩٩- ليس هناك أى تناقض كما تزعمون، إن الخُلَّةَ التى نفاها الله سبحانه وتعالى فى الآيتين الأولىين هى الخُلَّةُ التى تذرأ عن صاحبها العذاب الذى يستحقه يوم القيامة، أى أن الأخلاء الذين يستنصرون ببعضهم فى الدنيا، لا يستطيعون أن يستنصروا ببعضهم فى الآخرة، ولا يستطيعون دفع الضر عن أصدقائهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا بمشية الله جل وعلا. أما الآية الثالثة فهى بمعنى أن الأخلاء الذين كانوا فى الدنيا ستنقلب خُلَّتْهم إلى عداوة يوم القيامة، ما لم تكن هذه الخُلَّةُ منضبطة بتقوى الله عز وجل، فالأخلاء المتحايين فى الدنيا، الذين يجتمعون على معصية الله ورسوله ﷺ ويتعاونون على الإثم والعدوان، مثل الذين يقضون السهرات الحمراء، والذين يذهبون لرؤية الأفلام والمسرحيات، ويسهرون على شرب المحرّمات، ستنقلب خُلَّتْهم يوم القيامة إلى عداوة، ويلقون على أنفسهم اللوم بإضلال بعضهم البعض، أما المتقون الذين كانت صداقتهم وخُلَّتْهم على طاعة الله ورسوله ﷺ وكانوا يتعاونون على البر والتقوى، ويتواصلون بالحق والصبر، فستكون خُلَّتْهم نافعة لهم بأمر الله يوم القيامة، وسيزيدهم الله حبًّا وقرباً، قال رسول الله ﷺ: " قال الله تعالى: حَقَّتْ محبتي للمتحابين فى، وحَقَّتْ محبتي للمتواصلين فى، وحقت محبتي للمتناصحين فى، وحقت محبتي للمتزاورين فى، وحقت محبتي للمتبادلين فى، المتحابون فى على منابر من نور، يغطهم بمكافهم النبىون والصدّيقون والشهداء" [صحيح الجامع: ٤٣٢١]، والله أعلم.

س ٢٠٠- يقول القرآن: {وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِمًّا وَنُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء: ٩٧] فى هذه الآية نفى الرؤية والكلام والسمع عن الكفار، ثم أثبت لهم هذه الأشياء فى الآيات التالية: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ} [الكهف: ٥٣] {قَالُوا يَنْوَلُّنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدُونًا} [يس: ٥٢] {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ} [سبا: ٣١] فما كل هذا التخبط؟

ج ٢٠٠- الخروج من القبور، غير الحشر، غير الوقوف على النار، فحين يخرجون من القبور يبصرون ويتكلمون ويسمعون، بدليل قوله تعالى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ} [الصفات: ١٩] وقوله: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا} [الزلزلة: ١-٣] وقوله: {وَيَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} [غافر: ٣٢] وهذا قبل أن يُسَاقُوا إلى أرض المحشر، ثم يحشرون في أهوال القيامة عمياً وبكماً وصماً، وهذا أبلغ في عذابهم، كما لو تخيلنا أن حريقاً أو أمراً خطيراً (كالزلازل مثلاً) وقع في مكان ما، وتَسَارَعَ الناس للهروب منه، وبينهم إنسان أعمى أصم، فإن هذا الأمر سيكون أشد عليه منهم، لأنه يتخبط فلا يدرى ماذا يفعل، أو إلى أين يَتَّجِه، وربما جرى في اتجاه النار، أو في اتجاه مصدر الخطر، أو إلى هاوية أو.. إلخ. كما أنه لو تكلم لكان أهون عليه - مع كونه أعمى أصم - كما نجد من يُسَاق إلى العذاب يستغيث بمن ساقه، كأن يقول له: أين تذهب بي، ارحمني، أرجوك لا تعذبني.. إلخ. أما حين يعرضون على جهنم فإنهم يبصرون ويتكلمون ويسمعون، وهذا انتقال من هول إلى هول أشد منه، لأن رؤيتهم للنار عذاب يسبق عذاب دخولهم فيها، كالذين يعذبون الناس في السجون وغيرها، فإنهم يأتون بالسياط ويضربونها في الحائط قبل ضربهم بما ليكون أشد تعذيباً لهم، فقبل أن يُعَذَّبُوا تعذيباً جسدياً فإنهم يُعَذَّبُونَ تعذيباً نفسياً، وبذلك يُجَمَعُ عليهم العذابان. وكذلك فإن سماعهم عند وقوع العذاب زيادة في تعذيبهم، لأنهم يصطرخون ويستغيثون، ولكن لا يجيب لدعائهم {قَالُوا رَبَّنَا عَلَيْنَا مَشِيقُونا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ} [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] {وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [فاطر: ٣٧] {وَتَادَا وَيَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مِّنْكَوُونَ} [الزخرف: ٧٧] كما أنهم يسمعون تلاعهم وسمهم لبعضهم فيزيد في عذابهم النفسى قبل عذابهم البدنى، كما قال تعالى عنهم: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا} [المنكوت: ٢٥] وقال: {هَٰذَا فَوْجٌ مُّفْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُم صَالُوا النَّارِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ} [ص: ٥٩-٦٠] وغير ذلك من الآيات التي تحكى تلاعهم

وسبهم لبعضهم، والله أعلم.

س ٢٠١- يتناقض القرآن مع نفسه فيقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦] ثم يقول: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨] فهل الله يحب الفرح أم لا يحبه؟

ج ٢٠١- إن الآية الأولى جاءت في معرض الكلام عن قارون الكافر، الذي زاده ماله طغياناً وكبراً {إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ} [القصص: ٧٦] ولذلك قال له قومه: {لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} وَأَتَّبِعَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْرَ نَسِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٦-٧٧] فرد عليهم بقوله: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي} فكان جزاؤه أن خسف الله به الأرض {لَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ أَلْمُنْتَصِرِينَ} [القصص: ٨١] أما الآية الثانية فقد جاءت بعد قوله تعالى: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الْأصْدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} فهو ليس فرحاً بمتاع الدنيا الفاني، ولكنه فرح بآيات الله وطاعته ورضاه، وهو شعور بحلاوة الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ" [صحيح البخاري] وقد قالت الملائكة لأهل النار: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر: ٧٥] أى أن الكفار كانوا يفرحون في الدنيا بغير الحق، إذن فهناك فرح بحق، وهو ما جاء في قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، والله أعلم.

س ٢٠٢- يقول القرآن عن عصا موسى: {فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} [طه: ٢٠] ثم يقول: {فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} [الشعراء: ٣٢] وهذا دليل على أن نبيكم هو الذي ألقى القرآن، فمرة يقول {حَيَّةٌ} ثم ينسى ويقول {ثُعْبَانٌ}!

ج ٢٠٢- معلوم أن الحية أخطر وأشد فتكاً من الثعبان، فكان لابد لسيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أن يتدرب قبل لقاء فرعون حتى لا يُفاجأ بالثعبان، فلا

يشت، ويجرى خوفاً منه أمام فرعون، فالله سبحانه وتعالى درّبه على ما هو أشد من الثعبان، حتى يلقي فرعون ثابتاً غير مضطرب ولا خائف، فمثلاً: هل يخاف مدرب الأسود من القطط؟ أم هل يخاف جندي الصاعقة من الكلاب؟ وهل نأتى برجال ليس عندهم خبرة بالأسلحة ولا بالحرب، ثم ندفع بهم إلى الصفوف الأمامية للقاء العدو؟ إنهم لا بد أن يتدربوا على حمل السلاح، وعلى فنون القتال، ويُعَرِّضُوا لظروف غاية في القسوة، حتى إذا لقوا العدو يشتون ولا يفرون. وقد ورد أن الثعبان ذهب تجاه فرعون فاغراً فاه، ففزع منه فرعون فزعاً شديداً، وقفز على سرير مُلكه، وبال على نفسه. كما أن كلمة {حَيَّةٌ} بمعنى ضد (ميتة) إذ جعل الله الحياة تدبّ في العصا بعد الجماد والموت واليأس. كما وإن الناس يطلقون على هذه الدابة أسماء مثل: ثعبان، حَنَس، أفعى، الرقطاء... إلخ، وبهذه المعان والمترادفات يزول الشك إن شاء الله.

وبمناسبة الحية نذكر بعض ما جاء بشأنها في الكتاب المقدس:

فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ. فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت. فقالت المرأة الحية غرّتني فأكلتُ. فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترباً تأكلين كل أيام حياتك. (تكوين ٣: ١٢-١٤) يتضح من هذا النص أن الله سبحانه وتعالى عاقب الحية (بزعمهم) لأنها أغوت السيدة حواء، بأن جعل التراب طعامها، فهل الحية تأكل التراب؟ وحتى لا تظنوا أن هذا خاص بالحية التي قالوا إنها أغوت السيدة حواء.. يأتي النص التالي فيقول:

أما الحية فالتراب طعامها. (إشعيا ٦٥: ٢٥)، والله أعلم.

س ٢٠٣- يقول القرآن: {تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَمْرٍ سُوِّ} [طه: ٢٢] ثم يقول: {وَتَرَعُ يَدَهُ} فإذا هي بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ} [الشعراء: ٣٣] إن محمداً يتلاعب بالألفاظ، فمرة يقول: {تَخْرُجُ} ومرة يقول: {تَرَعُ} ويقول: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ} [النمل: ١٢] ثم يقول: {أَسْأَلُكَ فِي جَيْبِكَ} [القصص: ٣٢] فمرة يقول: {أَدْخِلْ} ومرة يقول: {أَسْأَلُكَ}

ج ٢٠٣- الجيب في اللغة هو الفتحة في الثوب، مثل ما ورد في قوله تعالى: {وَلْيَضْحَكُنَّ} {يُحْمَرُهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١] فكان سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام -

يضع يده من فتحة ثوبه ويدخلها تحت إبطه ثم يخرجها، فتخرج ناصعة البياض من غير سوء، أى من غير مرض كالبرص أو غيره، وعندما ذهب إلى فرعون ومَلَّه أدخلها ثم أخرجها، فقالوا ربما يكون قد وضع دهاناً تحت إبطه يدهنها به، أو أنه يستخدم الجن ويتمتم له بكلمات حتى يبيضاها له، فنريد أن تدخلها ثم تخرجها بسرعة، فترعاها لأن الترع أسرع من الخروج. فكلمة {أَدْخِلْ} تناسب كلمة {تَرَعْ يَدَهُ} لأن الاثنتين تعبران عن حركة سريعة، وتناسب أيضاً دخول اليد بسرعة عندما يكون مرتدياً ملابس قليلة في الحر، وأما كلمة {أَسْأَلُكَ} فتناسب كلمة {تَخْرُجْ} لأن الاثنتين تدلان على الحركة في بطن، ويناسب أيضاً دخول اليد ببطء عندما يكون مرتدياً ملابس كثيرة في البرد، والله أعلم.

س ٢٠٤ - يقول القرآن: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِي فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِي فِي آلَيْمٍ فَلْيُلْقِهِ آلَيْمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهٗ} [طه: ٣٨-٣٩] ويقول: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧] إن هذا تكرار لا فائدة فيه.

ج ٢٠٤ - إن المتدبر لهاتين الآيتين يدرك أنه ليس فيهما تكرار، فالآية التي في سورة (القصص) تمهيدية، والتي في سورة (طه) ختامية، كيف ذلك؟ الآية التي في سورة (القصص) تذكر بداية الأمر لأم سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أن تضعه في التابوت، ثم تلقى التابوت في البحر، لأن فرعون كان قد أمر بذبح الذكور من مواليد بني إسرائيل، بسبب الرؤيا التي رآها، وأولها له أحد جلسائه بأن نهاية ملكه ستكون على يد واحد من بني إسرائيل، ثم بعد فترة أشارت عليه بطاقته أن يذبح مواليد عام ويترك ذلك عاماً، لأنه سيأتى عليهم وقت لا يجدون من يخدمهم، وكان أن وُلِدَ سيدنا هارون - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في عام العفو عن الذبح، أما سيدنا موسى فقد ولد في عام الذبح، والله عز وجل لا يحتاج أن يحتال على فرعون، ويجعل ولادة سيدنا موسى في عام الأمان، فإنه العزيز الذي لا يُغلب.. القهار الذي لا يُقهر، فقد قَدَّر سبحانه - ليس فقط - أن يولد سيدنا موسى في عام الذبح، بل وأن يُرَبِّي في بيت فرعون نفسه {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١] وعندما وُلِدَ أحبته أمه حباً حَمَّاً، وخافت عليه خوفاً شديداً، فوفقها الله عز وجل لفكرة

أن ترضعه، ثم تضعه في صندوق صغير وتربطه بحبل، وتثبت طرفه بوتر، ثم تلقيه في البحر إذا شعرت بقرب مجيء جنود فرعون، فإذا انصرفوا وشعرت بالأمان شدت الحبل المربوط في الصندوق، وأعادت ولدها إليها، ولكنها في يوم من الأيام نسيت (بقدر الله) أن تثبت الحبل في الوتر، ربما لشدة خوفها من مباغطة الجنود لها، فحرقته المياه إلى أن وصل بالقرب من بيت فرعون... إلى نهاية القصة المعروفة، فهذا المعنى هو الذي ذُكر في سورة (طه) ولذلك قلنا إنها ختامية. وقد قال العلماء: إن الآية التي في سورة (القصص) بما أمران: ونهيان، وبشارتان، فأما الأمران فهما {أَرْضِعِيهِ} و{فَأَلْقِيهِ} وأما النهيان فهما {لَا تَخَافِي} و{لَا تَحْزَنِي} وأما البشارتان فهما {إِنَّا رَأَوْهُ إِلَيْكِ} و{جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}. والله أعلم.

س ٢٠٥- يقول القرآن: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥] وأنتم تقولون إن الذكر هو القرآن، بدليل قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] معنى هذا أن محمداً نسي أن الذكر نزل بعد الزبور.

ج ٢٠٥- من قال إن {الذِّكْر} خاص بالقرآن؟ إن كل ما أنزل من عند الله ذكر، فعلى سبيل المثال {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ} [الأنبياء: ٤٨] {فَسْتَأْذِنُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧] فمعنى {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} أى من بعد التوراة، وليس من بعد القرآن. وهنا ربما يتساءل أحد ويقول: طالما أنكم تقولون إن كلمة {الذِّكْر} ليست خاصة بالقرآن، بل هي لكل ما أنزله الله، فمعنى هذا أن قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ليست خاصة بالقرآن، ولكنها تعني جميع الكتب المنزلة من عند الله، وبناءً على ذلك تكون التوراة والإنجيل غير محرفتين كما تزعمون. فنقول وبالله التوفيق: إن الآية الكريمة التي ذكرتموها هي للقرآن خاصة دون غيره من الكتب، وهذا له أكثر من دليل، أولاً: إن الآية ذُكرت في سياق الكلام عن القرآن، فقد وردت بعد ذكر الآيات التي تحكى قول الكفار لسيدنا محمد ﷺ: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} ١ لو ما تأتينا بالملئكة إن كنت من الصديقين} [الحجر: ٦-٧] ثانياً: إن الله عز وجل ذكر أن الكتب السابقة تم تحريفها، لأنه لم يتكفل بحفظها،

ولكن وكلها لأهلها {بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ} [المائدة: ٤٤]

وقد جاء في الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قال:

إن كنتُ أشهدُ لنفسي فشهادتي ليست حقاً. (يوحنا: ٣١) ثم ناقض نفسه فقال:

أجاب يسوع وقال لهم وإن كنتُ أشهدُ لنفسي فشهادتي حق لأنى أعلم من أين آتيتُ وإلى أين أذهب. وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب. (يوحنا: ٨: ١٤) فكيف يقول إن شهادته لنفسه حق، ثم يقول إنها ليست حقاً؟ والله أعلم.

س ٢٠٦ - يقول القرآن: {وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}

[الحج: ٤٧] ويقول: {يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجُئُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة: ٥] بينما يقول: {تَرْجُئُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: ٤] فما هذه الاختلافات الزمنية؟

ج ٢٠٦ - الآية التي في سورة (الحج) تتوافق مع الآية التي في سورة (السجدة) في

كلمتى {مِمَّا تَعُدُّونَ} أما الآية التي في سورة (المعارج) فلم يذكر فيها كلمة {مِمَّا تَعُدُّونَ} فربما كان التقدير بشيء آخر يعلمه الله، وخصوصاً أنها تتكلم عن يوم القيامة، بخلاف الآيتين الأخريين، وذلك مفهوم من سياق الآيات قبلها وبعدها، فمن المعلوم أن الزمن يقاس إما بدوران القمر حول الأرض، وهذا هو التقويم الهجرى، وإما بدوران الأرض حول الشمس، وهو التقويم الميلادى، ونحن نعلم أن هناك فرقاً بينهما بمقدار سنة كل ثلاثة وثلاثين سنة، بمعنى أن كل ثلاثة وثلاثين سنة شمسية يقابلها أربعة وثلاثون سنة قمرية، وهذا الاختلاف بينهما بسبب الاختلاف في حسابهما، والكواكب الأخرى تختلف في سرعاتها وفي زمن دوراتها حول نفسها وحول الشمس، وهذا يترتب عليه اختلاف في مقدار أيامها، فمثلاً: اليوم على كوكب المشترى بمقدار ٣٠ يوماً من أيامنا، بينما على الأرض ٢٤ ساعة، وعلى القمر ١٨ ساعة، لأنه كلما قلَّ حجم الكوكب زادت سرعته، فليس شرطاً أن يكون قياس اليوم الذى ذكر في سورة (المعارج) هو قياس اليومين الآخرين نفسه، وخاصة أنه - كما قلنا - لم يذكر فيها {مِمَّا تَعُدُّونَ}

وهناك شيء آخر: وهو أن آية سورة (السجدة) تتحدث عن تدبير أمر الله من السماء

إلى الأرض، ثم عروجه إليه، أما آية سورة (المعارج) فتتحدث عن عروج الملائكة والروح،

فهناك إذن فرق بين الآيتين، والله أعلم.

س٢٠٧- يقول القرآن: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١] ويقول: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصفات: ٢٧] إن هذا هو التناقض بعينه.

ج٢٠٧- قال ابن عباس - رضى الله عنهما - إن الآية الأولى خاصة بنفخة الفزع، وهى النفخة الأولى، فهناك ثلاث نفخات: الأولى هى نفخة الفزع التى تأتى على الأحياء فى حينها، فهى هذه النفخة يفزع الناس فزعاً شديداً فلا يتساءلون، ثم تليها النفخة الثانية وهى نفخة الصعق التى يموت فيها كل الأحياء، ثم تليها نفخة القيام من القبور للبعث والتشور، وبعد هذه النفخة يتساءلون، ولكن عن ماذا يتساءلون؟ يتساءلون عن من يشفع لهم عند ربه، مثل ما جاء فى قوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [الأعراف: ٥٣] ويتساءلون لإلقاء اللوم على بعضهم، كالأية المذكورة فى سورة (الصفات) وغيرها. قد يقول قائل: كيف تقولون إن الآية التى فى سورة (المؤمنون) خاصة بنفخة الفزع، فى حين أن الآية التى تليها تقول: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٧] وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} وهل سيمع هذا إلا بعد القيام من القبور؟ فنقول وبالله التوفيق: هذا ترتيب لوقوع الأحداث، ولا يشترط أن يكون توالى الأحداث فى الزمن نفسه، والشاهد على ذلك قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بُرْسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأعراف: ٣٧] فهذا واضح أنه عند خروج أرواحهم.. أى عند موتهم، ثم تأتى الآية التى تليها فتقول: {قَالَ أَدْخِلُوا فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} فهل هذا فى الدنيا عند قبض أرواحهم؟ أم أنه يوم القيامة؟ إنه يوم القيامة، ولكنه ترتيب لوقوع الأحداث، والله أعلم.

س٢٠٨- يقول القرآن لموسى: {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا هَيَّجَتْ كَانَهَا جَانًّا وَلَىٰ مَدْبِرًا وَلَدَّ يُعَقِّبُ} [النمل: ١٠] أى أنه جرى خوفاً منها، ثم يقول له فى الآية نفسها: {يَنْمُوسَىٰ لَأَن تَخَفَ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ} كيف ينفى الخوف عن المرسلين، فى حين أنه قال عن

موسى إنه خاف؟

ج ٢٠٨- الآية التي بعدها توضحها، وهي: {إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} أى أن الذى ظلم هو الذى يخاف، إلا الذى بدّل حسناً بعد سوء. وهنا يُطرح سؤال: وهل موسى ظلم؟ فنقول: نعم إنه ظلم عندما قتل المصرى، رغم أنه لم يقتله عمداً، بل ضربه فقط، ولكن قدر الله أن تكون هذه الضربة سبباً لموته، وهو ما نسميه القتل الخطأ {فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [القصص: ١٥] ثم تاب إلى ربه واستغفر {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، والله أعلم.

س ٢٠٩- كيف يقول القرآن: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص: ٥٦] ثم يقول: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢] فكيف ينفي عن نبيكم الهداية ثم يثبتها له؟

ج ٢٠٩- لقد ذكرنا في الرد على الشبهة رقم (٢٨٥) أن الهداية نوعان: هداية دلالة، وهداية معونة، فإن الله عز وجل أثبت للرسول ﷺ هداية الدلالة، لأنه دعا الناس إلى الإيمان بالله، وبين لهم الرشد من العي، أما هداية القلوب التي نسميها (هداية المعونة) فلا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء في الكتاب المقدس تناقض بين كون التوراة كتبها الله جل وعلا على الألواح، وأن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هو الذى كتبها:

ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأوّلين. فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأوّلين اللذين كسرتهما. (خروج ٣٤: ١)
في ذلك الوقت قال لي الرب انحت لك لوحين من حجر مثل الأوّلين واصعد إلى الجبل والجليل واصنع لك تابوتاً من خشب. فأكتب على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأوّلين اللذين كسرتهما وتضعهما في التابوت. فصنعت تابوتاً من خشب السنط ونحت لوحين من حجر مثل الأوّلين وصعدت إلى الجبل واللوحيان في يدي. فكتب على اللوحين مثل الكتابة الأولى الكلمات العشر التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع وأعطاني الرب إياها. (تثنية ١٠: ٤-١)

واللوحيان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين. (خروج ٣٢: ١٦)

إن معنى ما جاء في هذه النصوص أن الله سبحانه وتعالى هو الذى كتب التوراة على الألواح بنفسه، ثم تأتى الفقرة التالية فتقرر أن سيدنا موسى هو الذى كتبها: وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات. لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل. (خروج ٣٤: ٢٧) فكيف نفهم هذا التناقض؟، والله أعلم.

س ٢١٠- يقول القرآن: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ} [العنكبوت: ١٢] ثم يناقض نفسه فى الآية التى بعدها ويقول: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}

ج ٢١٠- إن الآية الأولى التى وردت فى السؤال تكذب الكافرين فى دعواهم بأنهم سيحملون أوزار المؤمنين إذا أطاعوهم وكفروا، فهى تكذيب لهم، وتحذير للمؤمنين من أنهم لو أطاعوهم وكفروا فسوف يعذبون، ولن يغنى الكفار عنهم شيئاً من عذاب الله، بل لهم عذابهم كامل، بمعنى أن الكفار لن يعذبوا بدلاً منهم. أما الآية الثانية فهى تثبت أن الكافرين سيحملون وزر إضلالهم لغيرهم، أى أنهم لن يتحملوه عنهم، بل سيتحملوا مثله من غير أن ينقص من أوزار الذين اتبعوهم شيئاً، قال رسول الله ﷺ: "أبما داع دعا إلى ضلالة فأتبع فإن عليه مثل أوزار من اتبعه، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً، وأبما داع دعا إلى هدى فأتبع فإن له مثل أجور من اتبعه، ولا ينقص من أجورهم شيئاً" [صحيح الجامع: ٢٧١٢]

وقد جاء فى كتابكم المقدس أن الجيل الثالث والرابع والعاشر يتحملون خطايا آبائهم، وفى مواضع أخرى لا يتحملونها، وإليكم هذه النصوص المتناقضة:

لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى. (خروج ٢٠: ٥) لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب. (تشية ٢٣: ٢)

وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب. أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحياة يحيا. النفس التى تخطئ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون.

(حزقيا ١٨: ١٩-٢٠)، والله أعلم.

س ٢١١- يقول القرآن: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ} [الصافات: ٢٤] ثم يقول: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٣٩] أليس هذا هو التناقض بعينه؟

ج ٢١١- هناك سؤال توييخي وسؤال استعلامي، فأما السؤال الاستعلامي فلا يعرف السائل إجابته، كسؤال التلميذ لمدرّسه، وهذا مُحال على الله سبحانه وتعالى، أما السؤال التوييخي فمثل سؤال الأب لابنه إذا رسب في الامتحان: ألم ألب كل رغباتك؟ ألم أشتري لك كل ما طلبته من كتب وكراسات وغيره؟ ألم أحضر لك المدرسين؟ ألم أهيئ لك الجوائز المناسبة للمذاكرة... إلخ، فهل الأب حين يسأل ابنه يريد إجابة أم أنه يوبخه؟ فالسؤال الذي في سورة (الصافات) سؤال توييخي كالذي في سور كثيرة، مثل: {يَمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الأنعام: ١٣٠] {أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطور: ١٥] وذلك حين يرى الكفار نار جهنم وقد كانوا بها كافرين، ولكن هل قال لهم: لم كفرتم أو لم أشركتم؟ لا- لأنهم لن يُسَمَّح لهم بالاعتذار. قد يقول قائل: إن القرآن أثبت للكافرين الاعتذار في أكثر من موضع، مثل: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: ١٢] {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} ﴿١١٧﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِندَنَا ظَالِمُونَ} [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فنقول له: متى حدث هذا الاعتذار؟ لقد حدث عند وقوع العذاب بهم، وهذا لا ينجيهم، كما قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ﴿٥٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَخْنَا لَأُصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: ١٠-١١] أما الاعتذار الذي حُرِّموا منه فهو الاعتذار الذي يُرَجَى قبوله، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - إذا سأل القاضى بجرماً عن شيء فعله.. فإنه يدافع عن نفسه ويُبدى أَعذاره في ارتكاب التهمة الموجهة إليه، وربما أحضر من يشهد له ويدافع عنه، ثم ينظر القاضى في هذه الأَعذار الدافعة لتلك الجريمة، وربما خفف عنه الحكم بسبب هذه الأَعذار، ولكن هذا في حق البشر لأنهم لا يعلمون ما خفى عنهم، أما الله عز وجل الذي يعلم ما في السموات والأرض، ويعلم السر وأخفى، فلا يحتاج إلى سؤال {وَمَا يَعْرُظُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [يونس: ٦١]

ولذلك فلن يسمح لهم بالاعتذار {وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٦]، والله أعلم.
 س ٢١٢- يقول محمد عن أهل النار: {رَبَّنَا أَمَنَّاتْنَا أَنْتَنِينَ وَأَحْيَيْتَنَا أَنْتَنِينَ} [غافر: ١١]
 ثم نسي وقال عن أهل الجنة: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} [الدخان: ٥٦] فهل هي مorte واحدة أم اثنتان؟ وكيف يذوق أهل الجنة وأهل النار الموت، مع أن نبيكم قال إنهم لا يموتون؟

ج ٢١٢- الذوق لا يكون إلا للحى، فلو وضعنا - مثلاً - ملعقة عسل في فم ميت.. هل يذوقها؟ فالموتة التي نعرفها يذوقها المؤمن والكافر مرة واحدة في الدنيا، أما كونها موتتين فقد رد القرآن على ذلك بقوله: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ نُحْيِيكُمْ ثُمَّ نُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٨] فهذا باعتبار أن العدم قبل مجيئنا كان موتاً، فإننا كنا مُقَدَّرِينَ في علم الله جل وعلا، ولكن لم يكن أذن لنا بعدُ بالحيء إلى الدنيا، ولكن هذا الموت ليس فيه ذوق، فلم يذكر الله عز وجل أننا ذقنا موتتين، ولكن خص الذوق بالموتة الثانية. أمّا قول الله جل وعلا عن أهل الجنة: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} فنقول وبالله التوفيق: إن المؤمن يُيَسَّرُ عند موته برضا الله سبحانه وعالي، ويرى مقعده من الجنة، فكانه قد مات فيها، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠] أمّا الجنة والنار فليس فيهما موت، قال رسول الله ﷺ: "يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة! فيشربون، ويقال: يا أهل النار! فيشربون، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيضجع ويذبح، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحاً" [صحيح الجامع: ٧٩٩٨]، والله أعلم.
 س ٢١٣- إن جميع الآيات التي تعرضت لخلق السموات والأرض ذكرت أنهم خلُقوا في ستة أيام، ثم نفاجا أن سورة (فصلت) خالفت القرآن كله فقالت إنهم ثمانية أيام.

ج ٢١٣- ليس هناك أى تناقض على الإطلاق، فالثمانية هم الستة.. كيف؟! لنذكر معاً تلك الآيات الكريمة: {قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ

أَنذَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ مِن فَوْقِهَا وَنَزَلَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [فصلت: ٩-١٢] إن اليومين الأولين من خلق الأرض داخلان في الأربعة التي تليها، أى أن الأرض خلقت في يومين، وجعلت فيها الرواسي، وبورك فيها في أربعة أيام شاملة لخلقها في يومين، فيكون المجموع أربعة، ولنذكر مثلاً ضربهُ الشيخ الشعراوي رحمه الله - {وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أنك سافرت إلى الإسكندرية ومررت بطنطا.. فقلت: لقد سافرت إلى طنطا في ساعتين وإلى الإسكندرية في أربع ساعات.. هل الساعتان اللتان وصلت فيهما إلى طنطا منفصلتان عن الأربع ساعات التي وصلت فيها إلى الإسكندرية، أم أنهما داخلتان فيها؟

ونود أن نسألكم: كم عدد الأيام التي قضاها المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في قبره حسب زعمكم؟ فما هو كتابكم المقدس يقول:

حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلّم نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. (متى ١٢: ٣٨-٤٠) إن هذا الكلام لا يلتبس فهمه على أحد، وهو أنه سيبقى في قبره ثلاثة أيام ولياليها، وقد تكرر هذا كثيراً في الأناجيل، مثل (مرقس ٨: ٣١) (مرقس ٩: ٣١) (مرقس ١٠: ٣٤) ثم تأتي نصوص أخرى تناقض هذا، فتقول:

ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أى ما قبل السبت. جاء يوسف الذي من الرامة مُشيراً شريفاً وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف. فاشترى كتاباً فأنزله وكفنه بالكنان ووضع في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر. (مرقس ١٥: ٤٢-٤٦) يتضح من هذا النص أنه دُفن ليلة السبت، وهو معنى (ولما كان

المساء.. أى ما قبل السبت) ثم اكتشف تلاميذه أن قبره كان خالياً فى الساعات الأولى من يوم الأحد:

وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت. لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما. فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلمّا انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعاً فيه. (متى: ٢٨: ١-٦)

مما سبق يتضح - وبحساب بسيط - أنه لم يمكث فى قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال كما قال، بل مكث - على أحسن الفروض - يوماً واحداً.. وهو يوم السبت، وليلتين.. وهما ليلة السبت وليلة الأحد، والله أعلم.

س ٢١٤- يصف القرآن الجبال تارة بأنها أوتاد، وتارة بأنها رواسى، وتارة أخرى بأن بها الأقوات، على تفسير بعض علمائكم للآية: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت: ١٠]

ج ٢١٤- إن المعانى كلها صحيحة، كيف ذلك؟ قال الشيخ الشعراوى - رحمه الله - ما معناه إن الورد هو شئ يُدَقّ فى الأرض ليثبت شيئاً كخيمة - مثلاً - بحيث يكون الجزء الأسفل المختفى فى الأرض أكبر من الظاهر، وهذا ما أثبتته العلم الحديث أن الجبال لها جذور فى الأرض، طولها أضعاف الجزء الظاهر منها، وهذا معنى الورد، وقد خلقها الله عز وجل بهذه الصورة لتثبت الأرض كما تُثبت الألواح الخشبية مع بعضها بالمسامير، فلولاها لحدثت انزلاقات رهيبه للقشرة الأرضية، ولما دّت الأرض بمن عليها. وهنا سؤال: لماذا تميد الأرض وتضطرب بغير الجبال؟ والجواب أن هذا يدل على دوران الأرض، فلو كانت ثابتة فى مكانها لَمَا اضطربت، ولكن الاضطراب والانزلاقات تنتج عن سيرها بسرعة رهيبه ليل نهار، وهذا ما يحدث فى دورانها حول نفسها وحول الشمس، فسبحان الله العلى العظيم. أما الرواسى فما معناها؟ الراسى يقال عادة على الشئ الراسى على سطح مائع كالماء، فيقال رست السفينة، ويقال على (مَرَسَى) أى المكان الذى ترسو فيه السفن.. كمرسى مطروح، فما علاقة هذا بما نقول؟ معلوم أن فى باطن الأرض أسفل

القشرة الأرضية معادن منصهرة في حالة من السيولة، والجبال - كما ذكرنا - جذورها ممتدة لمئات الكيلومترات، فكأنها ترسو على سائل، وهو المعادن المنصهرة في باطن الأرض. والضمير في قوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} عائد على الأرض (كما قال علماء السلف رحمهم الله) أو على الجبال (كما قال الشيخ الشعراوي رحمه الله) ولا تناقض في ذلك.. فالجبال من الأرض. ولكن كيف تكون الأوقات في الجبال؟ معلوم أن الجبال لها قاعدة وقمة، وقاعدتها أكبر من قمته، وعلى العكس من ذلك تجد الوديان قاعدتها أصغر من قمته. ماذا نستفيد من هذا؟ نقول وبالله التوفيق: إن الجبال معرضة لعوامل التعرية من رياح ومطر وغيرها، فتأكل من قمته، ويحدث لها تشققات، فأين يذهب ما تأكل منها؟ يذهب إلى الوادي فيوسعه، فما فائدة ذلك؟ فائدته أن الذي يتزل مع المطر من قمم الجبال ومن داخل التشققات يفتت أثناء نزوله لاحتكاكه بالجبل، فيترل رواسب على هيئة (غرين) أي طمي، وهو أعلى وأرقى أنواع السماد للتربة الأرضية، فلا يضاهيه أي سماد، وكلما حدث هذا التفتت من الجبال، ونزل إلى الوديان والسهول كلما اتسعت الرقعة الزراعية في الوادي لتتناسب مع تزايد البشر، فسبحان من {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠] ربما يقول قائل: لو أن الجبال تتأكل بعوامل التعرية لفنيت هذه الجبال، ونقول له إن الجبل كلما تأكل خف وزنه، وقد ذكرنا أن أسفل الجبال صهارة سائلة، فهي تدفع الجبل لأعلى فتعوض ما نقص منه، والله أعلم.

س ٢١٥- يقول القرآن عن ناقة صالح: {فَتَادَا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} [القمر: ٢٩] ثم يقول: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} [الشمس: ١٤] فمرة يقول إن القاتل واحد، ومرة يقول إنهم جماعة، فمن القاتل؟

ج ٢١٥- إن السكوت على الظلم مشاركة فيه، فمثلاً: عندما يقوم بعض الرجال بتقييد رجل ليذبحه أحدهم، أليسوا كلهم مشاركين في قتله؟ فإن قلت إن القاتل فلان، وأنت تقصد الذي ذبحه لكنت صادقاً، وإن قلت إنهم قتلوه، وأنت تقصد الذي ذبحه والذين أعانوه لكنت صادقاً أيضاً، فالذي عقر ناقة سيدنا صالح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - رجل واحد، وعندما ذهب ليعقرها كان معه ثمانية يشجعونه، فلما رأوه خائفاً منها (لأنها كانت ضخمة) قالوا له: اشرب خمراً حتى تتجرأ على قتلها، فشرها {فَتَعَاطَى

فَعَقَرُوا} وجميع القرية كانت تعلم أن هؤلاء التسعة نفر ذاهبون لقتلها، فلم يُبَلِّغُوا سيدنا صالحاً، بل رضوا بفعلهم، فكان تواطؤهم على ذبحها كأنهم شاركوا الذي ذبحها، وهو (قدار بن سالف) لعنة الله عليه.

ثم إنه من الغريب أن تتعجبوا من الاختلاف الظاهر - في ظنكم - في عدد مَنْ قتل الناقة، ولا تتعجبون من الاختلاف البين في أسماء تلاميذ معبودكم؟ فهذا إنجيل (متى) يقول:

ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف. أما أسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه. الأول سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه. يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه. فيلبس وبرثولماوس. توما ومتى العشار. يعقوب بن حلفى ولبّاس الملقّب تداوس. سمعان القانونى ويهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه (متى: ١٠: ٤-١)

ثم يأتي إنجيل (لوقا) فيقول: ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً. سمعان الذى سماه أيضاً بطرس واندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس. متى وتوما. يعقوب بن حلفى وسمعان الذى يدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطى الذى صار مُسَلِّماً أيضاً (لوقا: ١٣-١٦)

نلاحظ أنه ذكر في النص الأول (لبّاس الملقّب تداوس) ولم يذكره في النص الثانى، فى حين أنه ذكر (يهوذا أخا يعقوب) فى النص الثانى ولم يذكره فى الأول، فهل أسماء الرسل تُنسى؟ إن أسماء الصحابة ﷺ وأنسابهم معروفة، وهم حوالى مائة ألف أو يزيدون، فكيف بأسماء اثني عشر رسولاً؟ وكيف يَعُدُّ (يهوذا الإسخريوطى) منهم، وقد خانه وسلّمه لليهود بزعمكم؟، والله أعلم.

س ٢١٦- يذكر القرآن الجنة مرة بصيغة المفرد، مثل: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} [يس: ٥٥] ومرة بصيغة المثنى، مثل: {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} [الرحمن: ٤٦] ومرة بصيغة الجمع، مثل: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ} [القمر: ٥٤] فهل هى جنة أم جنتان أم أكثر؟

ج ٢١٦- الجنة حين تأتي بصيغة المفرد فهى تعبر عن مجموع الجنات، فمثلاً: لو أن

هناك بلدًا أو قرية سياحية غنية بالأثمار والحدائق والبساتين (جنات) وأراد أحد أن يصفها فماذا يقول؟ لو قال إنها جنة لكان صادقاً، لأنه يصف القرية كلها وصفاً مجملًا، ولو قال إنها جنات لكان صادقاً أيضاً، لأنها تحتوى على بساتين مختلفة عن بعضها البعض، ولو أراد وصف حال ناس معينين عن ميمينهم بستان، وعن شمالهم بستان، فقال إنهم يسكنون في جنتين، لكان صادقاً أيضاً، فكذلك المؤمن الذي يدخل الجنة، عندما ينظر عن يمينه يجد جنة، وعن شماله يجد جنة، وإذا تجول في الجنة وجد جنات، فهي جنة وجنتان وجنات، كما أن المؤمن يرث مقعد الكافر في الجنة، فيكون له بذلك جنتان. وهناك قضية مشابهة وردت في القرآن الكريم على لسان فرعون، وهي قوله: {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي} [الزخرف: ٥١] مُشيراً إلى فروع وترع وقنوات من نهر النيل، وسماها أنهاراً مع أنها تنفرع من نهر واحد، والله أعلم.

س٢١٧- يقول القرآن: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: ٢٢] ثم يقول: {وَإِن جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفَةٌ} [لقمان: ١٥] في الآية الأولى ينهى عن موادة الكفار ولو كانوا الآباء، وفي الثانية يأمر بمصاحبة الوالدين المشركين المعروف، أليس هذا تناقضاً؟

ج٢١٧- المودة غير المعروف، المودة معناها الحب، والمعروف هو ما تعارف عليه الناس أنه خير، بشرط ألا يصطدم مع الشرع، والمسلم مأمور بالإحسان لوالديه، ولو كانا غير مسلمين، كما أذن الرسول ﷺ للسيدة أسماء بنت أبي بكر - رضيت الله عنهما - أن تَبْرَّ والدتها مع أنها مشركة. ولتعلّم الفرق بين البر والحب تخيل أن لك جيراناً أشراراً.. فإنك تحسن إليهم ابتغاء مرضاة الله جل وعلا، ولكن هل إحسانك إليهم يعنى أنك تحبهم؟ ولو أن لك زوجة غير محبوبة وأنت تحسن إليها، أيكون إحسانك حباً لها أم طاعة لربها؟ فالمسلم مأمور بمصاحبة والديه إن كانا مشركين بالمعروف مع عدم جبهما، فهو يبرهما، ويصلهما، ويطيعهما، ولكن ليس فيما يفضب الله سبحانه وتعالى. قال العلماء إن الآية التي في سورة (لقمان) نزلت في سعد بن أبي وقاص ﷺ وقد كان باراً بأمه، وحين أسلم أمرته أن يكفر.. وإلا- فستمتنع عن الطعام والشراب، وتقعّد في حر مكة إلى أن تموت،

ويعيره الناس بها، ويقولوا له: يا قاتل أمه. وفعلاً امتنعت عن الطعام والشراب، حتى إنهم كانوا يفتحون فيها بالعصا، وكادت تهلك، فقال لها: لو كان لك مائة نفس خرجت نفساً نفساً ما تركت دين محمد.. فكُلِّي أو دَعِي، فأكلت.. وأنزل الله عز وجل هذه الآية تأييداً لموقفه من عدم طاعته لها في الشرك بالله، ولكنها أمرته بالإحسان إليها. أما الآية التي في سورة (المجادلة) فقد قال العلماء إنها نزلت في أبي بكر، وأبي عبيدة بن الجراح، ومصعب بن عمير، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ففي موقعة بدر كان عبد الرحمن بن أبي بكر لم يسلم بعد، وكان من فريق الكفار، ورأى أباه في المعركة ولكنه لم يقتله، وبعد أن أسلم والتقى بأبيه قال له: لقد رأيتك يوم بدر ولكني لم أقتلك، فرد عليه أبو بكر وقال له: لو أني رأيتك لقتلتك، وفي المعركة نفسها قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه، ووجد مصعب بن عمير أخاه قد أسره واحد من المسلمين، فلما رآه أخوه استغاث به أن يتوسط له لدى المسلم ليفك أسره، فكانت النتيجة غير متوقعة.. وذلك أن مصعباً قال للمسلم: اشدد وثاقه فإن أمه غنية تفديه بمال كثير، فقال له أخوه: أهذه وصيتك بأخيك؟ فرد عليه بقوله: هو أخي دونك، أي أن المسلم أخو مصعب، وليس هو، لأنه مشرك. فالخلاصة أن المسلم يير أبويه ويحسن إليهما، ولو كانا مشركين، أما إذا وصل الأمر إلى حرب الإسلام والمسلمين ففي هذه الحالة يحاربهم تماماً كحربه لأعداء الله.

وقد جاء في الكتاب المقدس النهي عن الشيء والأمر به في آن واحد، إذ يقول: لا تجاوب الجاهل حسب حماقته لتلا تعدله أنت. جاوب الجاهل حسب حماقته لتلا يكون حكيماً في عيني نفسه. (أمثال: ٢٦: ٤-٥) ونحن نسألكم: هل تجاوبون الجاهل أم لا تجاوبونه؟، والله أعلم.

س٢١٨- يقول القرآن: {إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: ١] في هذه الآية ناقض القرآن نفسه بأن شهد لنبئكم بالرسالة، ثم كذب من شهد بها.

ج٢١٨- ما هو المنافق؟ المنافق في اللغة حيوان صغير ضعيف اسمه اليربوع - في جزيرة العرب - أكبر من الفأر وأصغر من الأرنب، تأكله الثعالب والقطط البرية وغيرها، وسُمِّي منافقاً لأن لديه مهارة فائقة في حفر الأنفاق المتعددة المداخل والمخارج، فعندما يشعر

بالخطر يدخل النفق، ويخرج من مكان آخر بعيد عن الخطر، فلا أحد يعرف مدخله من مخرجه، أما المنافق شرعاً فهو من أبطن الكفر وأظهر الإسلام، فقلبه غير لسانه، لا يُعرف مدخله من مخرجه، ولا أوله من آخره. فعندما جاء المنافقون لرسول الله ﷺ وقالوا له: {إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} فهم كاذبون في قولهم، لأنه مخالف لما في قلوبهم (مع أنه رسول الله حقاً، والله عز وجل يشهد له بذلك) كمثّل رجل قال لك: أنا أحبك، في حين أنه يكرهك، ولكنه قالها نفاقاً، فالصدق لا بد أن يكون له واقع يؤيده، والمنافقون واقعهم غير أقوالهم، فهم كافرون بالرسول ﷺ معادون له ولدعوته، يكيدون له ولأصحابه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

والناس أربعة أصناف: فالمؤمن منسجم مع نفسه، فقلبه موحد مثل لسانه، ومتجانس مع الكون، لأن الكون كله يوحد الله جل وعلا، والمنافق متنازع مع نفسه، قلبه غير لسانه، ومتنازع مع الكون، والكافر متجانس مع نفسه، لأنه مقرّ بالكفر لا ينكره بلسانه، ومتنازع مع الكون، والنوع الأخير هو المُكْرَه الذي يُعَذَّب ليكفر، فهو ييطن الإيمان ويظهر الكفر من شدة التعذيب، كما حدث في قصة عمار بن ياسر رضي الله عنهما، والله أعلم.

س ٢١٩- كيف يقول القرآن: {لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ} [الطلاق: ١] ثم يقول: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوْهِكُمْ} [الطلاق: ٦]؟ فمرة يأمر بعدم إخراجهن من البيوت، ومرة يأمر بتوفير السكن لهن، وكل هذا بعد الطلاق!
ج ٢١٩- الآية الأولى خاصة بالمطلقة طلاقاً رجعيّاً، أى بعد الطلقة الأولى أو الثانية لا يخرجها زوجها من بيتها، ولا تخرج هي بنفسها حتى تنقضى عدتها، أما الآية الثانية فهي خاصة بالمطلقة ثلاث طلاقات، ففي هذه الحالة تكون قد بانت من زوجها بينونة كبرى، فلا يحل لها أن تمكث معه في المنزل نفسه، ولكنه مكلف أن يسكنها في مكان يتناسب مع مستوى سكنه، وينفق عليها حتى تنقضى عدتها. وهذا وذاك من الإحسان إلى المرأة في الإسلام، والله أعلم.

س ٢٢٠- يقول القرآن: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ} [الملك: ٥] و{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} ﴿٥١﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

مَارِدٍ} [الصافات: ٦-٧] ثم يقول: {وَأَنَا لَمَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا فِيهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٩﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمَعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَهُ شُهَابًا رَصْدًا} [النجم: ٨-٩] الآيتان الأولى والثانية معناهما أن السماء كانت محفوظة، وأن الشياطين كانت تُرجم قبل بعثة محمد، ثم ناقض نفسه وقال في سورة (الجن) إن رجهم كان لأجل بعثته؟

ج ٢٢٠- بفهم بسيط لآية سورة (الجن) يُعرف معناها، ولكنه الطمس على القلوب والعياذ بالله. فماذا قالت الآية؟ هل قالت (فوجدنا بها حرساً شديداً وشهباً)؟ أم قالت: {فَوَجَدْنَا فِيهَا مُلَقَّتْ}؟ إن ملء الشيء لا يعنى كونه فارغاً، فمثلاً: لو أحضرت لك زوجتك كوباً من العصير، فقلت لها: أريده مملوءاً، فهل هذا يعنى أنه كان فارغاً؟ أم أنه كان به بعض العصير، ولكنك تريده مملوءاً؟ ومثال آخر: لو أنا تعودنا على وجود حرس بمنطقة معينة لأهميتها، ولكننا فوجئنا في يوم من الأيام أن عدد الحرس قد زاد زيادة رهيبية، مع وجود أسلحة ومعدات لم تكن من قبل، فقلنا إن المكان مُلئ بالحرس، أليس هذا يعنى أنهم كانوا موجودين، ولكن بعدد أقل؟، والله أعلم.

س ٢٢١- يقول القرآن: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك: ٥] فكُون النجوم زينة يقتضى بقاءها، وكونها رجوماً للشياطين يقتضى زوالها، فكيف نجمع بين المعنيين؟

ج ٢٢١- لو قلت إنك ضربت أحداً بالمسدس.. أتكون ضربته بالمسدس نفسه، أم بالرصاص الخارج منه؟ أو كما يقال: لقد ضربنا العدو بالمدفعية الثقيلة، أنكون قد ضربناهم بالمدافع نفسها؟ أم بالدانات الخارجة منها؟ فكلمة {رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} معناها أنها مصدر الرجم بالسنة اللهب، والشهب، والنيازك الخارجة منها، وليس بذاتها، وكأنها قاذفة صواريخ، فإن خروج السنة اللهب من النجوم لا يفنيها، والشمس مثال لذلك، فهي ترمى بالسنة اللهب منذ ملايين السنين، وما زالت كما هي لم تتغير، ولم تتبدل، بقدرة العلى القدير سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س ٢٢٢- ذكرت آيات كثيرة أن النار خلقت للكفار، وآيات أخرى توعدت عصاة الموحدين بالنار، فكيف تكون خلقت للكفار ثم يدخلها الموحدون؟ وما فائدة التوحيد إذن؟ وما دليلكم على أنهم سيخرجون منها ولا يخلدون فيها؟

ج ٢٢٢- إن أصحاب الكباثر من المسلمين أمرهم موكول إلى الله عز وجل، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم، وليس معنى أن النار {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} أنه لا يدخلها غيرهم، وإلا لتماذى عصاة الموحدين في عصيائهم - كشاربي الخمر والمرايين والزناة وغيرهم - توكلأ على توحيدهم، إن هذا لا يقوله عاقل، قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين: {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: ١٢٣] فالنار في الأصل {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤] وهم أهلها المخلدون فيها، أما عصاة الموحدين - إن لم يغفر الله لهم - فسيدخلونها على قدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها، فهي للكافرين دار مؤبدة، ولبعض الموحدين دار مؤقتة، وهذه هي فائدة التوحيد، والدليل على ذلك قوله جل وعلا: {رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر: ٢] قال العلماء في تفسيرها: إن أهل النار عندما يجدون أهل التوحيد يعذبون معهم في النار يقولون لهم: هاأنتم تعذبون معنا وما نفعتكم (لا إله إلا الله) التي كنتم تقولونها، فعندها يغضب الله سبحانه وتعالى ويأمر بإخراجهم من النار. والدليل على ذلك من السنة المطهرة قول رسول الله ﷺ: "يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً" [صحيح مسلم] والأدلة على دخول عصاة المسلمين النار كثيرة، منها ما سبق، ومنها مثلاً: عقوبة أكلى الربا {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٧٥] و{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [٢] و{اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران: ١٣٠-١٣١] وعقوبة قذف المحصنات {إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَنَافِلِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ٢٣] وعقوبة أكل مال اليتيم ظلماً {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠] وغير ذلك من الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران: ١٣١] هذه الآية جمعت بين الأمرين، ففيها دليل على أن النار خلقت للكافرين، وفيها أيضاً تحذير للمؤمنين، وكان الله عز وجل

يقول لهم: إن النار لم أحلقها لكم، ولكني خلقتها للكافرين، فلا تعصوني، فأجعلكم معهم، والله أعلم.

س ٢٢٣- يقول القرآن: {رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [الزمل: ٩] ويقول: {رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن: ١٧] ويقول: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ} [المعارج: ٤٠] ما هذا الاختلاف؟

ج ٢٢٣- قال العلماء: عندما يقول الله عز وجل: {رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} فهو مشرق الشمس ومغربها على الإطلاق بغير تحديد (أى الجهة التى تشرق من ناحيتها، والجهة التى تغرب عندها) وعندما يقول: {رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ} لأن الشمس لها مشرق فى الصيف غير الشتاء، ولها مغرب فى الصيف غير الشتاء، وعندما يقول: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} لأن الشمس لها كل يوم مشرق يختلف عن بقية الأيام، ولها كل يوم مغرب يختلف عن بقية الأيام، حتى إن بعض ملوك العصور القديمة مثل رمسيس (فرعون) والملكة (بليقيس) كان لهم قصور لها نوافذ بعدد أيام السنة، بحيث يدخل أول ضوء للشمس فى كل يوم من نافذة مختلفة عن بقية النوافذ، وهكذا كانت نوافذ الجامع الأموى الكبير فى دمشق بعدد أيام العام، وفى أبو سمبل (جنوب أسوان) تتعامد أشعة الشمس عند الشروق على وجه تمثال رمسيس الثانى، وتنفذ خلال المعبد الفرعونى مرة واحدة يوم ٢٢ فبراير، ومرة أخرى يوم ٢٢ أكتوبر دون سائر أيام العام، وذلك لتغير زاوية الشروق. وقول هؤلاء العلماء صحيح، ولكن - بالإضافة إلى ذلك - أثبت العلم الحديث أن الأرض تدور حول محورها أمام الشمس مرة كل يوم، فيكون لها مشرق واحد ومغرب واحد (وإن كان لها مشارق ومغارب متعددة فى كل منطقة على خطوط الطول، ولكنها من اتجاه واحد) وهناك كواكب أخرى فى مجرات أخرى تدور حول نجمين، فيكون لها مشرقان ومغربان، وكواكب تدور حول ثلاثة نجوم، فيكون لها ثلاثة مشارق وثلاثة مغارب، والله أعلم.

س ٢٢٤- يقول القرآن: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١] أى أنه نزل كله مرة واحدة فى ليلة القدر، ثم يناقض نفسه فيقول: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} [الفرقان: ٣٢] أى أنه لم يزل جملة

واحدة، ولكن نزل منجماً حسب الأحداث.

ج ٢٢٤- قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن القرآن نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجماً على رسول الله ﷺ حسب الأحداث. وقيل أيضاً: إن أول نزوله على الرسول ﷺ في غار حراء كان في ليلة القدر، وهذا معنى قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} وأى آية من القرآن تسمى قرآناً، كما أن جميع القرآن يسمى قرآناً، فليس هناك تناقض على الإطلاق، والله أعلم.

س ٢٢٥- يقول القرآن: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى} [النجم: ٥٣] بصيغة المفرد، ويقول: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَةُ بِالْحَأْطِقَةِ} [الحاقة: ٩] بصيغة الجمع، فأين الصواب في العبارتين؟

ج ٢٢٥- مكان (المؤتفكة) هو منطقة تسمى (سدوم) وقد سماهم الله بهذا الاسم لفعالهم الشنيع.. وهو فاحشة إتيان الذكور، وقد أفرَدَ الاسم في سورة (النجم) للدلالة على البلد كله، أما في سورة (الحاقة) فجمعت لتعدد المناطق داخل هذا البلد، لأنها كانت تحتوى على خمس قرى، وذلك كما تذكر قطراً معيناً بصيغة المفرد، وإذا ذكرت محافظاتة تذكرها بصيغة الجمع، والله أعلم.

س ٢٢٦- كيف يسمح القرآن بحرية العقيدة {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: ٢٩] ثم يتوعد الكافرين بالعذاب الأليم؟

ج ٢٢٦- الله سبحانه وتعالى بين لعبادة طريق الهداية، وطرق الغواية، وترك لهم حرية الاختيار، ووعد من سلك طريق الهداية بالنعيم المقيم، وتوعد من سلك طرق الغواية بالعذاب الأليم، فهذه الآية الكريمة لا تترك للناس الحبل على الغارب ليفعلوا ما يشاءون، ولكنه أسلوب تهديدي، كالذى يقول لابنه: انت حر، فافعل ما بدا لك - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - فهل الأب يعطى لابنه الحرية المطلقة في أن يخرّب ما شاء، ويفسد ما شاء، وغير عقاب؟ وهل يساوى بينه وبين من أطاعه من أولاده؟ إذن لكان هذا الأب ظالماً، ولكانت فوضى، ولما تأدب ولده، ولعاث في الأرض فساداً. فلو ترك الله للناس الحرية في فعل ما يشاءون، دوع رادع يردعهم، ولا ثواب أو عقاب ينتظرهم، لكانت فوضى، ولاضطربت

موازن الحياة، الصالح كالطالح، والمصلح كالمفسد، والبار كالفاجر... إلخ. والدليل على أن الآية تهديدية إنما خُتِمَتْ بقوله تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِقَسْرِ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} لتبين جزاء الكافرين، ثم تلاها بيان جزاء المؤمنين {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٢٢٧﴾ أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا}، والله أعلم.

س ٢٢٧- يقول القرآن: {الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور: ٢٦] والواقع يكذب ذلك، فالرجل الطيب يتزوج من الخبيثة، والمرأة الطيبة تتزوج من الخبيث، فهذه الآية تتناقض مع قصص القرآن نفسه، فعندكم في القرآن أن امرأة نوح وامرأة لوط كانتا كافرتين، وامرأة فرعون كانت مؤمنة، والآية أيضاً بها تكرار لا فائدة فيه، ألا كان يكفي أن يقال (الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين)؟

ج ٢٢٧- إن الآية معناها أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الرجال، والخبيثين من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبين من الرجال للطيبات من القول (كما قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) وبديهي أن ما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء أيضاً. والآية جاءت تعقياً على حادثة الإفك، أى أن من أهم السيدة عائشة - رضى الله عنها - بالقول الخبيث، فذلك لأنه هو الخبيث، أما هي فلا يليق بها إلا الأفعال والأقوال الطيبة. أما ما يظنه السائل أنه تكرار لا فائدة فيه فهو ليس بتكرار، بل هو تأكيد وحصر، أى أن الخبيثات من الأقوال لا تخرج إلا من الخبيثين من الناس، فلا يمكن أن يتكلم بها الطيبون، والخبيثون من الناس لا يتكلمون إلا بالخبيثات من الأقوال، فهي مقصورة عليهم، وهم مقصرون عليها، وكذلك فإن الطيبات من الأقوال لا تخرج إلا من الطيبين من الناس، وهم لا يُخرجون إلا الأقوال الطيبة، فهي أيضاً مقصورة عليهم، وهم مقصرون عليها، والله أعلم.

س ٢٢٨- يقول القرآن: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة:٦] في هذه الآية جعلتم أهل الكتاب أسوأ من المشركين، لأنكم ذكرتهم قبلهم، في حين أنكم تُقرُّون بأن أهل الكتاب أفضل من المشركين بصريح القرآن الذي قال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:١١٦] فما هذا التخييط؟ ثم إننا لسنا بأسوأ حال منهم.

ج ٢٢٨- إن أهل الكتاب لم يكن لهم عذر في كفرهم بالرسول ﷺ فقد كان عندهم وَصْفُهُ في كتبهم، وهم الذين كانوا يهددون المشركين به، ويقولون لهم: لقد أطلَّ زمن ظهور نبي نجد وَصْفُهُ في كتبنا، وستبعه ونقاتلكم معه، ونتصر عليكم، وهذا ما ذكره الله عز وجل في قوله: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة:٨٩] لدرجة أن المشركين في المدينة كانوا يترقبون مجيئه، وحين عرض نفسه عليهم في موسم الحج سارعوا إلى الإيمان به، وقالوا: إن هذا هو النبي الذي تحدثنا عنه يهود، فلا يسبقونا إلى الإيمان به، قال الله عز وجل: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ} [الأنعام:٢٠] فالآية الكريمة توضح أن أهل الكتاب - سواء من اليهود أو النصارى - كانوا يعرفون النبي كمعرفتهم أبناءهم، بل إن منهم من قال: إنني أعرف محمداً أكثر من معرفتي لابني، فإني لا أدري ماذا فعلت أمه، أبعد هذا يكون لهم عذر في الكفر به وعدم تصديقه؟ ولذلك جاء ذكرهم في الآية قبل المشركين، لأنهم أولى باتباعه منهم، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن أباك حذرَكَ من الاقتراب من جهاز معين، لأن في اقترابك منه مفسدة لهذا الجهاز، ثم لعب فيه أخوك الذي لم يسمع التحذير، وأنت تراه ولم تذكر له خطورة فعله، فحين يعلم الوالد.. أتكون عقوبتك مثل أخيك؟ لا شك أنها ستكون أشد، لأنك تعلم ولا يعلم {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر:٩]، والله أعلم.

س ٢٢٩- يقول القرآن: {وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء:٤٧] ويقول: {وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف:٨] ويقول: {فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا} [الكهف:١٠٥] كل هذه الآيات متعارضة مع بعضها، فمرة تقول إنها (موازن) ومرة (وزن) ومرة لا ميزان أصلاً.

ج ٢٢٩- ليس هناك أى تعارض بين الآيات، ولو أن السائل أكمل الآية الأولى لَعَلِمَ الإجابة {وَأَن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا} إن أعمال الخير متفاوتة في ثقلها، فهي تختلف في تفاضلها حسب درجتها عند الله، فالصلاة غير الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو صلة الرحم.. إلخ، وحسب نية فاعلها وإخلاصه لله، واتباعه للسنة في فعلها، وغير ذلك. وكذلك أعمال الشر فهي متفاوتة أيضاً، فالقتل غير السرقة، أو شرب الخمر، أو النظر المحرم.. إلخ. والله سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٠] فقوله تبارك وتعالى: {وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} يعنى الوزن العمومى للحسنات والسيئات في مُحمَلِها، أمّا {الْمَوَازِينُ} فهي مئاويل الأعمال حسب تفاوتها ثقلاً وخفّة. ونحن في واقعنا نطلق اسم المفرد على الشيء الذى يحتوى على أشياء متجانسة، فمثلاً نقول عن الراجع من السفر: إنه دخل الجمرک (بلفظ المفرد) في حين أن البضائع تختلف عن بعضها البعض بالنسبة لما يُفرض عليها من هذا الجمرک، فالسيارة غير الغسالة أو الثلاجة.. إلخ، فكذلك كلمة (الوزن) تطلق ويراد بها مجموع الموازين. أما الآية الكريمة: {فَلَا تُقِيمُ هُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا} فهي - {وَلِلَّهِ أَمَثَلُ الْأَعْلَى} - كما نقول عن الرجل التافه إنه (لا وزن له) أى أنه لا قيمة له، في حين أننا نقول عن رجل آخر (إنه ثقيل) أو (إنه جبل) وذلك لما نراه من حلمه وسعة عقله، فقوله تعالى: {فَلَا تُقِيمُ هُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا} معناه: فلا نقيم لهم وزناً نافعاً، أى أنه لا قيمة لهم ولا لأعمالهم. قال رسول الله ﷺ: "إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا {فَلَا تُقِيمُ هُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا} [متفق عليه] أمّا المؤمن فهو ثقيل في الميزان عند الله يوم القيامة، كما قال الرسول ﷺ عن عبد الله بن مسعود ؓ حين تعجب الصحابة ؓ من دقة ساقية: "أتعجبون من ساقى ابن مسعود؟ إن ساقى ابن مسعود أثقل من جبل أحد في الميزان يوم القيامة" (أو كما قال ﷺ) لأن الذى يُوزن هو إيمان العبد الذى وقّر في قلبه، وليس العظم واللحم والشحم، والله أعلم.

س ٢٣٠- يقول القرآن: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ} [فصلت: ١٦] ثم يقول: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَّحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ} [القمر: ١٩] فأيهما نصدق؟

وهل هو يوم أم أيام؟

ج ٢٣٠- الآية الأولى تتحدث عن عدد الأيام التي سخر الله عليهم الريح فيها، أما الآية الثانية فتتحدث عن يوم نزع الناس {تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} [القمر: ٢٠] فترع الناس وجعلهم كأعجاز نخل منقعر كان في يوم، أما الريح الشديدة فكانت سبعة أيام. فمثلاً: لو حدثت حرب بين طائفتين، واستمرت لعدة أيام، ثم انتصر أحد الفريقين، فقلنا: انتصر الجيش الفلاني في يوم كذا، فهل معنى هذا أن الحرب كانت لمدة يوم واحد، أم أنها استمرت لعدة أيام، وكان النصر في آخر يوم فيها؟ وهناك معنى آخر: وهو أن قوله تعالى: {فِي يَوْمٍ نَخَسُ مُسْتَمِرًّا} يعني أنه ليس يوماً واحداً، ولكنه {مُسْتَمِرًّا} لسبعة أيام، والله أعلم.

س ٢٣١- يقول القرآن عن الكفار: {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ١٧٤] يقر القرآن في هذه الآية بأن الله لا يكلم الكفار، ثم يناقض نفسه فيقول: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [القصص: ٦٢]

ج ٢٣١- النداء يكون من مكان بعيد، وقد وصف الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بأنه يوم التناد {وَيَنْقُومُ رَبِّي أَخَافُ عَلَيْكَ يَوْمَ التَّنَادِ} [غافر: ٣٢] كما ورد في سورة (الأعراف) من نداء أهل الجنة على أهل النار والعكس، أما الكلام فيكون من مكان قريب، فالله سبحانه وتعالى لا يكلم الكفار، ولكن يناديهم، لأن كلامه رحمة. أما النداء الذي ورد في هذه الآيات - وغيرها - فهو للتوبيخ، ومن وراء حجاب، كما قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] وليس شرطاً أن نداء الله لهم يسمعون منه مباشرة، فربما كان عن طريق الملائكة، كما يخاطبنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بقوله: {يَتَأْتِيَ النَّاسُ} أو {يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا} أو يخاطب أهل الكتاب بقوله: {يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا} أو يخاطب أهل الكفر بقوله: {يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} فهذا الخطاب لم يصل إلى الناس من الله مباشرة، ولكن عن طريق الوحي، ثم عن طريق الرسول ﷺ {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج: ٧٥] فهو سبحانه الذي قال: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} [الشورى: ٥١] فإن سماع كلام الله

سبحانه وتعالى متعة، وهو للمؤمنين خاصة يوم القيامة، فكيف يستمتع به الكفرة؟ ثم إنه قد جاء في الكتاب المقدس تناقض بين صفات الله جل وعلا، فمرة يقول إنه يشبه الإنسان، ومرة يقول إن ليس له شبيه: وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. (تكوين ١: ٢٦-٢٧)

لكي تعرف أن ليس مثلي في كل الأرض. (خروج ٩: ١٤) ليس مثل الله (تشبيه ٣٣: ٢٦) لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك (صموئيل الثاني ٧: ٢٢) لا مثل لك يا رب (إرمياء ١٠: ٦) فمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به. (إشعيا ٤٠: ٤٠: ١٨) فمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس. (إشعيا ٤٠: ٢٥)، والله أعلم.

س ٢٣٢- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ} [المائدة: ١١٦] وفي آيات أخرى كثيرة يقول: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فكيف يكون الله {بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ثم يسأل عيسى عن قضية من أخطر القضايا؟ أليس المفروض أنه يعلمها؟

ج ٢٣٢- نعم {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ولكنه سؤال لتبكيك النصراري، وإقامة الحجة عليهم من نبيهم الذي أرسل إليهم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلا يكون لهم حجة في عبادتهم إياه بعدما تبرأ منها. فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - لو أن أحداً بلغك أن صديقك قد تكلم عليك بسوء، وأنت متيقن أن هذا الإنسان كاذب، لعلمك بخلق صديقك، فماذا تفعل لتظهر كذب هذا النمام؟ إنك تسأل صديقك أمامه، وتقول له: هل قلت عليّ كذا وكذا؟ فهل أنت شاك في صديقك؟ إنك على يقين من استحالة هذا الأمر، ولكنك تصرفت هذا التصرف لتخزي هذا الكاذب النمام. فالسؤال الذي ورد في الآية الكريمة ليس للاستعلام، ولكنه للتوبيخ كما قلنا، وبقية الآية تثبت علم الله سبحانه وتعالى بأن سيدنا عيسى لم يأمرهم بعبادته، ولا عبادة أمه، فبعدهما سأله الله هذا السؤال، رد عليه سيدنا عيسى بقوله: {قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ}، والله أعلم.

س ٢٣٣- إن القرآن يتناقض مع نفسه في آية واحدة، فيقول: {يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۗ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [نوح: ٤] فكيف يقول لهم نوح: {وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} ثم يقول لهم: {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ}؟

ج ٢٣٣- إن سائل هذا السؤال ليس عنده ملكة اللغة العربية، ولكنه حكم على الآية حكماً سطحياً، وهناك فرق بين من يجيد التحدث باللغة وهو ليس من أهلها، وبين من هو من أهلها الذي يتكلمها بالسليقة بغير تكلف، ونحن حين نسمع أجنبياً يتكلم باللغة العربية ندرك أنه ليس عربياً مهما كان إتقانه، وكذلك لو تكلم العربي بلغة أجنبية فإنه لا يجيدها كأهلها، فهل الذي ينقض كلامه ينقضه في نفس اللحظة وبهذه السرعة؟ إن الإنسان السريع النسيان لا يمكن أن ينقض كلامه بهذه السرعة، ولكنه يقول كلاماً ثم بعد فترة ينسى فيقول غيره. فهل يُعقل مثلاً - {وَاللَّهُ أَلْمَلُ الْأَعْلَى} - أن يقول قائل: أنا سوف أقوم بتأجيل سفري.. أنا سفري لا يمكن تأجيله؟ أو يقول: أنا أجيد القراءة.. لا يمكن أن أجيدها؟ فإذا كان هذا لا يُعقل صدوره من إنسان.. فكيف بالله سبحانه وتعالى؟ إن ما جاء في الآية الكريمة فيه قولان للعلماء: القول الأول إنهم إذا آمنوا فسوف يؤخر الله موعد موتهم ببركة إيمانهم، فلو كان مقدراً لهم - مثلاً - أن يعيشوا تسعمائة سنة، فسيجعلها الله ألفاً إذا آمنوا. ومعلوم أن الأعمال الصالحة سبب للبركة في العمر، قال رسول الله ﷺ: "من سره أن يعظم الله رزقه، وأن يمد في أجله، فليصل رحمه" [صحيح الجامع: ٦٢٩١] أما لو لم يؤمنوا فإن أجلهم لن يتأخر. والقول الثاني أنهم خافوا من قومهم أن يقتلوهم لو آمنوا بسيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فطمأنهم أن آجالهم ستؤخر حين مجيئها، أي أن قومهم لن يعجلوا أجلهم قبل مواعده، والله أعلم.

س ٢٣٤- إن موقف القرآن من أهل الكتاب متخبط، فنجده يقول: {لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ حُبِّهِ الْمُقْسِطِينَ} [المجادلة: ٨] مع أنه يقول: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} [آل عمران: ٢٨] ويقول: {يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ

مِثْمٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١]

ج ٢٣٤- ليس هناك أى تخبط كما يدعى السائل، فإن الولاية غير البر، البر يعنى حسن المعاملة، وعدم الجور أو الظلم، فلم ينهنا الله سبحانه وتعالى أن نبر أهل الكتاب (غير الحاربيين) ونقسط إليهم، فلا نؤذيهم، ولا نهينهم، ولا نظلمهم، بل ونهاديهم، ونتقبل هديتهم، ونواسيهم في مصائبهم، ونهنتهم في أفراحهم التي لا ترتبط بعقيدتهم، ولكن لا نجبههم. أما ولايتهم فقد هانا الله عنها، وهى حبههم، والتقرب إليهم، والتداخل فيهم وكأنهم أهلينا، يعرفون أسرارنا، ومُدخلنا ومخرجنا، وكأنهم إخواننا، فهذه الولاية لا تكون إلا للمؤمنين. وأشد ما فى هذه الولاية التي نهينا عنها، هى موالاتهم ومناصرتهم ضد المسلمين، كمن يقاتل فى صفوفهم، أو يتحالف معهم ضد المسلمين، ومن يفعل ذلك فهو منهم، بل إن من تشبه بهم فى احتفالاتهم، وكلامهم، ولبسهم، وعاداتهم التي تخالف شرعنا، فهو منهم، قال رسول الله ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم" [سنن أبى داود، صحيح الجامع: ٦١٤٩]، والله أعلم.

س ٢٣٥- تتناقض الروايات عندكم فيمن هو الذبيح؟ فمنكم من يقول إنه إسماعيل، ومنكم من يقول إنه إسحاق، والحق عندنا أنه إسحاق.

ج ٢٣٥- عجباً لكم أيها القوم! تتساءلون عن اسم الذبيح، ولا تتأكدون من نسب معبودكم؟ فأيهم أهم عندكم؟ وأيهم أكثر إثارة لدهشتكم؟ إن الأنجيل قد اختلفت فى نسب المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فإنجيل (متى) ينسبه إلى سليمان بن داود - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - بينما ينسبه إنجيل (لوقا) إلى ناثان بن داود، وهذا التناقض ورد فى الإصحاح الأول من إنجيل (متى) والإصحاح الثالث من إنجيل (لوقا)، وحتى لا نطيل على القارئ نذكر فقط كلمة من (متى) وكلمة من (لوقا):
وسليمان ولد رحبعام. (متى: ١: ٧) ناثان بن داود (لوقا: ٣: ٣١)

نعم.. لقد ذكرت بعض التفاسير نقلاً عن بعض الصحابة ؓ أن الذبيح هو سيدنا إسحاق، ولكن أغلب التفاسير على أنه سيدنا إسماعيل، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. وقد حدث هذا الخلط من بعض الصحابة ؓ بسبب قرههم ومخالطتهم لعلماء أهل الكتاب الذين يزعمون أن الذبيح هو سيدنا إسحاق، ولكن الحق قد جانبهما فى هذا

الأمر، فإن الذبيح هو سيدنا إسماعيل، وهذا موجود عندهم في الكتاب المقدس، ولكنهم حرفوه بطريقة ساذجة لا تخفى على أحد، وهاكم ما جاء فيه:

وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا إبراهيم. فقال هأنذا. فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق... إلى آخر قصة الذبيح. (تكوين ٢٢: ١-١٤)

فالتفت في قولهم (إسحاق) واضح وضوح الشمس، إذ كيف يكون ابنه الوحيد (أى البكر) هو إسحاق، مع أنه كان الثاني وليس البكر بنص التوراة نفسها: وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين وُلِدَ له إسحاق ابنه. (تكوين ٢١: ٥) في حين أنه رُزِقَ بإسماعيل وهو ابن ستة وثمانين سنة: كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام (تكوين ١٦: ١٦) (أبرام يعنى إبراهيم)

فكيف يكون ابنه البكرى إسحاق وبينه وبين إسماعيل أربعة عشر عاماً؟ وقد ادعوا أنه إسحاق حقداً على سيدنا محمد ﷺ أن يكون ابن الذبيح. والدليل على أن سيدنا إسماعيل هو الذبيح أن القرآن ذكر في سورة (الصفات) قصة سيدنا إبراهيم مع قومه، وما أرادوا من حرقه، وإنجاء الله له، وذلك في الآيات من (٨٣-٩٨) وبعد أن نبه الله من النار قال: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ} ﴿١١٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١١٥﴾ قَالَ يَتَابَعْتَنِي أَفَعَلْ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٦﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٧﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١١٨﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الَّذِي كُفِّرُ بِهِ كَبِيرٌ ﴿١٢٠﴾ وَنَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٢١﴾ [الصفات: ٩٩-١٠٧] ثم بعد ذلك بشره الله سبحانه وتعالى بسيدنا إسحاق، في قوله تعالى: { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } [الصفات: ١١٢] فمن الواضح وضوح الشمس من هذه الآيات أن البشرى بسيدنا إسحاق كانت بعد انتهاء قصة الذبيح، فمن كان هذا الذبيح إن لم يكن سيدنا إسماعيل؟ ثم إن سيدنا محمد ﷺ قال: "أنا ابن الذبيحين" [مصنف ابن أبي شيبة، مستدرک الحاكم] أى أنه من نسل الذبيح الأول، وهو سيدنا إسماعيل، وابن الذبيح الثاني، وهو عبد الله والد الرسول ﷺ وهذا يقطع الشك في أمر الذبيح، والله أعلم.

س ٢٣٦- يتحدث القرآن عن هلاك الإنسان والحيوان وجميع الدواب بسبب

ذنوب الإنسان، فيقول: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [فاطر: ٤٥] فما ذنب جميع الدواب؟ أليس هذا ظلماً؟ ألم يقل في السورة نفسها: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}؟

ج ٢٣٦- إن المخلوقات التي تتعامل معها على الأرض أربعة (بغض النظر عن بقية المخلوقات) جماد ونبات وحيوان وإنسان، فالجماد يخدم النبات بما يقدمه له من عناصر لازمة لنموه، والجماد والنبات يخدمان الحيوان، والجماد والنبات والحيوان يخدمون الإنسان، والإنسان خلق لعبادة الرحمن {وَمَا خَلَقْتُ آلِ حُنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] فلو لم يعبد ربه فما فائدته؟ ولو آخذه الله بذنوبه لأهلكه، ولتبع ذلك هلاك كل ما يقوم بخدمته من جماد ونبات وحيوان، لأنها موجودة لخدمته، فما فائدتها بعده؟ فمثلاً: لو أحضرت خادمة لأملك العجوز، ثم ماتت أملك، هل تبقى الخادمة في البيت بعد ذلك؟ وهل رأيت خدماً يقيمون بقصر سيدهم الذي مات؟ إن صاحب القصر قد مات فمن يخدمون بعده؟ وما هي قصور الملوك والسلاطين ليس بها أنيس ولا جليس، بعد أن كانت عامرة بأهلها.

والذين ينكرون على كتابنا هلاك كل شيء بذنوب الإنسان، جاء في كتابهم المقدس الأمر بحرق المدن بما فيها من إنسان وحيوان وكل شيء، كما ذكرنا ذلك في الرد على الشبهة رقم (٨١١) جاء فيه أيضاً:

هكذا قال السيد الرب. من أجل أن أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه لذلك هكذا قال السيد الرب وأمد يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيرها خراباً (حزقيال ٢١: ١٢-١٣)

ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب أن غضبي يصعد في أنفي. وفي غيرتي في نار سخطي تكلمت أنه في ذلك اليوم يكون ربح عظيم في أرض إسرائيل. فترشح أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدواب التي تدب على الأرض وكل الناس الذين على وجه الأرض وتندك الجبال وتسقط المعازل وتسقط كل الأسوار إلى الأرض. وأستدعي السيف عليه في كل جبالي يقول السيد الرب. فيكون سيف كل واحد على أخيه. وأعاقبه بالوباء وبالدم

وأمر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيمة وناراً وكبريتاً. فَأَتَعَزَّمُ وَأَتَقَدِّسُ وَأَعْرِفُ فِي عَيُونِ أُمَّمٍ كَثِيرَةٍ فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ (حزقيال ٣٨: ١٨-٢٣)، والله أعلم.

س ٢٣٧- يتناقض القرآن كثيراً مع نفسه، فيقول عن غزوة بدر: {إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا ۗ وَلَوْ أَرَدْنَاكُمْ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ وَلَنَنْزَعْنَكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [الأنفال: ٤٣-٤٤] ثم يقول: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ} {آل عمران: ١٣} يبدو أن محمداً نسي وهو يؤلف القرآن، فمرة يقول: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} ومرة يقول: {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ} فكيف نفهم هذا التضارب؟

ج ٢٣٧- ليس هناك تأليف ولا تناقض كما تزعمون، ولكن هذا من تثبيت الله عز وجل لرسوله ﷺ وللمؤمنين، فقد رآهم رسول الله في المنام قليلى العدد ليشر المؤمنين فيتجرأوا على قتالهم ولا يهابوهم، فلو رآهم كثيرى العدد لفشلوا ولتنازعوا في الأمر، لأنهم قد خرجوا لقطع الطريق على قافلة قريش ليستردوا بعض ما أخذ منهم ظلماً وعدواناً، ففوجئوا بأن أبا سفيان نجح بالقافلة وسار بها إلى مكان آخر، وأن قريشاً قد جمعت العدة لقتالهم، ولم يكن الصحابة ﷺ قد أعدوا العدة لقتالهم، حتى إن كثيراً منهم تخلفوا عنها لعدم علمهم بوقوع حرب بينهم وبين المشركين، فحينما اصطفت القريشان للقتال رأى كل منهما الآخر قليل العدد، فكان هذا لصالح المؤمنين بأن شجعهم على قتالهم، في حين أنه لم يكن من مصلحة المشركين، لأنهم خرجوا مغرورين بعددهم وعدتهم، حتى إن البعض أشار على أبي جهل بالرجوع طالما أن قافلة أبي سفيان نجحت، ولكنه أصر على القتال أشراً وبطراً، وظن أنه سينتصر، وينحر الجزور، ويشرب الخمر، وتغنى وترقص له ذوات الخدور، فعندما رأوا المؤمنين قليلى العدد استخفوا بهم أكثر، وظنوا أنهم سينتصرون عليهم بمنتهى السهولة، ولكن الله خيب أملهم، فحين بدأت المعركة والتحم الخصمان ظهر عكس ما رأوه، ورأوا أعداداً غفيرة تقاتلهم غير التي رأوها

قبل بدء القتال، خذب في قلوبهم الرعب، مصداقاً لقوله تعالى: {سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} [الأنفال: ١٢] وانهمزوا بفضل الله سبحانه وتعالى، وقال الناجون منهم: إن المسلمين قد ركبوا أكتافنا، وما هي إلا أن رأيناهم فسلمنا لهم أعناقنا. أما المؤمنون فلم يُرْعَهُمْ رؤية المشركين على كثرة عددهم وعتادهم، بل زاد استبسالمهم في القتال، لأن الله أيدهم بالملائكة، وربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، بعدما استغاث الرسول ﷺ بربه {إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِجْرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ} [الأنفال: ٩] وقد قاتلت معهم الملائكة، حتى إن أحد الصحابة رضي الله عنه قال إنه رفع سيفه ليقتل أحد المشركين، فوقعت رأسه دون أن يمسه {إِذْ يُوحَىٰ رُبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: ١٢] وكان المؤمنون يعرفون الفرق بين قتلاهم ومن قتلهم الملائكة، بينان المشركين التي ضربتها الملائكة (أى أطراف أصابعهم) فمن هذا يتضح أن آيات سورة (الأنفال) تذكر ما حدث قبل وقوع القتال، أما آية (آل عمران) فتحدث عن حال الفئتين بعد التحام الصفيين وبدء القتال، والله أعلم.

س ٢٣٨- هناك تناقض في القرآن بين قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨] وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣]

ج ٢٣٨- إن هذا السائل كمن قرأ {قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} {وَلَمْ يُكْمِلِ} {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} ولو قرأ آيات سورة (الزمر) التي تلى هذه الآية لَعَلِمَ الرد على سؤاله، فماذا قالت هذه الآيات؟ لقد قالت: {وَأُيْتِيُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} ❶ {وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} ❷ {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ} ❸ {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} ❹ {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ❺ {بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَاحُ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} {إن معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى يفتح باب التوبة على مصراعيه لكل الناس، مهما كانت ذنوبهم - حتى ولو كانت شركاً بالله - أن يتوبوا إليه ويستغفروه قبل أن يياغتهم الموت، ويفاجأوا بالعذاب، فهل هناك ثمة

تناقض بين الآيات؟ إن آية (النساء) تتحدث عن مات مشركاً، ولم يثب من شركه قبل موته، أما آية (الزمر) فهي خطاب للأحياء أن يتداركوا أنفسهم، ويثوبوا إلى رشدهم قبل أن يندموا ولات حين مندم.

وبالمناسبة . فقد جاء في الكتاب المقدس أن الله سبحانه وتعالى يندم (وحاشاه) ومرة أخرى أنه لا يندم، وإليكم الدليل: فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه (خروج: ٣٢: ١٤) والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل (صموئيل الأول: ١٥: ٣٥) فمن يشفق عليك يا أورشليم ومن يعزيك ومن يعيل ليسأل عن سلامتك. أنت تركتني يقول الرب. إلى الورا سرت فأمد يدي عليك وأهلكك. مللت من الندامة. (إرمياء: ١٥: ٥-٦) إن هذه النصوص تثبت الندم، ثم يأتي النص التالي لينفيه: ليس الله إنساناً فيكذب. ولا ابن إنسان فيندم. (عدد: ٢٣: ١٩)، والله أعلم.

س ٢٣٩- مرة يقول القرآن عن مريم إنها قالت: {رَبِّ أَنْيْ يَكُونُ لِي وَوَلَدٌ} [آل عمران: ٤٧] ومرة إنها قالت: {أَنْيْ يَكُونُ لِي غُلْمٌ} [مريم: ٢٠] دون أن تقول في هذه الآية كلمة {رَب}، وكذلك فإنها قالت في الآية الأولى {وَلَدٌ} وفي الثانية {غُلْمٌ} فهل نسي محمد، أم أنه تشويق للسامع؟

ج ٢٣٩- ليس هذا نسياناً ولا تشويقاً، إن الآية الأولى التي وردت في سورة (آل عمران) كانت بشرى من الله جل وعلا، حملتها الملائكة للسيدة مريم رضی الله عنها {إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرُؤِمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [آل عمران: ٤٥] فلذلك قالت {رَب} أما آية سورة (مريم) فكانت البشرى من سيدنا جبريل عليه السلام مباشرة {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧-١٩] ففي هذه الحالة تكلم سيدنا جبريل، فكيف تقول له {رَب}؟ إنها لو قالت ذلك لكان في قولها حجة للنصارى الذين يدعون أن الله سبحانه وتعالى تمثل لها في صورة بشر ليهب لها الولد. أما قولها في الآية الأولى {وَلَدٌ} وفي الثانية {غُلْمٌ} فلأنها في الآية الأولى تعجبت من أن يكون لها ولد بغير زوج، ولم يعقب هذه الآية نطقه في المهدي، أما الآية الثانية فقد أعقبها آيات نطقه في المهدي، وهذا الكلام لا يتأتى إلا من الغلام، فلما

فعل فعله أخذ صفته، والله أعلم.

س ٢٤٠ - ينكر القرآن على اليهود والنصارى ادّعاءهم بأن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، فيقول: {يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٦٥] في حين أنه يدعى أنه كان مسلماً، فيقول: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [البقرة: ٦٧] مع أن الإسلام لم يظهر إلا بعد زمن طويل من اليهودية والنصرانية!

ج ٢٤٠ - إن الإسلام معناه إسلام الوجه لله، بمعنى: إسلام القلب والقلب لله، وهو توحيد الله عز وجل بالربوبية والألوهية، وقد جاءت به جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩] وقال رسوله ﷺ: "خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [صحيح الجامع: ٣٢٧٤] وقد أوردنا في الرد على الشبهة رقم (٤٢١) ما يدل على أن جميع الرسالات جاءت بالإسلام، ولا أعني بالإسلام ديننا، ولكن أعني توحيد الله جل وعلا، والانقياد له سبحانه وتعالى باتباع رسله، فلم يكن سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - تابعاً لليهودية ولا النصرانية، ولكن كان مسلماً بالمعنى الذي ذكرناه، والله أعلم.

س ٢٤١ - لماذا بدأ القرآن بفرار المرء يوم القيامة من أخيه، فقال: {يَوْمَ يَفِرُّ الْاِخْرَءُ مِنْ اِخِيهِ} [عبس: ٣٤] ثم قال: {وَأَيُّهُ وَأَيُّهُ} ثم قال: {وَصَدِجَتِيهِ وَبَنِيهِ} وكان الأبلغ أن يبدأ بأمه وأبيه لأنهم أهم من أخيه، ثم يثنى بصاحبته وبنيه لأنهم أيضاً أهم منه، ثم يأتي بالأخ بعد ذلك، ولقد جاء عندكم الترتيب صحيحاً في قوله: {يَوْمَ اِخْرَءُ اِخْرَءُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ} ① {وَصَدِجَتِيهِ وَأَخِيهِ} ② {وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُ لَهُ} ③ {وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَجِّيهِ} [المعارج: ١١-١٤] فلم لم تكن مثلها؟

ج ٢٤١ - إن ما جاء في سورة (عبس) يسمى في البلاغة بالأسلوب التصاعدي، وهو يصور هول يوم القيامة الذي يفر فيه المرء من أخيه، وقد كان التخلى عن الأخ عاراً عند العرب، ليس هذا فحسب، بل إن الأمر أخطر من ذلك، فسيفر أيضاً من أمه وأبيه اللذين هما أعلى عنده من أخيه، هل وقف الأمر عند ذلك؟ لا - بل سيفر من أعلى ما يملكه في

الدنيا وهم زوجته وبنوه، وهذا عند الخروج من القبور، وما يصيب الناس فيها من الملع والفزع. ومعلوم أن الأولاد هم أغلى ما يمتلكه الإنسان، حتى إنه حين يشعر بخطر سيصيب بيته (كحريق أو زلزال مثلاً) فإنه يحمل أولاده ليهرب بهم، وإن كان في البيت أقارب غيرهم، مثل إخوته وزوجته وأمه وأبيه، أما لو كان الأمر في أشد الخطورة فإنه يهرب وحده ويترك حتى أولاده. أما آيات سورة (المعارج) فأسلوها تنازلي، فهي تتحدث عن حال الإنسان حين معانيته لما سيقع له من العذاب، بدليل قوله تعالى: {يَفْتَدِي} والإنسان حين يتعرض للعذاب يقدم ما في يده أولاً ليكون فداءه، بغير تفكير ولا تعقل، من هول ما ألم به، ثم يبحث عن شيء آخر ليقدمه، ومعلوم أن ما يكون في يد الإنسان هو أغلى ما عنده، وليس عند الإنسان أغلى من أولاده، فلذلك يبدأ بهم أولاً. فمثلاً: لو أنك فوجئت بمن يريد قتلك، وكان معك مبلغ من المال، فأول شيء تفعله هو أن تلقى له ما في يدك من مال لتكفّه عنك، فإن أصر على قتلك فإنك تعرض عليه أن يأخذ شيئاً آخر، ثم شيئاً آخر.. وهكذا، ولكن هذا المثل مع الفارق العظيم، فليس مثل عذاب يوم القيامة عذاب، والله أعلم.

س ٢٤٢- إن في القرآن آيات يتناقض بعضها مع بعض، مثل قوله: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} [يونس: ٦٤] {لَا مَبْدُولَ لِكَلِمَاتِهِ} [الكهف: ٢٧] ثم قوله: {مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّا أَوْ مِثْلَهَا} [البقرة: ١٠٦] {وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} [النحل: ١٠١]

ج ٢٤٢- إن الكلمة غير الآية، فقوله تعالى: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} و{لَا مَبْدُولَ لِكَلِمَاتِهِ} أى لا تبديل لسنن الله في كونه، ولا تبديل لإرادته وقضائه وقدره، وذلك مثل ما كتبه علينا من الحياة والموت، والصحة والمرض، والفقر والغنى، والبعث والحساب.. الخ. أما {وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} فهي شرائع وأوامر ونواه يبدلها الله كيف يشاء، وذلك مثل قوله تعالى: {وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤] حين بدلها بقوله: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦] وذلك عندما امثل الصحابة ﷺ لأمر الله ورسوله ﷺ {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥] وقد تكلمنا عن موضوع

النسخ في القرآن و الرد على الشبهة رقم (٣١) وبالله التوفيق.

ولقد جاء في كتابكم المقدس أن معبودكم لم يأت، لينقض الناموس (أى شريعة سيدنا موسى، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام) ولكن ليكمله، فقال: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. (متى: ٥: ١٧-١٨) ثم يأتي في الإصحاح نفسه وينسخ كثيراً مما جاء في الناموس، فيقول: لقد سمعتم أنه قيل كذا (أى في العهد القديم) وأنا أقول كذا، وفي موضع آخر ينسب الكذب للأنبياء، فيقول: احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. (متى: ٧: ١٥) فكيف يكذبهم وهو الذي قال، في الفقرة الأولى إنه ما جاء لينقض الناموس أو الأنبياء؟، والله أعلم.

س ٢٤٣- يقول القرآن: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] ثم يناقض

نفسه فيقول: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩]

ج ٢٤٣- إن الآيتين ليس بينهما أى تناقض، فالأولى تعنى حفظ القرآن من التحريف،

أو التبديل، أو الزيادة والنقصان، كما حدث في الكتب السابقة. أما الآية الثانية فقد تكلم الله سبحانه وتعالى فيها عن محو بعض الأقدار أو إثباتها، كإثبات النعمة أو زوالها، كما قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ٥٣] وإثبات البلاء أو رفعه، كما قال رسول الله ﷺ: "لا بُغْيَ حَذَرٍ مِنْ قَدَرٍ، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، وإن البلاء ليهزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة" [صحيح الجامع: ٧٧٣٩] فالله سبحانه وتعالى قد يعزّ ذليلاً ويذلّ عزيزاً، وقد يُغني فقيراً ويُفقر غنياً، أو يشفي مريضاً ويُمرض سليماً.. إلخ، فهو سبحانه {لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣]

وقد جاء في الكتاب المقدس تناقض بين كونه لا يمكن تحريفه، وبين احتمال تحريفه، فيقول: فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. (متى: ٥: ١٨) ثم يقول: لأني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات

المكتوبة في هذا الكتاب. وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب (رؤيا يوحنا ٢٢: ١٨-١٩) وهذا ما حُتِمَ به الكتاب المقدس في آخر صفحة منه، والله أعلم.

س ٢٤٤ - يقول القرآن: {وَقَالَ أَلَلَّا مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} قَالَ سَنُقْتِلُ أِبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي - نِسَاءَهُمْ { [الأعراف: ١٤٧] إن هذا معناه أن التذبيح كان بعد مجيء موسى بالرسالة، ثم يقول: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي - نِسَاءَهُمْ} [القصص: ٤] أى أن التذبيح كان قبل رسالة موسى، فما هذا التخبط؟

ج ٢٤٤ - إن التذبيح كان قبل رسالة سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وبعدها، بدليل قول الله تعالى: {قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} [الأعراف: ١٢٩] وقد كان التذبيح قبل رسالته - كما نعلم - لخوف فرعون من الرؤيا التي رآها، والتي أولها له جلساؤه بأن زوال ملكه سيكون على يد أحد أبناء بنى إسرائيل. أما التذبيح الثاني فكان استمراراً للأول، بل كان أشد منه، كمن يُحكَم عليه بقضاء عدة سنوات في السجن، ثم حين يُعرض على القاضي مرة أخرى عند نهاية المدة التي قضاه في السجن يأمر بتمديد حبسه لمدة أطول من الأولى. فالتذبيح الأول كان فرعون يأمر به عاماً ويترك عاماً، أما بعد رسالة سيدنا موسى فقد تكبر فرعون وطغى وتجبر، وأمر جنوده بتذبيح أبنائهم كل عام.

وبمناسبة التذبيح فقد جاء في الكتاب المقدس تناقض بين أمر الرب بعمل مُحْرقات وذبائح خَطِيئة، وعدم الأمر بها، ونحن لا نستطيع ذكر جميع النصوص التي وردت بها المحرقات وذبائح الخطية لكثرتها (وخصوصاً في سفر اللاويين) ونكتفى بذكر واحد منها، ثم نتبعه بنقيضه:

وفي اليوم الثامن دعا موسى هرون وبنيه وشيوخ إسرائيل وقال لهرون خُذْ لَكَ عِجْلاً ابْنِ بَقْرٍ لَذِيحَةٍ خَطِيئةً وَكِبشاً مُحْرَقَةً صَاحِحِينَ وَقَدِمَهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ... وَتَقْدِمةً مَلْتَوْتةً بَزَيْتٍ. لَأَنَّ الرَّبَّ الْيَوْمَ يَتَرَاءَى لَكُمْ... ثُمَّ قَالَ مُوسَى لِهَرُونَ تَقَدَّمْ إِلَى الْمَذْبَحِ وَاعْمَلْ ذَبِيحَةَ خَطِيئتكِ وَمُحْرَقَتَكَ وَكفِّرْ عَن نَفْسِكَ وَعَن الشَّعْبِ وَاعْمَلْ قَرْبَانَ

الشعب وكفر عنهم كما أمر الرب... وغسل الأحشاء والأكارع وأوقدها فوق المحرقة على المذبح... وأما الصدران والساق اليمنى فرددها هرون ترديداً أمام الرب كما أمر موسى... فترأى مجد الرب لكل الشعب وخرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم. فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم (لاويين: الإصحاح ٩)

هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. ضموا مُحْرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحمًا. لأنى لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة مُحْرقة وذبيحة. بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً اسمعوا صوتى فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لى شعباً (إرميا: ٧: ٢١-٢٣)، والله أعلم.

س ٢٤٥- إن القرآن يعطى معلومات مختلفة عن خلق الإنسان، فمرة يقول إنه خلق من {تراب} [الحج: ٥] ومرة من {حَمَلٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٢٨] ومرة من {طينٍ لَازِبٍ} [الصافات: ١١] ومرة {مِن نُّطْفَةٍ} [يس: ٧٧] ومرة {مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ} [المرسلات: ٢٠] فما كل هذا التخبط؟

ج ٢٤٥- إن هذا ليس من التخبط فى شىء، ولكنه عرض لصور مختلفة من أطوار خلق الإنسان، كما قال تعالى: {وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا} [نوح: ١٤] فقد كانت بداية خلق الإنسان من التراب الذى مَزَجَ بالماء فصار طيناً {طينٍ لَازِبٍ} ثم تجمد هذا الطين وجعل فيه تجويف من الداخل، فأصبح كالفخار {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن: ١٤] وكان هذا الفخار متغير الرائحة {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٢٦] ثم نفخ الله فيه من روحه فأصبح إنساناً سوياً، وهو سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ثم جاء نسله بعد ذلك من {ماءٍ مَّهِينٍ} وقد اكتشف العلماء أن عناصر التربة نفسها موجودة فى الإنسان، وهى الحديد، والمغنسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والكالسيوم... إلخ، مما يؤيد خلقه منها، حتى إنهم اكتشفوا أن نسبة المواد الصلبة فى الإنسان إلى الماء كنسبة اليابسة إلى الماء على وجه الكرة الأرضية. أما مراحل تكوين خلق الإنسان فى بطن أمه فقد ذكرت فى أكثر من موضع.. مثل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلُوفٍ مِنْ طِينٍ} ④ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ⑤ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَقَةَ

مُضَغَّةً فَخَلَقْنَا الْمُضَغَّةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٢-١٤] (وقد تكلمنا عن هذه الآية ومطابقتها للعلم في الرد على الشبهة رقم (٢٨) وبالله التوفيق) وبعد موت الإنسان يرجع إلى أصل تكوينه، لأن أى بناء يُبنى من أسفله إلى أعلاه، ولكن عند هدمه يُهدم من أعلاه إلى أسفله، وهذا ما يحدث في الإنسان، فإن بداية خلقه كانت من التراب، وآخر شيء كان نُفخ الروح فيه، فعند موته تخرج روحه أولاً، ثم ينتفخ وتتصلب أعضاؤه كالفخار، وتتغير رائحته، ثم تنفتت أنسجته فيصبح كالطين، ثم يصير تراباً، والله أعلم.

س٢٤٦- إن القرآن يقر بأن إبراهيم كان مشركاً، فقد ذكر قوله: {هَذَا رَبِّي} على الكوكب والقمر والشمس، في الآيات (٧٦-٧٨) من سورة (الأنعام) في حين أنه يمدحه في آيات كثيرة، فكيف يثنى عليه والشرك عندكم أعظم الذنوب بنص القرآن؟

ج٢٤٦- كيف نرد على من اتهم سيدنا إبراهيم بالشرك، وهو أبو الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ وهل يُعقل أن يصفه القرآن بالشرك بعد أن وصفه بقوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}؟ [النحل: ١٢٠] إن ما جاء في الآيات الكريمة من سورة (الأنعام) هو من باب مجازاة الخصم في الحجة، فهو يستدرج قومه ليؤمنوا بالله سبحانه وتعالى، ولكن بأسلوب مُشوّق يأخذ بأيديهم خطوة خطوة ليصل بهم إلى التوحيد، بدليل قول الله تعالى بعد سرد قصة محاورته مع قومه: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ٨٣] فهي حجة آتاها الله سيدنا إبراهيم على قومه، فكيف يؤتبه إياها ثم يصفه بالشرك من أجلها؟ إن هذا الأسلوب الذي أُوتيه سيدنا إبراهيم في الإقناع لم يأت في هذه الآيات وحدها، بل جاء ما هو مشابه له في آيات أخرى، كما حدث عندما كسر أصنامهم، وقالوا له: {ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِقَاهِلَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: ٦٢] فأشار بإيهامه إلى أكبر أصنامهم، وقال لهم: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} ليشربوا إلى رشدهم، وليعلموا أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، وقد أقنعهم بذلك فعلاً، بدليل قول الله تعالى: {فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ} ولكن بعد اقتناعهم

أصروا على كفرهم {ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ} وأمروا بحرقه {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتِكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} فأجابه الله سبحانه وتعالى من النار {قُلْنَا يَنْتَازِكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ}

وجدير بالذكر هاهنا أن نذكر تناقضاً ورد في الكتاب المقدس بشأن سيدنا إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: فدعا إبراهيم ذلك الموضع يهوه يرأه. حتى إنه يُقال اليوم في جبل الرب يُرى (تكوين ٢٢: ١٤) ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء. وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم. (خروج ٦: ٢-٣) إن النص الأول يثبت لسيدنا إبراهيم أنه عرف ربه باسم (يهوه) وأنه سمي المكان الذي أمر فيه بذبح ابنه (يهوه يرأه) أما النص الثاني فقد نفى عنه معرفة ربه بهذا الاسم، والله أعلم.

س٢٤٧- يتناقض القرآن مع نفسه فيقول: {وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَنِينٌ} [الروم: ٢٦] ثم يقول: {وَإِن تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنعام: ١١٦] ويتحدث في آيات كثيرة عن قصص الكافرين والمكذابين لرسولهم، فكيف يقنت ويخضع له كل من في السموات والأرض، وقد كفر به هؤلاء؟

ج٢٤٧- إن كلمة {قَنِينٌ} ليست بمعنى (مؤمنون) أو (طائعون) ولكنها بمعنى (خاضعون) أي خاضعون لإرادته رغماً عنهم، فالمؤمن والكافر، والطيع والعاصي، والبر والفاجر، لا يستطيعون الخروج عن مشيئته سبحانه وتعالى، فهم مقهورون على كثير من الأشياء لا يستطيعون تغييرها. فمثلاً: هل يستطيع أحد أن يغير شيئاً في خلقته، سواء كان لون بشرته، أو طوله وقصره، أو قسماط وجهه؟ هل يستطيع أن يتحكم في ضربات قلبه، أو نفسه، أو حركة أمعائه؟ هل يستطيع ألا يمرض، أو يموت، أو تصيبه الشيوخة.. إلخ؟ أما كونه كافراً أو عاصياً فلأنه مخير بين الإيمان والكفر، وبين الطاعة والمعصية، ليُجازى يوم القيامة بعمله، أما لو كان مجبراً على الطاعة (كالملائكة) فكيف يكون اختباره إذن؟ إن الملائكة وجميع المخلوقات - عدا الإنس والجن - مجبولون على الطاعة، لا يستطيعون الخروج عنها، ولا الفكك منها، ولذلك فليس لهم جنة أو نار، أما الإنس والجن فهم المعنيون بالتكليف والثواب والعقاب، إذن فالآية الأولى تتكلم عن الأشياء التي جُبل الإنس

والجن عليها، ولا اختيار لهم فيها، والله أعلم.

س ٢٤٨- إن القرآن يتناقض مع نفسه فيقول: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرِي} [القصص: ٣٨] أى أن فرعون ادعى الألوهية، ثم يثبت فى آية أخرى أن فرعون نفسه كان له آلهة أخرى، فيقول: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذُرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ} [الأعراف: ١٢٧]

ج ٢٤٨- قال بعض المفسرين: إن معنى الآية الثانية (ويدرك وعبادتك) أى أنهم ستركونه ويتركون عبادته، كما قرأها على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما {ويدرك وإلهتك} أى (والوهيتك) وقال بعضهم: إن فرعون صنع لهم أصناماً صغيرة، وأمرهم أن يعبدوها لتقربهم إليه، وكأنه صنع هذه الأصنام على صورته لتذكرهم به ويعبدوه فى كل مكان، ولذلك قال لهم: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ} [النازعات: ٢٤] أى أنه أعلى من كل هذه الأصنام.

ومن يطلع على التاريخ المصرى القديم، ويدرس ديانة الشعب وفراغته، يجد كثيراً من المعبودات والتماثيل والطقوس والرموز والمعابد لها فى كل إقليم ولكل موسم ولكل مناسبة، ولما أراد بعضهم ضمها وتوحيدها ظهر لهم معبودات أكبر مثل: (آمون) و(آتون) و(رع) وقد ادعى فرعون أنه ابن الإله، ثم ادعى أنه هو الإله نفسه، ووافق الكهنة، والله أعلم.

س ٢٤٩- يتناقض القرآن مع نفسه فى مسألة فرعون، فمرة يثبت أنه نجا، فيقول: {فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ رَبِّي وَكَانَ لِتُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً} [يونس: ٩٢] ومرة يثبت أنه غرق فيقول: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [القصص: ٤٠]

ج ٢٤٩- هل قال الله سبحانه وتعالى: {فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ} وانتهى الأمر؟ أم أنه قيدها بقوله: {بِبَدْنِكَ}؟ إن فرعون قد أغرقه الله جل وعلا، ولكنه أمر البحر أن يطرد جسده على الشاطئ لتكون عيرة لمن جاء بعده، بينما اختفت جثث جيشه ودوابهم، وهو معنى قوله تعالى: {لِتُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً} وقد أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت على موميائه أنه مات غرقاً، وقد ذكرنا بعض آيات الله سبحانه وتعالى فى نجات جثة فرعون، فى الرد على الشبهة رقم (٣٥٥) وبالله التوفيق.

وقد جاء في الكتاب المقدس تناقض بين الأماكن التي مات فيها سيدنا هارون، على نبينا وعليه الصلاة والسلام:

ف فعل موسى كما أمر الرب وصعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة. فخلع موسى عن هرون ثيابه وألبس العازار ابنه إياها. فمات هرون هناك على رأس الجبل. (عدد: ٢٠: ٢٧-٢٨)

فصعد هرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك (عدد: ٣٣: ٣٨) يتضح من هذين النصين أن سيدنا هارون مات على جبل هور، ثم يأتي النص التالي فيقرر أنه مات في موسير، وعلى هذا يكون قد مات مرتين في مكانين مختلفين: وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بنى يعقان إلى موسير. هناك مات هرون (تثنية: ١٠: ٦)، والله أعلم.

س ٢٥٠- يقول القرآن: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: ١٠] ثم يناقض نفسه فيقول: {وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨] فهل العزة لله أم له ولرسوله وللمؤمنين؟

ج ٢٥٠- إن العزة لله سبحانه وتعالى، ولكنه يعز من يشاء ويذل من يشاء، يعز أوليائه ويذل أعداءه {وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ} [آل عمران: ٢٦] فعزة الرسول ﷺ وأتباعه من عزة الله جل وعلا، أى أنه هو الذى وهبها لهم، والله أعلم.

س ٢٥١- يقول القرآن إن نوحاً دعا على قومه فأغرقهم الله، في حين أنه يعكس ترتيب الأحداث، فيقول: {وَمِمَّا حَطَّيْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا} وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [نوح: ٢٥-٢٦] فكيف يفرقهم ربه، ثم يدعو عليهم نبيهم؟

ج ٢٥١- إن هذا ليس ترتيباً زمنياً للأحداث، ولكنه ترتيب حسب أهميتها، كما ذكرنا مثل ذلك في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ} عَمَّ الْقُرْآنَ {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن: ١٤] (في الرد على الشبهة رقم ٤٦٣) فالله سبحانه وتعالى أغرق قوم نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بسبب خطيئاتهم {وَمِمَّا حَطَّيْتَهُمْ أَغْرَقُوا} وكان هذا جزاؤهم المقدر عنده جل وعلا، سواء دعا عليهم نوح أو لم يدع، ثم جاء ذكر دعائه

عليهم رغم أنه حدث قبل إغراقهم، ولو جاء قبله لظننا أن إغراقهم كان بسبب هذا الدعاء. وقد كانت سنة الله في الأمم السابقة أن يهلكهم إن لم يؤمنوا بأبيائهم، كما فعل مع قوم هود، وصالح، ولوط، وغيرهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٠]، والله أعلم.

س ٢٥٢- يقول القرآن عن الناس: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ} [القمر: ٧] ثم يقول عنهم: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} [القارعة: ٤] فهل هم فراش أم جراد؟

ج ٢٥٢- الحديث في سورة (القمر) عن حالة البعث والنشور، والخروج من القبور {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ} لأن {الْأَجْدَاثِ} هي القبور، وهذه الحالة بعد النفخة الثالثة. أما في سورة (القارعة) فالحديث عن أول أحداث يوم القيامة، وهي التي تحدث بعد النفخة الأولى، وهي نفخة الفزع، فيكون الناس أثناء انهيار الكون {كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}، والله أعلم.

س ٢٥٣- يتناقض القرآن مع نفسه فيقول: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢] ثم يقول: {فَأَرْزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} [البقرة: ٣٦] {قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [القصص: ١٥] {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [الأعراف: ٢٠٠] إن هذه الآيات تثبت سلطان الشيطان على هؤلاء الأنبياء.

ج ٢٥٣- إن هذا لا يعتبر سلطاناً على الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأن السلطان المنفى عن الشيطان على عباد الرحمن هو سلطان الغواية والضلال، كما قال تعالى حكاية عن إبليس: {قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [إلا عبادك ويتهم المخلصين] [الحجر: ٣٩-٤٠] ولكن لا مانع من وسوسته للمؤمنين بفعل بعض الصغائر، أو بصرفهم عن عظيم الطاعات إلى ما هو أقل منها، لأنه لا يجزئ أن يوسوس لهم بالكفر، أو الشرك، أو الكبائر، ولكنهم في الغالب لا يطيعونه حتى

في الصغائر، وإن أطاعوه فسرعان ما يستغفرون الله جل وعلا.
وقد جاء في الكتاب المقدس تناقض في من حرض سيدنا داود - على نبينا وعليه
الصلاة والسلام - على محاربة إسرائيل، إذ يقول:
وعاد فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امض وأحص
إسرائيل ويهوذا. (صموئيل الثاني ٢٤: ١) ثم يقول:
ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصى إسرائيل. (أخبار الأيام الأول ٢١:
(١)

فالنص الأول يقول إن الله سبحانه وتعالى هو الذي جعل داود يحارب إسرائيل، والنص
الثاني يقول إن الشيطان هو الذي أغواه حتى يحاربهم، والله أعلم.
س ٢٥٤ - يقول القرآن: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٢٥٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧-٨] بينما يقول في آية أخرى: {أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
حَسِيبًا} [الإسراء: ١٤] إذن الأمر غير واضح في مسألة الحساب، فهل تُقرأ الأعمال يوم
القيامة أم تُرى؟

ج ٢٥٤ - إن الأعمال يوم القيامة تُرى وتُقرأ، ولقد استطاع الإنسان في العصر الحديث
أن يسجل كل شيء بالصوت والصورة، ألا يستطيع من وهبه العقل أن يفعل ذلك؟
أيعطيه السمع وهو لا يسمع؟ أيعطيه البصر وهو لا يبصر؟ أيعطيه العلم وهو لا يعلم؟
وهل هذا يُعقل؟ إن فاقد الشيء لا يعطيه، قال تعالى حكاية عن الكفار: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ
فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩] ولكن
هناك أمراً هاماً.. فقد يرى العبد في كتاب أعماله يوم القيامة أنه يصلى أو يحج أو
يجاهد... إلخ، ولكن الصورة في هذه الحالة لا تُغنى، فقد يكون الذي رآه من طاعة كان
رياءً أو نفاقاً، ولكن المقروء هو الأخطر، لأنه لا بد أن يصدق المقروء المنظور في أن هذه
الطاعة كانت خالصة لله، أما إذا كان المقروء مخالفاً للمنظور فقد يكون المنظور وبالأعلى على
صاحبه، لأنه يرى ما فعل أنه كان لغير وجه الله، فلا يُثاب عليه، والله أعلم.

س ٢٥٥ - ينفي القرآن أنه بُعث من النساء أنبياء أو رسل، فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ} [يوسف: ١٠٩] وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٣] و [الأنبياء: ٧] ثم ناقض نفسه فقال: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا نُوحِي} [طه: ٣٨] وقال: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص: ٧] ج ٢٥٥- نود أن نسألكم: حينما قال الله سبحانه وتعالى: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ} [النحل: ٦٨] فهل اتخذ من النحل أنبياء ورسلاً؟ وحينما قال عن الأرض: {يَأْنِ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا} [الزلزلة: ٥] فهل أصبحت الأرض نبيية أو رسولة؟ إن الله سبحانه وتعالى لم ينف الوحي عن غير الرجال، ولكنه نفى الرسالة، فارجعوا إلى الآيات التي ذكرتموها فستجدونها قالت: {وَمَا أَرْسَلْنَا} ولم تقل (وما أوحينا) أما الوحي الذي أوحاه الله لأم سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فهو وحي إلهام وتوفيق، وليس وحي رسالة، وأما النحل والأرض فوحيهما وحي أمر وقهر. وقد شاع بين الفلاسفة، والحكماء، والأطباء، وأهل التربية، والتدريب، ما يُعرف بفن (الإيحاء) في العلاج، والتأثير النفسي، على نطاق واسع، ووجدوه وحي إلهام، تصنعه قوة وجاذبية عند شخصية من يمارسه، ويتم بوسائل سمعية، أو بصرية، أو عقلية، وحي بالتنويم والتخدير {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ}، والله أعلم.

س ٢٥٦- يقول القرآن: {قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] ويقول: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤٢] فالآية الأولى معناها أن المشركين يكذبون على الله، والثانية معناها أنهم لا يكذبون عليه، فما هذا التناقض؟

ج ٢٥٦- المشركون حين يرون أهوال يوم القيامة، ويعلمون أنهم كانوا على الباطل، وأن المؤمنين كانوا على الحق، يحاولون أن يكذبوا على الله جل وعلا حتى ينجيهم، فيقولوا: {وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} وهم أغبياء في ظنهم هذا، لأن الله عز وجل {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [سبا: ٣] والله سبحانه وتعالى قد بين في الآية التي تليها من سورة (الأنعام) أنهم يفعلهم هذا قد كذبوا على أنفسهم، فقال: {أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ^٤ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} وحين كذبوا على أنفسهم وأنكروا أنهم كانوا مشركين، ختم الله على أفواههم وأنتطق جوارحهم بما كانوا يفعلون، كما قال جل وعلا: {حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [فصلت: ٢٠] ونُطِقَ جوارحهم بأعمالهم تأويل لقوله تعالى: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} وهذا المعنى قد وضحه رسول الله ﷺ في قوله: "يقول العبد يوم القيامة: يا رب ألم تُجِرني من الظلم؟ فيقول: بلى فيقول: إني لا أُجيزُ على نفسى إلا شاهداً منى، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختتم على فيه ويقال لأركانه: انطقى، فتنطق بأعماله، ثم يحلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فعنك كنت أناضل" [صحيح الجامع: ٨١٣٤] وهذا ليس خاصاً بالكافرين، بل يشمل المنافقين أيضاً، كما حكى عنهم القرآن في قوله: {يَوْمَ يَتَعَلَّمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكَرَّ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ؕ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [المجادلة: ١٨]، والله أعلم.

زعم تناقض القرآن مع السنة

س ٢٥٧- يقول القرآن: {يَأْتِيَا الرُّسُولَ يُبَلِّغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧] ثم يقول نبيكم: "ما زالت أكلة خبير تعاودني كل عام حتى كان هذا أوان قطع أهرى" [صحيح الجامع: ٥٦٢٩] فكيف يعصمه الله من الناس ثم يموت مسموماً؟

ج ٢٥٧- إن الذي سأل هذا السؤال لم يفهم معنى الآية الكريمة، ففي هذه الآية يُطْمَئِنُّ اللهُ عز وجل رسوله ﷺ أنه سيمكته من تبليغ رسالته، فلا يقدر أحد على منعه من تبليغها، والمنع إما يكون بالقتل أو الحبس أو النفي، والحمد لله لم يحدث أى شيء من هذا، حتى أتم تبليغ رسالة ربه جل وعلا، وكانت آخر آية نزلت عليه في حجة الوداع هي قول الله جل وعلا: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] وكان من خطبته ﷺ في حجة الوداع في يوم عرفة أن قال لهم: "ألا هل بلغت.. اللهم اشهد" قالها ثلاثاً وهو يرفع إصبعه الشريفة نحو السماء، ثم يخفضها نحوهم. والدليل على عصمة الله له في السؤال نفسه.. كيف؟ هم يقولون إن نبيكم مات مسموماً - وهذا حق - ولكننا نريد أن نسالهم: لماذا لم يمُت في حينها وقد كان سُمّاً زُعافاً بمجرد أن أكل منه سيدنا بشر ﷺ مات في حينها؟ فالحمد لله أن الحجّة عليهم في سؤالهم. أما بعد تبليغ الرسالة فقد انتهت مهمته، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجمع له بين أجر الشهادة وأجر النبوة والرسالة، حتى لا يُكُنْ أى نبي أفضل منه، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد وردت في الكتاب المقدس تناقضات كثيرة بشأن صلب المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فمعظم رواياتهم تقول إنه صُلب، في حين أن الروايات الأخرى تقول إنه تنبأ بأنه سينجو من اليهود، وأنهم لن يستطيعوا الوصول إليه، ونحن لا نناقش مسألة صلبه لأن هذا يطول شرحه، ولكن سنورد فقط بعض ما تنبأ به من نجاته، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب الشيخ (أحمد ديدات) رحمه الله تعالى:

سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة

خداً ما ليمسكوه. فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذي أرسلني. ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. (يوحنا ٧: ٣٢-٣٤) وحتى لا تقولوا ربما كان قصده أن هذا بعد موته، أي أنه في الآخرة، يرُدّ عليكم ما جاء في الإصحاح نفسه: وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ولكن لم يُلق أحد عليه الأيادي فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم لماذا لم تأتوا به.

(يوحنا ٧: ٤٣-٤٥)

قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضى وستطلبونني وتموتون في خطيئكم. حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. فقال اليهود أعله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. فقال لهم أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق. أنتم من العالم. أما أنا فلست من العالم... فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه (يوحنا ٨: ٢١-٢٩) وحتى لا تقولوا - أيضاً - إن هذا يوم القيامة، يقول آخر الإصحاح: فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختمني وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم (يوحنا ٨: ٥٩) ومما يدل على أن اليهود فهموا أن هذا في الدنيا.. قولهم: (أعله يقتل نفسه) وحتى لا تظنوا أن قوله: (أنتم من العالم. أما أنا فلست من العالم) خاص به - أي أنه ليس من عالم البشر كما ترعمون - فقد قالها عن أتباعه أيضاً: أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني لست من العالم. (يوحنا ١٧: ١٤)

لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب. ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل (متى ٢٣: ٣٩) في هذا النص يجزم لليهود أنهم لن يروه من هذه اللحظة حتى يأتي للعالم مرة أخرى.

هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام. في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم (يوحنا ١٦: ٣٢-٣٣) إن هذا يعني أن الله لن يتركه، وسوف ينجيّه، ولكنه تركه (بزعمكم) وها هو يعاتبه: صرخ

يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لما شبقنى أى إلهى إلهى لماذا تركنى. (متى ٢٧: ٤٦)

ألا ترون معنا أن بعض عبارات هذه النصوص تتوافق مع عقيدتنا بأن المسيح لم يُصَلَّب وأن الله رفعه إليه؟ وإلا.. فماذا يعنى قوله: (ثم أمضى إلى الذى أرسلنى. ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا)؟ وقوله: (حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا)؟ وقوله: (أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق)؟، والله أعلم.

س ٢٥٨- تقولون إن نبيكم كانت له معجزات مُشاهدة غير القرآن، مع أن القرآن ينفى ذلك فيقول: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَنَّهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٠٩] ويقول: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ بِكُفْرَتِكَ} أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَسَىٰ فَتُنْفَجِرَ الْأَنْهَارُ خِلْفَهَا تَفْجِيرًا} أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا} أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء: ٩٠-٩٥] فكيف نفهم هذا التناقض؟

ج ٢٥٨- قد أوضحنا في الرد على الشبهة رقم (٤٥٢) أن الله لو أحاب المشركين فيما طلبوه من الآيات، ثم لم يؤمنوا بها لأهلكهم، كما ورد في قوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: ١١٥] وقوله: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ} وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩] فالله سبحانه وتعالى لم يجيبهم فيما ما طلبوه، لأنه يعلم أنهم سيكذبونه، وبعثة الرسول ﷺ انقطع عذاب الاستئصال الذى كان يصيب الأمم السابقة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] ولكن الله عز وجل لم يحرم الرسول ﷺ من المعجزات الحسية، مثل حديث الذئب الذى رواه الإمام أحمد بإسناد جيد والترمذى والحاكم بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: عدا ذئب على شاة فطلبه الراعى فانزعاها منه، فألقى الذئب على ذئبه (أى قعد) وقال: ألا تتقى الله؟ ترع منى رزقا ساقه الله إلى؟ فقال الراعى: يا عجبا! ذئب مُقِع على ذئبه

يكلمنى بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخيرك بأعجب من ذلك؟ محمد يثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، يدعو الناس إلى الهدى والحق وهم يكذبونه، فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودى بالصلاة جامعة، فقال للأعرابي: "أخبرهم بما شاهدته يُسرُّوا ويزداد إيمانهم" فأخبرهم، وكان الرجل يهودياً فأسلم، ثم قال ﷺ: "إنها أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدته نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله من بعده" وفي رواية عن أبي هريرة ؓ قال الذئب للراعى: أنت أعجب منى واقف على غنمك، وقد تركت نبياً لم يعث الله نبياً قط أعظم منه قدراً عنده، وقد فتحت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب (أى الطريق) فتصير من جنود الله، قال الراعى: من لى بغنمى؟ قال الذئب: أنا أرهاها حتى ترجع، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى إلى رسول الله ﷺ فقال له النبى: "عُدْ إلى غنمك تجدها بوفرها" (أى لم ينقص منها شيء) فعاد فوجدها على عددها وتمامها، فذبح للذئب شاة منها. وروى البيهقى والطبرانى والحاكم وابن عدى والدارقطنى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ كان فى محفل من أصحابه (أى جماعة) إذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضباً (حيوان صغير أكبر من الفأر وأصغر من الأرنب) وجعله فى كُمَّه ليذهب به إلى رَحْله فيشويه ويأكله، فلما رأى الصحابة ؓ قال لهم: من هذا؟ قالوا: نبى الله، فأتاه فقال: يا محمد.. ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك، فلولا أن تسمينى العرب عجولاً لقتلتك، وكَسَرَرْتُ الناس أجمعين بقتلك، فقال عمر ؓ: يا رسول الله دعنى أقتله، فقال ﷺ: "أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبياً؟" ثم أقبل الأعرابى على رسول الله ﷺ فأخرج الضب من كمه وقال: واللوات والعزى لا آمنتُ بك حتى يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ فقال له: "يا ضب" فأجاب بلسان طلق فصيح عربى مبين، يفهمه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وائى القيامة، قال: "من تعبد؟" قال: أعبد الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى البحر سبيله، وفى الجنة رحمته، وفى النار عقابه، قال: "فمن أنا؟" قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدَّقك وخاب من كذَّبك، فقال الأعرابى: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً،

ولقد جئتكم وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلى منكم، ووالله لأنت الساعة أحب إلى من نفسي وولدي، فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي. وهناك معجزات أخرى مثل شق القمر، وحنين الجذع إليه، وكلام الشاة المسمومة، وشكوى الناقة له ممن يجوعها، وتفجر الماء من بين أصابعه بعدما وضعها في كمية قليلة من الماء وسقى الجيش، وتكثير الطعام الذي كان لا يكفي إلا لفردين أو ثلاثة حتى أكل منه الجيش بأكمله، وإخباره ﷺ ببعض الغيبات مثل فتح مكة والعراق واليمن وبلاد الشام، وهزيمة هرقل وكسرى، وتبشير سراقبة بن مالك بأخذ تاج كسرى وأساوره ونطاقه (حزامه) وقد حدث هذا بالفعل في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه، ومعجزات غير ذلك كثيرة، وقد كانت هذه المعجزات تحدث أمام الصحابة رضي الله عنهم فيزدادون إيماناً مع إيمانهم. والإمام ابن تيمية - رحمه الله - له كتاب اسمه (الفارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) به أكثر من ١٠٠٠ معجزة حسية للرسول ﷺ.

مما سبق يتضح لنا أنه لا يوجد تناقض بين الآيات وما حدث للرسول ﷺ من معجزات، فالمعجزات التي طلبها الكفار لم يستجب الله لهم فيها لأنه - كما قلنا - لو استجاب لهم ثم لم يؤمنوا بما لأهلكهم، أما المعجزات المادية التي ذكرنا بعضاً منها فكانت تحدث أمام عدد قليل - أغلبهم من الصحابة رضي الله عنهم - ولم يُعَوَّلَ عليها في الإيمان مثل القرآن، ولكنها كانت تزيد المؤمنين إيماناً و يقيناً، أما المُعَوَّلُ عليه المُتَحَدَّى به فهو القرآن العظيم، كما قال الله عز وجل: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: ٥٠-٥١]، والله أعلم.

س ٢٥٩- يقول القرآن: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] في حين أن نبيكم يقول: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار" [صحيح الجامع: ٧٠٦٣] كيف يكون رحمة للعالمين، وقد أدخل اليهود والنصارى النار؟

ج ٢٥٩- هذا الحديث لا يتناقض مع الآية، لأنه بيعة الرسول ﷺ انتهى عذاب الاستئصال، أما قبله فكانت الأمم المكذبة لرسولهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

- يُجَمَعُ عَلَيْهِمْ عَذَابَانِ.. عَذَابُ الْإِسْتِصْصَالِ فِي الدُّنْيَا بِالْخَسْفِ أَوْ الْقَذْفِ أَوْ الْغُرْقِ .. إِنْخِ
 {فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ} [الحجر: ٧٣] {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف: ٧٨] {فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا}
 [الحجر: ٧٤] {فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف: ٥٥] ثم يبقى لهم عذاب الآخرة، أما الذين
 كفروا بسيدنا محمد ﷺ فلم يستأصلهم الله عز وجل، ولكنه أمهلهم إلى يوم القيامة لعلهم
 يتوبون إليه ويستغفرونه {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ} [المائدة: ٧٤] فبذلك يكون
 الرسول ﷺ رحمة للعالمين. ربما يقول قائل: إن الذين لم يؤمنوا بموسى وعيسى لم يهلكهم
 الله كما أهلك من قبلهم، فنقول له: إن قولك هذا صحيح، ولكنهما - على نبينا
 وعليهما الصلاة والسلام - لم يُرسلا إلا لبني إسرائيل، فعدم تعذيب قومهما لا يُعتبر رحمة
 للعالمين، أما الرسول ﷺ فقد بعثه الله لجميع الأمم من الإنس والجن إلى أن يرث الله
 الأرض ومن عليها، فبذلك تكون رسالته رحمة للعالمين، والله أعلم.

س ٢٦٠- يقول القرآن: {إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا
 مَدْبِرِينَ} [النمل: ٨٠] ويعارضه نبيكم فيقول: "إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه
 أصحابه، حتى إنه يسمع قرع نعالمهم" إلى آخر الحديث [صحيح الجامع: ١٦٧٥] وأنه
 كلم قتلى بدر من المشركين، وقال لعمر: "ما أنت بأسمع منهم" حين قال له: أتنادى
 على قوم قد جئفوا؟ وكان إذا مر على قبور المسلمين ألقى عليهم السلام، فالقرآن
 نفى السمع عن الموتى وأثبته لهم نبيكم.. فما هذا التناقض؟

ج ٢٦٠- هناك سماع حسّي بالأذن، وهذا يشترك فيه كل الناس.. المؤمن والكافر،
 وهناك سماع استجابة وهو معنوي، أى السماع الذى ينفعهم، كالذى يقول لولده: اذهب
 إلى مدرستك، ذاكر دروسك.. اعمل كذا وكذا، وحين لا يستجيب له الولد ماذا يقول
 له؟ يقول له: (اسمع الكلام). فهل هو غير سامع للكلام؟ إنه يسمع بأذنيه سمعا جيدا،
 ولكن سمعه هذا لا ينفعه، لأنه لا يستجيب لأوامر والده. وقوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ
 الْمَوْتَى} مثل ضربه الله للمشركين بأنهم كالموتى الذين لا يمكنهم الاستجابة للرسول ﷺ
 مع أنهم يسمعون صوته، وذلك كقول الله عز وجل: {صُمُّ بَكْمٌ عُتَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}
 [البقرة: ١٨] فهل كان الكافرون صمًا بكما عمياً بجواسهم؟ أم كانوا صمًا عن سماع الحق،
 بكما عن النطق به، عمياً عن رؤيته؟ وهذا يسمى في اللغة تعبيراً مجازياً، وهذا يتضح أنه لا

يوجد تناقض بين الآيات التي نفت السمع عن المشركين، وبين أحاديث رسول الله ﷺ التي أثبتته لهم، فحين وقف الرسول ﷺ على مدافن أهل القليب من المشركين وناداهم: يا أبا جهل يا وليد بن عتبة يا شيبه بن عتبة يا فلان يا فلان "لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً" فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه: أتنادى على قوم قد جيفوا؟ فقال له: "ما أنت بأسمع منهم" وفي رواية: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً" [صحيح مسلم] والآية الكريمة التي وردت في السؤال فيها تشبيه للكفرة بالصم، وهنا قد يقول قائل: إن الصم لا يعوقهم الصمم عن الفهم، كما نشاهد في عصرنا من يترجم للصم نشرة الأخبار أو أى برنامج بلغة الإشارة، ولكن انظر إلى الدقة في التعبير {إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} أى أنهم ليسوا صماً فقط، ولكنهم يولون مدبرين، فأنتى لهم الرؤية حتى يفهموا؟، والله أعلم.

س ٢٦١- يقول القرآن: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَرَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل: ٨٩] وهذا يناقض قول نبيكم: "خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله" لأن من قال: لا إله إلا الله فسيجازى بخير منها.. إذن هناك خير من لا إله إلا الله.

ج ٢٦١- خير كلمة هي (لا إله إلا الله) كما قال الرسول ﷺ، والمسلم إذا قالها فسيجازى بخير منها، ولكن ليس معنى هذا أنه سيجازى بخير منها في معناها، ولكنه سيجازى بأضعافها، فكلما قالها مرة كتبت له كأنما قالها عشرأ أو أكثر، فيكون هذا خيراً منها. وهناك تفسير آخر قاله الشيخ الشعراوي رحمه الله: وهو أنه سيجازى بخير منها بمعنى أنه خير نابع منها، أى أنها كانت سبباً في الأعمال الصالحة والخير الكثير الذى سيجازى به يوم القيامة، وذلك كمن يقول: محمد خير من ربه، وهو لا يقصد أن سيدنا محمداً ﷺ أفضل من ربه (أى المساوية لأفعل التفضيل) ولكنه يقصد أن محمداً خير جاء من عند ربه، وذلك كما تقول - {وَاللَّهُ أَلَمْتُ الْأَعْلَى} - لإنسان جاءك من عند الوزير ليخدمك: أنت خير من الوزير، فهل تقصد أنه أفضل منه أم أنك تقصد أنه خير جاء من عنده؟، والله أعلم.

س ٢٦٢- يقول القرآن: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف: ٧٢] ثم يناقض محمد القرآن فيقول: "لن يدخل أحداً عمله الجنة ولا أنا، إلا

أن يتغمدي الله بفضل رحمته" فهل تدخلون الجنة بعملكم كما قال قرآنكم، أم برحمة ربكم كما قال نبيكم؟

ج ٢٦٢- إن الرسول ﷺ ينفي أن عملنا سيدخلنا الجنة، ولكن لا بد أن نعمل بنص بقية الحديث، فهو يقول: "لن يدخل أحداً عمله الجنة ولا أنا إلا أن يتغمدي الله بفضل رحمته، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنى أحدكم الموت، إما محسن فلعله يزداد خيراً، وإما مسيء فلعله أن يستعذب" [صحيح الجامع: ٥٢٢٢] فكيف نفهم هذا؟ لنضرب مثلاً - {وَلَيْتَهُ آتَمُّنَ الْأَعْنَ} - بعض الكليات منذ عدة سنوات - وربما إلى الآن - كانوا يجهزون للطلبة وجبة يومية مكونة من قطعة لحم، أو ربع دجاجة، ومعها خضار وفاكهة.. إلخ، وكانوا يأخذون من الطلبة ثمناً زهيداً لهذه الوجبة - وهو ما يُسمى بالسعر الرمزي - في حين أن هذه الوجبة تكلفت أضعافاً مضاعفة لهذا السعر، ولكن لو أن الطالب لم يدفع هذا القدر القليل من المال أكان يأخذ هذه الوجبة؟ لا- بل إن دفعه لهذا السعر الرمزي شرط لأخذها، فكذلك الجنة (مع الفارق العظيم طبعاً) لا يدخلها المؤمنون إلا إذا عملوا أعمال أهلها، وهذا هو المقصود بالآية الكريمة، وغيرها في معناها كثير، أما حديث الرسول ﷺ فهو أيضاً حق، لأن أعمالنا مهما بلغت فلن تكفي حتى لشكر نعم الله علينا، فضلاً عن أن تدخلنا الجنة، والله أعلم.

س ٢٦٣- يقول القرآن: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: ١٧] مع أن نبيكم يقول: "تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده هو أشد تفصيلاً من قلوب الرجال من الإبل من عقْلِها" [صحيح الجامع: ٢٩٥٦] فكيف يتيسر ثم يتفلسف؟

ج ٢٦٣- "تفصيلاً" أى تفلتاً وخروجاً، وليس هناك تناقض بين الآية والحديث، فإن الله سبحانه وتعالى قد يسر القرآن للذكر، ولولا ذلك لَمَا فهمه أو حفظه أحد. ومن تيسيره أنك تجد الطفل الصغير الذي يبلغ من العمر سبع سنين أو أقل يحفظه عن ظهر قلب، ويحفظه الأمي وغير العربي، عن طريق التلقين، وفي المسابقة التي أجريت عام ١٤٢٣ هـجر لِحفظ القرآن الكريم بدولة الإمارات، لنيل جائزة (رأس الخيمة) تقدم طفل، يبلغ من العمر سبع سنوات، يحفظ القرآن كاملاً، في حين أنه لا يستطيع أن يتكلم بكلمة عربية واحدة! فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي يتمكن الإنسان من حفظه كاملاً، بينما لا تجد أحداً

- كائناً من كان - يحفظ التوراة أو الإنجيل عن ظهر قلب، سواء كان حاخاماً أو قسيساً أو راهباً.. إلخ. ومن تيسير القرآن للذكر توحيد طريقة النطق به مهما كانت لغة القارئ أو جنسيته، فهل أحد منا يعرف جنسية القارئ أو لغته؟ فسواء كان القارئ مصرياً أو سعودياً أو سودانياً أو باكستانياً أو أوربياً.. إلخ، فإنك لا تعرف جنسيته أو لغته، لأن الجميع مرتبط بنفس الأحكام ومخارج الحروف وصفاتها، في حين أنك لو سمعت أحداً يتلو شيئاً من التوراة أو الإنجيل تدرك أنه عربي أم أعجمي. أما كونه يتفلسف فهذا لا ينافي تيسيره للذكر، فتيسيره للذكر يثبت تيسير دخوله إلى قلب الإنسان، وتفلسفه يثبت سهولة خروجه منه، وهذا في حد ذاته نعمة، لأنه يضطرك لكثرة مراجعته وعدم تركه، فلو أنه لا يتفلسف لَحَفِظَهُ الإنسان مرة واحدة ثم تركه، ولكن كثرة مراجعته تزيد الحسنات فتجعلها مثل الجبال، لأن قراءة كل حرف بعشر حسنات كما جاء في حديث الرسول ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول {الم} حرف، ولكن: ألفٌ حرف ولام حرف وميم حرف" [سنن الترمذي، صحيح الجامع: ٦٤٦٩] وقال: "الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران" [صحيح مسلم] "الذي يتتبع فيه" أي الذي يتعلمه ويجد مشقة في تعلمه، فيكون له أجر التلاوة وأجر التعلم. ثم إن القرآن عزيز.. إن تركته تركك، فلا بد من مراجعته ليثبت في صدرك، ولا بد من العمل به ليكون شاهداً لك لا عليك، ويكون في ميزان حسناتك بدلاً من أن يكون في ميزان سيئاتك، قال رسول الله ﷺ: "أُتيتُ ليلة أُسْرِيَ بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرِضت وُفّت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به" [صحيح الجامع: ١٢٩]، والله أعلم.

س ٢٦٤- يقول القرآن: {لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣] ثم ناقض نفسه فقال: {وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: ٢٢-٢٣] ويقول نبيكم: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا" [صحيح الجامع: ٢٣٠٦] ما كل هذا التخبط والتناقض؟

ج ٢٦٤- إن الإدراك غير النظر، فالله سبحانه وتعالى نفى الإدراك، وأثبت النظر للمؤمنين يوم القيامة، فالإدراك هو معرفة كُنه الشيء، فإننا نرى القمر - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - ولكننا لا نعرف كنهه، لأن ذلك يستلزم معرفة حجمه ووزنه ودرجة حرارته ومادة تكوينه وطول قطره وسرعة دورانه.. إلخ. فالإدراك هو تقييم الشيء والإحاطة به إحاطة تامة، أما النظر إليه فهو يسير بما أمدنا الله به من حاسة البصر، وهناك أشياء خلقها الله عز وجل في الدنيا ولكننا لا نستطيع رؤيتها، مثل الجن والكهرباء والإلكترونات.. إلخ، ونحن لا نستطيع أن نحيط بشيء من علم الله إلا بآذنه {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: ٢٥٥] فكيف به سبحانه وتعالى؟ فكما قيل: كل ما خطر ببالك فهو هالك، والله خلاف ذلك.

ونحن نسألکم.. هل يُرى الرب أم لا يُرى؟ فقد قال كتابكم المقدس:

ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه. (خروج ٣٣: ١١) لأن نظرتُ الله وجهاً لوجه (تكوين ٣٢: ٣٠) ثم يقول: وقال لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراى ويعيش. (خروج ٣٣: ٢٠) الله لم يره أحد قط (يوحنا ١٨: ١٨) حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص. (إشعيا ٤٥: ١٥)، والله أعلم.

س ٢٦٥- هناك تناقض واضح في عدد خزنة النار، فيقول القرآن: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر: ٣٠] ويقول نبيكم: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" [صحيح الجامع: ٨٠٠١]

ج ٢٦٥- إن التسعة عشر الذين ذكروا في سورة (المدثر) هم خزنتها، أما الذين ذكروا في الحديث فهم الذين يجرونها إلى أرض المحشر، فهناك فرق بين من يحرس الشيء (كبتك مثلاً) وبين من يحره، فالحراسة لا تحتاج لعدد كبير كالذى يحتاجه الجرّ.

وقد جاء في كتابكم المقدس تناقض بين عدد الملائكة الذين ذهبوا لسيدنا لوط على هيئة البشر، بعدما ذهبوا لسيدنا إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: وانصرف الرجال من هناك وذهبوا إلى سدوم (تكوين ١٨: ٢٢) ومن يقرأ الإصحاح من أوله يعلم أنهم كانوا ثلاثة، ثم يقول: فجاء الملاكين إلى سدوم (تكوين ١٩: ١)

وهناك تناقض آخر بين عدد المؤكّلين على أعمال سيدنا سليمان على نبينا وعليه

الصلاة والسلام:

هؤلاء رؤساء الموكّلين على أعمال سليمان خمس مئة وخمسون الذين كانوا يتسلطون على الشعب العاملين العمل (المرك الأول: ٩: ٢٣) وهؤلاء رؤساء الموكّلين الذين للملك سليمان متان وخمسون المتسلطون على الشعب. (أخبار الأيام الثاني: ٨: ١٠)، والله أعلم.

س ٢٦٦- يقول نبيكم: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه" [صحيح الجامع: ٤٨٧] فهل على بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعمار بن ياسر ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وكل من اشتركوا في المعركة حينئذ كفاراً؟ كما أن الحديث يتناقض مع الآية انق تقول: {وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} [الحجرات: ٩] فكيف يكونان مؤمنين ثم يدخلان النار؟

ج ٢٦٦- إن الرسول ﷺ قال: "المسلمان" أى فردين مسلمين، ولم يقل: {طَائِفَتَانِ} كما ورد في الآية الكريمة، فالمفروض أنه لو حدث نزاع أو شجار بين هذين المسلمين أن يتحاكما إلى ولي أمر المسلمين، فليس الأمر في الإسلام فوضى، يتقاتل الناس مع بعضهم دون الرجوع إلى وليهم، ولكن هناك نظام دولة يسير عليه الجميع، وهناك علماء وقضاة يحكمون بين الناس. ولا يعنى هذا أنه لو حدث شجار بين مجموعة من المسلمين ومجموعة أخرى داخل دولة واحدة أنهم مؤمنون، لقد قال رسول الله ﷺ: "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه" [صحيح الجامع: ٧٢٧٧] فالمفروض أن يتحاكم الناس فرادى وجماعات إلى ولي الأمر أو العلماء أو القضاة، ولا يجعلوا من أنفسهم دولة داخل الدولة. أما قوله تعالى: {طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} فينطبق على القتال الذى يدور بين دولتين منفصلتين، ولكل منهما حاكم منفصل عن الآخر (ولو كانا تحت إمرة الخليفة العام للمسلمين) وكل منهما لها فكر مختلف عن الآخر، وكل منهما تظن أنها على الحق، ولها من الحجج والبراهين ما يدفعها لقتال الطائفة الأخرى، فواجب المسلمين حينئذ أن يصلحوا بينهما، فإن بغت إحداها على الأخرى فليقاتلها حتى ترجع إلى رشدها، وتكفّ أذاها عن الطائفة الأخرى (كما

حدث بين العراق والكويت) فالحديث يتكلم عن أفراد داخل مجتمع واحد، والآية تعني مجتمعين مختلفين، والله أعلم.

س٢٦٧- يقول القرآن إن جزاء الحسنة بعشر أمثالها: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام: ١٦٠] ويناقض ذلك نبيكم، فيقول: "رأيت ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل! ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة" [سنن ابن ماجه]

ج٢٦٧- إن الحديث ليس بينه وبين الآية أى تناقض، فإن مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها فهذا هو الحد الأدنى لمضاعفة الحسنات، أما فضل الله سبحانه وتعالى فلا حرج عليه، فهو الذى قال: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١] وقال رسوله ﷺ: "إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بما فعلها كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بما فعلها كتبها الله تعالى سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك" [صحيح الجامع: ١٧٩٦] فمن الآية الكريمة والحديث الشريف يتضح لنا أن الحسنات تُضاعف إلى سبعمائة أو أكثر، أما القرض فإن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم أنه يضاعف أجره، فقال: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٤٥] وقال: {إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧] وقد قال الشيخ الشعراوي - رحمه الله - ما معناه: إن الإنسان إذا أقرض أخاه جنيهاً (مثلاً) فكأنه أقرضه عشرة جنيهاً، وعندما يسترد هذا الجنيه فكأنما أقرضه تسعة جنيهاً، فعندما تُضاعف (حسب الآية) تصبح هذه التسعة ثمانية عشر، ويضاعف الله لمن يشاء.

ونحن نسألکم.. كم كان مقدار فداء الإنسان من (شواقل القدس) حتى لا يحدث له وباء؟ أهو خمسة شواقل أم نصف شاقل؟ ثم إن (شاقل القدس) لم يكن على عهد سيدنا

موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ولكنه جاء بعده بزمن طويل، لأنه لم يكن قد قام (مُلك القدس) بعد، ولم يكن قد جرى صك (شاكل القدس) فهذا من الأخطاء الجسيمة التي يجب إزالتها من الكتاب المقدس. وها هو التناقض نطرحه بين أيديكم لتردوا علينا:

وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة خمسة شواقل على شاكل القدس. هو عشرون جيرة. (عدد ١٨: ١٦)

وكلم الرب موسى قائلاً إذا أخذت كمية بنى إسرائيل بحسب المعدودين منهم يعطون كل واحد فدية نفسه للرب عندما تُعدُّهم. لتلا يصير فيهم وبا عندما تعدهم. هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف الشاقل بشاقل القدس. الشاقل هو عشرون جيرة. نصف الشاقل مقدمة للرب. (خروج ٣٠: ١١-١٣) وحتى لا تقولوا إن الغني يدفع خمسة شواقل والفقير يدفع نصف شاقل، نذكركم بهذا النص: الغني لا يكثر والفقير لا يقلل عن نصف الشاقل حين تعطون مقدمة الرب للتكفير عن نفوسكم. (خروج ٣٠: ١٥) وأخيراً.. هل لكم أن تخبرونا ماذا سيفعل الرب بهذه الشواقل؟، والله أعلم.

س٢٦٨- أين عدل الإسلام في تعذيب الميت ببيكاء أهله؟ فقد قال نبيكم: "إن الميت ليعذب ببيكاء أهله عليه" [صحيح الجامع: ١٩٧٠] وأين هذا من قول كتابكم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؟

ج٢٦٨- إن ما جاء في الحديث الشريف ينطبق على من اشتهى هذا الأمر، فبعض الناس يعجبهم أن يحزن الناس عليهم، ويكون ذلك - ظناً منهم - دليلاً على محبتهم، لدرجة أن بعضهم يوصى أهله بالنواج عليه، وعمل السراذقات الفخمة، وإحضار كبار المقرئين، وكتابة النعي في الجرائد.. إلخ. وكذلك من لم يوص أهله بعدم النياحة عليه فهو داخل في هذا الوعيد، قال رسول الله ﷺ: "ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده". [صحيح الجامع: ٥٦١٤] ومن هذه الوصية أن نوصي أهلنا بعدم فعل أى شيء يغضب الله من بعدنا، فننهاهم عن لطم الحدود وشق الجيوب والنياحة وغير ذلك، قال رسول الله ﷺ: "أربع بقين في أمتى من أمر الجاهلية

ليسوا بتاركيها: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت، وإن النائحة إذا لم تتب قبل الموت جاءت يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من هب النار" [صحيح الجامع: ٨٧٥] وقال: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" [صحيح الجامع: ٥٤٤١] وقال: "اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت" [صحيح مسلم] أما البكاء فلا حرج فيه، طالما أنه بغير سخط على قدر الله جل وعلا، قال رسول الله ﷺ: "ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" [صحيح الجامع: ٢٦٤٧].

وهذا على عكس ما جاء في الكتاب المقدس الذي حرم مجرد البكاء على الميت، فقال: وكان إلى كلام الرب قائلاً يا ابن آدم هاأنذا آخذ عنك شهوة عينيك بضربة فلا تضح ولا تبك ولا تتزل دموعك. تتهد ساكناً. لا تعمل مناحة على أموات. (حزقيال ٢٤: ١٥-١٧) راحيل تبكى على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين. هكذا قال الرب. امنع صوتك عن البكاء وعينيك عن الدموع لأنه يوجد جزاء لعملك يقول الرب. (إرمياء ٣١: ١٥-١٦)

وكيف تشفقون على الميت أن يعذب ببكاء أهله عليه، وقد جاء في كتابكم المقدس أن الخطيئة تورث لعاشر جيل؟ وقرأوا إن شئتم: لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب. لا يدخل عموى ولا موآبي في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد. (تثنية ٢٣: ٢-٣)، والله أعلم.

س ٢٦٩- لقد قال نبيكم لمن سأله عن مصير أبيه الذي مات قبل بعثته: "أبي وأبوك في النار" وعندما سُئل عن الوائدة قال: "الوائدة والموودة في النار" [سنن أبي داود، مسند أحمد، صحيح الجامع: ٧١٤٢] فما ذنب الموودة؟ وما ذنب المشركين الذين كانوا قبل بعثته حتى يدخلوا النار؟ وما ذنب من لم تصله الدعوة، سواء في زمننا هذا أو قبله أو بعده؟ ثم إن هذا يتناقض مع الآية: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥] ج ٢٦٩- إن قول الرسول ﷺ: "أبي وأبوك في النار" للرجل الذي سأله عن أبيه الذي

مات في الجاهلية، كان غالباً قبل نزول هذه الآية الكريمة، فظن الرسول ﷺ (والله أعلم) أن كل من مات مشركاً فهو في النار، حتى ولو قبل الرسالة. أما الآية فهي توضح أن أهل الفترة (أى الفترة بين رسولين) لا يعذبون بسبب كفرهم، لأنه لم يُبعث إليهم رسول، كحال المشركين قبل بعثة الرسول ﷺ. أما ما لهم يوم القيامة ومآل غيرهم ممن لم تصله الدعوة في زمننا أو قبله أو بعده فقد وضح حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه: "أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هَرَم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، والصبيان يحذفونى بالبعر، وأما الهَرَم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذى مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ موثيقهم ليطيعته، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها سَحِبَ إليها" [صحيح الجامع: ٨٨١]

أما قوله ﷺ: "الوائدة والموودة في النار" فقد جاء في كتاب (عَوْن المعبود) إن (الموودة). معناها (الموودة لها) أى الأم التى رضيت بهذا الفعل، ولكن حُدِّثَت الصَّلَة. وجاء في (السراج المنير) ما معناه إن سبب هذا الحديث أن النبى ﷺ سئِلَ عن امرأة وأدت بنتاً لها، فقال قولته تلك، فلا يجوز الحكم على أطفال الكفار بأن يكونوا من أهل النار بهذا الحديث، لأن هذه الواقعة عَيِّنَ في شخص مُعَيَّن. ومعنى هذا أن الرسول ﷺ قال هذا لعلمه بأن هذه البنت إذا كبرت قستكون كافرة، وذلك من العلم الذى علمه الله إياه دون سواه، كما علم الله الخضر أن الولد الذى قتله لو كَبُرَ فسيكون كافراً {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} [الكهف: ٨٠]، والله أعلم.

س ٢٧٠- إن القرآن يكذب نبيكم في شفاعته لكم، واقرأوا إن شئتم: {يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار: ١٩]

ج ٢٧٠- إن هذه الآية عامة في أن الأمر بيد الله وحده لا ينازعه فيه منازع، ولكنها مقيدة في آيات أخرى بمشيئة الله جل وعلا، كقوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٢] و{مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس: ٣] و{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ آرْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨] و{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: ٨٧].

فكل هذه الآيات تثبت الشفاعة، ولكنها تقيدتها بإذن الله سبحانه وتعالى، والشفاعة ليست قاصرة على الرسول ﷺ فحسب، بل هي أيضاً لعباد الله الصالحين من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وللشهداء وغيرهم من المؤمنين، المهم أنها لا تتم إلا بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" [صحيح الجامع: ٣٧١٤] وقال: "من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدرّكته شفاعتي يوم القيامة" [صحيح الجامع: ٦٣٥٧] وقال: "لشّهد عند الله سبع خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حُلّة الإيمان، ويُزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته" [صحيح الجامع: ٥١٨٢] وغير ذلك من الأحاديث التي تثبت الشفاعة له ﷺ وللمؤمنين، أما الشفاعة العظمى فهي للرسول ﷺ دون غيره من الأنبياء، كما جاء في الرد على الشبهة رقم (٥٠)، والله أعلم.

س ٢٧١ - مرة أخرى يتصادم القرآن مع كلام نبيكم، فمحمد يحرم ما أحله القرآن، فقد أحلّ القرآن صناعة التماثيل، بدليل قوله: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ} [سبأ: ١٣] بينما يقول محمد: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" [صحيح الجامع: ٩٩٩] ونحن نسأل: هل صناعة التماثيل حلال كما يقول القرآن؟ أم هي حرام كما يقول محمد؟

ج ٢٧١ - إن صناعة التماثيل كانت حلالاً في شريعة سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وشريعة غيرنا ليست مُلزِمة لنا إلا ما وافق شرعنا. فمثلاً: كان السجود للبشر غير محرم في شريعة سيدنا يعقوب. وسيدنا يوسف على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، كما أخبرنا الله عنهما: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} [يوسف: ١٠٠] أما نحن فلا نسجد إلا لله سبحانه وتعالى، وقد سجد رجل لرسول الله ﷺ لما رأى الأعاجم يسجدون للوَكَم، فنهاه الرسول ﷺ وقال له: "لو كنتُ أمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" [صحيح الجامع: ٥٢٩٤] فشريعتنا ناسخة لكل ما يخالفها من الشرائع الأخرى {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بطاعة نبينا ﷺ (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧] فطالما أن الرسول ﷺ حرم التماثيل، فما علينا إلا الامتثال لأمره، وفي هذا امتثال لأمر الله جل وعلا، فهو سبحانه الذى قال: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠] وليس كتابنا وحده الذى نسخ بعض ما قبله، بل حدث مثل هذا فى الإنجيل الذى نسخ بعض ما جاء فى التوراة، كما قال سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لليهود: {وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [آل عمران: ٥٠] لأن الله حرم عليهم بعض النعم بظلمهم {فَيُظَلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [النساء: ١٦٠] وهم إلى الآن لا يأكلون بعض الذبائح التى أحلها الله لنا، فلا يأكلون (مثلاً) الإبل والبطة والأوز والأرنب وغير ذلك مما حرمه الله عليهم جزاء ظلمهم. والقارئ للكتاب المقدس يجد الكثير من الأشياء التى نُسخَتْ، وقد أشرنا إلى بعضها فى الرد على الشبهة رقم (٣١) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س ٢٧٢- لقد حرم نبيكم ما أحله الله بنص القرآن، وهذا من الكبائر كما تقولون، واقرأوا إن شئتم: {يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١]

ج ٢٧٢- إن هذا لصالح نبينا ﷺ وليس ضده، فإنه لم يجرم ما أحله الله بالمعنى المفهوم، ولكنه كان يذهب إلى السيدة زينب بنت جحش - رضى الله عنها - فياكل عندها عسلاً، فغارت منها السيدة عائشة والسيدة حفصة - رضى الله عنهما - فانفتقا على أن تقولاً له حين يقترب من إحداهما: ما هذه الرائحة يا رسول الله؟ أكلت مغافير؟ (وهو ما نسميه الصمغ) فيجيبهم بأنه قد شرب عسلاً، فلما أعادا عليه القول أقسم على نفسه ألا يأكل العسل مرة أخرى خشية أن تكون رائحته مثل رائحة المغافير، وقد كان معروفاً بقبح رائحته، والرسول ﷺ يناجى ربه، ولا يريد أن يناجيه وفمه متغير الرائحة، فهو الذى كان يكثر من السواك ويأمر به، وهو الذى كان لا يأكل البصل والثوم نيئين، ولا يأكل الفجل والجرجير والكراث، وكان يكثر من التطهر والتطيب، فهو ﷺ أطهر وأنظف خلق الله وأطيبهم ريحاً، إذن فعزمه على ألا يأكله هو زيادة فى التقرب إلى ربه جل وعلا، لأنه قد حرم نفسه من الشيء الذى يحبه، ولكنه لم يقل إنه حرام كما ظن السائل، وعتاب الله

له لم يكن عتاب غضب عليه، ولكنه كان عتاب رحمة به، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أنك رأيت ولدك يجتهد في المذاكرة اجتهاداً شديداً، ويسهر الليالي حتى تحمر عيناه، ويحرم نفسه من أشياء كثيرة من أجلها، لأشفقت عليه وقلت له: (ما كل هذا التعب يا بني؟ هَوْنٌ على نفسك، ولا تُشَقُّ عليها)، فهل هذا عتاب غضب أم عتاب رحمة؟ فالله سبحانه وتعالى لم يغضب لتحريم الرسول ﷺ على نفسه العسل، ولكنه أشفق عليه، والله أعلم.

س ٢٧٣- موضوع الحلف عندكم غامض، وغير محدد الملامح، وفيه تلاعب، فالقرآن يقول: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَئِنْ يُؤَاخِذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: ٢٢٥] ثم يأتي نبيكم فيقول: "من أكبر الكبائر الشرك بالله واليمين الغموس" [صحيح الجامع: ٥٩٠٠]

ج ٢٧٣- هناك نوع من اليمين يعفو الله عنه، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى بعباده، وهو ما ورد ذكره في الآية السابقة، وهو يمين بغير نية صادقة ولا عزم ولا تأكيد، كمن يقابل صديقه في الطريق ويطلب منه أن يذهب معه إلى بيته، ويقول له: تعال والله، فيرد عليه: لا والله لا أستطيع، أو كمن يحلف على ضيفه أن يأكل، أو من يقول لولده في لحظة غضب: والله لأقتلك، والله لأقطعنك.. وهكذا. أما اليمين المنعقدة، أى التى يُصِرُّ صاحبها على فعل ما أقسم عليه، فهى التى يُؤَاخِذُ عليها، كأن يحلف بالله أن يفعل شيئاً أو ألا يفعله، فإن حنث فى يمينه (أى فعل غير ما أقسم عليه) فليُكْفَرُ عن يمينه بإحدى الكفارات التى وردت فى سورة (المائدة) أما "اليمين الغموس" الذى ورد فى الحديث الشريف، فهو الحلف بالكذب المتعمد، أى أن صاحبه يقسم بالله على شىء وهو يعلم تماماً أنه كاذب، فهذا الحلف يغمس صاحبه فى الإثم ثم يغمسه فى النار، إلا أن يتوب منه توبة نصوحاً، وهو من الكبائر كما قال رسول الله ﷺ. وبهذا يتضح لنا أن الأيمان ثلاثة أنواع: لغو ومنعقدة وغموس، فاليمين اللغو والمنعقدة تكونان على فعل شىء أو تركه (أى أنه لم يحدث بعد) أما الغموس فهو على شىء مضى، أما إذا أقسم الإنسان على شىء ناسياً، ثم تبين له خطؤه، فهذا لا يؤاخذ عليه، ولا يعتبر يميناً غموساً، لقول رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" [صحيح الجامع: ١٧٣١]

وقد أحل لكم معبودكم الحلف بغير الله، ثم حرمه على الإطلاق، فقد قال في كتابكم المقدس: فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه. (متى: ٢٣: ٢٠-٢٢) ثم قال: أيضاً سمعتم أنه قيل للقديما لا تحنث بل أوف للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة. (متى: ٢٣-٢٤)، والله أعلم.

س ٢٧٤- يقول نبيكم: "إنكم سترون ربكم" [صحيح الجامع: ٢٣٠٦] ولكن القرآن ينفي عن موسى النبي العظيم رؤية الله {قَالَ لَنْ تَرِنِي} [الأعراف: ١٤٣] فهل أنتم يا مسلمون أفضل من موسى؟

ج ٢٧٤- لا أحد من المسلمين يزعم أنه خير من موسى بن عمران على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، والمسلمون جميعاً يعلمون أن المقصود بهذا الحديث هو رؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة وليست في الدنيا، لأن رؤية الله عز وجل في الدنيا مستحيلة حتى للأنبياء، لأننا غير مؤهلين ببينتنا الجسدية الحالية لرؤيته سبحانه وتعالى، أما في الآخرة فسيجعلنا نتحمل هذه الرؤية ونتنعم بها، حيث أنه سيُنشئنا نشأة أخرى، والله أعلم.

س ٢٧٥- لقد أثبت القرآن أن نبيكم حاول الانتحار، فقال: {فَلَعَلَّكَ بَنِيخِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: ٦] وقال: {لَعَلَّكَ بَنِيخِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٣] والغريب أنه يحرم الانتحار كما جاء في حديثه عن الله: "عبدى بادرنى بنفسه حرمت عليه الجنة" [صحيح الجامع: ٢٠٨٢]

ج ٢٧٥- إن السائل قد فهم الآيتين فهماً خاطئاً، فإن الرسول ﷺ لم يحاول الانتحار، ولكنه كان مغموماً أشد الغم، وحزيناً أشد الحزن على عدم إيمانهم لحرصه عليهم، حتى كاد غمه وحزنه أن يقتله، فخفف الله عنه بهاتين الآيتين، وكأنه يقول له: هون عليك يا محمد، فإن حزنك عليهم سيقتلك، والأمر ليس بيدك {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} فَلَا تَذْهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا {فاطر: ٨} ولم لا يحزن عليهم وهو الذى أرسله ربه {رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} وقال عنه: {يَا الْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]؟ فليس غريباً عليه أن يكون يمثل هذه الرحمة والشفقة، وخصوصاً أنه رأى النار على حقيقتها في ليلة المعراج، فازداد وُجده عليهم، فقد رأى بعينيه مصيرهم لو ماتوا على ذلك، كما ثبت عنه أنه دعا

أبا جهل للإسلام أكثر من مائة مرة، وأنه تخشع لعمه أبي طالب يقول له: "يا عمّ قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله" [متفق عليه] والحديث عن رحمته ﷺ لا ينتهى، فليس غريباً على صاحب هذه الرحمة العظيمة أن يكون حزنه عليهم عظيماً، حتى كاد حزنه أن يقتله. وليس أدلّ على شدة حرصه على هداية قومه مما نعرفه من سيرته المطهرة من احتمال الأذى والضرب والسب، كما حدث عندما ذهب إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، فأغروا به سفهاءهم وغلمانهم، فضربوه بالحجارة حتى أدما قدميه الشريفتين، فأرسل الله إليه جبريل عليه السلام كما جاء ذلك في حديثه ﷺ مع السيدة عائشة رضی الله عنها: "لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع كلام قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال يا محمد! فقال ذلك فما شئت إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، قلت: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" [صحيح الجامع: ٥١٤١]، والله أعلم.

س ٢٧٦- إن القرآن ينص على أن محمداً لم يكن أباً لأحد من الرجال، فيقول: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} [الأحزاب: ٤٠] ولكن السيرة تقطع بأنه أنجب ثلاثة ذكور.

ج ٢٧٦- إن هذه الآية نزلت لتنفي أبوة الرسول ﷺ لسيدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه أو غيره، ثم إنها صحيحة من وجه آخر، وهو أن هؤلاء الذكور الذين أنجبهم الرسول ﷺ لم يبلغ أحد منهم الحلم، فقد ماتوا جميعاً وهم أطفال، أى أنه لم يصل أحد منهم إلى سن الرجولة، ولو كان الله سبحانه وتعالى قال (ما كان محمد أباً أحد من أطفالكم) أو (أولادكم) لكان حجة لكم، والله أعلم.

س ٢٧٧- يزعم القرآن أن كل ما ينطق به نبيكم إنما هو من الوحي، فيقول: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: ٣-٤] في حين أنه مر على قوم

يَلْقَحُونَ النخْل فقال لهم: "لو لم تفعلوا لصلح" فخرج شيصاً، أى جافاً لا يصلح للطعام.

ج ٢٧٧- إن هذه الآية الكريمة تنطبق على الأمور الشرعية وليست على الأمور الدنيوية، فهل يُعقل أن كل كلمة ينطقها الرسول ﷺ تكون وحياً ويحرم عليه نطق غيرها؟ إن هذا لفهم قاصر، وهل قوله ﷺ: "وارأساه" حين شعر بالصداع كان وحياً؟ وهل ملاطفته لزوجاته - رضى الله عنهن - كما كان يقول للسيدة عائشة: "يا عائش" كانت وحياً؟ وهل لو قال على سبيل المثال: أنا جائع أو أنا عطشان تكون وحياً؟ إن الرسول ﷺ حين مر على هؤلاء القوم ووجدهم يلقحون النخل فقال لهم مقاته تلك، كان ذلك مجرد رأى شخصى وليس وحياً، بدليل أنه قال لهم بعدها: "إذا كان شىء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به وإذا كان شىء من أمر دينكم فأنا" [صحيح الجامع: ٧٦٧].

أما عندكم فالأمر أشد، لأنكم تزعمون أن المسيح هو الله أو ابن الله، فى حين أنه لا يعلم متى تُخرجُ شجرة التين ثمرها: وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً. لأنه لم يكن وقت التين. (مرقس ١١: ١٢-١٣) ونلاحظ أنه لم يعلم بحالها إلا بعد أن اقترب منها، فهل هذا علم الإله عندكم؟، والله أعلم.

س ٢٧٨- إن نبيكم كان يباشر زوجته أثناء الحيض، مع أن هذا يتعارض مع قول كتابكم: {وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} [البقرة: ٢٢٢] وكان يقرأ القرآن فى حجر عائشة وهى حائض.

ج ٢٧٨- ورد فى الصحيحين من حديث ميمونة بنت الحارث الهلالية - رضى الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فأتزرت وهى حائض. ولها عن عائشة نحوه. وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن سعد الأنصارى ؓ أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يحل لى من امرأتى وهى حائض؟ فقال: "ما فوق الإزار" وروى ابن جرير أن مسروقاً ذهب إلى عائشة - رضى الله عنها - فقال: السلام على النبي وعلى أهله، فقالت عائشة: مرحباً مرحباً، فأذنوا له فدخل، فقال: إني أريد أن أسألك عن شىء وأنا أستحي، فقالت: إنما أنا أمك وأنت ابني،

فقال: ما للرجل من امرأته وهى حائض؟ فقالت له: كل شىء إلا الجماع، وفى رواية: ما فوق الإزار.

لقد فهم أعداء الإسلام أن المباشرة هى الجماع، مع أن هذا فيه مغالطة كبيرة، إذ كيف يتم الجماع مع الاتزار؟ إن المباشرة المنهى عنها فى الآية الكريمة هى الجماع، أما ما دون ذلك فهو حلال بالإجماع. أما قراءته القرآن فى حجر السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقد روى البخارى عن عائشة أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يأمرنى فأغسل رأسه وأنا حائض، وكان يتكئى فى حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن) فأى عيب فى هذا؟ لقد كان الأولى أن يُعد هذا من الفضائل بدلاً من جعله من الرذائل.

إن المرأة فى الإسلام مُكرِّمة لا ينجسها حيضها ولا نفاسها لعموم قول الرسول ﷺ: "إن المؤمن لا ينجس" [صحيح الجامع: ١٩٣٣] بعكس ما جاء فى الكتاب المقدس من اعتبار الحائض والمستحاضة نجسة هى وكل ما تلمسه أو يلمسها، بدليل قوله: وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دماً فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمئتها وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه فى طمئتها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه يكون نجساً. وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإن كان على الفراش أو المتاع الذى هى جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء. وإن اضطجع معها رجل فكان طمئتها عليه يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً. وإذا كانت امرأة يسيل دمها أياماً كثيرة فى غير وقت طمئتها أو إذا سال بعد طمئتها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما فى أيام طمئتها. إنما نجسة. كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمئتها. وكل الأمتعة التى تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمئتها. وكل من مسهن يكون نجساً فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء (لاويين ١٥: ١٩-٢٧) وقد ذكرنا أن الحائض عندهم مذنبه، ولا بد أن تكفر عن خطيئتها فى الرد على الشبهة رقم (٧١)

ونود هاهنا أن نذكر الذين يعيبون على نبينا ﷺ مباشرته لزوجاته - رضى الله عنهن - أثناء الحيض بما جاء فى كتابهم المقدس عن نبي الله داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام

- وهو منه براء: وشاخ الملك داود. تقدم في الأيام. وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يذفأ. فقال له عبده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفا سيدنا الملك. ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك. وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها (الملوك الأول: ١-٤)، فهل التدفئة لا تتم إلا باحتضان الفتيات الجميلات المحرّمات؟ والله أعلم.

س ٢٧٩- لقد قاتل نبيكم في الشهر الحرام رغم نهي القرآن عن ذلك في قوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: ٢١٧]

ج ٢٧٩- إن المسلمين جميعاً وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد ﷺ هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها، واعتبار القتال فيها حدثاً كبيراً، وكأنه كبيرة من الكبائر. ولكن ماذا يفعل المسلمون إذا ما وُجِّهوا من المشركين بالقتال والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض؟ بل ماذا يفعلون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وأولى الناس به؟ إن قانون (الدفع الحضاري) الذي يقره القرآن الكريم لحماية الأرض من الفساد، ثم لحماية بيوت العبادة سواء كانت للمسلمين أو اليهود أو النصارى، والذي عبر عنه القرآن بقوله: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} [البقرة: ٢٥١] وقوله: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَيَّجَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج: ٤٠] هذا القانون هو الذي يحمي الأرض والناس - بأمر الله - من إفساد المتحجرين وظلم الظالمين، وليس قانون (من ضربك على خدك الأيمن فادِرْ له خدك الأيسر) وذلك على أساس أن من يمكن الله لهم في الأرض - بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم - يجب أن يكونوا صالحين ومصلحين. بمعنى ألا يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم في الطغيان والظلم والإفساد وإيثار ملذاتهم وشهواتهم، ولكن في إقامة شرع الله، ورفع الظلم عن المظلومين، وإشاعة الحق والعدل بين العالمين {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} وَلِلَّهِ عِنَقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: ٤١] ولأن إقرار حقوق عباد الله في أرضه، وحماية المستضعفين من بطش المتحجرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم، فقد أبيض

القتال فيها لمن ظلموا من المسلمين، ومن فتنوا في دينهم وأخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً، وهذا ما تقرره الآية الكريمة التي ذكرت في السؤال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا}، والله أعلم.

س ٢٨٠- يزعم القرآن أن الأنصار كانوا مثلاً أعلى يُحتذى، فيقول: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩] إذن فلماذا انقلبوا على نبيهم في تقسيم غنائم حنين؟

ج ٢٨٠- إن الأنصار ﷺ لم ينقلبوا على نبيهم ﷺ طرفة عين، وللإجابة على هذا السؤال لا بد أن نعرف ملابسات الغزوة. إن سياسة الرسول ﷺ في تقسيم الغنائم لم تُفهم في أول الأمر، فقد مكث بالجُعرانة بضع عشرة ليلة لا يقسمها، لعل أهل هوازن يأتون إليه تائبين فيحرزوا ما فقدوا، ولكن لم يأت أحد منهم، فبدأ بقسمة المال ليرضى المتطلعين من رؤساء القبائل وأشرف مكة، فكان المؤلفلة قلوبهم أول من أعطى، وحظوا بالأنصبة الكبيرة، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل، فقال: (وابني يزيد) فأعطاه مثلها، فقال: (وابني معاوية) فأعطاه مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، ثم مائة (كذا في الشفاء للقاضي عياض) وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وكذا أعطى رجالاً من رؤساء قريش وغيرها مائة من الإبل، وأعطى آخرين خمسين وأربعين، حتى شاع في الناس أن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فازدحم عليه الأعراب يطلبون المال، حتى اضطرروه إلى شجرة فانتزعت رداءه، فقال: "يا أيها الناس! ردوا عليّ رداي، فوالله لو أن لي بعدد شجر تهامة نَعْمًا لقسمته عليكم ثم لا تلقوني بجيلاً ولا جباناً ولا كذوباً، يا أيها الناس! ليس لي من هذا القَيْءِ شيء ولا هذه الوبرة إلا الخُمس والخمس مردود فيكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشاراً يوم القيامة" [صحيح الجامع: ٧٨٨٣] وبعد إعطاء المؤلفلة قلوبهم أمر الرسول ﷺ زيد

بن ثابت رضي الله عنه بإحضار الغنائم ثم فرقها عليهم، وكانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة، فإن البشر يحتاجون إلى فنون من الإغراء حتى تستأنس بالإيمان قلوبهم، وهناك أقوام كثيرون يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، ولم يكن الأنصار رضي الله عنهم يعلمون نيته رضي الله عنه فعتبوا عليه لأنهم حُرِّمُوا جميعاً من هذه المغائم، وهم الذين نودوا وقت الشدة بعدما تفرق عنه الناس، فطاروا يقاتلون معه رضي الله عنه حتى تبدل الفرار في الغزوة انتصاراً بإذن الله، وهامهم يرون أيدي الفارين ملأى، وأيديهم خاوية.

وإليكم ما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم (أى غضبوا) حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله.. إن هذا الحى قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفء الذى أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار شيء، قال: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟" قال يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي وما أنا، قال: "فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة" قال: فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة، قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار، قال: فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له ثم قال: "يا معشر الأنصار مقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟" قالوا: الله ورسوله أمنٌ وأفضل، قال: "الا تحييونى؟" قالوا: وبما نجيك يا رسول الله، والله ورسوله المنُّ والفضل؟ قال: "أما والله لو شتمت لقتلتم فلصدقتهم وصدقتهم: أتيتنا مكذوباً فصدقتناك، ومخدولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأغنيناك، أو جدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لغاعة من الدنيا تألفت بها قوماً لئيسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم في رحالكم؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت

شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار" قال: فبكى القوم حتى أحضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا.

يتضح مما سبق أن الأنصار ﷺ لم يتناولوا على رسول الله ﷺ ولم يسيئوا معه الأدب، ولكن غاية ما ظنوه وقالوه إنه لقي قومه بعد فراق دام لعدة سنوات فأكرمهم بالعطايا، ولم يزيدوا على ذلك، فهم والمهاجرون خيرة خلق الله بعد نبيهم ﷺ، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

وقد جاء في الكتاب المقدس عن تلاميذ المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما هو أشد بكثير من اعتراض الصحابة ﷺ على قسمة نبيهم ﷺ، فقد انتهره بطرس (وهو أكبر تلاميذه) واستكثروا عليه الطيب الغالي، وأسلمه أحدهم (على حد قولهم) لليهود ليقتلوه، وكان أحدهم سارقاً، وحدثت مشاجرة بين برنابا وبولس:

فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره (متى: ١٦: ٢٢)

وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ. فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين لماذا هذا الإلتلاف. لأنه كان يمكن أن يُباع هذا الطيب بكثير ويُعطى للفقراء. فعلم يسوع وقال لهم لماذا تزعجون المرأة فإنها قد عملت بي عملاً حسناً. لأن الفقراء معكم في كل حين. وأما أنا فلست معكم في كل حين. (متى: ٢٦: ٦-١١)

وكان يهوذا مُسَلِّمُهُ يعرف الموضع. لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه. فأخذ يهوذا الجُند وخذاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح. (يوحنا: ١٨: ٢-٣) رغم أن (يهوذا) كان من الاثني عشر رسولاً الذين اختارهم المسيح ليكونوا وكلاء عنه في تبليغ دعوته. وقد كان لصاً كما يتضح من النص التالي:

ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا... فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها. فامتلاً البيت من رائحة الطيب. فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الإسخريوطى المزمع أن

يُسَلِّمُهُ لِمَاذَا لَمْ يُبْعِ هَذَا الطَّيِّبُ بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ. قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيْلًا بِالْفُقَرَاءِ بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا وَكَانَ الصَّنَدُوقُ عِنْدَهُ وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. (يوحنا ١٢: ٦-١)

ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنترجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم. فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس. وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما. فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. (أعمال الرسل ١٥: ٣٦-٣٩)، والله أعلم.

س ٢٨١- كيف تقولون إن رسولكم أصيب بالسحر رغم أن القرآن قال له: (وَأَلَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ) {المائدة: ٦٧} ؟

ج ٢٨١- إن الله سبحانه وتعالى يتلى أنبياءه ورسوله - عليهم الصلاة والسلام - بما يشاء من البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، وترتفع درجاتهم، ومن ذلك ابتلاؤهم بتكذيب أقوامهم لهم، وإيذاؤهم لهم ولأتباعهم، كما ابتلى بعضهم بالمرض (كسيدنا أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام) ومن الابتلاء الذي وقع على الرسول ﷺ ما أصابه من ذلك السحر، روى البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة - رضی الله عنها - أن رجلاً من (بني زريق) يقال له (ليبد بن الأعصم) سحر رسول الله ﷺ حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ.

إن الرسول ﷺ بشر كسائر البشر {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} [الكهف: ١١٠] فيجوز أن يصيبه ما يصيبهم من الأوجاع والأمراض، وتعدى الخلق عليه، وظلمهم إياه كسائر البشر، إلى غير ذلك مما يتعلق بأمر الدنيا التي لم يُبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فإنه ﷺ لم يُعصم من هذه الأمور، وقد كان ﷺ يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء، كما حدث في غزوة أحد وغيرها، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه، يُخَيَّلُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، كَأَن يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَطِئَ زَوْجَاتِهِ وَهُوَ لَمْ يَطَأْهُنَّ. إن السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته، وحدث أنه جاء للرسول ﷺ أحد

الصحابه ﷺ يعودده في مرضه قائلاً له: إنك توعدك يا رسول الله، فقال: "إني أوعدك كما يوعدك رجالان منكم" [صحيح الجامع: ٢٤٥٥] إلا أن الإصابة بالمرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقى الوحي عن الله سبحانه وتعالى، ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس، لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على عصمته ﷺ في تلقى الوحي وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشئون الدين. ولقد ظن البعض أن ما أصاب الرسول ﷺ من السحر هو نقص وعيب، وليس الأمر كما يظنون، لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الأعراض البشرية، كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - يعترهم من ذلك ما يعترى البشر، كما قال الله سبحانه وتعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم: ١١] ولا شك أن إصابة الشيطان للعبد الصالح في بدنه لا ينفية القرآن، وقد جاء فيه ما يدل على إمكان وقوعها، ومن ذلك ما دل عليه دعاء سيدنا أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص: ٤١] ومعلوم أن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان من أولى العزم من الرسل، وقد خيّل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنها تسعى {فَإِذَا حِيَابَهُمْ وَعَصِيئُهُمْ تُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٦] فهذا التخييل الذي وقع لسيدنا موسى يطابق التخييل الذي وقع للرسول ﷺ إلا أن تأثير السحر - كما ذكرنا - لا يمكن أن يصل إلى حد الإخلال في تلقى الوحي والعمل به وتبليغه للناس، لأن النصوص قد دلت على عصمة الرسل من ذلك.

إن في قصة سحر النبي ﷺ الكثير من أدلة نبوته طبقاً للآتي:

أولاً: كيف عرف النبي ﷺ أن الذى سحره هو (ليبد بن الأعصم) وأن السحر موجود في مكان كذا وكذا لو لم يكن نبياً؟، فالنبي ﷺ هو الذى أرسل أصحابه ﷺ ليستخرجوا السحر من المكان الذى وُضِعَ فيه، ولكن السائل تعمد ألا يذكر قصة إخبار الملائكة للنبي ﷺ بموضع ومكان السحر.

ثانياً: لقد فك الرسول ﷺ السحر بقراءة المعوذتين، وهذا دليل على أن المعوذتين كلام الله عز وجل وأن محمداً نبي موحى إليه.

ثالثاً: هذه القصة دليل على كذب المستشرقين الذين قالوا: إن السنة النبوية قد وضعها

أصحاب محمد ليثبتوا أنه نبي، وأنه كامل في كل صفاته، فلو كان كلامهم صحيحاً لكان هذا الحديث أول شيء يحدفونه من السنة لأنه يُنقص من قدر النبي ﷺ - على حد زعمهم - غير أنه في الحقيقة يدل على نبوته ﷺ كما ذكرنا.

والآن نريد أن نسألكم: إذا كنتم تعتقدون أن ما أصاب النبي ﷺ على أيدي اليهود من السحر قدح في نبوته وطعن في رسالته، فهل يعنى ذلك أنكم أسقطتم نبوة أنبيائكم الذين اتهمهم كتابكم المقدس بالكفر والزنى وشرب الخمر، كما ذكرنا ذلك في أكثر من موضع؟ وهل ما جاء في كتابكم المقدس من أن الشيطان تسلط أربعين يوماً (بزعمكم) على المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قد أسقط نبوته؟ إنكم لم تسقطوا نبوته فحسب، بل زعمتم أنه الله أو ابن الله، فهل الله سبحانه وتعالى في حاجة إلى أن يُجرَّب من إبليس أو غيره؟

ثم أصدد يسوع إلى البرية من الروح ليُجرَّب من إبليس. فبعدها صام أربعين شهراً وأربعين ليلة جاع أخيراً... ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل... ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها (متى: ٤: ١-٨)

وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من الشيطان. (مرقس: ١: ١٣)

ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين (لوقا: ٤: ١٣)، والله أعلم.

س٢٨٢- إن نبيكم كان فظاً غليظاً، كما جاء ذلك في قول النساء لعمر بن الخطاب: (أنت أفظ وأغلظ من رسول الله) مع أن هذا يتعارض مع القرآن الذي قال: {فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩]

ج٢٨٢- إن رسول الله ﷺ هو ألين الناس، وأرفق الناس، وأرحم الناس، ولكن ما حدث هو ما جاء في (صحيح البخارى) عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه - رضى الله عنهما - قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه، ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحكك الله سنك يا رسول الله! قال: "عجبت"

من هؤلاء اللاتي كُنَّ عندي، فلما سَمِعَن صوتك ابتدرن الحجاب" قال عمر: يا رسول الله.. كنتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَيَّنَ، ثم قال: أى عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَيَّنُنِي وَلَا تَهَيَّنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نعم، أنتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(يستكثرته) أى يطلبن منه أن يحث الرجال على زيادة النفقة عليهن، (وقمن يبتدرن الحجاب) أى اختبأوا وراء حجاب، خوفاً من سيدنا عمر ؓ لمعرفةهن بشدته في الحق، لأنه من المتوقع أن يجرهن، لرفع أصواتهن عند رسول الله ﷺ.

إن الفظاظة والغلظة معناهما واحد، وهو القسوة أو الشدة، وكلاهما محمود أحياناً، ومذموم أحياناً أخرى، فإذا كانا في نُصْرَةِ الْحَقِّ، ومجاهدة أعداء الله، فهما مطلوبان ومحمودان، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] و[النحر: ٩] وقال: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا فَتَلَّوْا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] أما إذا كانا في الدعوة إلى الله، ومعاملة خلق الله، فهما مذمومان، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فلا تعارض إذن بين الآية الكريمة، وما جاء من قول النسوة لسيدنا عمر ؓ، فالرسول ﷺ كان يجمع بين اللين والشدة، ولكن لكل منهما مقامه، فهو رحيم بالمؤمنين، غليظ على الكافرين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وربما قالت النسوة هذه المقولة لأن الرسول ﷺ كان يشتد أحياناً في الزجر عن طلب الدنيا، وهُنَّ كُنَّ عنده يكلمنه، ويرفعن أصواتهن من أجلها، أما سيدنا عمر ؓ فكان يبالي في الزجر عن المنكرات، وكان لا يقبل أى تماون في حق رسول الله ﷺ ولو برقع الصوت، كما حدث من هؤلاء النسوة. والأرجح أن في قولهن محاز عقلى كما يقول علماء البلاغة، كأن يعبر أحدهم ويبالغ في التشبيه، قائلاً: (هذه أكثر نعومة وليونة من الحرير) فهل الحرير خشن؟، والله أعلم.

س ٢٨٣ - يقول زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِي بَعْقُوبٍ﴾ [مريم: ٥-٦] ويقول القرآن عن سليمان: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦] مع أن هذا وذاك يتناقض مع قول نبيكم عن نفسه وجميع الأنبياء: "لا تُورث، ما تركنا صدقة"

[متفق عليه] أى أن أهلهم لا يرثونهم، وما تركوه يكون صدقة.

ج ٢٨٣- إن الميراث الذى جاء ذكره فى الآيتين الكريمتين ليس ميراثاً دنيوياً، أى أن سيدنا زكريا لم يتمنى أن يهبه الله من يرث تركته، ولكنه تمنى أن يرزقه الله من يرث نبوته، وكذلك فإن سيدنا سليمان لم يرث متاع الدنيا عن أبيه، بل ورث عنه النبوة. أما حديث الرسول ﷺ فمعناه أن ما تركه الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - من متاع الدنيا فلا يرثه أهلهم، بل يكون صدقة توزع على الفقراء من بعدهم، والله أعلم.

شبهات زائفة حول سُور القرآن

س ٢٨٤ - لماذا تكرر لفظ {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} في الفاتحة؟

ج ٢٨٤ - الأولى ذُكِرَتْ في البسمة، وهي استفتاحية لجميع السور ماعدا سورة (التوبة) والثانية ذكرت بعد {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وكلمة {رب} تدل على الملكية، كما تقول (رب البيت) أى صاحب البيت، وتدل على التربية كما تقول: ربانى أبى، فرمما يفهم من {رَبِّ الْعَالَمِينَ} أن هذا المرئى قاسٍ مثل بعض المرين - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - فجاءت الآية التى تليها صفةً بمعنى أن هذا المرئى (رحمن رحيم)، والله أعلم.

س ٢٨٥ - أنتم أيها المسلمون حيارى، وإلا.. فلمَ تطلبون الهداية فى صلاتكم وتقولون: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦]؟ وإذا كان الله هو القائل فكيف يطلب الهداية؟ وممن يطلبها؟

ج ٢٨٥ - الهداية نوعان: هداية دَلالة، أى تبين الحق، وهى لكل الناس، كما دلت على ذلك الآية الكريمة: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت: ١٧] وهداية مَعونة، وهذه لا تكون إلا للمؤمنين الذين قبلوا هداية الدلالة، وذلك مثل ما ورد عن أصحاب الكهف {إِنَّمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّيهِمْ وَزِدَّتْهُمْ هُدًى} [الكهف: ١٣] ولنذكر مثلاً ضربه الشيخ الشعراوى رحمه الله - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - إذا كنت مسافراً ومررت بمنطقة يقف عندها رجل مرور يحذّر الناس من السير فى طريق معين، ويدلهم على الطريق السليم، فدلالته هذه تُسمى (هداية دلاله) لأنه أرشدك، وبيّن لك الطريق السليم من الطريق الخطر، فإذا امتثلت لأمره وسمعت كلامه ومشيت فى الطريق السليم أعانك، وأرسل معك من يساعدك على السير فى هذا الطريق، وربما ذهب معك بنفسه ليدللك بعض العقبات التى تجدها فى هذا الطريق، فهذه تُسمى (هداية معونة) أما إذا ضربت بكلامه عرض الحائط، وسرت فى الطريق الذى حذرك منه فإنه يتركك وشأنك. فنحن نطلب هداية المعونة لأننا - والحمد لله رب العالمين - قد قبلنا هداية الدلالة، ولكننا محتاجون دوامها والمعونة عليها، فإن القلوب بيدى الله عز وجل يقلبها كيف يشاء، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى أن نقول: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

أَلَوْهَابُ} [آل عمران: ٨] وقد كان أكثر دعاء الرسول ﷺ: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" فقيل له في ذلك فقال: "إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٤٨٠١] أما كيف يقول الله: {أَهْدِنَا} فإن الله جل وعلا يعلمنا كيف ندعوه بالطريقة التي ترضيه، فلم يتركنا لنختار ولا ندرى كيف ندعوه، وربما دعواناه بما لا يليق به سبحانه وتعالى، أو اختلفنا فيما بيننا فتختلف عبادتنا، ويظن كل واحد منا أن دعاءه أفضل من دعاء الآخرين. وهذا الدعاء الجماعي {أَهْدِنَا} يشعرنا بما فيه من حب الخير والهداية والفوز لجميع المسلمين، كما أنه أصلح لصلاة الجماعة، حيث لا ينفع فيها أن يقول الإمام (اهدني) إذ كيف يخص نفسه بالدعاء دون غيره؟، والله أعلم.

س ٢٨٦- ألا كان يكفي أن تقولوا: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦] بغير إضافة {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} لأن الاستقامة دلالة قاطعة؟

ج ٢٨٦- لم يبق غيرنا من أتباع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - إلا اليهود والنصارى، وهم يظنون أنهم على صراط مستقيم، فلو لم نقل {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} ربما ظن ظان - سواء منهم أو من غيرهم - أنه صراطهم لأنهم أتوا الكتاب قبلنا، فنحن نطلب من الله عز وجل أن يهدينا {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الذي يرضاه.. وهو الإسلام، ونظهر البراءة من صراطهم الضال المضل. وفي شهادة التوحيد هل نقول (الله هو الإله) أم نقول {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}؟ لو قلنا (الله هو الإله) ربما يظن ظان أن هذا لا ينفي وجود آلهة أخرى.. أليس كذلك؟ فنحن كما نؤمن بالوحيته وحده ونكفر بالوحيية من سواه.. نؤمن بالإسلام وحده ديناً ونرفض أى دين سواه، والله الموفق لما يحبه ويرضاه، والله أعلم.

س ٢٨٧- لماذا قال القرآن في الفاتحة: {الضَّالِّينَ} ولم يقل: (المُضِلِّينَ) في حين أنها أبلغ؟

ج ٢٨٧- كما أن هناك صالحاً ومصلحاً وفساداً ومفسداً، فهناك ضال ومُضِل، فالصالح هو الذى يكتفى بصلاح نفسه وليس له شأن بالآخرين، أما المصلح فهو صالح في نفسه ويدل الآخرين على سبيل الصلاح، فله أجره وأجر مثل أجور من اتبعوه، فهذا أعلى

درجة من الأول. وهناك فاسد في نفسه، فهذا عليه وزره، أما المفسد فهو الذى يدل الناس على سبيل الفساد، فيكون عليه وزره ومثل أوزار الذين اتبعوه، فهو أشد خطراً وأقل قدراً من الأول، فكذلك المضل أشد خطراً وأقل قدراً من الضال. فنحن لا نريد حتى مجرد أن نكون ضالين في أنفسنا فضلاً عن أن نكون مضلين لغيرنا، والله أعلم.

س٢٨٨- يقول القرآن: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} [البقرة: ١٧] لقد جعل الضمير الجمع يعود على المفرد، وهذا خطأ بَيِّن، لأن المفروض أن يقول (ذهب الله بنوره وتركه) طالما أنه تكلم عن فرد واحد.

ج٢٨٨- إن السائل ليس له تذوق للغة العربية، فإن هذا مثل ضربه الله للمناقين بجماعة كانوا في مكان مظلم، فأضاء أحدهم ناراً، حتى استناروا جميعاً بنورها، ثم انطفأت هذه النار فأصبحوا متخبطين لا يبصرون أين الطريق، فهل كلهم أضاء النار أم واحد فقط؟ وهل أنارت له وحده أم لهم جميعاً؟ وحين انطفأت هل كان وحده الذى لا يبصر، أم أنهم جميعاً كانوا لا يبصرون؟ بديهى أنهم لم يضيئوها معه، وأن نورها عمهم جميعاً، وعندما انطفأت أظلمت عليهم جميعاً. فمثلاً: لو أن هناك جماعة تجلس في مكان ما، ثم أضاء أحدهم مصابيحهم، هل يستفيد منها من أضاءها فقط أم أن نورها عمهم جميعاً؟ وكذلك لو أطفأها هل يخصه الظلام وحده دونهم؟ فالفاعل واحد، وهو الذى أضاءها ثم أطفأها، أما المستفيد من النور والمتضرر من فقدته فهو والحاضرون معه، فلو كان القرآن على هواكم، وقال ما تظنون أنه صحيح، لكان الخطأ بعينه، والله أعلم.

س٢٨٩- ينكر القرآن اعتراض الملائكة على خلق آدم بقولهم: {أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} [البقرة: ٣٠] مع أن الحق كان معهم، وما نحن نرى الفساد وسفك الدماء في كل مكان.

ج٢٨٩- أولاً: إن هذا لم يكن اعتراضاً من الملائكة، وقد بينا ذلك في الرد على الشبهة رقم (١٨٨) ثانياً: استحالة تفوق علم الملائكة على علم الله سبحانه وتعالى، واستحالة معرفتهم للحكمة أكثر منه جل وعلا، فالله سبحانه وتعالى لم يكن بحاجة إلى أن يعلمه أحد ماذا سيحدث، ولكنه يعلم أن الأرض سيكون عليها أنبياء ومرسلون وأناس

صالحون ومصلحون، وهؤلاء سيعمرون الأرض بذكره وطاعته وإقامة شرعه، ونشر الخير بين خلقه.. إلى غير ذلك من مظاهر الإصلاح في الأرض، ولذلك رد عليهم بقوله: ﴿إِنَّ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] ولكي نفهم هذا الأمر نضرب مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - بالفلاح الذي يغرس في الأرض مائة نواة أو أكثر، مع علمه بأن معظمها سيتلف، ولا يخرج منها إلا عشرون نخلة أو أقل، ولكن هذه العشرين ستكون كافية في تغطية نفقاته على الأرض، وستعود عليه بالربح الوفير، وستكفي لإطعام الكثير، فهل كان علمه بفساد بعضها يمنعه من بذرهما؟ فالله سبحانه وتعالى لم يمنعه علمه بوجود بعض المفسدين من خلق الصالحين، وحين ينتهي الخير والصالحون من الأرض ستقوم الساعة، لأن الحياة لا فائدة لها بغير ذكر الله، قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله" [صحيح مسلم]، كما أن الله سبحانه له حكمة من وجود الخير والشر في الدنيا، فلو كانت الدنيا كلها تقوم على التقديس والتسييح لكانت جنة، ولما كان فيها اختبار يترتب عليه دخول الجنة أو النار، والله أعلم.

س ٢٩٠ - يقول القرآن: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِقَائِمَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [البقرة: ٦١] فهل من الممكن أن تُقتل الأنبياء بحق؟

ج ٢٩٠ - لا يمكن أن تُقتل الأنبياء بحق، لأن القتل بحق يكون بذنب يستحق القتل، كأن يكون الإنسان قد قتل نفساً بغير نفس، أو ارتد عن دينه، أو... إلخ، ولكن هؤلاء الأنبياء لم يقتروا ذنباً يستحقون عليه القتل، فجاءت الآية بهذا الأسلوب للتأكيد على هذا المعنى، فمثلاً: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} لو أنك ضربت أحداً ظملاً.. فلأمك أحد أقاربه وقال لك: لِمَ ضربته بغير حق؟ لو أنه أذاك أو فعل كذا وكذا لكان ضربك إياه بحق، ولكنه لم يفعل شيئاً والكتاب المقدس نفسه يعترف بقتل اليهود للأنبياء، فيقول إياها النبي: قد غرتُ غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا ميثاقك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيتُ أنا وحدي وهم يطلبون نفسي لياخذوها. (الملوك الأول: ١٩: ١٤)

وهناك شيء آخر يُستفاد من الآية الكريمة.. وهو إظهار براءة الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - وأنهم معصومون من الخطأ، حتى لا يظن ظان أنهم ربما قُتلوا

بذنب. أما الكتاب المقدس ففيه اتهامات للأنبياء بالكفر، وشرب الخمر، والزنى، والسرقة، وغير ذلك مما ذكرناه في كثير من المواضع في هذا الكتاب. وسبحان الله كيف يبعث الله النبيين ليكونوا قدوة لغيرهم ثم يقعون فيما ينهون عنه؟ إن هذا ليس قدحاً فيهم فحسب، بل في الله سبحانه وتعالى الذي أرسلهم، فكأنه لم يحسن اختيارهم {سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَصِفُوْنَ} [الأنعام: ١٠٠] فمثلاً - {وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - لو أن حاكماً أرسل سفيراً لإحدى الدول، وكانت تصرفات هذا السفير غير لائقة، فإن العيب في هذه الحالة لن يكون عليه وحده، ولكن على الذي أرسله أيضاً، لأنه لم يحسن اختياره، والله أعلم.

س ٢٩١- يقول القرآن: {وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا الْنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} [البقرة: ٨٠] بذلك أتى القرآن بجمع كثرة في موضع جمع قلة، وكان يجب أن يجمعها جمع قلة، حيث إن اليهود أرادوا القلة، فالصحيح أن يقال: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}

ج ٢٩١- إن {مَّعْدُودَةً} ليست جمعاً بل مفرد، وليست جمع كثرة ولا جمع قلة، وإن {مَّعْدُودَاتٍ} التي يقولون إنها الصواب وكان حق القرآن أن يعبر بها بدلاً من {مَّعْدُودَةً} ظانين أن {مَّعْدُودَاتٍ} جمع قلة، وهي ليست كذلك كما فهموا، فهي على وزن (مفعولات) وهو ليس من أوزان جموع القلة، بل من أوزان جموع الكثرة، ولا ينفعهم قولهم: إن اليهود أرادوا القلة، لأن هذه القلة يدل عليها سياق الكلام لا المفردات المستعملة في التركيب، ثم إن هذا التعبير لا ينظر فيه إلى جانب قلة أو كثرة، ولكن ينظر فيه على معاملة غير العاقل معاملة العاقل، أو عدم معاملته، ووصف الأيام ب{مَّعْدُودَةً} هو الوصف اللائق بما لأن الأيام لا تعقل فأجرى عليها الوصف الذي لغير العقلاء، ولكن لجهل السائل ظن الصواب خطأ والخطأ صواباً، والحقيقة في النظم القرآني أنه لا يعامل غير العاقل معاملة العاقل إلا بوضعه موضع العقلاء للدواعي البلاغية، وقد عبر القرآن عن الأيام بأنها {مَّعْدُودَاتٍ} في قوله تعالى: {ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} [آل عمران: ٢٤] فكان ينبغي أن يسأل هؤلاء عن اختلاف التعبير في الموضعين، ولكنهم كما قال الله عنهم: {وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦] ففي آية (البقرة) جاء وصف {أَيَّامًا} بصيغة الإفراد، وليس جمع كثرة كما زعموا، وفي آية (آل عمران) جاء جمعاً لا إفراداً، فلماذا إذن اختلفت صيغة الوصف والموصوف واحد

وهو {أَيَّامًا} لو كان السائلون يعقلون؟ فإذا قارنا بين الآيتين وجدنا آية (البقرة) مبنية على الإيجاز {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} ووجدنا آية (آل عمران) مبنية على الإطناب {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} انظر إلى الخلاف بين آية (البقرة) {وَقَالُوا} وآية (آل عمران) {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا} نجد أن جملة {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} اشتملت على اسم الإشارة الموضوع للبعيد، الرابط بين الكلامين السابق عليه واللاحق به، ثم نجد الباء الداخلة على إن في {بِأَنَّهُمْ} ثم (إن) التي تفيد التوكيد، ثم ضمير الجماعة (هم) هذه الأدوات لم يقابلها في آية (البقرة) إلا واو العطف {وَقَالُوا} إذن المقامان مختلفان، أحدهما إيجاز والثاني إطناب، فوافق الإيجاز آية (البقرة) ووافق الإطناب آية (آل عمران)، والله أعلم.

س ٢٩٢- كيف يُنصَبُ الفاعل في القرآن حيث قال: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٢٤] وكان الأصح أن يقال (لا ينال عهدي الظالمون) لأنه جمع مذكر سالم.

ج ٢٩٢- الفعل (نال) فعل متعدّد إلى مفعول واحد، كما في قوله تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا} [الأحزاب: ٢٥] الفاعل (واو الجماعة) والمفعول {خَيْرًا} أما في قوله: {قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} فالفاعل هو {عَهْدِي} مرفوع بضمه مقدرة لم تظهر لاشتغال المحل (وهو ما يعنى الدال من عهدي بحركة المناسبة لياء المتكلم)، والمفعول به هو {الظَّالِمِينَ} وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم (ينصب ويجر بالياء) والمعنى (لا ينفع عهدي الظالمين) ويجيء {الظَّالِمِينَ} منصوباً هو قراءة الجمهور من القراء، وليس في مجيء {الظَّالِمِينَ} منصوباً على أنه المفعول به خلاف بين العلماء، بل إنهم نصّوا على أن خواص الفعل (نال) يجوز أن يكون مفعولاً، ومفعوله يجوز أن يكون فاعلاً على التبادل بينهما، قالوا: فما نالك فقد نلته أنت، وقد جاء قوله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ} [الحج: ٣٧] على خلاف نسق آية (البقرة) التي نحن بصدد الحديث عنها، حيث كان التالي للفعل فيها هو الفاعل {لَا يَنَالُ عَهْدِي} والواقع بعد الفاعل هو المفعول {الظَّالِمِينَ} أما في آية (الحج) فإن الذي وليّ الفعل {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ} هو اسم الجلالة،

وما بعده هو الفاعل {حُومَهَا} والمعنى (لن يصل إلى الله لحومها ولا دماؤها) وكذلك قوله {وَلَيْكِن يَنَالُهُ الْتَقْوَىٰ مِنكُمْ} فالضمير في {يَنَالُهُ} هو المفعول به، أما {الْتَقْوَىٰ} فهي الفاعل، والله أعلم.

س ٢٩٣- من الأخطاء الصريحة في القرآن من ناحية الإعراب قوله: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَيْكِنَّ الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧] وكان الصحيح في اللغة أن يقال (والصابرون) وليس {وَالصَّابِرِينَ} لأنها معطوفة على {وَالْمُؤْتُونَ}

ج ٢٩٣- لقد قلنا قبل ذلك إن العرب إذا أرادت أن تنبه على شيء مهم في الكلام كسرت الإعراب للتنبية، أي أن إعراب هذه الكلمة مخالف للمتعارف عليه لَلَّت الانتباه، فإنك لو تتبعت الآية من أولها إلى آخرها وجدت فيها تسع عشرة صفة من صفات المتقين، أشدها وأصعبها على النفس (الصبر)، فلو قال (الصابرون) حسب القاعدة لمرت هذه الكلمة هينة على الأذهان، ولم يُلتفت لخطورة قدرها، لذلك كسر الإعراب لتنبية الأذهان، فجاءت بلفظ {الصَّابِرِينَ} والعرب - الذين هم أبلغ الناس - لم يعترضوا عليها حين سمعوها من الرسول ﷺ لأنها وافقت السليقة العربية، وكسر الإعراب يسمى عند علماء النحو واللغة (القطع للمدح أو للذم) كما قال تعالى: {وَالْقِيمِينَ الصَّلَاةَ} [النساء: ١٦٢] وكان السياق يقتضى الرفع، أي (والمقيمون الصلاة) فكسرت القاعدة لأهمية الصلاة، وأحياناً تكسر القاعدة للذم، كما في سورة (المسد) {وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} وكان السياق الصحيح - في ظاهر الأمر - أن يقال (حمالة) مضموم آخرها وليس مفتوحاً كما ورد في الآية، ولكن براعة القرآن في البلاغة لا مثيل لها، وكأنه يقول: (أذم والعن حمالة الحطب)، والله أعلم.

س ٢٩٤- لقد جاء القرآن بالموصول بدل المصدر في قوله: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَيْكِنَّ الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ

وَأَلْبَيْتَيْنِ} [البقرة: ١٧٧] وكان الصواب أن يقول (ولكن البر أن تؤمنوا بالله) لأن البر هو الإيمان وليس المؤمن كما ذكرت الآية.

ج ٢٩٤- لا {البر} ولا {آمن} اسم فاعل، ولكن للعلماء في توجيه وقوع {من آمن} خيراً عن {البر} وهو خلاف الأصل، لأن {البر} معنى ذهني، و{من آمن} ذات، والذوات لا تكون معاني، وقد أجاب الإمام الزمخشري بثلاث إجابات:

١- أن في الكلام مضافاً محذوفاً، والتقدير: برُّ من آمن، وهذا التوجيه اشتهر به جمهور العلماء. وكان الشرح للآية حسب قول الزمخشري: لكن البرُّ برُّ من آمن.

٢- تأويل {البر} بذي البر، يعني أن في الكلام حذف مضاف، لكن تقديره قبل {البر} ومعنى الآية على هذا النحو: لكن ذا البر من آمن.

٣- أن يكون المصدر وهو {البر} موضوعاً موضع اسم الفاعل (البار) للمبالغة كما في قول الخنساء تصف فرس أخيها صخر: (ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار) فإقبال وإدبار مصدران حلا محل اسم الفاعل، والتقدير: هي مقبلة مدبرة.

وهناك إجابة أخرى بالإضافة لإجابة الزمخشري، وهي أن يكون (اسم الموصول وصلته) جملة اسمية في محل رفع خيراً لاسم لكن {البر} فإننا نعبر في كلامنا الفصيح قائلين مثلاً: لكن الفائز من يركب الدراجة الخضراء، فكلمة (الفائز) اسم لكن منصوب، و(من يركب الدراجة الخضراء) جملة في محل رفع خبر لكن {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}، والله أعلم.

س ٢٩٥- مرة أخرى مع مخالفة القرآن لقواعد العربية، وهو الإتيان بجمع قلة في موضع جمع كثرة في قوله: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} [البقرة: ١٨٤] أي على عكس آية البقرة رقم ٨٠، فنرى الآية تتحدث عن شهر الصيام وهو ثلاثون يوماً فيحتاج إلى لفظ (معدودة) لأنه جمع كثرة يناسب الثلاثين يوماً، وليس {معدودات} كما في الآية لأنها جمع قلة.

ج ٢٩٥- إن هؤلاء المتخبطين جعلوا الأربعين يوماً (أيام عبادة اليهود للعجل) جمع قلة، وهنا قطعوا بأن الثلاثين يوماً (أيام رمضان) جمع كثرة، وأن القرآن أخطأ (بزعمهم) مرة أخرى حين عبر عنها بجمع القلة {معدودات} فهل الثلاثون أكثر من الأربعين؟ ولما حطأوا القرآن في هذه الآية {معدودات} فهو الصحيح لغة وبيانياً، وهو عند البلاغيين

استعارة شُبِّهَ فيها غير العاقل بالعاقل، وكلمة {معدودات} في وصف أيام الصيام التي أتى بها القرآن لخصوصية بيانية هي تعظيم شأن تلك الأيام عند الله حتى صارت وكأنها من ذوى العقول، وهي أوقات لا روح فيها كالأحياء العاقلين، فليس المدار فيها اعتبار قلة أو كثرة، بل المراد التنويه بفضلها وعلو منزلتها عند الله، أما القلة فتفهم من سياق الكلام الذى حدد أيام الصيام بالشهر الواحد، وهو قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥]، والله أعلم.

س ٢٩٦- إن القرآن يشجع على شهوة الانتقام والثأر، ولا يشجع على التسامح كما يقول الإنجيل: من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. (متى: ٥: ٣٩) ولكن انظروا إلى قرآنكم الذى يقول: {فَمَنْ آعَدْتَىٰ عَلَيْكُمْ فَآعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعَدْتَىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤]

ج ٢٩٦- إن هذه الآية وردت في سياق الكلام عن القتال مع الكفار، فهل لو اعتدى الكفار علينا لا نرد اعتداءهم بمثله؟ إن هذا منطق الظالمين الذين قلبوا الموازين واعتبروا رد الاعتداء إرهاباً، أما تعامل الأفراد مع بعضهم فليس فرضاً عليهم أن يردوا الاعتداء بمثله، أما كتابكم المقدس فقد أمركم برد السيئة بمثلها، وتوعد فاعلها بالعذاب الأليم، فقال: لا تشفق عينك. نفس بنفس. عين بعين. سن بسن. يد بيد. رجل برجل (تثنية ١٩: ٢١) قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يفضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب الجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم. (متى: ٥: ٢١-٢٢) وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه. (لوقا ١٧: ٣) كن مرضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق. لتلا يسلمك الخصم إلى القاضى ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى في السجن. (متى: ٥: ٢٥) إن قوله: (قد سمعتم أنه قيل للقدماء كذا) أى أن هذا كان في العهد القديم، أما قوله: (وأنا أقول كذا) فيعتبر هو وأمثاله نسخاً لما قبله.

إن الإسلام يتعامل مع كل النفوس بما يناسبها، فمن الناس من لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار إلا إذا انتقم ممن ظلمه، فيأتى الإسلام ويبيح له رد الاعتداء، ولكنه يلزمه ألا يزيد عليه، وفي الوقت نفسه يحثه على العفو ويرغبه فيه بذكر جزائه في الآخرة، بل ويزيد على

ذلك بأن يرغب في الإحسان إلى من ظلمه {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْأَعَايِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ مُجِيبُ الْمُتَحْسِنِينَ} {آل عمران: ١٣٤} أما إذا أُلزم كل واحد أن يعطى خده الأيسر لمن ضربه على الأيمن.. فإن هذا يجعل البعض يشتاظ غضباً على من اعتدى عليه، كما أنه يشجع البعض على التعدي على الناس طالما أنهم لا يردون عليهم، وخصوصاً المجرمين، وخريجي السجون، والبلطجية، ومن على شاكلتهم، فالمسلم مُحير بين رد الاعتداء بمثله، أو العفو والصفح، والعفو هو الأفضل بدليل آيات وأحاديث كثيرة يضيق المقام عن حصرها، نذكر منها قوله تعالى: {فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ١٧٨] {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: ١٢٦-١٢٧] {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا} [النور: ٢٢] {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣] وقول رسوله ﷺ: "من لا يرحم لا يُرحم، ومن لا يَغفر لا يُغفر له، ومن لا يتب لا يُتب عليه" [المعجم الكبير للطبراني، صحيح الجامع: ٦٦٠٠] أما آيات الإحسان للمسيء فمنها قوله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠] {وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤] {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْأَعَايِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ مُجِيبُ الْمُتَحْسِنِينَ} {آل عمران: ١٣٤}، والله أعلم.

س ٢٩٧- إن القرآن يوضح الواضح بما لا طائل من ورائه، مثل: {فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۖ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} [البقرة: ١٩٦] لماذا قال: {تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} بعدما قال: {فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ}؟ فهل ستكون الثلاثة والسبعة أقل أو أكثر من العشرة؟ وما قيمة كلمة {كَامِلَةٌ}؟ وهل ستكون العشرة غير كاملة؟

ج ٢٩٧- إن هذا تأكيد لدفع الشك في عدد أيام الصوم، فربما ظن ظان أنه يكفيهِ صوم ثلاثة أيام في الحج، أو سبعة أيام إذا رجع، فجاءت {تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} تنفي هذا الشك، فمثلاً - {وَاللَّهُ أَلَمُّ لِّلْأَعْلَى} - لو أني قلت لك: اتصل على بالهاتف الساعة الثالثة من محل عملك، وإذا رجعت إلى منزلك فاتصل بي الساعة العاشرة، فربما فهمت من

كلامي أن أحد الاتصاليين يكفي، فإذا فاتك الأول أدركت الثاني، فلا بد أن أؤكد عليك وأقول لك: اتصل بي مرتين.. مرة من عمك ومرة إذا رجعت إلى بيتك. وقيل إن {كاملة} تعني كاملة في أجرها كالمهدي، أي أنها تحمل محله تماماً، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، ولكن هذا مشروط بعدم الاستطاعة على ذبح الهدى. ثم إن أهل البلاغة والفصاحة

من العرب لم يعترضوا على هذه الآية الكريمة وقت نزولها، أفيعرض عليها المستعربون؟ والذين يتهمون قرآنا بالإسهاب أو الإطناب في توضيح العدد جاء في كتابهم المقدس تفصيل دقيق طويل عن أعداد العائدين من السبي، وعبيدهم، ومُغْنِيَاتِهِمْ، وخيلهم، وبغالهم، وجِمالهم، وحميرهم، وورد هذا الإسهاب في إصحاحين كاملين، وهما (عزرا: الإصحاح ٢) و(نحميا: الإصحاح ٧) مع التناقض الفظيع بين أعداد العائدين من هولاء السبي، وقد ذكرنا ذلك (بفضل الله) في الرد على الشبهة رقم (٤٤٤)، والله أعلم.

س٢٩٨- كثيراً ما يأتي القرآن بآيات في غير موضعها، فيتكلم مثلاً عن الصلاة في سياق الكلام عن الطلاق، فيقول: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ} [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩] هل بعد هذا تصرون على أن القرآن بليغ وفصيح؟

ج٢٩٨- نعم.. نحن ما زلنا، وسنستمر إن شاء الله نقول، بل ونكتشف المزيد من بلاغة القرآن، إن هذه الآية في هذا المكان لم تأت عبثاً - حاشا وكلا - بل إنها جاءت لتذكر الناس بالصلاة لعدة أسباب، منها أن حالة الغم والهَم التي تصيب الزوج والزوجة والأولاد حال الطلاق - بل وتصيب الأهل أيضاً - ربما تجعلهم يتشاغلون عن أداء الصلاة في وقتها، وربما كانت هناك مشاحنة بين الطرفين تنسيهما فرض ربهما، فحجاء الآية تذكروهم بالمحافظة على الصلاة مهما كانت الظروف، كذلك فإنهم إذا صلوا رقت قلوبهم بذكر الله، فرموا رجوعاً عن عزمهم على الطلاق، فمَاءُ الوضوء يطفئ الغضب الذي من الشيطان، وسيصلي الرجال في مسجد واحد يجمع أهل الزوج مع أهل الزوجة مع المأذون مع الأولاد، فيحدث ذلك ألفة بينهم، لأن الصلاة تجعل القلب يسجد للرحمن ويخرج منه الشيطان، فتكون الصلاة بما فيها من ذكر وخشوع لله تعالى قد فضت التزاع بينهم، وحافظت على الأسرة المسلمة من الهدم، وما يترتب عليه من تشريد الأطفال، وفساد

ذات البين الذي يحدث بين أهل الزوج وأهل الزوجة، وغير ذلك من مساوئ الطلاق التي لا تخفى على عاقل، فإن أسوأ ما يفعله الشيطان بالإنسان هو أن يفرق بينه وبين أهله، قال رسول الله ﷺ: "إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت" [صحيح الجامع: ١٥٢٦] لأن المتزوج قد استكمل نصف الإيمان كما قال رسول الله ﷺ: "من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليتيق الله في النصف الباقي" [صحيح الجامع: ٦١٤٨] فحين يطلق زوجته يفقد هذا النصف، وهي أيضاً تفقده، ويصبحان عرضة للفتن والشهوات، قال رسول الله ﷺ: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق" [سنن ابن ماجه، السنن الكبرى للبيهقي]، والله أعلم.

س ٢٩٩- يقول القرآن: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَعًا فَاكْثِيرَةً} [البقرة: ٢٤٥] فهل الله فقير حتى يقترض؟ ثم كيف يحرم الربا ويتعامل به؟

ج ٢٩٩- هذا الفهم القاصر للآية الكريمة ليس بمجديد، فقد قال أحد اليهود لأبي بكر الصديق ﷺ حين دعاه للإسلام: إن ربكم فقير يطلب القرض، ونحن أغنياء لسنا بحاجة إليه، فضربه أبو بكر، فذهب إلى رسول الله ﷺ يشتكى له، فسأله الرسول لماذا ضربه؟ فذكر له قوله الخبيثة، فأنكر اليهودي، فأنزل الله عز وجل تصديق أبي بكر في هذه الآية: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقْوُلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران: ١٨١] إن الله سبحانه وتعالى مالك المال وأصحابه، أى أنه هو الذى خلق الناس ووهبهم المال، وقد جعل للفقير حقاً فى مال الغنى، وفى هذا ابتلاء للفقير والغنى، هل سيصير الفقير لحكم ربه، وهل سيخرج الغنى ما فرضه الله عليه، والآية ليست خاصة بالزكاة، فهى تشمل الإنفاق فى سبيل الله عامة. أما تشبيه الإنفاق فى سبيل الله بأنه قرض لله فهو من باب المجاز للترغيب فى النفقة والحث عليها، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن ولداً طلب من أبيه أن يعطيه قدرًا من المال لاحتياجه إليه، وكان الوالد فى سفر، وليس فى وسعه أن يرسل المال بسرعة إلى ولده، فأمر أخاه أن يعطيه من المال الذى أرسله إليه من قبل، وقال له: لو أنك أعطيت أخاك ما يحتاجه فاعتبر

أن هذا قرض لى أنا شخصياً، وسأرده إليك أضعافاً مضاعفة، هل يكون الوالد قد اقترض من ابنه حقاً؟ إنه هو الذى أرسل إليه المال، فكيف يقترض منه؟ إنه لم يقل له ذلك إلا ليرغبه فى الإنفاق على أخيه، وخصوصاً أنه سيرده له بأضعافه، وهل الوالد فى هذه الحالة يتعامل بالربا مع ابنه؟ إنه هو المالك للمال فى كلا الحالين (حال القرض وحال الرد) ولكن هذا كرم منه جزاءً لامتنال أمره، والله أعلم.

س ٣٠٠ - يقول القرآن عن الله إنه: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥] ألا كان يكفى أن يقال: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ} إذ كيف ينام من لم تأخذه سِنَّةٌ من النوم؟

ج ٣٠٠ - إن الذى يدرك هذا المعنى هو الذى لا ينام لفترة طويلة جداً، بحيث يقاوم النعاس عدة مرات، فيجد نفسه فى آخر الأمر قد غلبه النوم رغماً عنه. إن (السِنَّة من النوم) هى التى نسميها (غفوة أو إغفاءة) أى مدة قصيرة من النوم، فإذا كان الإنسان موكلاً بأمر مهم، كحراسة موقع، أو مذاكرة للامتحان، أو لمراقبة شىء هام، فإنه يقاوم النعاس عدة مرات فلا يغفو هذه الإغفاءة، ولكن مع استمرار ذلك الأمر تجده ينام رغماً عنه، ولا يشعر بنفسه إلا حين يستيقظ، فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لا ينام لفترة قصيرة، ولا يغلبه النوم فجأة، بل إن مجرد الرغبة فى النوم أمر مُحال عليه سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" [صحيح الجامع: ١٨٦٠]، والله أعلم.

س ٣٠١ - يقول القرآن: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} [البقرة: ٢٥٧] كيف يخرج الكفار من {النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} وهم أصلاً فى ظُّلُمَاتٍ؟

ج ٣٠١ - قال رسول الله ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسُّون فيها من جدعاء" [صحيح الجامع: ٥٧٨٤] فكل مولود يولد على فِطْرَةِ التوحيد، فإذا كفر بعد ذلك فقد خرج من {النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}، وكذلك الحال فيمن ارتد عن الإسلام بعد أن هداه الله، أو يهود

المدينة الذين آمنوا بالرسول ﷺ لأن صفته كانت في كتبهم، ثم كفروا به جحوداً و عناداً وحسدًا، إذ لم يخرج من بنى إسرائيل وخرج من أبناء العرب، والله أعلم.

س ٣٠٢ - يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُوْتِمُّنَ تُوْمِيْنَ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّا يُطْمِئِنُّ قَلْبِي ۙ {البقرة: ٢٦٠} هل كان إبراهيم شاكاً في قدرة الله؟ ولماذا جاءت الطيور سعيًا ولم تأت طيراناً؟ أليس هذا مخالفاً لفطرتها؟

ج ٣٠٢ - إن سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يسأل سؤال شك في قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى، ولكنه سأل عن الكيفية {كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ}؛ فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - لو أن جراحاً أجرى لمرىض عملية وأنت متأكد من هذا، ولكن تريد أن تعرف كيف عملها، فقلت له: كيف تعمل العملية يا دكتور؟ فهل أنت شك فيهِ؟ بالطبع لا.. ولكنك سألته لتشاهد مهارته، فتزداد عند رؤيته يقيناً في قدرته. ومن واقعنا شاهد على ذلك: إننا جميعاً نؤمن بأن الذى خلقنا هو الله سبحانه وتعالى، ونؤمن بمراحل التكوين التى ذكرها فى كتابه الكريم {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المنون: ١٢-١٤] ولكن حين نعرف الأبحاث التى تثبت ذلك، ونرى مراحل التكوين خطوة خطوة، فماذا يكون حالنا؟ يزداد يقيننا وتلهج ألسنتنا: سبحان الله! أما لماذا جاءت الطيور سعيًا ولم تأت طيراناً، فذلك ليتحقق سيدنا إبراهيم من رؤيتها، لأن هذا أشبع لرغبته، وأعظم فى لذته. إننا إذا أردنا أن نتحقق من مشهد عُرض على شاشة التلفاز ماذا نفعل؟ نصوره تصويراً بطيئاً حتى نتمكن من رؤيته جيداً، لأن سرعة الحركة لا تمكننا من ذلك، وسيدنا إبراهيم هو الذى قطع هذه الطيور من قبل، ووضعها على الجبال، فلو جاءت طيراناً فربما شك فيها، هل هى التى قطعها، أم طيوراً أخرى غيرها، أما حين تأتبه سعيًا فسيؤكد تماماً إنها هى. والدليل على أن سيدنا إبراهيم لم يكن شاكاً هو قول الله عز وجل: {وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ولم يقل (واعلم أن الله على كل شىء قدير)، والله أعلم.

س ٣٠٣ - يقول القرآن عن الربا: {فَأَذْنُوبًا يَحْرَبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٦٩]

علمنا أن الحرب من الله قد تكون في صورة مَحَقِّ المال، أو الأمراض، أو الزلازل والبراكين، أو أى صورة من صور الحرب، أما نبيكم فقد مات، فكيف تكون الحرب منه؟

ج ٣٠٣- إن الحرب من الرسول ﷺ بعد موته على عاتق أتباعه، فأتباع الرسول ﷺ الحاملون لمنهجه يمثلونه في حرب هؤلاء المرابين، فعلى الملوك والرؤساء وسائر الحكام أن يمنعوا الربا بالقوة الجبرية، وأن يُسْتَوْ القوانين الرادعة لمنعه، وعلى العلماء - الذين هم ورثة الأنبياء - بيان مغبته وسوء عاقبته، وعلى العامة محاربة الربا بالكف عنه ومقاطعته، ونصح من يتعامل به بتركه، فكل أتباع النبي ﷺ لا بد أن يعلنوا الحرب عليه، كل بحسب استطاعته، فهذه هي صور حرب الرسول ﷺ للربا بعد مماته. ونحن نرى القوانين والمبادئ التي سنّها المشرّعون والقضاة يُعمل بها أثناء حياتهم، وبعد مماتهم، ونقرأ ونسمع عبارة (بقوة القانون) وإن ذهب المُقنّن، والله أعلم.

س ٣٠٤- إن القرآن تفوته أحياناً بعض قواعد اللغة العربية، فنحن نبحث مع علماء اللغة العربية عن خبر كان في {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ} [البقرة: ٢٨٠]

ج ٣٠٤- صحيح أننا لا نجد خبر كان في هذه الآية، ولكن السائل ليست عنده ملكة عربية، فكان يجب أن يعرف أن (كان) تحتاج إلى اسم وخبر، الاسم مرفوع، والخبر منصوب، وهذه هي التي يقال عنها: (كان الناقصة) وكان يجب أن يفهم أيضاً أنها قد تأتي تامة، أى ليس لها خبر، وتكتفى بالمرفوع على أنه فاعلها وليس اسمها. وإليك شرح موجز: إن كل فعل من الأفعال يدل على حدث وزمن، وكلمة (كان) إن سمعتها دلت على وجود حدث مطلق لم تبيّن فيه الحالة التي عليها اسمها، ومعنى ذلك أن (كان) دلت على الزمن الوجودى المطلق، أى على المعنى المجرد الناقص، والشىء المطلق لا يظهر المراد منه إلا إذا قيد، فإن أردت أن تدل على وجود مقيد ليتضح المعنى ويظهر فلا بد أن تأتيها بخبر، مثل: كان زيد مجتهداً، هنا وجد شىء خاص وهو اجتهاد زيد، إذن فكان هنا ناقصة تريد الخبر يكملها وليعطيهما الوجود الخاص، فإذا لم يكن الأمر كذلك وأردنا الوجود فقط تكون (كان) تامة، أى تكتفى بمرفوعها على أنه فاعلها، مثل أن تقول: عاد

الغائب فكان الفرح أى وجد، أو أشرقت الشمس فكان النور، والشاعر يقول:

وكانت وليس الصبح فيها بأبيض وأضحت وليس الليل فيها بأسود

فقوله: {وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ} أى فإن وجد ذو عسرة، والله أعلم.

س ٣٠٥- كيف يقول القرآن عن حنة بنت فاقوذ إنما قالت: {رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُ أُنثَىٰ
وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّعْتُ} [آل عمران: ٣٦] والمعروف أن (ما) تدل على غير العاقل، فكيف
يقول: {بِمَا وَصَّعْتُ} والموضوعة إنسانة عاقلة وهى مريم؟ ألا كان المفروض أن يقول
(بمن وضعت) لأن (من) تدخل على العاقل؟

ج ٣٠٥- إن هذا الخواجة يريد أن يتعامل على العرب، والصحيح أن يقال {بِمَا} وليس
(بمن) لأن السيدة مريم - رضى الله عنها - كانت رضية، فلا تعد من العقلاء حينها،
فهل رأيتم فى الدنيا رضيعاً عاقلاً؟ إن (ما) هو الحرف الأنسب لحالتها وهى فى المهد، كما
أن (ما) مصدرية لا علاقة لها بالعاقل أو غيره، والله أعلم.

س ٣٠٦- كيف يقول زكريا: {رَبِّ أَنْيْ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ}
[آل عمران: ٤٠] بل ويطلب آية على أنه سينجب، فيقول: {رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} [آل
عمران: ٤١] وهو الذى دعا ربه فقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ
الدُّعَاءِ} [آل عمران: ٣٨]؟

ج ٣٠٦- إن هذا من دهشته وتعجبه من أن يرزقه الله الولد بعدما كبرت سنه وانحى
ظهره، فقد كان عمره حينها تسعة وتسعين عاماً، وكانت امرأته عاقراً، وعمرها ثمان
وتسعين عاماً، فجاء منه هذا التساؤل لاستعظام ذلك الأمر فى نفسه على ما جرت به
العادة، مع أنه هو الذى دعا به، كمن يتمنى شيئاً عظيماً المنال، ثم عند تحقيقه لا يكاد
يصدق، ويقول: معقول أن هذا قد حدث؟ كالفقير الذى لا يملك من حطام الدنيا إلا
القليل، ولا يكاد يجد قوت يومه، ثم يدعو ربه. أن يبسر له حج بيته الحرام، مع علمه بأنه
لا سبيل له إليه، ثم يُقدّر الله سبحانه وتعالى أن رؤساءه فى العمل - مثلاً - يعملون قرعة
على من يسافر معهم للحج ليقوم بخدمتهم، فتقع القرعة على هذا الرجل الفقير، فيقول
من دهشته: معقول أن مثلى يحج بيت الله؟ بل ولا يصدق حتى تأتية البينة على ذلك، كأن
يُطلب منه جواز السفر، ثم يرى التأشيرة بعينه. ومثل الذى له ابن مريض مرضاً شديداً،

وقد أشرف على الموت، وهو يدعو الله له ليل نهار، ثم تأتيه البشارة بأن الله قد شفى ابنه، فيطير فرحاً، ويقول: لا أصدق حتى أراه بعيني، والله أعلم.

س ٣٠٧- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُكَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٤٢] ما فائدة تكرار قول: {أَصْطَفَاكِ} في الآية المذكورة؟

ج ٣٠٧- إن قوله تعالى: {أَصْطَفَاكِ} في المرة الأولى خاص باصطفائها على نساء العالمين لخدمة بيت المقدس، فلم تكن هناك أنثى غيرها تقوم على خدمته. أما قوله تعالى في المرة الثانية فهو اصطفاؤها لولادة سيدنا المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأن هذا الحدث لن يتكرر بعدها أبداً، فنن يوجد طفل إلى قيام الساعة يولد بغير أب مثل سيدنا عيسى، والله أعلم.

س ٣٠٨- يقول القرآن عن مريم: {يَمْرُؤُكَ أَقْتَبِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} [آل عمران: ٤٣] والصحيح لغوياً أن يقال (اركعي مع الراكعات)

ج ٣٠٨- لم يكن في بيت المقدس إناث غيرها، ولكن كانوا كلهم رجلاً، فكيف يقال: (اركعي مع الراكعات) ولم يكن هناك راكعات سواها؟ كما أنه يُطلق اسم جمع المذكر ويُقصد معهم الإناث، كأن تسلم على مجموعة من الرجال بينهم إناث فتقول: السلام عليكم، ولا تقول: السلام عليكم، والله أعلم.

س ٣٠٩- يقول القرآن: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩] وكان المفروض أن يقول (كن فكان) لأن المقام صيغة الماضي (لأن آدم كان) وليس المضارع كما جاء في الآية.

ج ٣٠٩- إن الله سبحانه وتعالى قال: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل: ٤٠] وسيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - شئء.. فيدخل في نطاق الآية الكريمة، أى ينطبق عليه قول الله جل وعلا: {كُنْ فَيَكُونُ} ثم إن سيدنا آدم لم يكن منذ خلقه الله عز وجل على حالة واحدة ثم انتهى حتى يقال (كان) بل إنه - كسائر البشر - يتقلب في أحوال كثيرة، من شباب وشيخوخة، وفرح وحزن، وصحة ومرض، وموت ثم بعث ونشور وحساب.. إلخ، وفي جميع أحواله أوامر الله سبحانه وتعالى تجرى

عليه من منطلق {كُنْ فَيَكُونُ}، والله أعلم.

س ٣١٠- يقول القرآن: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} [آل عمران: ٩٧] لقد رأينا في الحرم أحداثاً جساماً في فترة السبعينيات، وقتل الأبرياء، ورُوع الآمنون، وانتَهكت الحرمات، ومنعت إقامة الشعائر في الحرم لمدة شهر تقريباً، فأين هو الأمن المزعوم في الآية؟

ج ٣١٠- لقد حدثت فعلاً أحداث جسام في الحرم عندما ادعى شخص اسمه (جهيمان) أنه المهدي المنتظر، وكان معه جماعة مسلحة أحدثت في بيت الله ما أحدثت، وليست هذه أول مرة تسال فيها الدماء في الحرم، فقد كان هناك قوم يُسمون (القرامطة) قاموا بسرقة الحجر الأسود، وظل عندهم عدة سنوات، وحدث أن اعتدى الحجاج بن يوسف الثقفي على الحرم وضربه بالمنجنيق عندما اختبأ فيه عبد الله بن الزبير بن العوام - رضى الله عنهما - ورُوع الآمنون كما حدث في عصرنا. فهناك في القرآن صيغة خبرية بمعنى أما قدرية، وصيغة خبرية بمعنى الأمر بما فيها، فالصيغة الخبرية القدرية مثل: {كُلُّ مَنْ عَلَّمْنَا فَاِنَّ} [الرحمن: ٢٦] و{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥] وآيات أخرى، وهذه الصيغ الخبرية لا يمكن مخالفتها للواقع، لأن الله عز وجل قد قدر هذا الأمر الذي أخبر عنه، فلا بد من وقوعه كما قال. أما الصيغة الخبرية المقصود منها الأمر، فهي كقوله تعالى: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} والمقصود منها أمر المسلمين بتأمين من دخل البيت، أى أن الذى يدخله لا بد وأن يؤمن فلا يروعه أحد، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو قال والد لأولاده: الضيوف تُكْرَم في بيتي. فهل أجبرهم أن يكرموا ضيوفه أم أنه أمرهم؟ ولو حدث أنهم لم يكرمهم بل أهانوهم، أيكون العيب في الوالد أم في أولاده الذين لم ينفذوا أمره؟ إن هذه الآية (والله أعلم) كقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِمْ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} [الإسراء: ٣٣] قال العلماء إن قوله جل وعلا: {إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} يعنى أن الله نصره بتشريع حد القصاص، أى أن حقه محفوظ في الدنيا بالقصاص، وفي الآخرة بالجزاء. فلنفترض أن القاتل لم يُقَمَّ عليه حد القصاص لأى سبب، كظلم الحاكم، أو لأنه لم يتمكن منه، أو لأى سبب آخر، أيكون في هذه الحالة التى لم يُقَمَّ حد الله فيها تكديماً لقوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} أم أنه

عدم امتثال لأمره؟ والدليل على ذلك أن القرآن نفسه قد بين أنه من الممكن القتال عند المسجد الحرام، ولكن بشرط أن يكون الاعتداء قد وقع على المسلمين أولاً {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفْتَلُوَكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ فَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ} [البقرة: ١٩١]، والله أعلم.

س ٣١١- إن الإسلام لم يحرم إلا الربا المضاعف، أما القليل فلا مانع منه، بدليل قول القرآن: {يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَأْكُلُوْا الرِّبَاۤ اَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً} [آل عمران: ١٣٠] ج ٣١١- لقد صدق عليكم قول ربنا جل وعلا: {أَفْتَوُمُونَنِي بِبَعْضِ الْكِتٰبِ وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ} [البقرة: ٨٥] لأنكم تناسيتم قوله تعالى: {وَإِنْ تَبَيَّنَّ فَلَكُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُوْنَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٩] فهذه الآية قطعت الظن بأن يسير الربا حلال، فهي توضح أن من تاب فله رأس ماله فقط، لا يزيد عليه ولا ينقص منه. أما لماذا قيل: {أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً} فلأن هذا كان حالهم في الجاهلية. وهناك حديث عن رسول الله ﷺ يوضح فيه حرمة أدنى شيء من الربا، وهو قوله: "درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية" [صحيح الجامع: ٣٣٧٥]، والله أعلم.

س ٣١٢- يقول القرآن: {يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَأْكُلُوْا الرِّبَاۤ اَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً} [آل عمران: ١٣٠] لقد جاءت هذه الآية في سياق الكلام عن غزوة أحد، فهي لا تمت لما قبلها ولما بعدها بأى صلة، والعجيب أن المسلمين ما زالوا يطننون حول بلاغة القرآن!

ج ٣١٢- إن هذه الآية لها علاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها، فالمرابي يأخذ أكثر من حقه، ويتطلع إلى ما لم يبذل فيه أى جهد، بل ويضيف على ذلك تأويلاً خاطئاً من عنده، فيظن أن البيع مثل الربا {كَذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوْا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥] وذلك مثل من يُحِلُّونَ أرباح البنوك الربوية، ويقولون إن البنوك لا تخسر، فلماذا تكون أرباحها حراماً، وهل البنك يقترض منى، إنه يستثمر لى مالى ويربح وأنا أربح معه.. مع أن البنوك التي تخسر وتسرح عمالتها كثيرة. فكذلك الرِّمَاءة على جبل أحد وقعوا في التأويل، وتطلعوا لأخذ ما ليس من حقهم، فقد أولوا أمر الرسول ﷺ هم ألا يبرحوا أماكنهم بأن من حقهم أن يبرحوا طالما أن المشركين هُزموا وولوا مدبرين، فترل معظمهم ليأخذوا

الغنائم، وهي ليست من حقهم، كما يفعل المرابي {مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ} [آل عمران: ١٥٢] فلما رأهم المشركون هجموا عليهم وحدث ما حدث من هزيمة المسلمين. ومجىء هذه الآية في هذا المكان من باب الطرق على الحديد وهو ساخن، كما ترى من يشاهد منظراً مربعاً (كالبراكين مثلاً) فتذكره بالنار، ليتعظ ويقلع عن معاصيه، أو يشاهد مناظر جميلة من بساتين وأثمار وأشجار وثمار، فتذكره بالجنة، أو كمن يمشى مع ابنه فيشاهدان الناس يضرّبون لصاً، فيقول لابنه: إنه لم يكن يسمع كلام والديه، وترك المذاكرة والمدرسة، وصاحب أهل السوء حتى أصبح لصاً، هل تحب أن تكون مثله؟ أم تحب أن تكون مثل دكتور فلان الذي يملك عيادة جميلة، وسيارة، وكذا وكذا؟ إنك في هذه الحالة - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - تستفيد من هذه الواقعة لتعظه حتى لا يكون مثله. ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال بعد النهي عن الربا: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٣٠] ولم يقل مثلاً: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} أو ما شابهها، لأن {تُفْلِحُونَ} أصلها من (الفلاح) فالفلاح عنده أرض، والمرابي عنده رأس مال، ولكن الفلاح رغم أن عنده أرضاً إلا أنه يتعب فيها ويبذل جهده، فيبذر ويحرق ويسقى، ويتعاهد الزرع بما يصلحه، ويدفع عنه الآفات على قدر استطاعته، وفي النهاية يجد ثمرة جهده، ويحصد ما زرع، فلا بد لصاحب رأس المال أن يشغل ماله فيما يدر عليه الربح الحلال كما يفعل الفلاح، وإذا أقرض ماله للمحتاج فليجعله قرضاً حسناً، وليحتسب أجره عند الله، ليحني ثمرة عمله في الآخرة، كما يجني الفلاح ثمرة عمله، ولكن مع الفارق العظيم بين حصاد الدنيا وحصاد الآخرة {وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رِّبَا يَمْزُئُونَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم: ٣٩]، والله أعلم.

س ٣١٣- يقول القرآن: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنبَغِي مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْفَلَتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران: ١٤٤] فكيف يكون قاتل هذا إلهاً وهو لا يعرف هل سيموت محمد أو سيقتل؟

ج ٣١٣- إن الرسول ﷺ في حقيقة الأمر مات شهيداً متأثراً بأكلة خيبر التي تحدثنا عنها في الشبهة رقم (٢٥٧) والدليل على ذلك قوله: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام، حتى كان هذا أو ان قطع أهرى" [صحيح الجامع: ٥٦٢٩] أما أمام الناس فإنه مات

موتة طبيعية على فراشه، فلو قال الله عز وجل إنه سيقتل، ثم يموت في فراشه، لكان في هذا فتنة للناس في دينهم، لأن أكله من الشاة المسمومة لم يعلم به إلا القليل. وهناك شيء آخر: فلو أن الله عز وجل قال إنه سيقتل لكان في هذا حزن للمسلمين وقلق، وترقب منه ومنهم لموعده ومكان قتله، ومن سيقتله... إلخ. وموضوع قتله بالسّم من امرأة يهودية يحزن الكثير من المسلمين، ونقول لهم: إن بعض الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد قتلوا ونالوا الشهادة، بدليل قوله تعالى: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: ٨٧] فلو لم يمّت الرسول ﷺ شهيداً لكان من الأنبياء من هو أعلى منه درجة، ولكن الله عز وجل من فضله ورحمته جمع له أجر الشهادة مع أجر النبوة والرسالة.

وقد ورد في الكتاب المقدس تناقض بين كون يهوذا مات من سقوطه على وجهه، وبين كونه مات منتحراً، فماذا نصدق إذن؟
فإن هذا اقتضى حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها. (أعمال الرسل ١: ١٨)

فطرح الفضة في الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه (متى ٢٧: ٥)
وجاء في الكتاب المقدس أيضاً تناقض في طريقة انتحار شاول النبي، حيث يقول:
ومات شاول ويوناثان ابنه أيضاً. فقال داود للغلام الذي أخبره كيف عرفت أنه قد مات شاول ويوناثان ابنه. فقال الغلام الذي أخبره أتفق أني كنت في جبل جلبوع وإذا شاول يتوكأ على رُمحه وإذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه. فالتفت إلى ورائه فرآني ودعاني فقلت هانذا. فقال لي من أنت فقلت له عماليقي أنا. فقال لي قف عليّ واقتلني لأنه قد اعتراني الدوار لأن كل نفسي بعد في. فوقف عليه وقتلته (صموئيل الثاني ١: ٤-١٠) مع أنه ذكر طريقة أخرى جاءت في الرد على الشبهة رقم (١٥٧)، والله أعلم.

س ٣١٤ - يقول القرآن: {وَلَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْعًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٧٦] طالما أن الله أراد ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة، فلم يجعل لهم في الآخرة عذاباً عظيماً؟

ج ٣١٤- إن الله سبحانه وتعالى {لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: ٤٠] فهل يقهر أحداً على فعل المعصية ثم يعاقبه عليها؟ {سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُصِفُونَ} [الأنعام: ١٠٠] ولكن هذا عقوبة كفرهم، فمثلاً - {وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى} - لو أن والدًا نصح ولده مراراً وتكراراً بعدم مصاحبة أهل السوء، وبالمذاكرة لينجح آخر العام، ولكن الولد لم يسمع كلام والده، وتمادى في لعبه وهواه وترك المذاكرة، فماذا يقول له والده؟ يقول له: اعمل ما بدا لك، فأنا أريد أن ترسب. فهل هو حقاً يجب لابنه الرسوب، أم أن الولد أغضبه فقال ما قال؟ فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده بتوحيده وطاعته، ويرسل إليهم الرسل، ويتزل إليهم الكتب، ويرهن لهم على ربوبيته وألوهيته بالأدلة النقلية والعقلية، ولكنهم مع كل هذا، ومع ما أمدهم به من العقل ليميزوا به بين الخير والشر.. يجحدون نعمه، ويكفرون برسله، فتكون عاقبتهم أن يختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب يوم الحساب، والله أعلم.

س ٣١٥- أين هي بلاغة القرآن حين يقول: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لِكُرْبٰنٰمَآ وَأَرْزُقُوهُم مِّمَّا وَكَسَوْتُمْ} [النساء: ٥] أليس المفروض أن يقول (وارزقوهم منها) بدلاً من {وَأَرْزُقُوهُم مِّمَّا}؟

ج ٣١٥- إن قوله تعالى: {وَأَرْزُقُوهُم مِّمَّا} أبلغ من (وارزقوهم منها) لأن (منها) تعنى من المال نفسه، أما {مِّمَّا} فتعنى رزقهم من عائدها أو ربحها، وهذا حث على تشغيل الأموال وتكثيرها، والله أعلم.

س ٣١٦- يقول القرآن: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠] {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ} [البقرة: ١٨٨] {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} [التوبة: ٢٤] فهل الأموال تؤكل كما يقول القرآن؟

ج ٣١٦- إن الله قد ذكر الأكل بالذات لأن استبقاء الحياة به، وأكثر استهلاكات البشرية ونفقاتها في الطعام، وكل واحد منا يستطيع أن يحسب نفقاته الشهرية، فسيجد معظمها في شراء الطعام، ولا صبر للإنسان على فقدانه، أما الملابس - مثلاً - فلا يحتاجها الإنسان إلا مرة أو مرتين في العام، ويمكنه لبس الأشياء القديمة أو البالية، بعكس الطعام، فهو احتياج يومي لا يمكن الاستغناء عنه البتة، ولا يمكن للإنسان أن يأكل وجبة يعيش

عليها لعدة أيام، فضلاً عن الشهور والسنين التي يستغنى فيها عن الأشياء الأخرى، حتى إنهم يقولون على من يجتهد في طلب الرزق الحلال: {إنه يسعى على لقمة العيش} مع أن عنده نفقات كثيرة غير الطعام، والله أعلم.

س٣١٧- لا يهتم القرآن بالذَّين بقدر اهتمامه بالوصية، فيبدأ بالوصية قبل الذَّين في أربع آيات من سورة النساء، منها قوله: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ ذِّينٍ} [النساء: ١٢] مع أن الذَّين أولى من الوصية.

ج٣١٧- نعم.. إن الذَّين أولى من الوصية، ولكن كثيراً من الناس لا يهتمون بالوصية بقدر اهتمامهم بالذَّين، وربما يكتوموها، وخصوصاً إن كان الميت لم يُوثَّق وصيته، ولم يُشهد عليها أحداً، لأنهم يعتبرون أن المال المُوصى به من حقهم، وليس من حق المُوصى له بهذا المال، وأنهم إذا نفذوا وصية الميت فسيعود ذلك بالضرر عليهم، ويقبل من إرثهم، فذكرت هذه الآيات الوصية قبل الذَّين ليعلم الورثة أن تنفيذها فرض عليهم، والله أعلم.

س٣١٨- يقول القرآن: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ؕ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: ٢٩] فهل يمكن أكل المال بالباطل عن طريق التجارة؟ وكيف يقوم الناس بالانتحار الجماعي كما تقول الآية؟

ج٣١٨- التجارة عبارة عن معاوضة سلعة بمال، وهناك دائماً وسيط بين المنتج والمستهلك، سواء كان هذا المنتج مزارعاً، أو صانعاً، أو غير ذلك، والسلعة لها ثمن أصلي، هو ثمن تكلفتها الحقيقية، وثن تباع به أعلى من ثمنها الأصلي، فأنت حين تشتريها لا تشتريها بثن تكلفتها، ولكنك تشتريها بأعلى منه، فظاهر هذا الفرق في السعر أنه أكل لمالك بالباطل، ولكنك راضٍ عنه، لعلمك بحتمية الربح للمنتج والوسيط، وأنت لو كنت مكافهم لفعلت فعلهم، أما النهي عنه فهو الظلم في المعاملات، وأخذ ما ليس لنا فيه حق ومشروعية.

أما قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} فهو نهي لكل فرد أن يقتل نفسه، وليس معناها النهي عن الانتحار الجماعي. فمثلاً - {وَلِلَّهِ أَلْمَلُ الْأَعْلَى} - لو قال مدرس لتلاميذه: أخرجوا كتبكم، فإنه يقصد في هذه الحالة أن كل تلميذ يخرج كتابه، ولكن الأمر جاء

لكل التلاميذ، فلماذا جاء بصيغة الجمع، فلا يصح أن يقول لهم: أخرجوا كتابك! أما لو كلم تلميذاً بعينه فإنه يقول له: أخرج كتابك، فكذلك الآية تنهى كل واحد من المؤمنين عن قتل نفسه، ولا تنهى واحداً بعينه، فحاءت بصيغة الجمع. وقبل الغزو الأوربي لبلاد المسلمين، وقبل إدخال السينما لبلادهم، كانت نسبة الانتحار بين المسلمين تساوى صفراً، لأن الانتحار محرم بهذه الآية، وبأحاديث رسول الله ﷺ، ومنها: "إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة، فلما آذته انتزع سهماً من كنانته فثكأها، فلم يرقاً الدم حتى مات، فقال الله: عبدى بادرنى بنفسه حرمت عليه الجنة" [صحيح الجامع: ٢٠٨٢]

و"من قتل نفسه بمحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً" [صحيح الجامع: ٦٤٥٩]

فأنت جئت إلى الدنيا بأمر الله، وتخرج بأمر الله، فعند انتحارك تكون قد اعتديت على حق من حقوق الله جل وعلا، ولم تصبر على قضائه وقدره، وهدمت بيتك التي ليست ملكاً لك، ولكنها ملك لله سبحانه وتعالى.

لقد جاء الأمر بالقتل الجماعي في الكتاب المقدس، حيث قال: فقال لهم. هكذا قال الرب إله إسرائيل ضَعُوا كل واحد سيفه على فخذِهِ ومُرُوا وارجعوا من باب إلى باب في الخلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال موسى املاؤا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه. فيعطيكم اليوم بركة (خروج: ٣٢: ٢٧-٢٩)، والله أعلم.

س ٣١٩ - يقول القرآن: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: ٤٠] وقد أثبت العلم أن الذرة يمكن تفتيتها إلى ما هو أصغر منها، فهل معنى هذا أن الله يظلم أقل من الذرة؟

ج ٣١٩ - إن القرآن قد ذكر أن هناك ما هو أصغر من الذرة، فقال: تعالى {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبا: ٣] وقال: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس: ٦١] ولكن هذا لا يعنى أن الله يظلم أقل

من الذرة - حاشا وكلا - ولكن الذرة كانت - وما زالت - يُضْرَبُ بها المثل في غاية الضآلة والصغر، فكانت يفهم الصحابة رضي الله عنهم أنها النملة أو الهبأة (وهي ما نراه من الأجسام الصغيرة العالقة في شعاع الشمس الداخل من نافذة مثلاً) ولكن بعد اكتشاف الذرة أدرك العلماء المحدثون فهَمَّ الآية على ضوء هذا الاكتشاف، وأدركوا معنى قوله تعالى: {أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ} بعد الوصول إلى تفتيت الذرة، ولكن الثواب والعقاب يكونان على أقل ما يفعله الإنسان من خير أو شر، كما قال الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧-٨] والإنسان لا يستطيع أن يعمل خيراً أو شراً أقل من الذرة، لماذا؟ لأن أصغر وحدة في تكوين أى شيء، سواء كان حياً أو ميتاً، إنساناً أو حيواناً، نباتاً أو جماداً، أو أى شيء يخطر على بالك، هي الذرة، حتى الخلية الحية التي هي وحدة تكوين الكائن الحي، فهي مكونة من عناصر كثيرة مثل الصوديوم، والبوتاسيوم، والحديد، والكالسيوم، والمغنسيوم.. إلخ، وحدة تكوين كل عنصر فيها هي الذرة، ومع أن الذرة مكونة من أشياء كثيرة مثل البروتونات، والإلكترونات، والنيوترونات.. إلخ، إلا أن هذه المكونات لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تنفصل عن بعضها إلا بمعالجات كيميائية تخرجها عن طبيعتها، وخواصها، وصفاتها الأصلية، بحيث لا يُطلق عليها اسم عنصرها الأصلي، ومن ضمن ذلك ما يسمى بالتفجير النووي، فكيف تكون أصغر وحدة لتكوين أى شيء هي الذرة، ثم يستطيع الإنسان أن يعمل ما هو أصغر منها؟ وهذا يتضح للسائل أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أقل من الذرة، لأنه لو كان هناك ظلم - جديلاً - لكان بالعقاب، ولا يوجد عقاب أقل من الذرة، والله أعلم.

س ٣٢٠- يقول القرآن: {يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا} [النساء: ١٣٦] كيف يقال لهم:

{ءَامِنُوا} وهم مؤمنون؟

ج ٣٢٠- إن الإيمان فعل القلب، والإسلام فعل الجوارح، وهذا أمر بالثبات على الإيمان، لأن الإيمان يزيد وينقص، وكان معنى الكلام: اثبتوا على الإيمان، ولا تشكروا في يوم من الأيام، كما تقول لابنك - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}: ذاكر ولا تلعب. وهو يذاكر بالفعل، ولكنك تقصد التأكيد عليه أن يستمر في المذاكرة، فلا يتركها ويلعب. وقال بعض العلماء إنه أمر بالزيادة في الإيمان، حتى يصلوا إلى أعلى الجنان. كما تقول لابنك -

{وَاللَّهُ أَلَمْتُ الْأَعْلَى}: أنا لا أريد منك أن تنجح، ولكني أريد أن تتفوق. فالإيمان يزيد بالطاعات، وذكر الله، وتلاوة القرآن، وينقص بالغفلة والمعاصي والآثام، وكما أن الإيمان درجات، فالجنة درجات.. قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أثمار الجنة" [صحيح الجامع: ٢١٢٦]، والله أعلم.

س ٣٢١- يقول القرآن: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} [المائدة: ٦] لقد سوى القرآن بين المرأة والبول والبراز (الغائط) فلا بد من التطهر منهم.

ج ٣٢١- إن الطهارة والوضوء أمر تعبدي، وهو من شروط صحة الصلاة، فهناك طهارة من الحدث الأكبر - مثل الجماع - وهو المقصود من الآية الكريمة: {لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ} أو إنزال المني ولو بغير جماع - ولو احتلاماً - وكذلك الحيض والنفاس، ويكون بالاغتسال. وطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، مثل التبول والتغوط، والمباشرة الخارجية بدون إنزال مني. وهناك نواقض أخرى للوضوء لم تذكر في الآية، مثل أكل لحم الجوزور (الإبل) على أصح القولين، أو لمس المرء فرجه بدون حائل، فهل كل النواقض تعتبر كالبراز؟ والمرأة هي الأخرى لا بد أن تغتسل من الجماع، وتتوضأ من المباشرة بغير جماع، فهل هذا يعني أن الرجل يتساوى بالبراز هو أيضاً؟ فإذا قلت: نعم (وهذا لا يقوله إلا مجنون) فنقول لكم: لا تحزنوا.. فهناك مساواة بين الرجل والمرأة (رد جنون بمجنون!) ثم إن الجمع بين الأشياء لا يعني تجانسها، فلو قلت: إن عندي غسالة، وسيارة، وحصاناً.. فهل هذا يعني تجانس هذه الأشياء، أو مساواتها في القيمة؟ إن الأمر أمر تشريعي كما قلنا عن التيمم، فالله عز وجل يأمرنا بما يشاء، وينهانا عما يشاء، وله الحكمة البالغة، ونحن عبده، ولا نملك إلا السمع والطاعة، والله أعلم.

س ٣٢٢- إن القرآن يجمع المثني، فيقول: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: ٣٨] وكان المفروض أن يقول (فاقطعوا يديهما)

ج ٣٢٢- هل الله سبحانه وتعالى يتكلم عن سارق واحد وسارقة واحدة حتى يأمرنا

يقطع يديهما؟ إن كلمة {السَّارِق} تعني كل من سرق من الرجال، وكلمة {السَّارِقَة} تعني كل من سرقت من النساء، ومن ثمَّ فالعقوبة تشملهم جميعاً، ولذلك جاءت بضمير الجمع، والله أعلم.

س ٣٢٣- يقول القرآن: {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤] {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥] {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة: ٤٧] فلماذا يبدأ في كل آية بضمير المفرد، ثم يختتم بضمير الجمع؟

ج ٣٢٣- أى حاكم لا يحكم بمفرده، ولكن لا بد أن تكون معه حكومة، وهى السلطة التشريعية، ثم السلطة التنفيذية التى تطبق أحكامه، فلا بد له من وزراء فى جميع المجالات: الداخلية، العدل، الخارجية.. إلخ، وكذلك لا بد له من قضاة ليحكموا بين الناس بأمره. وقد روى عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أنه كان مسجوناً، فسأله الحارس الذى كان يجلده: هل على ذنب يا سيدى؟ فقال له: نعم.. فلولاك ما ظلموا. وهذا صحيح، فكيف يظلم الحاكم بغير منفذين لحكمه؟ فلو وجد حاكم ظالم، ولكن لم يطعه أحد فى تنفيذ أوامره.. فكيف يظلم إذن؟ هل سيقوم بتنفيذ أوامره بنفسه؟ فضمير الجمع فى الآيات الكريمة يرجع إلى الحاكم، وحكومته، وكل من يساعده، كما قال الله عز وجل: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص: ٨] فمن قال: فما ذنب جنودهما؟ نقول له: لأنهم أطاعوهما، كما قال تعالى فى آية أخرى: {فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الزخرف: ٥٤]، والله أعلم.

س ٣٢٤- يقول القرآن: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّةَ مِنْ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢] ويقول: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّةَ وَالنَّصْرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: ٦٩] ويقول: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّةَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ} [الحج: ١٧] إن محمداً قد أخطأ فى الإعراب حين قال فى سورة المائدة: {الصَّبِيَّةُونَ} والصواب أن يقول {الصَّبِيَّةِ} كما

قال في سورتي البقرة والحج.

ج ٣٢٤- المسلمون واليهود والنصارى يجمع بينهم قاسم مشترك، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والملائكة، والبعث والنشور، والحساب، والميزان، والجنة والنار.. إلخ، وتحريم القتل، والربا، والسرقه، والخمر، والزنى.. إلخ، فقد جاءهم رسل من عند ربهم، يحملون رسالة فيها منهج حياتهم، أما الصابون فلم تنزل إليهم رسالة، ولم يُرسل إليهم رسول، فحين جاء ذكرهم في سورة (المائدة) بعد اليهود وقبل النصارى، خُصَّصُوا بِحُكْمٍ وحدهم فيه كسر للإعراب، وكأنه مبتدأ، ولولا ذلك لظن القارئ أن عطفهم على اليهود بحرف (الواو) ثم عطف النصارى عليهم، يجعل حكمهم مثلهم، ولظن أنهم قد أرسل إليهم رسول من عند ربهم، أما وضعهم بين اليهود والنصارى فهذا ترتيب حسب زمن ظهورهم، فقد ظهوروا بعد اليهودية، واستمر وجودهم إلى ما بعد النصرانية. والشاهد على تفرد شيء بحكم خاص به رغم عطفه على شيء آخر، ما جاء في قوله تعالى: {يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} [المائدة: ٦] فكلمة: {وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} برغم أنها - ظاهرياً - معطوفة على {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ} إلا أنها لا تأخذ حكمها في المسح، ولكنها معطوفة عليها لأجل ترتيب أفعال الوضوء، أما من حيث حكمها فهي معطوفة على {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} بمعنى أنها تُغسل مثلهم، والله أعلم.

س ٣٢٥- ليس في القرآن آية واحدة تدل على تحريم الخمر، أما الآية ٩٠ من سورة (المائدة) فهي تدل على المجانية فقط.

ج ٣٢٥- إن قوله تعالى: {يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أشد من النهى المباشر، لأن الاجتناب يعني تحريم كل الطرق المؤدية إلى شرها، كما قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ} [الإسراء: ٣٢] فلم يقل سبحانه وتعالى (ولا تزنوا) لأن الأخيرة تعنى تحريم الزنى فقط، أما الأولى فتعنى تحريم كل الطرق المؤدية إليه، من خلوة، ونظر محرّم، ولبس بالأيدى، وخضوع بالقول، وتبرج... إلخ. فكذلك قوله تعالى: {فَاجْتَنِبُوهُ} أشد في التحريم من (لا تشربوا الخمر) فمجانبة الشيء تعنى أنك تعطيه جانبك، كأن يكون على يسارك فتعطيه جانبك، وتلتفت

ناحية اليمين، أو يكون هناك شيء خطير على جانب الطريق، فتجتنبه وتمشي على الجانب الآخر. أما لو قال (لا تشربوا الخمر) أو (حرمت عليكم الخمر) فهذا لا يعنى إلا عدم شربها، ولكن لا مانع من تصنيعها، أو بيعها، أو أكل ثمنها، أو مجالسة من يشربونها، أو حملها إليهم.. إلخ، ولكن تحريم كل هذا جُمِعَ في كلمة واحدة، وهى قوله تعالى: {فَاجْتَنِبُوهُ}. ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: "إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومُعَصِرَها، وشارِبَها، وساقِياها، وحامِلَها، والمحمولةَ إليه، وبانِعَها، ومشتريها، وآكلَ ثمنها" [صحيح الجامع: ١٨٠٢]

أما الكتاب المقدس فقد ذمها، ثم أمر بشرها، وإليكم بعض النصوص الخاصة بها: مُحِب الخمر والدُّهْن لا يستغنى. (أمثال ٢١: ١٧) لمن الويل لمن الشقاوة لمن المُتخاصمات لمن الكُرْبُ لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهار العيين. للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها في الكأس وساعت مرفقة. في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان. عينك تنظران الأجنبية وقلبك ينطق بأمور ملتوية. تكون كمضطجع في قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية. يقول ضربوني ولم أتوجع. لقد لكأوني ولم أعرف. متى أستيقظ. أعود أطلبها بعد (أمثال ٢٣: ٢٩-٣٥) أعطوا مُسكرًا هالك وحمراً لمرى النفس. يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبته بعد (أمثال ٣١: ٦) لا تكن في ما بعد شراب ماء بل استعمل حمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٥: ٢٣)، والله أعلم.

س ٣٢٦- يقول القرآن: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٩٣] ما هذا الإطناب والتكرار؟

ج ٣٢٦- إن هذا ليس تكراراً ولا إطناباً، فقد جاء في (تفسير النسفى) بخصوص هذه الآية الكريمة ما نصّه:

ونزل فيمن تعاطى شيئاً من الخمر والميسر قبل التحريم {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} أى: شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل

تحريمهما {إِذَا مَا اتَّقَوْا} الشرك {وَوَآمَنُوا} بالله {وَوَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بعد الإيمان {ثُمَّ اتَّقَوْا} الخمر والميسر بعد التحريم {وَوَآمَنُوا} بتحريمهما {ثُمَّ اتَّقَوْا} سائر المحرمات. أو الأول عن الشرك، والثاني عن المحرمات، والثالث عن الشبهات {وَأَحْسِنُوا} إلى الناس {وَأَلَّهُ نُجُوبَ الْحَسِينِ}

ثم إن في تكرار هذه الكلمات الدالة على التقوى والإيمان والإحسان دلائل على وجوب مراعاتها، والاستمرار في سلوكيات تناسبها، ونحن نعلم أن الإيمان يزيد وينقص، ويقوى ويضعف، وتكرار هذه التنبهات يذكر ويعدل مسار المؤمن، فيحسن سلوكه ونواياه، فيحبه ربه ومولاه، والله أعلم.

س٣٢٧- يقول القرآن: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ} {المائدة: ١٠٩} إن الرسل هم أعلم أهل الأرض، فكيف يكذبون ويقولون: {لَا عِلْمَ لَنَا}؟

ج٣٢٧- إن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - هم أعلم الناس برهم، وأتقاهم له، وقد كانوا في الدنيا على وجل وخوف من رهم جل وعلا، فما بالكم بيوم القيامة؟ إنهم من هول الموقف بين يديه سبحانه وتعالى ينسون ما حدث من أقوامهم، فيقولون: {لَا عِلْمَ لَنَا} فهو نسيان وليس كذباً، ولنضرب لذلك مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن طلبة في لجنة الامتحان جاءهم مراقب ضخم الهيئة، فظ غليظ، وقال لهم بصوت أجش: الباقي من الوقت خمس دقائق، فإنهم ينسون ولا يدرون ماذا يكتبون في ورقة الامتحانات، لا لعدم مذاكرتهم، ولكن لخوفهم منه، والله أعلم.

س٣٢٨- يقول القرآن: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} {الأنعام: ٣٨} ما فائدة قوله: {يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ}؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟

ج٣٢٨- إن هذا الوصف للتوكيد، والتوكيد هنا يفيد معنى الشمول الذي دلّت عليه {من} في قوله تعالى: {وَمَا مِنْ} والتوكيد جاء لغرابة الخبر عندهم وكونه مظنة إنكارهم (أى أن الطيور أمم أمثالنا) فكان حقيقاً بأن يؤكد بأنه الطائر الذي نعرفه يطير بجناحيه، وليس المقصود به شيئاً آخر، والله أعلم.

س٣٢٩- إن القرآن يخلط الترتيب التاريخي في بعثة الأنبياء والمرسلين، فيقول مثلاً:

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٨٤-٨٦] لكن الترتيب التاريخي الحقيقي هو: أيوب، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، هارون، موسى، داود، سليمان، إيلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى.

ج ٣٢٩- إن القرآن ليس كتاباً تاريخياً، ولا يورخ للأحداث مرتبة بغير قصد، إنه كتاب هداية وإصلاح وإرشاد، وحين تقرأ القرآن ترى أن الله لم يذكر اسم ابن نوح الذي كان كافراً، ولا اسم جبار إبراهيم، ولا اسم فرعون موسى، ولا أسماء أهل الكهف، ولا زمامهم، ولا مكائهم، ولا اسم الذي عقر ناقة صالح، ولا اسم ذى القرنين ولا زمانه، ولا مكان سد يأجوج ومأجوج، ولكن القرآن يذكر الظلمة بأفعالهم، وليس بأسمائهم، فلا قيمة للأسماء، فإن الله قد أهلكهم بسبب أفعالهم، وليس بسبب أسمائهم، فهو ليس كتاب تاريخ، ولكنه كتاب عقيدة وعمل، ولذلك لا يهتم بالترتيب، فقد ذكر قوم ثمود في سورة (الحاقة) قبل عاد، مع أن المعلوم من القرآن نفسه أن عاداً قبل ثمود، وجاء بذكر سيدنا محمد قبل جميع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - في قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا} [النساء: ١٦٣] إذن فالقرآن لا يورخ للأحداث، ولكنه يضرب الأمثال، ويسرد الحقائق، ولا يهم أن تكون مرتبة، المهم الاعتبار والموعظة، والظروف التي نزلت فيها الآية، وعلى قدر الاستيعاب وحالة النفوس، ومناسبة المعنى لما قبلها وما بعدها، وأحياناً يأتي الحدث على هيئة رمز غير مرتب، كما جاء في سورة (التين) {وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} لقد جاء بمكان سيدنا عيسى وهو {الَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ} قبل مكان سيدنا موسى {طُورِ سِينِينَ} ثم قال: {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} مكان سيدنا محمد.. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ثم إنه من يدرس حروف العطف في لغة العرب - التي هي لغة القرآن - يعلم بأن (الواو) تعطف، ولا تفيد ترتيباً زمنياً، مثل (ثم) و(الفاء).

وقد جاء في كتابكم المقدس أن (يهورام) مات وعنده أربعون عاماً، ثم تولى ابنه (أخزيا) الملك من بعده، وهو ابن اثنتين وأربعين عاماً، أى أنه كان أكبر من أبيه بعامين: كان يهورام ابن اثنتين وثلاثين سنة حين مَلَكَ ومَلَكَ ثمانى سنين في أورشليم. (أخبار الأيام الثانى ٢١: ٥) هذا النص يذكر عمر (يهورام) ومدة مُكثه في الحكم، ثم يأتى النص التالى ليذكر وفاته:

كان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين مَلَكَ ومَلَكَ ثمانى سنين في أورشليم وذهب غير مأسوف عليه ودفنوه في مدينة داود ولكن ليس في قبور الملوك (أخبار الأيام الثانى ٢١: ٢٠) ثم يأتى النص الأخير ليثبت أن ابنه (أخزيا) تولى الحكم بعده مباشرة (عوضاً عنه) وكان أكبر منه سنًا:

ومَلَكَ سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضاً عنه لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب إلى الحلة. فمَلَكَ أخزيا بن يهورام مَلَكَ يهوذا كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك (أخبار الأيام الثانى ٢٢: ١-٢) فهل هذا أشد أم ترتيب الأحداث؟، والله أعلم.

س ٣٣٠- نحن نلاحظ استخدام القرآن لعبارات مختلفة لنفس المعنى، فيقول مثلاً: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام: ١٥١] ثم يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسِيَّةَ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} [الإسراء: ٣١] فما هذا التكرار والتلاعب بالألفاظ؟

ج ٣٣٠- إن الآيتين ليس هما تكرر ولا تلاعب بالألفاظ، فالآية الأولى تتكلم عن فقر موجود فعلاً، فمن اليديهي أن تطمئن الفقير على رزقه أولاً، ثم رزق أولاده، ولذلك جاءت بلفظ {نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} أما الآية الثانية فإنها تتحدث عن الخوف من الفقر، أى أنه لم يقع بعد، وهم يخشون وقوعه بسبب كثرة الذرية، فيطمئنهم الله عز وجل بأنه سيرزق أولادهم أولاً، وأنهم لن يكونوا سبباً في فقرهم، ولذلك قال: {نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} فهذا أبلغ في الاطمئنان على رزق أولادهم، حتى لا يفكروا في قتلهم، والله أعلم.

س ٣٣١- يقول القرآن: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: ١٠] ثم يقول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَكِيَّةِ

أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} [الأعراف: ١١] ألم يكن المفروض أن تأتي الآية ١١ قبل الآية ١٠؟ إذ كيف يكون تمكين الإنسان في الأرض قبل خلقه؟

ج ٣٣١- إن الترتيب هاهنا ليس ترتيباً زمنياً، ولكنه ترتيب حسب الأهمية، كما جاء ذلك كثيراً في القرآن الكريم، مثل قوله تبارك وتعالى في أول سورة (الرحمن): ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ فَذَكِّرَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَةِ التَّمَكِينِ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَكَفَالَةِ مَعَايِشِهِ، وَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَسَائِرِ أَحْتِيَاجَاتِهِ، يَأْتِي فِي الْمَقْدِمَةِ قَبْلَ سَرْدِ قِصَّةِ خَلْقِهِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بِهَا قِوَامُ حَيَاتِهِ، وَهُوَ لَا يَهْتَمُّ بِقِصَّةِ خَلْقِهِ قَدْرَ اهْتِمَامِهِ بِمَعَايِشِهِ، فَهِيَ شُغْلُهُ الشَّاعِلُ، وَبِدَوْنِهَا يَهْلِكُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مُوَاصِلَةَ الْحَيَاةِ، فَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى إِحْدَى الْبِلَادِ الَّتِي بِهَا جَمَاعَاتٌ مِثْلَ النِّيْجِرِ، وَكَانَ مَعْنَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ، فَأَطْعَمْنَاهُمْ وَسَقَيْنَاهُمْ، فَكَمْ تَكُونُ فَرِحَتُهُمْ بِنَا؟ وَكَمْ يَكُونُ امْتِنَانُهُمْ لَنَا؟ أَمَا لَوْ ذَهَبْنَا إِلَيْهِمْ وَحَدَّثْنَاهُمْ عَنِ بَدَايَةِ نَشَأَتِهِمْ، فَهَلْ يَعْنِيهِمْ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ؟ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْنَاهُمْ عَنْهَا بَعْدَ إِطْعَامِهِمْ فَسَيَكُونُونَ آذَانًا صَاغِيَةً، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - يَمْتَنُّ عَلَى عِبَادِهِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ امْتِنَانِهِ عَلَيْهِمْ بِخَلْقِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

س ٣٣٢- يقول القرآن: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلْتَمَمْتُ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف: ٣٣] فهل هناك بغى بحق وبغى بغير حق؟

ج ٣٣٢- البغى معناه الظلم.. وهو محرم قطعاً بالكتاب والسنة، ولكن هذا من باب (المشاكلة اللفظية) ما معنى هذا الكلام؟ معناه أننا نسمى رد الفعل باسم الفعل، فمثلاً قول الله عز وجل: {فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤] فمن اعتدى عليك بالضرب أو الإهانة فمن حَقَّكَ أَنْ تَرُدَّ اعْتِدَاءَهُ بِمِثْلِهِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَ بِالْاعْتِدَاءِ، وَلَكِنْ رَدُّ فَعْلِكَ أَخَذَ الصِّفَةَ نَفْسَهَا، مِنْ بَابِ الْمَشَاكَلَةِ اللَّفْظِيَّةِ كَمَا قُلْنَا، وَأَيَّاتٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: ٥٤] ومثل: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ} ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٤-١٥] فهؤلاء عوقبوا بما يتناسب مع فعلهم.

وهناك رأى آخر يقول: إن هناك أشياء ظاهرها البغى، ولكنها بحق.. كيف ذلك؟
 فمثلاً: حالات التتريس بالبريء في الحروب.. يأخذون أسرى أو رهائن ويترسون بهم، أى يستترون خلفهم كدروع بشرية (وهو ما يسمونه الحائط البشرى) حتى إذا حاول أحد قتلهم فلا بد أن يقتل هؤلاء الأسرى رغم أنهم أبرياء.. فماذا نفعل في هذه الحالة؟ هل نترك أعداء الله وأعداءنا خوفاً على الأسرى الأبرياء المسلمين؟ إننا في هذه الحالة نقتل الأبرياء لنصل إلى الأعداء.. وفي هذه الحالة نكون قد بغينا على الأبرياء، ولكنه بغى بحق. ومثل مجرم تطارده الشرطة فاحتبأ وراء أبرياء، ولا تستطيع قتله إلا إذا قتلت معه هؤلاء الأبرياء، فلا بد أن يُقتل هذا المجرم، ولو قتلوا معه، لأنه لو ترك لكان خطراً على الأمة، وعلى المسلمين، فالمصلحة العليا تقتضى قتل هذا المجرم العاتى، مع التضحية بالأبرياء، فيكونون في هذه الحالة قد قتلوا ظلماً، ولكن بحق. مثال آخر: هناك أرض زراعية لشخص ما، وهذه الأرض في مواجهة العدو، والمصلحة العليا للدولة تقتضى الاستيلاء على هذه الأرض، فيصدر أمر من وزير الدفاع بالاستيلاء عليها، ووضع المدفعية والأسلحة اللازمة للقتال في هذه الأرض (مع تعويضه عنها) مع أن الرجل يبكى ويصرخ، وهذا الأمر معمول به في دول العالم للمنافع العامة، ويسمى أمر استيلاء، فهذا أيضاً بغى، ولكن بحق، والله أعلم.

س٣٣٣- القرآن يذكر خبر الاسم المؤنث، فيقول: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ {الأعراف: ٥٦} وكان الصحيح في اللغة أن يقال (إن رحمت الله قريبة) لأن {قريب} خبر اسم {إن} وهو {رحمت}

ج٣٣٣- إن الآية الكريمة ليس القرب المذكور فيها مراداً به قرب النسب فيلزم تأنيته، وإنما المراد قرب الزمان، والعرب تميز فيه الوجهين: التذكير والتأنيث، ولا مرئ القيس وهو من شعراء الجاهلية، وشعرهم حجة في إثبات اللغة، بيت نحاً فيه هذا المنحى، فقال:

له الويل إن أمسى ولا أم سالم قريب ولا البسباسة ابنة يشكر

والشاهد في البيت تذكير قريب، مع جريانه على مؤنث (أم سالم) وهو نظير {قريب} في الآية الكريمة، ونقول إن القرآن لم يخرج عن سنن البيان العربي حين ذكر {قريب}

وهي بجراها على مؤنث مجازى غير حقيقى {رحمة الله} وكان الرد المفحم على خصوم القرآن قول الفراء - رحمه الله - من أن العرب كانوا يفرقون بين القرب والبعد من النسب، وبين القرب والبعد في المكان والزمان، فالأول يلتزم فيه تأنيث ما جرى خيراً أو صفة لمؤنث، أما الثاني وهو القرب والبعد في الزمان فإنهم يميزون فيه الوجهين التذكير والتأنيث، والله أعلم.

س ٣٣٤- يقول القرآن عن نبي الله نوح: {أَيُّلُغُكُمْ رَسُولَتِي نَبِيٍّ وَأَنْصَحُ كَثْرًا وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٦٢] فهل أرسل نوح برسالة واحدة أم برسالات كثيرة؟

ج ٣٣٤- لم يكن قبل سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - رسل حتى يبلغ رسالاتهم، ولكنه كانت كلما نزلت عليه رسالة بلغها لقومه، كما كان يفعل سيدنا محمد ﷺ كلما نزلت عليه آية بلغها لقومه، مع أن الرسالة واحدة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وفعل المأمورات، وترك المنهيات، إلا أن هذه الرسالة تحتوي على رسائل شتى، فكل أمر رسالة، وكل نهي رسالة، وكل موعظة رسالة... إلخ، والله أعلم.

س ٣٣٥- يقول القرآن عن امرأة لوط: {كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ} [الأعراف: ٨٣] وهذا فيه تذكير للمؤنث.

ج ٣٣٥- إن امرأة سيدنا لوط - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تؤيد وتشجع الرجال على فعل قومه الذي ثبُرًا منه اسم سيدنا لوط، وعندما جاءت الملائكة - عليهم السلام - لزوجها في صورة رجال، على درجة كبيرة من الجمال، صعدت إلى سقف منزلها تلوح بدرعها لقومها أن يأتوا ليعتدوا عليهم. فلماذا تفعل ذلك وهي لا دخل لها به؟ ولا يلحقها منه أى منفعة؟ إن أى امرأة تستقبح وتستقذر هذا الفعل، فضلاً عن أن تشجع عليه! أما هى فقد فعلته حباً وولاءً لأهلها، ولذلك ألحقها الله بهم في هلاكهم. كما أنه في لغة العرب يُخاطَبُ الجمع بصيغة المذكر، ولو أن هذا الجمع فيه رجل واحد والباقي نساء، والله أعلم.

س ٣٣٦- إن موسى في القرآن رجل سوبرمان، سأل الله أن يراه فأخذته الصاعقة،

ولكنه لم يمت {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَقَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣] أما بنو إسرائيل لما سألوا رؤية الله أخذهم الصاعقة، فماتوا جميعاً {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ٥٥-٥٦]

ج ٣٣٦- إن سؤال سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - رؤية الله عز وجل جاء بعد أن سمع كلام الله وتلذذ به، فاشتاق إلى رؤيته سبحانه وتعالى اشتياق المتيم بحب ربه، فسأله الرؤية بأدب جم {رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ} أى لو أذنت لى يا ربى أن أراك، فجاءت الصاعقة على سبيل البيان لسيدنا موسى أنه لا يستطيع أن يراه، لأن تركيب الإنسان فى الدنيا غير مُعد لرؤية الله عز وجل، ولا يَحتَمِل ذلك، فإن الجبل العملاق لم يستطيع تحمل تجليهِ سبحانه وتعالى، فكيف بالبشر الضعيف؟ ولو رفض الله سبحانه وتعالى إجابة دعائه بغير هذا البيان فرمما حزن موسى، واعتبر هذا عدم رضا عليه، فكان ما حدث تعليماً له وليس عقاباً، بدليل أن الله سبحانه وتعالى بيّن له منزلته العظيمة عنده بقوله: {قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَ لَمِى فُحِذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: ١٤٤] أما بنو إسرائيل فقد سألوا موسى رؤية الله على سبيل التعنت والشرط {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً} فكانت الصاعقة بمناباة التأديب، وكبح الجماح، ولم تكن تجلياً عليهم، بل عقاباً لهم، لسوء أدبهم مع خالقهم جل وعلا، إذن هناك فرق بين الأدب المتمثل فى سؤال موسى، وبين الغطرسة فى بنى إسرائيل، وليست المسألة أن موسى سويرمان كما يقول الناقد، والله أعلم.

س ٣٣٧- كيف يكلم الله موسى عن الإنجيل فى قوله: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧] ولم يكن أنزل بعد؟

ج ٣٣٧- إن هذا تبشير لسيدنا موسى بسيدنا محمد ﷺ، وفى الوقت نفسه تبشيره بسيدنا عيسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - والإنجيل الذى أنزل معه. وقد جاء

في الكتاب المقدس ما يؤكد أن سيدنا موسى بشرٌ بسيدنا عيسى: لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونى لأنه هو كتب عني. (يوحنا: ٤٥-٤٦)، والله أعلم.

س٣٣٨- إن القرآن خالف قواعد اللغة العربية حيث أثن العدد وجمع المعدود في قوله: {وَقَطَعْتَهُمْ أَثْنَتِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا} [الأعراف: ١٦٠] والصحيح أن يقال (اثني عشر سِبْطًا) لأنه كان يجب أن يذكر العدد ويأتى بمفرد المعدود.

ج٣٣٨- وجه النحاة تأنيث العدد في الآية بأن السبب في بنى إسرائيل كالقبيلة عند العرب، يعنى أنه أراد بالأسباط القبائل، ولذلك أثن جزئى العدد المركب، وهما {أَثْنَتِي عَشْرَةَ} هذا وجه، ووجه آخر هو تأويل السبب بالجماعة أو الفرقة أو الطائفة، أما جمع (أسباط) وكان حقه أن يُفرد، فقد روعى فيه المعنى دون اللفظ، ومن الدلائل القوية على صحة تأنيث العدد أن بعض النحاة أضاف إلى بدلية {أُمَّمًا} من {أَسْبَاطًا} أن {أُمَّمًا} وقعت نعتاً لأسباط، و{أُمَّمًا} جمع أمة المؤنثة، وسواء كانت {أُمَّمًا} بدلاً من {أَسْبَاطًا} أو كانت نعتاً له فإن الذى لا نزاع فيه أن المؤنث لا يبدل من المذكر، ولا يقع نعتاً له، وهذا دليل قاطع على أن المراد من {أَسْبَاطًا} وإن كان مذكراً في اللفظ فهو في المعنى مؤنث لا محالة، ولذلك أثن النظم القرآنى جزئى العدد المركب {أَثْنَتِي عَشْرَةَ}

أما جمع المعدود {أَسْبَاطًا أُمَّمًا} وإن وجهه النحاة توجيهاً صائباً فقد بقى في مجيئه جمعاً مملح بلاغى دقيق، ذلك الملمح نوضحه كالاتى: بدأت الآية الكريمة بهذا الفعل {قطعناهم} بتشديد الطاء على وزن (فَعَّل) وهذا التشديد يفيد التكرير، أى كثرة التقطيع والتفريق، وهذا يناسبه بلاغة جمع {أَسْبَاطًا أُمَّمًا} لا إفرادهما، والمعانى البلاغية من هذا النوع تُزال من أجلها كل الموانع والسدود، ولغة القرآن وبلاغته أوسع من قواعد اللغة وفنوها البلاغية، ثم إن القرآن الكريم أسبق من النحو والبلاغة، بل إن النحو والبلاغة وُضعا بسببه، والله أعلم.

س٣٣٩- تزعمون أن آدم نبي، مع أن القرآن أقرّ بأنه أشرك بالله هو وزوجته، واطرءوا إن شئتم: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلَتْ حَمَلًا حَفِيظًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا

لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣٣٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٤٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا مَخْلُقَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ {الأعراف: ١٨٩-١٩١}

ج ٣٣٩- إن هذه الآية لا تتحدث عن سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ولكنها تتحدث عن مثال من الأزواج المشركين، أما ما جاء في بعض التفاسير بهذا الشأن فهو - وللأسف - من الإسرائيليات، إذ كيف يشرك سيدنا آدم وهو الذى قال الله عنه: {ثُمَّ آجَبْتَهُ رَبُّهُ فَتَبَّ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه: ١٢٢]؟ ثم إن أسماء أولاده معروفة، ولم يرد أن أحداً منهم كان اسمه (عبد الحارث) كما تزعم الروايات المكذوبة عليه. ومما يدل على أن الآية ليس مقصوداً بها سيدنا آدم وزوجته أن الأسلوب نفسه قد استعمل في الدلالة على بنى آدم وأزواجهم، مثل قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [النحل: ٧٢] وقوله تعالى: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١]، والله أعلم.

س ٣٤٠- يقول القرآن: {وَأَنْتُمْ أَتَيْنْتُمْ لَا تَصِيحْنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: ٢٥] ما ذنب الذين لم يظلموا أن يُعاقبوا بالفتنة؟ أليس هذا ظلماً؟

ج ٣٤٠- إن ذنبهم أنهم لم ينهوا عن الظلم، قال رسول الله ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره" [صحيح الجامع: ١٥٠٢] وقال: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" [صحيح الجامع: ١٩٧٣] وقال: "والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتذعنن فلا يستجيب لكم" [صحيح الجامع: ٧٠٧] وقد ورد أن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة بإهلاك قرية ظالمة في قديم الزمان، وكان بها رجل عابد في صومعته، فقالوا: يا رب إن بها فلاناً العابد، فقال: "ابدأوا به فإنه لم يتمعر وجهه يوماً من أجلى" أى إنه كان لا يغضب لله، ولا ينهاهم عن المنكر، رغم قدرته على ذلك، واكتفى بصلاحه وعبادته، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٧] فلم يقل الله سبحانه وتعالى (وأهلها صالحون) بل قال: {مُصْلِحُونَ} أى أنه لا يكفى الصلاح وحده، بل لابد من الإصلاح لمن قدر عليه، أما الضعيف الذى لا قدرة له على النهي عن الظلم، فلا

يشارك فيه، وينكره ولو بقلبه، قال رسول الله ﷺ: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويتقيدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" [صحيح الجامع: ٥٧٩٠] وإذا أهلك الله الظلمة وفيهم هولاء الصالحون المستضعفون الذين لم يستطيعوا منع الظلم، فإن الله سبحانه وتعالى يبعثهم على نياتهم، أى أن ما لهم في الآخرة سيكون مختلفاً عن مال هولاء الظالمين، قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى إذا أنزل سطواته على أهل نعمته، فوافت آجال قوم صالحين، فأهلكوا بملاكهم، ثم يُبعثون على نياتهم وأعمالهم" [صحيح الجامع: ١٧١٠]، والله أعلم.

س ٣٤١- يقول القرآن: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣] فهل المشركون يستغفرون يا أيها المسلمون؟

ج ٣٤١- لم يقل الله عز وجل إنهم (استغفروا) بصيغة الماضي، ولكنه قال: {يَسْتَغْفِرُونَ} فالصيغة الأولى تفيد أنهم استغفروا وهم على شركهم، أما الصيغة الثانية فهي صيغة مضارع مستمر، تفيد أنهم يستغفرون، أى يُسلمون، والله سبحانه وتعالى لم يرسل عليهم عذاباً يستأصلهم، لسابق علمه أن الكثير منهم سيسلمون، حتى إنه نهي النبي ﷺ عن الدعاء عليهم، رغم أنهم قتلوا أصحابه من حفظة القرآن ﷺ فقال له: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} [١٢٨-١٢٩] وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ١٢٨-١٢٩] وبالفعل قد أسلم الكثير من صناديدهم أمثال: أبي سفيان قائد معسكر الشرك، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم كثير وكثير، وخاصة بعد فتح مكة.. وهم الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

س ٣٤٢- يقول القرآن: {وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠] أنتم تقولون إن القرآن صالح لكل زمان ومكان، فهل تصلح الخيل في الحروب الإلكترونية الحديثة؟

ج ٣٤٢- إن السائل ليس له خبرة بكل وسائل الحرب، فما زالت جميع الجيوش العالمية

تعتمد على ما يسمى (سلاح الخيالة) وهذا السلاح لم يتم إلغاؤه حتى في أعظم الدول تقدماً واعتماداً على الإلكترونيات، وتحافظ الكليات الحربية على تدريب الفرسان والخيول، والاحتفال بعروضها ومسابقاتها إلى اليوم في جميع الدول، لأن الخيل تستطيع أن تدخل الأماكن الضيقة الوعرة، ذات المنخفضات والمرتفعات، وأماكن البرك والمستنقعات، التي لا تستطيع أن تدخلها المركبات الحديثة، كعربات الجيب، والهامر، وغيرها، ولا حتى الموتوسيكلات. وقد ظهرت أهمية الخيل بوضوح في حرب ٧٣ عندما حوَّصر الجيش، فكان لا يستطيع أن يدخل إليهم في هذه الأماكن الوعرة إلا الخيل والجمال والحمر، وكانت أي مركبة سواء سيارة، أو دبابه، أو عربة مجتررة، أو نصف مجتررة، تظهر على رادار الأعداء، فيضربونها وهي لم ترح مكانها، لأن لها ذبذبات ونبضات حرارية تظهرها، أما الخيل فليس لها ذبذبات ولا نبضات تظهرها، لا على الرادار، ولا المروحيات، وليس لها عادم تُعرَف به، فكانت وسيلة جيدة لتوصيل المؤن والمعدات إلى الجيش في الأماكن المحاصرة. إن الإنسان مهما بلغ من العلم فلن يستطيع أن يستغنى عن هذه المخلوقات، فالحمار الذي يُضرب به المثل في الغباء عنده ملكات فطرية لا يستغنى عنها الإنسان، فبعض النظر عن كونه يصل إلى الأماكن الضيقة الوعرة، فمن الممكن استخدامه بغير قائد، ففي القرى يُحمَلون عليه الطعام وغيره فيذهب به إلى الحقل ويرجع وحده، والكثير منا شاهد الفلاحين مُحمَّلين العربات التي نسميها (الكارو) بالخضر والفاكهة، ويسافرون بها إلى المدن البعيدة لبيعها، وهم نائمون عليها، والحمار يعرف الطريق ويمشي وحده إلى أن يصل إلى ذلك المكان، فهل تستطيع أي سيارة، ولو كانت ما تسمى (الشَّيْب) أن تذهب وتجيء وحدها بغير قائد؟ سبحان الله {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} [النحل: ٨] إن هذه الآية سيستمر العمل بها إلى نهاية العالم، وحتى لا يأتي متفلسف ويقول: هناك مركبات ظهرت حديثاً ولم تُذكر في الآية، مثل السيارات، والموتوسيكلات، وغيرها، فنقول له: إن الله عز وجل بعدما ذكر هذه المخلوقات، قال: {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، والله أعلم.

س ٣٤٣- يقول القرآن: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٩] أليس هذا تحريصاً على القتل، وأكل أموال الناس بالباطل؟

ج ٣٤٣- لقد دافعنا عن فريضة التحريض على القتل في الرد على الشبهة رقم (٨١) وغيرها، والذي نودُّ أن نضيفه هو أن الغنائم جاء ذكرها في الكتاب المقدس، حتى لا يظن السائل أن الإسلام قد ابتدعها. وعلى أية حال فهي معاملة للمحاربين بالمثل، كما أنه لا يوجد في العالم أجمع من ترك غنيمة أعدائه بعدما انتصر عليهم، فكيف تطالبون المسلمين بتركها؟ وما هي بعض الأدلة على ذكرها في الكتاب المقدس:

فخرج سيحون للقاننا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص. فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه. وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. لم نُبقي شاردة. لكن البهائم فُبنّاها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا... الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا. (تثنية: ٣٢-٣٦)

لكن كل البهائم وغنيمة المدن فُبنّاها لأنفسنا. (تثنية: ٣: ٧)

بنيامين ذئب يفترس. في الصباح يأكل غنيمة وغند المساء يُقسّمُ نهباً (تكوين: ٤٩: ٢٧) ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء عُشراً أيضاً من رأس

الغنائم. (الرسالة إلى العبرانيين: ٧: ٤)

قد يقول قائل: ألم يقل نبيكم: "أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي" [صحيح الجامع: ٤٢٢١]؟ فنقول: نعم.. ولكن لا يعنى هذا أنها لم تكن موجودة، بل كانت موجودة، ولكن كان أكلها مُحَرَّمًا عليهم، ومن أكلها منهم فهو آثم، ولذلك قيل عن بنيامين حين أكلها إنه (ذئب يفترس) والصحيح أنها كانت تنزل إليها نار من السماء فتأكلها، قال رسول الله ﷺ: "لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تُجمَع وتزل نار من السماء فتأكلها" [صحيح الجامع: ٥١٩٦] فإباحتها لنا من رحمة الله سبحانه وتعالى بنا. وقد ذكرنا الدليل من الكتاب المقدس على أن النار كانت تنزل من السماء لتأكل ما يُقدّم لله من ذبائح وغيرها، في الرد على الشبهة رقم (٨٨) والغنائم مثلها، والله أعلم.

س ٣٤٤- يقول القرآن: {فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ۚ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥] وهذا معناه أن المشركين إن لم يسلموا، أو

يخرجوا من جزيرة العرب في المدة المحددة، فسوف يقتلون، أليس هذا إكراهاً في الدين؟ ثم إن نبيكم يريد أن يحتكر جزيرة العرب على المسلمين وحدهم، فيقول: "لا يَبْقَيْنَ دِينان بأرض العرب" [صحيح الجامع: ٤٦١٧] فأين حرية العقيدة إذن؟

ج ٣٤٤- إن هذا الكلام خاص بجزيرة العرب، فالقرآن نزل للعرب أولاً، والمُهْلة التي منحها القرآن (أى الأشهر الأربعة) هي مُهْلة لمشركي العرب دون غيرهم. إن أعلم الناس بلغة القرآن هم العرب، فلا يُعقل أن يكفر العربي به لأنه يعلم أنه معجز، فمثلاً - (وَلِيْلَهُ أَلْمَلُّ الْأَعْلَى) - لو عرضت ذهباً خالصاً على صائغ خبير في صناعة الذهب، ويعلم الذهب النقي من المغشوش، ثم سألته: أهذا ذهب خالص أم لا، فأنكر مع علمه به، فماذا يكون حاله؟ إن هذا جحود منه لغرض في نفسه، فكذلك العرب لم يكذبوا رسول الله ﷺ إلا جحوداً وحسداً ألا يكون القرآن قد أنزل على واحد منهم، كما ذكر محمد بن اسحاق عن الزهري، أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق ذهبوا ليلاً ليستمعوا قراءة الرسول ﷺ للقرآن، وفي عودتهم تقابلوا في الطريق، فتلاموا وتعاهدوا ألا يعودوا إلى سماعه ﷺ مرة أخرى، حتى لا يُفتن بهم شباب العرب، فلما كانت الليلة الثانية واللييلة الثالثة حدث الشيء نفسه، فلما أصبحوا ذهب شريق بن الأخنس إلى أبي جهل وسأله: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، فأطعموا فاطمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفَرَسَى رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك ذلك؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. وقد تحدث القرآن عن هذا المعنى في أكثر من آية، مثل: {فَلِإِيَّاهُمْ لَا يُكذِبُونَ} وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِقَائِلَتِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ {الأنعام: ٣٣} {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْآنِ عَظِيمٍ} {الزخرف: ٣١} {أَمْ نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا} {ص: ٨} وقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله فعجزوا {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} {الإسراء: ٨٨} ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور {أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ قُلٌّ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ} وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {هود: ١٣} ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله {أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ قُلٌّ فَأَتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

[يونس: ٣٨] أو آية ليست مثله ولكن تشببه {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا تَزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ٢٣] ولم يقف التحدى عند هذا فحسب، بل تحداهم بأن يجدوا به أى نقص أو عيب، فقال: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢] و{أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُنزِلَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا} [محمد: ٢٤] إن صاحب أى بضاعة سيئة لا يريد أن يفتش أحد وراءه فى صنعته، لئلا يجد بها عيباً، ولكن الله عز وجل - {وَاللَّهُ أَلْمَلُ الْأَعْلَى} - قد تحداهم أن يجدوا به عيباً، لعلمه بعدم وجوده، فعجزوا رغم كل هذه التحديات، فلماذا لم يؤمنوا إذن؟ وما زاد الطين بلةً (كما نقول) أنهم لم يكتفوا بكفرهم، بل خانوا عهودهم مع رسول الله ﷺ على التعايش فى سلام، فكانت عقوبتهم الطرد من بلد الله الحرام، وما جاورها من أرض العرب، وهذا المعنى يتضح فى السورة نفسها {أَلَا تَتَّقِلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوْلَك مَرَّةٌ} [١٣] ثم إن بيت الله الحرام لا بد أن يؤمن، ويؤمن الطريق إليه، حتى يصل إليه الحجاج والمعتمرون وهم آمنون، والله أعلم.

س ٣٤٥ - يتعارض القرآن مع العلم فيقول: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} [التوبة: ٣٧] مع أن النسء الذى فى الأيام القبطية من الحساب الفلكى، وله علاقة وثيقة بالزراعة والحصب.

ج ٣٤٥ - إن النسء المذكور فى الآية الكريمة هو ما كان يفعله المشركون من تأجيل الأشهر الحرم، وجعلها مكان الأشهر الحلال، ليستحلوا بذلك القتال، ولا علاقة له بالأيام التى تحدثون عنها، والى تضبط السنة القبطية للزراعة، بدليل قول الله تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} وقد جاء فى كتابكم المقدس أن الله سبحانه وتعالى وضع (قوس قزح) ليدكره بالآب لا يفرق الأرض مرة أخرى (كما ذكرنا ذلك فى صفات الرب فى الكتاب المقدس، فى الرد على الشبهة رقم ١٩) رغم أنه من الظواهر الطبيعية التى لها تفسير علمى لا علاقة له بإغراق الأرض، فضلاً عن أن الندم والنسيان مُحال على الله سبحانه وتعالى.

وجاء في الكتاب المقدس أيضاً أن الشمس نزلت عشر درجات ثم رجعت في هذه الدرجات مرة أخرى: هأنذا أرجع ظل الدرجات الذي نزل في درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء. فرجعت الشمس عشر درجات في الدرجات التي نزلتها (إشعيا ٣٨: ٨) فما هي هذه الدرجات؟ وكيف تنزل الشمس فيها ثم ترجع مرة أخرى؟ والله أعلم.

س ٣٤٦- يقول القرآن: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] إن أساليب الشرط في اللغة العربية تقتضي جواباً لكل شرط، فهل يصح أن يكون الشرط حاضراً ومستقبلاً، والجواب ماضياً؟

ج ٣٤٦- إن السائل قد أخذ بظاهر اللغة العربية، وجعل بعمق أسرارها. ونقول له: إن كلامك عن الشرط وجوابه صحيح، فإن قلت: إن جاءك زيد فأكرمه، فالشرط هو مجيء زيد، وجواب الشرط هو إكرامك له، ولكن إن قلت: إن تذاكر تنجح، فالنجاح يأتي بعد المذاكرة، إذن فزمن الجواب متأخر عن زمن الشرط، ولكن حين نحقق في الأمر نجد أن الجواب سبب في الشرط، لأنك عندما تذاكر فإنك تذاكر لكي تنجح، فلولا النجاح لما ذاكرت. أما نصرة الله لرسوله ﷺ فلم تكن مترتبة على عدم نصرة قومه له، وبذلك لم تكن جواباً للشرط، وكان الله سبحانه وتعالى يُعلمهم بحبه لرسوله ﷺ وبنصرته له، وإن لم ينصروه، والدليل على ذلك أنه نصره على قومه وأخرجهم من بين أيديهم سالماً، رغم إعدادهم العدة لقتله، والوقوف على بابه وهم مدحجون بأسلحتهم، وفي نصرة الله له رفع لقدره، وتحفيز للمسلمين أن ينصروه كما نصره الله، ونصره باتباع سنته ﷺ، والله أعلم.

س ٣٤٧- يقول القرآن: {تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} [التوبة: ٦٢] وكان المفروض أن يقول (والله ورسوله أحق أن يرضوهما) بضمير المثني، لأنه عائد على الله ورسوله.

ج ٣٤٧- إن الذي أنزل القرآن هو الله، فالمنهج منهجه، والشريعة شريعته، والثواب والعقاب بيده، فما يرضى الله سبحانه وتعالى يرضى رسوله ﷺ وما يرضى رسوله يرضيه، وكذلك فإن ما يسخطه يسخط رسوله، وما يسخط رسوله يسخطه، قال تعالى: {إِنَّ

الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح: ١٠] وقال: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠] وقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١] فالغاية واحدة، والهدف واحد، وهو رضا الله سبحانه وتعالى، فلا داعى إذن أن يقول (والله ورسوله أحق أن يرضوهما) لأن إرضاءهما واحد، وهذا تكريم لرسول الله ﷺ، والله أعلم.

س٣٤٨- إن القرآن يأتي بالفرائب في اللغة العربية، حيث أنه يأتي باسم الموصول العائد على الجمع فيجعله مفرداً، وذلك في قوله: {وَحَضَّمْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} [التوبة: ٦٩] وكان المفروض أن يقول (وحضتم كالذين خاضوا).

ج٣٤٨- الذى يرجع إلى الآية بتمامها يجد أنها تتحدث عن المنافقين والكفار، حيث إن الآية التى سبقتها تقول: {وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَذَابٌ مُّهِمٌ} فالآية مسوقة لتهديد المنافقين والكفار، لعلهم يقلعون عما هم فيه من نفاق وكفر. {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخَضَّمْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} وقد أدير الحديث فيها على تشبيه المخاطبين (المنافقين والكفار) بالأمم الغابرة، كانت أشد منهم قوة، وأكثر مالاً وولداً، وانغمسوا في شهواتهم الفانية، فسار المنافقون والكفار سيرتهم، فركنوا إلى متع الحياة الدنيا الفانية، ولم يبتغوا ما عند الله، وأن المنافقين والكفار فعلوا كل ما فعله من قبلهم من المعاصى والسيئات. ثم بين الله عز وجل أنهم الخاسرون في الدنيا والآخرة. فمعنى الآية إذن: (وحضتم خوضاً مثل خوضهم) فالذى في الآية اسم موصول مفرد، يعود على المصدر المفهوم من الفعل الماضى {حضتم} فشبه الله عز وجل خوض المنافقين بخوض الذين من قبلهم. وهذا هو التسق الذى دارت عليه المقارنة في الآية، تشبيه سلوك اللاحقين بسلوك السابقين من الأمم الغابرة، التى عنت عن أمر ربها، وعصت رسله، صلوات الله وسلامه عليهم. واختار الشوكاني في (فتح القدير) أن المعنى: (كالخوض الذى خاضوا) ومن قبله قال الزمخشري في (الكشاف): (وخاضوا فحضتم كالذى خاضوا)، والله أعلم.

س ٣٤٩- إن القرآن لم يُرد على المشركين، حين قال: {وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي} [يونس: ١٥] لقد أجاب القرآن على الشطر الثاني فقط، وهو تبديل الآيات، ولم يُجب على الشطر الأول، وهو {آتَتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ} وكان المفروض أن يقول (ما يكون لي أن آتى بقرآن غير هذا أو أبدله) ولكنه هرب.

ج ٣٤٩- إن الإتيان بقرآن جديد هو الأصعب، لأنه يتطلب تغيير كل ما فيه، ولكن التبديل أسهل من ذلك بكثير، فمن لا يقدر على اليسير، فمن باب أولى لا يقدر على العسير، وهذا من بلاغة القرآن، أن ينفي الأسهل، ليعلم استحالة الأصعب، فكانه يقول لهم: إنني لا أستطيع أن أبدل شيئاً منه، فكيف آتى بغيره؟ ولكن يفهم من الآية لكل ذى عقل أن أمر التبديل وارد، ولكنه من الله وحده، وليس من رسوله ﷺ، لأنه قال: {مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي} أى أنه لم ينفِ التبديل كلية، ولكن نفى أن يكون التبديل من عنده، قال تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} [النحل: ١٠١]، والله أعلم.

س ٣٥٠- يقول القرآن عن يوم القيامة: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أَنْزَلْنَاهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبْ بِالْأَمْسِ} [يونس: ٢٤] فكيف يكون الله هو القاتل، ولا يحدد متى تكون الساعة من ليل أو نهار؟

ج ٣٥٠- إن هذا السؤال - كغيره - يسلط الضوء على إعجاز القرآن، كالذى يكره المسك، فيحرقه، فيفوح ريحه! إن العلم الحديث قد أثبت أن الأرض كروية، وأنها تدور حول الشمس مرة كل عام، وتدور حول محورها دورة كاملة كل ٢٤ ساعة، فيكون نصفها المواجه للشمس نهاراً، ونصفها الآخر ليلاً، فهل عندما تُدمر يوم القيامة يُدمر نصفها أم كلها؟ بالطبع كلها، سواء الجزء الذى يكون نهاراً، أو الجزء الذى يكون ليلاً، فلو أن الله سبحانه وتعالى قال (أتاها أمرنا نهاراً) لكان نصفها المواجه للشمس هو الذى يُدمر وحده، ولو قال (أتاها أمرنا ليلاً) لكان العكس، ولكن قوله تعالى: {لَيْلًا أَوْ نَهَارًا} يعنى تدميرها بالكامل. وهناك شيء آخر: أن يكون الإنسان على حذر دائم من بطش الله

عز وجل، فلا يسرف في المعاصي نهاراً وهو آمن، ويوجل التوبة إلى الليل، أو العكس، وهو مُستفاد من المعنى المجازي للآية (يأتيها أمرنا في أى وقت).

وقد ورد في الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - تنبأ بانتهاء العالم خلال القرن الأول الميلادي، بل وقبل موت تلاميذه الذين عاصروه، وها هي الأدلة:

ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات وبُسطاء كالحمائم... ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإن الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان (متى: ١٠: ١٦-٢٣) يتضح من هذا أن عودة المسيح - عليه السلام - إلى الأرض ستكون قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل. فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يُجازى كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم إن من القيام هاهنا قوماً لا يدوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته (متى: ١٦: ٢٧-٢٨) يتضح من هذا أنه سيأتي للعالم مرة أخرى قبل موت بعض تلاميذه.

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير... الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله. (متى: ٢٤: ٢٩-٣٤) أى أن يوم القيامة سيأتي قبل انتهاء الجيل المعاصر له.. فهل جاء يوم القيامة؟، والله أعلم.

س ٣٥١- إن القرآن عودنا دائماً على الغرابة، فعلى سبيل المثال ينتقل فجأة من ضمير المُخاطَب إلى ضمير الغائب، فيقول: {هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْكَبْرِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَيعَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيتْنَا مِنْ هُنَدِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [يونس: ٢٢]

ج ٣٥١- إن قوله تعالى: {وَجَرَيْنَ بِهِم} على طريقة الالتفات أى (وجرين بكم) من

بديع الأسلوب في الآية، أما عندما كانت بصدد ذكر النعمة، جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما هيأت للانتقال لذكر الضراء، وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمائر الغيبة لتلوين الأسلوب، فقال: {وَجَرَيْنِيَّهِمْ} على طريقة الالتفات، وهكذا أجزيت الضمائر جامعة للفريقين، والله أعلم.

س ٣٥٢- يقول القرآن: {وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} [يونس: ٤٣] بديهى أن العمى لا يبصرون، فما فائدة قوله: {وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ}؟

ج ٣٥٢- إن الله سبحانه وتعالى لم يقل (ولو كانوا لا ينظرون) أو (ولو كانوا لا يرون) حتى تكون لكم الحجّة، ولكنه قال: {وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} وقد ذكرنا في أكثر من موضع أن العمى الذى يصف القرآن به الكفار ليس عمى الأعين، ولكنه عمى القلوب والبصيرة. أمّا في هذه الآية فقد شبههم الله سبحانه وتعالى بعمى الأعين والبصيرة، فاجتمع عليهم العمى بنوعيه، وهذا أسوأ شيء.. لأن عمى العين لا يمنع الإنسان من الهداية والتفقه في الدين، أما عمى القلب فهو الذى يعميه عن قبول الحق، ولو كان صاحبه على أعلى الدرجات من الفهم والعلم والثقافة، فهؤلاء اليابانيون المتفوقون في مجالات شتى من العلوم، يعبدون الأصنام التى يصنعونها بأيديهم، وكذلك الصينيون، وغيرهم من الأمم البوذية، وهذا يتساوون مع الرجل المشرك البدوى الساذج، الذى لم يحظ بأى قدر من العلم، ولو أنهم فتحوا آذان قلوبهم لسماع كلام ربهم، لعلموا أن دين الله هو الحق، وأنهم على الباطل، وأن هذه الأصنام لا تضرهم ولا تنفعهم. فكذلك المشركون على عهد رسول الله ﷺ لو أنهم تدبروا أحواله ومقاله وفعاله، وما يدعو إليه لعلموا أنه صادق، وأن ما يدعو إليه هو الحق، وخصوصاً أنه كان مشهوراً بينهم بالصدق والأمانة، ورجاحة العقل، والمروءة والشهامة، وغير ذلك من الصفات الحميدة، كما قال عنه عبد الله بن سلام ﷺ عندما رآه: أول ما نظرت إلى رسول الله قلت: (إن صاحب هذا الوجه ليس بكذاب) فإن الدجال يستحيل عليه التظاهر بالاستقامة في جميع أحواله، بل لا بد أن يفتضح أمره، ولو بين أهله، والرسول ﷺ لم يعرف عنه قط مخالفة حاله لمقاله، فمن لم يؤمن به فهو أعمى العين والقلب.

ولقد جاء في الكتاب المقدس ما نصّه: يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب. فستلمس في الظاهر كما يتلمس الأعمى في الظلام (تثنية: ٢٨-٢٩) فهل الأعمى يتلمس في الظلام فقط، أم أنه يتلمس في كل وقت؟ وهل تختلف عنده الرؤية في الليل أو النهار؟ والله أعلم.

س٣٥٣- يقول القرآن: {الآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢] ويقول: {يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} [الزخرف: ٦٨] مع أننا نرى من تقولون إهم أولياء الله قد غدّبوا وقتلوا، مثل عمّار، وبلال، وعمر، وعثمان، وعليّ، وغيرهم ممن عذب في السجون والمعتقلات!

ج٣٥٣- إن ذلك يكون يوم القيامة، بدليل قول الله جل وعلا في الآية نفسها: {لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} فكلمة {الْيَوْمَ} تعنى يوم القيامة، وذلك مثل قوله تعالى: {لَا تَحْزَنُوا} [الأنبياء: ١٠٣] وهو فرع أكبر من فرع يوم القيامة، لأن الله سبحانه وتعالى وصفه بأنه {الْأَكْبَرُ} وبديهي أنه لا فرع أكبر من فرع يوم القيامة، أما الدنيا فهي دار بلاء، قال تعالى: {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: ٢-٣] وقال رسوله ﷺ: "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلماً اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة" [صحيح الجامع: ٩٩٢]، والله أعلم.

س٣٥٤- يقول القرآن: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس: ٨٨] ثم يقول في الآية التي بعدها: {قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} كيف يقول: {قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا} والداعي واحد وليس اثنين؟

ج٣٥٤- عندما كان سيدنا موسى يدعو كان سيدنا هارون - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - يُؤمن على دعائه بقول: آمين. أى يا رب استجب، والمؤمن أحد الداعيين، فعندما يدعو الإمام في الصلاة ويُؤمن على دعائه المصلون.. فماذا نقول؟ هل

نقول إن الإمام يدعو؟ أم أن المصلين يدعون؟ إن تأمينهم يجعلهم مشاركين له في دعائه، والله أعلم.

س ٣٥٥- يقول القرآن عن فرعون: {فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً} [يونس: ٩٢] فلماذا نجى فرعون، ولم ينج النمرود بن كنعان، وقدار بن سالف، وأبا جهل، وغيرهم من الكفار، ليكونوا لمن خلفهم آية؟

ج ٣٥٥- إن سؤالكم حجة عليكم، فأنتم تزعمون أن سيدنا محمداً ﷺ هو الذى ألف القرآن، فلماذا أقحم نفسه في هذه القضية؟ وهل كان يضمن بقاء جثة فرعون إلى وقتنا هذا؟ إن بقاءها شاهد على صدق القرآن، وأنه أنزل من عند الله (وهي بالتحف المصرى بميدان التحرير) لقد احتلت إنجلترا وفرنسا مصر أعواماً عديدة، وهم معادون للإسلام، وحرصون على هدمه، فلو كان الأمر بيدهم لفظنوا لذلك، ولهشموا جثته، ثم قالوا: أين هو بدن فرعون يا مسلمون؟ ولكن الله عز وجل أعماهم عن ذلك، كما أعمى أبا لهب عن النطق بالشهادتين - ولو نفاقاً - لتكذيب القرآن. بل إن الأعجب من ذلك أنه حين تظهر على مومياء فرعون أى إصابة بالفطريات، أو غيرها، يعيشها القائمون على شئون الآثار للخارج لمعالجتها، وكأنهم مسخرون للحفاظ على هذا البدن.. سبحان الله! أما لماذا لم يُبق الله جثة قدار بن سالف الذى عقر ناقة سيدنا صالح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أو أبى جهل ليكونا عبرة، فإنهما لم يدعيا الألوهية، ولكنهما كانا شقيين من الأشقياء، والنمرود قضيته واحدة، وهى أنه زعم أنه إله، ولكنه لم يعث في الأرض فساداً كما عاث فرعون. أما فرعون فله قضيتان، كل واحدة أكبر من الأخرى، فبالإضافة إلى تسخير بنى إسرائيل واستعبادهم، وتذبيح الآلاف من أولادهم، بعد الحلم الذى رآه في منامه بأن أحد أبناء هؤلاء الإسرائيليين سيقتله، فكان الطفل يذبح في حجر أمه، في مذبحه لم يعرف التاريخ لها مثيلاً {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ {فَأَكْرَأُوا فِيهَا} [الفساد: ١٠-١٢] فإنه لم يكتف بذلك، بل ادعى الألوهية، ووافق قومه على ذلك {فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ { [الزخرف: ٥٤] ولذلك كان عقابه وأثابه أشد العقاب {النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦] وكذلك فإنه لم يسمح لسيدنا موسى وسيدنا هارون

بالخروج من مصر، في حين أن النمرود سمح لسيدنا إبراهيم - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - ولكن فرعون وجنوده طاردوا سيدنا موسى حين خرج بقومه من مصر {فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا} [يونس: ٩٠] ولكن الله أخزاهم وأغرقهم {فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فِتْبَانًا مِنْهُمْ فِي آيَاتٍ} [القصص: ٤٠] ونجى الله سيدنا موسى وقومه {وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ} [الشعراء: ٦٥] ويفرض أن الله أبقى جسد أحد الكفرة ليكون عبرة، لقالوا إن قومه حنطوه، كما كان ذلك منتشرًا بين قدماء المصريين، أما فرعون فقد هلك هو وقومه.. فمن الذى حنطه؟ وكذلك فإن موته لم يكن عادياً، ولكنه كان بالإغراق، فالإعجاز في إبقاء جثته أكبر من الإعجاز في إبقاء أى جثة أخرى، لأن أى إنسان يموت - كأبى جهل أو غيره - فإن جثته تكون بأيدي الناس، أما فرعون فكان المفروض أن تفرق جثته في البحر، ولا يستطيع أحد أن يحصل عليها. وشيء آخر هو أن بنى إسرائيل لم يصدقوا أن هذا الطاغية العاتى الجبار قد غرق، فأمر الله سبحانه وتعالى البحر فألقاه على الشاطئ ليتأكدوا من هلاكه، وليكون عبرة على مر الأجيال، لكل طاغية متكبر جبار، والله أعلم.

س ٣٥٦ - يقول القرآن: {فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} [يونس: ٩٤] إن القرآن يأمر نبيكم أن يسأل اليهود والنصارى ليتعلم منهم، فهل كان نبيكم يشك في القرآن؟ وإن كان قد شك فيه، فأنتم أولى بالشك منه.

ج ٣٥٦ - لقد قال العلماء: إن ما جاء في الآية الكريمة خطاب للناس عن طريق سيدنا محمد ﷺ لأن الله عز وجل يعلم يقينه، وأنه لم ولن يشك. قال قتادة: بلغنا أن الرسول ﷺ قال: لا أشك ولا أسأل. وقد ورد - في أكثر من آية - توجيه الخطاب للناس عن طريق سيدنا محمد ﷺ مثل: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُودًا} [الإسراء: ٢٢] وفي السورة نفسها: {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} [٣٩] وغيرها في معناها كثير، فهل كان متوقفاً من الرسول ﷺ أن يشرك بالله؟ حاشا وكلا. وقد ضرب العلماء لهذا مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - إذا أصدر الرئيس أمراً لقائد القوات المسلحة، فإن هذا الأمر - بطريق الأولى - يشمل جنوده، أو حذره من عقابه إن خالف أمره.. ففى

هذه الحالة يكون التحذير لمن هو دونه أشد. والآية فيها حجة على أهل الكتاب، لأنه قد وردت البشرية بنبوءته وصفاته الخلقية والخلقية في كتبهم. وتفسير آخر يقول إنه خطاب له، ولكن معلوم رده، ليكون حجة على الناس، مثل ما ورد من سؤال الله عز وجل لسيدنا عيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَبْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة: ١١٦] ومثل سؤال الملائكة: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَذَا آلَاءِ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ} [سبا: ٤٠] فالله سبحانه وتعالى يعلم أن سيدنا عيسى لم يأمر الناس بعبادته، ولكن السؤال حجة على من اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وكذلك الحال في سؤال الملائكة.

ثم إن الشك في الوحي ليس عندنا.. بل عندكم، يقول بولس الرسول:

بحسب رأيي. وأظن أني أنا أيضاً عندى روح الله (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٧:

٤٠) فهل الوحي والدين بالظن؟

ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٧: ٨) أى أنه يفضل ألا يتزوجوا مثله، ثم يقول: وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة زوجها. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح زوجها. ولا يترك الرجل امرأته. وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه. لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل. وإلا فأولادكم نجسون. وأما الآن فهم مقدسون. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٧: ١٠-١٤) فنراه مرة يقول: (فأوصيهم لا أنا بل الرب) ومرة يقول: (فأقول لهم أنا لا الرب) أى أنه يسوى نفسه بالله سبحانه وتعالى، ونراه يبيح زواج المؤمن من غير المؤمنة، والمؤمنة من غير المؤمن، فى حين أنه يحرم ذلك فى مكان آخر، فيقول: لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لأنه آية خلطة للبر والإثم. وآية شركة للنور مع الظلمة. وأى اتفاق للمسيح مع بليعال. وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وآية موافقة هيكل الله مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحى كما قال الله إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً. لذلك أخرجوا من

وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء (رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ٦: ١٤-١٨) فى هذه الفقرة يأمر بالخروج من وسط الكافرين واعتزلهم، بينما يقول فى الفقرة التى قبلها: (لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل) فهل هذا التناقض يصدر عن الله سبحانه وتعالى؟، والله أعلم.

س ٣٥٧- إن القرآن كثيراً ما يكسر قواعد اللغة العربية، فتراه ينصب المضاف إليه فى قوله: {وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه} [هود: ١٠] بفتح الهمزة من كلمة {ضَرَاءٍ} وكان المفروض أن يكسرها.

ج ٣٥٧- المضاف إليه فى الآية {ضَرَاءٍ} مجرور لا منصوب، وهو ممنوع من الصرف، والمانع من الصرف ألف التانيث الممدودة، ومعلوم أن الممنوع من الصرف يُجَرُّ بالفتحة نيابة عن الكسرة، ولذلك وُضِعَت الفتحة فوق الهمزة، فهذه الفتحة علامة جر لا علامة نصب. والممنوع من الصرف لا يُجَرُّ بالكسرة إلا فى حالتين: أن يكون مضافاً، أو مُعَرَّفاً بالألف واللام، و{ضَرَاءٍ} فى الآية ليست مضافاً، ولا مُعَرَّفَةً بالألف واللام، والله أعلم.

س ٣٥٨- من الأخطاء اللغوية فى القرآن قوله: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ} [هود: ٦٧] وكان المفروض أن يقول (وأخذت الذين ظلموا الصيحة)

ج ٣٥٨- لقد رد الشيخ الشعراوى - رحمه الله - على هذا بقوله: إن الذى يتكلم هنا هو رب العباد سبحانه، ولا يصح أن تُفهم الصيحة على أنها جاءت لتعبر عن صيحة واحدة، فتاء التانيث تعبر عن صيحة لمرة واحدة، أما إذا تكررت وصارت صياحاً كثيراً تأخذهم كل صيحة من الصياح، وهنا نلمح أن {الصَّيْحَةَ} فيها ضعف الأنوثة، أما الصياح ففيه عزيمة وقوة الرجولة، فأراد الحق سبحانه أن يجمع الأمرين فقال: {أَخَذَ} ولم يقل (أخذت).

كما أن الفعل يجوز تذكيره بدلاً من التانيث فى حالات منها هذه الحالة، وهى إذا جاء الفعل (بجازى التانيث والتذكير) قبل فاعله المؤنث لفظاً، ولكن اعترض بينهما كلمة فصلت بين الفعل وفاعله، هنا يجوز تذكيره مثل: جاء الساعةً بائعاتُ اللبن، والله أعلم.

س ٣٥٩- يقول القرآن: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ} (٦٧)

خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٦-١٠٧] كيف يكون الزفير قبل الشهيق؟ وهل هناك سموات وأرض يوم القيامة؟ ثم تأتي الآية التي تليها وتقول: {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} فهل معنى هذا أن أهل النار سيخرجون منها، وأهل الجنة سيخرجون منها؟

ج ٣٥٩- الطبيعي أن الشهيق قبل الزفير، ولكن الله عز وجل قدّم الزفير لأهميته ودلالته على التوجّع، لأن الصراخ يأتي في الزفير، فحينما يصرخ الإنسان ويقول: (آه) فإن هذا التأوه يحدث في الزفير، فأهل النار غالب أحوالهم الصراخ (والعياذ بالله) أما الشهيق فلا يُسمع له صوت. أما السؤال: هل توجد سموات وأرض في الآخرة؟ فنقول وبالله التوفيق: إن من العلماء من فسر هذا بأنه ستكون هناك سموات وأرض، ولكنها مختلفة عن سموات وأرض الدنيا، بدليل قول الله عز وجل: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ} [إبراهيم: ٤٨] ومنهم من قال إن الجنة والنار لهما سموات وأرض يليقان بهما، لأن أهلها لا بد أن يقفوا على شيء، ويظلمهم شيء، أم أنهم سيقفون في فراغ؟ فما تحتهم يسمى أرضاً، وما فوقهم يسمى سماءً، كما نقول: (أرض الغرفة وسماء الغرفة) ونقصد أرضيتها وسقفها، فما تحتك فهو أرضك، وما علاك فهو سماؤك، وأهل الجنة يقول الله عز وجل عنهم: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ تَتَّبَعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَيَعَمُّ أَجْرُ الْعَمَلِينَ} [الزمر: ٧٤] ومعلوم أن أهل النار من الكفار لن يخرجوا منها، أما الموحدون الذين عملوا الكبائر، وماتوا بغير توبة، ولم يغفر الله لهم، فإنهم سيدخلون النار على قدر أعمالهم، إلى ما شاء الله، ثم يخرجهم الله عز وجل منها، ويدخلهم الجنة، ولذلك قال: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} فهي للموحدون دون غيرهم، أما أهل الجنة فلن يخرجوا منها أبداً، بدليل قول الله عز وجل في الآية نفسها: {عَطَاءً غَيْرَ مُجَدِّوِيٍّ} أى غير مقطوع. فلماذا قال إذن: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}؟ للعلماء في هذا ثلاثة أقوال: أولها أن خلودهم في الجنة ليس واجباً على الله عز وجل، ولكنه بمحض مشيئته وفضله سبحانه وتعالى، ولنضرب لذلك مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن أحداً كان له عبيد، فقال لهم: لو أطعتموني فيما أمرتكم به، فسوف أسكنكم في قصر صفته كذا وكذا، ولن أخرجكم منه، وهذا تفضل مني عليكم، وليس حقاً لكم تجرونني عليه، فأنتم ملكي، ومن حقي أن تطيعوني شكراً لنعمي عليكم،

فلو شئت لأخرجتكم منه، ولكنى لن أخرجكم. ففى هذه الحالة يدرك العبيد أن دخولهم هذا القصر، وعدم خروجهم منه، تفضل من سيدهم عليهم، ولا يتبجح أحد ويقول: أنا أستحق أن أدخله، أو يقول: إنه يجب عليه أن يدخلنى هذا القصر، ولا يخرجنى منه. وثانى هذه الأقوال أن الاستثناء فى الخلود لمن عُذِّبُ فى النار قبل دخولها، أى أن خلودهم نقص بقدر ما عذبوا به فى النار أولاً. وثالثها: أنه لَمَّا كان الوعد على وجه التأييد، فرمما يتوهم أحد أن قدرة الله لا تسع غيره، وأن ذلك خارج عن إرادته سبحانه وتعالى، فحاء الاستثناء يبين أن التأييد بمحض إرادته، ولا يعجزه خلافه، والله أعلم.

س ٣٦٠- يقول القرآن: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِرَبِّهِمْ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَجِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف: ١٥] أين جواب (لَمَّا) فى هذه الآية؟ ليس المفروض ألا يذكر حرف (الواو) قبل {أَوْحَيْنَا} حتى يستقيم المعنى، وتكون كلمة {أَوْحَيْنَا} هى جواب (لَمَّا)؟

ج ٣٦٠- قال الإمام عبد القادر الجرجاني - شيخ البلاغيين - فى وصف الحذف البلاغى، وروائع ثماره، وبديع آثاره: (هو بحث دقيق المسئلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين) ومعنى كلامه أن الحذف فى بعض الأحيان يكون أبلغ من التوضيح - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - كمن يُسأل عن شىء فيكون جوابه الصمت، فيقال: إن صمته أبلغ من جوابه. إن حذف جواب (لَمَّا) هنا المراد منه تهويل وتفضيع ما حدث من إخوة يوسف ليوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بعد أن أذن لهم أبوهم بالذهاب به إلى الصحراء، وقد روى عنهم أنهم أخذوا يؤذونه بالقول والفعل وهم فى الطريق إلى المكان الذى قصدوه، حتى كادوا يقتلونه، لذلك حُذِفَ جواب (لَمَّا) لتذهب النفس فى تصوّره كل مذهب، وحذف هذا الجواب فيه دلالة على طول ما حدث، وعلى غرابته وبشاعته، لذلك قدّره الإمام الزمخشري فقال: (فعلوا به ما فعلوا من الأذى، وأظهروا له العداوة، وأخذوا يهينونه ويضربونه، وإذا استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب) أمّا اقتراح حذف (الواو) قبل {أَوْحَيْنَا} فخطأً جسيماً، لأن {أَوْحَيْنَا} ليس جواب (لَمَّا) وإنما هو معطوف

على الجواب المُقَدَّر، لأن جواب (لَمَّا) هو ما حدث لسيدنا يوسف من إخوته بمجرد خروجهم به من عند أبيهم وبعدهم عنه قليلاً، ودليل ذلك هو العطف بالفاء في {فَلَمَّا} لأنه تفيد الفورية والترتيب، والله أعلم.

س ٣٦١ - يقر القرآن بأن يوسف كاد يزني بامرأة العزيز، فيقول: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي} [يوسف: ٢٤] ويوسف نفسه قد أقر بفعلته حين قال: {وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعْتَنِي} [يوسف: ٥٣] فكيف تنكرون على الكتاب المقدس أنه أقر بعدم عصمة الأنبياء، وأنهم كسائر البشر يقعون فيما يقع فيه البشر من الذنوب؟

ج ٣٦١ - كيف تقولون عن سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إنه كاد يزني، وقد كان أول ما رَدَّ به علي امرأة العزيز حين دعته إليها ما جاء في الآية التي قبلها {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَبُتَوًى^ط إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} فقوله جل وعلا: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ} معناه أنها همت بالزني، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها: {هَيَّتْ لَكَ^ط أَى (هَيَّاتْ لَكَ) وهَيَّوْهَا لهذا الأمر كان بتزنيها في أحسن صورها لإغرائه، وتغليق جميع الأبواب عليهما حتى لا يراها أحد، أمَّا قوله تعالى: {وَهَمَّ بِهَا} فقد همَّ أن يضرها، وهذا يفهم من سياق الآيات، فهَمَّها بالزني مفهوم من قوله جل وعلا: {وَرَزَوْتَهُ^ط الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ وَعَلَّقْتَ^ط الْأَبْوَابَ} أمَّا همه بضرها فمفهوم من قوله تعالى: {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ} فكيف يستعيز بالله من الزني ثم يهيم به؟ وضربه لها كان رداً تلقائياً لشرفه ورفعته قدره، فهو من بيت نبوة، وقد أعدده الله ليكون نبياً، فكيف تتجرأ عليه وتطلب منه هذا الأمر الشنيع؟ ولكن الله سبحانه وتعالى صرف عنه رغبته في ضررها، لأن هذا أيضاً لا يليق بالأنبياء، فلو أنه ضررها فصرخت وهو معها في غرفة النوم المغلقة عليهما، أو لو ظهر عليها آثار الضرب، لقال من سمعها أو رآها إنه حاول الاعتداء عليها فأبَّت فضرها، فأحياناً تصل حالات الاغتصاب لقتل المرأة وليس ضررها فقط. وقد استعمل القرآن لفظ (الهم) بمعنى إيقاع الضرر بالغير، وخاصة في حق الرجال، كقوله تعالى: {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ^ط لِيَأْخُذُوهُ} [غافر: ٥] فكل أمة همت بقتل رسولها أو ضربه. وهناك عدة أدلة تثبت براءته من هذه الفعلة الشنيعة، أو لها استعاذته بالله - كما أسلفنا - وثانيها اعتراف امرأة

العزیز نفسها {وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف: ٣٢] وثالثها شهادة أحد أقاربها {فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف: ٢٨] ورابعها أن الله عز وجل وصَّفه بقوله: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} وهو لاء ليس للشيطان عليهم سبيل {قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: ٨٢-٨٣] فبراءته - عليه السلام - كبراة الذئب من دمه، قال رسول الله ﷺ: "الكریم ابن الکریم ابن الکریم ابن الکریم: یوسف بن یعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" [صحیح الجامع: ٤٦١٠] أما قوله تعالى: {وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} فقد قال بعض العلماء إنه من تمام كلام امرأة العزیز، وقال بعضهم إنه من قول سيدنا یوسف، ولكنه من باب هضم النفس والتواضع لله عز وجل. وإرجاع الفضل لله، وهضم النفس، هو دأب الصالحين، كما قال رسول الله ﷺ: "لن يُدخِلَ أحداً عمله الجنة ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضله رحمة" [صحیح الجامع: ٥٢٢٢] وكما قال سيدنا شعيب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لقومه: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} [الأعراف: ٨٩] وذلك حين هددوه وتوعدوه بقولهم: {لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} أى أنه لم ينسب الفضل إلى نفسه في ثباته على الدين، ولكن نسبه لله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س ٣٦٢- هناك خطأ لغوي في الآية: {إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف: ٢٩] والسياق يقتضي (إنك كنت من الخاطئات).

ج ٣٦٢- إن هذه حادثة اغتصاب، ومن المعلوم أن الذى يقوم بالاغتصاب هم الرجال، فغاية ما عمله المرأة المبتذلة أن تتمايع، أو تتكشف، لتلفت نظر الرجل، فما سمعنا بامرأة قط حاولت اغتصاب رجل رغماً عنه إلا امرأة العزیز، ولذلك كان فعلها فعل الرجال، فُنسبت إليهم، والله أعلم.

س ٣٦٣- يقول القرآن: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدْيَنَةِ} [يوسف: ٣٠] وكان المفروض أن يقول: (وقالت نسوة)

ج ٣٦٣- الآية الكريمة جاءت بلفظ {قال} لأنه اسم مفرد لجمع المرأة وهو {نسوة} كما أن علم النحو وُضِعَ بعد نزول القرآن وليس قبله، فالذى وضع علم النحو إنما وضعه

باجتهاد على مُحمّل ما جاء به كلام العرب، والله أعلم.

س ٣٦٤ - يقول القرآن: {فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٣١] هل من المعقول أن تقطع النساء أيديهن من أجل رجل جميل؟

ج ٣٦٤ - إن جمال سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يكن جمالاً عادياً، ولكنه كان جمالاً مُبهراً، فقد قال عنه النبي ﷺ: "أَعْطِيَ يَوْسُفَ شَطْرَ الْحُسْنِ" [صحيح الجامع: ١٠٦٢] فسيدنا يوسف كان أجمل رجل في زمنه على وجه الأرض، فضلاً عما كان يعلوه من بهاء الإيمان وسُمّت الصالحين، أضف إلى ذلك أن امرأة العزيز هيأته لهذا اللقاء بأجمل ما يُلبس من ثياب الملوك والأمراء، وجعلت الوصيفات يُرجلن شعره كأجمل ما يكون الرجال، فخرج عليهن في أبهة وعظمة، ونور نبوة، وجمال رباني يفوق الوصف والخيال، فأذهل كل الحاضرات. ومن مكر زليخة أنها أحضرت بعض أنواع الفاكهة التي لا بد أن تقطع بالسكين (كالتفاح والكمثرى) فلما خرج عليهن لم يستطعن أن يتحكمن في مشاعرهن، ونسين أن السكين في أيديهن، فقطعنها دون أن يشعرن، وقلن جميعاً: {حَسْبَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} فانتصرت زليخة بهذه الحيلة على النسوة اللواتي كن يُلَمَّنَ عليها حبهامه، بل إنها عندما رأت ما حدث لهن تبجحت وقالت: {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْعَلْنَّ وَيَكُونَنَّ مِنَ الْصَّغِيرِينَ} [يوسف: ٣٢] ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن النساء أنفسهن - من فرط إعجابهن به - راوَدته عن نفسه مثلها، بدليل أن سيدنا يوسف دعا ربه بقوله: {رَبِّ السَّجِّينِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف: ٣٣]. ولا يخفى على السائل أن السكاكين التي كانت بأيدي النساء كانت من متاع بيت العزيز، أي أنها كانت سكاكين جيدة، حادة، سريعة القطع، مثل الشفرة، ولا يخفى عليه أيضاً أن بعض النساء - وربما الرجال - يجرحن أيديهن أثناء تقطيع الخضروات وغيرها، رغم أنهن يعتنين بعدم مساسها بسوء، فما بالك لو أنهن تشاغلن بشيء آخر أثناء التقطيع؟، والله أعلم.

س ٣٦٥ - هل أرض مصر تُروى بالأمطار كما قال القرآن: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصَرُونَ} [يوسف: ٤٩] والمعروف أن القوث هو المطر، أو كما هو معلوم للعالم أجمع أن مصر تروى بمياه نهر النيل؟

ج ٣٦٥- على السائل أن يرجع إلى كتاب الجغرافيا الخاص بالمرحلة الابتدائية، ليعلم أن أصل مياه نهر النيل تأتي من الغيث - الذى هو ماء المطر - النازل على هضبة الحبشة، والبحيرات الاستوائية، فأصل كل الأنهار هي الأمطار. كما أن (غاث) معناه أيضاً: نَصَرَ، وأعان، وكشف الكرب، وهذا ما حدث.. فقد كشف الله شدتهم، وفرَّج كُرْبَتَهُمْ، بعد هذه السنين العجاف، والله أعلم.

س ٣٦٦- كيف تحدث يوسف مع عزيز مصر وامراته والملك، وهو لا يتكلم اللغة المصرية القديمة (القبطية)؟ وإذا كان قد تعلمها وتكلم بها لأنه عاش بينهم زمناً طويلاً، فكيف تكلم مع إخوته باللغة العبرية؟ وكيف تكلم موسى مع شعيب وابنتيه باللغة العبرية، وهى لغة أهل مدين حينها؟

ج ٣٦٦- عزيز مصر وملكها لم يكونا قبطيين (كلمة قبطى معناها مصرى، وليس كما يعتقد البعض أن معناها نصراني) فلو كانا قبطيين لقليل (وقال فرعون اتتوني به) بدلاً من {وَقَالَ أَلَيْكَ أَتُّونِي بِهِ} [يوسف: ٥٤] لأن حكام القبط كانوا يُلقَّبون ويُدْعَوْنَ (فراعتة) أما حاكم مصر أيام سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فقد كان يُلقَّب ملكاً، وذلك أيام حكم الهكسوس لمصر، وهم رُعاة الشمال من سوريا في بلاد الشام (وقد أثبت التاريخ ذلك) وكانوا يتكلمون اللغة العبرية، ولغة سيدنا يوسف كانت أيضاً عبرية. أما سيدنا موسى فقد كان يتقن لغتين: لغة قومه من بنى إسرائيل، وهى اللغة العبرية (لغة دينية أو تعبدية) ولغة أهل مصر، وهى اللغة القبطية، مثل ما يتكلم النوبيون عندنا بلغتين: العربية، والروطان. وقصة سيدنا موسى مع بنت شعيب نحب دائماً أن نذكر بها شبابنا، فحين جاءته وقالت له: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: ٢٥] مشى أمامه فلفح الهواء ثوبها فبدا بعض من ساقها، فأمرها سيدنا موسى أن تمشى خلفه حتى لا يراها، وإذا أرادت أن يتجه يميناً أو شمالاً قذفت له بحجر ناحية اليمين أو الشمال حتى لا يسمع صوتها! ولذلك فقد صدقت حين قالت لأبيها: {إِنَّ حَظَّ مَنْ اسْتَفْجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦] {الْقَوِيُّ} لأنه رفع الصخرة التى لا يستطيع رفعها إلا عدة رجال، و{الْأَمِينُ} لتصرفه الذى ذكرناه معها، رغم أنه لم يكن نبياً بعد، ولكن كانت عنده نخوة أهل الإيمان. وشعيب هذا لم يكن شعيب النبى - على نبينا وعليه الصلاة

والسلام - ولكنه كان رجلاً صالحاً، بدليل قول الله جل وعلا: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} [القصص: ٤٣] أى أن رسالة سيدنا موسى جاءت بعد هلاك الأمم التي لم تؤمن بأبيائنا، ومنهم قوم سيدنا شعيب، والله أعلم.

س ٣٦٧- كثيراً ما نجد الأخطاء اللغوية في القرآن، مثل قوله: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً} [يوسف: ٨٣] لقد قال: {بِهِمْ جَمِيعاً} مع أن الموجود حينها في مصر رجلان فقط، هما يوسف وبنيامين، فكان المفروض أن يقول (يأتييني بهما) بضمير المثني، وليس الجمع.

ج ٣٦٧- ارجع إلى السورة، ودقق النظر، وحاول أن تفهم، إن الموجودين منهم في مصر حينها كانوا ثلاثة، وهم يوسف وبنيامين، وكبيرهم الذي قال: {فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي} [يوسف: ٨٠] واسمه (رويين) فهم ثلاثة، وليسوا اثنين كما فهمت، والله أعلم.

س ٣٦٨- يزعم القرآن أن قميص يوسف شفى يعقوب من العمى، فيقول: {أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ لِي يَأْتِ بِصِيراً} [يوسف: ٩٣] ثم تأتي آية أخرى لتؤكد المعنى نفسه، فتقول: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيراً} [يوسف: ٩٦] ما هذا القميص السحري الذي يشفى من العمى؟

ج ٣٦٨- إن هذا من المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ورسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولماذا تتعجب أيها السائل وعندك مثله في كتابك المقدس، فقد جاء فيه ما معناه أن سيدنا يعقوب قد أصابه العمى، وأن سيدنا يوسف سيضع يده عليه فيبرأ، وها هو الدليل: وأما عينا إسرائيل فكانتا قد ثقلتا من الشيخوخة لا يقدر أن يبصر. (تكوين ٤٨: ١٠) فقال أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر. لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك (تكوين ٤٦: ٣-٤) وقد جاء في الكتاب المقدس ما هو أبعد من ذلك، إذ جاء فيه أن عظام النبي (اليشع) أحييت الميت بعد وضعه في قبره، وقد ذكرنا الدليل على ذلك في الرد على الشبهة رقم (١٦) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س ٣٦٩- يقول القرآن: {قُلْ هَذَا سَبِيلِي} [يوسف: ١٠٨] وكان المفروض أن يقول (هذا سبيلي) لأن السبيل مذكور.

ج ٣٦٩- ما هو سبيل رسول الله ﷺ؟ إنه الدعوة إلى الله، بدليل قول الله جل وعلا في الآية نفسها: {ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ} ولذلك جاءت بضمير المونث، أي هذه دعوتي، هذه طريقي، والسبيل والطريق يذكران ويؤثنان مثل كلمات أخرى كثيرة، كسوق، وبلد، وبئر، وساق، وقدم، وعافر، وعقيم... إلخ، والله أعلم.

س ٣٧٠- يقول القرآن: {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ} [الرعد: ٤٣] وتقول كتب التفسير إنه عبد الله بن سلام، والعجيب أنه أسلم في المدينة والسورة مكية.

ج ٣٧٠- من المعلوم لدى علماء التفسير أن هناك سُورٌ أنزلت بمكة، ولكن بعض آياتها أنزلت بالمدينة، فكذلك هذه السورة الكريمة، نزلت بمكة، ولكن الآية الخاصة بعبد الله بن سلام ﷺ أنزلت بالمدينة، كما قال بذلك عطاء، وقد ورد قوله في تفسير (النسفي) وغيره من التفاسير، والله أعلم.

س ٣٧١- يقول القرآن: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} [هود: ٣٤] ويقول: {رَبِّ يَا أَغْوِيْتَنِي} [الحجر: ٣٩] فهل الله يغوي؟

ج ٣٧١- لقد أجبنا عن مثل هذا السؤال في أكثر من موضع (وبالله التوفيق) وقلنا: إن هذا ليس ظلماً من الله سبحانه وتعالى - وحاشاه - ولكن هذا بسبب أفعال العباد، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن هناك طالب فاشل لا يستجيب لنصائح والده بالكف عن مصاحبة أهل السوء، ولا يمثل لأمره بالاهتمام بمذاكرته ودروسه ومستقبله مرات ومرات، فماذا يقول له والده؟ يقول له: أنا أريد منك أن ترسب في الامتحان، وأريد أن تفشل في حياتك، وأحياناً يقسم عليه - من شدة غضبه - ألا يذاكر، بل وربما قطع له كتبه حتى لا يمكّنه من مطالعتها، فهل قول أبيه جعله يرسب.. أم أنه كان فاشلاً أصلاً؟ وهل قوله محمول على حقيقته، أم أنه على وجه التهديد والوعيد؟ فلولا معصية ولده لَمَا قال له هذا القول، ولَمَا فعل هذا الفعل. فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لا يغوي أحداً ظلماً، ولكن الإنسان هو السبب في إغواء نفسه لُبُّعده عن طريق ربه {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ} [آل عمران: ١١٧]

ولقد جاء في الكتاب المقدس أدلة كثيرة على إغواء الله (بزعمهم) لعبيده، نذكر منها على سبيل المثال:

وقال فاسمع إذاً كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. فقال الرب من يُغوى آخاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد. فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه. وقال له الرب بماذا. فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال إنك تغويه وتقتدر. فاخرج وافعل هكذا. والآن هُوَذَا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر. (الملوك الأول ٢٢: ١٩-٢٣)

ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون. فإني أغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي أصنع آياتي بينهم (خروج ١٠: ١)

بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. (رسالة بولس الأولى إلى كورنتوس ١: ٢٧)

لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك. قسّيت قلوبنا عن مخافتك. ارجع من أجل عبيدك لأسباط ميراثك. (إشعيا ٦٣: ١٧)

فقلت آه يا سيد الرب حقاً إنك خداعاً خادعت هذا الشعب (إرمياء ٤: ١٠)
فإذا ضل النبي وتكلم كلاماً فأنا الرب قد أضللت ذلك النبي وسأمدُّ يدي عليه وأبيده من وسط شعبي إسرائيل. (حزقيال ١٤: ٩)

قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لتلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. (يوحنا ١٢: ٤٠)

ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سُرُّوا بالإثم (رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ٢: ١١)، والله أعلم.

س ٣٧٢- لقد جاء الحديث عن يوم القيامة في أول سورة (النحل) بصيغة الماضي، فقال: {أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} كيف يقول: {أَتَىٰ} وهو لم يأت بعد؟ وكيف يقول: {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} بعدما قال: {أَتَىٰ}؟

ج ٣٧٢- معلوم أن الأزمنة ثلاثة: ماضٍ ومضارع ومستقبل، وهذا كله بالنسبة للبشر، أما بالنسبة لله سبحانه وتعالى فكلها كأنها ماضية، لأنها كانت في علمه قبل خلق السموات والأرض، فسبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. فكلمة {أتى} تعنى أنها واقعة لا محالة، فلا داعى لاستعجالها، كما كان يستعجل وقوعها المشركون كفراً و عناداً وتحدياً للرسول ﷺ {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَابٍ أَلَيْمٌ} [الأنفال: ٣٢] ونحن أحياناً نتحدث عن المستقبل بصيغة الماضي.. كيف؟ فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو ذهبنا لإنسان وطلبت منه أن يتوسط لك في قضاء حاجتك، كأن تريد أن تدخل ولدك مدرسة معينة، ولكن مديرها يرفض لعدم توفر الشروط، فإنك تذهب لصديق له، أو لمن له سلطة عليه، وتطلب منه أن يتوسط لك عنده، فيقول لك: ابنك دخل المدرسة.. فهل ابنك دخلها فعلاً؟ أم أنه قالها لأنه متأكد من قبول و ساطته؟ هذا وهو بشر، قد تُعرض له حاجة، من مرض، أو موت، أو غيره.. فما بالكم بالله سبحانه وتعالى؟، والله أعلم.

س ٣٧٣- يقول القرآن: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ} [النحل: ٥١] لماذا قال: {اثْنَيْنِ}؟ ألا كان يكفى أن يقول: {إِلَهَيْنِ} وهى تعنى أنهما اثنان؟ وكذلك لماذا يقول: {إِلَهُ وَاحِدٌ}؟ ألا كان يكفى أن يقول: {إِلَهُ} وهى تعنى أنه واحد؟

ج ٣٧٣- معلوم فى اللغة العربية أن هناك ما يُسمى (تأكيد التأكيد) وذلك بأن تضيف للموصوف صفة أخرى تناسب الصفة الأولى، فتقول مثلاً: فلان جميل وسيم، فلان جن معفرت، فلان عاقل ورزين. أو تضيف للفعل ما يؤكد، فتقول مثلاً: لأضربنك ضرباً، لأذبحنك ذبحاً، لأقطعنك تقطيعاً.. إلخ. والأمر العقائدى لا بد فيه من الوضوح التام، حتى لا يظن إنسان أن مع الله إلهاً آخر مهما كان، أباً، أو زوجة، أو ولداً، والناس فى معتقداتهم أنواع: فئة تقول: لا إله والكون خلق مُصادفة، وهم (الدهريون) وبلغتنا الحديثة (الملحدون) وطائفة تقول: الكون ملئ بالآلهة، مثل الإغريق.. عندهم إله الحرب، إله الخير، إله الشر، إله الريح، إله المطر، إله الزرع... إلخ، وكان المشركون قبل الإسلام

يعبدون ٣٦٠ ضمناً بعدد أيام السنة، ونوع آخر قالوا: إن الآلهة ثلاثة في واحد: الآب والإبن والروح القدس، فالطائفة الأولى (الملحدون) دحضهم قول الله جل وعلا: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ} [الطور: ٣٥] وطائفة التعدد دحضتهم أكثر من آية، مثل: {لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢] وطائفة التثليث قال الله عز وجل فيهم: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: ٧٣] فلم يبق غير احتمال وجود طائفة تدعى وجود إلهين (وهو أدنى التعدد) فأغلق الله سبحانه وتعالى هذا الباب، وجميع أبواب الشرك بقوله: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ} فلو قال (لا تتخذوا إلهين إنما هو إله) لقالوا: ممكن أن يكون معه ابن.. وهو وابنه واحد، أو يكون معه زوجة.. وهو وزوجته واحد، والله أعلم.

س ٣٧٤- يقول القرآن: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل: ٦٨-٦٩] أليس المفروض أن يأتي الكلام بصيغة المذكر فيقول (اتخذ من الجبال بيوتاً) و(كل من كل الثمرات) و(يخرج من بطونها) وذلك لأن الخطاب للنحل كله؟

ج ٣٧٤- لقد ثبت علمياً أن الذكور تنافس على تلقيح الملكة، فطير خارج الخلية، ويطيرون وراءها، وفي هذا الطيران يموتون من التعب، إلا واحداً منهم - وهو أقواهم - فيلقحها ثم يموت بعد تلقيحها مباشرة، فبذلك تخلو الخلية من الذكور، ولا يقوم على خدمة الملكة، وتنظيف الخلية، وإفراز العسل إلا الإناث. كما أن الخطاب في الآية الكريمة لأمة النحل فناسب أن يقال: {اتَّخِذِي} لأن النحل وغيره من المخلوقات الحية أمم أمثالنا {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأنعام: ٣٨]، والله أعلم.

س ٣٧٥- يقول القرآن: {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل: ٦٩] إن هذا يخالف الواقع، فكثير من الحالات المرضية لا ينفع معها العسل، ولو كان هذا الكلام من عند الله لشفى العسل جميع الأمراض، ولما احتجنا لأي أدوية أو عمليات.

ج ٣٧٥- إن الآية الكريمة لم تقل (فيه الشفاء للناس) ولو كانت هكذا لكان معناها أن العسل فيه الشفاء لجميع الأمراض، ولكنها قالت: {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} بصيغة النكرة، أي

أن العسل فيه نوع من الشفاء، وليس كل الشفاء. وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن به شفاء لأمراض كثيرة جداً لا يتسع المجال لذكرها، وأثبتت أنه يقوى الجهاز المناعى للإنسان، مما يجعله أقل عُرضة للإصابة بالأمراض، وأكثر مقاومة لها عند وقوعها.

وقد جاء في كتابكم المقدس أن معبودكم قال لكم: من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يذنب. وهذه الآيات تتبع المؤمنين... ويضعون أيديهم على المرضى فيراون (مرقس ١٦: ١٦-١٨) فهل منكم من يضع يديه على المرضى فيراون؟ فلو كان هذا صحيحاً لَمَا احتجنا إلى أى أدوية أو عمليات كما تقولون، والله أعلم.

س ٣٧٦- يقول القرآن: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧] أين هي هذه الحياة الطيبة التي يعيشها المؤمنون، وأغلبهم فقراء مستضعفون؟

ج ٣٧٦- لقد ظن السائل بفهمه السطحي للآية الكريمة أن الحياة الطيبة هي في المال والجمال، ورغد العيش، والتمتع بملذات الحياة. إن الحياة الطيبة هي حياة الإيمان، فإن للإيمان حلاوة لا يدركها إلا من تحقق فيه قول رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعوذ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار" [صحيح البخارى] وهي حياة الأُنس بالله، ومحبته، وطاعته، والتلذذ بمناجاته، والحرص على رضوانه، فالؤمن الذى شغل قلبه وحياته كلها بالله، لا يجد راحته إلا في ذكر ربه، ومناجاته، والتضرع إليه، والتذلل بين يديه {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨] فتحده صواماً قواماً، يناجى ربه، مستغفراً بالأسحار {أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: ٩] {الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقٰنِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٧] وتجده راضياً بقضاء الله وقدره، وما السعادة إلا في الرضا، فكم ممن عنده المليارات من الدولارات، ولا ينام إلا بالمهدئات، قلبه مهموم، فكره مشغول، تلاحقه المسئوليات بأعبائها ليل نهار، يحق عليه قول ربه القهار: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: ١٢٤] نعم.. ضنكاً لأن قلبه بعيد عن ربه، أقل شىء يغضبه، إن أصابه

مرض، أو أى مكروه، فى نفسه، أو ماله، أو ولده، سخط على قدر الله، ولم يصبر على بلواه، حتى إن منهم من ينتحر، وهو فى أوج شهرته ومجده وغناه {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ٥٥] أما المؤمن (وأقول المؤمن وليس المسلم) فحاله كما قال فيه رسول الله ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرأءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له" [صحيح الجامع: ٣٩٨٠] فتجده دائم الرضا عن ربه جل وعلا، إن أصابته سرأءُ شكر نعمة الله عليه، يُصِرُّفها فى مرضاته، لا يخرج سروره عن طاعة ربه، وإن أصابه مكروه حمد الله، لعلمه أن الله سبحانه وتعالى لا يُقدِّر إلا الخير، فتجده صابراً محتسباً، لا يسخط على قدر مولاه جل فى علاه، فليُنظر العاقل آيتهما الحياة الطيبة، والله أعلم.

س٣٧٧- إن القرآن يبيح الكفر أحياناً، ويبيح الشرك أحياناً، ويجيز النطق بكلمة الكفر حسب القاعدة عندكم (الضرورات تبيح المحظورات) فهل من الأمانة أن يُزور الإنسان فى عقيدته؟ واطرءوا إن شئتم: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: ١٠٦]

ج٣٧٧- إن التزوير أو التزييف فى العقيدة مجرد اللعب، أو جلب مصلحة دنيوية، جريمة كبرى، قال ﷺ: "من بدل دينه فاقتلوه" [صحيح البخارى] أما الذى أُكْرِهَ على الكفر- كما فى الآية الكريمة - وتعرض للتعذيب الوحشى الذى لا طاقة له به، فله أن ينطق بكلمة الكفر لينقذ نفسه من الهلاك، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، أى أنه لا يكفر حقيقة، ولكنه كفر ظاهرى باللسان لا بالجان، فالإيمان محله القلب وليس محله اللسان. وهذه الآية نزلت فى شأن عمار بن ياسر - رضى الله عنهما - فقد عُدِّبَ عذاباً شديداً لا يتحمله أحد، لدرجة أنهم كانوا يغطسون رأسه فى الماء حتى يكاد تزهق روحه، فاضطر ﷺ أن ينطق بكلمة الكفر لينجو منهم، فسمعه بعض الصحابة ﷺ فقالوا: يا رسول الله.. إن عمار قد فُتن، فقال ﷺ: "عمار ملئ إيماناً إلى مُشاشه" [صحيح ابن حبان، صحيح الجامع: ٤١٠٣] (المُشاش) هى رعوس العظام والمفاصل. أى أن الإيمان ملاً جوفه،

واختلط بلحمه ودمه، إلى أن وصل إلى النخاع والعظام الظاهرة، وبعد قليل جاء عمار يعتذر للرسول ﷺ مما قال في حقه، وهو يبكي وعليه آثار التعذيب، فسأله الرسول: "كيف تجد قلبك؟" قال: يا رسول الله قلبى مطمئن بالإيمان، فقال: "إن عادوا فعُدّ" وهذا من رحمته ﷺ، أى لا عليك أن تتحمل هذا العذاب، بل إن عادوا إليه فعُدّ إلى شتى ومدح أصنامهم، طالما أن قلبك مطمئن بالإيمان، ثم نزلت الآية الكريمة المشار إليها في السؤال، وهى رخصة من الله جل وعلا لمن تعرض للتعذيب الشديد، وليس للعبث واللعب كما يظن السائل.

وقد جاء في الكتاب المقدس (زوراً وبهتاناً) أن سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هرب من الملك شاول، وتظاهر بالجنون أمام أخيش لخوفه منه. وجاء فيه أيضاً أن (بطرس) وهو أكبر تلاميذ المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حلف كاذباً، وأنكر معرفته بالمسيح، ولَعَنَهُ لجرد خوفه من اليهود، وليس تعذيبه كما حدث لسيدنا عمار:

وقام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاول وجاء إلى أخيش ملك جت. فقال عبيد أخيش له أليس هذا داود ملك الأرض. أليس لهذا كُنْ يُعَنَّين في الرقص قائلات ضرب شاول أُلُوفَهُ وداوُدَ رِبَوَاتِهِ. فوضع داود هذا الكلام في قلبه وخاف جداً من أخيش ملك جت. فغَيَّرَ عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخرش على مصاريع الباب ويُسِيل ريقه على لحيته. فقال أخيش لعيده هُوَذَا تَرَوْنَ الرجل مجنوناً فلماذا تأتون به إلى. أَلَعَلِّي محتاج إلى مجانيين حتى أتيم بهذا ليتجنن على. أهذا يدخل بيقى (صموئيل الأول: ٢١: ١٠-١٥)

قال الحاضرون لبطرس حقاً أنت منهم لأنك جليلي أيضاً ولغتك تشبه لغتهم. فابتدأ يلعن ويحلف إني لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه. (مرقس ١٤: ٧٠-٧١) أترأه من كان يلعن؟ هل كان يلعن مخاطبيه وهو يخشاهم؟ حتماً إنه لعن المسيح، وقد فعل هذا بالرغم من إعطائه العهد للمسيح بالأبنة: فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات. فقال بأكثر تشديد ولو اضطرت أن أموت معك لا أنكرك. (مرقس ١٤: ٣٠-٣١)، والله أعلم.

س ٣٧٨- يقول القرآن: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَّجْدُلَةٌ عَنْ نَفْسِهَا} [النحل: ١١١] كيف يكون هذا؟ هل تنقسم النفس إلى نفسين بحيث تدافع واحدة عن الأخرى؟

ج ٣٧٨- النفس في الدنيا مخيرة.. إما طائعة وإما عاصية {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣] أما يوم القيامة فليس هناك اختيار، فكل النفوس خاضعة ذليلة لله جل وعلا، فالنفس المطيعة يوم القيامة تجادل عن نفسها يوم أن كانت عاصية في الدنيا، كما يدافع الإنسان عن نفسه عندما يُواجه بشيء فعله يُؤاخذ عليه، فيقال عنه: إن فلاناً يدافع عن نفسه، فهل انفصم الإنسان عن نفسه في هذه الحالة؟ إن النفوس يعترىها التغيير كما يعترى الأجساد، ولكن ليس معنى هذا أنها تتبدل بأخرى، ولكنها تتغير بتغير الحالة الدينية والنفسية والاجتماعية... إلخ، فترى الكثير من الناس يقولون: إننا في الماضي كنا نفعل كذا وكذا من المعاصي، أما الآن فإن الله سبحانه وتعالى قد تاب علينا وهدانا، فنستغفر الله ونتوب إليه، أو تتغير شخصياتهم وأفكارهم وتصوراتهم للأحداث ومجريات الأمور، وهذا يشعر به كل فرد منا مع تقدم سنه، والله أعلم.

س ٣٧٩- يقول القرآن: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢] فهل الجوع والخوف لباس؟ وهل الخوف يُدّاق؟

ج ٣٧٩- الخوف يلف جسد الإنسان كما يلفه الثوب، فتظهر على ملامحه وكل جسده علامات تدل على خوفه، فتجد وجهه مصفراً، وجسده يرتعش، وترتج عيناها، ويتلجلج، وتصطك أسنانه، كما قالوا: (يكاد المريب أن يقول خذوني) وكما قال الله عز وجل: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [الأحزاب: ١٩] وكما أنك تحكم على الإنسان بلبسه، فنقول مثلاً: هذا ضابط شرطة، أو بحرية، أو طيران.. إلخ، فكذلك الخائف تحكم عليه عند رؤيته، وكان الخوف قد غطى جسده كما يغطيه اللباس، وكذلك الجوع.. فإن آثاره تظهر على الإنسان كالثوب.. بضمور وجهه، وشحوبه، وغور عينيه، وهزال بدنه. أما ذوق الخوف.. فكما أن بعض الأطعمة تعمل ليونة في الطبيعة (إسهالاً) فكذلك الخوف، حتى إنهم باللهجة العامية يقولون: (ده خايف بيترجف، دى بطنه ماشية) وكأنه أكل طعاماً دخل أمعاءه ففعل فيها

ما يفعله الطعام. وقد قالوا إن ثلاثة لا ينامون: البردان والجوعان والخائف، فكما أرّقه البرد والجوع، أرّقه الخوف، والله أعلم.

س ٣٨٠- يقول القرآن: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا نَدْمًا ذَمِيرًا} [الإسراء: ١٦] كيف يأمرهم بالفسق ثم يدمرهم تدميراً؟

ج ٣٨٠- هل الله يأمر بالفسق؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٢٨] إن من بلاغة القرآن ألا يذكر ما هو مفهوم بداهة، أو ما هو مفهوم من السياق، وهذه الطريقة فيها تشويق للسامع، لأنها تترك له ما يفهمه بذكائه الفطري، ولا تلقنه كل شيء وكأنه لا يفهم، وذلك مثل قوله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} [آل عمران: ١٣] فلم تذكر الآية أن الفئمة التي تقاتل في سبيل الله هي الفئمة المؤمنة، لأن هذا مفهوم من السياق، وكذلك لم تذكر أن الفئمة الكافرة تقاتل في سبيل الطاغوت، لأنه مفهوم أيضاً من السياق. ربما يتعجب أحد ويقول: ما الذي أدراك أن الفئمة المؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأن الفئمة الكافرة تقاتل في سبيل الطاغوت؟ وأقول لكم: إن الرد على هذا السؤال في قول الله جل وعلا: {الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} [النساء: ٧٦] فكذلك الآية التي نحن بصدددها، بديهي أن الله حين يأمر فلا يأمر إلا بخير، ولذلك يفهم منها أنه أمر المترفين بتوحيده وطاعته فلم يمثلوا لأمره، بل فسقوا وأفسدوا، فدمرهم تدميراً. وهناك قراءة أخرى لهذه الآية تقول: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} بتشديد الميم، أي جعلنا مترفيها أمراء عليها فأفسدوا فيها، ولو كانوا مصلحين لَمَا دمرها {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ ۚ وَلَا أَهْلَهَا ظَالِمُونَ} [القصص: ٥٩]

والآن نذكر لكم بعض ما جاء به الكتاب المقدس: ثم سمعت صوت السيد قائلاً من أرسل ومن يذهب من أجلنا. فقلت هاأنذا أرسلني. فقال اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى. فقلت إلى متى أيها السيد. فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر ويُبْعِدُ الرَّبُّ الْإِنْسَانَ وَيَكْثُرُ الْخَرَابُ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ. (إشعيا: ٦: ٨-١٢)

وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها ونجستهم بعباياهم إذا أجازوا في النار كل فاتح رحم لأبيدهم حتى يعلموا أني أنا الرب (حزقيال ٢٠: ٢٥-٢٦) أى أن الله (بزعمهم) أمرهم بفرائض وأحكام غير صالحة حتى يبيدهم، والله أعلم.

س ٣٨١- يقول القرآن: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} [الإسراء: ٢٥] ما صلة هذه الآية بما قبلها، وما دخلها ببر الوالدين؟

ج ٣٨١- الآيتان السابقتان لهذه الآية يقول الله تبارك وتعالى فيهما: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفْرٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٨﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا} هذه الآيات تتكلم عن وجوب بر الوالدين، والنهي عن إيذائهما ولو بكلمة {أفري} وقد قال العلماء: لو كان هناك أقل من كلمة {أفري} لذكرها الله عز وجل، ولكن أقل كلمة لها معنى لا بد أن تكون مكونة من حرفين على الأقل، أما أقل من اثنين فيكون حرفاً ليس له معنى مستقل بذاته. ونلاحظ في هاتين الآيتين أن الله عز وجل قال: {إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ} أى عندك.. ترعاها ولا تتركها وخدمها ليس معهما من يرعاها، ولا تدعها في دار مسنين مثلاً. وهنا قد يتلاعب بعض الأبناء بهذا الأمر ويجعلها عنده، ولكن ليس لوجه الله، ولكن لمصلحته الشخصية، كما نرى في عصرنا من يتحاييل على أمه لتبعية ذهبها لينفق على نفسه وأولاده مقابل خدمتها، أو يتحاييل على أبيه ليأخذ منه أملاكه، ويجعله يوقع له على عقود بيع وشراء حتى يضيع حق إخوته في الميراث. فالله سبحانه وتعالى يعلم ما تخفيه النفوس من خير أو شر، وسيجازي كل واحد بعمله، ولذلك قال: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ} والدليل على ذلك أنه قال بعد هذه الآية: {وَأَنذَرْتُكُمْ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرُوا نَجْوَ اللَّهِ} وهذا تأكيد على وجوب إعطاء كل ذي حق حقه، والله أعلم.

س ٣٨٢- يقول القرآن: {وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا} [الإسراء: ٤٥] كيف يقول القرآن: {حِجَابًا مَّسْتُورًا} والحجاب في الأصل ساتر، فكيف يكون مستوراً؟

ج ٣٨٢- إن الحجاب المذكور في الآية الكريمة حجاب معنوي، وليس حجاباً حسيّاً

كما فهم السائل، وهذا كما ورد في قول الله جل وعلا: {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الكهف:٥٧] وقوله تعالى حكاية عن المشركين: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} [فصلت:٥] {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} [البقرة:٨٨] أى أنها مغلفة بغلاف لا يُرى، وهذا الغلاف يمنع وصول الحق إليها. فكذلك الآية التي نحن بصدددها، فهي تتحدث عن حجاب يمنع وصول الهداية إلى قلوب المشركين، ولكن هذا الحجاب مستور لا يُرى. ولتقريب المعنى نضرب مثلاً بالمغناطيس الذى يجذب بُرادة الحديد إليه، فهل يرى هذه المغناطيسية أحد؟ وهل لو تنافر قطبه مع قطب مشابه له (أى سالب مع سالب، أو موجب مع موجب) هل يرى أحد ما الذى يجعلهما يتنافران، فى حين أنهما يتقاربان إذا كان القطبان مختلفين؟ فقلوب المشركين والكافرين والمنافقين تنفر من سماع آيات الله، أما المؤمنون الموحدون فتشرح صدورهم لكلام رهم، ويزدادون إيماناً مع إيمانهم {وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة:١٢٤-١٢٥]، والله أعلم.

س ٣٨٣- يقول القرآن: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء:٥٢] هذا الكلام موجه إلى الكفار، فكيف يحمدهون وهم سيعدبون؟

ج ٣٨٣- لأن الله عز وجل قد أعذر لكل معذر، فلا حجة لأحد على الله، فقد أرسل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأنزل معهم الكتب، وأيدهم بالمعجزات، وبين الحق من الباطل {رُسُلًا مُّبِينِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:١٦٥] وهذا كما يقولون: (قد أعذر من أنذر) فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أن أباً قال لابنه: أنا سأعطيك كل ما تطلبه من كتب، أو دروس خصوصية، أو ملابس، أو هاتف محمول .. إلخ، بشرط أن تنجح آخر العام، وإن لم تنجح فخذ ملابسك واترك البيت، وفى آخر العام رسب الولد، فقال له أبوه: ألم أفعل معك كذا وكذا؟ قال له: نعم يا أبى.. فقال له: اخرج من البيت إذن.. فماذا يكون رد الولد؟ سيقول له: شكراً لك يا أبى، إنك قد فعلت ما عليك، وأنا أستحق العقوبة، لأنى لم أفعل ما أمرتني به. فالله سبحانه وتعالى قد أقام العدل فى ملكه، فجازى أهل الجنة بما يستحقون وأهل النار بما

يستحقون.. فهو المحمود أولاً، وهو المحمود آخرًا، وهو المحمود على كل حال، والله أعلم.
س ٣٨٤ - يقول القرآن عن حادثة الإسراء والمعراج إنها مجرد رؤيا منامية ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠] فكل الضجة التي عملها محمد حول الإسراء والمعراج هي ضجة حول رؤيا من الممكن أن يراها أى إنسان.

ج ٣٨٤ - إن الإسراء والمعراج لم يكونا مجرد رؤيا منامية كما تدعون، والدليل على ذلك هو عدم تصديق الكفار لهذا الحدث، لدرجة أن بعض المسلمين ارتدوا عند سماع هذه القصة، ولذلك قال الله عنها إنها {فتنة} أى اختبار للإيمان، فلو لم تكن بالروح والجسد لَمَا كانت فتنة، فهل وجدتم أحداً رأى في منامه ما رأى، ثم قصه على الناس، فلم يصدقوه؟ إن الإنسان يرى في منامه أشياء عجيبة يستحيل وجودها في الواقع، ولا يكذبه أحد، فلو قلتُ لكم مثلاً: إني رأيت في المنام أني سافرت إلى الهند، وصعدت على الشجر، وركبت الفيلة، فهل يكذبني أحد؟ والكفار أنفسهم - وهم أعلم باللغة العربية - لم يوجهوا هذا الاتهام للرسول ﷺ بعد سماع هذه الآية. أما لماذا قال الله عنها إنها رؤيا؟ فربما يكون الرسول ﷺ رآها في منامه قبل وقوعها، فقد كان كل ما يراه في منامه يتحقق كما رآه تماماً، وقد ظل ستة أشهر قبل البعثة لا يرى مناماً إلا وقع كما رآه مثل فلق الصبح، وقد رأى مصارع الكفار قبل موقعة بدر، وأشار إلى الأماكن التي سيقتل فيها فلان وفلان. وربما لتشابه أحداثها بالرؤيا، وخاصة في عنصر الزمن، فمعلوم أن الرؤيا المنامية لا تخضع للزمن، بدليل أن الإنسان يرى في منامه أحداثاً كثيرة في فترة وجيزة جداً، يحتاج في سردها لمدة طويلة، فضلاً عن أن يقوم بفعلها كما رأى في منامه، فالذى يرى مثلاً أنه ذهب للحج، وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، كم يحتاج من الزمن لفعل هذه الأشياء؟ كذلك فإن الإسراء والمعراج لم يخضعا للزمن، لأنهما كانا بقدرة الله جل وعلا، فلم يقل الله سبحانه وتعالى عن رسوله ﷺ إنه سار بنفسه إلى بيت المقدس، ولكن قال: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] أى أن الله هو الذى أسرى به، والله سبحانه وتعالى لا يحتاج لزمن ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وكلمة {عبده} لا تعنى الروح وحدها، ولكن تعنى الروح والجسد معاً، ونحن أحياناً نصف شيئاً

بشيء آخر لشدة التشابه بينهما، فمثلاً: لو رأينا منطقة جميلة جداً، غنية بالخضرة، والجبال والأنهار، وغير ذلك من خلق الله، فإننا نصفها بأنها منطقة ساحرة، لدرجة أننا نقول لمن رأها: أريت السحر؟ فهل هو سحر حقاً أم أنه تشبيه؟، والله أعلم.

س ٣٨٥- يقول القرآن: {وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْتَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [الإسراء: ٦٤] كيف يأمر الله إبليس بهذه الأوامر المضللة، ثم يتوعده ومن اتبعه بالعذاب؟ فهل هذا عدل الإله عندكم؟

ج ٣٨٥- إن هذه الأوامر ليست على حقيقتها، ولكنها للتهديد، وقد جاءت في سياق الرد على إبليس في قوله: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٦٢] فهي توضح عزة الله واستغناءه عن خلقه، وفيها إمهال لإبليس وتحذُّر له أن يفعل كل ما في وسعه، فإن هذا لن يضر الله شيئاً، كما تقول لمن يهدد بفعل أمر خطير: اركب أعلى ما في خيالك، أو: اعمل ما تقدر عليه، فهل أنت تأمره بالشر، أم هو شرير أصلاً؟ فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لا يضره كفر الكافر، ولا ينفعه إيمان المؤمن {إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم: ٨] {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧]، ومع أن المفسرين قالوا إن كلمة {بِصَوْتِكَ} تعني الغناء واللهو، وكل دعوة إلى ضلالة، إلا أن للشيطان صوتاً يُسْمَعُ، كما حدث يوم أن ذهب إلى أبي هريرة رضي الله عنه وحثا من مال الصدقة، وأراد أبو هريرة أن يرفعه إلى الرسول ﷺ (أى يذهب به إليه ليعاقبه) فاشتكى إليه من قلة المال وكثرة العيال... إلى آخر القصة. أما {بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ} أي بكل أعوانه وجنوده، الراكبين منهم والماشين. ربما يقول قائل: لماذا سمح الله لإبليس بإغواء بني آدم؟ فنقول له: إن هذا مناط الاختبار، ليظهر المطيع من العاصي، ومن رحمة الله عز وجل أن حذرنا من إغوائه، فلم يتركنا سبحانه وتعالى فريسة له، بل وهبنا العقل الذي نميز به بين الخير والشر، وأرسل إلينا الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فمن أطاعهم دخل الجنة، ومن عصاهم دخل النار، والله أعلم.

س ٣٨٦- يقول القرآن: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ} [الإسراء: ٧٠]

فلو كان القرآن معجزاً لكل العصور - كما تزعمون - لقال (ولقد كرّمنا بني آدم وجعلناهم في البر والبحر والجو)

ج ٣٨٦- نعم.. إن القرآن معجز لكل العصور، وليس هذا ادّعاءً باطلاً كما تقولون، وقد مر بنا توضيح ذلك بفضل الله عز وجل، في الرد على الشبهة رقم (٢٨) ولكنه أيضاً صالح لكل العقول والأفهام، فلو قال (في الجو) لصدم العقول حين نزوله، ولَمَّا صدّقه أحد، إذ كيف يقول لهم (في الجو) والجزيرة العربية لا تعرف حينها إلا الوسائل البدائية للسفر البري والبحري؟ ثم إن التعبير القرآني {فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} يشمل (الجو) أيضاً، لأن هناك طيارات تُقلع من البر وتهبط في البحر، وأخرى تُقلع من البحر وتهبط في البر، أما الطيارات العادية التي تُقلع من البر وتهبط في البر، ففي أثناء طيرانها يكون أسفل منها إما بر أو بحر، ولا ثالث لهما، والله أعلم.

س ٣٨٧- بقول القرآن: {وَمَنْ كَانَتْ فِي هَنِيئَةٍ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الإسراء: ٧٢] أليس هذا الظلم واقعاً عليكم يا مسلمون؟ فما ذنب الأعمى أن يدخل النار؟ إن معنى هذا أن عبد الله بن أم مكتوم وغيره كثير من علمائكم (مثل الشيخ كشك) سيدخلون النار، أليس كذلك؟

ج ٣٨٧- إن سائل هذا السؤال ليست عنده ملكة اللغة العربية، ولكنه اتخذها صنعة. فهناك أبصار وبصائر، أما الأبصار فهي بالعين، وأما البصائر فهي بالقلب، قال تعالى: {فَأَيْنَمَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦] فالؤمن ولو كان أعمى العين (كعبد الله بن أم مكتوم ﷺ أو الشيخ كشك رحمه الله) فإنه مُستنير البصيرة، يرى بنور الله جل وعلا، كما قال رسول الله ﷺ: "اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ" ثم قرأ: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْتَوَسَّطِينَ} [سنن الترمذی] فكم من المكفوفين قد حفظ القرآن الكريم وغيره من العلوم الشرعية، وتفوق فيها وأصبح داعياً إلى الله سبحانه وتعالى، واهتدى على يديه الكثير والكثير، وكم من مبصر قد ضل عن صراط الله المستقيم - وربما أضل غيره - فلم ينفعه بصره، بل كان ضرراً عليه، لأنه استعمله في معصية الله جل وعلا، قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنْسِ ثُمَّ هَمَّ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْتِنُ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ

هُمُ الْغَفْلُونَ} [الأعراف: ١٧٩] فإن الكافرين لهم قلوب، ولكنهم {لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} أى لا يتدبرون بما الآيات، ولا الأحاديث، ولا المواعظ، ولا ما فيه صلاحهم وسعادتهم، ولم أعين، ولكنهم {لَا يُبْصِرُونَ بِهَا} أى لا يبصرون بصراً ينفعهم، ولم أذان، ولكنهم {لَا يَسْمَعُونَ بِهَا} أى لا يسمعون سماعاً ينفعهم. أما المؤمن فإن قلبه وبصره وسمعه وكل جوارحه مسخرة لله جل وعلا، كما جاء في الحديث القدسي: "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مُساءته" [صحيح الجامع: ١٧٨٢] فالمؤمن كلما رأى شيئاً دله على الله سبحانه وتعالى، فلو رأى - مثلاً - مناظر جميلة من خلق الله.. تفكر فيها بنور بصيرته، وعلم أنها بعض مظاهر قدرة الله جل وعلا، فقال: سبحان الله! {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩٠-١٩١] وأما الكافر، أو المنافق، أو الفاسق، فإنه يرى في هذه المناظر الجميلة متعة تُشَدُّ إليها الرحال لمعصية الله، فتجد الكثيرين يسافرون إلى الأماكن السياحية الغنية بمثل هذه اللوحات الربانية، ليعصوا الله فيها، ويسبح النساء والرجال - شبه غرابة - أمام بعضهم البعض، فهل هذا البصر ينفعهم؟ إنهم قد أبصروا الجمال بعيونهم، ولكنهم لم يدركوا دلالاته على عظمة الله وقدرته بقلوبهم. فالآية الكريمة التى وردت فى السؤال تتحدث عن عمى البصائر، وليس عمى الأبصار، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى} [طه: ١٢٤-١٢٦]، والله أعلم.

س ٣٨٨ - يقول القرآن: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ} [الإسراء: ٩٧] كيف

يحبشرون على وجوههم؟

ج ٣٨٨- إن هذا السؤال قديم، وقد سُئِلَ عنه الرسول ﷺ فَرَدَّ بقوله: "إن الذي أمشاهم على أرجلهم في الدنيا قادر على أن يمشيهم على وجوههم يوم القيامة" [صحيح الجامع: ١٦٨٧]، والله أعلم.

س ٣٨٩- كيف يقول القرآن: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف: ٢٥] ويقول: {لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمِّتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} [الكهف: ١٨] ثم يقول في الآية التي تليها: {قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} كيف يقولون: {لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} ألم يروا التغيير الذي حدث في هيتهم، وأرعب الناس منهم، بعد مكثهم في الكهف كل هذه السنين؟

ج ٣٨٩- السائل ساذج، لأنه ظن أن شعر رعوسهم ولحاهم وأظافرهم قد طالت، وأنه قد أصابهم الشيب والشيخوخة، وانحنت ظهورهم، ووهنت عظامهم. إن شيئاً من هذا لم يحدث، ولكنهم عندما استيقظوا من نومهم على حالتهم التي كانوا عليها لم يشعروا بأى تغيير، لا في هيتهم، ولا قوتهم، ولا ملابسهم، بقدرة الله سبحانه وتعالى، ولذلك قالوا: {لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}. أما لماذا قال الله سبحانه وتعالى: {لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمِّتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}؟ لأن عيونهم كانت مفتوحة، بدليل قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ} [الكهف: ١٨] وهذا مما يبعث الرعب في قلب من رآهم، ولذلك فإن من إكرام الميت إغماض عينيه، لأنها لو تُرِكَت مفتوحة لكان منظرها مرعباً. وليس معنى قوله تعالى: {وَلَمُلَمِّتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} أن شعورهم وأظافرهم طالت فأصبح منظرهم مرعباً، فنحن نشاهد أناساً في الشوارع ملابسهم متسخة، وأظافرهم وشعورهم طويلة ولا تخاف منهم. ربما قال قائل: لو أن عيونهم كانت مفتوحة لدخل فيها التراب، ولأصابها العمى. ونقول له: ألا يثير تعجبك أنهم مكثوا لا يأكلون ولا يشربون طيلة هذه السنوات؟ فإن الذي جعلهم يمكثون هذه المدة أحياء بلا طعام ولا شراب، قادر على أن يحفظ أعينهم من العمى. وهناك شيء آخر.. فربما جعل الله عز وجل منظرهم يرعب من يراهم فيفر منهم هارباً، حتى لا يدخل إليهم أحد في كهفهم ويحاول أن يوقظهم. والاطلاع عليهم مجرد افتراض {لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ} لأنهم بالتأكيد كانوا محتبين عن أعين الناس. وقوله تعالى: {وَوَقَّلبَهُمْ ذَاتَ أَلْيَمِينٍ وَذَاتَ أَلْشِّمَالِ} [١٨] فيه إعجاز علمي، لأن الإنسان إذا نام فترة طويلة على

مكان واحد، فإن هذا المكان يصاب بقرح الفراش التي يصعب علاجها، وكذلك فوله تعالى: {وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [٢٥] به أيضاً إعجاز علمي، لأن كل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تعادل أربعاً وثلاثين سنة قمرية، فتكون المدة التي قضوها في الكهف ٣٠٩ بالسنة القمرية، و ٣٠٠ بالسنة الشمسية، فالآية جمعت بين الحسايين، رغم عدم معرفة العرب للحساب الشمسي حينها، فهم أميون، ولا دراية لهم بعلم الفلك الحسابي حين نزول هذه الآية، والله أعلم.

س ٣٩٠- يقول القرآن: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّي} [الكهف: ٥٠] إن الأمر بالسجود لآدم كان للملائكة، وإبليس لم يكن منهم - بنص الآية - بل كان من الجن، فما الذي جعله يُطرد من الجنة، ويصبح ملعوناً إلى يوم القيامة، ويخلد في النار؟

ج ٣٩٠- إن هذا استثناء منقطع، أي أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وإذا صدر الأمر للأعلى فمن باب أولى أن يدخل فيه الأدنى، ولنضرب مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - إذا زار وزير الدفاع مقرأً عسكرياً به مجموعة من اللوآت وكبار الضباط، وكان في القاعة جنود يقومون بخدمتهم، فعند دخوله أصدر الأمر لهؤلاء اللوآت والضباط بالوقوف له.. فهل يقف له اللوآت والضباط ولا يقف له الجنود؟ هل يقولون: إن الأمر لم يصدر لنا، إنما صدر للوآت والضباط، ونحن لسنا منهم؟ أو لو صدر أمر من وكيل الوزارة للمديرين بالحضور إلى عملهم في الساعة السابعة مثلاً، فمن باب أولى أن يأتي العاملون من الساعة السادسة، وحين قال الله عز وجل لرسوله ﷺ: {يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ اتَّقِي اللَّهَ} [الأحزاب: ١] فهل النبي ﷺ يتقى الله، ونحن لا نتقيه؟ وإبليس نفسه كان يعلم أن الأمر يشملها، بدليل أنه لم يقل حين سُئِلَ عن عدم السجود (لم أسجد لأنني من الجن، والأمر ليس لي) ولكنه اعترض على أمر الله جل وعلا، ولم يطعه استكباراً وعناداً، فأصبح من الكافرين، بدليل أنه قال: { أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢] ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه لم يطرده من الجنة بمجرد عصيان أمره، ولكنه سأله (وهو سبحانه أعلم) {قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف: ١٢] فكان رده ما ذكرناه في الآية نفسها، والله أعلم.

س ٣٩١- يقول القرآن: {فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ} [الكهف: ٧٧] ثم نسي محمد وهو يؤلف القرآن، فقال: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ} [الكهف: ٨٢] فمرة يقول: {قَرْيَةٍ} ومرة يقول: {الْمَدِينَةِ} والمعروف أن القرية غير المدينة.

ج ٣٩١- (النجع) عبارة عن بيت أو اثنين أو ثلاثة، وإذا كثرت البيوت إلى عشرة تقريباً سُميت (كَفْرًا) وإذا كثرت البيوت واتسعت الرقعة الأرضية التي تحتويها، ووجد أهلها احتياجا تم سمي (قرية) وقرية مأخوذة من (القرى) أى الكرم، أو أنها تقر عينك، لأن ما تريده تجده، ومأخوذة أيضاً من الاستقرار، وإذا تعددت القرى أصبحت (مدينة) كبيت يحتوى على عدة شقق، فلو قال الإنسان إنه يسكن فى شقة كذا، لكان صادقاً، ولو قال إنه يسكن فى بيت كذا، لكان صادقاً، فليس هناك أى تناقض، لأن القرية جزء من المدينة. وربما كان الغلامان يسكنان بعيداً عن مكان الجدار، أى أنهما كانا يسكنان فى المدينة، والجدار فى القرية، كما يكون لأحدنا بيت فى المدينة وآخر فى القرية. وعموماً فقد ورد ذكر القرية والقرى كثيراً فى القرآن الكرم، وهى المكان المستقر فيه أهله، المتوافرة فيه حاجاتهم وطلباتهم، وأدوات حضارتهم، وإنما تشمل القرية والمدينة الصغيرة والكبيرة، أو المصر كله، والله أعلم.

س ٣٩٢- يقول القرآن: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف: ٨٦] كيف تدعون أن القرآن نزل من عند الله، وهو يقول إن الشمس تغرب فى بركة من الطين؟ هل هذا يتناسب مع العلم الحديث كما تدعون أيها المسلمون؟

ج ٣٩٢- إن ما جاء بالآية الكريمة ليس وصفاً حقيقياً لغروب الشمس، ولكنه وصف من رآها، أى أن ذا القرنين رآها كأنها تغرب {فى عَيْنٍ حَمِئَةٍ} كما يراها أحدنا عند الغروب وكأنها تسقط فى البحر، فيقول: لقد رأيت الشمس وهى تسقط فى البحر، ولا ينكر عليه أحد قوله هذا، ولا يتهمه بالجهل، لعلمه أنه وصف مجازى وليس وصفاً حقيقياً. وكما يقول أحدنا حين يرى رجلاً فى أشد الغضب: لقد رأيت الشياطين تلعب فى وجهه، فهل الشياطين تلعب فى وجهه حقاً، أم أنه تعبير مجازى؟ وهل قال الله سبحانه

وتعالى في أى موضع من القرآن إن الشمس {تَقْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيمٍ} غير هذا الموضع؟ إن هذا مما يدل على أن هذا الوصف قاصر على رؤية ذى القرنين لها، بدليل قوله تعالى: {وَجَدَهَا} وهذا مثل من يرى السراب في الصحراء وكأنه ماء. وهناك تفسير يقول إن ذا القرنين عند الغروب وجد قوماً مزارعين في أرض زراعية، فيها التربة الطينية (الحما) فرأى الشمس وهي تغرب، وكأنها تسقط في هذا الحما.

وكيف تتعجبون من هذا ولا تتعجبون مما جاء في كتابكم المقدس حيث يقول: وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسرلة بالشمس والقمر تحت رجلها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً (رؤيا يوحنا ١٢: ١)، والله أعلم.

س ٣٩٣- كيف يُسَمَّى (يُجِى) بهذا الاسم وهو يدل على طول عمره، ثم يموت شاباً صغيراً؟

ج ٣٩٣- إن الله سبحانه وتعالى هو الذى سماه (يُجِى) {يَنْزَكِرِيًا إِنَّا تُبْفِرُكَ بِغَلْمٍ اسْمُهُ يَجِي لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} [مریم: ٧] أى لم يُسَمَّ أحد بهذا الاسم قبله، واسمه في الكتاب المقدس (يوحنا المعمدان) وقد سماه الله (يُجِى) ليحيا بين الأحياء في الدنيا لنهاية عمره، ثم يميا بين الشهداء في الجنة، فقد رزقه الله الشهادة على يد الإمبراطور (هيروُدس) الذى أراد أن يتزوج بنت أخته، وقد كان ذلك محرماً في شريعتهم، فذهبوا لأحبارهم ليستفتوهم، فأشاروا عليهم أن يذهبوا لسيدنا يُجِى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأنه كان معروفاً بالعلم، والتقوى، والورع الشديد، فأفتى لهم بحرمة هذا الزواج، فغضبت بنت اخت الملك، وطلبت أن تُقَطَّعَ رأسه، وتقدم لها على صحيفة من الذهب، لتكون مهرها، لرغبتها في الزواج من خالها، فلبوا لها طلبها، وذبحوه وهو في سن الخامسة والثلاثين، وقدموا رأسه هدية لها، ولذلك سُمِّيَ (يُجِى) لأنه نال الشهادة، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ} [آل عمران: ١١٩] وقال رسوله ﷺ: "إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل مُعلَّقة تحت العرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل" [صحيح الجامع: ١٥٥٨]، والله أعلم.

س ٣٩٤- يقول القرآن عن مریم: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّوَدَّعَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا

شَرِيفًا} [مریم: ١٦] فلماذا {أَنْتَبَدْتَ}؟ هل كانت في مشاجرة مع أهلها، وهم المشهورون بالتقوى والورع؟

ج ٣٩٤- إن السيدة مریم - رضی الله عنها - مُحَرَّرَةٌ أصلاً لخدمة بيت المقدس، كما قالت أمها: {إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ إِمْرَأْتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [آل عمران: ٣٥] فهي معتكفة في محراب المسجد، وليس لها أن تعود لبيتها، لأنها محررة من كل خدمة إلا خدمته. أما مسألة (الانتباز) أى الابتعاد عن بيت المقدس، فلأنما كانت - كآى أنثى - تأتيتها الدورة الشهرية، فلا يجوز لها أن تمكث فيه أثناء حيضها، فكان لها خيمة شرق بيت المقدس لتقضى فيها أيام حيضتها، فإذا طهرت عادت إليه. أما كلمة {أَهْلِيهَا} أى أهل دينها، كما قال الله تعالى عن ابن سيدنا نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [مؤد: ٤٦] فإنها لم تكن في مشاجرة مع أهلها، ولكنها كانت منقطعة لخدمة ربها، فكلمة (مریم) باللغة الآرامية تعنى (خادمة الرب) والتأمل للآية يجدها {أَنْتَبَدْتَ} (بفتح التاء والباء) وليست (انتبذت) (بضم التاء وكسر الباء) أى أنها هى التى ابتعدت عنهم، ولم يبعدها أحد، كما بعدت عنهم لتضع ولدها الذى بشرها به سيدنا جبريل عليه السلام {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا} [مریم: ٢٢] وقد جاء فى الكتاب المقدس عن سيدنا موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: وفى ذلك الوقت وُلِدَ موسى وكان جميلاً جداً. فَرُبِّيَ هذا ثلاثة أشهر فى بيت أبيه. ولما بُدِئَ اتخذته ابنة فرعون وربته لنفسها ابناً. (أعمال الرسل ٧: ٢٠-٢١) فهل وضعته أمه فى التابوت عن كُرْهٍ له، أو مشاجرة معه، حتى يقال عنه إنه بُدِئَ؟، والله أعلم.

س ٣٩٥- يقول القرآن عن مریم إنها قالت للرجل الذى أتاها فى خلوتها: {أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} [مریم: ١٨] فهل تستعيز بالله منه إن كان تقياً فقط، أم أن المفروض أنها تستعيز بالله منه على كل حال؟

ج ٣٩٥- مسكين هذا الذى فهم الآية بهذه الطريقة! ألم يسمع فى يوم من الأيام من يقول للمتهجم عليه ليضربه: لو كنت تخاف الله اتركنى ولا تضربينى؟ إن قول السيدة مریم - رضی الله عنها - لا يعنى أنها تستعيز بالله منه إن كان تقياً فقط، كما فهم هذا المسكين، فالتقى من نفسه لن يدخل عليها فى خلوتها، ولن يؤذيها بأى أذى، ولكنها

قالت له هذا لتذكره بالله سبحانه وتعالى، وتخوفه من عقابه. ونحن نعلم أن الرجل الذى دخل عليها كان سيدنا جبريل عليه السلام، ولم يكن بهيئته الملائكية، ولكنه جاءها فى سورة رجل ليبشرها بولادة المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والله أعلم.

س٣٩٦- لقد خلط القرآن بين هاجر ومريم، فقال: {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم: ٢٤] و(السري) هو النهر الجارى، وهذا كان هاجر ولم يكن لمريم.

ج٣٩٦- إن من المعانى المتعددة للسريّ أنه (السيد) وعلى هذا المعنى يكون المقصود بالسريّ هو المسيح نفسه - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وسُمّيَ (سريّاً) لِشَرِّ به أمه، ويسمى (السيد) بالسريّ لأنه يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعلمهم الخير ويُسرّي عنهم، {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} أى أنه سيكون سيّداً، وتقر به عينها، ويدخل عليها السرور، والمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لا زال اسمه عندهم (السيد المعلم). وعلى المعنى الآخر للسريّ أنه جدول ماء، فما المانع أن يكون تحت السيدة مريم كما كان للسيدة هاجر؟

ومناسبة الخلط غير الحقيقى بين السيدة هاجر والسيدة مريم - رضى الله عنهما - فقد جاء فى الكتاب المقدس اختلافات كثيرة فى أنساب بنى إسرائيل يطول شرحها، ونذكر منها على سبيل المثال:

وبنو شمعون يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاول (تكوين٤٦: ١٠).
بنو شمعون حسب عشائرتهم. لنومئيل عشيرة النموئيليين. ليامين عشيرة اليامينيين.
لياكين عشيرة الياكينييين. لزراح عشيرة الزارحيين. لشاول عشيرة الشاوليين. هذه عشائر الشمعونيين (عدد٢٦: ١٢-١٤)، والله أعلم.

س٣٩٧- يقول القرآن: {وَهَزَيْتَنِي لَأَبْلُغَنَّكَ مِن تَحْتِهَا مِن مَّقَرَّةٍ وَرُغْبًا جَبِيًّا} [مريم: ٢٥] فى مسلمون.. هل تستطيع امرأة نَفْسَاء أن تمز جذع نخلة لا يستطيع أن يهزها أقوى رجل، ولو كان بطل العالم فى رفع الأثقال؟

ج٣٩٧- إن هذه الدنيا قامت بقدر الله على الأسباب، ونحن مطالبون بالسعى فى طلب الرزق الحلال لتتعفف به عن السؤال، والله سبحانه وتعالى لا يُكلّف نفساً إلا

وُسْعُهَا، وَحِينَ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِهِ عَيْثًا - حَاشَا وَكَلَا - وَلَكِنَّهُ يَأْمُرُ بِهِ لِعِلْمِهِ بِمَقْدَرَةِ عِبْدِهِ عَلَى تَنْفِيزِهِ، وَلِعِلْمِهِ بِحِكْمَةِ هَذَا الْأَمْرِ وَأَهْمِيَّتِهِ، وَالْعَبْدُ مَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَمْتَثِلَ لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَلُوغُ مُنَاهُ، فَحِينَ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِمَزْجِ جَذَعِ النَّخْلَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهَا إِلَّا بِمَا تَطْبِيقُهُ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ، وَعَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَلُوغُ الْأَمَلِ، فَمَا دَامَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهَا، فَهُوَ الْقَادِرُ أَنْ يَجْعَلَ النَّخْلَةَ تَهْتَرُ بِفِعْلِهَا، وَتُسَاقَطُ الرُّطْبُ الْجَنِّي لِتَغْذِيَّتِهَا. فَحِينَ رَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ عَلَى الْكُفَّارِ فِي مَوْقِعَةِ (حُتَيْنِ) وَقَالَ: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ" [صَحِيحُ مُسْلِمٍ] فَمَا مِنْ كَافِرٍ حِينَهَا إِلَّا وَقَدْ مُلِثَتْ عَيْنُهُ بِالتُّرَابِ، أَكَانَ هَذَا مِنْ قُوَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الرَّمْيِ؟ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ إِنْسَانٌ؟ إِنْ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ وَوَفَّقَهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَمَا هُوَ فَمَا كَانَ عَلَيْهِ إِلَّا اتِّخَاذُ الْأَسْبَابِ {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَيْكِنْ بَلَّغَ اللَّهُ رَمْيَ} [الأنفال: ١٧] فَحَنَّا مَا عَلَيْنَا إِلَّا اتِّخَاذُ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلنَّجَاحِهَا، وَلَا يَجْلِسُ مَكْتُوفِي الْأَيْدِي وَنَقُولُ: إِنْ اللَّهُ سَيَّرَ قَنَانًا، فَإِنَّ السَّمَاءَ لَا تَمْطُرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً.

والذين يتعجبون من أن السيدة مريم - رضى الله عنها - أمرت بمزج جذع النخلة، جاء في كتابهم المقدس أن شمشون أمسك بعمودى مبنى، فوقع البيت على من فيه فقتلهم: وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما واستند عليهما الواحد يمينه وآخر يساره. وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين. وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذى فيه فكان الموتى الذين أماتم في موته أكثر من الذين أماتم في حياته. (قضاة: ١٦: ٢٩-٣٠) مع أنه قال عن هذا البيت الذى هدمه شمشون بزعمهم: وكان البيت مملوياً رجالاً ونساءً وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون. (قضاة: ١٦: ٢٧)، والله أعلم.

س ٣٩٨- يقول القرآن عن مريم: {فَكُلِّي وَأَسْمِي وَفَرِي عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} [مريم: ٢٦] أين هو الصوم وقد كانت آكلة وشاربة بنص الآية نفسها؟

ج ٣٩٨- أكمل الآية حتى تعلم الإجابة {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

الْيَوْمَ إِسْمِيًّا} لقد نذرت لله صوماً عن الكلام وليس عن الطعام، فالصيام في اللغة هو (الانقطاع) يقولون: (صام الجمل) أى انقطع عن المشى، ولذلك أخبرنا القرآن أنها لم تتكلم مع قومها، بل أشارت إلى ولدها عندما سألوها عنه {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} وكان انقطاعها عن الكلام لحكمة عظيمة، فلو أنها تكلمت وقالت لهم إنها بريئة فلن يصدقوها، فمن أين لها بهذا الغلام؟ أما وإنه هو الذى تكلم فقد أجمعهم الحجة، إذ كيف يتكلم في المهدي؟ إن هذه المعجزة تجعلهم يتقبلون معجزة ولادته بغير أب، والله أعلم.

س ٣٩٩- يقول القرآن: {يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْراً سَوَءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا}

[مريم: ٢٨] كيف تكون مريم أخت هارون يا مسلمون، وبينهما مئات السنين؟

ج ٣٩٩- إن السيدة مريم - رضى الله عنها - لم تكن أخت سيدنا هارون - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأن بينهما أكثر من ثمانمائة سنة، ولكن هذا كلام تهكمى ساخر، لأنها كانت منقطعة للعبادة في بيت المقدس (كلمة مريم تعنى أمة الرب باللغة الآرامية) ثم جاءهم حامله على يديها ابنها الرضيع، وهى لم تتزوج بعد، فاستهزأوا بها وقالوا: {يَتَأَخَّتْ هَرُونَ} أى أخته وشبيهته في العبادة، لأنه كان كثير العبادة، وكان محبباً إلى قومه، وكان يُضْرَبُ به المثل في الحلم والتقوى والورع، والناس إذا رأوا متديناً قد عمل عملاً مشيناً في ظنهم قالوا له: يا مولانا المعظم، يا فضيلة الإمام الأعظم، يا فضيلة المفتى.. فهل هو حقاً فضيلة الإمام الأعظم أو المفتى؟ أم أنهم يقولون هذا تهكماً؟ أو كما يقولون للبخيل: يا أبا الكرم، وللجبان: يا أبا الشجعان، وللقصير: يا نخلة... الخ.

ثم إنه قد جاء في الكتاب المقدس أن سيدنا هارون كانت له أخت اسمها مريم، وهى عندهم نبيّة: فأخذت مريم النبيّة أخت هارون الدّف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهن مريم. رثّموا للرب فإنه قد تعظّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر (خروج ١٥: ٢٠-٢١) وهذا يخالف الواقع، فالله سبحانه وتعالى لم يتخذ من النساء أنبياء، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوْحِي إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٣] ولكننا سنسلم أنه كانت له أخت صالحة اسمها مريم (مع أن هذا يتنافى مع رقصها وغنائها) فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: {يَتَأَخَّتْ هَرُونَ} أى يا من كنت مثل مريم أخت هارون، والله أعلم.

س ٤٠٠ - يقول القرآن عن عيسى: {وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا أَيَّنَمَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مرم: ٣١] وأنتم تقولون إنه لم يمض، وإنه رُفِعَ عند ربه، فكيف يصلى ويزكى إذن؟

ج ٤٠٠ - أولاً: نجيب على هذا السؤال بسؤال: هل هناك نبي حتى لا يصلى؟ ثانياً: لقد اتفق المسلمون والنصارى على أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حتى عند الله، فهل يعلم أحد ماهية هذه الحياة؟ وما هي مقومات حياته؟ إنه من الغيوب المطلقة التي لا يعلمها إلا الله، فما المانع أن تكون صلواته عند ربه كصلاة الملائكة الذين أخبرنا الله عنهم بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِمْ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: ٢٠٦].

وأخبرنا عنهم رسوله ﷺ بقوله: "أطت السماء ويحق لها أن تنطق، والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده" [صحيح الجامع: ١٠٢٠] أما الزكاة فهي لا تجب إلا على من يملك نصابها، ويجد من يتصدق عليهم بها، فأين هو النصاب الذي يمتلكه؟ وأين الذين سيتصدق عليهم، بفرض أنه يملك النصاب؟ ففي هذه الحالة يرتفع عنه التكليف بالزكاة، كما ترتفع بعض التكاليف عن بعض الناس في بعض الحالات. ستقولون: إن هذا يناقض الآية لأنها تأمره بالزكاة ما دام حياً. ونقول لكم: هل كل ما يؤمر به الإنسان يستطيع القيام به في جميع أحواله؟ فمن المعلوم أن بعض الفروض لا يستطيع الإنسان القيام بها في جميع أحواله، والزكاة مثال على ذلك، فربما افتقر الغني الذي كان يوديتها وهو في غناه، ثم يعجز عن أدائها في حال فقره، ونحن مأمورون بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة في أكثر من آية، مثل: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي هُوَ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتَ} [البقرة: ١٤٣] و{وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي هُوَ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتَ} [البقرة: ١٤٣] و{وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي هُوَ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتَ} [البقرة: ١٤٣] ولكن لو فرضنا أن أحداً دخل في غيبوبة، فهل يستطيع الصلاة؟ وكذلك فإننا مأمورون بالصيام، ولكن أحياناً لا نستطيع القيام به فيسقط عنا، المهم أن الإنسان يفعل ما يقدر عليه من التكاليف، أما ما لا يقدر عليه فيسقط عنه {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦] فكأن سيدنا عيسى قد أمر بالزكاة، فمن البديهي أنه أمر بها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكن من بلاغة القرآن أنه لا يذكر كل شيء بالتفصيل، ولكنه يترك ما يفهم بدهاه. ثم إنه سيزل في آخر الزمان بإذن ربه جل وعلا، ويتبع هدى

نبينا ﷺ ويصلى، ويزكى، ويصوم رمضان، ويحج بيت الله الحرام، ويجاهد في سبيل الله، والله أعلم.

س ٤٠١ - لماذا يقول القرآن عن موسى وإسماعيل: {وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم: ٥١] و[مريم: ٥٤] ولم يكتف بقوله: {رَسُولًا} إذ أن كل رسول نبي؟

ج ٤٠١ - إن هذا تأكيد وبيان أن كلاً منهما - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - لم يبلغ رسالة ربه فقط، بل إنه كان ملتزماً بها في نفسه، أى أنه كان مستسلماً لربه جل وعلا، مؤثراً بأمره، ومنتهاً عن نواهيه، فلم يكن ليأمر قومه بمعروف ثم لا يفعله، أو ينهاهم عن منكر ثم يأتيه. وبمعنى آخر.. أن كلاً منهما بلغ رسالة ربه، وكان قدوة لقومه في تطبيقها على نفسه، وهذا الكلام ينطبق على جميع المرسلين، صلوات الله وسلامه عليكم أجمعين، والله أعلم.

س ٤٠٢ - يقر القرآن بأن في سيناء وادياً اسمه {طُوًى} فيقول: {إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه: ١٢] والمعروف أن هذا الاسم لا وجود له في سيناء، فمن أين جاء به القرآن؟

ج ٤٠٢ - معروف على مر الزمان أن أسماء البلاد والأماكن تتغير، فما بالكم بمكان مضى عليه أكثر من ثلاثة آلاف سنة؟ فعلى سبيل المثال: أسبانيا كانت تسمى الأندلس، والسعودية كانت بلاد العرب وأرض الحجاز، والصومال وإرتريا كانتا القرن الأفريقي، وألمانيا كانت بروسيا، وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا كانوا إفريقية والمغرب العربي، وأمريكا كانت القارة الجديدة، والمملكة المتحدة كانت بريطانيا، ومن هنا نعلم أن تغيير اسم أى مكان في العالم وارد ومحمّل. وسيناء نفسها لها أربعة أسماء هى: سيناء، وطور سينين، وأرض الفيروز، وشبه جزيرة سيناء. ثم إن من أسماء الجبل الذى في سفحه (زرع) في اللغة المصرية القديمة لفظة تُرسم في الكتابة الهيروغليفية (ضُو) وتنطق في القبطية (ثُوو) وهما قرابتان من طوى.

وقد جاء في الكتاب المقدس أن مدينة (القدس) التى نعرفها اسمها (أورشليم) كما ورد في (سفر حزقيال، الإصحاح ١٦) وغيره من الأسفار، فهل بقى اسمها هكذا إلى الآن؟ وقد جاء في الكتاب المقدس - أيضاً - اختلاف في موقع (شور) فيقول:

وسكنوا من حويله إلى شور التي أمام مصر حينما تحبى نحو آشور. (تكوين ٢٥: ١٨) وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر. (صموئيل الأول ١٥: ٧) في هذين النصين يجعل مكانها أمام مصر، ثم يجي النص التالي فيجعلها من مصر:

ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى بركة شور. (خروج ١٥: ٢٢) ومن أراد التأكد من أن معنى هذا الكلام أنها من مصر فليقرأ الكلام الذي قبله والذي بعده من الإصحاح نفسه، والله أعلم.

س ٤٠٣ - يقول ربكم لموسى وهارون {أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} ﴿٣٧﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٣-٤٤] كيف يقول لهما: {لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} وكلمة {لَعَلَّهُ} تفيد الترجي، ألا كان الله يعلم بما سيكون عليه فرعون من الكفر أو الإيمان؟

ج ٤٠٣ - إن الترجي ليس في حق الله جل وعلا، فهو سبحانه يعلم بما سيكون من أمر فرعون، وأنه لن يهتدى، وسيكون مصيره النار، ولكن هذا إشعار لسيدنا موسى وسيدنا هارون - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - بالأمل في هدايته، حتى يذلا أقصى ما في وسعهما في دعوته، ولا يأسا من قبوله إياها، لأنهما لو علما مسبقاً أنه لن يهتدى فما فائدة دعوتهما إذن؟ ولو لم يدعوا فكيف تقوم عليه الحجّة يوم القيامة؟ كما أن في هذا تعليم لكل الدعاة أن يدعوا إلى الله بالرفق واللين، وألا يأسوا من هداية أحد، مهما بلغت معاصيه، فلن يكون أحد من الدعاة أفضل من سيدنا موسى وأخيه هارون، ولن يكون أحد أعتى من فرعون الذي ادعى الربوبية، فقال: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤] وادعى الألوهية، فقال: {مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ آلَاءِ غَيْرِي} [القصص: ٣٨]، والله أعلم.

س ٤٠٤ - يقول القرآن: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى} ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} [طه: ٥١-٥٢] طالما أن الله لا ينسى فما فائدة الكتاب؟ كما أن هذه الآية تتناقض مع الآيات التالية: {قَالَتِ يَوْمَ تَنْسَهُنَّ} [الأعراف: ٥١] {إِنَّا نَسِيتُكُمْ} [السجدة: ١٤] {الْيَوْمَ نَسْنَكُنَّ} [الجمالية: ٣٤]

ج ٤٠٤ - كل شيء موجود في كتاب عند الله جل وعلا قبل خلق السموات والأرض، قال رسول الله ﷺ: "إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: ما

أكتب؟ قال: اكتب القَدْر ما كان وما هو كائن إلى الأبد" [صحيح الجامع: ٢٠١٧] وهذا الكتاب لم يخلقه الله جل وعلا لئلا ينسى - كلا - فهو سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أن يتذكر، بدليل قوله في الآية نفسها: {لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} وقوله: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مرم: ٦٤] ولكن ذلك من كمال قدرته سبحانه وتعالى وعلمه القديم، فهو ليس بحاجة لانتظار أعمال عباده ليكتبها، فكل ما حدث ويحدث في الكون إلى قيام الساعة فهو في علم الله كأنه حدث وانتهى، فسبحانه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أما ما كتبه الملائكة من أعمالنا فهو ليكون حجة لنا أو علينا.

أما آيات (الأعراف) و(السجدة) و(الجنات) فليس معناها أن الله سبحانه وتعالى ينسى الكفار بالمعنى المقصود في السؤال، ولكن معناها أنه يعاملهم معاملة الناسي، أى أنه يهملهم ويتركهم في جهنم (والعياذ بالله) ولا يستجيب لدعائهم، وتضرعهم، واستغاثتهم، وكأنه نَسِيَهُمْ، كما نسوا توحيدهم وأوامره ونواهيهم في الدنيا، بدليل أن كل آية بها ما يدل على هذا المعنى، فالآية الأولى تقول: {فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَاقِبَتِنَا يَجْحَدُونَ} والثانية تقول: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} والثالثة تقول: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ أَلْتَارُوا وَمَا لَكُمْ مِمَّنْ نُنصِرِينَ} ولكن هل الكفار نسوا توحيد الله وأوامره ونواهيهم بالمعنى الظاهري، أم أنهم نسوها بمعنى أنهم لم يمتثلوا لها؟ فهي إذن معاملة بالمثل، وقد قلنا في أكثر من سؤال إن هذا يسمى في اللغة بالمُشَاكَلَة اللفظية. كما أن الذى ينسى نسياناً حقيقياً يخبر عن الشيء الذى نسيه بعدما يتذكره، ولكن الله سبحانه وتعالى يخبرهم أنه نسيهم، ولو كان المقصود من قوله جل وعلا هو الفهم الظاهري للنسيان لما قال لهم هذا، إذ كيف يقول إنه نسيهم وهو يخاطبهم؟ ولكنه - {وَاللَّهُ أَلْمَلْتُ الْأَعْرَابَ} - كمن يقول لمن يضعه في السجن: (سأرميك في السجن وأنساك) أى أنه لن يفرج عنه أبداً، والله أعلم.

س ٤٠٥ - يقول القرآن: {وَلَا صَلَّيْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} [طه: ٧١] فهل الصلب

يكون في جدوع النخل أم عليها؟

ج ٤٠٥ - إن الصلب الذى أراه فرعون لم يكن صلباً عادياً كالذى تخيله السائل،

ولكن فرعون أراد أن يعذبهم عذاباً شديداً، بحيث يدقهم في النخل، فتتداخل فيه أجسادهم من شدة الصلب، ولو صلبهم على جذوعه لكان بإمكان أى أحد أن يفكهم، فهى إذن صيغة أبلغ في التعبير عن شدة العذاب من الصيغة التى أردتموها، والله أعلم.

س ٤٠٦ - إن القرآن ينسب العجل الذهبى إلى السامرى، بينما البلدة التى نُسب إليها السامرى - وهى مدينة السامرة فى فلسطين - لم تكن موجودة بعد.

ج ٤٠٦ - لا يوجد فى فلسطين مدينة تسمى (السامرة) وإنما كان للسامريين مملكة فى فلسطين عاصمتها (نابلس) المسماة قديماً (شكيم) وكانت هذه المملكة مكونة من عشرة أسباط، وكان للسامريين مملكة فى فلسطين عاصمتها (القدس) المسماة قديماً (أورشليم) ولما صعد سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إلى جبل الطور، وتلقى التوراة، نزل فوجد اليهود يعبدون {عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا} [طه: ٨٨] فلما سأهم عنه ذكروه على من أغراهم بعبادته، فأمسك به وسأله قائلاً: {فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ} [طه: ٩٥] أى ما هذا الذى فعلته أيها المُضِلُّ؟ لأن كلمة (سامرى) تطلق على المضل الذى يرتاد أماكن اللهو والسَّمَر، ولا تطلق على شخص كاسم من الأسماء، وبهذا المعنى لا يكون الذى أضلهم رجل مسمى بالسامرى، وإلا - لكان السامرى من أسماء المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأن اليهود قالوا له: **إِنَّكَ سَامِرِيُّ وَبِكَ شَيْطَانٌ** (يوحنا: ٨: ٤٨)، والله أعلم.

س ٤٠٧ - يقول القرآن: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَنَىٰ وَكَمْ نَجَدْنَا لَهُ عَزْمًا} [طه: ١١٥] كيف يرفع ربكم عنكم الخطأ والنسيان وقد أخذ به آدم؟ أنتم أفضل منه عند ربكم؟

ج ٤٠٧ - نحن لسنا بأفضل منه، ولكن سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما كان ينبغى له أن ينسى، لأنه لم يتلق من الله إلا أمراً واحداً، فلو أنه تلقى أوامر كثيرة، ثم نسى بعضها، لكان له العذر، ولكنه أمر واحد، وهو ألا يأكل من شجرة معينة، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - لو أنك أمرت ولدك بأوامر كثيرة ثم نسى بعضها.. لعذرتة، ولكن لو أمرته بأمر واحد فنسيه، لغضبت منه، وقلت له: كيف تنسى، مع أنى لم أكلفك إلا بشيء واحد؟ فكيف بمن تلقى الأمر من الله؟ ولكن رغم ذلك فإن الله سبحانه وتعالى تاب عليه {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}

[البقرة: ٣٧]، والله أعلم.

س ٤٠٨ - نحن نتعجب من القرآن الذى يأتى بفَاعِلَيْنِ لِفِعْلِ واحد، فيقول: {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُم} [الأنبياء: ٣] والشاهد فى هذه الآية هو الجمع بين {وَأَسْرُوا} و{الَّذِينَ ظَلَمُوا} لأن (الواو) فى الأولى فاعل، و{الَّذِينَ} فى الثانية فاعل كذلك.

ج ٤٠٨ - قال شيخ المفسرين البيانين الإمام الزمخشري: أبدل {الَّذِينَ ظَلَمُوا} من (واو) {وَأَسْرُوا} إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به. أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث. أو هو منصوب المحل على الذم. أو هو مبتدأ، خبره {وَأَسْرُوا} النَّجْوَى} قُدِّمَ عليه، والمعنى: هؤلاء أسروا النجوى.

وقد ذكر فى توجيه هذا التركيب أربعة آراء، كلها صحيح فصيح:
الأول: إن {الَّذِينَ ظَلَمُوا} بدل كُلِّ من كُلِّ من معنى (الواو) فى {وَأَسْرُوا} لأنه (واو) جماعة، معناه الجمع.

الثانى: إنه جاء على لغة بعض القبائل العربية التى تجمع بين الضمير إذا وقع فاعلاً وبين ما يفسره. وعليه جاء الحديث الشريف: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار" [متفق عليه]

الثالث: أن يكون فى محل نصب على الذم، على تقدير فعل محذوف هو: أذم أو أخص {الَّذِينَ ظَلَمُوا} بالذم.

الرابع: أن يكون هو المبتدأ، وما قبله خبر عنه، أى والذين ظلموا أسروا النجوى.
أما الذى اقتضى تقديم خبره عليه {وَأَسْرُوا النَّجْوَى} فهو التسجيل عليهم بقبح ظلمهم وفحشه، وهذا كلام طيب فى غاية النفاسة.

ويرد الإمام الشوكانى ما قاله الزمخشري، ويضيف إليه: إن {الَّذِينَ ظَلَمُوا} فاعل لفعل محذوف، تقديره: يقول الذين ظلموا. ثم يورد على لغة (أكلوني البراغيث) آية أخرى من كتاب الله، هى قوله عز وجل: {ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ} [المائدة: ٧١] فقد جمع فى الآية بين الضمير، وهو (الواو) فى {عَمُوا} و{صَمُوا} وبين الاسم الظاهر {كَثِيرٌ} كما ذكر قول الشاعر:

ولكن دياقي أبوه وأمه بحوران يعصرون السليط أقاربه

والشاهد في البيت حيث جمع الشاعر - وهو عربي فصيح يُحْتَجَّجُ بكلامه - بين نون النسوة في (يعصرون) وهو فاعل ل(يعصرون) وبين الاسم الظاهر (أقاربه) وليس في الكلام إلا فعل واحد، يكفى فيه فاعل واحد.

وفي المسألة مذاهب أخرى، منها: إن {الَّذِينَ ظَلَمُوا} هي الفاعل، أما (الواو) فهي علامة جمع الفاعل لا غير. وأن العرب كانت تفعل ذلك حتى في المثني، فيقولون: (فأماً أخواك) كما استشهد من ذهب هذا المذهب بقول الشاعر:

يلومونني في اشتراء النخيل قومي، فكلهم يعزل

حيث جمع بين (الواو) في (يلومونني) وبين الاسم الظاهر في (قومي) ويضيف الدكتور (عبد العظيم المطعني) في كتاب (حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين) إضافتين:

إحدهما: إن من أساليب علم المعاني وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعاني - البيان - البديع) أسلوباً لا يعرف عنه مثيرو هذه الشبهات شيئاً، هو ما يسميه البلاغيون ب(الاستئناف البياني) وضابط هذا الأسلوب أن تتقدم جملة من الكلام تثير في ذهن السامع تساؤلاً لطيفاً يدبُّ في نفسه، أو يسرى سريان الماء في العود الأخضر، فتأتي جملة أخرى تجيب على ذلك التساؤل، الذي ليس له صورة في الكلام، بل هو يبرق كالشعاع في ذهن السامع، ومن أمثله في القرآن: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ} [الحجر: ٦٦] فجملة {أَنْ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ} جواب على سؤال تقديره: ما هو ذلك الأمر الذي قضاه الله؟ ومثل قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَقَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} [طه: ١٢٠] فجملة {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ} أثارَت في النفس تساؤلاً لطيفاً: ماذا قال الشيطان لأدم؟ فكان الجواب: {قَالَ يَتَقَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} هذا هو الاستئناف البياني عند البلاغيين، وهو (مره أخرى): تزييل جملة منزلة جواب على سؤال تضمنته الجملة التي قبلها. والآية التي معنا: {وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} حرت على نسق الاستئناف البياني الذي عرفته، لأن جملة {وَأَسْرُوا النَّجْوَى} تثير في النفس التساؤل نفسه: من هم الذين {أَسْرُوا

النَّجْوَى؟ فكان الجواب: {الَّذِينَ ظَلَمُوا}

لا يقال: إن هذا السؤال لا يقتضى المقام إثارته، لأن مرجع الضمير وهو (الواو) في {أَسْرُوا} مذكور قبله في قوله تعالى: {أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} ٥٠ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٥١ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} لانا نقول عن الوقائع المذكورة في مطلع السورة وقائع عامة، هي أحوال الناس جميعاً، إلا من عصمه الله. أما إسرار النجوى فهي واقعة خاصة وقعت من مشركى العرب، فليس (الناس) قبلها هم فاعليها، بل فاعلوها هم الذين قالوا: {هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} وعلى هذا فإن {الَّذِينَ ظَلَمُوا} ليس فاعلاً ل{أَسْرُوا} وإنما فاعل {أَسْرُوا} الواو. أما {الَّذِينَ ظَلَمُوا} فواقعة في كلام جديد، هو خبر عن جملة السؤال: من هم الذين أسروا النجوى؟

أما الإضافة الثانية: فهي أسلوب آخر من أساليب البلاغة العربية، مفتاح الإعجاز المفحّم. ذلك الأسلوب تحدث عنه شيخ البلاغيين بلا منازع، الإمام عبد القاهر الجرجاني، وأسماء: (الإضمار على شريطة التفسير) وضابط هذا الأسلوب هو أن تأتى بالضمير أولاً، ثم تفسره بعد ذلك بذكر مرجعه، ومن أمثلته قول الشاعر:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مَبْك

وتخرّيج الآية {وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} على هذا الأسلوب سائغ رائع. فقد أتى بالضمير أولاً {وَأَسْرُوا} ثم فسره ثانياً هكذا {الَّذِينَ ظَلَمُوا} وبلاغة هذا الأسلوب هي تحريك الشعور، وتشويق النفس إلى عقى الكلام كيف تكون، فيتمكن المعنى المسوق من أحله الكلام في النفوس كل التمكّن، لأن النفس إذا ظفرت بالشىء بعد انتظاره استقر ذلك الشىء فيها، والله أعلم.

س ٤٠٩ - إن القرآن يتناقض مع العلم فيقول: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ

عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢] كيف يُعبّر عن الفضاء اللاهائى بالسقف المحفوظ؟

ج ٤٠٩ - المعروف في اللغة العربية أن كل ما علاك فهو سَمَاك، كما يقال: (سماء

الغرفة) أى سقفها، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ

يَسْبَبُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعُ فَلَيَنْظُرُ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ} [الحج: ١٥] و{السَّمَاءِ} في هذه الآية الكريمة معناها سقف الغرفة. وقد عبّر الله سبحانه وتعالى عن الغلاف الجوي للأرض تعبيراً علمياً مبهرًا، إذ ثبت علمياً أن سماء الأرض (الغلاف الجوي) سقف محفوظ، أى أنه ليس فراغاً كما يظن البعض، ولكنه ممتلئ بأجسام دقيقة لا نراها، وهذا الغلاف - الذى يُسمى بطبقة الأوزون - لا يُخترق من قِبَل الإشعاعات القاتلة والحارقة التى تأتي من الشمس، ويحفظ مقومات الحياة على الأرض، فلو لا هذا السقف المحفوظ لتفطنت أبخرة الماء الصاعدة من البحار والمحيطات والأنهار إلى غير رجعة، ولعدمت المياه على سطح الكوكب تماماً، وتفتت الهواء بما فيه من الأكسجين، ولدُمّرت مظاهر الحياة على الأرض. وقد ذكرنا في الرد على الشبهة رقم (٢٨) فوائد أخرى لهذا الغلاف.

وقد جاء في الكتاب المقدس قول المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسيّ الله. ولا بالأرض لأنها موطن قدميه. (متى: ٥: ٣٤-٣٥) فهل السماء كرسيه والأرض موطن قدميه؟، والله أعلم.

س ٤١٠- يقول القرآن: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ} ٩٨ ﴿١﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨-٩٩] معنى هذا أن عذيراً وعيسى والملائكة في النار، لأن اليهود عبدوا العذير، والنصارى عبدوا المسيح، والمشركين عبدوا الملائكة، كما ورد ذلك في قرآنكم.

ج ٤١٠- إن هذه الشبهة قديمة من أيام الرسول ﷺ فقد كان النضر بن الحارث بن كلدة قصاصاً (أى ماهراً في نسج القصص، والتعبير، وسرد الأحداث التاريخية) وكان يحقد على سيدنا محمد ﷺ لأن الناس كانوا لا يستمعون لحديثه مثل استماعهم لحديث النبي، وذات مرة قعد معه الرسول ﷺ هو وبعض المشركين وتلا عليهم الرسول هذه الآية التى وردت في السؤال، فلم يستطع أحد منهم أن يرد عليه بشيء، فلما قام الرسول ﷺ جاء عبد الله بن الزبيرى المشرك وكان من أهل الجدل.. فقالوا له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد آتاً وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم.. فقال عبد الله بن الزبيرى: أما والله لو وجدته لخصمته، سلوا محمداً: أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عذيراً، والنصارى

تعبد عيسى بن مريم، فعجبوا من قوله ورأوا أنه قد احتجَّ وخاصم، فذَكَرَ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: "كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان من أمرهم بعبادته" [ذكره ابن هشام في السيرة] فأنزل الله عز وجل في السورة نفسها: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنَّا مُتَعَدُونَ} [١٠١] أى إن هؤلاء الصالحين ليسوا داعلين في الوعيد، فإنهم لا ذنب لهم، ولم يأمرُوا أحداً بعبادتهم. وكلمة {مَا} في الآية الكريمة لغير العاقل، فلا تشمل الملائكة، ولا عُزَيْراً، ولا سيدنا عيسى، وهذا بديهي، وتعرفه العرب، ويعرفه المشركون جيداً، ولكنه العناد والجدال بالباطل، فإذا طرق علينا الباب طارق.. هل نقول له: ما بالباب؟ أم نقول له: من بالباب؟ وهناك آية توضح أنهم ما قالوا ذلك للرسول ﷺ إلا جدلاً بالباطل، وهى قول الله عز وجل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنهُ يَصِدُونَ} وَقَالُوا: أَيُّهَا نَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۗ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ اتَّعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الزحرف: ٥٧-٥٩]، والله أعلم.

س ٤١١- يقول القرآن: {حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّن كَلِمَ تَدْرِبِ يَسْمُوعُونَ} [الأنبياء: ٩٦] أنتم تقولون إن هناك نوعاً من البشر يُسْمُونَ (يأجوج وماجوج) من ولد يافث بن نوح، يخرجون في آخر الزمن على الناس بأعداد رهيبية، وأنهم موجودون الآن، ولكن بينهم وبين الناس جداراً، أين هؤلاء الناس، وأين هذا الجدار، وقد أصبح العالم كله مُصَوِّراً بالأقمار الصناعية تصويراً دقيقاً بحيث لا يخفى منه شىء؟

ج ٤١١- لقد اغتر قائل هذا القول بالعلوم الحديثة، وظن أنها لا تخفى عليها خافية، ونسى قول الله جل وعلا في آية الكرسي: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِيهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} فإن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يُعْرِجَ العلوم لعباده حينما يشاء، في حين أنها موجودة أصلاً. فمثلاً: هل كانت المضادات الحيوية، والكهرباء، والذرة، والإلكترونات.. إلخ، غير موجودة قبل اكتشافها؟ إنما كانت موجودة، ولكن الإنسان لم يكتشفها إلا حينما أراد الله سبحانه وتعالى، حتى إنهم يقولون إن معظم الاكتشافات كانت بالمصادفة، أى أن الإنسان لم يبذل جهداً في معرفتها، ولكن انتباهه لها جاء بمحض المصادفة، ثم بدأ

يفكر في كيفية استخدامها، وأخضعها للتجربة والخطأ، إلى أن وصل لاستخدامها على الوجه الصحيح (هم يقولون: اكتشفها بالمصادفة، أما نحن فنقول: اكتشفها بقدر الله) وأخبروني يا من تقولون إن الكرة الأرضية لا تخفى منها خافية.. ماذا تعرفون عن مثلث بارامودا؟ إن العلم الحديث بكل تقنياته وأجهزته الدقيقة لم يستطع إلى الآن حل لغزه، وهناك تحذير دولي من المرور به بجرأ أو جواً، وهو عبارة عن منطقة مجهولة تقع في المحيط الهادى على شكل مثلث، لا تستطيع أى طائرة مهما بلغت قوتها أو سرعتها أن تحلّق فوق سمائه، ولا أى سفينة أو بارجة حربية أن تُبحر في مياهه، الطائرات تدّمّر بمن فيها، والسفن تغرق بمن عليها، وتتقطع أخبارهم نهائياً، ولا أحد يعرف ماذا حدث لهم، رغم أنهم مزوّدون بأحدث وسائل الإتصال التي أعدّت لإرسال إشارات الاستغاثة عند الضرورة، ولا يعرف أحد إلى الآن سر هذا المكان، حتى إنهم قالوا إن أمريكا والمجترات أرسلتا سفناً علمية مزودة بأحدث الأجهزة لدراسة هذا المكان، في حراسة بوارج حربية، فلم يرجع منها واحدة، ولم تصدر منها أى إشارة، فلجأت أمريكا إلى إرسال الإيواكس المزود بمعدات التصوير ذات التقنية العالية، وأجهزة التنصت والرصد، فدُمّرت ولم ترسل إشارة واحدة، ثم أرسلوا طائرات إف ١٦ بحيث تمر عليه بسرعة مذهلة تضاعف سرعة الصوت، فاخفتت هي أيضاً، فأصابت العالم المتقدم الحيرة والدهشة من سرّ هذا المكان، هل به براكين؟ أم عواصف؟ أم مغناطيسية جبارة؟ أم ماذا؟ لا أحد يعرف، فقدوا الكثير من أمهر الطيارين والبحّارة بغير فائدة، فقالوا إن أسلم طريقة أن يصوروه عن طريق الأقمار الصناعية، فكانت المفاجأة الكبرى أن الأقمار الصناعية تكذب - ولأول مرة - وتصور هذه المنطقة على أنّها منطقة يابسة! فعلموا أنهم غيرُ مُعجزي الله. فكذلك (يأجوج ومأجوج) موجودون، ولكن الله لم يأذن بعد برؤيتهم، أو الاتصال بهم، إلى أن يأتي اليوم المحدد لخروجهم بإذنه سبحانه وتعالى. وقد أذيع بنشرة الأخبار التلفزيونية على القناة الأولى المصرية خلال شهر فبراير لعام ٢٠٠٦ ميلادية أنه قد تم اكتشاف جزيرة بالقرب من الجزر الإندونيسية ليس بها وجود لأى إنسان، ولم يكتشفها أحد من قبل، وليس بها إلا أنواع غريبة من الطيور والفراش والحشرات وغير ذلك، فأين هو العلم الذى تدّعون أنه لا تخفى عليه خافية؟ ولمّ لم يكتشفها حتى هذا الوقت؟ ولا أقول إن هذه الجزيرة بها

قوم بأجوج ومأجوج، ولكنى ذكرت هذا الخبر لأثبت لكم أنه ما زالت هناك أماكن لم تُكتشف إلى وقتنا هذا، رغم كل ما وصل إليه العلم والعلماء، والله أعلم.

س٤١٢- يقول القرآن في سُور كثيرة إن الإنسان خلق من التراب، مثل: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ} [الحج:٥] ففي هذه الآية يزعم أن النطفة أصلها من التراب، مع أن الواقع يكذب ذلك، فإنها لم تأت من التراب، ولكنها جاءت من أصلاب الآباء، كما أن العالم (داروين) يقول إن الإنسان أصله قرد، في نظريته المعروفة بالنشوء والارتقاء، وليس أصله من التراب كما تزعمون.

ج٤١٢- نحن نعلم جيداً أن النطفة أصلها أصلاب الآباء، وقد أقر القرآن بذلك في أكثر من آية، ولكن الآيات الكريمة التي ذكرت أن الإنسان خلق من تراب أو طين، فإن هذا باعتبار بداية خلقه، أى خلق سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وقد أثبتت البحوث العلمية أن الستة عشر عنصراً التي في بني آدم هي مثل التي في الأرض تماماً، وهى الحديد، والصدوديوم، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنسيوم... إلخ. كما أن الإنسان (مثله كمثل أى كائن حى) له مُدخلات ومُخرجات، فالمُدخلات هى غذاؤه، والمُخرجات هى ما نتج عن هذا الغذاء، وهذه المدخلات تختلف من كائن إلى آخر، ولكنها فى مُحملها تخرج من الأرض (أى من التراب) فالطعام الذى نأكله ثم يتحول جزء منه بعد ذلك إلى مَتَيّ (نطفة) من أين جاء؟ إنه جاء من التراب، فالخضروات والحبوب والفاكهة وكل شىء أصله من التراب، حتى الأسماك والطيور والحيوانات والماء فمنشؤها من التراب، يتغذى الإنسان من الطعام الذى خرج من التراب، ثم يخرج هذا الطعام على هيئة مُخرجات، كالبول والغائط والعرق.. إلخ، ومن هذه المخرجات المَتَيّ والبويضة. ثم إن (داروين) هذا الذى يتحدثون عنه، لم يَبين نظريته على حقيقة علمية، ولكنها افتراض بناء على الوهم والخيال، ولم يستطع أن يبرهن عليها، فقد قال (ما معناه) إن الحياة بدأت بخلية واحدة، ثم تطورت هذه الخلية إلى خلية نباتية، ثم إلى خلية حيوانية، ثم ترقّت هذه الخلية فى المملكة الحيوانية من حيوانات صغيرة لأخرى أكبر وأذكى منها.. وهكذا حتى تحولت إلى قرد، ثم ترقى القرد فى الذكاء، والتركيب التشريحي، والوظائف الحيوية، إلى أن

وصل إلى الإنسان. وهذه النظرية لا يخفى سُخفها على أحد من أوتى - ولو قدراً قليلاً - من العلم، فإن العلم يقر بأن الشريط الجيني للقرود مختلف تماماً عن الشريط الجيني للإنسان، كما أن الواقع يكذب ذلك أيضاً، فلم يحدثنا أحد على مر التاريخ أنه رأى قروداً تحول إلى إنسان، أو أن ملاحظه وصفاته الخلقية بدأت تتغير - ولو تغيراً بسيطاً - لتكون قريبة من الإنسان، فالغابات وحدائق الحيوان في العالم كله تعجّ بالقرود على مر الأزمان، ولم يتحول واحد من تلك القرود إلى إنسان، ولو كان كلامه صحيحاً لانقرضت القرود ولم يصبح لها أى وجود، إذ كيف تتطور إلى إنسان وهى ما زالت على شكلها كقرود؟ ونظريته خاطئة من وجه آخر.. فإن جميع مظاهر الحياة موجودة إلى الآن، ولم ينقرض منها شىء يقول عنه (داروين) إنه تحول لشيء آخر، فالخلية البدائية موجودة، والخلية النباتية موجودة، والخلية الحيوانية موجودة، والكائنات الصغيرة موجودة، وكل من هذه الخلايا والكائنات الحية لها صفاتها ومقومات حياتها التى تختلف عن غيرها من المخلوقات، فسبحان الذى قال: {مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِّدُ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا} [الكهف: ٥١] فوجود هؤلاء المضلّين دليل على صدق القرآن العظيم، فقد أخبرنا سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن هناك من يتشدد (بغير علم) عن خلق السموات والأرض، وعن خلق الإنسان، وسمّاهم {الْمُضِلِّينَ} وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه لم يُشهدهم خلق السموات والأرض، ولا خلق أنفسهم، وأنه لم يتخذ منهم {عَصُدًا} أى مساعداً.

ونقول للسائل: إن إيمانك بنظرية (داروين) يناقض إيمانك بما جاء فى كتابك المقدس حيث يقول: بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود (تكوين ٣: ١٩)

لأن آدم جُبلَ أولاً ثم حوَاء. (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١١) فهل جُبلَ آدم من القرود، ثم جُبلت بعده حوَاء؟ سبحان الله، والله أعلم.

س ٤١٣ - يقول القرآن: {هَذَاانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ} [الحج: ١٩] وكان صحيح اللغة أن يقال (هذان خصمان اختصما) وليس {اَخْتَصَمُوا} لأنهما مُثْنَى، أليس كذلك يا دُعاة البلاغة والبيان؟

ج ٤١٣ - لقد قال العلماء إنها نزلت فى قتلى بدر من المؤمنين والكافرين، فاسم

الإشارة في {هَذَا حَصَمَانِ} يعود على الفريقين المتقاتلين، المؤمنين والكافرين، وكل فريق مكون من عدد كبير من المقاتلين، فناسب أن يكون الضمير بالجمع بعد المثني، والله أعلم.

س ٤١٤ - يقول القرآن: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج: ٤٠] فهذا إقرار من القرآن بأن بيع النصارى وكنائسهم أفضل من المساجد، لأنها ذُكرت قبلها، وكذلك يقر بأن الصوامع والبيع والصلوات يذكر الله فيها كثيراً.

ج ٤١٤ - ليس معنى ذكر الصوامع والبيع والصلوات قبل المساجد أنها أفضل منها، بدليل قول الله جل وعلا: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب: ٧] ففي هذه الآية جاء ذكر سيدنا نوح قبل سيدنا إبراهيم، ومعلوم أن سيدنا إبراهيم أفضل من سيدنا نوح - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وغالباً ما يأتي الترتيب تصاعدياً في تفاضل الأمور، فيقال مثلاً: إن البلد الفلاني ينتج كل شيء من الإبرة إلى القنبلة الذرية، ولا يقال العكس. ويقال مثلاً: أنا مستعد أن أعطيك من جنه لألف.. وهكذا. وحماية الصوامع والبيع والصلوات (وهي معابد اليهود) كانت قبل مجيء الإسلام ومساجده، فلذلك جاء ذكرها حسب أقدميتها أولاً. أما ذكر اسم الله كثيراً فهو خاص بالمساجد، لأن الصفة تعود على أقرب مذكور، وأقرب مذكور هو المساجد، وربما تأخر ذكرها لاختصاصها بكثرة الذكر فيها دون غيرها. ثم إن هذه الأماكن معطوف بعضها على بعض بحرف الواو، والواو لا تدل على الترتيب الزمني، ولا الترتيب حسب الأفضلية، ولكنها تربط المعطوفات التي بينها عوامل مشتركة، كأماكن العبادة، والله أعلم.

س ٤١٥ - يعترف القرآن بأن الشيطان يوحى لنبيكم، بل ويزعم أنه يوحى لجميع الأنبياء والمرسلين، فيقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [٥٢] لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الحج: ٥٢-٥٣]

ج ٤١٥- التمني معناه القراءة، كما قال الشاعر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه:

تمنى كتاب الله أول ليله وأخرها لاقى حمّام المقادر

ومن معناه (الرغبة). {إِلَّا إِذَا تَمَنَّى} أى (إلا إذا قرأ) فحين تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة (النجم) في بيت الله الحرام على مسمع من المسلمين والمشركون، سجد المؤمنون حين قرأ {فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم: ٦٢] ولم يملك المشركون أنفسهم من حسن تلاوته وخشوعه فسجدوا مع المسلمين. أما قوله تعالى: {الْقَلْبِ الشَّيْطَانِ فِي أُمِّيَّتِهِ} فقد ألقى الشيطان في مسامع المشركين (تلك الغرائق العلى التي شفاعتهن تُرْتَجَى) بعد قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ} وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ [النجم: ١٩-٢٠] كما يحدث أحيانا من سماع كلمة بطريقة خطأ، فتجد اثنين يستمعان لحديث واحد، ثم يقول أحدهما: لقد قال فلان كذا، فيرد عليه صاحبه بقوله: إنه لم يقل كذا، ولكنه قال كذا. والقارئ المنصف يدرك بفهمه الفطرى استحالة مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لتلك الأصنام، إذ كيف بمدحها ويثبت لها الشفاعة، وهو يذمها في السورة نفسها {الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى} تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢١﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ [النجم: ٢١-٢٣]؟ ثم إنه صلى الله عليه وسلم لم يعترف بها ولم يحترمها قبل بعثته.. فكيف يوقرها بعدها؟ أما قوله تعالى: {فَتَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} فعندما يسمع المؤمنون تلك الافتراءات يدافعون عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويشهدون أنهم لم يسمعوا ذلك منه، فتزول عنه الشبهة، وكأنها نُسِخَتْ. أما ما ورد في بعض التفاسير من قوله (تلك الغرائق العلى التي شفاعتهن تُرْتَجَى) فهو مكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم، بدليل قول الله سبحانه وتعالى: {هَلْ أَنْبَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢﴾ تَنْزِيلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ} [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢] وقوله: {وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ} [الأنعام: ١٢١] فالشياطين توحى إلى أوليائها بنص القرآن، فكيف توحى لأولياء الرحمن؟، والله أعلم.

س ٤١٦- يتعارض القرآن مع العلم فيقول: {الَّذِي تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: ٦٥] ومعلوم أن السماء لا تقع على الأرض، لأنها محكومة بنظرية الطرد المركزي.

ج ٤١٦- إن أى جسم متحرك لا بد له من الثبوت ولو بعد حين، وحركة الكرة

الأرضية منضبطة، فلو زادت لتطير كل ما عليها، ولو نقصت لاحترق نصفها المواجه للشمس، ولتجمد نصفها الآخر {إِنَّ اللَّهَ يُمِيسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِيَّةٍ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: ٤١] وأى جسم ملتهب لا بد أن ينطفئ طبقاً لنظرية التسرب الحرارى، ولكن لماذا لم تبرد الشمس ولم تنطفئ؟ من نظم درجة حرارتها بحيث لا تزيد فتحرق الأرض، أو تقل فتجمدها؟ ولماذا لم يصغر حجمها، مع أن ألسنة اللهب تخرج منها بكميات هائلة؟ وكذلك فإن حجم الأجسام يتناقص مع دوراتها، فلماذا لم ينقص حجمها على مر العصور؟ ومن الذى ضبط المسافة بينها وبين الأرض، فلو اقتربت لاحترقنا، ولو بعدت لتجمدنا؟ فمن السهل أن تضبط المسافة بين شيئين ثابتين، ولكن من الصعب أن تضبط المسافة بين شيئين متحركين. ونظرية الطرد المركزى التى تتحدثون عنها تثبت أنه بمرور الوقت لا بد من توقف المتحرك عن الحركة، فلو وقفت هذه الأجرام السماوية عن الحركة لاصطدمت بالأرض ولدمرتها، فمن الذى جعل هذه الأجرام مستمرة فى حركتها دون توقف {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٤٠]؟

وقد جاء فى الكتاب المقدس بعض المخالفات العلمية التى ذكرنا بعضاً منها فى إجابات عن أسئلة أخرى، ونذكر منها هاهنا: وأعطى عجائب فى السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دماً وناراً وبخار دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير. (أعمال الرسل ٢: ١٩-٢٠) فهل سيتحول القمر إلى دم قبل يوم القيامة؟ والله أعلم.

س ٤١٧- يقول القرآن: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤] فهل هناك خالقون غير الله؟

ج ٤١٧- ما هو الخلق؟ هو الإيجاد من عدم، وهذا فى حق الله سبحانه وتعالى، أما الإنسان فيطلق عليه مجازاً بمعنى الصنع، وقد ورد فى القرآن الكريم مرتين منسوباً إلى الإنسان {أَنَّىٰ أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطِّيرِ} [آل عمران: ٤٩] و{إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} [العنكبوت: ١٧] فالإنسان يخلق.. أى يحول الشيء إلى شيء آخر، كأن يصب الذهب على هيئة حلى، أو يصنع الزجاج من رمال السليكون، أو غير ذلك من الاختراعات، ولكن ما يخلقه الله عز وجل يختلف تماماً عما يخلقه الإنسان، فكما

قلنا إن خلق الله ينشأ من العدم، أما خلق الإنسان فلا بد له من مواد موجودة أصلاً، خلق الله يتكاثر وينمو، أما خلق الإنسان فلا يتكاثر ولا ينمو، فلو وضعنا - مثلاً - قدحين كبيرين من الزجاج بجوار بعضهما.. هل ينجان أكواباً صغيرة؟ ولو أتينا بسيارة (سيات) ووضعناها في أى ظروف بيئية.. هل تكبر وتصبح بعد ذلك (هونداى)؟ إن أعلى الاختراعات ذكاءً كالحاسب الآلى (الكمبيوتر) أو ما هو أحدث منه ويسمى (السوبر كمبيوتر) أو الرجل الآلى (الريوت) لا يستطيع أن ينمو أو يتكاثر، هذا بالإضافة إلى ما فى خلق الله من مميزات أخرى لا تخفى على أحد، مثل الروح، والعقل، والإحساس، والعاطفة.. إلخ، والله أعلم.

س٤١٨- يقول القرآن: {وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَلُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٣٣] إن هذا معناه أن الأمة إذا رغبت فى الزنى فلا حرج عليها، أليس هذا تحريض على الدعارة؟

ج٤١٨- إن هذا سؤال ساذج، ولولا ظنكم أننا حرنا فيه جواباً لَمَا أجبنا عليه. إن الأمر - بمنتهى البساطة - أن الله سبحانه وتعالى هوى مَنْ كان عنده أمة أن يقهرها على البغاء لتدر عليه الأموال الوفيرة، أو ليحامل بها ضيوفه، كما كان يصنع أهل الجاهلية، ولكنه فى الوقت نفسه أزال الخوف عن الإماء من العقوبة فى الآخرة، طالما أهنن مقهورات غير راضيات، وليس معنى الآية أنه يغفر لمن قهرهن، أو أن يُفَرِّطن فى أعراضهن معتمدات على أن الله غفور رحيم. أما قوله تعالى: {إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} فليس معناه أنها لو لم تُرد التحصن فلا جناح عليها، وإلا- لَمَا فرض على الزانيات منهن حد الزنى. وقد قال العلماء: إنما قِيدَ الله الإكراه بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن، فأمر المُريدة للبقاء لا يُسَمَّى مُكْرَهًا، ولا يسمى أمره إكراهًا، ولأنها نزلت بسبب إكراه عبد الله بن أبى بن سلول المنافق لإمائه على البغاء، فوقع النهى على تلك الصفة.

وعلى آية حال، فالمُكره على شىء لا يواخذه الله سبحانه وتعالى - ذكراً كان أم أنثى - كما جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ.

وقد ورد فى كتابكم المقدس عفو الله عن الزانيات والفاسقات، وعفو معبودكم عن

الزانية: لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين ولا كَناتكم لأنهن يفسُقن. (موشع ٤: ١٤) وقد ذكرنا من قبل أن (الكَنَّة) معناها زوجة الابن.

وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ. وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبُّل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبُّل قدميه وتدهنهما بالطيب. فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلاً لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي. إنها خاطئة... ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أنتظر هذه المرأة. إني دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تُعط. وأما هي فقد غسلت رجلى بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها. قُبلة لم تُقبَلنى. وأما هي فمنذ دخلت لم تكفَّ عن تقبيل رجلى. بزيت لم تدهن رأسى. وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلى. من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة... ثم قال لها مغفورة لك خطاياك... إيمانك قد خلصك. اذهبي بسلام (لوقا ٧: ٣٦-٥٠)

وقدّم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا. ولما أقاموها في الوسط قالوا له يا معلّم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم. فماذا تقول أنت... ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر... وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط... فقال لها يسوع ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضاً (يوحنا ٨: ٣-١١) أليس هذا تحريض على الزنى؟ فما أسهل هذه العقوبة.. أن تأتيه الزانية فيقول لها: (اذهبي ولا تخطئي أيضاً) وفي النص الذي قبله يغفر لها لأنها قبّلت رجليه، ومسحتهما بشعرها، وطبّيتهما بالطيب، والله أعلم.

س ٤١٩- يقول القرآن: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٦] كان السياق يقتضى أن يقول {إِنَّا رَسُولَا} لأنهما اثنان، كما جاء في قوله: {فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ} [طه: ٤٧] ج ٤١٩- في الآية الأولى جاء الخطاب بقول: {رَسُولُ} لأن رسالتهم واحدة.. وهي

التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى، أما سيدنا هارون فلم تنزل عليه رسالة خاصة به، ولكنه كان عوناً لأخيه (على نبينا وعليهما الصلاة والسلام) أما الآية الثانية فقالت: {رَسُولًا} لأنها خاصة بطلب إرسال بني إسرائيل معهما، وهنا سيكون دورهما مختلفاً بالنسبة لبني إسرائيل، وليس بالنسبة لفرعون، فهما اثنان في الوظيفة، وليس في الرسالة، لأن سيدنا موسى كان في طبعه حدة، فكان كالأب الحازم، أما سيدنا هارون فكان لين الجانب، حتى إنهم كانوا يحبونه أكثر من سيدنا موسى، فكان بالنسبة لهم كالأم الحنون، والاثنان مطلوبان ويكملان بعضهما، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وهناك شيء آخر: أنهما بعد أن يخرجوا بيني إسرائيل من مصر ستركهم سيدنا موسى مع أخيه، ويذهب للقاء ربه {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢] فحين يتركهم مع أخيه يكون قد تركهم مع نبي له عليهم حق الطاعة، فلا يعصون أمره، ويقولون لم يأمرنا نبينا بذلك، ولكنهم رغم هذا عصوا أمره في عبادة العجل، لأن من صفاتهم الغدر والخيانة ونقض العهود {وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي} قالوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى} {طه: ٩٠-٩١}، والله أعلم.

س ٤٢٠- يقول القرآن: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء: ٥٩] فهل ورث

بنو إسرائيل مصر كما يقول القرآن؟

ج ٤٢٠- من هم بنو إسرائيل؟ المعروف أنهم اليهود والنصارى، ولقد جاء في أقوال بعض المؤرخين أن سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وأمه ويوسف النجار جاءوا إلى مصر، ومكثوا فيها فترة ليست بالقصيرة، حتى إن بعض كتب التاريخ تسميها (رحلة العائلة المقدسة) وقد اعتنق الكثير من أهل مصر الديانة النصرانية، وفي هذا الوقت كانت مصر واقعة تحت الاحتلال الروماني، الذي اعتنق الديانة نفسها، مع اختلاف المذهب الملكاني والأرذوزوكسي، فعاشت مصر زهاء ستمائة عام تحت راية النصارى الذين هم بنو إسرائيل، واختلطوا وتزاوجوا مع القبط (أى المصريين) ثم دخل كثير منهم الإسلام بعد فتح مصر، والله أعلم.

س ٤٢١- يقول القرآن: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥] رغم أنهم لم يُرسل إليهم إلا نوح، وفي السورة نفسها: {كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٢٣] {كَذَّبَتْ ثَمُودَ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٤١] وكذلك الحال في قوم لوط وقوم شعيب، رغم أن كل قوم من هؤلاء لم يُرسل إليهم إلا نبي واحد.

ج ٤٢١- جميع الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - على ملة واحدة، وهي التوحيد، والإيمان بالبعث والنشور، والجنة والنار... إلخ، فمن كذب واحداً منهم فكأنما كذب الكل، قال رسول الله ﷺ: "خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [صحيح الجامع: ٣٢٧٤] وقال: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد" [صحيح الجامع: ١٤٥٢] "أمهاتهم شتى" قيل إن معناها أن شرائعهم مختلفة، ولكنهم ينتمون جميعاً إلى دين واحد وهو الإسلام {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩] لأن الإسلام معناه الاستسلام والخضوع لله رب العالمين، وهو ليس خاصاً برسالة سيدنا محمد ﷺ ولكنه دين جميع الرسالات، فعلى سبيل المثال {وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْقُومِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤] {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٣] {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧-١٢٨] {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓآءَ إِنِّي أَتِي إِلَٰهَ رَبِّي كَتَّابٌ عَرَبٌ} [البقرة: ١٢٧] {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَءَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [المائدة: ١١١] ومن شروط الإيمان بالله الإيمان بجميع أنبيائه ورسالته، فلا يُقبل من أحد إيمان برسول وكفر برسول آخر {قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن دُونِ إِلَٰهِنَا مِن قَبْلُ وَبِمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ١٣٦] {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُفِّرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ٢٥٦] {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ

ج ٤٢٤- نعم.. أحياناً يعمل الفساد أعمالاً صالحة، كأن يبني مسجداً، أو داراً للأيتام، أو يطعم الفقراء والمساكين، أو يعمل أى خير، ليوازن بين أعماله السيئة والصالحة، قال الله عز وجل: {وَأَخْرَجُوا عَرَضَ غُرُبَاتِهِمْ حَخْلَبًا وَمَا أَصْحَابُ غُرُبَاتِهِمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا مَّا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٠٢]. أما الذين ذكروا فى الآية الكريمة فلم يصلحوا قط، ولكن كانت كل أعمالهم فساداً وإفساداً، والله أعلم.

س ٤٢٥- يقول القرآن: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [النمل: ٤٩] كيف يكونون صادقين، مع أنهم دبروا لقتله مع سبق الإصرار والترصد؟ وهل لا يرى القاتل قتيله؟

ج ٤٢٥- لقد دبروا لقتله بطريقة هدم جدار البيت عليه هو وأهله (مع أن هذا لم يحدث) فقالوا: نختبئ له خلف الجدار، حتى إذا أطبق عليه الليل، ونام هو وأهله، أوقفنا عليهم الجدار، وفى هذه الحالة لا نراهم وهم يموتون، ونقول لوليه (شيخ قبيلته): {مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ} وبالفعل لو وقع حائط على إنسان فإن الذى أوقفه عليه لا يراه، والله أعلم.

س ٤٢٦- يقول القرآن: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: ٥٠] ويقول: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ} [آل عمران: ٥٤] فهل الله ماكر أو مكار يا مسلمون؟

ج ٤٢٦- كلمة (المكر) فى اللغة معناها التبييت بالليل، وهى مأخوذة من مكر الشجر، فهناك شجر قصير تتداخل فروعه، بحيث لا يُعرف أولها من آخرها. ثم إن المكر ليس كله سيئاً، قال تعالى: {وَلَا تَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: ٤٣] إذن فهناك مكر حسن. فمثلاً: لو أن أحماً وجد إخوته يشاهدون فى التلفاز أشياءً قبيحة، فلو أغلقه لغضبوا عليه، ولتشاجروا معه، فماذا يفعل؟ يحتال عليهم فيقطع التيار الكهربائى عنه، وكأنه قد انقطع بنفسه، ففى هذه الحالة يكون قد مكر، ولكنه مكر حسن. ومثلاً آخر: لو أن طالباً كان راجعاً إلى بيته فلمح أصدقاءه من بعيد، فخاف أن يقفوا معه ويعطلوه عن المذاكرة، فمشى من طريق آخر حتى وصل إلى بيته، فى هذه الحالة يكون الطالب قد مكر، ولكن هل ضر أصدقاءه فى شىء؟ إذن: المكر لا يُعرف إلا بعواقبه، فالله سبحانه وتعالى - {وَاللَّهُ

أَلَمْ تَلُ الْأَعْلَى} - لا يمكر إلا بالخير، ولكن هذا المكر ليس عن ضعف ولا خوف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: {وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ} ولكن هذا وأمثاله يسمى في اللغة (مشاكلة لفظية) وهي ذكر رد الفعل بصفة الفعل، كيف هذا؟ يقول الله عز وجل: {فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤] فهل رد الاعتداء يكون اعتداءً؟ لا- بل إن هذا (كما قلنا) من قبيل المشاكلة اللفظية، ومثل قوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٥] وذلك عقوبة قولهم في الآية التي قبلها {إِنَّمَا تَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} ومثل قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَنَفِّحِينَ يُخَنِّدُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَائِدُهُمْ} [النساء: ١٤٢] ولا ينبغي لأحد أن يعتقد أن من أسماء الله سبحانه وتعالى (المأكر)، والله أعلم.

س ٤٢٧- يقول القرآن: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}

[النمل: ٨٨] كيف تمر الجبال مر السحاب وهي ثابتة على الأرض؟

ج ٤٢٧- قال علماء السلف رحمهم الله: إن ذلك يوم القيامة، لأن الآية جاءت بعد قول الله جل وعلا: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَنَسَّ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} وَكُلُّ أَتَوَةٍ ذَاخِرِينَ} فهي كقوله تعالى: {وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ} [الكهف: ٤٧] فالجبال يوم القيامة تزول عن أماكنها، حتى تصبح لا وجود لها، كما جاء في قوله تعالى: {وَوَسَّطَلُونَاكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه: ١٠٥-١٠٧] وهذا القول صحيح. وهناك معنى آخر قاله العلماء المحدثون: إن هذا يحدث في الدنيا، لأن الأرض تدور حول الشمس وتدور حول محورها بكل ما عليها، ولكن هذا السير مع شدة سرعته لا يُرَى، لأننا واقفون منجذبون إلى الأرض مثل الجبال، فلو صعدنا في الفضاء لرأيناها تجرى بما عليها بسرعة رهيبية، وهذا الأمر يحدث في حياتنا: فحين نركب قطاراً - مثلاً - ويمر بنا، نظن أن الناس الواقفين على جانبي الطريق هم الذين يجرون، وكذلك الأشجار وأعمدة الكهرباء، أما لو نزلنا منه ووقفنا بعيداً عنه فسندرك أننا ثابتون، وهو الذي يتحرك. ولكن لماذا شُبِّهَت الجبال بالسحاب؟ قيل لأن السحاب لا يتحرك بذاته، ولكن الرياح هي التي تحركه، وكذلك الجبال لا تتحرك بذاتها، ولكن دورة الأرض هي التي تحركها وغيرها بقدرة الله جل وعلا.

وقد جاء في الكتاب المقدس أن من كان له إيمان مثل حبة خردل يستطيع أن ينقل

الجليل من مكانه.. فهل وُجِدَ منكم من استطاع ذلك؟ وها هو النص:
 فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل
 من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم. (متى ١٧: ٢٠) هذه المعجزة
 لمن كان عنده أدنى قدر من الإيمان (حبة خردل) فكيف بمن هم أكثر منه إيماناً؟، والله
 أعلم.

س٤٢٨- لقد جاء ذكر (هامان) في سورة (القصص) وسورة (غافر) وتقطع
 التفاسير بأن هامان كان وزيراً لفرعون، وهذا خطأ تاريخي، لأن هامان كان وزيراً
 لأحشويرش ملك الفرس في مدينة بابل، وبين فرعون وأحشويرش أكثر من ألف سنة.

ج٤٢٨- إن هامان ليس اسماً لشخص، ولكنه لقب يعنى بلغتنا (الوزير) كما أن كل
 من كان يحكم الفرس يلقب بكسرى، وكل من يحكم الروم يلقب بقيصر، وكل من يحكم
 مصر يلقب بفرعون، وكل من يحكم الحبشة يلقب بالنجاشي. وفي عصرنا الحاضر يسمون
 الذى يقوم بشنق الناس (عشماوى) بغض النظر عن اسمه، والذى تقوم على سجن النساء
 (قرشانة) بغض النظر أيضاً عن اسمها. فرعون اسمه (رمسيس) أو (امنمحتب) والنجاشي
 اسمه (أصحمه) وقيصر اسمه (هرقل) وكسرى اسمه (أنوشروان)، والله أعلم.

س٤٢٩- لا توجد في القرآن البلاغة التي يطنطن بها المسلمون، فجدده يقول مثلاً:
 {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: ٥] معروف أن
 وسائل الإحاطة بالعلم تشمل السمع والبصر والإدراك، وهذه الوسائل يصبح الإنسان
 عليمًا، فما فائدة ذكر {السَّمِيعُ} فإن كلمة {الْعَلِيمُ} تعنى السمع والبصر والإدراك كما
 قلنا؟

ج٤٢٩- إن الإنسان قد يقول كلاماً لا يوافق ما في قلبه، كالمناققين الذين يظهرون
 غير ما يظنون، فهم يظهرون الإسلام، وينطقون بالشهادتين، مع إنكار ذلك بقلوبهم،
 كما قال الله عنهم: {إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
 لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: ١] والإنسان الضعيف لا يعلم من
 الأمر إلا ظاهره، فحين يسمع هؤلاء المنافقين يصدقهم، بل ويعجبه كلامهم {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ
 تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ} [المنافقون: ٤] أما الله

سبحانه وتعالى فهو عليم بما تبطنه قلوبهم وضمايرهم، فلذلك ناسب أن يقول: {السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} أى {السَّمِيعُ} للصوت {الْعَلِيمُ} بما فى القلب، والله أعلم.

س ٤٣٠- يقول القرآن: {مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُرِّيَةِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَا لَأَعْنَكِبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٤١] كيف يقول محمد عن العنكبوت المذكر {أَخَذَتْ} وهى للتأنيث؟

ج ٤٣٠- علماء السلف - رحمهم الله - قالوا: لعل الله أراد السلالة، أى أن سلالة العنكبوت اتخذت بيتاً، ويأتى العلم الحديث ويؤكد أن بيت العنكبوت تبنيه الأنثى وليس الذكر. ويأتى إعجاز آخر: وهو أن الوهن الذى ذكر فى الآية الكريمة ليس وهناً ظاهرياً فقط - كما هو مشاهد من وهن بيت العنكبوت - ولكن هناك وهناً آخر.. وهو وهن معنوى، وذلك أن أنثى العنكبوت (الأرملة السوداء) تقتل زوجها بعد تلقيحها، ولذلك نرى الزوج يفر هارباً بعد التلقيح مباشرة، وعندما يفقس البيض يفر صغار الذكور خارج العش لكيلا تقتلهم أمهم، وهذا الوهن والتفكك الأسرى لا يوجد إلا فى بيت العنكبوت، والله أعلم.

س ٤٣١- يقول القرآن: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: ٤٥] ونحن نرى كثيراً من المصلين يأتون الفواحش والمنكرات.

ج ٤٣١- ما قولكم فى المنافقين الذين كانوا يصلون مع الرسول ﷺ وربما كانوا يصلون فى الصف الأول؟ هل كانت صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء والمنكر؟ وهل كان الله راضياً عنهم؟ وما رأيكم لو أن أحداً من أعداء الإسلام دخل فيه نفاقاً ليحرم بالمسلمين، وصلى معهم فى مساجدهم، هل صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر؟ إن الصلاة التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هى الصلاة المقبولة، التى يرتضيها الله سبحانه وتعالى، وليست صلاة المنافقين أو الفاسقين. إن الله سبحانه وتعالى حين أمرنا بالصلاة لم يقل لنا ولو فى آية واحدة (صلوا) ولكنه أمرنا بما بقوله: {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أى إنها صلاة لها صفات معينة، وليست أى صلاة، حتى إن الآية التى استشهد بها السائل قالت: {أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَأُ الصَّلَاةَ} وكذلك فإنه سبحانه وتعالى لم يمدح المصلين فى أى آية، إلا وقد قرّن صلاتهم بصفة أخرى، مثل: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

حَشِيثُونَ} {المؤمنون: ١-٢} و{إِلَّا الْمُصَلِّينَ} ﴿٣١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} {المعارج: ٢٢-٢٣} و{وَأَلْمِيقِي الصَّلَاةِ} {الحج: ٣٥} ولو كانت أى صلاة ترضى الله سبحانه وتعالى لَمَا قال: {قَوْلًا لِلْمُصَلِّينَ} ﴿٤١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} {الماعون: ٤-٥} و لَمَا قال الرسول الله ﷺ ثلاث مرات للمسيء صلاته: "ارجع فصل فإنك لم تُصَلِّ" [متفق عليه] و لَمَا قال: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بُعداً" [المعجم الكبير للطبراني]، والله أعلم.

س ٤٣٢- يزعم القرآن أن الحياة الدنيا كلها لعب، وهو كما جاء في أكثر من آية، مثل: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} {العنكبوت: ٦٦} كيف تكون الدنيا {لَهْوٌ وَلَعِبٌ} وفيها أشياء معتبرة محترمة، مثل دور العبادة، والجامعات، والمستشفيات، والملاجئ، وغيرها، بل وفيها الأنبياء والمرسلون، فهل كانوا يلعبون؟

ج ٤٣٢- ماهو اللعب واللهو؟ إن اللعب قد يأتي بخير، أما اللهو فلا يأتي بخير. فمثلاً: لو لعبت رياضة من الرياضات، ككرة القدم، أو السلة، أو الكاراتيه، أو الجودو، أو رفع الحديد.. إلخ، فإن هذا يعود عليك بالمنفعة، كتقوية العضلات، وإذابة الدهون الزائدة، وزيادة القدرة على طول التنفس، وغير ذلك. والإسلام لا يمنع الإنسان من ممارسة الرياضة المفيدة التي لا تضره، طالما أنها لا تصده عن عبادة ربه، ولا تصبح شغله الشاغل، فيضيع فيها معظم وقته الذي هو رأس ماله، فقوى البنيان أصلح وأقوى في الدفاع عن نفسه، وفي مجاهدة أعداء الله. وأحياناً يكون اللعب ضرورياً، مثل بعض الرياضات التي يأمر بها الأطباء للمساهمة في علاج بعض الأمراض، كالانزلاق الغضروفي، أو السمنة، أو ضعف العضلات.. إلخ، ويكون اللعب أحياناً مهماً جداً، وخصوصاً للأطفال، لأنه دليل على الصحة الجسدية والنفسية عند الطفل. أما اللهو فهو ما لا طائل من ورائه، مثل الكوتشينة، والطاولة، والشطرنج، والدومينو، ومشاهدة الأفلام والمسرحيات والمسلسلات.. إلخ، فهي لا تعود على الإنسان بأى منفعة مهما أنفق فيها من الساعات، فضلاً عما فيها وما يعقبها من المحرمات، وأحياناً يُقال عن اللعب إنه هو إذا كان في وقت حَرَجٍ مثل أيام الامتحانات، أو أيام العبادات، مثل الحج والعمرة، أو في آخر العمر حين يقرب أجل الإنسان، كالرجل الشيخ الكبير الذي يضيع وقته في اللعب بالنادي، وكان

الأولى به أن يستثمر ما تبقى من عمره في طاعة ربه. وإذا انشغل الإنسان بالمهم عن الأهم فهو يلعب، حتى لو كان ما يفعله ليس من اللعب في شيء، فمثلاً: لو قلت لابنك: ذاكر دروسك لأن الامتحان قد قرب وقته، فانشغل بتجليد الكراريس وتسطيرها، فماذا تقول له؟ حتماً ستقول له: ما هذا اللعب؟ ولو أن رجلاً بطنه مفتوح وأصبعه مجروح، فالبيهي أن نعالج بطنه أولاً ثم نعالج أصبعه، أما لو فعلنا العكس لكان هذا لعباً. فإذا انشغل الناس بالدنيا عن الآخرة فهو عين اللعب، حتى لو كان في المباحات، فلو تركت الدين للسعي على الرزق - مثلاً - فإن هذا يكون لعباً، وكان المفروض أن تجمع بينهما، أما لو تركته لشيء تافه لا يأتي بمنفعة فهو لهو، فمهما كانت الدنيا بما فيها من جامعات، ومستشفيات، وملاجئ، وغير ذلك، فإنه لا ينبغي أن تشغل الإنسان عن آخرته، وعن المهمة التي خلقه الله من أجلها {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] ولا يعنى هذا أننا نترك هذه الأشياء ونقطع للعبادة، ولكن المهم أن يكون تعاملنا معها لله، وألا تصدنا عن عبادة أخرى أمرنا الله بها، كالصلاة مثلاً، فينبغي لنا أن تكون كل علاقاتنا بما حولنا من مظاهر الحياة مبنية على ابتغاء وجه الله. والدار الآخرة {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} لا شريك له. وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ثم إن الذي يقرأ كلام الله ليتدبره، غير الذي يقرؤه ليطن فيه بغير حق، فالمقصود باللعب واللغو لا يدخل فيه أى أمر من أمور الدين أو أعمال الخير، فليس كما يظن السائل أن اللعب واللغو يتضمن ما فى الدنيا من دور عبادة، وأنبياء ومرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أو أعمال الخير من ملاجئ، ومستشفيات، وغير ذلك، إذ أن الآية فى نهايتها تنهى على الدار الآخرة وتصفها بأنها {الْحَيَوَانُ} أى الحياة الحقيقية الباقية، وليست الحياة الدنيا الفانية {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} فكما عظم الله سبحانه وتعالى شأنها، فإن كل ما يُقرب إليها مُعظم أيضاً، وبناءً على ذلك.. فإن الأنبياء والمرسلين معظمون، أولاً: لأنهم استقاموا على أمر الله، ولم تشغلهم الدنيا عن الآخرة. وثانياً: لأنهم أرشدونا إلى كل ما يقربنا من الله جل وعلا، وكذلك أعمال الخير لأن الله يحبها، ويثيب عليها من ابتغى بها وجهه سبحانه وتعالى، فالذى يفهمه الإنسان السويّ المحايد بفطرته السليمة أن الانشغال بالدنيا وزخارفها عمًا

يقرب من الدار الآخرة ونعيمها فهو {لَهُوٌّ وَلَعِبٌ} أما ما يقرب إليها فليس بلعب ولا لهو، قال رسول الله ﷺ: "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالمًا، أو متعلمًا" [صحيح الجامع: ٣٤١٤]

وقد جاء في كتابكم المقدس النهى عن حب الدنيا والانشغال بها، فقال:
لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحبَّ أحد العالم فليست فيه محبة الآب.
لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتَعْظُم المشيئة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمشى وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد (رسالة يوحنا الأولى: ١٢: ١٥-١٧) وهناك نصوص أخرى ذكرناها في الرد على الشبهة رقم (٤٦١)، والله أعلم.

س ٤٣٣- يقول القرآن: {إِنَّ أُنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩] لماذا الحمار بالذات، رغم أن هناك أصواتاً مرعبة مثل زئير الأسد والنمر، وعواء الذئب، وفحيح الحية، وغير ذلك؟

ج ٤٣٣- إن الله عز وجل لم يشبه صوت الإنسان بالأصوات المرعبة، فإنه لا يوجد وجه شبه بينهما، لأن صوت الإنسان مهما ارتفع فلن يكون مثلها، فلم يقل سبحانه وتعالى (إن أَرعب الأصوات لصوت الحمير) ولكنه قال: {إِنَّ أُنكَرَ الْأَصْوَاتِ} وبالفعل فإن صوته تنكره جميع النفوس وتكرهه، أما بقية الأصوات فهي مخيفة، وكذلك الإنسان إذا رفع صوته (كما نسمع في المشاجرات) فإن صوتهم يكون مزعجاً منكراً، ولكنه ليس مخيفاً. وشيء آخر في الحمار بالذات غير بقية المملكة الحيوانية.. وهو أنه إذا ضربته يظل صامتاً، ثم يُنْهَقُ بغير سبب، والله أعلم.

س ٤٣٤- يقول القرآن: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَابِهِ} [السجدة: ٢٣]. كيف يُلَقَى محمد موسى وقد مات قبله بمئات السنين؟

ج ٤٣٤- نسي من سأل هذا السؤال أن الرسول ﷺ قابل سيدنا موسى وجميع الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، حين جمعهم الله تبارك وتعالى في بيت المقدس، وصلى بهم الرسول، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال رسول الله ﷺ: "رأيت ليلة أُسْرِيَ بي موسى رجلاً آدم طويلاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربع الخلق إلى

الْحُمْرَةَ وَالْبِيَاضَ سَبَطَ الرَّأْسَ، وَرَأَيْتَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَالَ" إلى آخر الحديث [صحيح الجامع: ٣٤٧٧] ربما يقول قائل: أنتم تقولون إن نبيكم قد قابل جميع الأنبياء والمرسلين، فلماذا خص القرآن موسى بالذكر؟ فنقول وبالله التوفيق: نعم إن الرسول قابلهم جميعاً - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ولكن سيدنا موسى كانت له القصة المعلومة مع الرسول ﷺ عند فرض الصلاة، والتي ذكرناها في الرد على الشبهة رقم (١٧٣) وبذلك يكون الرسول ﷺ قابله مرتين: مرة في بيت المقدس، ومرة في المعراج في السموات العلى.

وقد جاء في الكتاب المقدس اختلاف في زمن وفاة سيدنا هارون - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بالنسبة لرحلات بني إسرائيل:

ثم ارتحلوا من بني يعقان ونزلوا في حور الجدجاد. ثم ارتحلوا من حور الجدجاد ونزلوا في يطبات. ثم ارتحلوا من يطبات ونزلوا في عبرونة. ثم ارتحلوا من عبرونة ونزلوا في عصيون جابر. ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا في برية صين وهي قادش. ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف أرض أدوم فصعد هرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك (عدد ٣٣: ٣٢-٣٨) إن معنى هذا الكلام أن سيدنا هارون مات بعد رحيلهم إلى (اليطبات) بل بعد رحيلهم إلى أماكن كثيرة غيرها، ثم يأتي النص التالي فيقرر أن موته كان قبل رحيلهم إلى هذه الأماكن:

وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى مونسير. هناك مات هرون وهناك دُفِن. فكهن العازار ابنه عوضاً عنه. من هناك ارتحلوا إلى الجدجود ومن الجدجود إلى يطبات أرض أثمار ماء (تثنية ١٠: ٦-٧)، والله أعلم.

س ٤٣٥- يقول القرآن: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلَيْنِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوَابٍ} [الأحزاب: ٤] مع أن هناك من الأطفال من يولد بقلبين.

ج ٤٣٥- إن معنى الآية الكريمة ليس المعنى التشريحي الذي يتحدثون عنه، ولكنه معنى معنوي، ومثل ضربه الله تعالى لما تلاء من الظهار والتبني، فكما لا يجتمع في قلب امرئ عقيدتان، أو فكرتان، لشيء واحد، مثل الإيمان والكفر، أو اليقين والشك، أو التصديق والتكذيب، أو العلم والجهل، أو الحب والبغض... إلخ، فكذلك يستحيل أن تكون

الزوجة مثل الأم {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْفَى تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} ويستحيل أن يكون الدَّعِيَّ (الابن بالتبني) مثل الابن من الصُّلب {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ} لأن البِنُوَّة أصالة في النسب، والدَّعْوَةُ إلصاق عارض بالتسمية، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل.

وعلى آية حال فإن الآية لم تُقَل (ما جعل الله لطفل، أو لولد، أو لإنسان، من قلبين في حوفه) ولكنها قالت: {لِرَجُلٍ} والثابت علمياً أنه لا يجتمع قلبان في صدر رجل بالغ، وأن من يولد بقلبين يموت في صغره، ولا يبلغ سن الرجولة.

وقد جاءت في الكتاب المقدس مخالقات عديدة للعلم، ذكرنا بعضاً منها في الإجابة على شبهات أخرى، ونذكر منها ما هنا:

وكان إلى كلام الرب قائلاً وأنت يا ابن آدم فهكذا قال السيد الرب لأرض إسرائيل. نهاية. قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع. (حزقيال ٧: ٢) فهل الأرض لها زوايا أربع، أم أمّا - كما نعلم - كَرَوِيَّةٌ؟، والله أعلم.

س ٤٣٦- يقول القرآن: {يَبْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} [الاحزاب: ٣١] وفي الآية التي تليها: {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} ففي هاتين الآيتين ذُكِرَ المؤنث بقوله: {مَنْ يَأْتِ} و{مَنْ يَقْنُتْ} وكان المفروض أن يقول (من تأت) و(من تقنت)

ج ٤٣٦- (نساء) جمع تكسير، وجمع التكسير يجوز في الفعل المُسْتَدَلُّه التذكير والتأنيث، فيصح أن يقال: {مَنْ يَأْتِ} كما هو في الآية الكريمة، ويصح أيضاً (من تأت)، وكذلك الحال في: {وَمَنْ يَقْنُتْ} يصح أن يقال (ومن تقنت)، والله أعلم.

س ٤٣٧- يقول القرآن: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الاحزاب: ٤٠] إن معنى هذا أن محمداً خاتم النبيين فقط، أما أنتم فتزعمون أنه خاتم المرسلين أيضاً.

ج ٤٣٧- إن الرد على هذا السؤال الساذج يتلخص في كلمتين، أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، فطالما أن الرسول ﷺ هو {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} فمعنى ذلك أنه خاتم المرسلين أيضاً، أما لو قال الله (وخاتم المرسلين) لم يمنع هذا مجيء نبي بعده، والله أعلم.

س٤٣٨- يقول القرآن: {يَنْحَسِرُونَ عَلَىٰ أَلْبَابِهِمْ} [يس:٣٠] فهل الله يتحسر على أحد؟

ج٤٣٨- هل قال الله (يا حسرتاه) أو (يا حسرتى على العباد)؟ أم قال: {يَنْحَسِرُونَ عَلَىٰ أَلْبَابِهِمْ}؟ فالله سبحانه وتعالى لا يتحسر على أحد، ولكن جاءت الحسرة على العباد من أنفسهم، ندماً على ما فعلوه في الدنيا من تكذيب الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ومن التقصير في حق ربه جل وعلا، وكان المعنى: يا لها من حسرة ستصيب العباد، كما جاء في الآية الكريمة: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَسْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ} [الزمر:٥٦] ففي هذه الآية المتكلم هو الذى يتحسر، ولهذا جاءت بلفظ {يَنْحَسِرُونَ} وبذلك يتضح الفرق بينها وبين الآية التي في سورة (يس) ويوم القيامة الكل يتحسر، إن كان محسناً تحسر على ألا يكون قد ازداد إحساناً، وإن كان مسيئاً تحسر على أنه لم يرجع إلى ربه ويتب إليه، قال رسول الله ﷺ: "ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة" [صحيح الجامع:٥٧٢٠] ولكن حسرة أهل الجنة تكون قبل دخولها، لأن الجنة ليس بها أى كدر، ولكنهم عند علمهم بثواب أعمالهم يندمون على أنهم لم يزدادوا. أما الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى فهي على الكفار، كما جاء في نهاية الآية الكريمة: {يَنْحَسِرُونَ عَلَىٰ أَلْبَابِهِمْ مِمَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} ربما يقول قائل: لماذا قال الله: {مِمَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} في حين أن الذين آمنوا كثير جداً لا يحصيهم العد؟ فنقول وبالله التوفيق: هذا الحكم على الغالبية العظمى من العباد، فالذين آمنوا في ظاهرم كثير جداً، ولكنهم بالنسبة للذين لم يؤمنوا قليل جداً {وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنعام:١١٦] قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لييك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعندها يشيب الصغير {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج:٢] قالوا: يا رسول الله.. وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً، والذي نفسى بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، أرجو

أن تكونوا ثلث أهل الجنة، أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار" [صحيح الجامع: ٨١٤٢]، والله أعلم.

س ٤٣٩- يقول القرآن: ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ۖ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۗ وَإِن لَّكُنَّا لَنُفَرِّقُهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ۗ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس: ٤١-٤٤] أنتم تقولون إن القرآن يصلح لكل زمان ومكان، وهذا الكلام لا يصلح الآن، لأن هناك صفارات استغاثة تطلقها السفن المنكوبة، وهي صفارات مسموعة، وتنقل عبر الأقمار الصناعية، وأيضاً المشرفين على الفرق يُسمع صوقم، وتأتيهم فرق الإنقاذ القريبة منهم، أو المحمولة على الطائرات المروحية، أو السفن... إلخ.

ج ٤٣٩- يبدو أن سائل هذا السؤال لا علم له بالأحوال الجوية التي تطرأ على بعض البلدان، لأن كلامه محصور في حالات الإنقاذ المعلومة، والله سبحانه وتعالى لم ينف عنهم الصريح والإنقاذ مطلقاً، بدليل أنه قال: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ فهذا الاستثناء يشمل ما ذكر من حالات الإنقاذ التي وردت في السؤال. ولكن هل الإنقاذ يحدث دائماً؟ لو كان هذا صحيحاً لَمَا وَجَدَ غرقى على الإطلاق. إن من أعظم السفن التي اخترعوها هي السفينة المشهورة (تيتانيك) وبعدها انتهوا من صنعها تعاضموا في أنفسهم وقالوا: إنها السفينة التي لن تغرق أبداً، وسبحان الله.. غرقت من أول رحلة لها! فأين كانت صفارات الإنذار وفرق الإنقاذ حينها؟ قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] وأحياناً تصيب السيول والأعاصير المدمرة بعض البلدان، ومن هذه الأعاصير إعصار (كاترينا) الذي أصاب بعض الولايات الأمريكية مؤخراً، وخاصة ولاية (نيو أورليانز) وقد قدروا عدد الذين هلكوا في هذا الإعصار بحوالى عشرة آلاف على الأقل، معظمهم من الغرقى، وليس هذا في أمريكا فحسب، بل إن السيول والأعاصير منتشرة في كثير من دول العالم، وهذه السيول والأعاصير المهلكة تدمر شبكات الكهرباء، وتقطع جميع الاتصالات السلكية واللاسلكية، وتحوّل دون سماع صفارات الإنذار التي يتحدثون عنها، حتى إنها تحجب الرؤية تماماً، فلا تستطيع المروحيات

ولا فِرَقَ الإنقاذ أن تصل إلى هذه القرى المنكوبة، ونسمع في النشرة الجوية: لقد حالت الظروف الجوية السيئة، والضباب الكثيف، والأمواج العالية، دون وصول فرق الإنقاذ، وانقطع الإتصال بهم... إلخ. وبالإضافة إلى هذا فقد قال بعض المفسرين المحدثين، مثل الشيخ الشعراوي (رحمه الله): إن المقصود بهذه الآية هي سفن الفضاء، لأن الله عز وجل قال: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّيْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} ولم يقل (وخلقنا لهم مثله) بل قال: {مِن مَّيْلِهِ} حتى إننا نلاحظ أنهم سموها سفناً لوجود التشابه بينهما، والفرق عبارة عن ماذا؟ عبارة عن منع الأكسجين عن الإنسان، وهذا ما يحدث من الاحتراق في السفن الفضائية عندما ينفذ الأكسجين الذي يحملونه، فكانه غرق ولكن من نوع آخر، فلا يستطيع أحد أن ينقذهم، ورجل الفضاء لا يسمع من بجواره إلا عن طريق الأجهزة، لأنه لا يوجد هواء خارج نطاق الغلاف الجوي للأرض، والهواء هو وسيلة السماع، لأن الذبذبات الصوتية تنتقل إلى الأذن عن طريقه، والله أعلم.

س ٤٤٠ - يقول القرآن: {قَالُوا يَا بَوِئَلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۗ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢] أنتم تزعمون أن هناك عذاباً في القبر، ولو كان هذا صحيحاً لما قالوا: {مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} لأنها تعني أنهم كانوا راقدين، ثم فوجئوا بالبعث.

ج ٤٤٠ - إن عذاب القبر لا يساوي شيئاً بالنسبة لعذاب جهنم، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦] فالكفار يعلمون وهم معذبون في قبورهم أن عذاب يوم القيامة أشد بكثير مما هم فيه، ولذلك حين يبعثهم الله عز وجل يقولون قولتهم هذه، وكأنهم تمنوا بقاء عذاب القبر، والله أعلم.

س ٤٤١ - يقول القرآن: {أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [سج: ٢٣] دون الله فآهتدوهم إلى صراط الجحيم} [الصافات: ٢٢-٢٣] معنى هذا أن نوحاً، ولوطاً، وامرأة فرعون في النار، لأن أزواجهم في النار.

ج ٤٤١ - إن كلمة {أزواجهم} في هذه الآية تعني أشباههم، أي أن المشركين مع المشركين، والكافرين مع الكافرين، والملحدين مع الملحدين، والزناة مع الزناة، وشاربي

الخمر مع شاربى الخمر... إلخ، وليس بمعنى زوجاتهم. قال الله عز وجل: {فَأَخْرَجْنَا بِدَنِّهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى} [طه: ٥٣] أى أخرجنا أنواعاً: حلواً، وحامضاً، ومراً.. إلخ، وقال رسول الله ﷺ: "من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة: يا عبد الله هذا خير" إلى آخر الحديث [متفق عليه] قال العلماء: "أنفق زوجين" أى نوعين مختلفين، كأن ينفق ذهباً وفضة - مثلاً - أو أى نوعين آخرين، والله أعلم.

س ٤٤٢- يقول القرآن: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} ١ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات: ٦٤-٦٥] معلوم أنه من البلاغة أن يُشَبَّه المجهول بالمعلوم ليُعرف، ولكن أين البلاغة حين يُشَبَّه المجهول بمجهول؟

ج ٤٤٢- إن هذه الصيغة متناهية فى البلاغة، لماذا؟ نقول وبالله التوفيق: لو أنه أقيمت مسابقة لرسم صورة للشيطان، لحاول كل رسام أن يرسم أشبع صورة يتخيلها، ولجاءت الصور مختلفة عن بعضها، ولكن يجمع بينها كلها أنها مخيفة.. أليس كذلك؟ فحين شبه الله سبحانه وتعالى شجرة الزقوم برعوس الشياطين، فإن خيال العباد يذهب كل مذهب فى أشبع صورة يتصورونها، فيكون هذا أبلغ فى التخويف منها، ولكن لو شُبِّهت بشكل معين، فربما أخاف البعض دون البعض، وحتى الذين يخافون منها، فإنهم بعد فترة سيألفونها. فمثلاً: لو أن أحداً رأى ثعباناً لخاف وارتجف، ولكنه لو رآه كل يوم، لأصبح منظره مألوفاً، أما لو ظل مجهولاً، لظل خائفاً مرعوباً، وهذا هو المطلوب.. أن يكون العبد خائفاً باستمرار من النار، ورعوس الشياطين كانت - وما زالت - أخوف شيء للإنسان، ولذلك شُبِّهت شجرة الزقوم بها، والله أعلم.

س ٤٤٣- من الأخطاء اللغوية للقرآن أنه جمع اسم العلم، وهو الذى لا يُجمع أبداً، فقال: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} ٢١ إِذْ قَالَ لِقَوْمِيهِ أَلَا تَتَّقُونَ ٢٢ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ٢٣ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ٢٤ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَالْأُولَى ٢٥ فَكَذَّبْتُمْ فَلَيْتُمْ لَمُحْضَرُونَ ٢٦ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ٢٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٢٨ سَلَّمْ عَلَىٰ إِنْ يَأْسِينَ} [الصافات: ١٢٣-١٣٠] فقد جمع اسم العلم وهو {إلياس} فجعله {إن يآسين}؟

ج ٤٤٣- إن {إن يآسين} ليست جمعاً، ولكن قيل إنها لغة أخرى لإلياس، كما نقول (موسى) وتقول اليهود (موشى) وكما نقول (مریم) ويقول الأجنب (مارى) وكما نقول

(محمد) وتقول الأجانب (مُهمّد). وقيل إن معناها (آل ياسين) أي أتباعه، كما ورد في قراءة نافع وابن عامر {آل ياسين} وذلك نسبة إليه، كما نقول عن أتباع المسيح - علي نبينا وعليهما الصلاة والسلام - إنهم (المسيحيون) ومثل (البهائيين) أتباع (البهاء)، والله أعلم.

ص ٤٤٤ - يقول القرآن: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات: ١٤٧]

كيف يكون قائل هذا الكلام إنها وهو لا يعلم العدد بالتحديد، بل قاله بالتقريب؟

ج ٤٤٤ - لا يمكن قول عدد محدد في أي إحصائية تعداد سكان في العالم، ولكن يقال بالتقريب، لأن الناس في زيادة مطردة، فهناك وفيات ومواليد، ولكن عدد المواليد يفوق عدد الوفيات، ولذلك قال الله عز وجل: {أَوْ يَزِيدُونَ} ولم يقل (أو ينقصون) وبديهي أن أتباع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يتناسلون فيكثر عددهم، والدعوة تشملهم وذرياتهم، فيتزايد أتباعهم يوماً بعد يوم، فلو ذكر عدداً محدداً لكانت الدعوة قاصرة عليهم، وليست لذرياتهم، وهذا ما لا يقوله عاقل.

والآن نسألکم: كم كان عدد المغنّين والمغنّيات الذين صعّدوا من تل ملح وتل حرشا،

بحسب ما جاء في كتابكم المقدس؟

وهؤلاء هم الذين صعّدوا من تل ملح وتل حرشا كروب أدان إمير... ولهم من المغنّين والمغنّيات متتان. (عزرا: ٢١: ٥٩-٦٥) وهؤلاء هم الذين صعّدوا من تل ملح وتل حرشا كروب وأدون وإمير... ولهم من المغنّين والمغنّيات متتان وخمسة وأربعون. (نحميا: ٧: ٦١-٦٧)

وهناك تناقضات في أعداد العائدين من السبي كثيرة جداً وردت في سفر (عزرا: الإصحاح ٢) وسفر (نحميا: الإصحاح ٧) يضيّق المقام عن ذكرها، ونكتفي بذكر مواطنها من هذين السفرين:

التناقض بين عدد بني أرح ما بين (٧٧٥) في (عزرا: ٢١: ٥) و(٦٥٢) في (نحميا: ٧: ١٠)
التناقض بين عدد بني فحث مواب من بني يشوع ويوآب ما بين (٢٨١٢) في (عزرا: ٦) و(٢٨١٨) في (نحميا: ٧: ١١)

التناقض بين عدد بني زتو ما بين (٩٤٥) في (عزرا: ٢١: ٨) و(٨٤٥) و(نحميا: ٧: ١٣)

التناقض بين عدد بني باني ما بين (٦٤٢) في (عزرا: ١٠) و(٦٤٨) في (نحميا: ٧: ١٥)
 التناقض بين عدد بني باباي ما بين (٦٢٣) في (عزرا: ١١) و(٦٢٨) في (نحميا: ٧: ١٦)
 التناقض بين عدد بني عرجد ما بين (١٢٢٢) في (عزرا: ١٢) و(٢٣٢٢) في (نحميا: ٧: ١٧)

التناقض بين عدد أدونيقيم ما بين (٦٦٦) في (عزرا: ١٣) و(٦٦٧) في (نحميا: ٧: ١٨)
 التناقض بين عدد بني بغواي ما بين (٢٠٥٦) في (عزرا: ١٤) و(٢٠٦٧) في (نحميا: ٧: ١٩)

التناقض بين عدد بني عادين ما بين (٤٥٤) في (عزرا: ١٥) و(٦٥٥) في (نحميا: ٧: ٢٠)
 التناقض بين عدد بني بيصاي ما بين (٣٢٣) في (عزرا: ١٧) و(٣٢٤) في (نحميا: ٧: ٢٣)

التناقض بين عدد بني حشوم ما بين (٢٢٣) في (عزرا: ١٩) و(٣٢٨) في (نحميا: ٧: ٢٢)
 التناقض بين عدد رجال بيت إيل وعاي ما بين (٢٢٣) في (عزرا: ٢٨) و(١٢٣) في (نحميا: ٧: ٣٢)

التناقض بين عدد بني لود بنو حاديد وأونو ما بين (٧٢٥) في (عزرا: ٣٣) و(٧٢١) في (نحميا: ٧: ٣٧)

التناقض بين عدد بني سناء ما بين (٣٦٣٠) في (عزرا: ٣٥) و(٣٩٣٠) في (نحميا: ٧: ٣٨)

التناقض بين عدد الْمُغْتَنِينَ من بني آساف ما بين (١٢٨) في (عزرا: ٤١) و(١٤٨) في (نحميا: ٧: ٤٤)

التناقض بين عدد بني البوايين ما بين (١٣٩) في (عزرا: ٤٢) و(١٣٨) في (نحميا: ٧: ٤٥)

التناقض بين عدد بني طوييا بنو نقودا ما بين (٦٥٢) في (عزرا: ٢٠) و(٦٤٢) في (نحميا: ٧: ٦٢)

فهل كل هذه التناقضات وحى من عند الله يا عباد الله؟، والله أعلم.

س ٤٤٥ - يقول القرآن: {إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِآلِ عِيسَىٰ الْأَصْفِيَّةَ إِذْ قَالَ إِنَّي

أَحَبَبْتُ حُبَّ أَحْتَرَمُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِأَلْحِجَابِ ﴿٣١﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاقِ {ص: ٣١-٣٣} إن القرآن نسب الظلم إلى سليمان، لأنه قتل الخيل بغير حق، علماً بأن سليمان عندكم نبي معصوم.

ج ٤٤٥ - لقد ذهب بالفعل بعض المفسرين إلى أن المقصود بالآية الكريمة أن سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قتل الخيل عقاباً لنفسه، لأنها شغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس {حَتَّى تَوَارَتْ بِأَلْحِجَابِ} وهذا القول ليس بصحيح، لأن القتل لا يُعْبَرُ عنه بالمسح. وذهب آخرون إلى أنه أمر بإرجاعها إليه فمسح بسوقها وأعناقها، وهذا الفعل تحبه الخيول، وهو مألوف عند من يقومون بتربيتها، ولكن هذا القول مرجوح أيضاً، لأن الخيل عطلة عن الصلاة، وهو نادم على ذلك، فهل يأمر بردها إليه ليمسحها، فتؤخره أكثر؟ وهناك تفسير آخر تطمئن إليه النفس.. وهو أن الآية بما تأخير ما حقه التقديم، بمعنى أن الذي عطله عن الصلاة هو قوله: {رُدُّوَهَا عَلَيَّ} ومسحه على سوقها وأعناقها، وهذه الخيل كانت موقوفة لله، وليست خيلاً للتباهي، وكلمة {رُدُّوَهَا عَلَيَّ} ليتفقد أحوالها أكثر من مرة، ذهاباً وإياباً، كما يفعل أصحاب الخيول. و{أَلَصَّفَيْتُ} هي الخيل التي تقف على ثلاثة أرجل، وترفع الرجل الأمامية الرابعة. وسيدنا سليمان لا يُصَوَّرُ منه أنه قتلها بغير ذنب، لأن جميع الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كاملو الخلق والخلق، فلا يصح أن يُنسَبَ إليهم أى عيب، كما هو مُشاع عن سيدنا أيوب أن جسده كان به دود، وحاشا لله أن يصيب أحداً من أنبيائه بمرض مُعَد، أو مرض يجعل الناس تنفر منه، إن الذى أصاب سيدنا أيوب هو مرض ألزمه الفراش، بغير دود ولا غيره، كما أن زوجته - رضى الله عنها - لم يكن اسمها (نَعْسَة) ولم تَبِعْ شعرها كما يظن البعض، ولكن كان اسمها (رحمة) وهى بنت سيدنا يونس، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وسيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يكن أُلثغ، كما هو موجود في بعض التفاسير، وذلك من الإسرائيليات، ولكن الأرجح أنه كان يتلعثم في الكلام لأنه عاش بعيداً عن أهله، ولم يتكلم بلغتهم عشر سنوات، هى مدة مكثه في مدين، ولنتخيل أن أحدنا سافر إلى بلد أجنبي، وانقطع تماماً عن الكلام بلغته الأصلية، فلا جاليات معه من بلده، ولا يتحدث مع أى أحد، ولو بالتليفون،

ثم رجع إلى موطنه الأصلي، فكيف تكون طريقة كلامه؟ لا بد أنه سيتلغثم، ولا يكون بالفصاحة نفسها كغيره من أهل بلده، وسيدنا موسى قال: {وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} [القصص: ٣٤] ولم يقل (هو أسلم مني لساناً) فلو قال (أسلم) لقلنا إن بلسانه عجزاً. وهنا يتجلى سؤال: من الذي علم سيدنا موسى اللغة العبرية التي كان يتكلم بها أهل مدين؟ فنقول وبالله التوفيق: إن اللغة العبرية كانت لغة قومه الموحدين من بني إسرائيل، قبل أن يأتوا إلى مصر زمن سيدنا يوسف - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وحين جاءوا إلى مصر تعلموا منهم اللغة القبطية، فأصبح عندهم لغتان: واحدة يتحدثون بها مع بعضهم (وهي لغة دينهم) وواحدة يتحدثون بها مع أهل مصر، كما نجد في بلدنا أن أهل النوبة يتحدثون فيما بينهم بلغة لا نعرفها، وهي (الروطان) ويتحدثون معنا بلغتنا.

ولقد جاء في الكتاب المقدس نسبة الكفر لسيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وها هو الدليل:

وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء باحبة... وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمئن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه... فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك. (الملوك الأول ١١: ١-١١) وقد برأه الله سبحانه وتعالى مما نسبوه إليه بقوله: {وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: ١٠٢]، والله أعلم.

س٤٤٦- يقول القرآن: {أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر: ٢٤] إن هذا مخالف للفطرة، لأن الإنسان يدافع عن وجهه بيديه، فكيف يتقى بوجهه العذاب؟

ج٤٤٦- إنهم لا يستطيعون تقديم أيديهم أمام وجوههم كما يفيل من يؤتى من قبل وجهه، لأن أيديهم مغلولة لا يستطيعون استخدامها، فهم يسحبون على وجوههم في النار، والعياذ بالله {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ} [القم: ٤٨] {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} [إبراهيم: ٤٩]، والله أعلم.

س٤٤٧- يقول القرآن: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۗ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [فصلت: ٦-٧] كيف يؤتى المشركون الزكاة، وهم غير مؤمنين أصلاً؟

ج٤٤٧- إن الزكاة هنا ليست زكاة الأموال المفروضة على المسلمين، فإن لفظ الزكاة معناها (التطهير) فالمسلم يطهر ماله بإخراج ما فرضه الله عليه من هذا المال، أما هؤلاء فلم يؤتوا زكاة نفوسهم، أي أنهم لم يطهروها بالإيمان. ولقد جاء في تفسير (ابن كثير) لهذه الآية: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وكذا قال عكرمة، وهذا كقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} ① {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٩-١٠] وكقوله جلَّتْ عِظْمَتُهُ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} ② {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٤-١٥] وقوله عز وجل: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى} [النازعات: ١٨] والمراد بالزكاة هاهنا طهارة النفس من المعتقدات الباطلة، والأخلاق الرذيلة، ومن أهمها طهارة النفس من الشرك، وزكاة المال إنما سُمِّيت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سبباً لزيادته، وبركته، وكثرة نفعه، وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات... إلخ، والله أعلم.

س٤٤٨- يقول القرآن عن السفن: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} ③ إن يشأ يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ} [الشورى: ٣٢-٣٣] وقد كان ذلك في الماضي، أما الآن فإنها تسير بالطاقة، ولا دخل للريح بسيرها أو وقوفها، ومع ذلك تصرون على أن القرآن يصلح لكل زمان ومكان.

ج٤٤٨- قال الشيخ الشعراوي (رحمه الله): إن الريح تأتي في القرآن مرة بمعنى الرياح، ومرة بمعنى القوة، كما جاء في الآية الكريمة: {وَلَا تَنْزِعُوا فَأْتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجْحُكُمْ}

[الأنفال: ٤٦] أى تذهب قوتكم، فعلى هذا يكون معنى {يُسْكِنِ الرِّيحَ} أى يُسْكِنُ القوَّةَ التى تحرکها، سواء مواتير، أو ذرَّة، أو غيرها. وهناك تفسير آخر وضحت الآيه التى بعدها {أَوْ يُوقِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} فإن لم يكن الهلاك بإسكان الريح، فيكون بالريح الشديدة العاتية التى تعصف بها، فلا تثبت أمامها قوة مواتير أو غيرها، فتفرق ولا منقذ لها، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم {بِمَا كَسَبُوا}

وقد جاء فى كتابكم المقدس قول معبودكم:

وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى. (يوحنا: ٧: ٣٧-٣٨) فأين هذه الأنهار التى تجرى من بطونكم؟، والله أعلم.

س ٤٤٩ - يقول القرآن: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢] إن هذا يشجع ويقر بالفوارق الطبقيه بين الأغنياء والفقراء، ويقر بالفرقة العنصرية.

ج ٤٤٩ - نريد أن نسألكم: من المرفوع؟ ومن المرفوع عليه؟ هل قال القرآن: ورفعنا الأغنياء فوق الفقراء؟ أم قال: {بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ}؟ إن الكل محتاج للكل، فأنت يوماً مرفوع، ويوماً مرفوع عليك، ولقد ضرب الشيخ الشعراوى - رحمه الله - مثلاً لتوضيح هذا الأمر بالرجل الغنى ذى المنصب والجاه، الذى يحتاج للفقير ذى المهنة المحترمة، كأن تنسد عنده البالوعة، ويكاد بيته أو قصره يفرق فى القاذورات، فيهرع إلى الرجل المسكين الذى يصلح البالوعات لياتيه وينقذه مما هو فيه، أو يحتاج لولد صغير يصلح له سيارته الفارهة إذا تعطلت، ومع زوجته وأولاده، وهم مسافرون لا يدرون ماذا يفعلون، فكلهم فى هذه الحالة ينتظرون هذا الصبى الصغير، ويتمنون أن يصلح سيارتهم ليواصلوا رحلتهم، كما أن الطبيب يحتاج للنجار، وهو أيضاً يحتاج له، والمهندس يحتاج للسباك، والصيدلى يحتاج للسبرى، وكلهم يحتاجون للعالم، والعالم يحتاج لهم.. وهكذا، فالكل محتاج للكل، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىكُمْ} [الحجرات: ١٣] وقال رسوله ﷺ: " يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا

لأسود على أحرر إلا بالتقوى" [مسند أحمد] وقد كرم الإسلام الإنسان، ولو كان عبداً حبشياً، كما ذكرنا الأدلة على ذلك في الرد على الشبهة رقم (٦٨).

أما الكتاب المقدس فقد جاء فيه: فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق. (تكوير ٢١: ١٠) وجاء فيه أيضاً: لكن ماذا يقول الكتاب. اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرّة. إذا أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرّة (الرسالة إلى غلاطية ٤: ٣٠-٣١)، والله أعلم.

س ٤٥٠ - يقول القرآن لحمد: {وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ} [الزخرف: ٤٥] كيف يسألهم وقد ماتوا؟

ج ٤٥٠ - كما قلنا في الرد على الشبهة رقم (٣٥٦) إن هذا خطاب للناس في شخصه ﷺ وكان الله عز وجل يلقنه الحجة على المشركين، وهي أن جميع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد جاءوا بالتوحيد الخالص، فكيف أتى هؤلاء المشركون بأهتهم المزعومة؟ وهؤلاء المشركون كانوا يثقون بأهل الكتاب، وكثيراً ما كانوا يسألونهم عن أشياء ليختبروا بها صدق الرسول ﷺ، فليسألوهم: هل في كتبهم أن الله جعل من دونه آلهة يُعبدون؟ وسواء كان الخطاب له، أو للناس عن طريقه، فما زال السؤال مطروحاً، وهو: كيف يسألون الرسل قبله؟ رد العلماء على هذا بأنهم يسألون علماءهم، والعلماء ورثة الأنبياء. وعلى آية حال فقد قابل الرسول جميع الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ليلة الإسراء والمعراج، ولكنه لم يسألهم، لأنه على يقين بأن الله لم يجعل معه إلهاً آخر يُعبد من دونه سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س ٤٥١ - يقول القرآن: {وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِسَاعَةَ} [الزخرف: ٦١] أى أن المسيح سيترجم في آخر الزمان، ويكون كما قال نبيكم حكماً عادلاً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فلماذا المسيح بالذات؟ ولم لا يكون أى نبي آخر كنوح، أو إبراهيم، أو موسى، أو نبيكم؟

ج ٤٥١ - لم تأخذ أى شخصية في التاريخ على الإطلاق من الاختلاف والجدل ما أخذته شخصية سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وذلك لغرابة مولده، وغرابة رفعه عن سائر البشر، فجميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -

سواء الذين ذكروا في السؤال، أو غيرهم، ليس عليهم خلاف إلى يومنا هذا، إلا اثنين.. وهما: سيدنا محمد، وسيدنا عيسى، ولكن الخلاف في سيدنا عيسى أكبر من الخلاف في سيدنا محمد، فسيدنا عيسى اختلف عليه اليهود والنصارى والمسلمون، اليهود لم يؤمنوا به واعتبروه وُلْدَ من سفاح، وهم ينتظرون مسيحاً آخر يتزل في آخر الزمان، ليناصرهم، ويشد أزرهم، والنصارى غالوا فيه وعبدوه وأمه من دون الله، فمنهم من قال إنه ابن الله، ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة، ومنهم من قال إنه الله {سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا} [الإسراء:٤٣] والمسلمون آمنوا به أنه بشر رسول كسائر الرسل. أما سيدنا محمد ﷺ فقد آمن به المسلمون، وكفر به اليهود والنصارى، فكان لا بد أن يتضح أمر سيدنا عيسى، وليكون حجة على اليهود، وإنه ليس بناصرهم، بل إنه سيقاتلهم، وليكون حجة على الذين عبدوه من دون الله، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويناصر دين سيدنا محمد ﷺ، بل ويصلى خلف أحد المسلمين، وهو المهدي المنتظر الذي يأتي في آخر الزمان، فتعلم جميع الأمم أن الإسلام هو الحق، وما سواه هو الباطل، قال رسول الله ﷺ: "ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربع إلى الحمرة والبياض، يتزل بين مصرتين، كان رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون" [صحيح الجامع:٥٣٨٩] وقال "والذي نفسى بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" [صحيح الجامع:٧٠٧٧] وهناك شيء آخر لا يقل أهمية.. وهو أن جميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد ماتوا، فكيف يحيون مرة أخرى قبل يوم القيامة؟ أما سيدنا عيسى فلم يمكث {بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ} [النساء:١٥٨] فلا بد أن يموت كسائر البشر، وإلا- لكانت الفتنة به أعظم {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ لَخَالِدُونَ} [الأنبياء:٣٤] ولا بد أن يعلم الناس بموته، فيتره الله سبحانه وتعالى قبل القيامة ليكون - كما قلنا - حجة على المختلفين فيه، نُصْرَةً للمؤمنين به، ويتزوج وينجب، ثم يموت

كسائر البشر، والله أعلم.

س ٤٥٢ - يقول القرآن: {وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْنَا نَبِيْنَتٌ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اأْتُونَا بِبَابِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الجنات: ٢٥] فَلِمَ لَمْ يُخَيِّ اللهُ لَهُمُ الْمَوْتَى حَتَّى يُؤْمِنُوا، كَمَا أَحْيَاهُمْ لِعِيسَى، وَكَمَا أَخْرَجَ النَّاقَةَ لَصَالِحٍ؟

ج ٤٥٢ - صحيح أن الله سبحانه وتعالى أحيا الموتى لسيدنا عيسى، وأخرج الناقة لسيدنا صالح - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - ولكن هل آمن قومهما؟ فبرغم هذه المعجزات لم يؤمن منهم إلا القليل، فقوم سيدنا عيسى هموا بصلبه، لولا أن نجَّاه الله منهم، وألقى شبهة على غيره، وقوم صالح عقروا ناقته، والذين كفروا بالرسول ﷺ لم يختلفوا عنهم، فإنهم لم يطلبوا إحياء الموتى ليؤمنوا، ولكنهم طلبوه جحوداً و عناداً وتعجيزاً، فلو أحيا الله لهم الموتى لظلوا على كفرهم كأسلافهم، والدليل على ذلك قول الله عز وجل: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩] وقوله: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} [٤] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} [الحجر: ١٤-١٥] إن سنة الله في كونه أنه إذا أرسل آية طلبها الناس لكي يؤمنوا، ثم لم يؤمنوا، أن يدمرهم، كما قال عز وجل عندما طلب قوم سيدنا عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء: {قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِئْتِنَا مِنْكُمْ فَأِيْنَ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: ١١٥] فلو أنزل الله للمشركين ما طلبوه ثم لم يؤمنوا لدمرهم، ولم يبق منهم أحداً، ولكن من رحمته سبحانه وتعالى أنه أمهلهم، وقد آمن منهم الكثير، وخرج من أصلهم من عبْد الله وحده ولم يشرك به شيئاً، فله الحمد والمِنَّة، وله الحمد أولاً وآخرأ. ثم إن الرسول ﷺ قد جاءهم بما يعجزهم وهو القرآن الكريم، وغيره من الآيات الدالة على صدقه، والتي كانت سبباً في إسلام الكثير من قومه، فلماذا لم يؤمن به هؤلاء الجاحدون كما آمن غيرهم؟ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٣] إن كل نبي من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد آتاه الله من البينات ما يثبت صدقه، فلا حاجة لما طلبه هؤلاء المتعنتون، قال رسول الله ﷺ: "ما من الأنبياء من نبي إلا وقد

أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلی، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" [صحيح الجامع: ٥٦٨١]، والله أعلم.

س ٤٥٣ - يقول القرآن: {قَالَتِوَمَ تَجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف: ٢٠] فهل هناك استكبار بحق؟

ج ٤٥٣ - إن الكبر من المهلكات (أعاذنا الله والمسلمين منه) قال الله عز وجل في الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعتني واحداً منهما قذفته في النار" [سنن أبي داود، صحيح الجامع: ٤٣١١] وقال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" [صحيح مسلم] ولكن هناك كبراً بحق، وهو في الحرب على أعداء الله، ففي غزوة أحد لبس سيدنا سَمَّاك بن خَرَشَةَ ﷺ (وكنيته أبو دُجَّانَةَ) عصابته الحمراء، وحمل سيفه (وكان يُعرف بأنه إذا لبسها فسيقاتل قتالاً مريراً لا يقف أمامه أحد) ثم ركب فرسه، ومشى به أمام المسلمين والمشركين مشية فيها زهو وخيلاء، فامتعض بعض الصحابة ﷺ من مشيته هذه التي لا تناسب المؤمنين الذين قال الله فيهم: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: ٦٣] ولكن الرسول ﷺ حين رآه قال ما معناه: "إن هذه المشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الوطن" لأن فيها إرهاباً للأعداء، وهو ما نسميه بالحرب النفسية، قال تعالى واصفاً أحبَّاءه: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: ٥٤] وقال: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩]، والله أعلم.

س ٤٥٤ - لقد نسي محمد حين أَلَفَ القرآن ذكر عيسى والإنجيل، فزعم أن القرآن أنزل بعد التوراة، فقال: {قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأحقاف: ٣٠]

ج ٤٥٤ - إن من المعلومات البدائية التي لا يغفل عنها الصغير، فضلاً عن الكبير، أن سيدنا عيسى جاء بعد سيدنا موسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وأن الإنجيل كان بين التوراة والقرآن، فلو فرضنا جدلاً أن القرآن أَلَفَهُ سيدنا محمد كما تزعمون، فمن

الصعب أن ينسى هذا الأمر، ولكن الجن الذين استمعوا للرسول ﷺ كانوا من اليهود، واليهود لا يعترفون بسيدنا عيسى، كما هو حالهم إلى الآن. كما أن التوراة كتاب دين وشريعة مثل القرآن، أما الإنجيل فهو كتاب عبادات وأخلاقيات، وليس كتاب تشريع، ولكنه يعتمد على التوراة في التشريع، ولذلك نجد كتاب النصارى - وهو ما يسمى بالكتاب المقدس - يشمل التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) ولا نجد كتاباً للإنجيل وحده، أما التوراة فهي مستقلة بذاتها، إذن فليس بين التوراة والقرآن كتاب سماوى يشابههما، والله أعلم.

س ٤٥٥ - توجد آيات في القرآن مضطربة المعنى وغير مفهومة، مثل قوله: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} ﴿١٠٠﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوْهُ وَتُوقِرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: ٨-٩] فلو كانت كلمتا {تَعَزَّوْهُ} و{تُوقِرُوهُ} عائدتين على الله لكان كفراً، لأن الله لا يحتاج لمن يعززه (أى يقويه) أو يوقره (أى يحترمه) ولو كانتا عائدتين على محمد فتكون كلمة {تُسَبِّحُوهُ} عائدة على محمد، وبذلك تكون أيضاً كفراً، لأن التسييح لا يكون إلا لله، والغالب أن كل هذه الكلمات عائدة على محمد، لأن قواعد اللغة عندكم تقتضى رجوع الكلام إلى أقرب ضمير، وهو محمد.

ج ٤٥٥ - إن هذه الكلمات الثلاث عائدة على الله سبحانه وتعالى، ولكنها ليست بهذا المعنى السطحى الساذج الذى فهمه السائل، ولكنها تعبيرات مجازية من قبيل قول الله جل وعلا: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧] وقوله: {إِن تَقْرِبُوا اللَّهَ قَرَّبْنَا حَسَنًا يُّضْعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧] فهل الله سبحانه وتعالى يطلب منا النصر والقرض على المعنى الحقيقى؟ إن هذا يُعرف فى اللغة العربية بالتعبير المجازى، وفى الآية الأولى يأمرنا الله سبحانه وتعالى بنصره.. أى بنصر دينه، والدؤد عن حياضه، وحماية بيضته، وفى الآية الثانية يحثنا على الإنفاق فى سبيله، ويسمى هذا قرضاً، وينسب إليه سبحانه وتعالى، ليكون ذلك أقوى لعزيمتنا فى البذل والعطاء، وأرغب فى الأجر والثواب، فكذلك الأمر فى الآية التى نحن بصدها، أى قوله تعالى: {وَتَعَزَّوْهُ وَتُوقِرُوهُ} أى نعزّز دينه ونوقره، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وتحكيم شرعه فى كل كبيرة وصغيرة، وبذل الغالى والرخيص فى سبيل إعلاء كلمته.. إلخ، وهذه الآية

مشاهدة لقوله جل وعلا على لسان سيدنا نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: ١٣] ففي هذه الآية ينكر سيدنا نوح على قومه عدم توقير الله جل وعلا، أى توقير ما أنزله الله إليه من إفراده بالعبودية، وتعظيم أوامره ونواهيه، وخوفه ورجائه.. إلخ، ومشاهدة أيضاً (من حيث التعبير المجازي) لما ورد في الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه وتعالى: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعذبني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعذبه؟ أما علمت أنك لو عذتني لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، فقال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي" [صحيح الجامع: ١٩١٦] ففي هذا الحديث الشريف ينسب ربنا تبارك وتعالى مرض الإنسان وإطعامه وسقايته لنفسه، على سبيل المجاز، وليس الحقيقة، وإلا.. فهو سبحانه وتعالى الغنى عمّن سواه، والكل ذليل ومفتقر إليه. ثم إن المتأمل لهذه الآية الكريمة يجد أن أقرب ضمير عائد على الله سبحانه وتعالى، كيف ذلك؟ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} فأقرب ضمير هو حرف (الهاء) في قوله: {رَسُولِهِ} وهو عائد على الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س ٤٥٦- يقول القرآن: {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ١٠] كيف يقول: {عَلَيْهِ} بضم الهاء، المفروض أن يقول (عليه) بكسر الهاء، وكذلك يقول: {لَيْكِنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النساء: ١٦٢] والمفروض أن يقول (الراسخين) و(المؤمنين الزكاة) و(المؤمنين)

ج ٤٥٦- ذكر في كتاب التبيان في إعراب القرآن ص ٣٢٤ {وَالْقِيمِينَ الصَّلَاةَ} قراءة الجمهور بالياء وفيه عدة أوجه، أحدها: أنه منصوب على المدح، وأعني {وَالْقِيمِينَ} وهو مذهب البصريين، وإنما يأتي ذلك بعد تمام الكلام، والثاني أنه معطوف على (ما) أى

يؤمنون (بما) أنزل إليك وبالمقيمين، والمراد بهم الملائكة. وقيل التقدير: وبدن المقيمين، فيكون المراد بهم المسلمين. والثالث أنه معطوف على (قبل) تقديره: ومن قبل المقيمين، فحذف (قبل) وأقيم المضاف إليه مقامه. والرابع: أنه معطوف على الكاف في {قَبْلِكَ} والخامس: أنه معطوف على الكاف في {إِلَيْكَ} والسادس: أنه معطوف على الهاء والميم في {مِثْمَمٌ} وهذه الأوجه الثلاثة الأخيرة لأن فيها عطف الظاهر على المضمرة من غير إعادة الجار. قال القرطبي: وقرأ الحسن ومالك بن دينار وجماعة {والمقيمون} على العطف، وكذا هو في مصحف عبد الله بن مسعود (من القراءات الشاذة) ومن كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ص ٢٨٠ سورة الفتح لمكي بن أبي طالب: قوله تعالى {عَلَيْهِ اللَّهُ} قرأه حفص بضم الهاء أتى به على الأصل لصلة الهاء بواو، ثم حذف الواو لسكونها وسكون اللام بعدها، فبقيت الضمة، وقرأ الباقون بالكسر، لأنهم أبدلوا من الهاء كسرة للياء التي قبلها، لأن الكسرة بالياء أشبه وهي أخف بعد الياء، فانقلبت الواو ياء، وحذفت لسكونها وسكون اللام بعدها، والله أعلم.

س ٤٥٧- يزعم القرآن أن الله قد رضى عن أصحاب محمد الذين بايعوه تحت الشجرة {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨] ولكن هؤلاء الصحابة أنفسهم عصوا نبيهم في مسألة الحلق والنحر، فحزن وقال لأم سلمة: "لقد هلك الناس" وهو يقصد هؤلاء المرضى عنهم.

ج ٤٥٧- إن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين اصطفاهم الله لثورة دينه، وهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم وهم أفضل خلق الله بعد أنبيائه، ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولكن هذا كان من شدة غمهم وهمهم، ولم يكن عصياناً لأمر نبيهم، وقد حدث ذلك بعد أن وقَّع الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع المشركين، وكانت شروط هذا الصلح - في ظاهر الأمر - بحفنة بالمؤمنين، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وقَّع عليها لثقتة بنصر الله سبحانه وتعالى، وقد كان وقَّعها سيئاً على أصحابه رضي الله عنهم، وما زاد الأمر سوءاً أنهم مُنعوا من دخول الحرم، فقد جاءوا مُحْرَمِينَ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة - أي حوالى خمسمائة كيلو متراً - على أمل الطواف وأداء العمرة التي حُرِّموا منها لسنوات عديدة، وقد جاءوا بناءً على رؤيا رآها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يُصدُّون عن الحرم وهم على مرمى

حجر منه؟ وهذا البيت لا يُصد عنه من قصده لابساً الإحرام، ولو كان مشركاً، فكيف يُصد عنه أهل الإيمان؟ فتزل بالصحابة ﷺ من الهم والغم ما لا يعلمه إلا الله، فلما وقع الصلح أمرهم الرسول ﷺ بحلق رءوسهم ونحر هديهم، فلم يبق أحد منهم من شدة حزنهم، لا عصياناً منهم، إذ كيف يرجعون كل هذه المسافة دون أن يودوا العمرة التي جاءوا من أجلها؟ فهم يحزنون كما يحزن البشر، فتباطأوا في تنفيذ الأمر، فلما دخل الرسول ﷺ على أم سلمة - رضی الله عنها - وقال لها مقالته، أشارت عليه قائلة: يا رسول الله.. إن القوم نزل بهم من الغم ما نزل، فاخرج عليهم ولا تكلم أحداً منهم، ثم انحر هديك، واحلق رأسك، وسيفعلون إن شاء الله بما أمرهم به، فلما فعل الرسول ﷺ ما أشارت عليه به قام القوم على الفور - مع ما بهم من الغم - فنحروا هديهم، وحلقوا رءوسهم، وقد بشرهم رهم بأنه سيحقق لهم رؤيا نبيهم، فقال جل وعلا: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧]

وقد صدقهم الله وعده، فحجوا واعتمروا، آمنين غير خائفين.. والحمد لله رب العالمين.

وقد جاء في كتابكم المقدس أن معبودكم وعد تلاميذه الاثني عشر بالجلوس على الكراسي في الآخرة، يُدينون أسباط إسرائيل، رغم أن واحداً منهم سلمه لليهود (على حد زعمكم) ليقتلوه، فلو كان المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إله أو ابن إله (كما تدعون) فكيف يجعل يهوذا الإسخريوطي من المبشرين بهذه المترلة الرفيعة، وقد خانته، وباعه بثلاثين من الفضة على حد قولكم؟ وكيف يعتبره - أصلاً - من جملة الاثني عشر الذين اختارهم ليكونوا أنبياء يحملون رسالته للناس؟

حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الإسخريوطي إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه (متى: ٢٦: ١٥-١٦)

فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الإسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر. فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم. ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة. (لوقا: ٢٢: ٣-٤)

فأجاب بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا. فقال له يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كُرْسِيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. (متى: ١٩: ٢٧-٢٨) ثم كيف يُدينون أسباط إسرائيل يوم القيامة؟ ليس المفروض أن الأنبياء عليهم البلاغ، أما الحساب فعلى الله جل وعلا، كما قال سبحانه لسيدنا محمد ﷺ: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد: ٤٠]؟، والله أعلم.

س ٤٥٨ - يقول القرآن: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} [الحجرات: ٩] وكان المفروض أن يقول (اقتتلا) وفي الآية نفسها: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} وكان المفروض أن يقول (فأصلحوها بينهم) لأنهما طائفتان وكل طائفة مكونة من أفراد كثيرة، وليسوا فردين.

ج ٤٥٨ - قال الشيخ الشعراوي (رحمه الله): عندما تتقاتل طائفتان يحدث اشتباك وتلاحم، وتقاتل كل طائفة الأخرى، فهي مجموعة تقاتل مجموعة، وليسوا فردين يقتتلان، فناسب أن يقال: {اقْتَتَلُوا} أما عند المصالحة فليس كل فرد من هذه الطائفة يصلح كل فرد من الطائفة الأخرى، ولكن يكفي أن نأتي برئيس أو زعيم كل طائفة فنصلحه مع الزعيم الآخر، وكل زعيم يتكلم بلسان طائفته ويعبر عن رأيهم، ولذلك ناسب أن يقال: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}، والله أعلم.

س ٤٥٩ - يقول القرآن: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا} [الحجرات: ١٤] وكان المفروض أن يقول: (قال الأعراب)

ج ٤٥٩ - {الْأَعْرَابُ} جمع تكسير يعامل معاملة المفرد المؤنث جوازاً، أو المفرد المذكّر، والله أعلم.

س ٤٦٠ - يقول القرآن: {مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ} [ق: ٢٩] إن هذه الآية لا تنفي الظلم عن الله، ولكنها تنفي كثرة الظلم، لأنها قالت: {وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ} ولم تقل (وما ربك بظالم) و(الظلام) صيغة مبالغة تعني كثرة الظلم.

ج ٤٦٠ - صيغة المبالغة تأتي إما للمبالغة في الحدث، أو لتكرار وقوعه، فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو قلنا عن إنسان إنه أكل، أو بلهجتنا العامية (أكيل) فإن ذلك يعني

أحد أمرين: إمّا أنه يأكل وجبات بعدد الوجبات الطبيعية نفسه، ولكنه في كل مرة يأكل كميات كبيرة من الطعام، فذلك هو المبالغة في الحدث، أو أنه يأكل كميات عادية من الطعام، ولكنه يأكل سبع مرات في اليوم مثلاً، وذلك هو تكرار الحدث. فالله سبحانه وتعالى لم يقل (وما ربك بظلام للعبد) حتى يكون لهم حينها حجة، ولكنه قال: {بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ} فَمَعَ كثرة العبيد لو أنه - فرضاً - ظلم كل عبد ظملاً قليلاً جداً (وحاشاه أن يفعل ذلك) لكان مجموع الظلم القليل يعطى معنى الظلم الكثير، والله أعلم.

س ٤٦١ - يقول القرآن: {وَمَا خَلَقْتُ آئِينَ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] معنى هذا أن الإنسان ينقطع للعبادة في المساجد، ويترك الانشغال بالحياة وأعمالها، أليست هذه هي الرهبانية التي تنكرونها؟ فنحن نرى أن القرآن هو سبب تخلف المسلمين، لأنه حصر حياتهم في العبادة فقط.

ج ٤٦١ - ما هو مفهوم العبادة؟ إن العبادة هي الانقياد والطاعة والاستسلام، مع كمال الحب والتعظيم لله رب العالمين، فمعنى كلمة {لِيَعْبُدُونِ} أى ليطيعون، وعمارة الكون طاعة لله جل وعلا، فهو سبحانه الذى قال: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠] ومن ضمن أوامر الله عز وجل: {فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ أَلْتُشُونَ} [الملك: ١٥] {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠] حتى الحج، الذى هو من أركان الإسلام، لم يحرم الله فيه البيع والشراء، طالما أن النية في الحج خالصة له سبحانه وتعالى، وجاءت التجارة كأمر عارض، فقال جل وعلا: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رِّبِّكُمْ} [البقرة: ١٩٨] فلو أنه أمرنا بالعبادة بمفهوم الانقطاع في المساجد كما تقولون، فلم فرض علينا الزكاة، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء واليتامى والمساكين.. إلخ؟ وكيف نركى أو نتصدق ونحن منقطعون للعبادة في المساجد؟ فلا بد من العمل لكى نتكسب ونعطى العباد حقهم، ولكن بشرط أن يكون السعى حلالاً، والرزق من الحلال، وإنفاقه في الحلال، طاعة لله سبحانه وتعالى. ومن حرص الإسلام على العمل لنفع الناس قول رسول الله ﷺ: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" [صحيح الجامع: ١٤٢٤] "الفسيلة" هي النخلة الصغيرة، وقيل معنى "إذا قامت الساعة" أى

ظهرت أماراتها فلم يبقَ من عمرها إلا القليل، أو هو مبالغه في الحث على غرس الأشجار، وحفر الأنهار، لعمارة هذه الدار.

ثم إنكم تتهموننا بالانقطاع للعبادة وترك العمل، وهو ما جاء به كتابكم المقدس، وما نحن نسوق إليكم بعضاً منه:

وإذ كان يسوع ماشياً عند البحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخاه يُلقيان شبكة في البحر فإفهما كانا صيادين. فقال لهما هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس. فللوقت تركا الشباك وتبعاه. ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه في السفينة مع زبدي أبيهما يُصلحان شباكهما فدعاهما. فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه (متى: ٤: ١٨-٢٢)

فقال بطرس ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فقال لهم الحق أقول لكم إن ليس أحد ترك بيتاً أو الوالدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلا يأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية (لوقا: ١٨: ٢٨-٣٠)

فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم محتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم. فلا تهتموا للغد. لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره (متى: ٦: ٢١-٢٤)

وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى. وقال لهم لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصاً ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان. (لوقا: ٩: ٢-٣) مع أن هذا يتناقض مع: وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط. [مرقس: ٦: ٨] ففي النص الأول لم يسمح لهم بأخذ أى شيء حتى العصا، وفي النص الثاني سمح لهم بأخذها. وقال له آخر من تلاميذه يا سيد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي. فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم (متى: ٨: ٢١-٢٢) لقد نماه حتى عن دفن أبيه حتى لا ينشغل عن العبادة.

ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٧: ٨) (كما أنا: أى غير متزوجين) غير المتزوج يهتم في ما للرب

كيف يرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضى امرأته. إن بين الزوجة والعدراء فرقاً. غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً. وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضى رَجُلَهَا (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ٧: ٣٢-٣٤) أين هذا من قول الله عز وجل: {وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: ٣٢] وقول رسوله ﷺ: "يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" [صحيح مسلم]؟

بِعِ كُلِّ مَالِكٍ وَوَزَعٍ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونُ لَكَ كَثْرٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ تَبْعِي. (لوقا ١٨: ٢٢) أين هذا من قول رسولنا ﷺ لسعد بن أبي وقاص ؓ حين أراد أن يوصى بثلثي ماله أو بنصفه: "الثُلُثُ وَالثُلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تَنْفَقَ نَفَقَةً تَبْتغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَتْ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِئِي امْرَأَتِكَ" [صحيح الجامع: ٣٠٨٢] وقوله: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس" [صحيح الجامع: ٥٠٤٠]؟، والله أعلم.

س ٤٦٢ - هناك تكرار لبعض الآيات في سورة (القمر) مثل: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَتُذِرٌ} ومثل: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} فلم كل هذا التكرار؟
ج ٤٦٢ - لقد جاء تكرار الآية الكريمة: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} أربع مرات، والقرآن عربي، والأمم التي كانت تتكلم اللغة العربية هي أربع أمم، فقوم سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانوا في اليمن، وهم أصل العرب (العرب العاربة) وعاد كانوا بالأحقاف في جنوب اليمن أيضاً، وثمود كانوا في شمال الجزيرة العربية، وقوم سيدنا محمد ﷺ. وقد تكلمنا من قبل على موضوع تيسير القرآن للذكر في الرد على الشبهة رقم (٢٦٣) وأنه الكتاب الوحيد في العالم الذي يحفظه المتعلم والأُمِّي، والكبير والصغير، والعربي والأعجمي، وأنه لا يوجد حَبْرٌ، ولا كاهن، ولا قسيس، ولا أي رجل دين كائناً من كان، يحفظ التوراة أو الإنجيل عن ظهر قلب، أما قوله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَتُذِرٌ} فقد جاء ذكرها في السورة ست مرات، مثل عدد من ذُكِرُوا

من الأمم المكذبة برسولهم، وهم قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وموسى، ومحمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ولقد جاء التكرار في الكتاب المقدس كثيراً جداً، وقد أشرنا لبعضه في الرد على الشبهة رقم (٥٧) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س ٤٦٣ - يقول القرآن في أول سورة (الرحمن): ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ ففي هذه الآيات يقول إنه علم القرآن ثم خلق الإنسان، فلمن علمه إذن؟ ألا كان المفروض أن يذكر خلق الإنسان أولاً، ثم يذكر تعليمه القرآن؟

ج ٤٦٣ - لقد عدد الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة نعمة على عباده، وأعظم النعم هي نعمة الدين، وأعظم شيء في الدين هو تعليم القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [الفر: ١٧] فقدّم نعمة تعليم القرآن على نعمة خلق الإنسان، لأنها أعظم نعم الله عليه، فبغير القرآن ماذا يستفيد الإنسان؟ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والعبادة لا تكون إلا باتباع القرآن، ومعلوم في اللغة العربية أن الأهم يذكر قبل المهم. قد يقول قائل: كيف لا يكون للإنسان قيمة بغير القرآن، وهو لم يتزل إلا في آخر الزمان؟ فنقول وبالله التوفيق: إن أتباع الرسل قبل سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كانت أعظم نعمة بالنسبة لهم هي هدايتهم للذي أنزل عليهم، أما هذه الآية فإن الخطاب فيها موجه لنا نحن أتباع سيدنا محمد ﷺ فأعظم نعم الله علينا هي تعليمنا القرآن، وهي أيضاً أعظم من نعمة تعليم الكتب السابقة لأتباعها، لأن القرآن أعظم كتب الله جل وعلا، والله سبحانه وتعالى لم يعلم القرآن لنا وحدنا، بل علمه للملائكة قبلنا، فقبل أن يعلمه الإنسان علمته ملائكة الرحمن، والله أعلم.

س ٤٦٤ - يقول القرآن: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٥] أنتم تقولون إن الآلاء هي النعم، فأى نعم في النار والنحاس؟ وكذلك أى آلاء فيما ذكر بعدها من آيات انشقاق السماء والعذاب؟

ج ٤٦٤- إن هذا تحذير وتعجيز من الله جل وعلا للتقلّين (الإنس والجن) أن يحاولوا أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض، لأنهم لو حاولوا لأرسل عليهم شواظاً من نار ونحاس (والعياذ بالله) فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - إذا حذرَكَ إنسان من المشى في طريق به مخاطر، وقال لك: إنك لن تستطيع أن تمشي في هذا الطريق، ولو حاولت المشى فيه لانقلبت سيارتك، لأن به حُفراً أو كذا أو كذا، أو أن في هذا الطريق مشاجرة كبيرة فيها إطلاق رصاص، ولو ذهبت إلى هناك لقتلوك، هل يكون في هذه الحالة أساء إليك أم أنعم عليك؟ أما ما تلاها من آيات العذاب فذكرها هي أيضاً من نعم الله علينا، كيف ذاك؟ لأنها تحذرننا من أن نسلك مسالك الغواية والضلال، حتى لا يكون مصيرنا الهلاك والدمار، ثم أتبعها الله جل وعلا بمصير عباد الرحمن، فقال: {وَلَمَرَّ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ [الرحمن: ٤٦]} فمن أول هذه الآية إلى آخر السورة وصف الجنان دار عباد الرحمن، اللهم اجعلنا منهم يا حنّان يا متّان يا ذا الجلال والإكرام.. اللهم آمين، والله أعلم.

س ٤٦٥- يقول القرآن: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: ٢١] كيف تخشع الجبال وتتصدع من خشية الله عند وضع القرآن أو قراءته عليها، ونحن نرى سكان الجبال من المسلمين يضعون المصحف عليها، ويقرأونه، ولا يحدث لها أى شىء؟

ج ٤٦٥- إن هذا السؤال فيه من الجهل ما فيه، فهل قال الله سبحانه وتعالى (لو وضعنا هذا القرآن على جبل) أم قال: {لَوْ أَنْزَلْنَا}؟ وهل وُضِعَ القرآن على رأس رسول الله ﷺ؟ وبمعنى آخر: هل لو وضعنا المصحف على رأس أحد من المسلمين، يرتجف قلبه، ويقشع جلده، ويكسى من خشية الله؟ إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه ﷺ: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْأَعْلَمِينَ ﴿١٩٤﴾ تَوَلَّىٰ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٥﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] فتزول القرآن على القلب، وليس على البدن كما ظن السائل. والقرآن عبارة عن أوامر ونواه، ومواعظ وأخبار، وترغيب وترهيب، فلو نزل القرآن على جبل، وكلف بالأوامر والنواهي، ووُعِظَ بالموت، وبالجنة والنار، لخشع وتتصدع من خشية الله، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب: ٧٢] فحين عرض الله عليها الأمانة (وهي التكليف) أبَت واختارت العبودية

الجبرية، أما الإنسان فقد اختار العبودية الاختيارية، بمعنى أن السموات والأرض والجبال أتبن أن يكونوا مُخَيَّرين بين الطاعة والمعصية، لخوفهم ألا يقوموا بحق العبودية لربهم، فيستحقوا بذلك عقابه، واختاروا أن يكونوا عبيداً لله، كالملائكة المجبولة على الطاعة، وليس لها اختيار بين الطاعة والمعصية، أما الإنسان فقد اغتر بعقله، ورضى أن يكون مُخَيَّراً بين الطاعة والمعصية، فوقع فيما وقع فيه، ولم يؤدِّ حق الله عليه، إلا ما رحم ربي، وبذلك ظلم نفسه، وهو جاهل بهذه المسؤولية الشائكة.

والذين نارت دهشتهم من تصدُّع الجبل لو أنزل القرآن عليه، جاء في كتابهم المقدس أنهم يستطيعون أن ينقلوا الجبل من مكانه، ويطرحوه في البحر، وأن الحجارة تصرخ بالتسبيح:

لأن الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له. (مرقس ١١: ٢٣)

ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتداء كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوآت التي نظروا. قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب. سلام في السماء ومجد في الأعلى. وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له يا معلّم انتهر تلاميذك. فأجاب وقال لهم أقول لكم إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ (لوقا ١٩: ٣٧-٤٠)، والله أعلم.

س ٤٦٦- يقول القرآن: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة: ٥] فهل اليهود كذبوا بالتوراة؟

ج ٤٦٦- إن اليهود لم يكذبوا بالتوراة بالسننهم، ولكن كذبوا بعملهم، لأنهم لم يقيموا التوراة كما أمرهم الله، أي أنهم لم يأتمروا بأمرها وينتهوا بنهيها {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا} قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا {البقرة: ٩٣} ليس هذا فحسب، بل إنهم حرّفوها، مع أن الله عز وجل قد وكل إليهم حفظها {بِمَا اسْتُخْفِفُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} [المائدة: ٤٤] والله سبحانه وتعالى خاطبهم بقوله: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: ٨٥] وقد قال

لهم هذا القول لأنهم امتثلوا لبعض أوامره، ولم يمتثلوا للبعض الآخر، فكأنما آمنوا بما فعلوه، وكفروا بما تركوه، والله أعلم.

س٤٦٧- إن القرآن يكسر القاعدة في العطف، ويجزم الفعل المعطوف على المنصوب في قوله: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون: ١٠] وكان يجب أن يكون السياق كالاتي (فأصدق وأكون) وليس كما جاء في الآية: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن}

ج٤٦٧- إن هذه الشبهة جاءت في قوله تعالى: {وَأَكُن} لأنه محذوف الواو وساكن النون، وهو فعل معتل الوسط بالواو أجوف، ولا يحذف الواو منه إلا إذا سکن آخره، ولا يسكن آخره إلا إذا كان مجزوماً، ويجزم المضارع إذا دخل عليه جازم، أو عطف على مجزوم، ولما لم يدخل على الفعل هنا جازم، ولم يتقدم عليه مجزوم يصح جزؤه بالعطف عليه. ولقد وجه الإمام الزمخشري الفعل {وَأَكُن} مجزوماً مردوفاً على الفعل المنصوب {فَأَصَّدَّقَ} بأن قوله تعالى: {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي} في محل جزم لتضمينه معنى الشرط، فكأنه قيل (إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين) وكذلك قال ابن عطية وأبو على الفارسي، لم تكن هذه القراءة الوحيدة في جزم الفعل {وَأَكُن} فقد قرأه أبو عمرو {وأكون} بالنصب عطفاً على {فَأَصَّدَّقَ} ونرى أن التوجيه بهذا الفعل مجزوم على تضمن عبارة التمني {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ} أو على الشرط المقدر ب(إن أخرتني) وقد سبق إلى القول به علّمان من أئمة النحو هما الخليل وسيبويه، والذي سوغ إثارة عبارة التمني {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي} على الشرط الصريح (إن أخرتني) أن قائل هذه العبارة يقولها في ساعة يملكه فيها اليأس من التأخير، وهي ساعة حضور الموت، والتمني كما نعلم يستعمل في طلب المحال أو المتعذر، أما الشرط فيستعمل في الأمور التي لا استحالة فيها ولا تعذر، وقرينة جواب الشرط من عبارة التمني هو جزم الفعل {وَأَكُن} وسره البلاغي أن من حضرته الوفاة وهو مقصر في طاعة الله تدفعه شدة الحاجة التي نزلت به إلى طمع من نوع ما مما هو مستحيل أو متعذر الوقوع، ومما تقدم يظهر لنا استقامة العبارة القرآنية وبعدها عن كل خلل، ووقاؤها بالمعنى المراد نحواً وبيانياً، والله أعلم.

س٤٦٨- يزعم القرآن أن الأزواج والأولاد أعداء، في حين أنهم أحب الناس،

فكيف يكونون أعداء؟ وقرأوا إن شئتم: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤] {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمُولُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [الأنفال: ٢٨]

ج ٤٦٨ - هل قال الله سبحانه وتعالى (إن أزواجكم وأولادكم عدو لكم) أم قال: {إِنَّ مِنْ}؟ أى أن بعضهم أعداء، وليسوا كلهم أعداء. وهذه الآية نزلت في قوم آمنوا بمكة، ولكنهم لم يهاجروا إلى المدينة المنورة كما هاجر غيرهم إلا بعد وقت طويل، وكان السبب في تعطيلهم عن الهجرة هم أزواجهم وأولادهم، فلما هاجروا وجدوا أن إخوانهم قد سبقوهم، وتفوقوا عليهم في العلم والجهاد وغير ذلك، فهموا بمعاينة أهلهم الذين كانوا السبب في تخلفهم عن إخوانهم، فأنزل الله الرحيم على رسوله الكريم {وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فغفوا عنهم. أما الآية الأخرى فمعناها أن الأموال والأولاد فتنة، والفتنة هى الاختبار أو الامتحان، وتكون بالشر والخير، كما ورد في قوله جل وعلا: {وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء: ٣٥] والاختبار لا يُحَكَّم عليه بدم أو مدح إلا بنتيجته، فمن اختبر بفتنة المال، فعرف حق الله فيه، وصرّفه فيما يرضيه، ولم يستعن به على معصيته، كان له أجر، وإن أخرجته غناه عن طاعة مولاه، وصرّف النعمة فيما يُغضب الله، كان عليه وزر، وكذلك الفقر والصحة والمرض والتوفيق والنجاح والأولاد (وُجوداً أو عَدَمًا) وغير ذلك مما يُتلى به المرء من خير أو شر، إن اتقى الله فيه كان له أجر، وإن لم يتقه كان عليه وزر، قال رسول الله ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" [صحيح الجامع: ٣٩٨٠] والمال والأولاد من أعظم الفتن، فكم ممن ابتلاه الله بالغنى، فأشرب وبطّر، وطغى وتكبر، ولم يراعِ حق الله فيه، وكم ممن ابتلاه الله بالفقر فسخط وتضجر، واشتكى لغير الله، ولم يصبر على بلواه {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ} [الفجر: ١٥-١٦] وهل ضييع الناس - بعد الكفر - إلا الحرص على المال والأولاد والشهوات؟ قال رسول الله ﷺ: "أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قَدِمَ بشيء من البحرين فأبشرو وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى

عليكم أن تُبَسِّطَ عليكم الدنيا كما بُسِّطَتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتَهْلِكْكُمْ كما أهْلَكْتَهُمْ" [صحيح الجامع: ١٠٣٦] وقال: "إن الولد مَبْخَلَةٌ، مَجْبَنَةٌ، مَجْهَلَةٌ، مَخْزَنَةٌ" [صحيح الجامع: ١٩٩٠] "مبخلة" أى يجعلون آباءهم يبخلون بأموالهم، فإذا دُعُوا إلى الإنفاق في سبيل الله، كال تبرع للمساجد، أو كفالة الأيتام، أو مساعدة الفقراء والمساكين، تذكروا احتياجات أولادهم من الأطعمة، والملابس والأحذية، والكتب والكراريس وغير ذلك.. فبخلوا بأموالهم. "مجنبة" أى يجعلونهم جنبا يتقاعسون عن الجهاد في سبيل الله، أو لا يقولون كلمة الحق لخوفهم على رزقهم، فمثلاً: لو دُعِيَ أحدهم للشهادة في مشاجرة بين مديره وأحد السُّعَاة، وكان الحق مع الساعى، فيخشى أن يقول الحق خوفاً من مديره أن يطرده من عمله، أو ينقله إلى مكان أقل في الحوافز أو العمل الإضافى.. إلخ. "مجهلة" أى لا يُمكِّن الإنسان من الاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، لانشغاله بالسعى على أرزاقهم أيضاً. "مخزنة" لكثرة مشاكلهم من مرض، أو رسوب، أو انحراف، أو كثرة احتياجات، أو غير ذلك، والمُوفِّق من وفقه الله جل وعلا {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَحْرَمِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤] {يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَهِكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ عَنْ دِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقين: ٩-١١]

ثم إنكم تنكرون علينا اعتبار بعض الأزواج والأولاد أعداء، في حين أن كتابكم المقدس يأمركم بعداوتهم، إذ يقول:

وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم إن كان أحد يأتي إلى ولا يُبغض أباه وأمه وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً. (لوقا ١٤: ٢٥-٢٦)

فإني جئتُ لأفَرِّقَ الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماها. وأعداءُ

الإنسان أهل بيته (متى: ١٠: ٣٥-٣٦)

لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين. واثنان على ثلاثة. ينقسم الأب على الابن والابن على الأب. والأم على البنت والبنت على الأم. والحماة على كُنَّهِنَّ والكُنَّة على حماها. (لوقا: ١٢: ٥٢-٥٣)، والله أعلم.

س ٤٦٩- يقول القرآن: {وَأَلَّتِي يَسْتَنِّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ آرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَأَلَّتِي لَمْ يَحْضَنْ { [الطلاق: ٤] هل يبيح الإسلام للرجل أن يتزوج طفلة لم تحض بعد؟

ج ٤٦٩- من قال لكم إن التي لم تحض هي الطفلة فقط؟ إن أطباء النساء، على مستوى العالم أجمع، يُقِرُّون بأن هناك حالات كثيرة جداً من النساء اللاتي لا يحضن، إما لضمور أو تليف في المبيضين، أو اختلال في هرمونات التبويض، أو اختلال في وظائف الرحم، أو إصابتهن بأمراض تمنع عنهن الحيض، أو تعرضهن للإشعاع كعلاج للأورام.. إلخ، مع أمن كاملات الأنوثة كغيرهن، إلا أنهن لا ينجن. وأحياناً يتأخر مجيء الحيض إلى سن السادسة عشرة، والسابعة عشرة، ورغم أن البنت تكون في كامل أنوثتها كمثلاثتها من البنات اللاتي يحضن، ففي هذه الحالات الاستثنائية تكون عدتهن مثل اللاتي انقطع الطمث عنهن، أي ثلاثة أشهر. أما العقد على الطفلة (وليس البناء بها) فقد أحله بعض الفقهاء في بعض الحالات، مثل الخوف على البنات والأولاد من الانحراف، في الأسر أو الجاليات المسلمة التي تعيش في البلاد الكافرة، لضمان جعلها في عصمة رجل، بدلاً من أن تقع في حبال الغواية والرذيلة في تلك البلاد الكافرة، والله أعلم.

س ٤٧٠- يجمع القرآن المثني مرة أخرى، فيقول: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: ٤] وكان المفروض أن يقول (قلباكما)

ج ٤٧٠- لقد جُمِعَ (القلب) لأنه ما سُمِّيَ (القلب) قلباً إلا لأنه يتقلب، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مِثْلُ الْقَلْبِ مِثْلُ رِيْشَةِ الْفَلَاةِ تَعَلَّقَتْ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، يَقْلِبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ" [صحيح الجامع: ٢٣٦٥] فتجده يوماً فرحاً ويوماً حزيناً، يحب يوماً ويغض يوماً، ينشرح يوماً وينقبض آخر.. وهكذا، ولذلك كان الرسول ﷺ يكثر من قول: "يا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" فلما سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: "إِنَّهُ

ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٤٨٠١] وتقلب قلب المرأة أكثر من الرجل، لأنها عاطفية أكثر منه، فكان لها أكثر من قلب، وقد قال الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضى الله عنها: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غَضْبِي" فقالت: ومن أين تعرف ذلك؟ فقال: "أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عليّ غضبي قلت: لا ورب إبراهيم" فقالت: أجل يا رسول الله، ما أهرج إلا اسمك [متفق عليه] ولذلك قال تعالى: {قُلُوبُكُمْ} ولم يقل {قلباكما}، والله أعلم.

س ٤٧١- يقول القرآن عن امرأة نوح وامرأة لوط: {وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِيْنَ} [التحریم: ١٠] هنا خطأ لغوي، لأن المفروض أن يقال (ادخلا النار مع الداخلات)

ج ٤٧١- امرأة سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تسخر منه كما يسخر الرجال من قومه {وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ} [هود: ٣٨] فهي التي أشاعت عنه أنه مجنون، رغم ما كانت تراه من ورعه وتقواه، فناسب أنها تدخل النار معهم. وكذلك امرأة سيدنا لوط - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - عندما جاءت الملائكة إليه على هيئة رجال حسان، صعدت فوق سطح بيتها ولوحت لقومها بدرعها أن هلمّ إلى حاجتكم، وهذا فعل الذكور.. فما شأنها به؟ ولكنه مجرد حب وولاء لقومها، ولو على حساب زوجها ودعوته، فناسب أن تدخل النار معهم. كما أن في لغة العرب يُعامل الجمع المختلط من الرجال والنساء معاملة جمع المذكر السالم، فيُلَقَى السلام عليهم جميعاً بصيغة المذكر، وليس المؤنث، ولذلك ناسب أن يقال: {وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِيْنَ} طالما أن فيهم رجال. وجدير بالذكر أن نبيه على أن خيانة امرأتي نوح ولوط لم تكن خيانة زوجية - كما يظن البعض - ولكنها كانت خيانة عقائدية، والله أعلم.

س ٤٧٢- يقول القرآن عن مريم: {وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَدْحَاتِ مِائَةٌ} [التحریم: ١٢] أليس المفروض أن يقال (وكانت من القانتات)؟

ج ٤٧٢- لقد قيل في هذا تفسيران، وكلاهما صحيح إن شاء الله: الأول إن كثرة

عبادتها لربها وتضرعها وقنوتها لم يكن له مثيل في النساء إلا القليل، فُنُسِبَتِ لِلْقَاتِنِينَ لِأَنَّهُمْ كَثِيرٌ جَدًّا لَا يَحْصِيهِمُ الْعَدُّ.. مثل الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأتباعهم من عباد الله الصالحين، قال رسول الله ﷺ: "كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَهَرِيمُ بِنْتِ عِمْرَانَ" [صحيح البخارى] والقول الثانى هو أنها كانت تتعبد في بيت المقدس الذى لم يكن فيه نساء غيرها، والباقي كلهم رجال، ولذلك نُسِبَتِ إِلَيْهِمْ، كأن يكون هناك مسجد ليس فيه امرأة إلا خادمتها، ولها غرفة منفصلة عن الرجال، ولكنها تتعبد معهم، فحين يُذَكَّرُ أَهْلُهُ بِالصَّلَاةِ يُقَالُ: (إِنْ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ صَالِحِينَ) بما فيهم هذه المرأة، والله أعلم.

س ٤٧٣- يقول القرآن: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}

[الملك: ٢] فهل الموت خلق أولاً أم الحياة؟

ج ٤٧٣- إن الموت خلق أولاً، بدليل قول الله جل وعلا: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٨] وقوله تعالى عن الكافرين: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاهُ وَأَحْيَيْتَنَا أَتَنْتَنِي وَأَحْيَيْتَنَا أَتَنْتَنِي فَأَعَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} [غافر: ١١] فنحن كنا مُقَدَّرِينَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ نُخْلَقَ، وَكُنَّا فِي أَصْلَابِ آبَائِنَا كَالْأَمْوَاتِ. ثُمَّ إِنَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ قَبْلَ الْحَيَاةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي السُّؤَالِ يَنْسَبُ مَا ذُكِرَ بَعْدَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} وَلَكِنْ لِمَاذَا خَلَقَهُمَا؟ الْإِجَابَةُ فِي بَقِيَةِ الْآيَةِ {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} فنحن مخلوقون للابتلاء (أى الاختبار أو الامتحان) فذكر الموت أولاً يعيننا على ما خُلِقْنَا لَهُ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَ يُذَكَّرُ بِالْمَوْتِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَعِينُهُ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ، لِأَنَّهُ سَيَلْقَى نَتِيجَةَ اخْتِبَارِهِ وَامْتِحَانِهِ، إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ، وَلِذَلِكَ حَثَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ، فَقَالَ: " أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ: الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ" [صحيح الجامع: ١٢١١] أى إن الإنسان إذا ذكر الموت وهو في "ضيق" فإن هذا يهون عليه ضيقه، لعلمه أن هذا البلاء سينتهى، وأن الدنيا كلها ستنتهى، فَلِمَ كُلُّ هَذَا الْحَزْنِ؟ كَمَا أَنَّ الْمَوْتَ يَذْكُرُهُ بِشَوَابٍ صَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّيْقِ. وَكَذَلِكَ إِنْ ذَكَرَهُ فِي "سَعَةٍ" فَإِنَّهُ يَضِيقُهَا عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يَخْرُجَهُ فَرَحُهُ عَنِ طَاعَةِ

ربه، ويعلم أن كل شيء سينتهى، فلم كل هذا الفرح؟، والله أعلم.

س٤٧٤- يقول القرآن: {لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ} [القلم:٤٩] كان المفروض أن يقال (لولا أن تداركته نعمة من ربه) لأن النعمة مؤنثة، وكيف يكون النبي مذموماً؟

ج٤٧٤- إن قواعد اللغة العربية تجوز تذكير الفعل إذا فصل بينه وبين فاعله المؤنث بفاصل، ففي الآية المذكورة في السؤال فصل بين الفعل (تدارك) وفاعله المؤنث بفاصل وهو (الهاء) ومثال ذلك قوله تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ} [المتحنة:١٠] وفي السورة نفسها: {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ} [١٢] فالفعل (جاء) في الآيتين ورد مذكراً، والفاعل مؤنث.. وهو {الْمُؤْمِنَاتُ} وذلك لأنه فصل بالضمير (الكاف) المتصلة بميم الجمع في الآية رقم ١٠ و(الكاف) المفردة في الآية رقم ١٢، ومن ثم جاز تذكير الفعل. كما أن كلمة (نعمة) تطلق على النعم سواء المؤنث منها أو المذكر، فيقال مثلاً: الهداية نعمة، والصحة نعمة، والزوجة نعمة... إلخ، وهذه كلها أشياء مؤنثة. أما المذكر فيقال مثلاً: العقل نعمة، والذكاء نعمة، والتفوق نعمة، والمال نعمة، والولد نعمة.. إلخ، فما الذي أدرك سيدنا يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام؟ لقد أدركه ذكر الله، فكان سبباً في نجاته، قال الله عز وجل: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} ﴿١٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِيهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصفات:١٤٣-١٤٤].

وفي موضع آخر: {وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} ﴿١٠١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْنَهُ مِنَ الْغَمْرِ وَكَذَلِكَ نُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء:٨٧-٨٨] فلولا ذكر الله ما نجأ، ولذلك جاء في الآية: {لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ} فالذي تداركه هو الذكر الذي كان سبباً في نجاته كما قلنا، والذكر نعمة. أما كونه لولا نعمة ربه لكان مذموماً.. أى معاتباً، فإن ذلك بسبب زلته التي وقع فيها حين خرج من بين قومه غاضباً بغير إذن ربه، فالله سبحانه وتعالى يأمر نبينا ألا يتعجل على قومه كما تعجل أخوه يونس. ولكن لا ينبغي لأى مسلم أن ينتقص من قدر سيدنا يونس، أو يتكلم عليه بسوء، فإن الله سبحانه وتعالى قد غفر له، وقد قال رسول الله ﷺ: "ما ينبغي لنبي أن يقول: إني خير من يونس بن متى" [سنن أبي داود، مسند

أحمد، صحيح الجامع: ٥٨٢١]، والله أعلم.

س ٤٧٥- يزعم القرآن أن نوحاً يدعو للضلال، فيقول: {وَلَا تَدْرِ الْأَظْلَمِينَ إِلَّا ضَلَالًا} [نوح: ٢٤] فكيف يدعو نبي على قومه بالضلال؟

ج ٤٧٥- واضح من الآية الكريمة أن سيدنا نوحاً - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يدع على قومه، ولكنه دعا على الظالمين منهم، و{الظالمين} معناها المشركون، بدليل قول الله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣] ثم إن سيدنا نوحاً لم يدع عليهم إلا بعد أن مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً، فلم يستجب منهم إلا القليل {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود: ٤٠] لدرجة أن الآباء كانوا يوصون أبناءهم بعدم الإيمان به، وكل جيل يوصى الذي بعده، فاشتكى إلى ربه {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا} [نوح: ٥-٦] فهذه الدعوة كانت بسبب تمردهم، وعتوهم، وتجبرهم، كل هذه السنين الطوال، فاستنفدوا صبره فدعا عليهم، لعلمه باستحالة هدايتهم، بعد أن أخبره الله بذلك {وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ آمَنَ} [هود: ٣٦]، والله أعلم.

س ٤٧٦- هل كان نوح من القسوة بحيث يدعو على قومه، ليس هذا فقط، بل يدعو على الذرية أيضاً، كما حكى عنه القرآن في قوله: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [نوح: ٢٦]؟ وهل من عدل الإله أن يستجيب له؟

ج ٤٧٦- إن مثل هذا السائل كمن يقرأ: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون: ٤] ولا يقرأ الآية التي تليها: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} ويقول إن القرآن قد توعد المصلين بالويل، ومثل من يقرأ: {لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ} [النساء: ٤٣] ولا يكمل الآية. إن سيدنا نوحاً - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يدع على قومه إلا بعد علمه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن {وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ آمَنَ} [هود: ٣٦] ولم يدع عليهم إلا بعد أن أتعبوه أشد التعب، فقد لبث فيهم {أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} [العنكبوت: ١٤] يدعوهم {لَيْلًا وَنَهَارًا} [نوح: ٥] فلم يزدهم دعاؤه {إِلَّا فِرَارًا} [نوح: ٦] وكان كل جيل يوصى الجيل الذي بعده بعدم الإيمان به، فكان الرجل يأخذ ولده ويذهب به ليريه سيدنا نوحاً، ويقول له: لا تؤمن بهذا الرجل.. إنه كذاب، وعندما يكبر هذا الولد

وينجب، يقول لابنه الكلام نفسه، فدعا عليهم لعلمه أنه لن يؤمن منهم أحد، ولن يؤمن من ذرياتهم أحد، فكل من سيأتي من أصلهم فسيكون كافراً { إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } [نوح: ٢٧] فهل موت الأطفال وهم صغار قبل أن يكتب عليهم القلم أفضل؟ أم بعد أن يبلغوا الحُلُمَ فيكفروا فيدخلوا النار؟

وقد جاء في الكتاب المقدس أن النبي (اليشع) دعا على الأطفال: ثم صعد من هناك إلى بيت إيل. وفيما هو صاعد في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له اصعد يا أقرع. اصعد يا أقرع. فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب. فخرجت دُبتان من الوعر وافتستا منهم اثنين وأربعين ولداً. (الملوك الثاني: ٢: ٢٣-٢٤)، والله أعلم.

س٤٧٧- يقول القرآن عن كفره الجن: {وَأَمَّا أَلْقِسْطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٥] وهم مخلوقون من النار بنص القرآن، فكيف يُعذبون بما خلقوا منه؟ ج٤٧٧- ذُكِرَ لنا أن الإمام أبا حنيفة (رحمه الله تعالى) سُئِلَ هذا السؤال، فأجاب إجابة عملية بأن ضرب الذي سأله بحجر فأوجعه، ليثبت له أن الإنسان الذي خُلِقَ من الأرض، فإنه يعذب بشيء من جنس ما خُلِقَ منه، كأن يضرب بحجر، أو تقع عليه صخرة، أو... إلخ، فكذلك الجن يعذبون بجنس ما خُلِقُوا منه، والله أعلم.

س٤٧٨- إن القرآن يُصِرُّ الممنوع من الصرف في قوله: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا} [الإنسان: ٤] وقوله: {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَابِعٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا} [الإنسان: ١٥] ففي الآية الأولى جاءت كلمة {سَلْسِلًا} بالتنوين، مع أنها لا تنوّن لمنعها من الصرف، وكذلك جاءت كلمة {قَوَارِيرًا} منوَّنة، وهي ممنوعة من الصرف أيضاً.

ج٤٧٨- قولهم إن الكلمتين {سَلْسِلًا} و{قَوَارِيرًا} تقرأان بالتنوين فيه مغالطة، لأن التنوين نون ساكنة في آخر الكلمة تُنطق في الوصل دون الوقف، ولا تُكتب، يعني لا صورة لها في الكتابة والخط. وفي هذا افتراء لأن الكلمتين في قراءة حفص عن عاصم وغيرهما لا تنوَّنان، وإنما يوقف عليهما بالفتح لا غير، ولا يُلتفت إلى حرف (الألف) الذي في آخر كل منهما. وللقراء في هاتين الكلمتين مذاهب، وبها نزل القرآن، فقد قرأ نافع

وابن كثير والكسائي وأبو جعفر {قَوَارِيرًا} بالتثنية مصروفة منوَّنة في الموضعين، وقرأ الباقون ومنهم (حفص عن عاصم) {سَلْسِلًا} و{قَوَارِيرًا} بدون تنوين على المنع من الصرف، وعلّة المنع من الصرف هي صيغة منتهى الجموع. والذين قرأوها مصروفين لهم سند في ذلك. ووجه صرف الكلمتين أن بعض العرب كانت تصرف كل الكلام، وليس في لهجتهم كلام مصروف وكلام غير مصروف، بل كله مصروف، والقرآن نزل أصلاً بلغة قريش، ثم بلهجات القبائل العربية الأخرى، والله أعلم.

س ٤٧٩ - جاءت الآية: {وَيْلٌ لِلْمُكذِبِينَ} عدة مرات في سورة (المرسلات)

أليس هذا تكراراً مُملاً؟

ج ٤٧٩ - إن تكذيب الأمم لأنبيائهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - لم يكن قليلاً، بل إن معظمهم كذبهم، فناسب ذلك تكرار الوعيد لهم، فإن التكرير يفيد التقرير، وهو أيضاً تخويف لجميع الأمم التي خوطبت بالقرآن إلى يوم القيامة أن تحذو حذوهم، فيكون مصيرها مصيرهم، فما قلناه عن تكرار قصص الأنبياء في الرد على الشبهة رقم (٥٧) نقوله عن تكرار هذه الآية، وذلك لخطورة عاقبة التكذيب، وليبان غضب الله عز وجل على المكذبين، فلو ذُكر الويل لهم مرة أو مرتين لم يكن في ذلك بيان لخطورة أمرهم، وما إليه ما لهم، والله أعلم.

س ٤٨٠ - يقول القرآن: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ [النبا: ١-٣] ولم يكن المشركون مختلفين في أمر القيامة، فقد كانوا جميعاً كافرين به.

ج ٤٨٠ - إن أمر القيامة مُخْتَلَف فيه بين أهل الشرك والكفر، فطائفة تنكره تماماً، وتقول عن الدنيا إنها أرحام تدفع وقبور تبيع، وهؤلاء هم الدهريون، ويُسمون بلغتنا (الملحدين) وطائفة أخرى تقر بالبعث، ولكنها لا تقر بالجنة والنار، حتى إنهم يضعون بجانب الميت طعامه وشرابه وملابسه وزينته، حتى إذا قام من موته وجد هذه الأشياء بجواره فيتنعم بها، وهؤلاء مثل قدماء المصريين، والله أعلم.

س ٤٨١ - يقول القرآن: {ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا [النازعات: ٢٧-٣٠]

هذه الآيات تذكر خلق الأرض بعد السماء، عكس جميع الآيات التي تتحدث عن خلق الأرض قبل السماء.

ج ٤٨١- هل قالت الآية (والأرض بعد ذلك خلقها) حتى تكون لكم الحجة؟ لقد قالت: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنَهَا} أى إن الأرض كانت مخلوقة قبل السموات، ولكن دَحْوَهَا كان بعد خلق السموات، والدَّحْوُ جاء تفسيره في الآية التي بعدها: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا} وهذا ما أثبتته العلم الحديث، والله أعلم.

س ٤٨٢- لماذا عاتب ربكم نبيكم على أنه عيس في وجه عبد الله بن أم مكتوم، مع أنه كان هو المخطئ لقطع الكلام عليه؟ أليس من حقه أن يؤدب أصحابه؟ والغريب في السورة أن القرآن أعز عبد الله بن أم مكتوم حين عاتب فيه محمداً، ثم أهانه حينما قال عنه: {الْأَعْمَى}

ج ٤٨٢- لقد عاتب ربنا نبينا ﷺ لأن العبوس كان أمام المشركين، مما يوحى للمشاهد أن هؤلاء المشركين أفضل من عبد الله بن أم مكتوم ﷺ فهو مأذون له في تأديب أصحابه، ولكن ليس أمام المشركين، حتى لا يشمتوا ويظنوا أنهم أفضل منه. والقرآن لم يُهين عبد الله حين سماه {الْأَعْمَى} ولكن هذا تشريف له، وكأن الله يقول للرسول ﷺ هذا الرجل أفضل عندي من المشركين، برغم أنه أعمى. وهذا العتاب يدل على أن القرآن منزل من عند الله جل وعلا، فلو كان من قول سيدنا محمد ﷺ لَمَا ذكر هذه الآيات التي تعاتبه، والله أعلم.

س ٤٨٣- يقول القرآن: {قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس: ١٧] ويقول: {قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠] فهل الله يدعو على أحد بالقتل؟

ج ٤٨٣- {قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ} ليست دعاء، ولكنها صيغة تعجب من الإنسان الذي منَّ الله عليه بوجوده من العدم، وأنعم عليه بكل النعم، وبعد ذلك يجحد وجوده، ويُضَيِّعُ حقوقه، ويعصى أوامره، فموته أولى به، كمن - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - يربي أولاده، وينفق عليهم، ولا يقصِّر في حقهم، ثم يجحدون فضله، ولا يودون له حقه، فيقول: أنا الذى رببتهم، وفعلت كذا وكذا، ثم لم يحفظوا جميلى عليهم، وإحسانى إليهم، فموثم عندى أفضل من حياتهم. أما {قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} أى أنهم كذبوا على الله جل

وعلا، وأدعوا أن له ابناً، لأن الإفك معناه الكذب، والآية تقول: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} فكلمة {قَتَلَهُمُ اللَّهُ} إذا جاءت من العبد فهي دعاء، وربما يستحيب الله أو لا يستحيب، أما وقائلها هو الله عز وجل فإن ذلك يعنى أن هلاكهم حتمى، لأنها من القادر على كل شىء، فهي ليست دعاء من الله عليهم، ولكنها إيذان منه بهلاكهم، بسبب اجترائهم عليه بنسبة الولد إليه، والله أعلم.

س ٤٨٤ - إن القرآن يُقحم نفسه في أمور علمية لا دخل له بها، فيقول في سورة (الطارق) عن خلق الإنسان إنه: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} مع أن هذا مخالف لما أثبتته العلم الحديث.

ج ٤٨٤ - الله أكبر.. نحن نشكركم لأن أسلتكم تلقى الضوء على الإعجاز العلمى للقرآن الذى ربما يغفل عنه كثير من المسلمين، إن قوله تعالى: {مَاءٍ دَافِقٍ} يشير إلى منى الرجل، لأنه هو الذى يخرج بتدفق، وقد أثبت علم الأجنّة أن بداية تكوين الخصية (التي هي مصنع الحيوانات المنوية عند الرجل) يبدأ في مكان في أعلى البطن (من الخلف) في الزاوية الحادة التي بين العمود الفقري (الصلب) وآخر ضلع من القفص الصدري (الترائب) وتسمى (الزاوية البولية أو الكلوية) نسبة لتكوين الكلوية في هذا المكان، ثم تنزل الخصية بعد ذلك في الكيس الخاص بها، لأن الحيوانات المنوية لا تتحمل درجة حرارة الجسم الداخلية.

وقد جاءت في الكتاب المقدس مخالفة علمية صريحة في قوله: وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان. وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً قائلة هذا خرج أولاً. ولكن حين ردّ يده إذا أخوه قد خرج. فقالت لماذا اقتحمت. عليك اقتحام. فدُعِيَ اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه الذى على يده القرمز. فدُعِيَ اسمه زارح (تكوين ٣٨: ٢٧-٣٠) إن نزول يد طفل من رَحِمِ أمه، ثم رفعها، ثم نزول الطفل الآخر، لأمر مستحيل، لأن الطفل الذى يتزل ذراعه يكون هو المتصدّر في مقدمة الرَّحِمِ، ويستحيل صعوده، ثم نزول أخيه لضيق المكان، وأسألوا أساتذة علم الولادة إن كنتم لا تعلمون، والله أعلم.

س ٤٨٥ - يقول القرآن: {إِنَّمَا يَكِيدُونَ كَيْدًا} ٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٥-١٦]

فهل الله كائد أو كياذ؟

ج ٤٨٥ - حاشا لله سبحانه وتعالى أن يوصف بهذا الوصف، ولكن ما قلناه في الرد على الشبهة رقم (٤٢٦) من أن قول الله جل وعلا: {وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَتَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: ٥٠] يعتبر من باب المشاكلة اللفظية، نقوله أيضاً عن هذه الآية التي نحن بصدددها، فالكفار يكيدون للإسلام والمسلمين، والله سبحانه وتعالى يعاقبهم على هذا الكيد، ولكنه ذكر العقاب بلفظ (الكيد) ليكون الجزاء من جنس العمل. ولنضرب مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لرد الكيد بكيد أكبر منه بمحشرة صغيرة سارت على كتابك وأنت تقرأه، فحركاتها بقلمك، فسكنت مكانها لثوبهمك أنها ماتت، ولكنك تعرف مكرها، ولا يخفى عليك فعلها فقتلتها، أو استدرجتها لمكان آخر حتى تهلك دون أن تلوث كتابك. إن الله سبحانه وتعالى يعلم كيد الكائدين، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم، ولكنه يمهلهم حتى يتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم {أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ} [القمر: ٤٢] قال تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} ٥ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [الفلم: ٤٤-٤٥] وقال رسوله ﷺ: "إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: {وَكَذَلِكَ أَخَذُوا لِيك إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}" [صحيح البخارى] فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - لو أنك أردت أن تكسر أحداً.. فهل تلقى به من فوق السجادة، أم أنك ترفعه إلى أعلى، ثم تلقى به من شاهق؟ فهل رفعك إياه كان لمصلحته، أم أنك أردت أن تكون إصابته أشد؟ ومثال ذلك أيضاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} - كالجزار الذى يريد أن يصعد بثور ضخمة إلى سطح منزل عال ليذبحه، فيجوعه ثم يستدرجه بحزمة من البرسيم ليصعد به ثم يذبحه، ومثل انسحاب جيش أمام الآخر ليوهم أنه مغلوب، في حين أنه يعد له كميناً. ومن أمثلة مكر الله بالكافرين أن يجعل كيدهم في نحوهم، ويكف شرهم عن المسلمين، ويجعل ما فعلوه من الكيد والمكر في مصلحة الإسلام والمسلمين، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل من الضر نفعاً، ومن النفع ضرراً، والله أعلم.

س ٤٨٦ - كيف يعيب القرآن على الإنسان اعترافه بنعمة ربه {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا

أَبْتَلْنَاهُ رَبَّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ}؟ وكيف يسمى (الإكرام) بلاء؟ ثم يقول:

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَنَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ {الفجر: ١٦} وهذه حقيقة أن الفقر بلاء، وأنه يهين الإنسان، قال علي بن أبي طالب: لو كان الفقر رجلاً لقتلته، ثم يساوى القرآن بعد ذلك في الذم بين الإكرام والتضييق.

ج ٤٨٦- إنَّ بَسْطَ الرِّزْقِ وَتَضْيِيقَهُ ابْتِلَاءٌ لِلْعَبْدِ، فإذا بسط الله له رزقه فقد اختبره أي شكر أم يكفر، وإذا ضيق عليه فقد اختبره أي صبر أم يجزع، فساوى بينهما لأهما بلاء، كما قال تعالى: {وَتَجَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْأَخْثِرِ فَتَنَةٌ} [الأنبياء: ٣٥] ولكن بسط الرزق أو تضييقه ليس مقياساً لتكريم الله الحقيقي لعبده أو إهانته، وإن كان تكريماً له في الدنيا {فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ} فكم ممن بسط الله لهم الأرزاق، وهم لا يساؤون عند الله جناح بعوضة، وكم ممن ضيق عليه رزقه، وهو كريم على الله سبحانه وتعالى، ذلك بأن تفاضل الناس عند الله بالتقوى، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ} [الحجرات: ١٣] وقال رسوله ﷺ: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا {فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا} [متفق عليه] وقال: "كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٤٥٧٣] "طمرين" تشبیه (طمر) وهو الثوب الخلق.. أى القديم. وقال: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" [صحيح الجامع: ١٨٦٢] ولكن رغم هذه الآيات والأحاديث وغيرها فإن كثيراً من المسلمين - وللأسف - يعتبرون الذى وسع الله عليه فى المال والأولاد، والمسكن والمركب، وغير ذلك من مظاهر النعيم، أنه راضٍ عنه، والذى ابتلاه بالفقر والمرض، وقلة الأولاد أو عدمهم، وضيق المسكن، أنه ساخط عليه، ولذلك حتم الله سبحانه وتعالى الآيتين بقوله: {كَلَّا} أى ليس الأمر كما تظنون بالنسبة للإكرام والإهانة، والله أعلم.

س ٤٨٧- يقول القرآن: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ} [البلد: ٣] والمقصود هما إسماعيل ومحمد حسب بعض التفاسير عندكم، ولأن المولود عاقل فكان الصحيح أن يقول (ومن ولد) لأن (من) تدخل على العاقل.

ج ٤٨٧- إن المولود وإن كان من البشر العقلاء إلا أنه لا يعقل وهو رضيع، فليس عند أى رضيع عقل بالمرّة، فلذلك جاء بما يناسبه وهو حرف (ما)، والله أعلم.

س ٤٨٨- بقول القرآن: {وَتَنَفَّسْ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: ٧-]

٨] كيف يلهمها فجورها ثم يعذبها؟

ج ٤٨٨- ولماذا لم تسألوا أيضاً وتقولوا: كيف يلهمها تقواها ثم ينعمها؟ إن إلهام الله سبحانه وتعالى للنفس بالفجور أو التقوى ليس قهراً لها، ولكنه إيجاء وشعور داخلي يميز به الإنسان بين الحق والباطل، وبين الخير والشر. وكما قلنا في الرد على الشبهة رقم (٥٣) إن النفس البشرية السوءية تستطيع بفطرتها التي فطرها الله عليها أن تفرق بين الخير والشر، بدليل أن أعتى العصاة لو سألته عن أفعاله القبيحة أهي حلال أم حرام، لقال لك إنها حرام، دون أن يعلم الدليل على حرمتها، وإذا سألته هل يعتبر أفعاله صالحة أم قبيحة، لقال إنها قبيحة، وبدليل أن الدول الكافرة والمشاركة تنفق في كثير من الأحيان في تحريم ما حرمه الإسلام وجميع الملل، كالقتل، والسرقه، والزنى، وغير ذلك من المحرمات. فالنفس البشرية مهياة لأن تكون صالحة أو فاسدة، والإنسان هو الذي يقوى أحد الأمرين في نفسه، ولذلك قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٩-١٠]

وإلهام الله تعالى للنفس بالتمييز بين الفجور والتقوى من رحمة الله سبحانه وتعالى. أما الكتاب المقدس فقد زعم أن الله لا يريد لبني آدم أن يميزوا بين الخير والشر، فقال: وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. (تكوين ٢: ١٥-١٧) فهل الله لا يريد للبشر أن يعرفوا الخير من الشر؟ فكيف يُوفَّقون في دنياهم وآخرتهم إذن؟ وكيف يُحاسَبون على أفعالهم يوم القيامة، وهم لا يدرون أهي خير أم شر؟، والله أعلم.

س ٤٨٩- يقول القرآن: {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَيْنَهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحْنَهَا ﴿٦﴾ وَتَنَفَّسْ وَمَا سَوَّيْنَاهَا} [الشمس: ٥-٧] أليس من المفروض أن يقال (ومن بناها) (ومن طحاها).. إلخ، لأن (ما) لغير العاقل، و(من) للعاقل؟

ج ٤٨٩- إن {ما} في الآيات الكريمة مصدرية، أي أنها تُؤوَّل مع فعلها إلى مصدر صريح (وبنائها، وطحوها) وليست لضمير المتكلم، فلا تعنى عاقلاً أو غير عاقل، كما جاء في قوله تعالى: {بِمَا غَفَر لِي رَبِّيَ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} [يس: ٢٧] ومثل: {وَلَا تَنكِحُوا مَا

نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٢٢]، والله أعلم.

س ٤٩٠- إن القرآن ينص على أن نبيكم كان ضالاً، فيقول: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ} [الضحى: ٧]

ج ٤٩٠- ما معنى كلمة (ضال)؟ إن معناها (تائه) أو (حائر) بأدلة كثيرة، منها قول الرسول ﷺ: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهرول" [صحيح الجامع: ٨١٣٨] والشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: "ضالته" والرسول ﷺ كان قبل بعثته حائراً لا يعرف الحقيقة، فهو يرى قومه يعبدون الأصنام، ويتدون البنات، ويشربون الخمر، ويقطعون الرحم، ويسبون الجوار، وغير ذلك من الشوائب والخصال التي لا يرضاها عاقل، وكان أثقل شيء عليه هو عبادتهم لهذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، يصنعونها بأيديهم، ثم يسجدون لها، ويقدمون لها القرابين، فكان يدرك بفطرته السليمة أنه لا بد لهذا الكون من خالق عظيم، خلق كل شيء، ولم يخلقه شيء، ولكنه كان لا يعرف الطريق إلى هذا الخالق العظيم جل جلاله، ولا صفاته، ولا أوامره ونواهيه، ولا ثوابه وعقابه، فكان يذهب إلى غار حراء، وينقطع فيه الليالي ذوات العدد، ليتفكر في هذا الكون الهائل المحيط به، ويُقلِّب وجهه في السماء، يتفكر في خالقها الذي أبدعها بهذا الجمال والكمال، إلى أن من الله عليه وهداه، وجعله هداية ورحمة للعالمين، ففتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمماً، وقلوباً غلغلاً، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى جميع أنبياء الله ورسله. فلا قياس إذن بين حيرته ﷺ قبل هدايته، وبين ضلال الكافرين الذي رماه به المبتلون، والله أعلم.

س ٤٩١- إن القرآن قد خالف ترتيب الرسل فقال: {وَالَّذِينَ وَالزِّيْتُونَ} ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين: ١-٣] لقد بدأ بعيسى ثم موسى ثم محمد.

ج ٤٩١- إن ترتيب الرسل تعرفه الأطفال، ولا يحتاج لنبوغ هؤلاء الأعداء. إن الله عز وجل لم يُقسم بالتوراة التي أنزلها على سيدنا موسى، ثم بالإنجيل الذي أنزله على سيدنا عيسى، ثم بالقرآن الذي أنزله على سيدنا محمد، حتى يكون الترتيب حسب إرسالهم،

ولكن {الَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ} إشارة لمكان رسالة سيدنا عيسى في فلسطين، فهي إشارة للمكان وليست للرسول، و{طُورِ سِينِينَ} هو المكان الذي كلم الله عنده سيدنا موسى، وهو في سيناء بمصر، و{هَذَا أَلْبَلَدُ الْأَمِينِ} إشارة لمكان رسالة سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهو أفضل الأماكن على الإطلاق، لأنه مهبط آخر وحى السماء لأهل الأرض، وبه الكعبة المشرفة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ولقد قال العلماء: إن هذا قَسَمٌ، والله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا على أمر خطير، فهذا الترتيب يشير إلى خطورة فلسطين، لأنها البوابة الشمالية للحجاز، وهي البوابة الشرقية لمصر، وهذه هي المواقع الرئيسية التي من الممكن أن يقصدها أعداء الإسلام ليقتلوا الدين ويهدموا الكعبة، ولكن هيهات هيهات، فلن يمكنهم الله عز وجل من ذلك إن شاء الله تعالى. فالترتيب في الآيات الكريمة كأنه ترتيب استراتيجي أو عسكري، لَلْفَتِ الانتباه إلى ما يؤدي لبلد الله الحرام، فإذا ضاعت فلسطين ضاعت سيناء، وهذا ما حدث، فقد احتلتها إسرائيل عام ٥٦ ثم خرجت منها بقرار من الأمم المتحدة، ثم احتلتها مرة أخرى عام ٦٧، ثم أُخْرِجَتْ منها في رمضان عام ٧٣. فمصر هي قلب العرب، وذراعهم اليميني، ولو قُطِعَت الذراع اليميني لوقع العرب.

ونريد أن نسألكم بمناسبة ذكر التين: هل لعن معبودكم شجرة التين ثم طهر الهيكل، أم طهر الهيكل ثم لعن الشجرة؟ وما هو التناقض نظرحه بين أيديكم:

ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وَقَلَبَ موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم. مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدْعَى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص... ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك وفي الصباح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع. فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد. فبيست التينة في الحال. فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف بيست التينة في الحال. فأجاب يسوع وقال لهم. الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكُّون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون. (متى ٢١:

وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً. لأنه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد. وكان تلاميذه يسمعون وجاءوا إلى أورشليم. ولما دخل يسوع الهيكل ابتدا يُخْرِج الذين كانوا يبيعون ويشترُونَ في الهيكل وَقَلَب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع... ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول. فتذكر بطرس وقال له يا سيدي انظر. التينة التي لعنتها قد يبست. فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم إيمان بالله. لأني الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له. لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا إن تناوله فيكون لكم. (مرقس ١١: ١٢-٢٤)

إن النص الأول يوضح أن الدعاء على شجرة التين كان بعد تطهير الهيكل، بعكس ما جاء في النص الثاني من أن الدعاء عليها كان قبل تطهيره، كما أن النص الأول ذكر أن التينة يبست في الحال بعد الدعاء عليها، أمّا النص الثاني فيقول إنها يبست في اليوم التالي. ونحن نسألكم: ما ذنب شجرة التين إذ لم تثمر؟ ولو كان إلهاً - كما تدعون - ألم يكن يعلم أنه ليس وقت ثمرها؟ وهل كان في حاجة إلى أن يصل إليها - بعدما رآها من بعيد - حتى يعلم أن بها تيناً أم لا؟ وهل جاء أحد بعده - أو في زمنه - ممن آمنوا به أمر أي جبل أن ينطرح في البحر فانطرح، أو نال كل ما يطلبه في صلاته، وكأنه يقول للشيء كن فيكون؟، والله أعلم.

س ٤٩٢- جاء في سورة (التين) جمع (سيناء) فقال عنها محمد: {سِينِينَ} مع أنها لا تُجْمَع، وقد فعل محمد ذلك تكلفاً للسجع في هذه السورة {وَطُورِ سِينِينَ} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ {

ج ٤٩٢- إن {سِينِينَ} ليست جمعاً لسيناء، ولكنها اسم آخر من أسمائها الأربعة، فهي {سِينَاءَ} [النمل: ٢٠] بفتح السين، و{سِينَاء} بكسرها، و{سِينَا} و{سِينِينَ} [التين: ٢] كما أن مكة لها أكثر من اسم، فهي {مَكَّة} [الفتح: ٢٤] و{بَكَّة} {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

بِنَكَّةَ} [آل عمران: ٩٦] و{الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين: ٣] و{أُمُّ الْقُرَى} [الشورى: ٧] و{الْبَلَدِ} [البلد: ١] و{الْبَلَدَةِ} [النمل: ٩١]، والله أعلم.

س ٤٩٣ - كيف يقول القرآن لبيكم: {أَقْرَأُ} [العلق: ١] وهو لا يعرف القراءة؟

ج ٤٩٣ - من الذى قال له: {أَقْرَأُ}؟ إنه الله سبحانه وتعالى عن طريق سيدنا جبريل عليه السلام، أليس كذلك؟ فإذا قال الله الخالق القادر لأى شىء {أَقْرَأُ} لقرأ ولو كان جماداً {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] وقد قال الرسول ﷺ مرتين: "ما أنا بقارئ" فقال له سيدنا جبريل في الثالثة: {أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ١-٥] والرسول ﷺ لم يقرأ فى كتاب، فقد عاش أمياً ومات أمياً، ولكن قراءته كانت تلقيناً من سيدنا جبريل عليه السلام. وهنا قد يتساءل أحد ويقول: ما دامت قراءة الرسول كانت تلقيناً وليست من كتاب، فما وجه الإعجاز إذن؟ ونقول له: لو أن الرسول ﷺ علم القراءة كما كان فى حفظه للقرآن إعجاز، لأنه سيراجعه مراراً وتكراراً حتى يثبت، كما يفعل أحدنا إذا أراد أن يحفظ شيئاً فلا بد أن يراجعه عدة مرات، ولو كان متعلماً تعليماً عالياً، أما الرسول ﷺ النبى الأمى فكان يحفظه بمجرد السماع مرة واحدة، والدليل على ذلك أنه حين أراد أن يردد خلف سيدنا جبريل عليه السلام قال الله له: {لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} ⑤ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ⑥ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ⑦ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: ١٦-١٩] ليس هذا فحسب، بل كان من شدة حفظه ﷺ أنه إذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوها فى سورة كذا بعد آية كذا، ثم حين يصلى بأصحابه ﷺ يقرأ السورة بالإضافة الجديدة التى أمرهم بكتابتها، دون أن يختلط عليه الأمر، فمن منا يستطيع ذلك؟ لقد كان ﷺ يردده على مر السنين كما هو، فى حين أن أحدنا - ولو كان أمهر خطيب - لو قلت له بعد خطبته مباشرة: أعد ما قلته تماماً، بحيث لا تُنقص منه ولا تزيد عليه كما استطاع. وشىء آخر: من علم الرسول ﷺ الفرق بين نطق {المر} التى فى أول سورة (البقرة) وغيرها، و{ألم} التى فى سورة (الشرح) وغيرها؟ إن الأمى يمكنه أن يحفظ الآية، ولكن لا يعرف حروفها، فإذا قلت له: (تَهجى) كلمة كذا كما استطاع، أما الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى علمه فكان ينطق {المر} فى أول سورة (البقرة) وغيرها:

ألف لام ميم، أما الأخرى فينطقها {ألم}. وأمّية الرسول ﷺ يلتبس أمرها على بعض الناس، وربما تفاخر الأُمّي بأميته وقال: أنا مثل الرسول. ونقول له: إن أمية أى أحد منا تعتبر عيباً، أما في حقه ﷺ فهي شرف.. لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى علمه، أما نحن فعلنا البشر، وهذا كرم من الله جل وعلا، أما تعليم الرسول فكان من الله، ولذلك فهي من {الْأَكْرَمُ} [العلق: ٣]، والله أعلم.

س ٤٩٤ - يقول القرآن: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} ٥ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: ٧-٨] طالما أن كل إنسان يرى ما عمله من خير أو شر، فما فائدة التوبة؟ وإذا كان الحساب يوم القيامة على الشر بمئقال الذرة، فأين كرم الكريم، ورحمة الرحيم؟

ج ٤٩٤ - إن للتوبة فوائد عظيمة لا ينكرها إلا جاحد، وهناك من الآيات والأحاديث التى تثبت فضلها ما لا يخفى على الكبير ولا الصغير، أما رؤية الإنسان لذنوبه يوم القيامة فلا تنفى مغفرة هذه الذنوب، فإن الله سبحانه وتعالى يقرر العبد المؤمن بذنبه ثم يغفره له، كما جاء في الحديث الشريف: "إن الله تعالى يُدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وسِتره من الناس، ويُقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أى رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فأنى قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يُعطى كتابَ حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأَشهاد {هَتُؤَلِّأُ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [صحيح الجامع: ١٨٩٤] أما الحساب بمئقال الذرة فهو عين الكرم، لأنه بعد إحقاق الحق كاملاً يُدخلُ اللهُ المؤمنين الجنة برحمته، وليس بعدله، ولو أدخلهم الجنة قبل أن يريهم سيئاتهم، لظنوا أنهم دخلوها بعملهم، قال رسول الله ﷺ: "لن يُدخل أحدًا عمله الجنة، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضله برحمته، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنى أحدكم الموت، إمّا محسن فلعله يزداد خيراً، وإمّا مُسيء فلعله أن يستعذب" [صحيح الجامع: ٥٢٢٢] فالله يعطى المؤمن على الحسنة عشرة أمثالها، وقد يزيد، أما السيئات فلا تُضاعف، وقد يغفرها الله جل وعلا. والحساب بمئقال الذرة يجعل المؤمن يراقب الله جل وعلا في كل صغيرة وكبيرة، فلا يستهين بالصغائر معتمداً على أن الله سيغفرها له، كما أن الذنب وإن كان

صغيراً فقد يدل على الاستهانة بجلال الله وعظمته، والإصرار على الصغائر قد يحوّلها إلى كباثر، وقد قال العلماء: (لا تنظر إلا صغر المعصية ولكن انظر إلى من عصيت) والحسنات والسيئات قد تبدو - أحياناً - في أعين الناس صغيرة، ولكنها عند الله كبيرة، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف كان ذلك يا رسول الله؟ قال: "مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يُقرب له شيئاً، قالوا لأحدهما قرب، قال ليس عندي ما أقرب، قالوا قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر قرب، فقال ما كنت لأقرب لأحد دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة" [رواه الإمام أحمد] وقال ﷺ: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة" [صحيح الجامع: ١٦١٩]، والله أعلم.

س ٤٩٥ - كيف يقول ربكم لبيكم: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ آلِ فِيلٍ} [الفيل: ١] وكان عمره حينئذ خمسين يوماً؟

ج ٤٩٥ - إن حواس الإنسان قد لا تصدّقه، كأن ترى إنساناً يأتي من بعيد فتقول إنه فلان، وعندما يقترب منك تجده إنساناً آخر، أو تسمع صوتاً فتحسبه صوت أحد تعرفه، ثم يتبين لك خطؤك، وفي بعض حالات المرض يرى الإنسان أو يسمع أشياء لا وجود لها، وأحياناً يرى عدة أشخاص مشهداً واحداً، وكل منهم يصفه بطريقة مختلفة، أما رؤية الله عز وجل فهي أعظم وأكمل وأتم من أي رؤية، ولو للرسول ﷺ نفسه، وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى مُحال عليه الكذب {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧] {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢] فلا أحد أصدق من الله تبارك وتعالى، فحين يقص علينا قصصاً نصدقه أكثر من أنفسنا، لأنه - كما ذكرنا - أن حواسنا ربما تخوننا، وكذلك فإن ذاكرتنا ربما تخوننا، أما هذا فمُحال أيضاً على الله سبحانه وتعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مرم: ٦٤] ولهذا كان تصديق الرسول ﷺ لربه أعظم مما لو رأى الحدث بنفسه، فلذلك خاطبه ربه بقوله: {أَلَمْ تَرَ}، والله أعلم.

س٤٩٦- كيف تعربون {فَعَلَ} في هذه الآية: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}

[الفيل: ١]

ج٤٩٦- قال الزجاج: {كَيْفَ} في موضع نصب ب {فَعَلَ} لا بقوله: {أَلَمْ تَرَ} لأن {كَيْفَ} من حروف الاستفهام، والله أعلم.

س٤٩٧- لماذا يقول القرآن: {أَلَمْ تَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} [الفيل: ٢] والكيد هو

التبليس بليل.. أى في الخفاء، وأبرهة أعلن عن عزمه على هدم البيت جهاراً نهاراً؟

ج٤٩٧- نعم.. لقد أعلن أبرهة عن عزمه على هدم البيت، ولكن الذى كان فى قلبه أكثر شراً مما أظهر، فقد كان يضم الحسد والبغضاء لقريش على تعظيم العرب للكعبة، وما كان يجلبه عليهم هذا التعظيم من الخير والثراء، وخصوصاً فى أيام الحج من كل عام، فضلاً عما فيه من مخالفة دينه وعدم الاهتمام به، فأراد أن يجعل هذا الشرف العظيم لبلده وكنيسته (القُلَيْس) التى بناها على أفخم طراز، وجملها وزخرفها ليصرف وجوه الناس إليها، فما كان منهم إلا أنهم احتقروها، ولم يأهوا لها، حتى إن قَتَيْنَ من فتيان قريش تسرباً إليها ليلاً، وتبرزاً فيها، ولطخا حيطانها المزخرفة بهذا البراز، مما زاد فى حنقه على بيت الله الحرام، فصمم على هدمه، ولكن الله سبحانه وتعالى حال بينه وبين مراده. ثم إن أى إنسان يعلن عن عزمه على فعل جريمته فلا بد أن ينوى ويخطط لها قبل أن يفعلها، أم إنه يعلن عن عزمه عليها بغير تخطيط؟ فهذا التخطيط فى حد ذاته يعتبر كيداً، والله أعلم.

س٤٩٨- إن الحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق، فلماذا لم يحدث له كما حدث لأبرهة؟ وكذلك القرامطة الذين سرقوا الحجر الأسود لمدة سبع سنين ولم يحدث لهم شيء، إن هذا يدل على أن هذه القصة لم تكن لتعظيم الكعبة، ولكن لأمر غير ذلك.

ج٤٩٨- إن القضاء على جيش أبرهة قد وقع إرهاباً ليلاد الرسول ﷺ والإرهاب إنما يحتاج إليه قبل قدومه، أما بعد قدومه، والتأكد من نبوته بدلالة قاطعة فلا حاجة لشيء من ذلك، ولأن الكعبة قبل الإسلام لم يكن لها حامٍ إلا الله، ولم يكن للعرب قبل بقوة أبرهه، وخصوصاً أنه استعمل الفيئة التى لم تكن بأرض العرب، ولا دراية لهم بها، فقد كانوا يعتمدون فى حروبهم على الخيول والجمال، ولذلك خافوا وهربوا إلى الجبال عندما رأوا هذه الفيئة. أما بعد مجيء الرسول ﷺ فقد عهد الله تعالى حماية بيته الحرام وكل

مقدساته - كالمسجد الأقصى وغيره - إلى المسلمين، ولو أنه أهلك كل من يتعرض لها بسوء، فأين جهاد المسلمين إذن؟ وكيف يظهر إخلاصهم ومحبتهم لدينهم؟ وما هي فائدتهم إن لم يدافعوا عن مقدّساتهم بأنفسهم؟، والله أعلم.

س ٤٩٩ - هل أهلك الله أصحاب الفيل لإيلاف قريش؟ أى لتبقى الرحلة، أم لأنهم كفروا؟ هذا إذا كانت السورتان سورة واحدة كما يعتقد الشيعة، وهي كذلك في مصحف أبيّ بن كعب، وقرأها عمر بن الخطاب بغير بسملة بين السورتين.

ج ٤٩٩ - نحن لا نقول إن الله تعالى أهلك أصحاب الفيل بسبب كفرهم، ولكن بسبب اعتدائهم على بيت ربهم، فإن الجزاء على الكفر مؤخّر إلى يوم القيامة، قال تعالى: {الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [غافر: ١٧] ولو أنه فعل بهم ذلك لكفرهم، لفعل ذلك بجميع الكفار، فقد كان أهل الحجاز أنفسهم كفاراً، قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [فاطر: ٤٥] ولكنه فعل ذلك بهم لاعتدائهم على بيته كما قلنا. وقد قال الشيخ الشعراوي (رحمه الله): إن قوله تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش: ١] أى لتعظيم منصبهم، وإظهار قدرهم. ولنفرض أن زجرهم عن الكفر مقصود، فإن هذا لا ينافي كون شيء آخر مقصوداً، حتى يكون الحكم واقعاً بمجموع الأمرين معاً. ثم هبّ أنهم أهلكوا لكفرهم فقط، إلا أن ذلك الإهلاك لما أدى إلى إيلاف قريش، جاز أن يقال: أهلكوا لإيلاف قريش، وذلك كقوله تعالى: {فَالْتَقَطَهُ آءُ الْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه ليكون {عَدُوًّا وَحَزَنًا} لكن لما آل الأمر إليه حسن أن يمهد إليه بالالتقاط، وكأنه قال (إن التقاطهم له عاد عليهم بأن كان لهم عدوًّا وحزناً) ولا شك أن مكة كانت خالية من الزرع والضرع، كما قال تعالى: {بِوَادٍ غَمْرِ ذِي زَرْعٍ} [إبراهيم: ٣٧] فلا غنى بها عن رحلة الشتاء والصيف، وقد كان ملوك النواحي يعظمون أهلها، ويقولون: هؤلاء جيران بيت الله، وسكان حريمه، وولاة الكعبة، فلو تم لأبرهة ما عزم عليه من هدم الكعبة، لزال عنهم هذا العزّ والاحترام، ولصار سكانها كسائر القبائل، يُتخطّفون من كل جانب، ويُتعرّض لهم في نفوسهم وأموالهم، فلما أهلك الله أصحاب الفيل ازداد احترام أهل مكة في القلوب، ولم يتعرض لتجارها في هاتين الرحلتين أحد.

والأهم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى كان قد أعدّها لأعظم رسالة، ولأعظم رسول ﷺ كما ذكرنا في الرد على الشبهة السابقة، والله أعلم.

س ٥٠٠- إن التكرار في سورة الكافرون لا طائل من ورائه، فقد كان يكفي أن

يقال: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ }

ج ٥٠٠- إن سبب نزول هذه السورة الكريمة أن الكفار قالوا لسيدنا محمد ﷺ عندما

رأوا ثباته وثبات أصحابه ﷺ: نعبد إلهك عاماً وتعبد آلهتنا عاماً، فإن كان العام الذي نعبد

فيه إلهك عام رخاء وخصب، وكثرة المواليد الذكور، عبدناه بعد ذلك معك، وإن كان

عام آلهتنا عام نماء وخير، وثمار وأمطار، فتعبدهم معنا وترك إلهك، فأنزل الله عز وجل

هذه السورة، فقوله تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } [الكافرون: ١-٣] أى في الوقت الحاضر يستحيل أن أعبد آلهتكم، وأنتم

على ما أنتم عليه من الكفر لا تعبدون ما أعبد، لأن عبادة الله ليس فيها تفاوض، ولا

أرض محايدة، ولا أنصاف حلول. وهذه الآيات فيها تحلية وتحلية كما في شهادة أن لا إله

إلا الله، تنبراً من عبودية غير الله أولاً، ثم ثبتت عبوديتنا له وحده سبحانه وتعالى. ومعنى

آخر: نتخلى عن الشرك، ونتحلّى بالإيمان. وقوله سبحانه: {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٣﴾ وَلَا

أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } [الكافرون: ٤-٥] أى في المستقبل، فلا تحلموا، ولا تتصوروا، ولا

يكن عندكم أدنى أمل أننى في يوم من الأيام سأعبدها، وأنتم على استمراركم على

كفركم فلن تعبدوا إلهي، فهذا حسم للقضية، حتى لا تكون هناك أى محاولة للتفاوض بعد

ذلك، فلن نمسك العصا من الوسط، ولن نجلس على الموائد المستديرة، فالعقيدة ليس فيها

تنازلات، ولا مفاوضات، ولا صلح كما يحدث بين المتخاصمين، كأمرىكا التى ضربت

اليابان بالقنبلة الذرية مرتين، ثم أقامت معها صلحاً، أو كصلح بعض العرب مع إسرائيل،

والله أعلم.

خاتمة

لقد تبين لنا من هذه الرحلة الطويلة مع شبهات الملحدين والمستشرقين، حول ديننا العظيم، أنها ليست شبهات على الحقيقة، ولكنها افتراءات وأباطيل، أثارها الحاقدون ليشككوا المسلمين في عقيدتهم، وقرآنهم، ورسولهم ﷺ، وقد استغلوا جهل أكثرهم بدينهم، وانصرافهم عنه، وانشغالهم بديناهم عن آخرتهم، وانبهارهم بالغرب وأهله، رغم ما فيه من الخلال ورذيلة، وغطرسة ووحشية، يشهد عليها حاضرهم وماضيهم على السواء. وكان المفروض أن المسلمين هم الذين يدعون غيرهم للدخول في دينهم، لشموخه، وعظمته، وعلوه على سائر الملل والنحل، ولكن - للأسف - تحاذل الكثير من المسلمين عن نصرة دينهم، والتمسك بتعاليمه، والدعوة إليه، وانشغلوا بتوافه الأمور، حتى أطمعوا فيهم عدوهم، ليس فقط في أرضهم، وأموالهم، وأعراضهم، بل في دينهم، الذي هو عصمة أمرهم، فصار مثلهم مع عدوهم كمثل قول القائل: (استأسد الحَمَلُ لَمَّا استنوق الجمل، وبال الحمار في أذن الأسد)

يا مسلم.. يا عبد الله.. تمسك بدينك وقرآنك، وأتبع هدى نبيك ﷺ واحرص على التزود من العلوم الشرعية، حتى تعبد الله على بصيرة، وتكون على بينة من أمر دينك، وحتى لا يطمع فيك طامع، أو يصدك عن دينك مُخادع، فقد أنزل الله إليك أعظم كتاب، وأرسل إليك خير رسول (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهداك إلى أفضل منهج، لصالح دينك، وديارك، وآخرتك.

والله أسأل أن يردنا والمسلمين إليه رداً جميلاً، وأن يحفظ علينا توحيدنا وعقيدتنا، وأن يفقهنا في ديننا، وأن ينصر ديننا، ويرد عنا كيد أعدائنا، وأن يُصِرنا بعبوبنا، ويصلحها لنا، وأن يتقبل حسناتنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، وأن يحسن ختامنا، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم آمين، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المراجع

مرتبة على حروف المعجم دون مراعاة (أل) و(كتاب)

• القرآن الكريم.

• الإتيقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار التراث.

• الأجوبة الفاخرة للإمام أحمد بن إدريس، المعروف بالقراقي، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان ١٤٠٦ هجرية، ١٩٨٦ م.

• الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسري، توزيع مكتبة دار

الأرقم، الكويت.

• الأدلة المادية على وجود الله للشيخ الشعراوي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،

وزارة التربية والتعليم، ١٤١١ هجرية، ١٩٩٠ م.

• إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، تأليف الشيخ العلامة رحمة الله بن

خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة،

١٣٠٨-١٣٩١ هجرية، تحقيق وتعليق د. محمد أحمد عبد القادر خليل، جامعة الملك

سعود، الرياض.

• الإعجاز العلمي للقرآن للدكتور زغلول النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

الأعمال الدينية، تقدم أحمد فراج.

• آيات مظلومة بين جهل المسلمين وحقد المستشرقين، للدكتور عمر عبد العزيز

القريشي، مكتبة الأديب الذهبية للنشر والترجمة، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م، ١٤٢٤ هجرية.

• البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد

أبو الفضل، مكتبة دار التراث.

• تاريخ القرآن للدكتور عبد الصابور شاهين، معهد الدراسات الإسلامية،

١٤١٠ هجرية، ١٩٩٠ م.

- ♦ تفسير الشعراوي، إدارة الكتب والمكتبات، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
- ♦ تفسير الكشاف للزمخشري عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ٤٦٧-٥٣٨ هجرية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ♦ تفسير النَّسْفِي، مدارك التزويل وحقائق التأويل، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسْفِي، اعتنى به عبد المجيد طعم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ♦ الجامع لأحكام القرآن للإمام أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، عمان.
- ♦ حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين الصادر عن وزارة الأوقاف.
- ♦ دراسات قرآنية للدكتور محمد بكر إسماعيل، دار المنار.
- ♦ دفع الشبهات عن السنة والرسول ﷺ للدكتور عبد المهدي عبد القادر، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، مكتبة الإيمان.
- ♦ الرحيق المختوم لصفى الدين الباركفوري، الجامعة السلفية بالهند، بحث في السيرة النبوية، مكتبة زهران.
- ♦ السيرة النبوية لابن هشام أبي عبد الملك بن هشام المعافري، المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية، تقدم وتعليق عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.
- ♦ شبهات حول الإسلام للشيخ محمد قطب، دار الشروق، القاهرة.
- ♦ عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة للدكتور عماد السيد الشريبي، قدّم له أ. د. عبد المهدي عبد القادر أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر بالقاهرة، مطابع دار الصحافة.
- ♦ فقه السنة للشيخ سيد سابق، دار الريان للتراث، القاهرة.
- ♦ في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب، دار الشروق.
- ♦ قذائف الحق للشيخ الغزالي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ♦ ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد للشيخ أحمد ديدات، تقدم ومراجعة فائزة محمد بكرى، دار المنار، ١٤٠٩ هجرية، ١٩٨٨ م.

- محاضرات في مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار.
- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، مختصر لتفسير الإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية.
- مطويات إسلامية من (مركز التنوير) للأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله.
- معجزات الرسول ﷺ ودلائل صدق نبوته للشيخ إبراهيم جلهوم والشيخ عبد السلام حماد.
- معجزة القرآن للشيخ الشعراوي، كتاب اليوم، ثقافة اليوم وكل يوم.
- مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، أو التفسير الكبير، ٥٤٤-٦٠٤ هجرية، الناشر دار الغد العربي.
- مناظرة بين الإسلام والنصرانية، مناقشة بين رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، دار الوطن للنشر، دار التُّهَى بالرياض ٢٢-١١-١٤١٢ هجرية.
- الناسخ والمنسوخ للشيخ هبة الله سلامة، تخریخ وتعليق د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه، كلية الشريعة، دمشق، اليمامة للطباعة والنشر.

* * *

الكتاب المرافق واللاحق إن شاء الله

يرافق إصدار هذا الكتاب كتاب آخر بعنوان: (تصحيح أخطاء المسلمين) ثم يليه -
بمشيئة الله - كتاب (المواجهة)

أما كتاب (تصحيح الأخطاء) فيحتوى على خمسة أبواب رئيسية، أولها عبارة عن تصحيح لكثير من أخطاء المسلمين العقائدية، والقولية، والفعلية، بأسلوب سهل، راعيتُ فيه نقل كلام العامة كما هو، حتى يتيسر على القارئ البسيط فهمه، وتعليمه لغيره، ثم يليه (شروط لا إله إلا الله، وشروط الإسلام ونواقضه) ثم (صفة صلاة الرسول ﷺ) للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ثم (القواعد الذهبية في تدبر القرآن وحفظه، والفتح على الإمام) للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، ثم (رحلة إلى دار القرار) وهى تذكرة بالآخرة.

أما كتاب المواجهة فإن موضوعه موجهٌ إلى الشخصيات المحايدة من علماء النفس والاجتماع والسلوك الإنساني شرقاً وغرباً:

هل هذا الرجل العظيم (محمد ﷺ) دَجَالٌ؟

ومن أمثلة هذه الأسئلة الموجهة:

س- هل سمعتم عن قائد منتصر، فاتح لعاصمة قوية مثل مكة، يأكل خبزاً جافاً مع

خل؟ وهو القادر على أن يأكل قلوب أعدائه؟

س- هل رأيتم حاكماً قديماً أو حديثاً يسكن في حجرات من البوص المغطى بالطين،

والأسقف من الجريد، وأكبر حجرة عنده أصغر من مطبخ أحدكم؟

س- هل رأيتم دجالاً ألف كتاباً فذكر بالثناء الحسن منافسين له (مثل إبراهيم وموسى

وعيسى) أكثر مما ذكر نفسه؟

س- هل رأيتم دجالاً يؤلف كتاباً يشيد فيه بامرأة هى أم منافس له (السيدة مريم رضی

الله عنها) ولا يذكر أمه ولا بناته ولا نساءه؟

س- هل رأيتم دجالاً حدثت في زمنه ظاهرة طبيعية تثبت دعائم حكمه فلم يغتمها،

بل ويتجاهلها ويثبت عكسها؟ (انكساف الشمس عند موت ابنه إبراهيم).

س- هل رأيتم دجالاً يؤلف كتاباً ويُوَجِّه فيه اللوم إلى نفسه، ويُصَوِّب أخطاءً وقع فيها؟

س- هل رأيتم حاكماً كبيراً لا يترك أى ميراث لورثته، بل ويموت مديوناً؟

س- هل رأيتم دجالاً مَزَّقَ الله له حُجُبَ الغيب (النفوس، والماضى، والحاضر، والمستقبل) فصدق في كل ما قال على مر السنين والأيام، ولم يكذبه الواقع، ولا حتى بعد موته؟

س- هل سمعتم أن حاكماً كبيراً يقول لأقاربه إنه لا يملك لهم ولا لنفسه نفعاً ولا ضرراً؟

س- هل رأيتم حاكم دولة تطلب منه ابنته خادماً ليعينها على شؤون بيتها فلا يعطيها؟

س- هل رأيتم دجالاً ألف كتاباً يأمر كل أتباعه، وكل من قرأ كتابه، أن يُمَنِّعَ فيه النظر، ويُمَحِّصَه تمحيصاً جيداً، ولا يمر عليه مرّاً سزيعاً؟ {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْآيَاتِ وَالْوَعْدِ الَّذِي مَنَعْنَا لَنُعَذِّبَهُنَّ بِالَّذِي كُنَّ يَعْمَلْنَ إِنَّهِنَّ لَنَنزِلَنَّ فِيهِنَّ الْغُلَّاقَ الَّذِي هُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النساء: ٨٢] فإن صاحب البضاعة الرديئة لا يقبل التقليل فيها، ولكن هذا الرجل يتحدى أن يظهر أى عيب في الكتاب الذى أنزل عليه على مر القرون.

س- هل رأيتم حاكماً كبيراً يتقدم جيوشه كراس حربية، فيصاب ويُجرح، ويتعرض للقتل المحقق، وكان في إمكانه أن يُجَيِّشَ الجيوش - كساتر ملوك الأرض - وهو في قصره، ينعم بالأمن والترف، ويعطى الأوامر، وينتظر الأخبار؟

س- هل رأيتم حاكماً كبيراً يتمكن من رقاب أعدائه الذين آذوه وطرده، وقتلوا أصحابه، ثم يعفو عنهم، ولا يقتل منهم أحداً؟

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣.....	تقديم : د . عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي
٥.....	تقديم : د . محمد عمارة.....
٧.....	تقديم : د . محمود شعبان إبراهيم
٩.....	مقدمة المؤلف
١٢.....	ملاحظات
١٤.....	نص الكتاب.....
١٤.....	شبهات باطلة حول العقيدة.....
٦١.....	شبهات مُغرضة حول القرآن.....
١٣٠.....	شبهات ظالمة حول الإسلام.....
٢٢٩.....	شبهات حاكمة حول الرسول ﷺ.....
٣٤٥.....	زعم تناقض القرآن مع نفسه.....
٤٠٥.....	زعم تناقض القرآن مع السنة.....
٤٣٦.....	شبهات زائفة حول سُور القرآن.....
٥٩٨.....	الخاتمة.....
٥٩٩.....	المراجع.....
٦٠٢.....	الكتاب المرافق واللاحق إن شاء الله.....
٦٠٤.....	الفهرس.....

مطابع الطار الهندسية/القاهرة

تلفاكس: ٢٥٤٠٢٥٩٨ محمول ٠١٢٢٣٤٩٠١١

